جامعة أسيوط
مركز دراسات المستقبل

القدس
التاريخ والمستقبل

أبحاث الندوة الدولية "القدس : التاريخ والمستقبل"
التى عقدها مركز دراسات المستقبل بجامعة اسيوط
(٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)

تقديم
أ.د. محمد رافت محمود
رئيس الجامعة

تحرير
أ.د. محمد إبراهيم منصور
مدير المركز

فبراير ١٩٩٧

جامعة أسيوط

مركز دراسات المستقبل

اللجنة المنظمة للندوة

الأستاذ الدكتور محمد رأفت محمود	رئيس جامعة أسيوط رئيسا
الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم منصور	مدير مركز دراسات المستقبل أمينــا
الأستاذ الدكتور محمد يسرى حامد	عضو بمركز دراسات المستقبل
الأستاذ الدكتور عبد الواحد محمد الفار	أستاذ القانون الدولى بكلية الحقوق عضوا
الأستاذ الدكتور رفعت محمد حسن المليجى	عضو مركز دراسات المستقبل عضوا
الأستاذ الدكتور سيد عاشور أحمد	عضو مركز دراسات المستقبل عضوا
السيد اللـــواء محمد نبيل صادق	عضو مركز دراسات المستقبل عضوا
السيد الدكتــور عصام محمد أحمد زناتى	أستاذ القانون الدولى المساعد عضوا
السيد الدكتــور منير محمود بدوى	مدرس العلوم السياسية بكلية التجارة - عضوا
السيد الدكتــور محمد عبد الحميد الحناوى	مدرس التاريخ الحديث والمعاصر عضوا

شارك فى تحرير الكتاب

الأستاذ الدكتور بدرية شوقى عبد الوهاب	عضو مركز دراسات المستقبل
الأستاذ الدكتور رفعت محمد حسن المليجى	عضو مركز دراسات المستقبل
الأستاذ الدكتور سيد عاشور أحمد	عضو مركز دراسات المستقبل

وشارك من سكرتارية المركز :

السيد/ محمود صبحى حسين

الانسة/ مرفت شحاته مرسى

السيد/ محمد انور حامد

السيد/ ماهر مشرف ابو حشيش

المحتويات

كلمات الجلسة الافتتاحية

موضوعات الندوة

القدس : التغيرات الجغرافية والديموجرافية

القدس : الحقوق القانونية وقرارات الشرعية الدولية

القدس : خيارات المستقبل

تقديم

دكتور محمد رأفت محمود

رئيس الجامعة

قبل أن نتخذ أهبة الاستعداد لعقد ندوة عن القدس أستجابة لنداء قومي صادر من جامعة الدول العربية ووزارة الخارجية المصرية ، تفجرت الأحداث الدامية حول الحرم القدسي الشريف بعد أن شرعت إسرائيل فى حفر النفق تحت المسجد الاقصى ، لتستفز بسلوكها هذا مشاعر العرب فى كل مكان ، وتقدم برهاناً جديداً على الموقف المعادى للسلام الذى ما فتئ بنيامين نتنياهو رئيس حكومة الليكود فى التعبير عنه منذ ان توسد سدة الحكم فى اسرائيل .

لقد كانت هذه الاحداث الدامية -التى راح ضحيتها عدد كبير من ابناء الشعب الفلسطيني الصامد فى القدس - كافية لتأجيج حماسنا لعقد الندوة وتوسيع مستوى المشاركة فيها لتضم ممثلين بارزين من أبناء الشعب الفلسطيني ، الذى انحاز بارادته الى خيار السلام ،وممثلين من صفوة المفكرين والمثقفين فى مصر والوطن العربى ، وعدداً كبيرا من الباحثين فى الجامعات والمعاهد ومراكز الدراسات العربية. وربما كانت هذه هى المرة الأولى التى تستضيف فيها أسيوط وجامعتها الفتية ومركزها الناهض هذا العدد الكبير من المشاركين الذين جاءوا من كل فج عربى معبرين بأبحاثهم وكلماتهم ومناقشاتهم عن مشاعر قومية عميقة ، لكن المشاعر رغم توهجها لم تطمس الحقيقة الموضوعية ولم تؤثر على سلامة البحث العلمي ومناهجه . ولقد كنت حريصاً أن أشارك بنفسى - عبر يومين كاملين - فى وقائع الندوة وجلساتها ، معتبراً هذا العمل من الأعمال المجيدة التى لايجوز التخلف عنها تحت أى ظرف ، ويكفى انها سوف تظل تُذكر لجامعة أسيوط ولمركز دراسات المستقبل باعتبارها أول مساهمة فى مناسبة قومية جليلة ..

والحق يقال أننا مدينون فى هذا العمل الجليل إلى الرعاية الصادقة التى أسبغها معالى الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم على هذه الندوة والدعم الأدبى الذى حظيت

به من جهات عديدة ، وأخيراً فإن حماس الرجال والنساء من أبناء جامعة اسيوط ، أساتذةً وطلاباً وعاملين هو الذى جعل هذين اليومين المشهودين من أيامنا القومية المجيدة التى سوف تظل محفورة فى ذاكرتنا .

وأنا إذ أقدم لهذا الكتاب – الذى يضم بين دفتيه وقائع هذه الندوة بكلماتها وأبحاثها ومناقشاتها – لا أملك إلا أن أحيى كل هؤلاء الذين هيأوا لهذا العمل كل أسباب النجاح من المفكرين والباحثين والساسة ، وقدموا هذا العمل العلمى البارز الذى نهديه اليوم إلى صانعى السياسات العربية ، وخصوصاً إلى الذين يؤرقهم مايحاك للقدس العربية من مكائد.

وأخيراً فإننا نتوجه بهذا الكتاب إلى الأجيال الجديدة من أبناء أمتنا العربية الذين نحلم لهم بسلام دائم وعادل ، ينعمون فى ظله بالحرية والرخاء والتقدم .

والله من وراء القصد

وهو يهدى إلى سواء السبيل

كلمة المحرر

دكتور محمد إبراهيم منصور

مدير مركز دراسات المستقبل

عندما دقت الساعة الثامنة من مساء الأربعاء ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦ كان جمع من المثقفين والباحثين العرب يتأهبون لمغادرة قاعة المؤتمرات الدولية بجامعة أسيوط بعد أن أذنت الندوة الدولية "القدس : التاريخ والمستقبل" بالانتهاء . وكان الجميع – وهم فى طريقهم إلى حفل العشاء الأخير – منهمكين فى أحاديث جانبية يراجعون فيها المواقف والرؤى ويواصلون فيها من الحديث ما انقطع. وبينما كانوا يتصافحون ويتعانقون توطئةً لوداع قريب ، كنت وحدى مهموماً بأمر توثيق هذه الندوة وتجميع صحائفها وأوراقها من صدور الرجال وعقولهم قبل أن يذروها النسيان وتذهب جُفاءً لا ينفع الناس.

وكنت على يقين بأن ما بدأ فى التاسع والعشرين من أكتوبر لم ينته ، ولن يُقدّرَ له أن ينتهى إلا عندما يكون هذا الكتاب – الوثيقة بين يدى قرائه ، يغترفون من أحشائه الدر الكامن ، ويصير ملكاً خالصاً لكل من يهمه أمر القدس ومستقبلها .

ولم يمض يوم أو بعض يوم حتى كانت هيئة التحرير تسابق الزمن ، تجمع وتنسخ وتبوب وتُصحح ، بين عينيها هدف لا يغيب وهو أن يكون هذا الكتاب على المستوى الذى يليق بالحدث والمناسبة ، وأن يكون وثيقة علمية دامغةً ، مؤيدةً بحقائق التاريخ الذى لا يكذب والقانون الذى لا يحيد ، لا يخفى فيها الحق خلف غبار الحماسة ، ولا تضيع معالمه أمام توهج المشاعر .

وقد كان هذا الهدف كافيا فى حد ذاته لأن يجعلنا نفرق بين خيارين فى النشر ؛ أن ننشر كل ما قدمه الناس وبعضه لا يخلو من عواطف قومية أو دينية مشبوبة ، قد تجر علينا تهماً أصغرها الخطابية وأكبرها العنصرية والعداء للسامية ، حتى لو كنا بشهادة التاريخ ساميين سالفاً عن سالف.

والخيار الثانى أن ننشر ما استوفى شرائط البحث العلمى والتزم الموضوعية ، وتجنب الايغال فى أساطير الدين والتاريخ ، وقامت على صحته مراجع موثقة . وقد انتهينا إلى

الانحياز للخيار الأخير لأسباب اهمها اننا عقدنا ندوتنا " القـدس:التـاريخ والمسـتقبل " رداً على مزاعم إسرائيلية أرادت أن توظف أساطير التوراة والتاريخ ، لتثبيت حقوق مزعومة فى مدينة القدس ، تعود بها إلى ثلاثة آلاف عام منذ حُكم الملك داود الذى جعـل منهـا فـى العام ٩٩٦ قبل الميلاد عاصمةً لملكه ، ليكون هذا السند التاريخى المدعى مسوغا لإعـلان القدس عاصمةً أبديةً موحدة لأحفاد داود ، لايترك لغيرهم مـبررا للمطالبـة بـأى حـق فـى المدينة المقدسة .

وقد كان علينا أيضا ونحن بصدد النشر أن نواجه مفارقةً أخرى فرضتها علينـا دوافـع الحرص على "الحيدة العلمية" وتجنب الوقوع فى شرك الاتهام بالشوفينية والتعصب . فقد كان علينا مرةً أخرى أن نفرق بين أمرين فـى الانحيـاز القومـى ؛ أن ننحـاز إلـى حقوقنـا القومية دون أن نضطهد الآخرين وننكر حقوقهم القومية ، أو أن ننحاز إلى حقوقنا القومية وننفى حقوق الآخرين ، بل ونوغل فى ممارسات القهر القومى والتطهير العرقـى وطمـس حقائق التاريخ والجغرافية والقانون كما فعل معنا غيرنا . إن من حق البـاحثين العـرب أن يدافعوا عن الحقوق القومية لأمتهم وأن يقيموا الدليل إثر الدليل تثبيتا لهذه الحقوق دون أن يفتئتوا على الآخرين أو يجوروا . وقد التزمت الدراسـات التـى اخترناهـا للنشـر فـى هـذا الكتاب – الوثيقه بهذا المنهج . والحق أن جل ماستقبلناه من كتابـات البـاحثين لـم يخـرج عن هذا المنهج . أما القليل الذى رأينا استثناءه من هذه القاعدة ، فإنه لم يكـن إلارد فعـل – معروفة دوافعه مقدرة عواطفه _ للسياسات الإسرائيلية المستفزة للمشاعر العربيـة ، ثـم إن هناك قليلاً مما يجب أن نعتذر عن نشره لأسباب أخرى ، بعضهـا لـم يسـتوف شـروط البحـث العلمـى ، والبعضُ الآخر كـان اقترابـاً مـن بعيـد لمحـاور النـدوة وموضوعهـا ، والبعض الثالث توافر لنا من الدليل مـا يقطـع بأنـه سبق نشره . ومـع ذلـك يظـل لهـؤلاء جميعاً – بعد واجب الاعتذار لهم – فضل المساهمة فى هـذه الاحتفاليـة القوميـة الجليلـة ، ويظل علينا واجب الشكر لهم ، ولكل الذين حملوا على عاتقهم هذا الهم القومى وجاءوا به إلى صعيد مصر .

أما الكتاب – الوثيقة فهو كلمتنا للتاريخ .. نتوجه بها إلى أولى الامر فى مواقـع صنـع القرار .. وإلى الأجيال الصاعدة التى يؤرقها مصير القدس ومستقبلها .

كلمة معالى الدكتور أحمد عصمت عبد المجيد
الأمين العام لجامعة الدول العربية

يلقيها نيابة
المستشار طلعت حامد السيد
نائب رئيس مكتب الأمين العام ورئيس وحدة الاتصالات الصحفية

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الدكتور محمد رجائى الطحلاوى محافظ أسيوط
الأستاذ الدكتور محمد رأفت محمود رئيس جامعة أسيوط
السيد السفير بدر همام مساعد وزير الخارجية ممثل السيد وزير خارجية جمهورية مصر العربية
السيد الأستاذ فيصل الحسينى عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ومسئول ملف القدس فى السلطة الفلسطينية
السيد السفير محمد صبيح المندوب الدائم لدولة فلسطين لدى جامعة الدول العربية
الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم منصور مدير مركز دراسات المستقبل بجامعة أسيوط وأمين الندوة
الأخوة والأخوات
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

إنه لمن دواعى سرورى وسعادتى أن أنوب عن الأستاذ الدكتور أحمد عصمت عبد المجيد فى حضور أعمال الندوة الدولية التى ينظمها مركز دراسات المستقبل بجامعة أسيوط "القدس : التاريخ والمستقبل". وقد حَمَّلنى الأستاذ الدكتور عصمت عبد المجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية أطيب تحياته وتمنياته للمشاركين فى أعمال هذه الندوة، وكم كان يود سيادته أن يكون مشاركا بين تلك الصفوة الممتازة من المفكرين والباحثين والأساتذة الأجلاء لولا سابق ارتباطاته ، كما حَمَّلنى سيادته عميق شكره وتقديره للأستاذ الدكتور محمد رأفت محمود رئيس جامعة أسيوط ، والى الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم منصور مدير مركز دراسات المستقبل وأمين الندوة على جهودهم ومبادرتهم بعقد هذه الندوة ، متمنيا أن تحقق الأهداف المرجوة من عقدها.

ولاشك **أن المحاور** التى تضمنتها الندوة ، والتى تتناول الأسانيد القانونية والتاريخية والدينية **لعروبة القدس** ستكون موضع اهتماماتكم ومداخلاتكم ، خاصة فى ظل الانتهاكات الإسرائيلية **المستمرة تجاه** المدينة ، وبخاصة سياسة الاستيطان ومصادرة الأراضى ، وفرض الحصار **على** الشعب الفلسطينى .. ذلك أن استمرار الممارسات والإجراءات الإسرائيلية **فى تهويد** مدينة القدس تهدد عملية السلام برمتها ، وتضع منطقة الشرق الأوسط **بكاملها على** حافة الخطر ، فضلا عن أن هذه الممارسات وتلك الإجراءات تعد **مخالفة لقواعد القانون** الدولى وقرارات الشرعية الدولية واتفاقيات جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ ، **كما تعد انتهاكا** واضحا للاتفاقات الفلسطينية الإسرائيلية ، التى نصت على أن يتم التفاوض **على** وضع مدينة القدس خلال مفاوضات الحل النهائى .

الأخوة والأخوات

كما **تعلمون حضراتكم** أن مدينة القدس تحتل مكانة دينية متميزة لا تدانيها أية مدينة أخرى **فى العالم ،** وقد أكد المجتمع الدولى ممثلا فى الأمم المتحدة على ضرورة الحفاظ على **مكانة المدينة** وحماية معالمها الدينية. ولعلنا نتذكر معا قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة **وبخاصة القرارين** رقمى ١٨١ و١٩٤ اللذين طالبا بالحفاظ على مدينة القدس ، وعلى **وضعها الدولى ،** وأن تكون تحت إشراف مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة ، والذى **تمكن آنذاك بالفعل** من وضع المبادئ الأساسية لنظام الحكم الدولى لمدينة القدس ، **إلا أن إسرائيل لم** تعر المجتمع الدولى أى اهتمام .. فاستولت على القدس الغربية عام ١٩٤٨ .. **ثم احتلت** القدس الشرقية عام ١٩٦٧ ، وقامت فى عام ١٩٨٠ وأعلنت القدس **عاصمة أبدية لها** .. وقد أكد مجلس الأمن فى قراره رقم ٢٥٢ الصادر فى ١٩٦٨/٥/١٢ أن **الاستيلاء على** الأراضى بالغزو العسكرى أمر غير مقبول ، وطالب إسرائيل بإلغاء **جميع الإجراءات التى** اتخذتها ، والتى تستهدف تغيير الوضع فى القدس ، ثم أكد فى **قراراته أرقام** ٢٦٧ (١٩٦٩) ، ٢٩٨ (١٩٧١) ، ٤٧٨ (١٩٨٠) ، ٥٩٢ (١٩٨٦) ، ٦٧٢ (١٩٩٠) ، ٦٧٣ (١٩٩٠) ، ٦٨١، (١٩٩٠) ، ٩٠٤ (١٩٩٤) ، على أن الإجراءات **الإسرائيلية الرامية** إلى تغيير الوضع القانونى فى القدس ، غير مشروعة ، وطالب **إسرائيل بالامتناع** عن اتخاذ أية إجراءات تستهدف تغيير الوضع فى القدس ، إلا أن

إسرائيل مازالت مستمرة وبإصرار فى تحدى إرادة المجتمع الدولى بالسير قدما فى تهويد المدينة المقدسة ، وخلق أمر واقع يصعب تغييره فى المستقبل .

إن الاعتداءات والممارسات التى تقوم بها السلطات الإسرائيلية ، وجماعات اليهود المتعصبين والمستوطنين ، والتى كان أحدثها فى شهر سبتمبر الماضى عندما قامت إسرائيل بفتح النفق ، الذى يربط ساحة البراق (المبكى) فى الجهة الجنوبية للمسجد الأقصى ، بشارع المجاهدين القريب من باب الأسباط فى الجهة الشمالية للمسجد ، قد أدت إلى التهاب مشاعر المواطنين ، وإلى انفجار الأوضاع فى الأراضى الفلسطينية .. وأثار الإجراء الإسرائيلى ردود فعل عربية وإسلامية .. بل ودولية واسعة ، دفعت بالإدارة الأمريكية إلى عقد قمة واشنطن فى الأول من أكتوبر ١٩٩٦ ، والتى لم تسفر نتائجها عن الآمال التى انعقدت عليها .

الأخوة والأخوات

لعل حضراتكم تشاركوننى الرأى فى أن محاولات الحكومة الإسرائيلية إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، بعزوفها عن الالتزامات والتعهدات والاتفاقات ، التى سبق أن أبرمتها الحكومة الإسرائيلية السابقة ، واستمرارها فى إطلاق حركة الاستيطان ، وإنشاء الوحدات السكنية الجديدة فى الضفة الغربية والجولان ، وشق الطرق لخنق أو محاصرة المناطق السكانية الفلسطينية .. فضلا عن استمرارها فى إجراءات تهويد مدينة القدس ، وتغيير معالمها الديمغرافية والجغرافية ، ورصد الأموال الطائلة ، ووضع المخططات الرامية إلى تحقيق ما يسمى بالقدس الكبرى .. إن كل ذلك من شأنه أن يضع المنطقة على حافة الهاوية ، ويهدد عملية السلام التى بدأت فى مدريد عام ١٩٩١ بالانتكاس ، ويعيد المنطقة إلى دائرة العنف والعنف المضاد .. الأمر الذى يتطلب حشد كافة الجهود الدولية والإقليمية الهادفة إلى استمرار مسيرة السلام ، والحفاظ على قوة دفعها حتى يتحقق السلام العادل والشامل فى المنطقة . وفى هذا الإطار فإننا نرى أن يكون من بين أهداف ندوتكم العمل على تنوير الرأى العام الدولى بموقف الأمة العربية تجاه مسيرة السلام ، وفى نفس الوقت العمل على دحض المزاعم الإسرائيلية المتعلقة بالقدس ، فضلا عن مساندة المفاوض الفلسطينى والعربى فى مفاوضاتهما الشاقة مع الجانب الإسرائيلى . وإننى على

ثقة فى أن ندوتكم هذه تأتى استكمالا واتصالا بالندوة الدولية "حول القدس" والتى انعقدت فى مقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، بالتعاون مع منظمة المؤتمر الاسلامى فى الفترة من ١٢-١٤/٣/١٩٩٥ ، والتى أدانت فى بيانها الختامى الإجراءات الإسرائيلية المتمثلة فى الاستيلاء على الممتلكات والأراضى العربية ، واستمرارها فى بناء وتوسيع المستوطنات فى القدس الشريف وباقى الأراضى الفلسطينية والعربية المحتلة ، واستمرار حصارها للمدينة المقدسة ، وعزلها عن باقى الأراضى الفلسطينية المحتلة ، كما دعت المجتمع الدولى إلى الالتزام بقرار مجلس الأمن رقم ٤٧٨ لعام ١٩٨٠ ، القاضى بدعوة جميع أعضاء الأمم المتحدة التى لها بعثات دبلوماسية في القدس أن تسحب بعثاتها من المدينة المقدسة ، والتأكيد على قرارات مؤتمرات القمة العربية والإسلامية بشأن الإجراءات التى تتخذ تجاه أى دولة تقوم بنقل بعثتها الدبلوماسية إلى القدس أو تعترف بها عاصمة لإسرائيل ، وأن تعتبر التدابير والإجراءات التشريعية والإدارية الاستيطانية الرامية إلى تغيير الوضع القانونى للمدينة المقدسة باطلة ومخالفة لقرارات الشرعية الدولية والمعاهدات الدولية والمواثيق والأعراف .

السادة المشاركون فى الندوة

لقد سبق أن حذرت إسرائيل فى كلمتى أمام مجلس جامعة الدول العربية فى دورته العادية السادسة بعد المائة بتاريخ ١٤/٩/١٩٩٦ من مغبة الاستمرار فى انتهاج سياسات لا تنسجم ولا تتماشى مع ما أقرته الشرعية الدولية ، وأوضحت أن على إسرائيل أن تعى وتدرك أن الأمة العربية عندما اختارت السلام كخيار استراتيجى لها .. فإن هذا الخيار لم يأت عن ضعف أو تهاون ، وإنما جاء بعد حروب طاحنة ، ومفاوضات شاقة ، وإصرار كامل على استعادة كل شبر من الأرض العربية المحتلة .. فى فلسطين .. وفى الجولان .. وفى جنوب لبنان ، وأكدت أن محاولات اسرائيل إفراغ عملية السلام من مضمونها تنذر بانتكاسة عملية السلام ، التى بذلت فيها جهود دولية وإقليمية ، وان انتكاسة عملية السلام لن تجنى منها إسرائيل سوى إشعال شرارة الانتفاضة الفلسطينية من جديد كصورة من صور الدفاع عن الحق العربى المشروع .. ذلك أن الإحتلال لا ينشئ حقا للمغتصب، ولا يوفر له أمنا ، وأن مقاومة الاحتلال هو حق مشروع كفلته كافة الشرائع والقوانين.

إننا نطالب إسرائيل بالامتناع فورا عن سياسة فرض الأمر الواقع فى القدس .. ونطالبها برفع الحصار والإغلاق عن الشعب الفلسطينى ، ونطالبها بالالتزامات والاتفاقات والتعهدات التى سبق أن أبرمت ، ونطالبها بالعمل على تنفيذ قرارات الشرعية الدولية ، وبخاصة قرارات مجلس الأمن أرقام ٢٤٢ و٣٣٨ و٤٢٥ ، ومبدأ الأرض مقابل السلام .. ونؤكد أن إسرائيل استطاعت أن تحقق مكاسب من عملية السلام فى الشرق الأوسط منذ عام ١٩٩٢ تمثلت فى :

١-زيادة عدد الدول التى اعترفت بإسرائيل .

٢-تضاعف حجم صادراتها وارتفاع حجم الأرصدة فيها ٦ مرات ليصل إلى ٢ مليار دولار فى العام .

٣-زيادة معدل النمو الاقتصادى بها بنحو ٦٪ من الناتج القومى .

٤-زيادة عدد السياح الأجانب من ١,٦ مليون سائح عام ١٩٩٢ إلى ٢,٥ مليون سائح عام ١٩٩٥ .

وعلى الجانب الآخر ونتيجة لسياسات الحكومة الإسرائيلية الحالية الرافضة لمسيرة السلام، والمتمسكة بلاءاتها الشهيرة ، والمماطلة فى تنفيذ الاتفاقات والتعهدات ، فإنه - طبقا للتقرير الصادر عن الجهاز المركزى للإحصاء الاسرائيلى - الذى أشار إلى وجود صعوبات تواجه الاقتصاد الاسرائيلى تمثلت فى :

١- زيادة حدة التضخم والتى وصلت إلى ١٤٪ .

٢- ازدياد العجز فى ميزان المدفوعات .

٣- زيادة الواردات عن الصادرات .

٤- زيادة الانفاق الحكومى مما تسبب فى زيادة العبء على ميزانية الدولة .

٥- البطء فى سير عملية الخصخصة لتحرير الاقتصاد .

وكل ذلك يؤكد أن الصراع العربى الاسرائيلى والقضية الفلسطينية ، والقدس فى المقدمة منهما ، هما لب مشكلة الشرق الأوسط ، ولن تعرف دول المنطقة الاستقرار والأمن إلا بعد إيجاد تسوية عادلة وشاملة يستعيد فيها الشعب الفلسطينى حقوقه الثابتة والمشروعة ، وفى مقدمتها حقه فى إقامة دولته المستقلة بعاصمتها القدس الشريف ،

رستجيب إسرائيل لقرارات الشرعية الدولية بالانسحاب من كافة الأراضى العربية المحتلة.

الأخوة والأخوات

اسمحوا لى أن أتوجه من خلال ندوتكم هذه بالإشادة بالرئيس الفرنسى "جاك شيراك"، وبجولته الأخيرة لمنطقة الشرق الأوسط ، وبيبانه القيم الذى ألقاه أمام المجلس التشريعى الفلسطينى فى مدينة رام الله فى سابقة تاريخية تعد الأولى فى تاريخ القضية الفلسطينية ، وذلك فى الثالث والعشرين من أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٦ ، وتأكيده على ضرورة تعزيز سلطة الحكم الفلسطينى وتوسيعه ، وحل مسألة القدس ، ووضع تصور لكيان القدس ، وتأسيس الدولة ، وتوضيحه على أنه لا سلام من دون مدينة السلام .. القدس .. وإشارته إلى ضرورة الحفاظ على تميز القدس ، وحق جميع الأطراف فى ممارسة شعائرها الدينية ، وانتقاده إغلاق الحكومة الإسرائيلية لأراضى الحكم الذاتى الفلسطينى .. وإعرابه عن الاستياء لمنع عشرات الآلاف من الفلسطينيين من العمل ، وإننا إذ نؤيد ونرحب برغبة فرنسا والاتحاد الأوروبى فى القيام بدور سياسى بارز فى عملية السلام بالشرق الأوسط .. دور يتناسب مع الدور الاقتصادى الذى تسهم به دول الاتحاد الأوروبى ، فإننا نرى أن هذا الدور ينسجم ويتوافق مع مواقف دول الاتحاد الأوروبى ، وبخاصة فى بيانها الصادر فى ١٩٩٦/٦/٢٢ فى فلورنسا ، وكذا بيان وزراء خارجيتها فى ليون فى الأول من أكتوبر ١٩٩٦ ، والذى أكد على أن القدس الشرقية تعد من الأراضى المحتلة ، التى يسرى عليها قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ القاضى بعدم جواز الاستيلاء على الأراضى بالقوة .. إننا نؤكد أن هذا الدور لا يلغى دور الولايات المتحدة – الراعى الرئيسى لعملية السلام فى الشرق الأوسط – وإنما يعزز ويساند جهود الولايات المتحدة من أجل الوصول إلى السلام العادل والشامل والمتوازن لدول المنطقة .

وفى هذا الإطار فإننا نؤكد على أن مقولة "الأمن مقابل السلام" أثبتت الأحداث عدم جدواها ، ورفضها المجتمع الدولى .. وإننا نرى أن صيغة "الأرض مقابل السلام" هى الصيغة الوحيدة الملائمة لتحقيق السلام والاستقرار والتنمية والتعاون فى الشرق الأوسط ، وأنه إذا أرادت إسرائيل أن تحقق ما تصبو إليه من تعاون إقليمى مع دول المنطقة ، فإن

هذا التعاون المنشود وثيق الارتباط بحل كافة القضايا السياسية المتعلقة بالصراع العربى الاسرائيلى ، وبالقضية الفلسطينية ، وأن جنى ثمار هذا التعاون يتطلب منها الانسحاب الفورى والشامل من كافة الأراضى العربية المحتلة ، ولقد أكدت أمتنا العربية فى قمتها العربية التى انعقدت فى القاهرة فى الفترة من ٢١-٢٣ يونيو الماضى أن تحقيق السلام العادل والشامل الذى يصون الحقوق العربية ، يستوجب التزاما مقابلا تؤكده إسرائيل بجدية وبدون مواربة ، وبما يعيد الحقوق والأراضى المحتلة ويضمن الأمن المتوازن والمتكافئ لجميع دول المنطقة ، وفقا للمبادئ التى اتفق عليها فى مؤتمر مدريد ، وبخاصة مبدأ الأرض مقابل السلام .

الأخوة والأخوات

إن الأبصار تتجه إلى ندوتكم هذه وكلها أمل أن تخرج بتوصيات تسهم فى بلورة وحدة الرؤية العربية فى التعامل مع التطورات والمخاطر التى تواجه مسيرة السلام والأمن والاستقرار فى الشرق الأوسط.

وإننى إذ أتوجه إلى المولى عز وجل أن يوفق جهود كافة المشاركين فى أعمال تلك الندوة ، أسأله تعالى أن يسدد خطانا لما فيه خير ونماء أمتنا العربية ، وتعزيز مكانتها ، وترسيخ دعائم التضامن العربى القوى المتين .

وفقكم الله وسدد خطاكم ، وأيدكم بنصر من عنده .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

كلمة السيد الوزير عمرو موسى وزير الخارجية

يلقيها نيابةً عنه

السفير بدر همام مساعد وزير الخارجية للشئون العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الدكتور محمد رأفت محمود رئيس جامعة أسيوط

الأستاذ الدكتور محمد رجائى الطحلاوى محافظ أسيوط

الأخ الكريم الأستاذ فيصل الحسينى رسول القدس وسفيرها فى هذا الاجتماع

السادة المشاركون الكرام

أحييكم أحسن التحية وأحمل لكم جميعا تحيات السيد الوزير عمرو موسى وزير الخارجية المصرى الذى أنابنى عنه للمشاركة فى هذا الحفل الجليل . لست أحسب أن قضية القدس مما يحيط به متحدث بمفرده أو لقاء بأوله وآخره ولكننى كدبلوماسى وممثل لوزير الخارجية أتحدث إليكم فى بعض الجوانب الدولية فى هذه القضية .

وهناك علامات على الطريق لعلها تعيننا على فهم أوسع وأعمق لما نحن بصدده اليوم وما نحن بصدده غدا بشأن القدس فهى قبلة العقول لكل مسلم ومسيحى وكل عربى يؤمن بدينه ، يؤمن بالله ويؤمن بكرامة الإنسان وبالمنطق والعدل والاحترام .

القدس قلب قضية فلسطين ، وقضية فلسطين جوهر النزاع فى الشرق الأوسط ، ولا سلام اليوم أو غدا بغير قضية فلسطين تبلغ غايتها لوطن فلسطينى لدولة فلسطينية حرة مستقلة وفى قلبها القدس قدس الفلسطينيين وقدس العرب وقدس المسلمين والمسيحيين وكل الرسالات الشريفة الكريمة على الأرض .

لقد كانت القدس بكل ما يحيط بها من تعقيدات هدفا لمعالجة خاصة قامت بها لجنة التحقيق التى وضعت تصورا لحل القضية الفلسطينية قبل قرار التقسيم الذى صدر فى عام

١٩٤٧ وكان قرار التقسيم يأخذ فى اعتباره الوضع المعقد ، فتبنى ما انتهت إليه لجنة دراسة القدس ودراسة القضية الفلسطينية على الأرض بأن يكون للقدس كيان مستقل أو منفصل ، ويضع إدارة مستقلة لها تراعى هذا الوضع ، لكنها فى ذات الوقت لا تنكر هويتها كأرض من فلسطين يرتبط بها الشعب الفلسطينى سيادة وإدارة أو مشاركة فى الإدارة . وكان الهدف من ذلك أن يكون الدخول إلى القدس دخولا هينا سليما يراعى حقوق المنتمين إلى كل الديانات ثم جاءت حادثة بعد ذلك فى إعلان دولة إسرائيل وحرب فلسطين فى ١٩٤٨ وانتهت إلى خطوط هدنة عبرت عن المواقع الأخيرة للقتال كان من نتيجتها أن وقعت القدس العربية بكل ما فيها من مقدسات المسلمين والمسيحيين واليهود فى الجانب العربى الذى تديره وتتولى أمره القيادة والجيوش العربية . ومن هذه النقطة وضع أمر القدس فى يد عربية تحت قيادة عربية ، إلى أن جاءت حرب ١٩٦٧ واستولت القوات الإسرائيلية على القدس العربية .

وقد أذاعت إسرائيل ما كان يسمى بالخط الأخضر وأجرت تنفيذ القانون الإسرائيلى على القدس العربية ثم أعلنت بعد ذلك ضمها إلى أرض إسرائيل وإعلانها عاصمة أبدية للدولة الإسرائيلية .

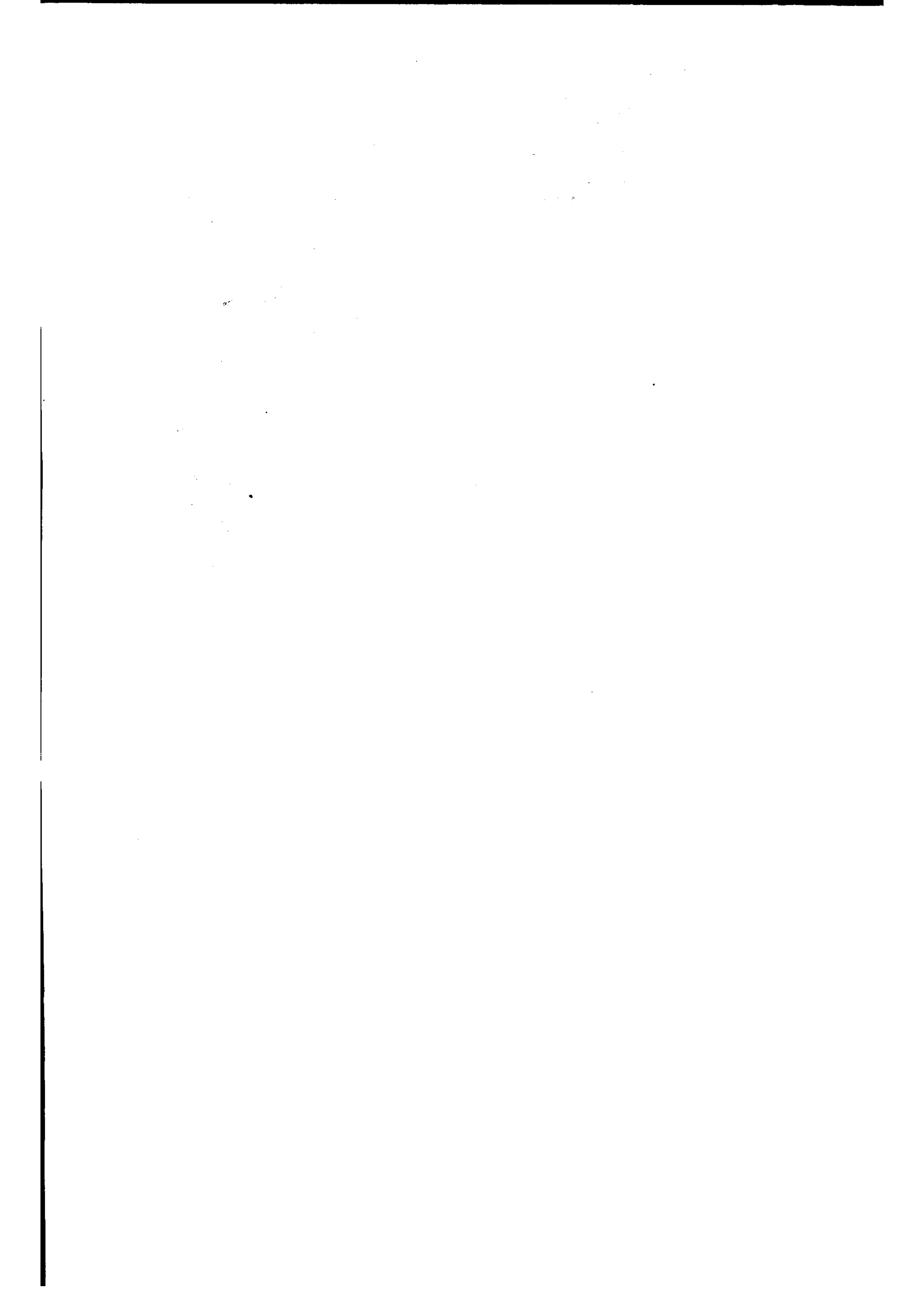
فى كل هذا السياق منذ عام ١٩٦٧ نتوقف عند رؤية العالم ، ورؤية المجتمع الدولى والأمم المتحدة ومجلس الأمن والجمعية العامة ، كيف نظرت إلى إجراءات إسرائيل فى القدس ، لم تر الأمم المتحدة شرعية ولا سندا لإسرائيل فيما أجرته فى القدس . وتوالت القرارات واحدا تلو الآخر يعلن فيها المجتمع الدولى شجبه وإدانته وإنكاره التام لكل ما قامت به إسرائيل بشأن تهويد القدس العربية وتحويلها إلى مدينة يهودية وجعلها عاصمة لدولة إسرائيل كما يقولون . ولعل ما تجدر الإشارة إليه هنا أن الولايات المتحدة الأمريكية قد صوتت على وجه متواصل إلى جانب هذه القرارات تؤيدها ككل الذين يؤيدونها ولم يتخلف عن هذا التأييد دولة واحدة. من هنا تتوفر شرعية لعمل عربى وإسلامى ومسيحى بشأن القدس يتجاوز كل ما فعلته إسرائيل وما قامت به فى هذه المدينة العربية الكريمة وتقدم أرضا صالحة لإنكار كل ما فعلته إسرائيل واعتبار كأن شيئا لم يكن وإهدار كل ما تدعيه إسرائيل من حجية تقيمها على هذا الأساس الذى لم يكن له سند من قانون ولا شرع.

إن إجراءات إسرائيل فى القدس تقتضى تحويلها إلى هوية مختلفة بكل ما تقيمه من منشآت جديدة وبكل ما تهدمه من بيوت عربية وكل ما تطلقه من أسماء يهودية وعبارات لها دلالاتها فى نظر اليهود ، كل هذا لن يغير من التاريخ شيئا ولا من القانون شيئا وتبقى قضية القدس على أمر نجمع عليه جميعا ويجمع عليه العالم كله ، أن إجراءات إسرائيل فى القدس كأنها شيء لم يكن .

إن المدخل إذن إلى معالجة قضية القدس هو مدخل الأرض ومدخل الشرعية والسيادة والحق لصاحب الحق عليها كجزء من أرض فلسطين العربية ، ولشعب هو شعب فلسطين صاحب الحق عليها لتعود القدس إلى يد شعب فلسطين عاصمة لدولته وإلى يد كل عربى وتعيش عندئذ فى أمن وفى سلام .

إن مدخل الحديث عن القدس من حيث أنها مدينة الرسالات ومهد الأديان حديث لا غبار عليه لكنه قد يجرفنا بعيدا عن المدخل الأصيل لهذه المعالجة وهو مدخل الأرض والسيادة والشرعية والقانون ، إذا تحقق من هذا المدخل عودة القدس إلى أصحابها الشرعيين سوف يتحقق معها عودة المقدسات لكل مسلم ولكل مسيحى بل ولكل يهودى أيضا فيما له من آثار ومقدسات فيها .

إن قضية القدس على الوجه الذى أشرت إليه كقلب للقضية الفلسطينية ومدخل لابد من معالجته على أساس السيادة والشرعية تبقى مفتاح السلام ومفتاح القضية الفلسطينية ولا أظن أن سلاما يمكن تحقيقه فى الشرق الأوسط بغير أن يكون للفلسطينيين السلام والأمن والقرار فى دولة حرة ومستقلة وفى حياة كريمة ككل شعوب المنطقة وأن تكون القدس جوهرة الفلسطينيين والعرب والمسلمين ، هى درة هذه الدولة وفى القلب و العقل منا . إن هذا السلام الذى ننشده فى الشرق الأوسط لن يطمس السعى إليه حرصنا الذى لا يهن ولا يتبدل فى الدفاع عن القدس والاستمساك بها حتى تعود إلى حوزة أصحابها الشرعيين مدينة لها مكانتها فى قلب كل عربى وكل مسلم وكل مسيحى وفى قلب كل مصرى ، وسيبقى نضالنا فى سبيل كل ما هو مشروع وكل ما هو حق حتى تعود القدس إلى أصحابها فى القريب إن شاء الله , وشكرا لكم جميعا .



كلمة السيد الأستاذ الدكتور محمد رجائى الطحلاوى

محافظ أسيوط

أحمد الله سبحانه وتعالى ، وأصلى وأسلم على نبيه الأمين ، كما أصلى وأسلم على كافة رسل الله وأنبيائه أجمعين

الأخ الفاضل المناضل الكبير فيصل الحسينى

الزميل العزيز الأستاذ الدكتور محمد رأفت محمود رئيس الجامعة

الأستاذ الفاضل الزميل مفيد شهاب رئيس جامعة القاهرة

الأخوة ممثلو الوفود العربية

السادة الحضور ، سيداتى وسادتى

السلام عليكم ورحمة اله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

" سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير " صدق الله العظيم

يسرنى أن أرحب بكم فوق ثرى أسيوط العريقة ، عاصمة الصعيد ، ودرة جنوب الوادى فى قلعة من قلاع العلم ومركز من مراكز التطوير والتنوير فى هذه المنطقة الإستراتيجية من أرض مصر الطيبة .

يسرنى أن التقى بكم فى هذا المؤتمر العلمى الهادف حول "القدس : التاريخ والمستقبل" ، إيمانا منا بأهمية القضية ودورها الفاعل والمؤثر فى تحقيق السلام فى المنطقة العربية.

حضرات السيدات والسادة الضيوف

لعل لعقد هذا المؤتمر هنا فى جامعة أسيوط دلالة قوية ومقصودة ، تشير أول ما تشير إلى أهمية القضية الفلسطينية فى وجدان الشعب المصرى ، كما تشير إلى أن هذه المنطقة من أرض مصر الطيبة قد انفتحت على عالم الفكر والتنوير ، وتنمى تيار الفكر المتقدم ، وتضيف إلى جهود العلماء ساحة من ساحات البحث والدراسة المتعمقة وبخاصة ونحن اليوم نقف على مشارف القرن الحادى والعشرين.

لقد كانت أسيوط ، ومازالت ، وستظل بإذن الله ، مركزا من مراكز الإشعاع ومصدرا من مصادر المعرفة فى مصرنا الغالية عن طريق أبنائها وبناتها السابقين الفائقين . ويسرنا أن تبدأ أعمال الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل" والتى يعقدها مركز دراسات المستقبل بجامعة أسيوط ، والتى تضم أصحاب الفكر والرأى سياسيا وتربويا وإعلامياً وأكاديمياً ، من خاصة المعنيين بهذه القضية العربية ذات المحاور المتعددة والأبعاد المتنوعة ، والتى تصب كلها فى نبع واحد وهو الحق العربى ، والمحاور التى نعنيها عقائدية وسياسية وتاريخية وتربوية . ولا شك أن البعد العقائدى يفرض نفسه كتأثير روحى وجدانى فى هذه القضية ، إلى جانب الأبعاد الأخرى التى تلتقى مع البعد العقائدى لترسم صورة صادقة واضحة للحق العربى .

ولا شك أن قضية السلام فى الشرق الأوسط هى التى فرضت نفسها وتفرض نفسها فوق كل قضية عالمية مهما كان حجمها وتأثيرها .. وذلك من خلال منابر ومؤسسات فى العالم كله .. ومن خلال أروقة متعددة شهدت وتشهد الكثير من اللقاءات بقصد الوصول إلى خاتمة لهذه المأساة بخيوطها المتشابكة المعقدة التى استمرت سنين طويلة .. وشهدت منعطفات ومنحدرات كثيرة كما تنزلق إليها وفيها فتهدأ أحياناً وتقف تارةً وتتجمد وتتحجر تارة وتارة.

وقضية القدس محور من محاور القضية الفلسطينية .. والنظرة إليها نظرة إلى الحياة والمستقبل .. نظرة إلى الحق الذى لا يقبل المساومة أو المماطلة والتسويف .. فالحق العربى واضح .. والحقيقة فارضة نفسها بسطوعها ومنطقيتها ومتانة نسجها الذى صنعه التاريخ .. والقدس هى المدينة المقدسة .. التى تتوجه إليها ملايين القلوب والنفوس .. وقضيتها عقائدية تاريخية سياسية قومية ، عقائدية حيث تشع من بين رحابها السمية

المكان عبر رحلة الزمان .. حيثُ المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين .. حيث مسجد الصخرة .. حيث ذكريات الإسراء .. وذكريات التاريخ أيام تألقه .. أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يتسلم مفاتيحها .. ولها أهميتها حيث تهفو إليها نفوس الأخوة المسيحيين متطلعين إلى طهارة أماكنها يستشفون معانيها ويرتشفون إيحاءاتها حيث كنوزها الدينية التى لا مثيل لها .. كنيسة القيامة .. وطريق السيد المسيح عليه السلام .. فهى مدينة القلوب والأرواح والضمائر والتى شهدت علامات بارزة فى مسار تاريخ الأديان .

وتاريخها يأتى من عروبتها .. تاريخُ أثبته سجل التاريخ .. الذى لا يعرف الشكوك والظنون ولا يقبل التفسير والتأويل والتلاعب بالحقوق ، وسياستها تنبع من أنها قضية مصير وحقيقة مؤكدة لا تقبل الجدل والمراوغة ، وقوميتها تأتى من أنها تتصل بحياة العرب المسلمين والمسيحيين فى إطار وحدة روحية شاملة .. حيث يجدون فيها رمز الوحدة والتسامح .. فالقدس إحدى رموز العروبة التى تسطرُ الحب من شفافيات الروح والوجدان . وعلى الرغم من الثوابت التاريخية والحقائق السياسية .. فإن إسرائيل تعمل متجاهلة نداءات العالم وأنصار السلام على تشويه الحقائق بتغيير الواقع .. وهى تحسب أن تغيير الواقع العمرانى الشكلى على سطحها .. وفى جوفها بحفرها الأنفاق .. يغير الحقيقة والجوهر والمضمون . وقبل ذلك وعلى المستوى السياسى تعلن عن أبدية القدس عاصمة لإسرائيل . وكأن الحقيقة تتوارى أمام الإعلان والتزييف ، إلى جانب الاحتفالات المتعددة التى ترمى من خلالها إلى طمس الحق العربى وإثبات شرعية مزيفة ، ومن أمثلتها الاحتفال الذى أقيم مؤخراً بإطفاء الشموع بمناسبة مرور ثلاثة آلاف عام على إنشاء القدس .. وكذلك تلك المحاولات اليائسة التى تقوم بها العناصر المتطرفة لإيهام العالم وخداعه .

السيدات والسادة

لقد كانت الانتفاضة الأخيرة احتجاجاً على فتح النفق أسفل المسجد الأقصى بمثابة هزة عنيفة اتجهت إليها أنظار العالم .. وفرضت نفسها على جداول أعمال العالم كله سواء فى مجلس الأمن أو مجموعة الدول الأوروبية أو قمة واشنطن .. انتفاضة عارمة ..

هى الانطلاقة فى كل الميادين السياسية والصحفية والتربوية والأكاديمية .. انتفاضة تُجلى الحق وتكشف الزيف .. الحق الذى يثبت عروبة القدس منذ أن استوطنتها قبائل عربية تنتمى إلى الكنعانيين منذ حوالى خمسة آلاف عام .

ومن هنا جاءت هذه الندوة الدولية الأكاديمية التى تستعرض من خلالها الأبحاث والأفكار والآراء التى تتناول الجوانب القانونية والسياسية والتاريخية لقضية القدس .. هذه القضية التى تحتاج إلى المزيد من اللقاءات النشطة التى تليق بمكانتها فى قلب كل عربى .. فإنكار الحق وتزييفه لن يقابل إلا بالمزيد من الانتفاضات .. ولن يكون هناك إلا موقف عربى واحد .. موقف إعادة الحق ليكون بداية طريق السلام .. أما التزييف ومحاولاته فهو عودة إلى الماضى القريب .. ماضى الحروب بدمارها وخرابها ومرارتها وقسوتها وعصفها وتشريدها .. فالحق مبدأ وقيمة ومعنى .. منطق والتزام ووطنية وقومية وإنسانية .

الأخوة والأخوات

إن هذا العمل الأكاديمى الجاد السياسى الإعلامى فتح للمزيد من الدراسات المتأنية الجادة التى توضح الحق على الرغم من وضوحه .. توضحه للمزيفين المضللين .. فالحجة الواهية لا تثبت أمام الحجة الدامغة .. والسراب لا يقف أمام الرؤية .. والباطل لا يقوى أمام الحق .. وإن لنا فى تاريخنا وسجلاته وجغرافيتنا وأدلتها ما يؤكد حقنا فى قدسنا الذى لا يملك الغير إلا أن يسلم به .. ومن خلال هذا اللقاء الطيب .. ومن فوق أسيوط .. أسيوط الصعيد التى تتجاوب مع الأحداث بإيجابية الأصالة .. ومن خلال ندوتكم الموقرة التى يؤمها لفيف من صفوة المفكرين .. ويحضرها العديد ممن تشغلهم قضايا الوطن والأمة .. أتمنى وأدعو أن تتجدد اللقاءات فى هذه المجالات .. كما أرجو لندوتنا هذه من خلال أبحاثها وحقائقها وتفكير روادها التأثير البناء فى دحض الحجج الواهية .. وفرض الحقائق التى تكون منطلقاً نحو إعادة الحق العربى الشامل وإعادة القدس العربية لتكون دائماً زهرة المدائن .. لنلتقى بين رحابها وفى نورها حيث لا تصادر الشعائر .. فى ظل هذا الوعى العربى النابض وانتفاضاته القوية الرشيدة .. فى ظل حق نحن أصحابه .. وخير نحن صانعوه .

وأخيراً أختم كلمتى بقوله تعالى أوجهها لكل مزيف ومضلل : " وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون " صدق الله العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

كلمة السيد الأستاذ الدكتور محمد رأفت محمود

رئيس الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

معالى السيد فيصل الحسينى عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ومسئول ملف القدس

سعادة السفير محمد صبيح سفير دولة فلسطين ومندوبها الدائم لدى جامعة الدول العربية

معالى الأستاذ كامل الشريف أمين عام المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

السيد الأستاذ الدكتور محمد رجائى الطحلاوى محافظ أسيوط

سعادة السفير بدر همام مساعد وزير الخارجية للشئون العربية وممثل السيد عمرو موسى وزير الخارجية

السيد المستشار طلعت حامد ممثل الأمين العام لجامعة الدول العربية

لقد كنت حريصا ونحن نعد لهذه الندوة العلمية والقومية الهامة أن تكون على مستوى القضية ... وأن تكون تعبيراً عن القيمة السامية التى تحتلها القدس فى ضمير كل مواطن عربي .. لقد أردناها مناسبة لا نكتفى فيها بالشعارات التى أضرت القضية أكثر مما نفعتها .. ولا بالبيانات الحماسية ، وإنما أردناها مناسبة نرد فيها على المزاعم التى صاغت من الأساطير واقعاً حاولت أن تفرضه على أصحاب الحق ... وشوهت التاريخ وأعادت كتابته لخدمة أغراض سياسية لم يتورع أصحابها عن استخدام القوة لفرض أساطيرهم وتصوراتهم على الغير .

لقد كان هدفنا ونحن نخطط لهذه الندوة قبل أربعة شهور أن نرد على المزاعم الإسرائيلية التى راحت بالباطل تحاول أن تكرس أمراً واقعاً خلقته بالقوة وتريد تثبيته فى أذهان الكثيرين ... إن القول بأن الملك داود اتخذ من القدس عاصمة له ... هو الوجه التاريخى الآخر لادعاءات اليمين الاسرائيلى الحاكم فى الوقت الراهن بأن القدس هى العاصمة الأبدية الموحدة لدولة إسرائيل ... لقد كان هذا هو الهدف الذى خططنا من أجله لهذه الندوة ... لكن رياح الأحداث السريعة دفعت بنا فى اتجاه توسيع هذا الهدف وتحويل

هذه المناسبة الجليلة إلى وقفة نتوجه فيها إلى العالم أجمع قبل أن نتوجه بها إلى أمتنا وإلى القوى المحبة للسلام ... الداعية إلى العدل برسالة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ... تتمثل فيما يلى :

أولا : أن السلام العادل والشامل لا يتحقق بغير الاعتراف بالحقوق التاريخية الثابتة للعرب فى القدس واحترام مقدساتهم الدينية وتراثهم الروحى فى المدينة المقدسة ، وهو اعتراف لا ينفى حقوق أبناء الديانات جميعهم فى أماكنهم المقدسة .

ثانياً : التذكير بقرارات الشرعية الدولية الصادرة من الأمم المتحدة والتى تعترف بالقدس مدينة محتلة منذ عام ١٩٦٧ يسرى عليها ما يسرى على كل الأراضى المحتلة من حقوق وفى مقدمتها الحفاظ على هوية المدينة وطابعها العربى ووقف سياسات التهويد والمصادرة .

ثالثا: لقد أردنا أيضا أن ندق ناقوساً ينبه الغافلين والسادرين فى غيهم ، الذين يحاولون استفزاز المشاعر العربية تارة بانتهاك المقدسات الدينية وتارة بالمصادرة وتارة بهدم المنازل العربية وإخلاء أحياء بكاملها من سكان العرب . وقد آن الأوان أن يدرك هؤلاء اللاعبون بالنار إنما يؤججون بسلوكهم المستفز شرارة الإرهاب والتطرف التى لن تتوقف قبل أن تأتى على الأخضر واليابس .

أيها الأخوة الأعزاء

إن هذه المعانى جميعها لم يكن بمقدورنا أن نعبر عنها أو نجسدها بغير أن نضمن لهذه الندوة مشاركة فعالة من بعض الرجال الرموز الذين يجسدون فى ذواتهم كل القيم الوطنية الرفيعة التى ارتبطت بالقدس مسيراً ومصيراً ... وكان طبيعياً أن نتوجه بندائنا الأول إلى القدس ... وأن ندعو ابنها المجاهد ... وحامل أمانتها ... وراعى شئونها وشجونها ... معالى السيد فيصل الحسينى عضو منظمة التحرير الفلسطينية ومسئول ملف القدس ... هذا الرجل – الرمز الذى ارتبط اسمه وتاريخه وجهاده بالقدس منذ أن بدأت تحاك ضدها مؤامرات التهويد والاغتصاب.

ويتجلى هذا التمثيل الرمزى أيضا فى رجل من قيادات الحركة الوطنية الفلسطينية ومجاهد من مجاهديها نعتز بوجوده بيننا على رأس المشاركين فى هذه الندوة .. سعادة السفير محمد صبيح وهو واحد من القيادات الفلسطينية البارزة الذى ارتبط اسمه وجهاده أيضا بالقضية الفلسطينية في مراحل مهمة من تاريخها ثم صار سفيراً دائما لدولة فلسطين لدى جامعة الدول العربية .

إن هذا التمثيل الرمزى الذى عبر عنه الرجال - الرموز أمثال الحسينى وصبيح إنما تعبر عنه حضوراً ومشاركة أيضا المؤسسات - الرموز .. ولعل هذه المناسبة فرصة نتوجه فيها بالتقدير إلى أولى هذه المؤسسات الرموز .. إلى وزارة الخارجية المصرية التى تخوض معركة السلام بكفاءة دبلوماسييها واقتدارهم وغيرتهم على المصالح القومية العربية ... ولقد حرصت الخارجية المصرية على أن يكون تمثيلها على مستوى رفيع بقيادة من خير قياداتها الدبلوماسية ممثلة فى سعادة السفير بدر همام مساعد وزير الخارجية للشئون العربية وممثل السيد عمرو موسى وزير الخارجية فى هذه الندوة.

أما المؤسسة الثانية فهى بيت العرب ... جامعة الدول العربية ... تلك المؤسسة الرمز التى ما زالت تحمل على عاتقها هموم الأمة العربية وتمسك بالخيط الوحيد الذى يجمع دولها وشعوبها ويعبر عن رسالتها الإنسانية والحضارية ... وهذه لحظة جديرة بأن نتوجه فيها بتحية تقدير إلى أمينها العام الدكتور عصمت عبد المجيد الذى يمثله فى هذه الندوة رجل من خيرة العاملين بجامعة الدول العربية ومن أكفأ رجالاتها ... السيد المستشار طلعت حامد ، أمين الاتصالات الصحفية بجامعة الدول العربية .

وربما كان حرياً بنا أن نذكر هؤلاء الذين آزروا جهدنا ولم يترددوا فى تشجيع هذه المبادرة لعقد ندوة دولية حول القدس . لقد كان على رأس هؤلاء جميعاً جهد المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة وأمينه العام معالى الأستاذ كامل الشريف والعاملون معه الذين وجدوا أن هذه الندوة جزءاً من رسالتهم الدينية والإنسانية .

أيها الأخوة الأعزاء ضيوف ندوتنا

إن النداء من أجل القدس الذى توجهنا به من هذا المركز الناهض .. مركز دراسات المستقبل بجامعة أسيوط .. إلى المفكرين والباحثين والكتاب فى أنحاء كثيرة من وطننا العربى .. هذا النداء تجاوب معه باحثون ومفكرون ومواطنون ... جميعهم أرادوا أن يعبروا عما يعتمل فى الضمير القومى من مشاعر فياضة نحو القدس ... وقد وجدت لزاماً على – من هذا الموقع الذى أشرف فيه برئاسة الجامعة ورئاسة الندوة أن أحيى الأشقاء الذين تجشموا مشقة السفر والقدوم إلى هذه البقعة الطيبة من صعيد مصر ... مشاركين فى هذه الندوة .. التى تجاوزت أهدافها العلمية إلى التعبير عن وحدة المشاعر القومية التى جمعت هذه العقول العربية التى جاءت إلى هنا من كل فج عربى عميق . أننى أستأذنكم أن أتوجه إلى هؤلاء جميعاً بتحية مقدراً مساهمتهم الفكرية والعلمية فى هذا الملتقى العربى غير المسبوق .. تحية إلى الباحثين الذين قدموا من دولة فلسطين الشقيقة ... وتحية إلى الأشقاء الذين قدموا من الأردن وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية والجمهورية اليمنية والجماهيرية الليبية .. إننا نعتبر وجودهم فى هذا الملتقى العربى الكبير تحوطهم أفئدة أشقائهم أبناء مصر العربية دليلاً حياً على حيوية أمتنا وتضامنها .

ولتأذنوا لى أيها الأخوة أن أحيى باسمكم جميعاً لسان الأمة وصوتها الناطق بالحق ، أجهزة الإعلام العربى مقروءةً ومسموعةً ومرئيةً وممثليها فى ندوتنا الذين لم يتوانوا فى التبليغ بأهداف الندوة ونقل رسالتها إلى الرأى العام العربى والأجنبى وإلى كل القوى المحبة للسلام والعدل فى عالمنا .

وإننى إذ أعبر عن سعادتى بهذه اللحظة الغالية التى جمعتنا حباً فى القدس ... وأملاً فى سلام عادل يرفرف فوق سمائها فإننا ينبغى أن نتوجه باسمكم جميعاً بالتحية إلى الرئيس القائد محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية الذى نذر حياته وجهده ووقته وإمكانات مصر من أجل سلام عادل ودائم يفتح أمام شعوب المنطقة سبل التنمية والرخاء والتقدم ويحفظ للأمة العربية حقوقها وفى مقدمتها حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس .

واسمحوا لى أيها الأخوة الأعزاء أن أبعث باسمكم جمعياً ببرقيـة تقدير إلـى الرئيـس محمد حسنى مبارك الذى أخذ على عاتقه مسئولية المضى قدماً بمسيرة السلام حتى تحقـق أهدافها النهائية فى توفير حياة آمنة مستقرة لكل شعوب المنطقة .

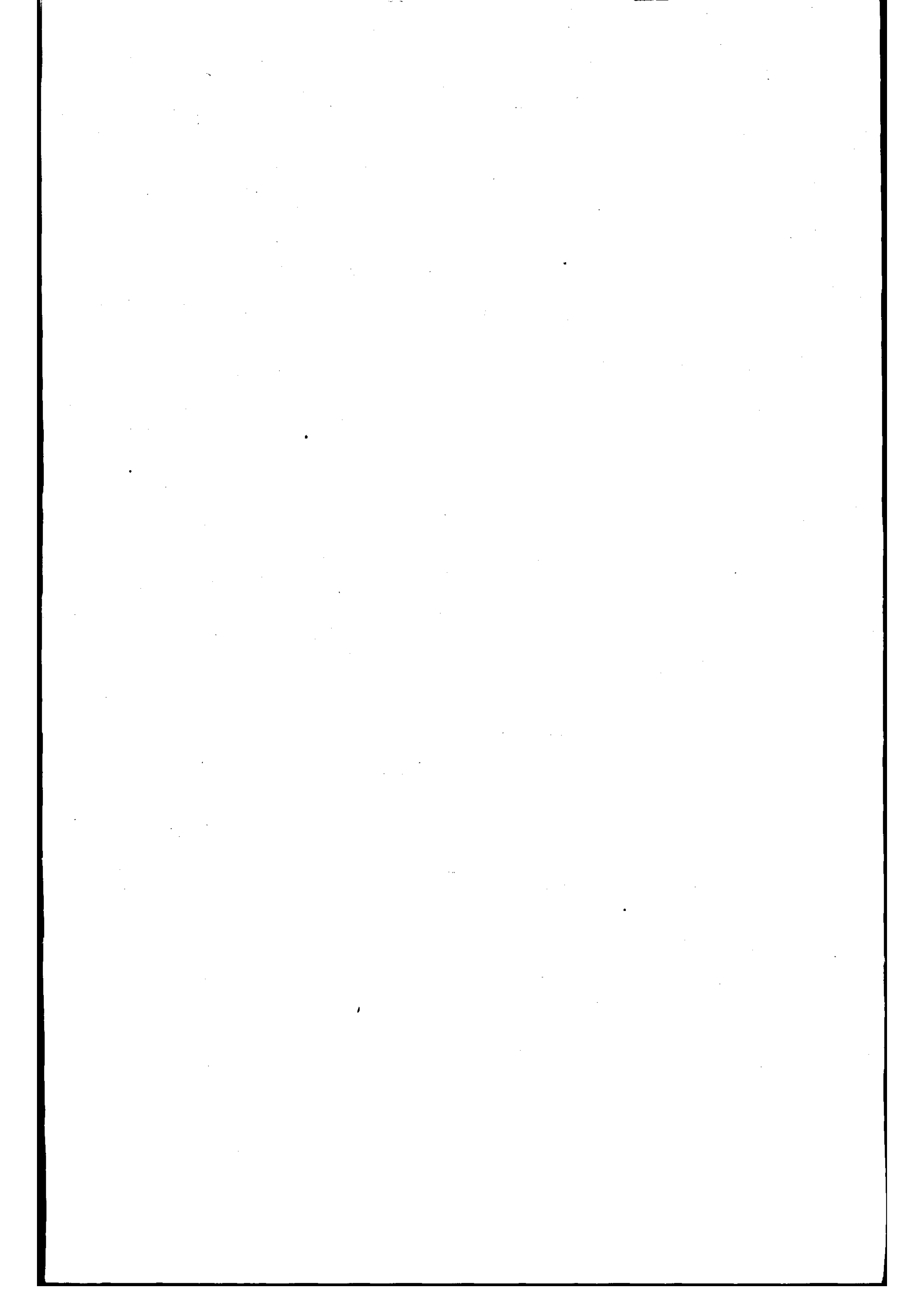
أيها الضيوف الأعزاء .... أيها الأشقاء

أهلا بكم فى رحاب وطنكم الثانى ..

أهلا بكم فى مصر .. أخوةً وأشقاء ..

وتمنياتى بأن تحقق ندوتكم أهدافها والآمال المعقودة عليها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،



كلمة الأستاذ كامل الشريف

أمين عام المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

بسم الله الرحمن الرحيم

معالى محافظ أسيوط الدكتور محمد رجائى الطحلاوى

معالى رئيس جامعة أسيوط الدكتور محمد رأفت محمود

معالى الأستاذ الوزير فيصل الحسينى المكلف بملف القدس فى الحكومة الفلسطينية

أصحاب المعالى والسعادة

أيها الأبناء والأخوة والأخوات

أحييكم تحية طيبة ويسرنى أن أشارك نيابة عن المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة فى هذه الندوة الكريمة . وإنه لمن دواعى الاعتزاز والتفاؤل معا أن تقوم جامعة أسيوط بعقد هذا اللقاء عن قضية القدس الشريف أبرز قضايا الإسلام فى هذا العصر ، والمدينة التى تشكل أخطر التحديات للعرب والمسلمين . وهذا اللقاء فى هذه الجامعة فى قلب صعيد مصر بعد أن عقدنا قبل أسابيع لقاءً مماثلا بالتعاون مع جامعة الأزهر فى القاهرة إنما يشكل أحد المؤشرات المهمة وهى أن مصر العرب مصر الإسلام من أقصاها إلى أقصاها ، قد أكدت من جديد مسئوليتها التاريخية وعزمها على أن تحملها بقوة واقتدار. إن التاريخ يعيد نفسه ، فحين انطلقت قوى الإسلام الموحدة بقيادة صلاح الدين من مصر لم يكن ذلك حدثا مفاجئا أو أمرا معزولا عن المناخ العام فقد سبقته نهضة فكرية وتوعية عقائدية امتدت عشرات السنين واسعة النطاق حملها الخطباء والشعراء والكتاب فى المدارس والمساجد والزوايا وهاهى حملة التوعية والاستعداد تأخذ مجراها القديم بين شباب الجامعات – نور الغد وامل المستقبل . إن قدر مصر أن تكون حامية الشرق الإسلامى وأن تكون الخندق الأخير الذى تأوى إليه وتنطلق منه قوى الإنقاذ ، وقع ذلك أيام الفراعنة والهكسوس والرومان واليونان . وحين فتحت مصر ذراعيها لاحتضان دعوة الإسلام لم يتغير دورها فحمت ديار العرب والإسلام من الصليبيين والهكسوس

والمغول ، وإننى لأرى ملامح الغد تبدو فى الأفق فتأخذ مصر دورها التاريخى مرة أخرى أمام الاستعمار الصهيونى الذى يتخذ من الأرض المقدسة قاعدة للتوسع والانتشار .

إن طبيعة الاستعمار الصهيونى كما هى طبيعة كل استعمار قديم أو حديث ألا يقف عند حد بل يتوسع وينتشر حتى يصطدم بالجدار الصلب والسد المنيع فتنحسر أمواجه فيدخل مرحلة الاحتضار . ولقد كان القائد الفرنسى نابليون بونابرت مصيبا حين قال عن تجربة : " إن كل الإمبراطوريات تموت بالتخمة " ، مشيرا إلى أن طبيعتها أن تتوسع حتى تنفجر من الداخل ، والاستعمار الصهيونى لن يشذ عن هذه القاعدة كما يذكر التراث الصهيونى الذى خلفه هرتزل ووايزمان وبن جوريون بل كما عبرت عنه قبل ذلك صفحات التوراة المحرفة والتلمود منذ أرميا وجيرميا وإشعيا وغيرهم ، وقد نقل المفكر الفرنسى روجيه جارودى فى كتابه عن الأساطير المؤسسة لإسرائيل عن بن جوريون قوله : " ليست القضية أن نحافظ على الأمر الواقع ولكن أن ننشئ دولة مهيئة للتوسع " . فى هذه المرحلة حاولت الصهيونية أن تغطى خطتها التوسعية بقناع من الدبلوماسية الناعمة ، إلا أن طبيعتها العدوانية قد غلبتها فلم تلبث أن ظهرت للعيان وعادت من جديد المعزوفة القديمة عن إسرائيل الكبرى والأرض الموعودة من الفرات إلى نهر مصر الكبير . ولقد انفجر الضمير الصهيونى خلال الانتخابات الأخيرة فوضع على كرسى السلطة المجموعة التى تمثل الفكر الصهيونى الكالح الواضح بعيداً عن غشاء المناورات التى أتقنها أسلافهم من حزب العمل . ويلفت النظر أن العمود الفقرى والدماغ المفكر لهذا النظام هم طبقة رجال الدين الذين يمثلون الحدة والتعصب والالتزام الأعمى ويزعمون أنهم يأخذون مباشرة من الكتب الدينية ووصايا الأنبياء . وقد استوعب الصهاينة دروس التاريخ وفهموها تماماً وأعدوا العدة لإنقاذ مزاعمهم ، فقرروا ضرورة إبعاد مصر عن مجال الصراع حتى يسيحوا فى المسجد دون مقاومة ، لكن يد الله سبحانه وتعالى أقوى من مكرهم وهاهى ذى مصر تمد يدها بالسلام لكى تحمى المنطقة من الحروب والدمار إلا أنها تستوعب عِبَر التاريخ وتعد نفسها للمفاجئات إنها تعطى السلام العادل وتحاول مع أخواتها العربيات ما وسعته المحاولة إعفاء المنطقة من مشاكل الحروب ، لكن مصر فى الوقت نفسه تتحوط للأسوأ وتستعد حتى لا تؤخذ على غرة ولا تنخدع بالدعوة المعسولة للسلام . إن هذه اللقاءات حول القدس وقضيتها فى الجامعات المصرية ساحات العلم

ومراكز الفكر وملتقى الشباب الواعد هى إحدى المؤشرات على اتجاه رياح المستقبل وكأن لسان الحال ينطق بأبلغ مقال إذ يقول إذا كان العالم يريد السلام ، سلام الشرفاء الذى يعطى الحقوق لأصحابها ويجيز المقدسات لأهلها ويضمن الأمن والأمان للناس جميعاً ، فمرحباً بهذا السلام ، أما إذا كان الأمر لا يعدوا المناورات والمراوغات وتركيز العدوان وسحق شعب فلسطين وانتهاك حقوقه فأمامنا قول الله " **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** " صدق الله العظيم .

لقد حاول الصهاينة إبعاد الدول العربية أيضاً عن القضية الفلسطينية ووضعها على كاهل الشعب الفلسطينى وحده بعد أن ظنوا وزعموا أنهم قد روضوه وأضعفوه حتى يقبل أى حل هزيل ، لكن الذى حدث أن شعب فلسطين قد انتفض فى قوة وجسارة وقدم التضحيات على مذبح القضية المقدسة ، وقد ساندته الدول العربية كلها حتى يستطيع أن يسترد حقوقه فى وطنه وأن يسترجع حقوق العرب والمسلمين فى مقدساتهم وفى أوطانهم. إن شعب فلسطين فى وضعه الحاضر الذى يمثل الأسير والسجين لا يستطيع وحده أن يسترد حقوق العرب ولذلك لا محل للقول الذى يشيع فى بعض البلاد العربية أن الدول العربية تقبل ما يقبله فقط شعب فلسطين لكن علينا أن ندعم هذا الشعب حتى يسترد حقوق العرب والمسلمين وكرامتهم فى الأرض المقدسة .

لقد أوضح العرب بما لا يقبل الشك أن معاهدات السلام وخطوات التطبيق وغير ذلك من التحركات ستظل حبرا على ورق ما لم يتحقق سلام عادل يحقق للشعب الفلسطينى تطلعاته المشروعة فى وطنه ويعيد للعرب والإسلام بيت المقدس بمساجدها وكنائسها حتى تؤدى دورها كساحة لقاء بين المؤمنين بالله على اختلاف أديانهم . لقد نسجت الصهيونية السياسية كل أحلامها حول القدس واعتبرتها قطب الدائرة فى مخططها التوسعى إدراكا منها أن القدس تحتل فى الضمير البشرى مكانة خاصة وتنطلق منها شرايين روحية وتاريخية فى كل اتجاه ، وتريد الصهيونية أن تسيطر على مركز الضخ الروحى والإشعاع الفكرى فى العالم لتستغله وترسل من خلاله فكرها الشرير الهدام فى سعيها لتلويث الحضارة الإنسانية والسيطرة على العالم ، وفى سبيل ذلك قامت بتزييف التاريخ ونبش الأرض بحثا عن آثار تؤكد هذه المزاعم ، غير أنها رجعت خاوية الوفاض

ولم تعثر على أثر واحد فى المنطقة التى تزعم أنها كانت مكان الهيكل ، لكنها لم تتراجع عن خطتها فالأمانة والحقيقة العلمية والدليل الصادق ليس له مكان فى قاموس الصهيونية، فاستخدمت الحيل الماكرة والدهاء المراوغ ثم الإرهاب والقوة المسلحة . لقد أجمع المؤرخون بما فيهم المنصفون من اليهود أن القدس مدينة عربية أنشأها اليبوسيون العرب وأنها استطاعت أن تحافظ على شخصيتها حتى زمن الاحتلال العبرى العابر حتى لاح بأنبياء التوراة وهو ايزيكر قال فى مجال التشهير بها : إنك لست عبرية وأبوك كنعانى وأمك حيثية وأنك قد استسلمت للمصريين ، والتوراة نفسها تقول إن داود عليه السلام قد اشترى أرضا من اليبوسيين ليقيم معبده عليها وأن إبراهيم قد اشترى أرضا فى الخليل لتكون مقبرة لزوجته وأن يعقوب اشترى أرضا فى نابلس لكى يضع عليها خيمته كما جاء فى سفر التكوين .

فهذا أسلوب هؤلاء الأنبياء الصالحين الذى لا يغتصبون ولا ينهبون بل يشترون من حر مالهم .. أين هؤلاء من الصهاينة اليوم الذين يحتلون كل هذه المواقع بقوه السلاح ويمرغون أسماء هؤلاء الأنبياء حين يبنون حملاتهم الشريرة على وعود زائفة أعطيت لهم ، بل ينسبون التحيز والقسوة الدموية لله سبحانه وتعالى فيدعون أنه وهب الأرض لهم من دون الناس بل على أشلاء شعب مسالم كالشعب الفلسطينى عاش على هذا الأرض ألوف السنين دون انقطاع . لقد وقع تزوير واسع لهذه النبوءات حتى تبرر ما يصعب تبريره . لقد فهم الأنبياء البررة ما تريد الصهيونية أن تفهمه هو أن الوعد الإلهى وعد للصالحين من عباده وانعكس هذه الإيمان على سلوكهم صلاحا ورحمة وتقوى وليس شهادة تمليك تعطى لفريق من الناس حتى لو كانوا عاصين مارقين . وها هو ذا القرآن الكريم كتاب الله وخاتم رسالات الله يضع الحدود الواضحة للوعد الإلهى " **ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون إن فى هذا لبلاغاً لقوم عابدين** " .

وفى الإشارة للزبور كتاب داود عليه السلام دليل على اكتمال رسالات الله فى القرآن الكريم وأن مبادئ الحق والخير هى نسيج واحد فى رسالات السماء ، فقد جاء فى صدر الإصحاح الرابع والعشرين من الزبور ما يلى " للرب الأرض وملؤها المسكونة وكل الساكنين فيها لأنه على البحار أسسها وعلى الأنهار ثبتها " ، ثم يمضى الزبور فى لغته الرمزية فيقول " من يصعد إلى جبل الرب ومن يكون فى موضع قدسه كالطاهر اليدين

والنقى القلب الذى لم يحمل نفسه من باطل ولا حلف كذبا " ، فأين هذه الأوصاف الملائكية من الصهيونية السياسية التى نمت فى الزيف والكذب وغذيت بالزور والبهتان وعاشت بالسلب والاغتصاب .

أصحاب السعادة .. أيها الاخوة الفضلاء

لا أحتاج أن أتحدث عن مكانة القدس الشريف فى عقيدتنا وتاريخنا ، وحسبها شرفاً أنها القبلة الأولى للمسلمين التى اتجهت إليها قلوب الجماعة المؤمنة وهى تتصل بالخالق جل وعلا لتحدد لأول مرة أسلوب هذا الاتصال فى الشعيرة العظيمة . وحسبها شرفاً أنها المكان الذى التقت فيه الأرض بالسماء ليلة الإسراء والمعراج وأنها تشكل أحد محاور الزيارات الدينية التى أوصى بها نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام وأنها كانت محل اهتمام الخلفاء وسلاطين المسلمين على اختلاف العصور دون أن ننسى الوجود العربى الإسلامى على امتداد ٥٠٠٠ سنة على الأقل دون انقطاع وهو الذى حدد حقوقا ثابتة للشعب الفلسطينى فى السيادة على الأرض والمدينة المقدسة . واليوم إذ تتعرض القدس لامتحان هو أصعب ما مر بها فى تاريخها الطويل ، تحاول إسرائيل أن تعقد القضية على أمل أن هذا التعقيد سيجر العرب لليأس ويصرفهم عن مدينتهم التاريخية وهى لا تدرى فى غمرة أطماعها أن التعقيد سيقود المنطقة للكارثة كما ذكر الرئيس العربى المسلم ابن مصر البار محمد حسنى مبارك فى أكثر من مناسبة .

لقد جئنا هنا لنقول إن أشعة الإيمان وروح الجهاد ومنطق الحق أقوى من المستوطنات التى تقيمها إسرائيل حول القدس للأغراض التوسعية الواضحة ، وأن يعد العرب أنفسهم وشعوبهم لمواجهة هذه الكارثة ، وأن القرآن الكريم يقول " **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم** " ، ويقول " **ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة** " . وشواهد التاريخ الصادقة تحذر وتنذر ، ووعد الله الصادق أن نجمع أمرنا على العمل لنصرة الحق والدفاع عن ديننا وكرامة أمتنا "**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا** ". صدق الله العظيم .

كلمة السفير محمد صبيح

المندوب الدائم لدولة فلسطين لدى جامعة الدول العربية

السيد الأستاذ الدكتور محمد رأفت محمود رئيس جامعة أسيوط

السيد الأستاذ الدكتور محمد رجائى الطحلاوى محافظ أسيوط

السيد الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم منصور رئيس المركز

سعادة السفير بدر همام ممثل معالى وزير الخارجية الأخ عمرو موسى

سعادة المستشار طلعت حامد ممثل معالى الدكتور أحمد عصمت عبد المجيد

سعادة الأخ كامل الشريف أمين عام المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

الأخ فيصل الحسينى حامل ملف القدس وهمومها الكبيرة

أيها الحفل الكريم

يسعدنى أن أتقدم بالشكر لكل من ساهم فى هذه الندوة الدولية الهامة "القدس الشريف التاريخ والمستقبل" ، وخاصة فى هذا الوقت الذى تتعرض فيه أولى القبلتَين ، وثالث الحرمين الشريفين ، لخطر همجى متعصب يتغلف بهوس دينى وتطرف لا يعرف الحدود، لطمس عروبة القدس وإزالة وجهها الإسلامى السمح ، وطمس ما بها من أماكن دينية مسيحية ، حتى تبقى مدينة يهودية أو مدينة اليهود كما قال نيتانياهو .

لقد قال هرتزل فى مؤتمر بازل " لو قدر لى أن أعيش إلى اليوم الذى ندخل فيه القدس فلن نبقى فيها أى أثر دينى غير يهودى " ، وكان هذا قبل خمسين عاما تقريبا .

إذن هى سياسة منظمة ، لتهويد القدس وهدم المسجد الأقصى المبارك .

- لقد وضعت الخطة الأولى لتفجير المساجد الإسلامية فى القدس على أيدى محاربى حرية إسرائيل ليحيى عام ١٩٤٨ . لقد حاول أفراد هذه المنظمة التسلل للقدس وهم يحملون المتفجرات لنسف المسجد الأقصى وفشلوا بسبب يقظة شباب فلسطين .

- كذلك فى السابع من حزيران ١٩٦٧ اقتحم الجنرال جور بمركبة مجنزرة الحرم الشريف . كما قام الحاخام شلومو غوردن حاخام الجيش الأكبر وخمسون من أتباعه ، بالصلاة فى ساحة الحرم ، وقال إنه أخذ الموافقة من وزير الأديان الاسرائيلى فى حينه ، وأعلن وزير الأديان هذا أمام اجتماع لحاخامات اليهود فى العالم بأن الهدف النهائى هو إقامة الهيكل وتمنى أن يحدث زلزال لهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل .

- صادرت إسرائيل مفاتيح باب المغاربة وطردت أكثر من مائة عائلة فلسطينية ، وصادرت ١١٦ دونما ، وتم إزالة الحى بكامله .

- بدأ الحفر حول المسجد الأقصى وبعمق ١٥ مترا وعلى امتداد ٨٠ مترا .

- فى ٢١ أغسطس ١٩٦٩ اندلع حريق كبير فى الجناح الجنوبى للمسجد أى على المنبر العظيم منبر صلاح الدين ، وجرى اعتقال سائح أسترالى وأطلق سراحه "دينيس مايكل روهان" .

- عام ١٩٧٠ حاول مجموعة من الطلاب اليهود الصلاة فى ساحة الحرم ، كما امتد الحفر أسفل المحكمة الشرعية أحد أقدم المبانى الإسلامية .

- بلغت الحفريات عام ١٩٧٤ قمتها تحت أرضية القسم الجنوبى للمسجد الأقصى بذريعة الكشف عن مدافن ملوك إسرائيل .

- عام ١٩٧٦ أصدرت القاضية الإسرائيلية روث ادر حكما يقضى بحق اليهود فى الصلاة بالمسجد الأقصى.

- فى منتصف عام ١٩٧٦ تم القبض على يوئيل لنرر الاسرائيلى المولود فى بروكلن بتهمة محاولة نسف المسجد الأقصى (حزب مفدال) .

- عام ١٩٧٨ حاول أكثر من ثلاثين عنصرا من جماعة جبل الله إقامة الصلاة فى الحرم، وكذلك فعل أعضاء غوش امونيم أعوام ١٩٧٩ ، ١٩٨٠ ، ١٩٨١ ، مع استمرار الحفر تحت المسجد الأقصى .

- فى ٢١ إبريل عام ١٩٨١ اقترف الجندى الاسرائيلى هارى غودمان المهاجر من أمريكا أيضا المسجد الأقصى وأخذ يطلق الرصاص من سلاحه الآلى مما أدى إلى قتل وجرح أحد عشر شخصا.

- عام ١٩٨٣ دخل أكثر من أربعين يهوديا بعضهم يحمل السلاح ، إلى ساحات المسجد الأقصى وتم إخراجهم بالقوة.

- عام ١٩٨٤ ظهرت عصابة لفتا الإسرائيلية المتطرفة والتى حاولت وضع متفجرات فى المسجد "أبناء يهودا" وتم طردهم.

- عام ١٩٨٥ سمحت محكمة إسرائيلية لأعضاء أمناء جبل الهيكل بإقامة الصلاة بالقرب من باب المغاربة.

- عام ١٩٨٧ حاولت مجموعة من رجال الكنيست دخول المسجد بقيادة شيلا نسكى وتم طردهم ، كما تصدى شباب فلسطين فى هذا العام أيضا لمحاولة فتح نفق جرى شقه تحت المسجد الأقصى .

- إطلاق الرصاص على قبة الصخرة المشرفة ولا زال الأثر باقيا حتى الآن.

- فى الساعات الأولى من يوم ١٩٩٦/٩/٢٤ وتحت إشراف الجيش الاسرائيلى ورئيس البلدية يهودا ولمرت قامت السلطات الإسرائيلية بفتح النفق الممتد من أسفل الرواق الغربى للحرم والموصل إلى باب الغوانمة ليلا.

- تم اكتشاف متفجرات وصواريخ مضادة للدبابات لدى متطرفين يقطنون حارة الشرف قرب المسجد الأقصى وهناك مخاوف من إطلاقها على قبة الصخرة المشرفة.

وقد صاحب هذا الإجرام الاسرائيلى ، محاولات لتهجير أهل القدس ، ومنعهم من البناء ، وسحب هوياتهم ، وإغلاق القدس فى وجه أهالى غزة والضفة الغربية لتجويعهم ، وفرض الضرائب عليهم ، وهدم بيوتهم ، وترحيلهم من أراضيهم مثل عرب الجهالين ... إلى آخر هذا المسلسل العنصرى.

أيها الاخوة

إذا أردنا الحديث عن حق العرب فى القدس فقد بنيت المدينة قبل الأديان بأكثر من ألفى سنة ، وما اسمها العبرى واسمها الغربى المشتق من اسمها العربى أوروسالم ، والذى بنى المدينة الملك اليبوسى الكنعانى المتعبد ملكى صادق ، وعزز الفتح العمرى وفتح صلاح الدين عروبتها وإسلامها ، وأترك الحديث فى ذلك لرجال التاريخ .

وإذا أردنا الحديث عن الحق القانونى ، فإن الحق العربى فى القدس واضح وضوح الشمس يعززه ميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولى وقرارات الشرعية الدولية ، وأترك الحديث فيه لرجال القانون.

وإذا أردنا الحديث عن الحق الدينى ، فقد أم الرسول العربى جميع الأنبياء فى القدس ومنها عرج إلى السماء ، وهى قبلتنا الأولى ، والعقد المقدس بين كل مسلم وهذه المدينة لا ينفصم .

وما نريد الحديث فيه هو كلام صريح بعيد عن التزويق والمجاملة . لقد قصر العرب والمسلمون فى حق القدس وأهلها ، وتركوهم يواجهون الأهوال وحدهم ، فهذا المسلسل من العدوان المستمر والذى سيستمر ، ليس وليد اليوم ، بل بدأ مع أول يوم من الاحتلال والضم ، واكتفينا بالقرارات الدولية والإدانة والشجب .

إن القدس بحاجة أن نمدها بالأموال لصيانة أكثر من ٢٦٠ أثراً دينياً هاماً ، وحماية أكثر من ٤٠ مؤسسة تكاد أن تتوقف ، ودعم الإسكان والخدمات فى القدس حتى لا يهجرها الشباب مضطراً لتكوين أسر جديدة . فلنحم القدس ونغرس الشباب فيها مثل شجر الزيتون .

إن أحياءً سكنية كاملة لابد أن تقام فى القدس للحفاظ على عروبتها ، مقابل أحياء اشكول وراموت وغيرها. إن ثمن طائرة واحدة حديثة قد يكفى سنويا لحماية عروبة القدس ، وما أكثر الطائرات التى لم يستعملها بعض جيوش العرب ، والمجد لحرب أكتوبر ورجالها وقادتها .

إن عملا عربيا جماعيا ، وإسلاميا مسيحيا منظما ، وفى كافة المجالات ، لابد من القيام به لمواجهة التطرف الاسرائيلى .. إن كل جامع وكنيسة ومدرسة ومصنع وسفارة ووزارة مسئول عن عروبة القدس ومقدساتنا .. لتكن القدس فى عقولنا وقلوبنا كل يوم حتى تتحرر من الأسر .

إن دحر كل الغزوات على عالمنا كان على أرض فلسطين بتلاحم الشعبين المصرى والفلسطينى ، وما لقاءات الرئيسين مبارك وعرفات إلا فى هذا الاتجاه .

والشكر لكم ،،،

كلمة الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم منصور
مدير مركز دراسات المستقبل
وأمين عام الندوة

معالى الأستاذ فيصل الحسينى عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

سعادة السفير محمد صبيح سفير دولة فلسطين ومندوبها الدائم لدى جامعة الدول العربية

معالى الأستاذ كامل الشريف أمين عام المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

السفير بدر همام مساعد وزير الخارجية للشئون العربية وممثل السيد عمرو موسى وزير الخارجية

السيد المستشار طلعت حامد ممثل الدكتور عصمت عبد المجيد أمين عام جامعة الدول العربية

السيد الأستاذ الدكتور محمد رجائى الطحلاوى محافظ أسيوط

السيد الأستاذ الدكتور محمد رأفت محمود رئيس الجامعة

أيها الاخوة والأشقاء ممثلو الوفود العربية فى ندوتنا

يطيب لى أن استهل معكم أعمال الندوة الدولية الهامة "القدس : التاريخ والمستقبل" التى تفتح لها اليوم جامعة أسيوط ومركزها الناهض .. مركز دراسات المستقبل .. ذراعين واسعتين تحتضنان هذا الجمع الذى قُدِّر له أن يأتلف لأول مرة على أرض هذه المدينة العريقة عراقة القدس .. هذا الجمع الذى وَحَّدَهُ نداءٌ صادرٌ من جامعة الدول العربية يدعو لحملة قومية من أجل القدس ، تدفع عنها المزاعم الباطلة لتزييف التاريخ ، وتوظيف أساطيره الدينية لخدمة الأهداف السياسية للدولة الصهيونية.

لقد تلقفنا نداء القدس ، وتوجهنا به - من موقع المسئولية العلمية - إلى كل قلم عربى قادر على مخاطبة الضمير والوجدان ومخاطبة المنطق والعقل .. وقد كان تجاوبا رائعا عبر عنه هذا العدد الكبير من قادة الرأى والفكر الذين تركوا شواغلهم من خلفهم وشدوا الرحال إلى أسيوط .. هذه المدينة التى تقدر أكثر من غيرها من مدن مصر وحواضرها المعنى الحقيقى الكامن وراء انعقاد هذه الندوة .. وتشارك القدس قلقها على المصير التى يمكن أن تؤول إليه منطقتنا إذا ما انطلق مارد الإرهاب من قمقمه بعد أن

هيأت له السياسات الإسرائيلية المستفزة مناخا يعربد فيه ويضرب بغير انتقاء دعاة السلام وأعداء السلام على حد سواء.

إن أسيوط التى اكتوت قبل سنوات قليلة بجحيم الإرهاب ، تدرك الخطر الذى يمكن أن يلحقه الإرهاب بالمنطقة كلها إذا مضت إسرائيل فى انتهاك معاهدات السلام ونقضت وعودها وأدارت ظهرها لكل اتفاق ملزم وقعت عليه وتأخرت فى العودة إلى مائدة المفاوضات على نفس الأسس التى قبلت بها حكومتها السابقة.

أيها الاخوة والأخوات

إن ندوةً يعقدها مركزٌ علمى وطد العزم على الاهتمام بقضايا المستقبل ، وكرس خبرته لاستشراف الآفاق المجهولة فيه ، كان جديرا به ألا يكتفى بالوقوف على ذكريات التاريخ ، والبكاء على أطلاله وتحويل المناسبة إلى بكائية قومية تُلطم فيها الخدود وتُشق الجيوب، لكننا قررنا أن تكون المناسبة دعوةً للعقل يستشرف بها الآفاق المضيئة والمظلمة من المستقبل ونتعلم منها كيف نتعامل مع الخيارات الصعبة التى لم تترك لنا توازنات القوى فى عالمنا الجديد خيارات غيرها .

إن ندوتنا أيها الأصدقاء الأعزاء مطالبةٌ بالوصول إلى هدفٍ جليل ، أو إن شئنا الدقة مطالبة بالاقتراب من الآفاق المفتوحة أمام حلٍ تاريخى تتراضى حوله الأطراف المتعارضة دون لجوء إلى ممارسات التشويه الحضارى والتطهير العرقى والتهجير القسرى الذى يمارس ضد العرب فى القدس العربية . وأعتقد جازما أن استجابتكم لهذا الهدف وهذا النداء كانت إيجابية ومشجعة ، وكفانا تعبيرا عنها هذه المساهمات المبدعة من أوراق العمل التى تدفقت علينا لا تكشف فقط عن عواطف قومية أو دينية مشبوبة تجاه القدس ، وإنما تكشف أيضا عن رؤية واقعية لطبيعة الصراع العربى الاسرائيلى الطويل والمعقد.

أيها الاخوة الأعزاء

إننى باسم مركز دراسات المستقبل أقدر غاليا هذا التمثيل الراقى الذى ينطوى عليه قدوم هذا العدد الكبير من أبناء القدس يتقدمهم ابنها المجاهد الكبير السيد فيصل الحسينى

حامل همومها وراعى شئونها والمكلف بملف قضيتها ، ونرى فى حضوره تتويجا لندوتنا. كما أقدر غاليا مساهمات الأشقاء من فلسطين والأردن وسورية واليمن والجماهيرية الليبية والمملكة العربية السعودية فضلا عن ممثلى الجامعات ومراكز البحوث فى مصر كلها .

والمركز وهو يفاخر بعقد ندوته الدولية حول القدس ليحيى أيضا ابن فلسطين المجاهد وسفيرها لدى جامعة الدول العربية السيد محمد صبيح ، كما يحيى أولئك الذين ساندوا ندوتنا وبذلوا عن سخاء من أجل أن ينعقد جمعها وتتهيأ لها ضمانات النجاح والازدهار ، وفى مقدمة هؤلاء معالى الأستاذ كامل الشريف الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، ومعالى السفير بدر همام مساعد وزير الخارجية للشئون العربية ، والمستشار طلعت حامد ممثل الأمين العام لجامعة الدول العربية ، والأستاذ الدكتور محمد رجائى الطحلاوى محافظ أسيوط ، والأستاذ الدكتور محمد رأفت محمود رئيس الجامعة وجذوة الوطنية والولاء التى تتألق فى سمائها .

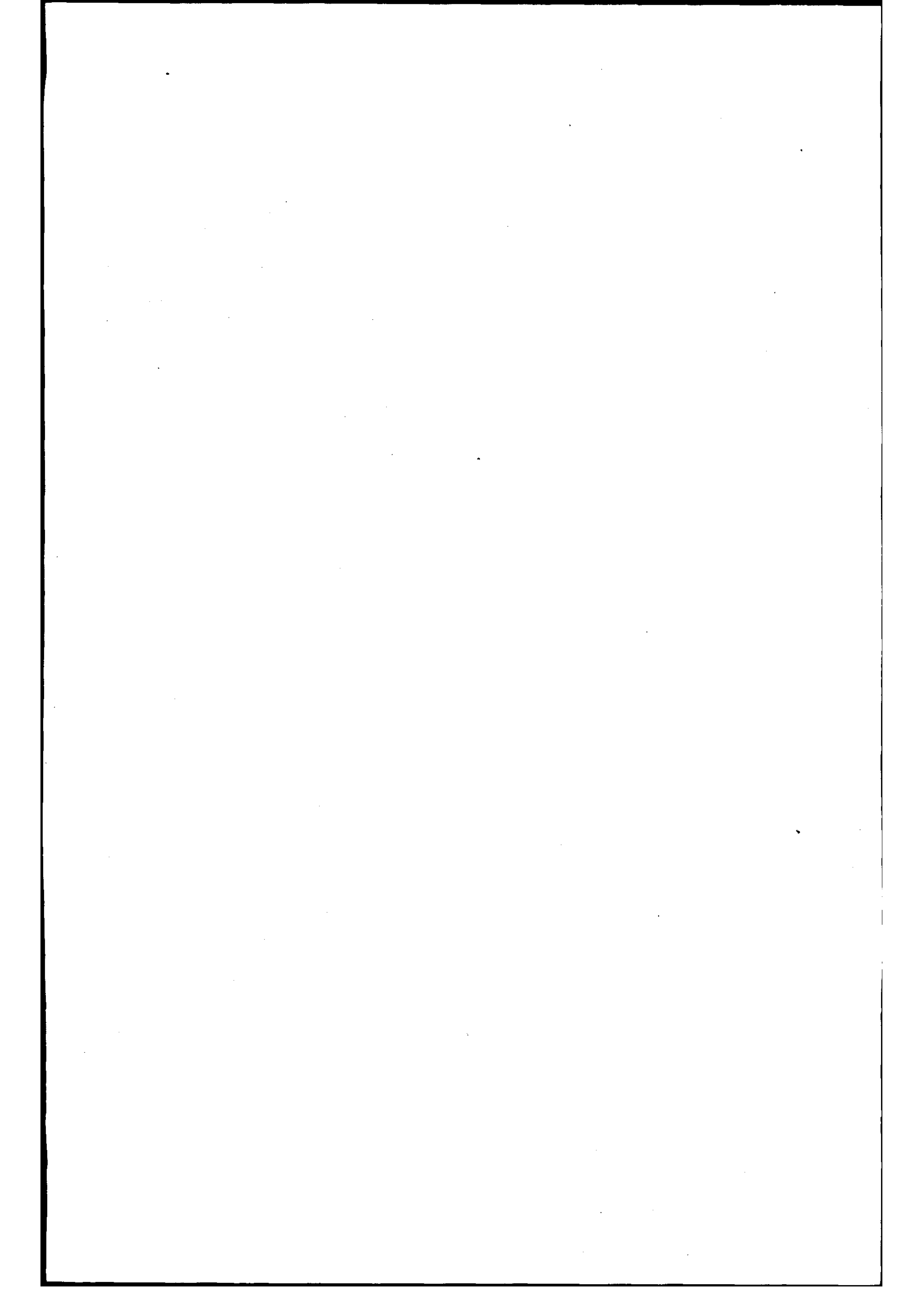
ولست أخفى عليكم أيها الأخوة الأعزاء أن كثيرين من أعضاء الوفود العربية المشاركة قد وضعوا فى عنقى أمانة أجد فى هذا المنبر المكان المناسب الذى أرفعها منه إلى صاحبها وهو تقديرهم وتقديرنا للسياسة القومية الحازمة وغير المترددة للرئيس القائد محمد حسنى مبارك التى أرضت كبرياء الجماهير العربية وحفظت عليها كرامتها وخطت مبدأ سديداً لسياستنا الخارجية ، وهو أن مصر لن تقبل بغير ما يقبله العرب .. هذه السياسة التى مازالت تمضى واثقة تقطع الطريق على محاولات ضرب السلام وإجهاضه.

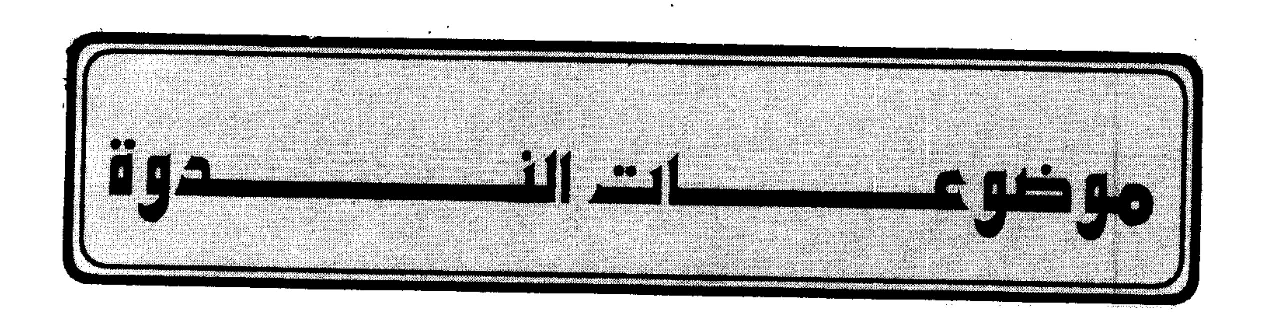
أيها الاخوة الأعزاء

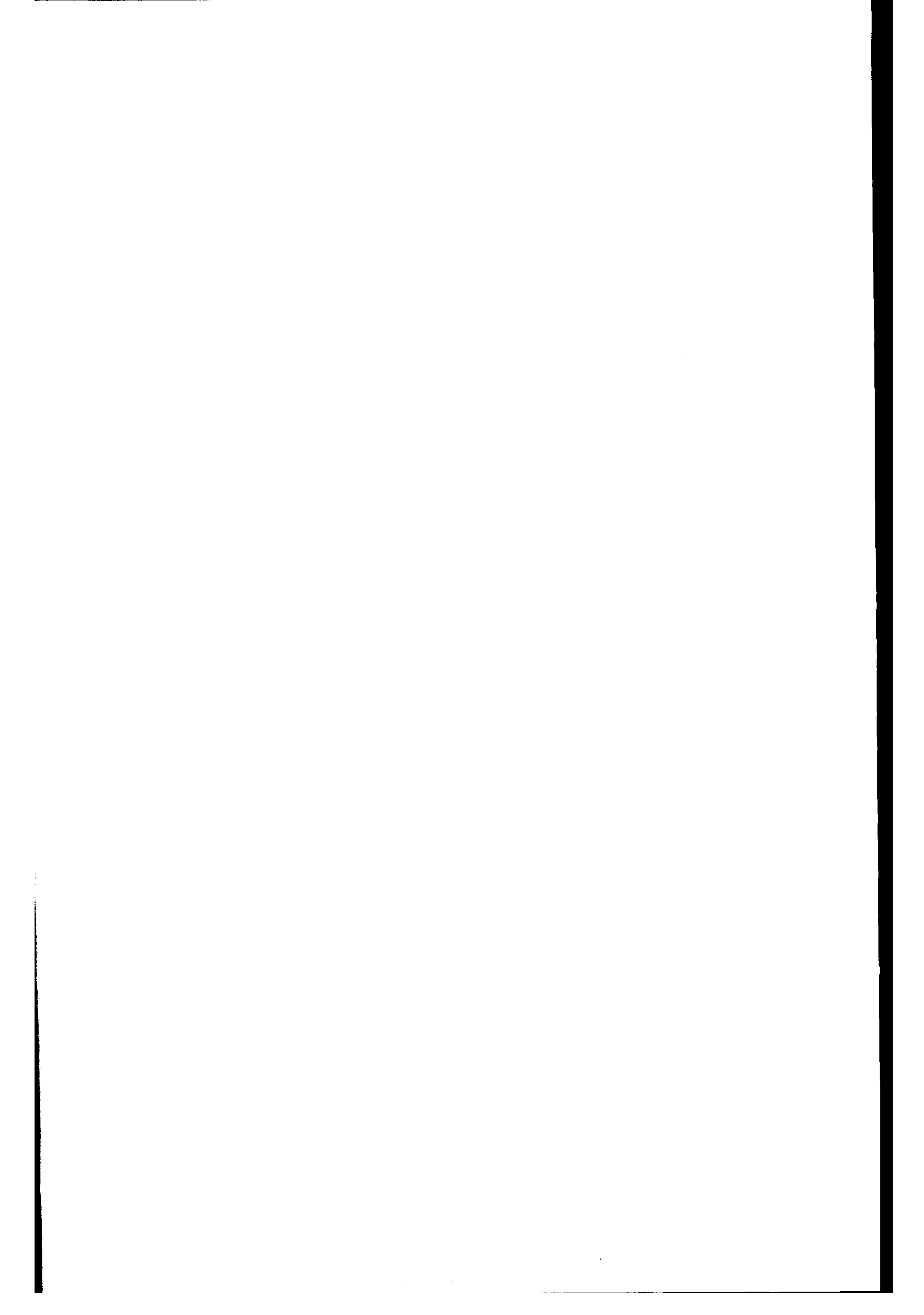
سلامٌ على القدس ..

وسلامٌ على أمتنا العربية ..

وسلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،




موضوعـــــات النــــدوة



علينا أن نكون هناك
محاضرة تذكارية

لمعالى الأستاذ فيصل الحسينى

عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ومسئول ملف القدس

الأخوة الحضور .. الأخوة الضيوف الأفاضل

فى هذا اليوم وأنا قادم إليكم من القدس ... من كتب عليها أن تكون فى جهاد إلى يوم الدين .

فى بداية حديثى إليكم أقف هنا وأحيّ كل هؤلاء الشهداء الذين ارتبطوا دفاعاً عن فلسطين والقدس والدعوة الإسلامية شهداء الأمة العربية وشهداء مصر التى قدمت الحصن الأكبر للدفاع عن فلسطين و شهداء هذه المدينة أسيوط. وأذكر أيضاً شهداءنا الفلسطينيين الذين ضحوا بأرواحهم فى محاولاتهم لمواجهة الاحتلال الإسرائيلى . أذكر هنا شاباً فلسطينياً كان صديقاً ورفيقاً فى نضال الصبا وكان فى نفس الوقت طالباً فى جامعة أسيوط وهوالشهيد أحمد عبد السلام حبشى.

أيها الأخوة ..

عندما نتحدث عن القدس ونتحدث عن قضية كالقضية الفلسطينية تمس أعمق جذورنا وأشد الحساسيات فى تاريخنا ، لا يسعنا ونحن نتحدث عن هذا الموضوع إلا أن نبدأ بمقدمة قصيرة أرجو أن تسمحوا لى بها لكى نحدد ومنذ البداية الطريقة التى نفكر بها .. فى حالات مثل الحالات التى تواجهها الأمة العربية اليوم وعندما نقترب من اتخاذ قرارات

حاسمة فى مرحلة سياسية صعبة وكما تفعل كل شعوب هذا العالم وكل أممه كيف نحافظ على وجدان الأمة سليماً حتى لا تتقسم هذه الأمة . فى مثل هذه الظروف الصعبة تفرق الأمم ما بين استراتيجيتين : الاستراتيجيات العليا والاستراتيجيات السياسية ، الاستراتيجيات العليا هى تلك الاستراتيجيات الثابتة التى تعتمد على الثوابت ، أما الاستراتيجيات السياسية فهى تلك الاستراتيجيات المتغيرة التى تعتمد على المتغيرات. و الاستراتيجيات العليا يحكمها الموقع الجغرافى وهو غير متغير ، يحكمها التاريخ ولا أحد يستطيع أن يغيره ، تحكمها العقائد ، تحكمها التقاليد وذاكرة الإنسان وتاريخه فى هذه المنطقة وكلها ثوابت لا تتغير. أما الإستراتيجيات السياسية فيحكمها توازنات القوى ، يحكمها النظام الدولى القائم ، تحكمها الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لأى أمة من الأمم وما يحيط بها وهى كلها متغيرات ولهذا السبب فهى استراتيجيات متغيرة.

فى هذا العصر الذى نمر به ، فى هذا القرن ، شهدنا لحظتين حاسمتين ونعيش الآن اللحظة الثالثة. بعد الحرب العالمية الأولى وبعد أن سقط النظام القديم نتيجة هذه الحرب ونشأ نظام عصبة الأمم اجتمعت قوى العالم لتضع خارطة جديدة للعالم ولتضع نسيجاً جديداً لهذا العالم وكنا نحن الفلسطينيين خارج هذا النسيج وكنا ضحية ذاك النظام وذلك النسيج ، وسارت الأمور لتأتى اللحظة التاريخية الثانية بعد الحرب العالمية الثانية ليسقط النظام القديم وتنشأ دول وتختفى إمبراطوريات وتفقد شعوب استقلالها وترغب شعوب أخرى فى الاستقلال ويجلس العالم ليضع نظاماً جديداً ونسيجاً جديداً وخليطاً جديداً . ومرة أخرى كنا نحن الفلسطينيين ضحايا هذه الخارطة وهذا النسيج . الآن ونحن نعايش اللحظة التاريخية الثالثة ما بعد الحرب الباردة بدأ العمل فى رسم خريطة جديدة ونسيج جديد ، وكان علينا نحن الفلسطينيين فى هذه المرحلة ألا نكون خارج هذه الخريطة ، أن نكون ضمن هذا النسيج وأن يكون لنا وجود فى هذا النسيج ، رقعة واضحة ربما بحدود منقوصة . نعم لربما بأقل مما نستحق وأقل مما هو لنا تاريخياً ، نعم .. ولكن علينا أن نكون هناك وأن نكون جزءاً من هذا النظام ليس من أجل الغد أو اليوم وإنما من أجل تلك اللحظة التاريخية القادمة ولست أدرى متى .. متى يسقط هذا النظام ليقوم نظام جديد وتوضع خارطة جديدة وينسج نسيج جديد . علينا أن نكون هناك بكل إمكانياتنا لنضع لأنفسنا دوراً جديداً للمرحلة الجديدة نراقب فى هذه المرحلة التطورات العالمية والقوى

الناشئة ونحدد منذ الآن كيف نستطيع أن نتعامل مع هذه القوى وأن لا نكـون فقط ضحايـا تلك المتغيرات التى ستحدث ، يقول البعض أنـه بعد الحـرب العالمية الثانيـة كـان هنـاك نموذجان للحل ، النموذج الأول كان الحل الأرمينـى. بعد الحـرب العالميـة الثانية حيث خلقت دولة أرمينية ضمـن الاتحـاد السـوفيتى ، دولـة منقوصـة الحقوق منقوصـة السيادة منقوصة الحقوق لكنها دولة. ومع الانهيار بعد انتهاء الحرب الباردة وجدنا أن هناك دولـة أرمينية تدافع عن حقوقها تعدل حدودها وتحاول أن تكون جزءاً من هذا النظام الجديد.

والنموذج الثانى كان هو الحل البوسنى عندما حلت مشكلة البوسنة بإنشاء نظام جديـد، مخلوق جديد ، هـو يوغسـلافيا خلطـت فيـه الأمـور ، لست أدرى إن كـان "كانتونـات" أم تداخلات لكنها أوجدت البوسنيين فى وضع عندما سقط النظام الذى كـان قائمـاً كـان علـى البوسنيين أن يدفعوا ثمناً غالياً لهذا التغيير وعلينا نحن كفلسطينيين أن نعمل ألا نكون مـرة أخرى ضحايا النظام القادم ولست أدرى متى يأتى.

القدس هذه المدينة التى كانت دائماً عاصمـة فلسطين لـم تتغير فـى المسميات مهمـا تغيرت الحدود توسعت حدود فلسطين أم تقلصت ، بالنسبة للشعب الفلسطينى القدس كـانت دائماً هى عاصمتها ، مع أن اليوم تنشأ دولة فلسطينية إلا أن هذا الشعب حـافظ علـى هـذه المدينة كأهم مدينة فى منطقته وكعاصمة له.

مـع بدايـات الانتـداب عـام ١٩١٧ كرسـت مدينـة القـدس ليـس فقـط كمدينـة تاريخيـة اجتماعية دينية اقتصادية وإنما أيضاً عاصمة إدارية لفلسطين والعاصمة الرسمية لفلسـطين واستمر سكان مدينة القدس فى حياتهم وفى عملهم وفى وظائفهم يتعاملون على أن القدس هـى العاصمـة ويعيشـون فـى القـدس ويبنـون إداراتهـا وبنيتهـا التحتية بصفتهـا عاصمـة فلسطين. فى عام ١٩٤٨ وعلـى أثـر هـذه الحـرب التـى خرجنـا فيهـا بتلـك النكبـة ، نكبـة فلسطين ، مع نهاية هذه المعركة حلت بالقدس عدة كوارث . الكارثـة الأولـى أننـا خسـرنا أكثر من نصف مدينة القدس . الكارثة الثانية أننا خسرنا معظم قرى القـدس ، كـل القـرى التى كانت حول القدس ـ والتى كانت تشكل حقل الحياة للقدس ـ أيضاً فقدناها واحتُلت من قبل إسرائيل ، ثم كانت الكارثة الثالثة للقدس وهى أن القدس ونتيجة ضـم الضفـة الغربيـة للأردن فقدت مكانتهـا كعاصمـة وبالتـالى فقدت هـذه المكانـة الهامـة التـى كـانت لهـا فـى

السابق. هذا الأمر ومع فقدان كل هـذه الأشياء بدأ الفلسطينيون المقدسيون يبحثون عن وسائل الحياة ، بدأ البناء مرة أخرى فى القدس لكن معظم القدرات كانت قد توجهت إلى خارج القدس ، أبناء هذه المدينة وهم أبناء العاصمة الذين تعودوا العمل ضمن الإدارات لهذه العاصمة توجهوا إلى خارج هذه المدينة ليعملوا فى عمان ، وفى دول الخليج ، وفى أماكن أخرى ولكن بتخصص أكثر فى الإدارات الحكومية. ولكن مع ذلك تمكنا على مدى سبعة عشر عاماً من أن نعيد جزءاً من روضة القدس وبهجتها واستطعنا أن نجعل من القدس عاصمة خدمات جيدة ، عاصمة سياحية جيدة ، وبدأت القدس تنتعش مرة أخرى لكنها كانت ولازالت تعيش فى معظم الحالات على ذاك الدخل القادم من أبنائها العاملين بالخارج. وكانت حرب عام ١٩٦٧ لنواجه مرة أخرى بكوارث جديدة.

الكارثة الأولى أن القدس احتلت من قِبَل إسرائيل بكل أماكنها المقدسة وما تبقى من القدس ، الكارثة الثانية أن إسرائيل استطاعت أن تضم القدس إلى إسرائيل بعد أن وسعتها، والكارثة الثالثة أن هذا الاحتلال قد تم فى شهر يوليو ولم يتم فى شهر أغسطس على سبيل المثال. لو أن الاحتلال تم فى شهر أغسطس لكان ضمن شهور الإجازات السنوية ، لكان أبناء القدس العاملون بالخارج موجودين فى داخل هذه المدينة ولوجدت إسرائيل فى مواجهتها وفى داخل مدينة القدس أكثر من مائة ألف مواطن فلسطينى ، لكن مع الاحتلال فى شهر يوليو وأبناؤنا وطلابنا فى خارج مدينة القدس دخلت إسرائيل لتجد فى القدس ٥٥ ألف مواطن تقريباً ، نصف سكان القدس . إسرائيل فى هذا الوقت قامت بضم مدينة القدس ، قامت بتوسيع بلدية القدس التى كانت مساحتها ستة كيلومترات إلى ٧٢ كيلومتراً مربعاً قسمتها بالشكل الذى يضيف إلى مدينة القدس أوسع مساحة من الأرض مع أقل عدد من السكان ، وقامت خلال هذه الفترة بمصادرة ٣٤٪ من مساحة الأرض الفلسطينية فى القدس ، قامت باعتبار ٥٢٪ من الأرض الفلسطينية أرضاً خضراء لا يبنى عليها ولا يسمح بالبناء عليها فى مدينة القدس وتركت لنا كمقدسيين ١٤٪ فقط من مساحة المدينة لنبنى عليها وهى فى الواقع المساحة التى كانت قد بنى عليها قبل عام ١٩٦٧. بدأت إسرائيل سياسة فى القدس تعتمد على أسلوبين هما أسلوب الطرد وأسلوب الإحلال. أسلوب الطرد وهو الضغط على الفلسطينيين من أجل مغادرة هذه المدينة وأسلوب الإحلال وهو محاولة جلب إسرائيليين أكثر إلى مدينة القدس ليغيروا الوضع

الديموجرافى والببليوجرافى ، ليغيروا وجه المدينة من وجهها العربى الإسلامى المسيحى إلى مدينة يهودية . مع بداية الاحتلال ومع هذه النية الواضحة للإسرائيليين بضم مدينة القدس وتغييرها لتكون العاصمة اليهودية الإسرائيلية فقط بدأ الشعب الفلسطينى بالاستنهاض ، استنهض نفسه ، وحتى قبل أن يتم دفن شهدائنا وضحايا هذه الحرب كنا قد بدأنا بعملية المواجهة ، وبدأت المواجهة بتشكيل الهيئة الإسلامية العليا فى فلسطين وهى هيئة أتت بناءً على فتوى لابن تيمية تقول أنه إذا احتلت أرض مسلمة من قبل دولة غير إسلامية فعلى المسلمين أن يديروا شئون أنفسهم وكانت أن شكلت هذه الهيئة وفرضت نفسها بعد الاحتلال مباشرة لتحمى المؤسسات الفلسطينية فى القدس اعتباراً من المسجد الأقصى وما حوله ، الأوقاف والمحاكم الشرعية ، المدارس الدينية والشرعية ، الأراضى، أراضى الأوقاف. كل هذه الأشياء تم حمايتها من خلال هذه الهيئة الإسلامية التى التف حولها كل الشعب الفلسطينى. وبدأت إسرائيل بمحاولة أن ترث الحكومة الأردنية ، فاستولت على كل المدارس التى كانت تدار من قبل الحكومة الأردنية واعتبرت هذه المدارس جزءاً من نظام التعليم الإسرائيلى وبلدية القدس الإسرائيلية وبدأوا يفرضون عليها النظام التعليمى الإسرائيلى . وكان أن بدأ التحرك الفلسطينى مرة أخرى ، ننشئ من اللاشئ نظاماً تعليمياً جديداً أو مدارس جديدة تطبق النظام التعليمى الذى كان سائداً قبل سنة ١٩٦٧. وبدأت مواجهة استمرت لسنين بين مدارس الهيئة الإسلامية أو الأوقاف الإسلامية ، المدارس الفلسطينية ، وبين المدارس الإسرائيلية فى مدينة القدس . وبعد سنتين كان فى أكبر مدارس القدس حجماً واستيعاباً وهى مدرسة الرشيدية التى تتسع لألف وخمسمائة طالب والتى فرض عليها النظام الإسرائيلى ، لم يكن فى هذه المدرسة سوى سبعة طلاب وتوجه باقى الطلاب إلى النظام التعليمى العربى ، وأُجبرت عندها إسرائيل – وبعد عامين من الاحتلال – على إلغاء النظام التربوى الإسرائيلى فى مدارسنا واعتماد وتبنىء النظام العربى فى هذه المدارس وكان هذا نصراً آخر حققناه فى بداية الاحتلال. حاولت إسرائيل أن تسيطر على باقى النشاطات ، القطاع الصحى ، القطاع الاجتماعى ، القطاع الثقافى وكانت مواجهاف أهمها مواجهتنا فى القطاع الصحى عندما دافع أبناء هذه المدينة عن أكبر أسس البنية التحتية للصحة فى فلسطين والقدس ، وهو مستشفى المقاصد الخيرية ، عندما قررت إسرائيل أن تستولى على هذا البناء الذى لم يكن قد بدأ تشغيله

كمستشفى وأرادوا أن يستخدموه في الأغراض الاستيطانية الإسرائيلية. وخلال أربع وعشرين ساعة تم تشغيل هذا المستشفى الذى كان فارغاً لتأتى لجنة التفتيش الإسرائيلية التى أرادت أن تضم هذه المستشفى إلى النظام الإسرائيلى لتجده يعج بالعمل والممرضين، بالمرضى والأطباء ، وكسبنا هذه المعركة أيضاً ، معركة الصحة فى فلسطين. استمر الشعب الفلسطينى والمجتمع الفلسطينى وهو يعى تماماً خطورة ما يخطط لنا فى القدس فى تركيز كافة مناحى الحياة باليد الفلسطينية من خلال المنظمات غير الحكومية وحققنا بشكل أو بآخر فى القدس نوعاً من أنواع الحكم الذاتى . كنا ندير معظم شئوننا بأنفسنا . ومع الانتفاضة وتطوراتها تطور الوضع الفلسطينى أكثر ، لم نحافظ فقط على المجالات الدينية والمجالات الصحية والثقافية والتعليمية ، والتجارية التى لم تنضم إلى الأجهزة التجارية الإسرائيلية ، بل فرضنا أيضا فى القدس عنواناً سياسياً وبالتالى بدأ العالم يتعامل مع القدس منفصلة عن النظام الإسرائيلى ، ولم تعترف دول العالم أيضا بعملية الضم ، القنصليات أو السفارات كلها موجودة فى تل أبيب ، والقنصليات الموجودة فى القدس كانت تعتبر نفسها غير تابعة أو هى لا تمثل نفسها لدى الحكومة الإسرائيلية ولكن لدى الشعب المقيم فى مدينة القدس ، وتعاملوا مع مؤسساتنا على هذا الأساس. عندما وقعت اتفاقية عام ١٩٩٣ فى أوسلو نظر الإسرائيليون حولهم ، إلى مدينة القدس ، وكان واضحا فى تلك الفترة وبرغم كل عمليات الاستيطان أن من يدخل فى مدينة القدس تلك التى عرفناها عام ١٩٦٧ سيجد أن هذه المدينة مازالت مدينة عربية إسلامية مسيحية بمعنى الكلمة ، لم يستطيعوا أن يخترقوا تلك المدينة . وتلك النقاط الاستيطانية الصغيرة فى داخل مدينة القدس حيث احتل الإسرائيليون بيتا هنا أو هناك ، فى الوقت الذى كانت تثير الغضب الفلسطينى ، كانت أيضاً تثير القلق الإسرائيلى لتبين لهم مدى ضآلة وجودهم داخل هذه المدينة. الإسرائيليون عملوا على بناء حزام استيطانى واسع حول المدينة وكنا نحن كفلسطينيين حينما ننظر إلى هذه الكتل الأسمنتية حول مدينة القدس نصاب بالقلق وربما أصيب البعض بالفزع من أن هذه المدينة تؤكل من خلال الإسرائيليين ، لكن الإسرائيليين أنفسهم عندما كانوا ينظرون إلى نفس هذا الموقع ويرون المناطق غير المبنية فى مدينة القدس كانوا يصابون بالفزع لأنهم كانوا يعرفون تماماً أن هذا هو مستقبل البناء العربى فى القدس ، لهذا السبب فى عام ١٩٧٣ بدأ الإسرائيليون فى خوض معركة جديدة

محاولين أن يسلبونا هذه المكاسب التى حققناها وحافظنا عليها منذ عام ١٩٦٧ ، وذلك من خلال ثلاث سياسات : السياسة الأولى هى سياسة العزل والسياسة الثانية هى سياسة الطرد والسياسة الثالثة هى سياسة الإحلال ، سياستان قديمتان هما سياسة الطرد وسياسة الإحلال وأضافوا إليهما سياسة العزل.

سياسة العزل هى محاولة غزو مدينة القدس من خلال ثلاث حلقات للعزل. الحلقة الأولى هى محاولة عزل مدينة القدس عن أبناء الشعب الفلسطينى. ثانياً محاولة عزل الشعب المقدسى عن المؤسسات المقدسية فى مدينة القدس . حلقة العزل الثالثة هى محاولة عزل القدس عن المجتمع الدولى. بدأت إسرائيل بفرض نقاط تفتيش كنقاط الحدود حول مدينة القدس ليمنعوا الفلسطينيين من أنحاء فلسطين عن الوصول إلى هذه المدينة. مدينة القدس بنيت لكى تكون عاصمة دولة فلسطين أو عاصمة فلسطينية وبالتالى فهى فى خدماتها ، فى مؤسساتها ، فى تجارتها ، فى اقتصادها ، لم تبن هذه البنية التحتية ، ليس فقط من أجل خدمة ١٧٠ ألف فلسطينى يعيشون الآن فى مدينة القدس وإنما من أجل خدمة مجتمع أوسع يزيد عن مليون ونصف فلسطينى يعيشون فى المنطقة المحيطة بهذه المدينة وهى الضفة الغربية.

بدأ الإسرائيليون بمحاولة العزل ليحطموا الاقتصاد الفلسطينى ، ليحطموا الصلات الاجتماعية الفلسطينية، فلا تستطيع المرأة أن تزور ابنتها إذا كانت متزوجة فى القدس أو العكس ، لا تستطيع العائلة أن تجتمع سوياً لأنه ممنوع أن يصل أى إنسان إلى القدس ما لم يكن يحمل هوية تقول أنه مقيم فى هذه المدينة. عدا ما يمكن أن يؤدى إليه ذلك من تدمير اقتصاد هذه المدينة ويهدد كل كيان مدينة القدس بالانهيار . محاولة العزل الثانية هى أن يعزلوا سكان مدينة القدس عن مؤسساتهم ، هذه المؤسسات الفلسطينية القائمة فى القدس والتى أعطتنا ما يشبه الحكم الذاتى ، فى مدينة القدس . والذى كان يزعج الفلسطينيين قبل المفاوضات أن يبدءوا مفاوضاتهم معنا ونحن فى هذه القوة وفى هذه المكانة من سيطرتنا على أنفسنا . وبسبب الشعور بخطورة هذا الأمر بدأت محاولة عزل الفلسطينيين عن مؤسساتهم فى داخل مدينة القدس بالحصار المالى والاقتصادى ، بالإرهاب ، بمهاجمة هذه المؤسسات فى أوقات الليل والنهار ، بفرض حصار عليها من خلال مظاهرات يمينية ، كما شهدنا فى فترة طويلة من مظاهرات وحصار لبعض

المؤسسات مثل بيت الشرق من قبل متظاهرين يهود يمينيين ، من خلال فرض قوانين ضرائب وقوانين جديدة تؤدى إلى عرقلة عمل هذه المؤسسات ، باتجاه إجبار هذه المؤسسات على أن تغلق وبالتالى لا يجد الفلسطينيون أمامهم إلا أن يتوجهوا نحو مؤسسات إسرائيلية . أسلوب العزل الثالث هو عزل القدس عن المجتمع الدولى من خلال ضغوط على دول العالم لعدم إقامة أى نوع من العلاقات السياسية أو الدبلوماسية مع مدينة القدس أو سكانها هادفين بذلك أن يعودوا العالم على أن يتعاملوا مع القضية الفلسطينية بدون القدس الشرقية لتبدأ المفاوضات وهم فى موقع أقوى مما كانوا عليه فى السابق.

بهذه الوسائل تخوض إسرائيل معركتها ضدنا الآن فى سياسات الطرد ، يحاولون أن يمارسوا هذه السياسة من خلال الطرد الجسدى والاقتصادى والطرد من الهوية . عندما احتلت إسرائيل القدس عام ١٩٦٧ اعتبرت السكان الموجودين فى القدس ، مواطنى القدس ، اعتبرتنا سكاناً أجانب نقيم إقامة كاملة فى إسرائيل بموجب قانون الدخول إلى إسرائيل عام ١٩٥٤ ، بمعنى أنهم اعتبرونا كسكان فى القدس ، قررنا مرة واحدة وبشكل جماعى أن ندخل إلى دولة إسرائيل ، وليس أن إسرائيل دخلت إلى مدينة القدس ، وبالتالى نحن موجودون هنا ليس بصفتنا مواطنين لنا حقوق تاريخية فى هذه المدينة ولكن كأجانب أوجدتنا الظروف فى دولة أجنبية ، وهذه الدولة لها قوانينها ومن يخالف هذه القوانين يفقد حق إقامته فى هذه المدينة. منذ فترة طويلة وهم يعملون على إيقاعنا فى هذه الشباك بتقليص إمكانيات العمل بالقدس ، منع البناء فى القدس وبالتالى يضطر الفلسطينى أن يعمل خارج هذه المدينة ، يتوجه للسكن خارج هذه المدينة ليأتى الإسرائيليون ويقولون له بما أنك تعمل أو تعيش خارج هذه المدينة فأنت فقدت حق الإقامة فى هذه المدينة ، وبالتالى يسقط عنه حق الإقامة وتسقط عنه هويته ، أو أن يقال له أنت أجنبى موجود هنا وبإمكاننا أن نصدر أمراً بإبعادك فى أى لحظة ، ملجأك الوحيد هو أن تحصل على جواز سفر إسرائيلى ، على الجنسية الإسرائيلية ، لتحافظ على وجودك فى القدس ، وعندها يكونون قد طردوه من هويته العربية فى مدينة القدس ، الغرض من ذلك أيضاً حين نصل إلى مرحلة المفاوضات النهائية ليقولوا لنا أن هذه المدينة هى فى معظمها إسرائيلية وليس لكم شىء فيها ، وبالتالى تستخدم كورقة ضغط تفاوضية فى مواجهتنا. هذه هى عملية الطرد ، أما عملية الإحلال فهى من خلال التغيير الديموجرافى والجغرافى فى المدينة

وهو أيضاً يعتمد على ثلاث وسائل : الوسيلة الأولى هى بناء الحزام الاستيطانى حول مدينة القدس ، إحاطة مدينة القدس بحزام استيطانى كامل يفصل هذه المدينة عن باقى المدن الإسرائيلية. الحلقة الثانية هى امتدادات استيطانية من هذا الحزام الاستيطانى تخترق مدينة القدس الشرقية وتقسمها إلى جزر متناثرة ، أما الأسلوب الثالث فهو الإتيان إلى هذه الجزر المتناثرة ليزرعوا فى داخلها مراكز ونقاطاً استيطانية ليبدأ التوسع من الداخل ، توسع من داخل الجزر الفلسطينية ، حصار من خارجها ، وامتداد إلى داخلها حتى يصلوا إلى المرحلة التى يخنقون فيها كل وجود فلسطينى فى القدس.

وبالرغم من كل هذه السياسات الإسرائيلية ، إلا أن القدس مازالت حتى هذه اللحظة مدينة فلسطينية عربية إسلامية مسيحية . لقدْ نجحنا ومن خلال قدراتنا ومجهوداتنا الذاتية أنْ نخلق اتصالاً سكانياً ديموجرافياً جغرافياً بيننا وبين شمال فلسطين ، وهم يحاولون أن يقطعوا هذا الاتصال مع جنوب فلسطين من خلال بناء قناة جديدة اعتقد أن أحدها أصبح اسمه متداولاً فى جميع أنحاء العالم وهى من صوت الجبل أبو غنيم التى يحاولون من خلالها أن يفصلوا القدس عن جنوب الضفة الغربية ليفرضوا علينا حصاراً يخدم فى النهاية الأهداف الإسرائيلية.

كيف نستطيع أن نواجه هذا الأمر ؟ . فى الواقع المواجهة الأساسية فى مدينة القدس هى فرض أمرنا الواقع فى المدينة ، وتثبيت هذا الأمر الواقع ، وتقوية المؤسسات الفلسطينية وتثبيتها هو تثبيت للفلسطينى فى مواقعه من خلال إيجاد وسائل حياة ووسائل سكن تبقيه فى داخل هذه المدينة ، حتى نواجه المخططات الإسرائيلية القائمة الآن من خلال العمل الدءوب ومن خلال التنسيق العربى الشامل من أجل وقف وردع الإسرائيليين عن الاستمرار فى سياساتهم. على سبيل المثال نحن نتحدث عن القدس ونقول أن القدس هى عروس عروبتنا ، القدس هى جوهرة الأمة العربية والأمة الإسلامية ، وبالفعل عندما يكون هناك حدث ما فى القدس نحن نرى هذا التحرك ونرى هذه الروح العربية الإسلامية فى كل مكان .. ولكن بعد بضعة أيام وأسابيع نجد أن كل هذا الجو قد تلاشى وعدنا إلى حياتنا الطبيعية وتستمر إسرائيل فى تشغيل آلياتها وعجلاتها من أجل تهويد المدينة . ليس المطلوب فقط قرارات من جامعة الدول العربية ، المطلوب من كل دولة عربية على حدة ، وكل سياسة عربية على حدة ، أن تجعل القدس على قمة أولوياتها . عندما يأتى وزير

خارجية أو رئيس دولة عربية عليه أن يشعر بأن القدس هى الأولوية ، وسيشعر بذلك فقط عندما يجد أن موضوع القدس على قمة أولويات جدول الأعمال ، أما إذا أتى إلى هنا ووجد أن هذه القضية تقع فى الصف الخامس أو السادس أو العشرين أو الثلاثين ، ثم يذهب إلى إسرائيل ويجدهم واضعين القدس على رأس جدول الأعمال سيقول أن الأولوية هنا أكثر إلحاحاً ، وبالتالى فهما تعاطف معنا ، فلن يستطيع أن يقدم لنا ما نريد ، لأن أحداً لا يستطيع أن يكون كاثوليكياً كما يقولون أكثر من المسيحيين ، ولأن أحداً لا يستطيع أن يكون مسلماً أكثر من المسلمين ، أو عربياً أكثر من العرب.

نحن بحاجة فى هذه المدينة التى تحاصر ، والتى كما قلت نقلوها من مدينة تقدم خدماتها إلى ما يزيد عن مليون ونصف مليون نسمة إلى مدينة تقتصر خدماتها على ١٧٠ ألف نسمة فقط. نحن بحاجة إلى أن يكون هناك توازن وحركة مستمرة وتشييد فى هذه المدينة وهذا أمر نبحثه الآن ، نحاول أن نجد بعض البدائل الآن. على سبيل المثال لدينا مليون فلسطينى يعيشون فى داخل حدود الدولة الإسرائيلية ولكن الفلسطينيين ليسوا إسرائيليين وهم يرون فى القدس ما نراه فى القدس وهم يريدون للقدس ما نريده أيضاً نحن للقدس ، هناك محاولات لاجتذاب هؤلاء الناس ليأتوا إلى القدس ليتعاملوا معها ، ليعايشوها يومياً ، نحاول أن نقيم أجواءً فى القدس تجتذب هؤلاء إلينا من الآن ، إلى أن نستطيع أن نغير من هذا الواقع الذى يمنع الفلسطينى حتى من الوصول إلى المسجد الأقصى أو إلى كنيسة القيامة.

القدس لن تحل قضيتها من خلال عقد المؤتمرات ، ربما تساعد المؤتمرات فى ذلك ، تساعد فى الوصول إلى شئ ، ولكن ما نحن بحاجة إليه بالفعل هو آلية تستطيع أن تقدم للقدس كل احتياجاتها، آلية تستطيع أن تخترق هذا الحصار الإسرائيلى حول القدس ، ولكن دون أن يكون نتيجة ذلك اختراقاً إسرائيلياً للأمة العربية أو للوطن العربى. نعم ، نحن نريد أن تفهم إسرائيل بأنه لا تطبيع ولا علاقات اقتصادية ولا سواها ما لم تلتزم إسرائيل بعملية السلام وما لم تلتزم إسرائيل بالحقوق الفلسطينية والعربية والإسلامية والمسيحية فى القدس ويجب أن نفعل كل شئ وأن نهيئ أنفسنا حتى لا يكون هذا التطبيع اختراقاً ، ولكن فى نفس الوقت ونحن نرفض التطبيع نريد أن نشعر إسرائيل بأن القدس

عربيـة إسـلامية مسـيحية ، نريـد توازنـاً فـى هـذه المدينـة ولكن ليس بشـكل عشـوائى أو فوضوى يؤدى إلى تطبيع يشمل كل إسرائيل.

هذه القضايا أعتقد أن على المفكرين أن يبحثوها بجدية وأن نجد الحلول ، ودائماً مـع الحلول هناك مخاطر نضع المخاطر فى الذهن ونضع الحلول والمولجهات لهـذه المخـاطر ، ولكن علينـا ألا نتخلـى عـن هـذه المدينـة ولا عـن أهلهـا الصـامدين فـى داخلهـا لكنهـم المنتظرون أيضاً المدد من الخارج ، المنتظرون هذه الصلة اليومية مع أمتهم ومع شعبهم.

تجرى الآن معركة مفاوضات عنيفة مع إسرائيل وهـذه المعركـة لهـا جانبـان جزئيـة وشمولية ، المعركة الجزئية هى التى تجرى فى الخليل وهذه المعركة هى بيـن منطقيـن : منطق يقول أن علينا أن نجلس ونجتمـع مـع الإسـرائيليين مـن أجـل وضـع الآليـات لتنفيذ الاتفاقيات المبرمـة بيننـا وبيـن إسـرائيل حتـى تسـتطيع هـذه العجلـة السياسـية أن تسـتكمل دورتها و يتم إعادة انتشار القوات الإسرائيلية من المنطقتيـن (ب ، جـ) أى حتـى تنسـحب إسرائيل من حوالى ٨٣٪ من الأرض الفلسطينية لنبدأ مفاوضـات الحـل النهـائى . وهنـاك محاولات إسرائيلية تعمل على عكس ذلك ، أن تكون هذه المحادثات ليس من أجل تطبيـق الاتفاق ولكن من أجل تغيير الاتفاق فى الخليل ، حتى إذا ما تغير الاتفاق فى الخليل فتحت الاتفاقيات الموقعة ويعنى ذلك أن تبدأ المفاوضات من جديد وألا يكون هناك انسـحاب مـن بـاقى المنـاطق وألا يتم تسـليم ٨٣٪ مـن الأرض الفلسـطينية لنـا ولـن يبـدءوا مفاوضـات المرحلة النهائية ونحن مازلنـا لا نسيطر إلا علـى ٣٪ مـن الأرض الفلسـطينية . هـذا مـا تحاول إسرائيل أن تفعله ، وأن تدخل معنا فى مفاوضات حول الحل النهائى قـد تمتـد إلـى عشرات السنوات. لهذا السبب هذه المنطقة الجزئية فى الخليـل هـى مـن أجـل عـدم تغيير الاتفاق ، وليستمر الوضع على ما هو عليه الآن. وأقـول ذلـك ليـس مغـالاة ولا مكـابرة ، ولكننا نرى الآن تغييرات فى الأجواء ، المجتمع الإسرائيلى فى داخله والذى كـان موحـداً ضدنا ، بعد أن كانت هناك سياسة إسرائيلية لحزب العمل ضدنا كان المجتمـع الإسـرائيلى موحداً فى هذه السياسة ، وعندما كانت تقدم حكومة العمل الإسرائيلية علـى سياسـة لتنفيذ الاتفاق بما فيها من صالح الشعب الفلسطينى كان المجتمع الإسرائيلى منقسماً ، نحن نواجه وضعاً جديداً ، عندما يُقدم نيتانياهو على محاولـة تنفيـذ الاتفـاق سيجد أن معظـم المجتمـع الإسـرائيلى معـه ، وعندمـا يحـاول أن يُخلـف هـذا الاتفـاق سيجد انقسـاماً فـى داخـل هـذا

المجتمع الإسرائيلى ، فهو يريد أن يُخلف الاتفاق ، ليكن ذلك انقساماً فى داخل المجتمع الإسرائيلى ولنبن سياسة جديدة ولنبن تحالفات جديدة حتى يتغير هذا الواقع داخل إسرائيل وهى فرصة لم تكن متاحة لنا فى المرحلة الماضية. العالم فى أمريكا وفى أوروبا لم يكن مقتنعاً بأن هناك سياسات لحزب العمل ، هى ضد العملية السلمية أما الآن فهم مقتنعون بأن هناك سياسات لنيتانياهو بهذا الاتجاه وبالتالى لدينا دعم وتعاطف أوروبى وأمريكى واعتقد أن الوضع متغير عربياً أيضاً.

كان العرب منقسمين إلى قسمين ، قسم يقول لنا بيريز لديه نظرة وأفق وتصور ، من يأتى بعده هو أسوأ منه تعاملوا معه ، اصبروا لا تصادموه ، وقسم آخر يقول لنا أنتم الذين أدخلتم أنفسكم فى هذه المشكلة ، لم تسألونا ، لم تستشيرونا ، ادفعوا ثمن خطأكم . الآن الدول العربية من وافق على "أوسلو" ومن رفضها ، القوى العربية من وافقت على أوسلو فهى واقفة معنا فى مواجهة هذا الخطر الداهم المسمى "ببنيامين" الإسرائيلى.

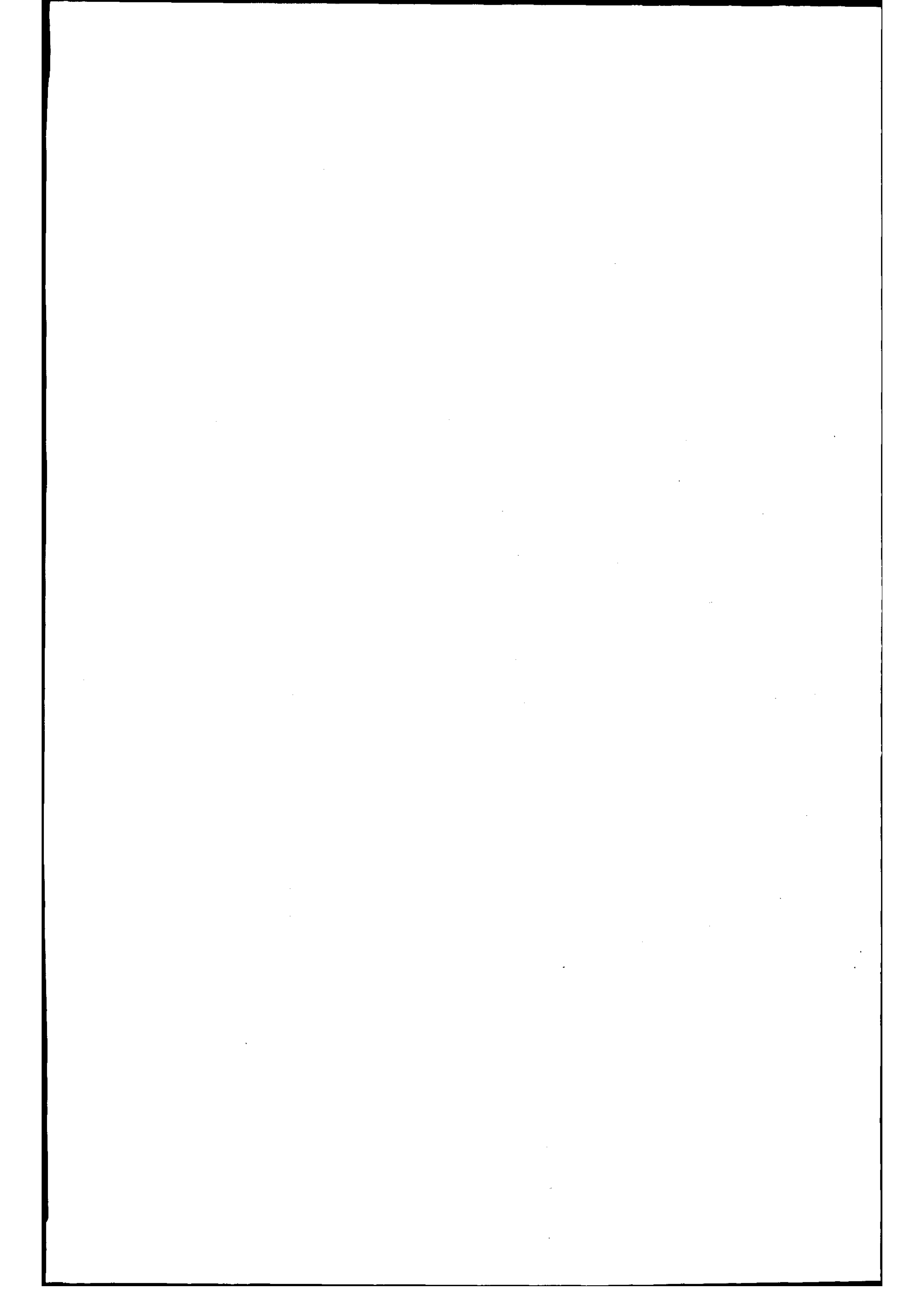
الفلسطينيون والذين كانوا منقسمين أيضاً على أنفسهم بين من هو مع أوسلو ومن هو ضدها الآن وبوقفة رجل واحد قد استهدوا وصمدوا لمواجهة هذا الاحتلال الإسرائيلى.

إذن لدينا الإمكانيات ولدينا مجال العمل ، ولكن نحن بحاجة إلى مزيد من التنسيق ، مزيد من توحيد القوة ومزيد من الجدية فى العمل الذى نسعى إليه ، نحن بحاجة إلى دعم سياسى حقيقى ، أن كل دولة على حدة تضع القدس على أولوياتها فى محادثاتها السياسية مع العالم . نحن بحاجة إلى الدعم المعنوى ، والذى نرى جزءاً منه هنا ، من خلال تفهيم الجمهور العربى فى كل مكان وتجنيده من أجل الخوض فى غمار هذه المعركة ، معركة القدس ، ثم نحن أيضاً بحاجة إلى الدعم المادى ... ماذا تحتاجه القدس ؟ .

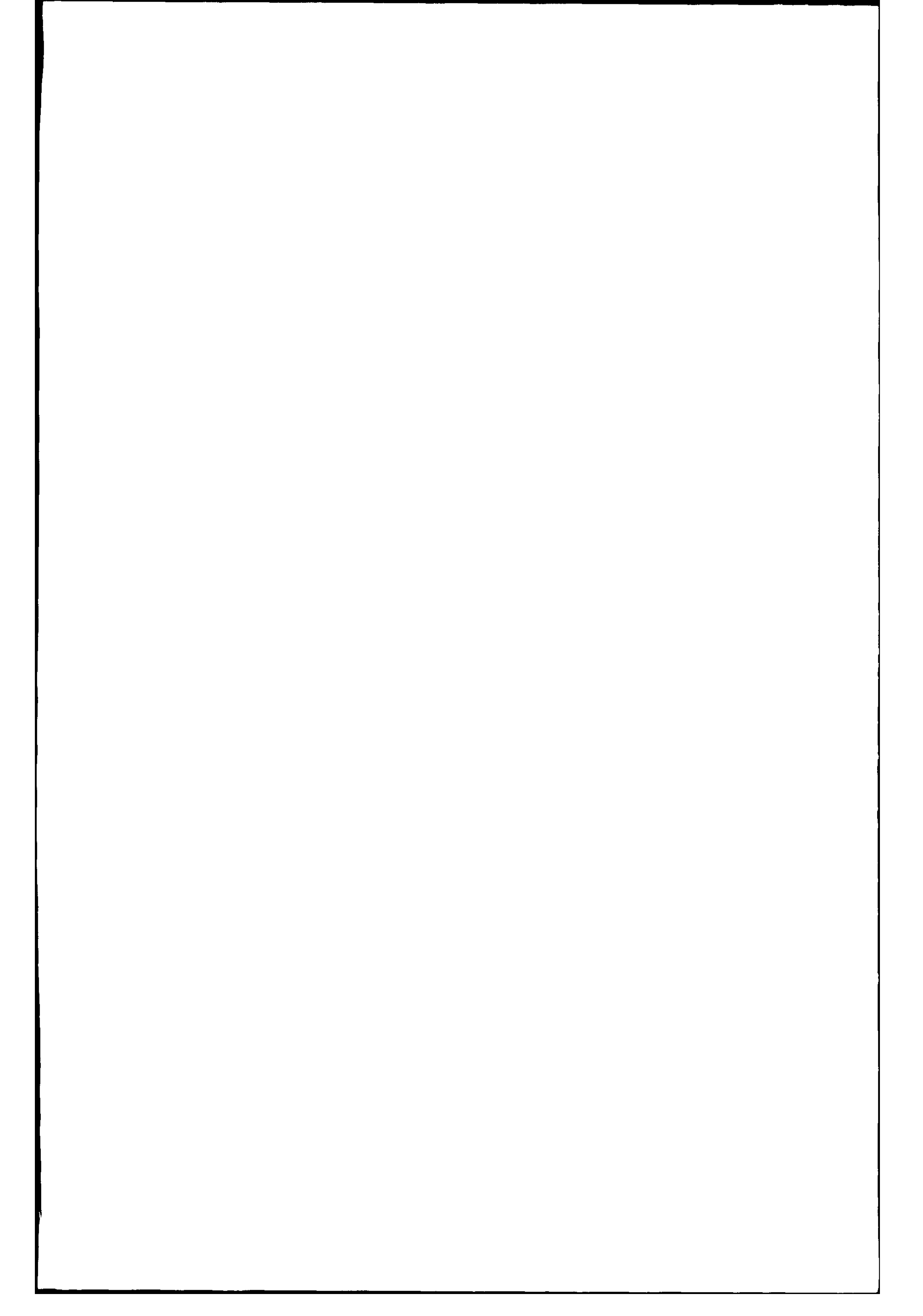
حتى تستطيع أن تبقى مؤسسات القدس واقفة على أقدامها ولا تنهار ، فهى بحاجة إلى ٣٠ مليون دولار فى السنة ، أى ٥ر٢ مليون دولار فى الشهر ، ٦٢٥ ألف دولار فى الأسبوع تقريباً ، ١٠٠ ألف دولار فى اليوم ، بمعدل دولار فى كل ثانية . هل يوجد مواطن عربى مسلم غير قادرعلى أن يدفع دولاراً فى السنة من أجل القدس ، ألا توجد لدينا مؤسسات وأفراد ، من بنوك وشركات وأغنياء قادرين على أن يقدم كل واحد منهم ١٠٠ ألف دولار فى اليوم ، هل يستطيع أحد أن يقنعنى بأنه لا توجد ١٠ أو ٥ دول قادرة

كل منها أن تقدم ٢،٥ مليون دولار على الأقل شهرياً لدعم مدينة القدس ، نحن بحاجة إلى تحرك ، يضع الدول أمام مسئولياتها من أجل أن تقدم للقدس ما يجب أن تقدمه ، من أجل أن نضع للأفراد أيضاً دولاراً لكل مواطن مسلم أو عربى من أجل القدس. أعتقد أن هذا لن يذهب هباءً ولكن سيكون الأكثر قوة فى دعم هذه المدينة وفى إعادة هذه المدينة عربية إسلامية مسيحية كما يجب أن تكون.

فى النهاية أود أن أقول بأننا نجحنا خلال السنوات الماضية فى فرض موضوع القدس على أولويات العملية السياسية السلمية ، ونأمل بالفعل أن تستمر هذه السياسة وأن نفرض القدس عاصمة للدولة الفلسطينية المستقلة ، عاصمة لنا جميعاً كما يجب أن تكون، وكما وعدنا أن تكون .



القدس : الحقوق التاريخية



الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

القدس بين المزاعم اليهودية والحقوق التاريخية للعرب

لواء محمد نبيل أمين صادق

عضو مجلس إدارة مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

مقدمة

يعتبر وضع مدينة القدس والأماكن المقدسة بها من أكثر الموضوعات حساسية فى منطقة الشرق الأوسط والعالم الاسلامى كله ، وتشكل المدينة أهمية خاصة للأديان السماوية الثلاثة (اليهودية - المسيحية - الإسلام) نظرا لجذورها التاريخية والدينية ، فضلا عن احتوائها على تراث وآثار ذات قيمة دينية (مساجد وزوايا ومدارس وأسبلة ومقابر - كنائس وأديرة - مهبط الأنبياء ...) ، وأهميتها للمسلمين يرتبط بعضها بالعقيدة لاسيما بيت المقدس (أولى القبلتين وثالث الحرمين) .

وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أنه لا سلام فى منطقة الشرق الأوسط دون حل القضية الفلسطينية ، ولن يتحقق ذلك إلا بعد أن ينال الفلسطينيون حقوقهم المشروعة المتمثلة فى حق تقرير المصير على كامل الأراضى الفلسطينية بما فيها القدس . فالقدس أحد العناصر الهامة فى القضية الفلسطينية التى وصلت قمتها باحتلال إسرائيل للأراضى الفلسطينية فى ١٤ مايو ١٩٤٨ ، حينما حاول اليهود أن يجعلوا من القدس عاصمة لهم ولكنهم فشلوا لضعف اقتصادياتها ، ووسعت ذلك الاحتلال بإضافة المزيد من الأراضى عام ١٩٦٧ م ومن بينها مدينة القدس التى تعتبر عاصمة شبه رسمية لإسرائيل وتمثل التعايش والتفاعل السلمى بين الديانات السماوية الثلاث ، والتى يعبر عنها ببساطة دور العبادة لكل منها .

وقد بدأت مفاوضات السلام بين العرب وإسرائيل مرتكزة على مبدأ أساسى وهو "الأرض مقابل السلام" وأوضحت رسالة الدعوة التى وجهها راعيا السلام فى منطقة الشرق الأوسط (الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى) بتاريخ ١٩٩١/١٠/١٨ إلى الأطراف العربية وإسرائيل هدف التفاوض المتمثل فى إقامة الترتيبات الانتقالية للحكم الذاتى الفلسطينى ، وأن المحادثات الثنائية بين إسرائيل والأطراف العربية تجرى فى إطار الشرعية الدولية التى تعترف بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره ، وأن تلك الترتيبات الانتقالية تستهدف توفير الأساس للمرحلة التالية من المفاوضات حول الوضع الدائم بالضفة الغربية متضمنة القدس وقطاع غزة المحتلين .

ومن الملاحظ أنه بالرغم من الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل واتفاق إعلان المبادئ فى ١٩٩٣/٩/١٣ واتفاق غزة/أريحا فى ١٩٩٤/٥/٤ ودخول قوات الشرطة الفلسطينية إليهما في مايو ١٩٩٤ ، واتفاق طابا/واشنطن فى ١٩٩٥/٩/٢٨ (الاتفاق الفلسطينى/الاسرائيلى الانتقالى حول الضفة الغربية وقطاع غزة)، إلا أن المفهوم الإسرائيلى – على أحسن الفروض – الذى يعبر عنه حزب العمل يتمثل فى إعادة الضفة الغربية وغزة بعد استقطاع أجزاء منها والاتفاق على ترتيبات أمنية بحجة دواعى الأمن الإسرائيلى ، بينما يرفض تكتل الليكود إعادة أى شبر من الأراضى المحتلة بما فيها القدس الموحدة باعتبارها عاصمة دائمة لدولة إسرائيل ، وهو الأمر الذى يؤكده " بنيامين نيتانياهو" زعيم الليكود ورئيس الحكومة الاسرائيلية فى مختلف المناسبات .

وقد بدأت إسرائيل فى إجراءاتها لتهويد المدينة منذ حرب يونيو ١٩٦٧ من خلال وسائل عديدة أهمها الاستيطان ، وأقامت العديد من الأجهزة الرسمية فى شرق المدينة (المحكمة الجزئية – وزارة العدل – البريد المركزى – محكمة المرور ...) ، كما أنشأت العديد من الأحياء اليهودية بها (راموت اشكول – هاجفعاه هاتسرفتيت " التل الفرنسى " – نافا يعقوب – راموت – جيلا – تلفيوت مزراح – بسجات زئيف ...) ، وذلك بغية الاستيلاء الكامل على الأرض وطمس المعالم الإسلامية والمسيحية ، مع الزعم المستمر بأحقية اليهود فى القدس بصفة خاصة وكل فلسطين بصفة عامة .

وفى هذا الإطار ، يتطلع اليهود إلى إعادة بناء هيكل داود وسليمان محل المسجد الأقصى فى موقعه الحالى – أى بعد تدميره وزواله – وذلك ارتباطا بالفكر الصهيونى القديم والحالى ، حيث نجد أن الحكومة الإسرائيلية تجرى حفريات أسفل المسجد الأقصى، وتشجع اليهود المتشددين على دخوله والصلاة بداخله، ولا تحاسب المتطرفين منهم الذين يعتدون عليه وعلى الزوار والمصلين المسلمين ، وكان من أبرز تلك الاعتداءات الحريق الذى قام به اليهودى الأسترالى " مايكل رومان " فى ١٩٦٩/٨/٢١ حيث حوكم محاكمة صورية وأفرجت عنه المحكمة باعتباره مجنونا .

وإذا كانت وجهات نظر كبار المسئولين اليهود والزعامات الإسرائيلية متباينة إزاء تسوية القضية الفلسطينية والحق الفلسطينى ، إلا أن معظمها يؤكد عدم التنازل عن القدس بقسميها الغربى والشرقى كعاصمة لدولة إسرائيل ، وذلك بالرغم من الإجماع العالمى الرسمى على وضعية القدس الشرقية كأرض عربية محتلة وجزء من الضفة الغربية ، وهو الأمر الذى انعكس فى عدم قبول معظم الدول نقل مقار سفاراتهم من تل أبيب إلى القدس بعد احتلالها والإعلان عنها كعاصمة للدولة الإسرائيلية عدا الدول الكاثوليكية التى اعترفت بها .

وعلى الجانب المقابل ، تؤكد منظمة التحرير الفلسطينية على أن القدس هى عاصمة الدولة الفلسطينية وفى هذا المجال نشير إلى أن " ياسر عرفات " قد أعاد التأكيد على ذلك فى مناسبات أخرى عديدة بعدها . وقد سبق أن صرح رئيس الوفد الفلسطينى المفاوض المسئول عن ملف القدس " فيصل الحسينى " بأن القدس يمكن أن تكون مفتوحة تضم فى جنباتها كلتا العاصمتين الفلسطينية شرقا ، والإسرائيلية غربا ، مع وجود بلديتين وبلدية عامة تربط بينهما ، مع إنشاء قوة شرطة موحدة ، وربما يكون هناك شرطة موحدة لتلك العواصم يكون لها تشكيلها ووضعها الخاص (ذلك الحل يشابه ما أشار إليه مشروع تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ عدا أنه اعتبرها دولية) .

وبالرغم من استمرار إعلان الزعماء فى إسرائيل بأن القدس الموحدة عاصمة أزلية لإسرائيل ، إلا أن التطورات تؤكد غير ذلك ، فوضع المدينة غير آمن فى ظل إمكانية استمرار بعض مظاهر الانتفاضة الفلسطينية وحوادث العنف ، لاسيما بالنسبة للسكان

اليهود حتى بعد الاتفاق الفلسطينى/الإسرائيلى وإلقاء مسئولية متابعة أعمال العنف على السلطة الوطنية الفلسطينية .

وقد استطاعت إسرائيل فى اتفاقها مع منظمة التحرير الفلسطينية فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ تأجيل بحث موضوع القدس إلى ما بعد عامين من الحكم الذاتى الفلسطينى أى حتى قبل يونيو ١٩٩٦ وذلك ضمن موضوعات هامة أخرى (اللاجئون – السيادة – المستوطنات – القدس) ، كما استطاعت أن تدق إسفينا بين الأردن والفلسطينيين من خلال إعلان واشنطن فى ٢٥ يوليو ١٩٩٤ والاتفاق الأردنى/الإسرائيلى فى ١٩٩٤/١٠/٢٦ حينما أعطت الأردنيين الولاية الدينية بالنسبة للقدس ، وذلك بالرغم من الاتفاق الذى تم بين المنظمة والأردن فى ١٩٩٥/١/٢٣ بشأن الولاية الأردنية على المقدسات الاسلامية بالقدس ، وفى الوقت نفسه نشطت الحكومة الاسرائيلية فى إجراء الاتصالات وعقد اجتماعات بين كبار رجال الأعمال الإسرائيليين والفلسطينيين بهدف التوصل إلى تطبيع كامل مع سلطات الحكم الذاتى الفلسطينى.

وكل تلك الأمور تساهم فى تمييع حل مشكلة القدس وعدم التوصل إلى حل عادل لها ، خاصة بعد إعلان دول مجلس التعاون الخليجى عن تخفيف المقاطعة لإسرائيل فى نهاية سبتمبر ١٩٩٤ ، ومؤتمر القمة الاقتصادى لدول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا فى أكتوبر ١٩٩٤ ، وغيره من الإجراءات المرتبطة بالعلاقات الاقتصادية بين دول المنطقة والتى أطلق عليها " الشرق أوسطية " ، وقيام عدد من الزعامات الإسرائيلية ـ بعد ذلك ـ بزيارات رسمية إلى بعض دول الخليج ، وإقامة بعض الدول العربية علاقات دبلوماسية رسمية مع إسرائيل فى أعقاب الاتفاق الأردنى/الاسرائيلى ، مثل تونس والمغرب وموريتانيا وسلطنة عمان .

وعكست نتائج الانتخابات الاسرائيلية التى تمت بتاريخ ٢٩ / ٥ / ١٩٩٦ والتى أسفرت عن فوز زعيم الليكود " بنيامين نيتانياهو " بمنصب رئيس الوزراء على منافسه " شيمون بيريز " زعيم حزب العمل ورئيس الحكومة ، بفارق يقل عن ١ ٪ من مجموع الأصوات الصحيحة ، انقسام الرأى العام داخل إسرائيل حول ما طرحه زعيما أكبر

وأكثر الأحزاب الاسرائيلية شعبية فى إسرائيل بشأن استمرار مسيرة السلام فى الشرق الأوسط وجوهرها القضية الفلسطينية .

وتشير التطورات الحالية والمرتبطة ببرنامج الحكومة الإسرائيلية الحالية برئاسة " نيتانياهو" والتى تؤكد على عدم إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ، وأن القدس الموحدة هى عاصمة إسرائيل إلى الأبد ، إلى إمكانية تجميد اتفاق أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل ، بل وكذلك تجميد الاتفاقات بين الأطراف العربية وإسرائيل ، فى ضوء تصاعد أعمال العنف المحتملة من الجانبين والتى يقوم بها المعارضون لمسيرة السلام من الفلسطينيين والإسرائيليين.

فى ضوء ما سبق ، فإن على العرب – أصحاب الحق – اتخاذ المزيد من الخطوات الجادة عالميا وإقليميا لمواجهة الإجراءات الإسرائيلية الساعية لتهويد القدس ، والعمل – من خلال كافة الأساليب – على إعادة المدينة الفلسطينية ورد حقوق الشعب الفلسطينى فى القدس العربية ، مع التأكيد على أن القدس سوف تظل شوكة فى حلق اليهود مهما حاولت إسرائيل الالتفاف حولها ، ومهما حاول مؤيدوها أو المتعاطفون معها – على مر الزمن – حتى تعود إلى أصحابها العرب ، وعلى العالم أجمع إدراك أن قضية القدس غير قابلة للتنازلات وأن العالم الإسلامى حريص على ذلك .

أهمية مدينة القدس

تكتسب مدينة القدس أهميتها الخاصة فى ضوء ما تحتويه من آثار دينية لكل من المسلمين والمسيحيين واليهود ، فقد اهتم بها الحكام والخلفاء المسلمون بعد فتحها عام ٦٣٨ م / ١٧ هـ ، فأنشأوا المساجد والزوايا والتكايا التى يؤمها الحجاج من مختلف الدول الإسلامية ، كالزاوية النقشبندية للوافدين من أوزبكستان ، وزاوية الهنود والزاوية القادرية للوافدين من أفغانستان ، فضلا عن السبل والأربطة والمدارس التى تبلغ ما يقرب من ٥٦ مدرسة [1] ، والمقابر ذات الطابع الإسلامى المميز التى تضم رفات

[1] د. اسحق موسى الحسينى – عروبة بيت المقدس – مركز الأبحاث الفلسطينية – بيروت ١٩٦٩ – ص٥٥ .

الصحابة والتابعين والمجاهدين ومنهم عبادة بن الصامت ، وشداد بن أوس ، وفيروز الديلمى ، وسلامة بن قيصر ، وذا الأصابع وأبا محمد البخارى[2].

وقال الحكماء اليهود : " إن عشرة أجزاء من الجمال خصصت للعالم كله ، وأخذت القدس تسعة أجزاء وحصل العالم كله على جزء واحد ، وقد حلت بالعالم عشرة أجزاء من الألم تسعة منها أصابت القدس ، بينما أصاب العالم جزء واحد [3] .

كما أوقف الكثيرون من المسلمين على القدس معظم الأراضى المجاورة لها ، ويرجع اهتمام المسلمين بها أساسا إلى :

١.كونها مسرى الرسول عليه الصلاة والسلام بنص القرآن الكريم ، ومنها عرج إلى السماء ، ولكونها بقعة مباركة كما ورد فى القرآن الكريم بنص سورة الإسراء والأحاديث النبوية الشريفة.

٢.أنها أولى القبلتين وثالث الحرمين .

٣.أن العديد من الأنبياء عاشوا فيها بداية من سيدنا إبراهيم إلى عيسى عليهم جميعا السلام.

٤.أنها عاصمة فلسطين .

وقد انعكست مظاهر الاهتمام بالمدينة المقدسة فى تسجيل جميع المناطق الأثرية بها وإصدار العديد من الكتب والمقالات عنها ، كذلك دخول الحروب دفاعا عنها ابتداء من الحروب الصليبية التى استمرت حوالى قرنين لاستردادها من الصليبيين (بدأت عام ١٠٩٥م ولازالت حتى الآن) ، لاسيما وأنها تتمتع بموقع إستراتيجى هام يؤدى إلى كل من المملكة السعودية (مقر الكعبة المشرفة) والأردن .

وقد أوقف الخليفة " عثمان بن عفان " عينا فى سيلوان على ضعفاء البلد ، وصارت تحت حكم الأمويين فى عهد " معاوية بن أبى سفيان " عام ٤١م الذى اهتم بأن تكون

---

[2] عز الدين الخطيب التميمى – القدس فى ضوء العقيدة الإسلامية – وزارة الأوقاف الأردنية ١٩٧٩ – ص٣٢ .

[3] جوان كوماى – دليل اسرائيل – هيئة الاستعلامات – كتب مترجمة ٧٠٣ ، ١٠١ .

بيعته فيها[4] ، وبدأ الخليفة " عبد الملك بن مروان " عمله ببناء مسجدى الأقصى وقبة الصخرة [5].

وأقام بمدينة القدس ودفن بها عدد من الصحابة منهم : "عبادة بن الصامت " (أول قاض لمدينة القدس الذى عينه الخليفة " عمر بن الخطاب ") و " أبو ريحانة الأزدى " و "إبراهيم بن أبى عقيلة " و " شداد بن أوس " و "عبد الله بن أم حرام الأنصارى " [6] .

كما زارها عدد كبير من الصحابة سواء أثناء فترة الفتح الاسلامى أو بعدها مثل : " عمر بن الخطاب " وأبو عبيدة عامر بن الجراح " و " عمرو بن العاص " و " خالد بن الوليد " و " عبد الرحمن بن رباح " ، وكذلك زارها الخليفة " المنصور العباسى " مرتين : الأولى عام ٧٥٨ م / ١٤١ هـ والثانية عام ٧٧١م/١٥٤هـ وأعاد بناء المسجد الأقصى بعد تهدمه نتيجة لزلزال [7] .

وأنشأ المسلمون مسجدا على ربوة جبل صهيون يسمى مقام النبى داود ، ويقول بعض المؤرخين إن قبره فى هذا المكان بالفعل. وبصفة عامة لم يمر على المدينة فترة من الفترات إلا وأقام المسلمون فيها بناءً جديدا ، وأصلحوا بناءً قديما ، كما أنهم اتخذوا من المسجدين الكبيرين وساحة الحرم مكانا لدراسة علوم الدين ، فضلا عن مرور الكثيرين من حجاج بيت الله فى ذهابهم وإيابهم على بيت المقدس للزيارة.

ومما يزيد من أهميتها لدى المسلمين أن التوجه للصلاة فى عهد الرسول الكريم كان إليها حينما كان هو والمسلمون بمكة قبل الهجرة ، واستمر فى التوجه للصلاة إلى بيت المقدس حوالى سبعة عشر شهرا حتى أمره الله تعالى بالتوجه إلى الكعبة [8].

---

[4] عز الدين الخطيب – مرجع سابق – ص ٣٨ .

[5] عز الدين الخطيب – مرجع سابق – ص ٢٠ .

[6] د . عبد العزيز الخياط – وزير الأوقاف الأردنى السابق – ندوة القدس فى العقيدة الاسلامية – جامعة الأزهر ٢٩ / ٥ / ١٩٩٦ .

[7] عز الدين الخطيب – مرجع سابق – ص ٤٢ .

[8] عز الدين الخطيب – مرجع سابق – ص ٥٦ .

وتوجد أحاديث نبوية عديدة تبين أهمية القدس منها :

" أربع من مدن الجنة مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس " [٩] .

وقد روى البخارى في صحيحه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا (المسجد النبوى الشريف) ، أى أن الإنسان لا ينوى السفر للتعبد إلا لتلك المساجد فقط .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم عن بيت المقدس " أرضى المنشر والمحشر ، ائتوه فصلوا فيه فإن الصلاة فيه كألف صلاة فى غيره " .

وقد روى عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " فضلت الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة وفى مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة "[١٠] .

وسمى المسجد الأقصى بهذا الاسم اعتبارا بمكان المخاطبين من الله للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه نظرا لأنه بعيد عن كل من مكة والمدينة [١١].

وقد أقيم المبنى الحالى للمسجد عام ١٠٣٣م ، والجناح الشرقى من المسجد الأقصى هو مسجد عمر ، كما تعرض للهدم عدة مرات بسبب الهزات الأرضية ، وسمى بيت المقدس لأنه لم يعبد به صنم قط .

وترجع فكرة حرمة بيت المقدس وفضله فى نظر المسلمين إلى أن الإسلام هو ختام الرسالات السماوية التى جاء بها الأنبياء جميعا وتقرير بقداسة هذه البقعة ، ومشتملا فى رسالته على تلك المقدسات ومرتبطاتها جميعا ، وقد رأى الإسلام أنه ورث من جملة ما ورث مدينة القدس التى اعتبرها مقدسة له أيضا لقدسيتها لدى النصارى، ويبرز ذلك بوضوح فى توجه النبى صلى الله عليه وسلم وأوائل المسلمين معه فى صلواتهم إلى

---

[٩] عز الدين الخطيب – مرجع سابق – ص ٥٧ .

[١٠] عز الدين الخطيب – مرجع سابق – ص ٧٧ .

[١١] عز الدين الخطيب – مرجع سابق – ص ٧٠ .

بيت المقدس قبل أن يتحولوا إلى مكة طيلة ١٦-١٨ شهرا قبل الهجرة إلى المدينة [١٢] . وقبل نزول آية تحويل القبلة فى منتصف شهر شعبان بالعام الثانى للهجرة ، كان المسلمون يصلون بمكة فى اتجاه بيت المقدس والكعبة بين أيديهم كما صح الحديث عن " عبد الله بن عباس " رضى الله عنه ، وكان بيت المقدس قبلة لليهود المقيمين بالمدينة وما حولها شمالى الحجاز (الذين جاءوا إليها فرارا من الرومان) .

ومن أهم الآثار الإسلامية بالقدس ما يلى :

١- مسجد قبة الصخرة الذى بناه عبد الملك بن مروان عام ٧٢ هـ ، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنوات [١٣] .

٢- المسجد الأقصى الذى بدأ بناءه عبد الملك بن مروان وأتمه ابنه الوليد .

٣- القبب التى بناها بعض المسلمين - بعد ذلك - فى أصحن الصخرة وبجوارها ، مثل قبة المعراج وقبة محراب النبى، وقبة يوسف ، وقبة موسى ، وقبة سليمان ، وقبة الخضر ، ومحراب داود، ذلك فضلا عن المآذن والأروقة ، والأبواب والأسبلة ، وصهاريج المياه .

هذا وقد دخلت الحملة الصليبية القدس فى ١٣ يوليو من عام ١٠٦٩ م ٢٣ شعبان ٤٩٢ هـ حيث قتل الصليبيون مائة ألف مسلم ومسيحى ويهودى بهدف القضاء على سكان المدينة جميعا دون استثناء ، وتم تأسيس أربع إمارات لاتينية هى "الرها" و " طرابلس " و " إنطاكية" و " بيت المقدس "، ثم وضعت خططها التوسعية شرقا والقاهرة غربا[١٤] .

وتقدم أمير الموصل " عماد الدين زنكى " بقواته عام ١١٤٤ م وأسقط حصن الرها الصليبى وأتبعه سقوط باقى المناطق المحتلة ، وكان هو أول حاكم يعلن عن وجوب

---

[١٢] أ بو بكر ابن أحمد الواسطى - فضائل بيت المقدس - تحقيق وتقديم أ. حسون - دار ماجنس للنشر - الجامعة العبرية فى أورشليم - القدس ١٩٧٩ - ص١٠ و١١ .

[١٣] د. اسحق موسى الحسينى - مرجع سابق - ص ٥٣ .

[١٤] عز الدين الخطيب - مصدر سابق - ص ٦٢ .

تحرير القدس حتى مات غدرا عام ١١٤٦ م[١٥] وتولى الحكم من بعده ابنه " نور الدين محمود " الذى واصل الجهاد لتحرير القدس لتحقيق وحدة الشام حتى توفى عام ١١٧٤ م ، وجاء من بعده " صلاح الدين الأيوبى " الذى استطاع دخول حلب عام ١١٨٣ م [١٦] وقام بالهجوم الشامل على الصليبيين فى مايو ١١٨٧ م حتى تمكن من هزيمتهم ودخل بقواته مدينة القدس فى ٤ يوليو ١١٨٧ م [١٧].

وقد استمرت القدس تحت الحكم الإسلامى منذ الفتح العمرى عام ١٥ هجرية حتى ٥ يونيو ١٩٦٧ م حينما احتلها اليهود [١٨]. كما قام الجيش المصرى بقيادة " ركن الدين بيبرس " بمواجهة جيوش المغول فهزمهم فى معركة " عين جالوت " عام ١٢٦٠ م رمضان ٦٥٨ هـ وقتل قائدهم ، وتعامل المسلمون مع سكان القدس بود وعطف كبيرين منذ فتحها بواسطة القائد " أبى عبيدة بن الجراح " ، كما أعطاهم الخليفة " عمر بن الخطاب " الأمان حينما أرسل كتابا إلى أهل القدس يتضمن عهدا على نفسه بالمحافظة على سكانها ومنشآتهم وأملاكهم ودور عبادتهم سمى " بالعهدة العمرية " [١٩] وذلك عام ٦٣٦م – ١٥هـ حينما كانت تسمى إيليا ولم يكن بها يهودى واحد .

وقد أصر حاكم المدينة الرومانى " صفرونيوس " على عدم تسليم بيت المقدس إلا للخليفة عمر بن الخطاب نفسه تأكيدا للأمان بأن يأخذوا العهد من أمير المؤمنين [٢٠] ، وبالتالى فقد تمتع المسيحيون بالحرية الدينية فى ظل الحكم الإسلامى خلاف ما كان يحدث معهم إبان فترة حكم الرومان من عذاب واضطهاد . وقد كان عدد اليهود بالقدس فى النصف الثانى من القرن السابع ١٥٠ شخصا وفى أوائل القرن الثانى عشر (عام ١١٧٠ م) لم يكن فيها سوى عائلة يهودية واحدة ، أما فى عام ١٩٤٩ فقد زاد عدد

---

[١٥] عزالدين الخطيب – مصدر سابق .

[١٦] عز الدين الخطيب – مرجع سابق – ص ٦٦ .

[١٧] عز الدين الخطيب – مصدر سابق – ص ٦٧ .

[١٨] ا شيخ عبد الحميد السائح رئيس المجلس الوطنى الفلسطينى – مكانة القدس فى الإسلام – مطبعة اخوان مورا فتلى – الطبعة الثانية – القاهرة ١٩٨٥ – ص ٤٨ .

[١٩] عز الدين الخطيب – مرجع سابق – ص ٣٣ .

[٢٠] عز الدين الخطيب – مرجع سابق – ص ٣٤ .

اليهود بسبب الهجرة الناتجة عن " وعد بلفور " ، فالقدس مدينة عربية منذ فجر التاريخ وقبل أن يحتلها " داود " بأكثر من ألفى عام "[21].

وتجدر الإشارة إلى أن " يبوس "[22] خضعت لسلطان الفراعنة فى عهد كل من " تحتمس الثالث " الذى عين لها حاكما مصريا عام ١٤٧٩ ق. م. ، وكذلك فى عهد " إخناتون " و " رمسيس الثانى " الذى اعتبرها ضمن حدود مصر عندما عقد معاهدة " قادش " مع " الحيثيين " عام ٢٩٢ ق. م. [23] .

وترجع بداية التقديس المسيحى لمدينة القدس إلى الإمبراطور الرومانى " قسطنطين" الذى اعتنق الديانة المسيحية فى القرن الرابع الميلادى وأعلنها ديانة رسمية للدولة عام ٣١٣ م ، وقيام والدته " الإمبراطورة هيلانة " بزيارة المدينة عام ٣٣٦ م وأنشأت كنيسة القيامة التى يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح مدفون بها .

وفى هذا المجال نشير إلى أهم الآثار المسيحية بالقدس :

١- كنيسة القيامة المقامة فوق تل بمنطقة رأس العمود والتى يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح قد صلب بها كما يعتقدون أن الكنيسة تضم قبره .

٢- الكنائس المقامة على جوانب طريق الآلام .

وعندما عرض " تيودور هيرتزل " (الصحفى النمساوى اليهودى الذى دعا لانعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ م) على السلطان العثمانى " عبد الحميد الثانى" التخلى عن فلسطين والقدس نظير مبلغ كبير من الذهب قال الأخير " ليحتفظ اليهود بملايينهم الذهبية ، إن البلاد ليست ملكى إنها ملك شعوب المسلمين فى العالم والذين رووا تربتها بدمائهم وإن عمل المبضع فى يدى لأهون على من أن أرى فلسطين قد بترت من إمبراطوريتى " ، وعندما ذهب إليه وفد يهودى يضم كل من " مزراحى قره صو " و " جاك " و " ليون " نيابة عن " هيرتزل " لكى

---

[21] Government of Palestine, Statistical Abstract of Palestine , 1941 , p. 12

[22] أحد الأسماء التى تطلق على مدينة " القدس " .

[23] د . عبد العزيز محمد سرحان – الدولة الفلسطينية – دار النهضة العربية – القاهرة ١٩٨٩ – ص ٢٨ .

يوافق على إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين مقابل الوفاء بجميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية وبناء أسطول لحماية الدولة العثمانية وتقديم قرض قيمته ٥٣ مليون جنيه بدون فوائد ، رفض السلطان " عبد الحميد " .

أما عن الآثار اليهودية بالقدس فهى منعدمة تماما ، وإن كان الإسرائيليون يضعون أيديهم على كل مقام ومسجد يحمل اسما من أسماء الأنبياء والمرسلين بدعوى أنه من أتباعهم ، وبالطبع فإن مجرد إطلاق الاسم على المكان أو المقام أو الموقع لا يعطيهم حقا فى ملكيته ، وعلى سبيل المثال ما يلى :

١. قبر راحيل ، وبه مسجد تحت إدارة الوقف الاسلامى ، ولا يوجد أى دليل على ملكيته لليهود.

٢. مقام النبى صمويل ، وهو عبارة عن مسجد ومقام يصلى فيه المسلمون منذ عدة قرون.

٣. مقبرة اليهود الواقعة فى سفح جبل الزيتون رغم كونها من الأوقاف الاسلامية.

٤. الحائط الغربى للمسجد الأقصى الذى يسميه اليهود " حائط المبكى " هو أثر إسلامى معروف باسم " البراق الشريف " وأن للمسلمين وحدهم الحق العينى فيه لكونه يشكل جزءا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التى هى من أملاك الوقف ، وللمسلمين أيضا تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحائط المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفا لجهات الخير والبر حسب أحكام الشرع الاسلامى [٢٤].

وكان لمدينة القدس – على مدى التاريخ – مسميات عديدة ، وقد ارتبط بعضها بوضعيتها وموقعها أو بالقائمين على الحكم فيها ، كما ورد بالعهدين القديم والجديد (التوراة والإنجيل) عدة مسميات لها ، والتى من أهمها " أورشليم " التى لا تزال دولة إسرائيل تستخدمه حتى الآن .

---

[٢٤] د. اسحق موسى الحسينى – مرجع سابق – ص٣٠ .

مدى أحقية اليهود فى القدس:

يدعى اليهود أحقيتهم فى أرض فلسطين بصفة عامة بما فيها القدس باعتبار أن الله قد منحهم وأبناءهم وعدا بهذه الأرض دون غيرهم إلى الأبد ، وذلك اعتمادا على ما ورد بكتابهم المقدس بهذا الشأن وأن لهم تاريخا سابقا فيها وآثارا هامة بها ، والحقيقة خلاف ذلك ، الأمر الذى يمكن إيضاحه فيما يلى :

١- أول وعد بإعطاء فلسطين لذرية إبراهيم كان قرب مدينة نابلس "وظهر الرب لإبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض . فبنى هناك مذبحا للرب الذى ظهر له "[٢٥].

وورد بنفس السفر " وقال الرب لإبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أوريك فأجعلك أمة عظيمة ... وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض ... ولكن عهدى أقيمه مع إسحاق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة القادمة "[٢٦] .

٢- قال الرب لإبراهيم بعد اعتزال لوط عنه : " ارفع عينيك وانظر من الوضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا لأن جميع الأرض التى أنت ترى . لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد "[٢٧] .

٣- قطع الرب مع إبراهيم ميثاقا قائلا : " لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات " [٢٨] .

٤- تكرار هذه الوعود لإسحاق ويعقوب " الأرض التى أنت تضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك . ويكون نسلك كتراب الأرض . وتمتد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا "[٢٩].

ويمكن تفنيد وجهة النظر اليهودية – من الناحية الدينية – اعتمادا على ما ورد بكتابهم المقدس بموضوعية خالصة من خلال مناقشة أمور ثلاثة :

---

[٢٥] سفر التكوين – الإصحاح ١٣ – الآية ٧ .

[٢٦] سفر التكوين – الاصحاح ١٢ – الايات ١-٣ ، ١٧-١٨ .

[٢٧] سفر التكوين – الإصحاح ١٣ – الآيات ١٤-١٦ .

[٢٨] سفر التكوين – الإصحاح ١٥ – الآية ١٨ .

[٢٩] سفر التكوين – الإصحاح ١٨ – الآية ١٣ .

١- المانح والممنوح للوعود .

٢- حدود الأرض الموعودة .

٣- طبيعة الوعد (مطلق - مشروط ...) .

المانح والممنوح للوعود

إذا كان اليهود يرون فى مجمل الوعود السابقة أنها منحت لهم دون سواهم ، فإن التحديد الدقيق لكلمة "ذريتك " الواردة فى التوراة للنبى إبراهيم تشمل العرب من أبناء إسماعيل حيث كان لإبراهيم ولدان (إسماعيل من زوجته هاجر - إسحق من زوجته سارة) وورد فى التوراة أن إسماعيل ينتسب إليه قبائل كثيرة كما أن عهد الختان الذى عقد عليه إبراهيم كان ختان إسماعيل حيث لم يكن إسحق قد ولد بعد .

حدود الأرض الموعودة

يرى اليهود بأن الوعد الذى ورد فى التوراة بعبارة " هذه الأرض " من نهر مصر إلى النهر الكبير.. " مقصود به أن الأرض تبدأ من نابلس حيث كان يقيم إبراهيم لتشمل جميع الأراضى حتى الفرات ، وهو ما يوضح أسباب اهتمام اليهود بالعراق حيث أطلق زعماء إسرائيل على عمليات تهجير اليهود من العراق إلى فلسطين وإيران فى أواخر الأربعينات عملية " عزرا ونحميا " (نسبة إلى الحاخامين اليهوديين اللذين خرجا من بابل أثناء السبى البابلى عام ٥٨٦ ق.م.) .

ومن المؤكد أن هذا الوعد جاء قبل فترة ميلاد كل من إسماعيل وإسحق ، كما أن سفر التكوين قد أدخل شرق الأردن فى وعد إبراهيم [٣٠] لأنها كانت ترى سهولة من تلال " بثل " وهو أمر مردوذ عليه أيضا باعتبار ذلك الوعد جاء قبل ولادة إسماعيل وإسحق .

ولتجسيد الاستمرارية الاستيطانية اليهودية ، ومن أجل تشجيع يهود العالم على العودة إلى أرض فلسطين يعمل الفكر الصهيونى على إقناع الجماعات اليهودية فى العالم

[٣٠] سفر التكوين - الإصحاح ١٣ - الآية ١٥ .

بالهجرة إليها من منطلق مفاهيم دينية من أبرزها مفهوم خصوصية الآلهة لبنى إسرائيل وفى ذلك تفرقة بين البشر حيث يجعل روح الله تختص بهم وحدهم [٣١] .

ويقرر القرآن الكريم وحدة البشر بقوله تعالى **"الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه "** (سورة البقرة الآية ٢١٣) .

طبيعة الوعد (مطلق – مشروط)

يستند اليهود إلى ما ورد بالوعد بالأرض لإبراهيم بأنها إلى الأبد ("هعولام " باللغة العبرية) ، أى أنه وعد مطلق ومستمر لاحتلال اليهود لفلسطين ، إلا أن هذه العبارة فى جوهرها كما وردت بالعهد القديم تعنى وقتا طويلا وكذلك تحمل معنى القدم ، حيث من المستحيل أن يكون المقصود بها أمرا مطلقا ، وذلك بمقارنة ما ورد بمزامير داود " سأغنى إلى الأبد " ، وفى عبارة أخرى " وعبدى داود رئيس عليهم إلى الأبد " [٣٢] ، وهاتان العبارتان لا تحملان معنى مطلقا للاستمرارية ، وهو ما يوضح بأن اليهود يتلاعبون بالألفاظ لتبرير ادعاءاتهم بالرغم من أن مصادر شريعتهم نفسها تفند مزاعمهم .

وفى الوقت نفسه نجد أن الوعد الإلهى الذى يسترشدون به كان دائما مشروطا أو مرتبطا بالمعاهدة على الإخلاص فى العبادة ، وتنفيذ وصايا الرب واتباع الحق ، فقد أنذرهم الله بأنهم إذا فسقوا سينتظرهم مصير رهيب ، حيث جاء فى كلمات الرب لموسى " ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص على أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التى أنا أوصيك بها اليوم . تأتى عليك جميع هذه اللعنات وتدركك ملعونا تكون فى المدينة وملعونا تكون فى الحقل " [٣٣].

كما جاء أيضا فى كلمات الرب لموسى " وتبقون نفرا قليلا عوض ما كنتم كنجوم السماء فى الكثرة بأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك . وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم

---

[٣١] د. عبد الخالق عبد الله جبة – القدس فى الفكر اليهودى دراسة مقارنة – كلية الاداب سوهاج – جامعة أسيوط – يناير ١٩٩٤.

[٣٢] سفر أشعيا – الإصحاح ٢٧ – الآية ٢٥ .

[٣٣] سفر التثنية – الإصحاح ٢٨ – الآيات ١٥-١٦ .

ويكثركم . يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم فتستأصلون من الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها ويمددك الرب فى جميع الشعوب من أقصى الأرض إلى أقصاها " [٣٤] .

وكذلك يمكن الإشارة إلى ما قاله الرب لسليمان " وإن كنتم تنقلبون أنتم وأبناؤكم من ورائى ولا تحفظون وصاياى وفرائضى التى جعلتها أمامكم . بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها . فإنى أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التى أعطيتم إياها . والبيت الذى قدسته لاسمى أنفيه من أمامى . ويكون إسرائيل مثلا وهزأة فى جميع الشعوب " [٣٥] .

مجمل ما سبق يوضح أن اليهود قد خالفوا العهد القديم وعبدوا الأصنام حينما طلبوا من شقيق موسى " هارون " أن يصنع لهم إله فصنع لهم عجلا من الذهب ، وعاقبهم الله على أفعالهم تلك مرارا وأذلهم لمخالفتهم شروطه فتشتت شملهم ودمرت مدينتهم ، أى أن الوعد جاء مقيدا ومشروطا وغير مطلق .

وإذا ركزنا بصفة خاصة على القدس نلاحظ الآتى :

١- يثبت التاريخ أن فلسطين بصفة عامة ، وبيت المقدس بصفة خاصة ، كانتا خاضعتين لحكم العرب قبل وجود اليهود بأكثر من ألفى عام ، وتشير نصوص العهد القديم إلى الوجود العربى فى شمال الجزيرة العربية لاسيما فى فلسطين ، فالعرب قد فرضوا اسمهم ولغتهم على الجزيرة وأهلها . وتوضح نصوص اللغتين الآشورية والعبرية أن استخدام لفظ " عرب " جاء للتعبير عن إقليم فلسطين كما ورد بالعهد القديم "فى الوعر فى بلد العرب تبيتون يا قوافل الدادانيين" [٣٦] ، وكذلك ورد به " وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيف الساكنين فى البرية " [٣٧].

٢- يشير التاريخ إلى أن الكنعانيين قد أنشأوا حضارة بفلسطين ولم يكن لليهود حضارة بها بل نقلوا عنهم الحضارة ، وكان الكنعانيون خلال ألفى سنة جسرا بين مدن الحضارة

---

[٣٤] سفر التثنية - الإصحاح ٢٨ - الأيات ٦٢-٦٤ .
[٣٥] سفر الملوك - الإصحاح ٩ - الأية ٦ .
[٣٦] سفر اشعيا - الإصحاح ٢١ - الأية ١٣ .
[٣٧] سفر أرميا - الإصحاح ٢٢ - الأية ٢٤ .

على الفرات والنيل ، ومنهم أخذ اليونان الحروف الكتابية ونقلوها للعالم ، وتأثر الإسرائيليون بحضارة الكنعانيين فأخذوا حروفهم التى كتب بها العهد القديم وتأثروا بأسلوبهم الشعرى وموسيقاهم ودينهم [٣٨].

٣- لم يمتلك أى من الأنبياء " إبراهيم " و" إسحق " و " يعقوب " و" موسى " أى جزء من الأرض هناك وهو ما يمكن تأكيده من خلال ما يلى :

أ- عندما لجأ إبراهيم إلى بنى حث لشراء مقبرة لزوجته " سارة " وعرض ثمنا لمغارة كان يملكها " عفرون بن صوحر " ليتخذها مقبرة فرفض " عفرون " الثمن وقدم المغارة هبة ، ولكن إبراهيم أصر على الشراء ودفع الثمن لعفرون أربعمائة شاقل فضة جائزة عند التجار [٣٩] .

ب- تكرر ذلك مع ابنه يعقوب " أتى إلى مدينة شكيم التى فى أرض كنعان ... وابتاع قطعة الحقل التى نصب فيها خيمته فى يد بنى حمور ... بمائة مشيطة " [٤٠].

جـ- إن داود هو أول من فتح يبوس (القدس) فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد ، ودام حكمه هو وابنه سليمان حوالى ٨٠ سنة [٤١] عندما أراد داود أن يقيم مذبحا فى بيت " أرونه اليبوسى " أصر على دفع ثمنه خمسين شاقلا من الفضة وبنى هناك مذبحا للرب [٤٢].

٤- دمر الرومان أورشليم (القدس) مرتين الأولى عام ٧٠ م بواسطة "تيتوس" والثانية بواسطة " ايليوس هادريانوس " عام ١٣٥ م الذى قام بتدميرها وقتل سكانها من اليهود وغير اسمها لتكون" ايليا كابيتولينا" ارتباطا باسمه ، ولم تقم لليهود قائمة من ذلك الوقت وحتى الحركة الصهيونية فى القرن التاسع عشر .

---

[38] The West Minister Historical Atlas to Bible, London , p. 330 .

[٣٩] سفر التكوين – الإصحاح ٢٣ – الأيات ٣-١٦ .

[٤٠] سفر التكوين – الإصحاح ٢٣ – الأيات ١٨-٢٠ .

[٤١] اسحق موسى الحسينى – مرجع سابق – ص ١١ .

[٤٢] صموئيل الثانى – الإصحاح ٢٤ – الأيات ١٨- ٢٥ .

٥- حكم العرب فلسطين وظلوا بها حوالى ثلاثة عشر قرنا متواصلة - عدا فترة حكم الصليبيين - وأنشأوا المدارس والمساجد والأسواق والتى لا يزال معظمها باقيا حتى الآن .

٦- لم توص حكومة الانتداب البريطانى على فلسطين بتهويد القدس ، وإنما أوصت بتدويلها ، وذلك بالرغم من تأييدها لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين (تصريح وزير الخارجية البريطانى " جيمس آرثر بلفور " للبارون " ادموند دى روتشيلد ") .

٧- تعتبر القرى العربية المحيطة بالقدس مثل : " بيت صفاف " و " شرفات " و " المالحة " و " عين كارم " و " بيتا " ، وغيرها التى ضمها اليهود بعد حرب ١٩٤٨ جزءاً من المدينة الجديدة عربية خالصة ، وقسم منها أرض موقوفة على المسجد الأقصى ولا يجوز التعدى عليها [٤٣].

٨- الأماكن اليهودية المقدسة والآثار الدينية لليهود بالقدس محدودة للغاية ، وذلك فى ضوء تدميرها تماما بواسطة الرومان (تيتوس - هادريانوس ...) من جانب ، وقصر فترة حكم اليهود وسيطرتهم على المدينة والتى لا تزيد عن ثمانين عاما (فترتى حكم داود وسليمان) من جانب آخر ، وإن كان الإسرائيليون يضعون أيديهم على كل مقام ومسجد يحمل اسما من أسماء الأنبياء والمرسلين بدعوى أنهم من أتباعهم ، وبالطبع فإن مجرد إطلاق الاسم على المقام أو المكان أو الموقع لا يعطى الحق لليهود فى ملكيته . ومن الملاحظ أن معظم الكنس اليهودية ليس لها أى مضمون فنى مقارنة بكنائس المسيحيين ومساجد المسلمين ، فالمعابد اليهودية تشبه المساجد فى طورها البدائى فى فجر الإسلام وليس بها زخارف أو مآذن أو أبراج أو أجراس ومن أهم الآثار اليهودية ما يلى :

١. مقبرة اليهود الواقعة فى سفح جبل الزيتون رغم كونها من الأوقاف الإسلامية [٤٤] .

---

[٤٣] اسحق موسى الحسينى - مرجع سابق - ص ٢٠ .

[٤٤] اسحق موسى الحسينى - مرجع سابق - ص ٢٠ .

٢. الحائط الغربى للمسجد الأقصى الذى يسميه اليهود " حائط المبكى " هو أثر إسلامى معروف باسم "البراق الشريف" وأن للمسلمين وحدهم الحق العينى فيه لكونه يشكل جزءا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التى هى من أملاك الوقف ، وللمسلمين أيضا تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحائط المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفا حسب أحكام الشرع الإسلامى لجهات البر والخير[٤٥].

٣. قبر راحيل ، وبه مسجد تحت إدارة الوقف الاسلامى ، ولا يوجد أى دليل على ملكيته لليهود .

٤. مقام النبى صموئيل ، وهو عبارة عن مسجد ومقام يصلى فيه المسلمون منذ عدة قرون .

ورغم استماتة اليهود فى الدفاع عن الحائط فقد أثبتت اللجنة الدولية عام ١٩٣٠م أنه أثر إسلامى ، كما أقرت دولة الانتداب البريطانى - صاحبة وعد بلفور - الحكم ونفذته وكذلك أقره اليهود والتزموا به . وبصفة عامة يمكن القول إن الأيديولوجية المحركة لقرار الحكومة الإسرائيلية بشأن القدس هى أيديولوجية سياسية بحتة تثير وتحرك المستوطنين اليهود ، مع الوضع فى الاعتبار أن موقع هيكل سليمان وداود هو العامل الرئيسى والمحرك الفعال لعمليات تهويد القدس الشرقية .

الإجراءات الإسرائيلية فى القدس

نشير بداية إلى أن تقسيم القدس إلى شرقية وغربية قد تم بعد احتلالها عام ١٩٦٧م، وتأتى الإجراءات الإسرائيلية بمنطقة القدس فى إطار الإجراءات الإسرائيلية بالمناطق المحتلة بصفة عامة، ومشابهة لما يتم فى المناطق العربية قبل عام ١٩٤٨ م بصفة خاصة، وذلك لتحقيق أهداف إسرائيل الرئيسية المتمثلة فى تهويد المدينة من خلال الاستيطان اليهودى من ناحية ، وتقليص تعداد السكان العرب بها من ناحية أخرى ، وذلك بمختلف الوسائل والضغوط بما فيها الاعتداءات عليهم وعلى مقدساتهم .

---

[٤٥] اسحق موسى الحسينى - مرجع سابق - ص ٢٠ .

ويرتبط الاستيطان اليهودى بمدينة القدس بالأهداف الإسرائيلية العامة للاستيطان بالمناطق العربية المحتلة والتى ترتكز على :

١- تهويد المناطق ذات الكثافة السكانية العربية العالية التى احتلتها عام ١٩٤٨ م لتفادى أى تهديدات محتملة فى المستقبل .

٢- ترسيخ الاستيطان فى المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية والتى احتلتها فى يونيو ١٩٦٧ تحسبا للمفاوضات المستقبلية مع العرب فى إطار التسوية النهائية للقضية الفلسطينية .

ولتحقيق تلك الأهداف قامت إسرائيل بالممارسات التعسفية الرئيسية التالية :

١. طرد السكان العرب بصفة عامة ، وإبعاد ذوى النشاط المرتبط بمنظمة التحرير الفلسطينية بصفة خاصة

٢. مصادرة الأراضى العربية وإصدار القوانين التى تساهم فى تحقيق ذلك.

٣. ممارسة الضغوط المختلفة على السكان العرب لإجبارهم على بيع أراضيهم.

٤. بناء المستوطنات اليهودية بالقرب من وحول القرى والمدن العربية.

٥. تعطيل العملية التعليمية من خلال :

أ - استخدام السلطات الإسرائيلية المدارس كثكنات عسكرية وسجون.

ب- اقتحام المدارس وإرهاب الطلبة والمعلمين (اعتداءات - إطلاق النيران ..).

جـ - تطبيق عقوبات صارمة ضد المدرسين (الخصم من الرواتب - إنهاء تعاقداتهم - الفصل التعسفى - الاعتقال ...) .

د- فرض الضرائب والرسوم الجمركية على احتياجات الجامعة .

هـ - عرقلة تمويل المدارس والجامعات .

وتهدف إسرائيل من تهويد مدينة القدس إلى تحقيق ما يلى :

١- القضاء على العرب المسلمين بالمدينة ، وذلك بالضغوط المختلفة عليهم لمغادرتها ، مع زرع المستوطنات اليهودية بها .

٢- تذويب الشخصية العربية الإسلامية داخل المجتمع الإسرائيلى وذلك بعزل المواطنين عن إرادتهم وثقافتهم والعمل على ربطهم بالتواجد الإسرائيلى عن طريق تطبيق المناهج الإسرائيلية فى التعليم بالمدارس. ٣- محاولة إلغاء الطابع الإسلامى للمدينة ، وذلك بإزالة الآثار العربية والإسلامية (المدارس والمعاهد-الزوايا والتكايا والمرابط - المقابر ...) ، مع إجراء الحفريات بالمسجد الأقصى ، والبحث عن الآثار اليهودية والتركيز على إبرازها .

٤- تصفية الأملاك والأوقاف العربية والإسلامية ، وذلك من خلال مصادرة الأراضى العربية والإسلامية لصالح الدولة وإصدار القرارات الخاصة لتحقيق ذلك .

٥- استثمار القدس سياحيا بحكم موقعها الإستراتيجى بين الشمال والجنوب والشرق والغرب .

وتحرص إسرائيل على تدعيم الاستيطان اليهودى لتحقيق الأهداف الرئيسة التالية :[٤٦]

١- هدف أيديولوجى ، يتمثل فى الارتباط بالفكر الصهيونى وما يقدمه من معتقدات تتعلق بحق اليهود فى الأراضى الفلسطينية ، والرجوع إلى الدولة الدينية اليهودية القديمة وهو عصر قيام الدولة اليهودية فى القدس .

٢- هدف سياسى ، وهو إيجاد أمر واقع جديد وحقائق جديدة تعتقد إسرائيل أنه يجب على العرب أن يتقبلوها ويتعاملوا على أساسها ، كما يمكن أن تكون المستوطنات ورقة ضغط وأداة تأثير ومساومة فى أى مباحثات قادمة حول مستقبل المناطق المحتلة .

---

[٤٦] د. خيرية قاسمية ود. على الدين هلال وإبراهيم كروان - المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧م - معهد البحوث والدراسات العربية - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ - ص ٣٨ .

٣- عامل نفسى ، يهدف إلى تعويد العرب على التواجد الإسرائيلى وتكريس واقع التعامل معه بصفة مستمرة .

٤- عامل أمنى عسكرى .

٥- عامل اقتصادى ، باعتبار أن العديد من تلك المستوطنات متخصصة فى الزراعة وبصفة خاصة فى الخضروات والفواكه ، كما أن لبعضها قيمة سياحية .

وتوجد خطة للقيام بحركة بناء مكثفة داخل مدينة القدس وحولها بهدف زيادة التواجد اليهودى لإقرار الأمر الواقع لتهويد المدينة ، وقد تم إقرارها بواسطة مجلس الاستيعاب برئاسة " أريئيل شارون " فى شهر أكتوبر ١٩٩٠ ، ويمكن إيجاز أهم عناصرها فيما يلى :[٤٧]

١- بناء أكثر من ١٧ ألف وحدة سكنية جديدة داخل المدينة منها ١٥ ألف خارج الخط الأخضر .

٢- بناء حيين سكنيين خارج الخط الأخضر، الأول فى " شوعفاط " ويشمل ٢٤٠٠ وحدة سكنية ، والثانى على جبل " حوما " جنوبى القدس ويشمل ٤٥٠٠ وحدة سكنية .

٣- بناء مئات الوحدات السكنية فى الأحياء المحيطة بالقدس خارج الخط الأخضر كما يلى :

أ - ٤١٥ وحدة سكنية فى حى " راموت ألون " .

ب- ٨٦٢ وحدة سكنية فى " جيلا " .

جـ- ٧٧٦ وحدة سكنية فى " نافا يعقوب " .

د - ٦٢١٢ وحدة سكنية فى حى " بسجت زئيف " .

---

[٤٧] نيدف شرجاى - الاستيطان التالى فى القدس - صحيفة هآرتس الإسرائيلية - ١٩٩٢/٣/١٣ .

وتم توجيه نداء إلى يهود العالم لشراء شقق فى مدينة القدس ، مع تشجيع المهاجرين اليهود على الإقامة بالقدس من خلال اتخاذ مجموعة من الخطوات أهمها ما يلى :

١- زيادة المنح المقدمة للمهاجرين الذين سيقيمون داخل مدينة القدس بمقدار ١٢٠٠ شيكل .

٢- إعفاء هؤلاء المهاجرين من رسوم العوائد لمدة عام .

٣- منحهم قروض إسكان خاصة بهم يتم دفع أقساطها بعد فترة إقامة بالقدس مدتها ثلاث سنوات .

وقد انعكس ذلك فى توجه غالبية المهاجرين اليهود - الذين يصلون إلى القدس - للمناطق التى تم ضمها إلى المدينة فى عام ١٩٦٧ حيث يقيم معظمهم فى أحياء " جيلا " و " راموت " و " نافايعقوب " ، وكذلك فى الأحياء الأقدم مثل " كريات يوفل " و " كريات مناحيم " ، وقد جاء حوالى ٨٠٪ منهم من الاتحاد السوفيتى[٤٨] .

وتستهدف إسرائيل من إجراءاتها بالقدس تحقيق ما يلى :

١- استغلال المرحلة الانتقالية (الفترة منذ توقيع أوسلو وحتى بدء المفاوضات النهائية فى مايو ١٩٩٦) فى إيجاد أمر واقع جديد يصعب معه التوصل إلى تسوية عادلة بشأن مدينة القدس.

٢- الاستفادة بما تفرضه من أمر واقع بالقدس (الاستيطان - التهويد - تهويد السكان العرب ...) فى إحباط الفلسطينيين بشأن إمكانية التفاوض حول المدينة .

٣- ما يمكن أن يؤدى إليه ضم كافة المستوطنات اليهودية المحيطة بالجزء الشرقى من المدينة إلى باقى مستوطنات القدس الكبرى (جوش عتصيون - معاليه أدوميم - جفعات زئيف - بسجات زئيف - أفرات - بيتار) من إحباط للفلسطينيين بشأن إمكانية

---

[٤٨] نيدف شرجاى - المهاجرون الجدد والقدس - صحيفة هآرتس الإسرائيلية - ١٩٩٠/٩/٢٤ .

التفاوض حول المدينة مستقبلا وتخفيف حدة مسألة المستوطنات فى الضفة الغربية فى المراحل النهائية من التفاوض باعتبارها أصبحت داخل إسرائيل بالفعل .

٤- السعى لإقناع العرب بإخراج موضوع القدس عمليا من المفاوضات القادمة من خلال تلك الإجراءات ، إلى جانب تأكيد الزعماء وكبار المسئولين الإسرائيليين على أن القدس عاصمة أبدية وموحدة لدولة إسرائيل.

فى ضوء ما سبق يمكن القول إن مساحة القدس الشرقية تتقلص تدريجيا ، وهى محصورة حاليا فى المناطق داخل سور المنطقة القديمة ، إلى جانب أحياء تابعة لبلدية القدس مثل " وادى الجوز " و " حى الشيخ جراح " و " بيت حنينا " و " رأس العمود " و " سيلوان " .

الاعتداءات على المسجد الأقصى

علينا أن نضع فى الاعتبار وبصفة مستمرة أن إسرائيل تعمل على التخلص من السكان العرب المسلمين بالقدس بشتى الوسائل ، كما أنها تخطط ليوم تعيد فيه بناء هيكل داود وسليمان ليحل محل المسجد الأقصى فى مكانه الحالى وذلك بعد تدميره وزواله ارتباطا بالفكر الصهيونى قديما وحديثا .

وفى هذا الإطار تقوم بحفريات خلف الحائطين الجنوبى والغربى للحرم القدسى ، وقد مرت تلك الحفريات بتسع مراحل تهدف جميعها إلى شق نفق يصل بين أسفل حائط المبكى وأسفل قبة الصخرة ويمتد إلى الحرم القدسى الشريف ، وقد اكتشفت هيئة الأوقاف الإسلامية ذلك فى أغسطس ١٩٨١ وتم إيقاف عمليات الحفر فى ٧ ديسمبر ١٩٨١ إثر اشتباكات واسعة النطاق بين العمال الفنيين المسلمين وبين المتطرفين اليهود الذين يقومون بالحفر وتدخلت الشرطة لتهدئة الأمور .

وقام العمال الإسرائيليون فجأة مساء ٢٣ سبتمبر ١٩٩٦ - تعززهم قوات الأمن المدججة بالسلاح - بتوسيع النفق الواقع تحت الأرض بطول ٤٨٨ مترا ، ويمتد من " حائط المبكى " مرورا بالمسجد الأقصى المبارك متضمنا " مسجد قبة الصخرة " وصولا

إلى طريق الآلام [49] ، وذلك قرب " باب الأسباط " فـى " الحـى المسـلم " بـالقدس ، وهـو الأمر الذى نتج عنه إجراء إضراب عام بمدينة القدس احتجاجا على مـا يحـدث وتظـاهر المئات من سكان " القدس الشرقية " ، وحدثت مصادمـات مـع الشـرطة الإسـرائيلية أدت إلى إصابة الكثيرين من العرب ومن بينهم مفتى القدس " الشيخ عكرمة صبرى " وعضو السلطة الفلسطينية الدكتورة "حنان عشراوى" [50] .

كما أصدرت المحكمة الإسرائيلية العليا قرارا فـى ٢٠/١١/١٩٩٣ باعتبـار المسـجد الأقصى جزءا من أرض إسرائيل وإخضاع جميع الإجراءات المتعلقة بترميمـه وصيانتـه لقانون التخطيط والآثـار الإسـرائيلى، وإعطـاء جماعـة " أمنـاء جبـل الهيكـل" حقوقـا فـى الحرم القدسى .

وسبق أن أعلنت حكومة "ليفى اشكول " عن ضم القدس الشرقية بتاريخ ٢٧ / ٥ / ١٩٦٧ ، وأصدرت إسرائيل فى أغسطس ١٩٨٠ قانونا يقضى بضـم القـدس نـص علـى الآتى :

١- أن القدس الموحدة كاملة هى عاصمة إسرائيل .

٢- القدس مقر رئيس البلاد والكنيست والحكومة والمحكمة العليا .

٣- أن الأماكن المقدسة ستحمى مـن التدنيـس أو مـن أى أضـرار أو أى شـئ يمكـن أن يؤثر على الوصول الحر لكل الديانات إلى أماكنها المقدسة ، أو على مشاعرها نحو هـذه الأماكن .

٤- تخصيص أموال لبلدية القدس بموافقة اللجنة المالية فى الكنيست ، وسـتحظى القـدس بأولويات خاصة فـى نشـاطات دوائـر الحكومـة لتطويـر القـدس فـى الحقـول الاقتصاديـة والحقول الأخرى .

---

[49] الطريق الذى سار فيه " السيد المسيح " وهو يرتدى إكليلا من الشوك ويحمل الصليب الخشبى فى اتجاهه إلى مكان الصلب .

[50] القدس – وكالات الأنباء يومى ٢٤ و ٢٥ سبتمبر ١٩٩٦ .

وكان رد الفعل هو قيام مجلس الأمن بإصدار القرار رقم ٤٧٨ بشأن ضم إسرائيل للقدس وحصل على تأييد جميع دول المجلس وعددها ١٥ دولة عدا الولايات المتحدة التى امتنعت عن التصويت.

ومع نهاية شهر أغسطس ١٩٨٠ كانت بعض الدول الأوروبية مثل : " هولندا" و " دول أمريكا اللاتينية " التى نقلت مقار سفاراتها من تل أبيب إلى القدس قد انصاعت إلى قرار مجلس الأمن ، وقد بلغ مجموع تلك الدول ١٢ دولة [٥١] .

وتجدر الإشارة إلى أن إسرائيل وهى تصدر قانون ضم القدس أو المرسوم الذى أصدرته الحكومة الإسرائيلية فى يوليو ١٩٦٧ وفى رسالة رئيس الحكومة الإسرائيلية السابق " مناحيم بيجين " للرئيس الأمريكى "جيمى كارتر " بتاريخ ١٩٧٨/٩/٢٢ ، كانت تدرك تماما أنها تخالف مبادئ القانون الدولى حيث إن القوانين الداخلية لأى دولة لا تجب القوانين الدولية .

وفى إطار استكمال إسرائيل إحكام سيطرتها على مدينة القدس لاسيما خلال الفترة المتاحة قبل المفاوضات النهائية والمقرر لها عام ١٩٩٦ ، فقد أذاع راديو إسرائيل بتاريخ ١٩٩٤/٧/١٨ أن الحكومة الإسرائيلية وافقت على مشروع يحظر على المؤسسات الفلسطينية ومنظمة التحرير القيام بأى أنشطة سياسية فى إسرائيل بصفة عامة وفى القدس بصفة خاصة ، وقد صدق الكنيست الإسرائيلى على هذا المشروع بتاريخ ١٩٩٤/١١/٨ ، كما ذكرت إذاعة إسرائيل فى اليوم نفسه أن اللجنة الوزارية لشئون القدس قررت وقف أنشطة بيت الشرق فى القدس وجامعة القدس ، وهدد رئيس الحكومة الإسرائيلية الحالى " بنيامين نيتانياهو " بإغلاق بيت الشرق ، وقد جاء ذلك بهدف مواجهة تزايد النشاط الفلسطينى السياسى داخل القدس الشرقية ، وكرد فعل لذلك القرار فقد أعلن مسئول شئون القدس " فيصل الحسينى " فى يناير ١٩٩٥ أن بيت الشرق لن يتوقف عن استقبال السياسيين والدبلوماسيين الأجانب .

---

[٥١] د . عبد العزيز محمد سرحان – مقدمة لدراسة الدولة الفلسطينية – دار النهضة العربية بالقاهرة – ١٩٨٩ – ص ٦٤ .

قرار نقل السفارة الأمريكية للقدس

كان للتأييد الأمريكى الواضح لإسرائيل خلال فترة رئاسة " بيل كلينتون " للولايات المتحدة دور كبير فى مواصلة إسرائيل لممارساتها بالمناطق المحتلة بصفة عامة ، وبالقدس بصفة خاصة ، مع ملاحظة أن موقف الولايات المتحدة تجاه مسألة القدس قد تبدل إزاء أى إجراءات إسرائيلية بهدف تغير وضع القسم الشرقى من المدينة باعتبارها جزءا من الضفة الغربية المحتلة إلى انحياز واضح لصالح إسرائيل ، وهو ما وضح فى موافقة الكونجرس الأمريكى بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩٩٥ على نقل مقر السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس فى موعد غايته ١٩٩٩ بأغلبية ساحقة (٩٣ مؤيد – ٥ معارض – غياب ٢) ، وكذلك فى مجلس النواب (٣٧٤ مؤيد – ٣٧ معارض) ، مع تصريحات كبار المسئولين الأمريكيين عن أن القدس عاصمة لإسرائيل.

وقد لوحظ أن قرار الكونجرس بالموافقة على نقل مقر السفارة الأمريكية إلى القدس قد صدر قبيل ساعات من بدء أعمال قمة عمان الاقتصادية التى تهدف إلى تنمية الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من خلال مشروعات إقليمية بين دول المنطقة قد تكون إسرائيل طرفا فيها ، ومن الطبيعى أن هذا التعاون الإقليمى سيحقق مكاسب لأطراف هذا التعاون، ولا يجوز تحقيق مكاسب اقتصادية لإسرائيل أو العرب على حساب خسائر عملية السلام ، كما تواكب صدور القرار مع اجتماع رؤساء الدول الأعضاء بالأمم المتحدة فى نيويورك لحضور الاحتفال بالذكرى الخمسين للأمم المتحدة ، فضلا عن تزامنه أيضا مع توقيع المملكة العربية السعودية بواشنطن لشراء ٦١ طائرة مدنية أمريكية بقيمة ٦٠٠٠ مليون دولار والذى سبق أن تدخل الرئيس الأمريكى " بيل كلينتون " شخصيا لإجراء ذلك التعاقد ، وهو الأمر الذى يعكس مدى الاستهانة بالمشاعر وردود الفعل العربية .

يعكس ما سبق مدى قوة تأثير اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة فى الضغط على الكونجرس لإصدار هذا القرار بأغلبية كبيرة ، وذلك باستغلال البعد الانتخابى والمنافسة بين الحزبين الجمهورى والديموقراطى للفوز بأصوات اليهود ، وهو الأمر الذى استغله بشدة زعيم الأغلبية الجمهورية بمجلس الشيوخ " روبرت دويل " فى برنامجه الانتخابى من خلال تبنى مشروع نقل مقر السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى

القدس ، وذلك لكسب أصوات اليهود من ناحية ، وللحصول على دعم مادى من اللوبى الصهيونى بالولايات المتحدة الذى يعد الممول الرئيسى للانتخابات الأمريكية من ناحية أخرى ، فضلا عن تأكيد ولائه للممولين اليهود لعملية انتخابه.

وبصفة عامة يمكن القول بأن قرار نقل السفارة الأمريكية إلى القدس يوضح الآتى :

١. انحياز الولايات المتحدة الأمريكية فى قضية السلام بالشرق الأوسط وبالتحديد القضية الفلسطينية لتأييد الطرف الأقوى ، خاصة وأنها تدرك محدودية ردود الفعل العربية وتأثيرات ردود الفعل تلك عليها.

٢. تأكيد انتهاء دور المجتمع الدولى وقرارات الأمم المتحدة إزاء القضية الفلسطينية بصفة عامة ، ومشكلة القدس بصفة خاصة.

٣. ارتباط توقيت اتخاذ ذلك القرار بالتفكك الشديد بين الدول العربية.

موقف منظمة الأمم المتحدة

إذا جمعنا مواقف الدول والأطراف المعنية مع وجهات النظر اليهودية إزاء حل القضية - بالإضافة إلى المؤثرات الأخرى - ستكون المحصلة تقدير الحل الأكثر احتمالا لقضية القدس ، مع الأخذ فى الاعتبار أن الحل لن يكون سهلا ، وذلك ارتباطا بموقفى كل من الفلسطينيين و إسرائيل ، فالموقف الفلسطينى يتبلور فى أن القدس عاصمة الدولة الفلسطينية (يتراوح ما بين القدس الشرقية فقط أى حدود بلدية القدس كما كانت تحت الحكم الأردنى ، وبين وضعية القدس حسب قرار التقسيم) ، ولا يمكن لأى زعامة فلسطينية أن توافق على أقل من ذلك ، وموقف إسرائيل يعتبر القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل ، وإسرائيل تضع يديها بالفعل على مدينة القدس بالكامل .

وقد كانت سياسة الجمعية العامة لعصبة الأمم المتحدة هى تقسيم أرض فلسطين بين العرب واليهود وربطهما بوحدة اقتصادية ثم تدويل القدس وإدارتها بواسطة مجلس وصاية تابع لها ، ويعاد النظر فى ذلك الترتيب بعد انتهاء عشر سنوات عندما يصبح المقيمون في المدينة أحرارا فى التعبير عن رأيهم باستفتاء بخصوص التعديلات التى

يجب إجراؤها فى نظام المدينة [٥٢] ، وبالطبع لم يتم تنفيذ ذلك نتيجة لحرب ١٩٤٨ والأمور التى ترتبت عليها .

وأصدرت عصبة الأمم المتحدة مجموعة من القرارات بشأن القدس وذلك قبل قيام إسرائيل بهدف المحافظة على مدينة القدس والأوضاع بها ، وتتمثل أهمها فيما يلى :

١- القرار رقم ١٨١ الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩ (قرار التقسيم) الذى نص على:

أ- تدويل القدس لحفظ المصالح الدينية فى المدينة .

ب- أن تكون منطقة القدس تحت نفوذ مجلس وصاية ، على أن ترتبط اقتصاديا بالدولتين العربية واليهودية .

٢- القرار رقم ١٨٧ الصادر من الجمعية العامة بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٣ الذى يطلب من بريطانيا - بصفتها سلطة الانتداب - أن تعين محافظا للقدس يرضى عنه العرب واليهود.

٣- قرار الأمم المتحدة بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٤ الذى يقضى بإرسال وسيط دولى إلى فلسطين - كان هذا الوسيط هو الكونت برنادوت - حيث أوصى بالآتى :

أ- ضم القدس إلى الدولة العربية مع تأكيده بأن المحيط الطبيعى للقدس هو المحيط العربى .

ب- أن يكون لليهود إدارة لامركزية لتسيير أمورهم الدينية فى المنطقة .

كما أصدرت منظمة الأمم المتحدة منذ عام ١٩٦٧ مجموعة من القرارات التى تدين الإجراءات الإسرائيلية بصفة عامة ومدينة القدس بصفة خاصة ، ومن أهم تلك القرارات :

---

[٥٢] على محمد على - فلسطين بين عصبة الأمم المتحدة - سلسلة كتب قومية - العدد ١٩٤ - ص ٢١٣ .

١- القرار رقم ٢٢٥٣ فى ١٩٦٧/٧/٤ - أى بعد حوالى شهر من حرب ١٩٦٧ - والذى ينص على أن الجمعية العامة تعتبر الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل لتغيير وضع القدس غير مشروعة .

٢- القرار بتاريخ ١٩٦٧/٧/١٤ وقد كررت فيه الجمعية العامة مطالبتها لإسرائيل بإلغاء جميع الإجراءات التى اتخذتها إزاء القدس والامتناع عن أى عمل من شأنه تغيير وضع القدس .

٣- قرار مجلس الأمن فى ١٩٦٨/٤/٢٧ الذى يطلب فيه من إسرائيل الامتناع عن القيام بعرض عسكرى فى القدس .

٤- قرار مجلس الأمن رقم ٢٥٢ فى ١٩٦٨/٥/٢١ أعرب فيه عن الأسف لعدم تقيد إسرائيل بالقرارات التى أصدرها المجلس بشأن القدس .

٥- قرار مجلس الأمن رقم ٢٧٧ فى ١٩٦٩/٧/٣ أكد فيه قراره السابق بشأن القدس ، ثم أعرب عن أسفه الشديد لعدم إظهار إسرائيل أى اعتبار لقرارات المجلس السابقة ، أدان بشدة جميع الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل لتغيير وضع مدينة القدس .

٦- قرار مجلس الأمن رقم ٧٧١ بتاريخ ١٩٦٩/٩/١٥ الذى عبر فيه عن الأسف لحريق المسجد الأقصى وأكد على ضرورة تخلى إسرائيل عن أعمالها التى تؤدى إلى انتهاك القرارات السابقة ، ومطالبتها بإلغاء الإجراءات التى اتخذتها .

٧- قرار مجلس الأمن بتاريخ ١٩٧١/٩/٢٥ الذى يشير فيه إلى قراراته السابقة بشأن الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل لتعديل وضع الجزء الذى يحتله الإسرائيليون فى القدس ، ويؤكد فيه على أن مبدأ الاستيلاء على أرض عن طريق الغزو العسكرى أمر غير مقبول .

٨- القرار الصادر فى ١٩٨٠/٨/٢١ الذى ينص على عدم الاعتراف بقرار إسرائيل بضم القدس وإعلانها عاصمة لإسرائيل ، واعتبر جميع الإجراءات الإسرائيلية التشريعية فى القدس باطلة وغير قانونية .

٩- قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١٩٩٠/١١/٦ الذى تضمن النقاط الرئيسية التالية :

ا - انسحاب إسرائيل من الأراضى الفلسطينية المختلفة عام ١٩٦٧ بما فيها القدس .

ب- تقديم ضمانات لأمن جميع دول المنطقة بما فيها تلك المذكورة فى القرار ١٨١ الصادر فى ١٩٤٧/١١/٢٩ (قرار التقسيم) للعيش داخل حدود آمنة ومعترف بها دوليا .

ج- حل مشكلة اللاجئين وفقا لقرار الجمعية العامة رقم ١٦٤ بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١١ والقرارات الأخرى المتعلقة به .

د- حل المستوطنات الإسرائيلية المقامة على الأراضى المحتلة فى عام ١٩٦٧م.

هـ- ضمان حرية الانتقال إلى الأماكن المقدسة والمبانى الدينية .

١٠- قرارات الأمم المتحدة أرقام ٦٧٢ و٦٧٣ لعام ١٩٩٠ و٩٠٤ لعام ١٩٩٤ التى أدانت فيها إسرائيل لارتكابها أعمال عنف ضد الفلسطينيين فى المذبحة التى قام بها المتطرفون اليهود بساحة المسجد الأقصى فى أكتوبر ١٩٩٠ ، ووصفت فيها القدس بأنها أراضٍ محتلة .

وعندما نبحث عن الأثر القانونى لقرارات " الأمم المتحدة " فى تأكيد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، نجد أن قرارات " الجمعية العامة " أكثر أهمية من الناحية القانونية لأنها تصدر عن سائر أو الغالبية العظمى من الدول الأعضاء فى " الأمم المتحدة " ، أما قرارات مجلس الأمن فهى أقل أهمية من حيث الطابع التشريعى وإن كانت أكثر أهمية من حيث القوة التنفيذية ، ولكن عدم قيام " مجلس الأمن " بمهمته الأساسية وهى تنفيذ قرارات الجمعية العامة يعتبر بمثابة موقف سياسى يرجع أساسا إلى موقف " الولايات المتحدة الأمريكية " [٥٣] .

---

[٥٣] عبد العزيز محمد سرحان _ مرجع سابق ص ٥٨ .

ومن الملاحظ أن إسرائيل لا تكترث بقرارات " الجمعية العامة للأمم المتحدة " أو " مجلس الأمن " ، وذلك بما فيها قرار التقسيم عام ١٩٤٧ والذى تم على أساسه قبول إسرائيل عضوا بالأمم المتحدة .

القدس ومفاوضات السلام

كانت بداية مفاوضات السلام فى ١٥ نوفمبر ١٩٨٨ حينما أعلن الرئيس الفلسطينى " ياسر عرفات " - أثناء تواجده بالجزائر - عن قيام الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس، واستتبع ذلك قيام وزير الخارجية الأمريكى " جورج شولتز " برفض منح عرفات تأشيرة دخول للولايات المتحدة لحضور اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ٢٦ نوفمبر بدعوى أن منظمة التحرير الفلسطينية ترعى الإرهاب وتؤيده وأن عرفات مسئول عما قامت به بعض التنظيمات الفلسطينية من عمليات إرهابية وتمثل رد الفعل الدولى فى إصدار الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا فى ديسمبر ١٩٨٨ بنقل اجتماعاتها إلى جنيف بأغلبية ٥٤ صوتا ضد صوتين فقط [٥٤] .

وقد وقع ياسر عرفات على وثيقة السلام فى ٧ ديسمبر ١٩٨٨ وذلك بعد إطلاع " شولتز " عليها حيث تضمنت النقاط الرئيسية التالية :

١- توافق اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية - وهى تمارس مسئوليتها باعتبارها الحكومة المؤقتة لدولة فلسطين - على التعاون مع إسرائيل فى إطار مؤتمر دولى للسلام على أساس قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ .

٢- تلتزم بأن تعيش فى سلام مع إسرائيل وجيرانها الآخرين ، وأن تحترم حق كل دولة من هذه الدول فى أن تعيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ، ويشمل ذلك أيضا دولة فلسطين الديمقراطية التى تسعى لإقامتها فى الأراضى المحتلة منذ عام ١٩٦٧ .

٣- تدين الإرهاب الفردى والجماعى بكافة صوره وسوف لا تدعمه ولا تلجأ إليه .

---

[٥٤] محمد نبيل أمين صادق - مسيرة السلام فى الشرق الأوسط.. إلى أين - مصر والنظام العالمى الجديد .. رؤية مستقبلية - جامعة أسيوط - مايو ١٩٩٤- ص ٩٧ ، ٩٨ .

وفى مايو ١٩٩١ دعا الرئيس الأمريكى السابق " جورج بوش " إلى انعقاد مؤتمر مدريد للسلام حينما ابتكر وزير خارجيته " جيمس بيكر " أسلوب التفاوض الحالى الذى يرضى جميع الأطراف والمتمثل فى الربط بين مباحثات ثنائية بين العرب وإسرائيل (رغبة إسرائيل) ، ومباحثات أخرى متعددة الأطراف والجنسيات (رغبة العرب إجراء مباحثات تحت ظل الأمم المتحدة) ، حيث تركز المباحثات الثنائية على بحث إمكانية التوصل إلى معاهدات سلام وقيام سلطة فلسطينية فى الأراضى المحتلة ، أما المباحثات المتعددة الأطراف فتناقش مشاكل ما بعد الحرب وعلاقات السلام بين العرب وإسرائيل[٥٥].

وقد بدأ مؤتمر مدريد بعد أن أكدت الولايات المتحدة ما أعلنه الرئيس الأمريكى السابق " جورج بوش " بتاريخ ١٩٩١/٣/٦ فى خطابه أمام الكونجرس الأمريكى حول أسس مفاوضات السلام بالشرق الأوسط حيث قال : " إن الولايات المتحدة لا تزال تعتقد بقوة بأن السلام الشامل يجب أن يرتكز على قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ ومبدأ الأرض مقابل السلام " ، وأضاف : " وأن حلا كهذا يجب أن يوفر الأمن والاعتراف لجميع دول المنطقة بما فيها إسرائيل والحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى " .

وبدأت أولى جولات المفاوضات فى مدريد بتاريخ ٣٠/١٠/ ١٩٩١ والتى استغرقت حوالى عامين تم خلالها ١١ جولة ، مع إجراء مفاوضات سرية بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية أدت إلى التأشير على الاتفاق بينهما بالأحرف الأولى فى ١٩٩٣/٨/٢٠ بأوسلو بالنرويج ، حيث تم توقيع الاتفاق الفلسطينى الإسرائيلى المسمى غزة / أريحا فى واشنطن بتاريخ ١٩٩٣/٩/١٣ والذى يقضى بانسحاب إسرائيل من غزة وأريحا فى ١٩٩٣/١٢/١٣ أى تنسحب القوات الإسرائيلية وتحل محلها قوات أمن فلسطينية ، ولم تدخل القوات الفلسطينية غزة وأريحا إلا فى مايو ١٩٩٤ ، وذلك بعد توقيع اتفاق القاهرة الخاص ببدء تنفيذ اتفاق إعلان المبادئ ، وافترض الاتفاق أن تبدأ المفاوضات حول الوضع النهائى لمدينة القدس بعد عامين من تنفيذ الحكم الذاتى

---

[٥٥] محمد نبيل أمين صادق – مرجع سابق – ص ٩٩ .

الفلسطينى حيث كان موضوع القدس ضمن أربعة موضوعـات تم الاتفاق علـى تأجيلها إلى مرحلة المفاوضات النهائية (اللاجئون - الحدود - المستوطنات - القدس) .

وقد أقر المجلس المركزى الفلسطينى ذلك التأجيل باعتبارها موضوعـات شـاملة تم توقيع الاعتراف المتبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير بواشنطن فـى ١٩٩٣/٩/٩ بعد إجراء العديد من اللقاءات والمباحثات السرية .

وإذا كان اتفـاق غزة / أريحـا يشكل تغييرا جذريـا فـى مجـال العلاقـات بيـن دول الشرق الأوسـط وبدايـة حقيقيـة لحـل القضيـة الفلسطينية بـالطرق السلمية ، إلا أنـه مـن الواضح استمرار إسرائيل فى إطالة المناقشات حول موضوعات فرعية وهامشية وتأجيل أمد تنفيذ ما يتم الاتفاق عليه بحجج غير محددة تحت مسمى دواعى الأمـن ، والاستفادة من الوقت المتاح إلى حين المفاوضات النهائية فى اتخاذ مزيد من إجراءات تهويد مدينـة القدس وتنفيذ خططها الاستيطانية ، مع التأكيد - من خـلال تصريحـات كبـار المسئولين والزعماء الإسرائيليين - على أن القدس ستستمر موحدة وعاصمة لدولة إسرائيل .

وتم فى ١٩٩٥/١/٢٣ الاتفاق بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية بشأن الولايـة الأردنيـة علـى المقدسـات الإسـلامية بـالقدس [٥٦] ، ويطـرح الاتفـاق الأردنـى الإسـرائيلى بديلين بالنسبة للحكم الذاتى الفلسطينى كما يلى :

١- نوع من المشاركة الوظيفية بين الأردن وإسرائيل فى مختلف المجالات (السياسـية - الاقتصاديـة - الاجتماعيـة ...) بالمنـاطق المحتلـة ممـا يحـد مـن القـدرات الفلسـطينية ويضعف من التأثير الفلسطينى على الساحة بالقدس فـى مقابل زيـادة السيطرة الأردنيـة عليها مما يصعب من إمكانية قيام حكم ذاتى فلسطينى مستقبلى .

٢- الحد من تطور الكيـان الذاتـى الفلسـطينى بحيـث يرتبـط بعلاقـات كونفيدراليـة مـع الأردن ويمكن أن يكون ثلاثيا (أردنى / إسرائيل / فلسطينى) وبمـا يتجـاوز قيـام دولـة فلسـطينية مستقلة ، خاصـة وأن الكيـان الثلاثـى يجعـل إسـرائيل تتخطـى مصـاعب

---

[٥٦] أكد مفتى القدس " الشيخ عكرمة صبرى " فى حديث لـه مـع صحيفة الأهرام (المصريـة) بتـاريخ ٩ / ٧ / ١٩٩٦ على عدم وجود خلافات خلال الفترة الحالية بين فلسطين والأردن حول الولاية الأردنية على المسجد الأقصى ، وذلـك مد إعلان الأردن تسليم المسجد الأقصى إلى السلطة الفلسطينية مع إنهاء المفاوضات .

المفاوضات (الانسحاب من الأراضى المحتلة - مصادر المياه - مشكلة القدس ...) ، فضلا عما يحققه ذلك من تيسير اندماج إسرائيل فى سوق الشرق الأوسط ، ويعد إعلان واشنطن أحد المكاسب التى حققتها إسرائيل بعد مفاوضات مدريد للسلام .

وتجدر الإشارة إلى أن دول مجلس التعاون الخليجى أصدرت بيانا فى ١٩٩٤/٩/٣٠ تضمن رفع المقاطعة مع إسرائيل من الدرجتين الثانية والثالثة المفروضة على الشركات الأجنبية التى تتعامل مع إسرائيل منذ ٤٧ عاما ، وأن دول المجلس على استعداد لتأييد جميع المبادرات التى قد تطرح من خلال الجامعة العربية لإعادة النظر فى المقاطعة العربية المباشرة ضد إسرائيل وذلك فى حالة تبنى طريق عربى مشارك فى عملية السلام مثل هذا التحرك ، مع ترحيب دول المجلس الست بالاتفاقات التى تم التوصل إليها بين كل من الأردن والفلسطينيين مع إسرائيل ودعا إلى إحراز تقدم على المسارين السورى واللبنانى على أساس مبدأ الأرض مقابل السلام ، ودعا كذلك إسرائيل إلى الالتزام بمبدأ عدم جواز إجراء تغييرات سكانية فى القدس تتعارض مع التسوية النهائية [٥٧] .

---

[٥٧] وكالات الأنباء والصحف العربية والأجنبية - ١٩٩٤/١٠/١ .

وإذا كان أصحاب هذا البيان يستهدفون حث كل من إسرائيل والولايات المتحدة على دفع مسيرة عملية السلام بالمنطقة ، وبالرغم من الثغرات الموجودة فى المقاطعة العربية لإسرائيل ، إلا أن سلبياته أكثر من إيجابياته خاصة وأن إسرائيل تتحرك بنشاط فى اتجاه اتخاذ خطوات نحو تطبيع العلاقات مع الدول العربية والخليجية على المستويين الرسمى وغير الرسمى من خلال الحضور والمشاركة فى اللقاءات والمؤتمرات الاقتصادية التى تتم فى بعض العواصم العربية ، حيث يجب اعتبار تأجيل مناقشة القضايا الاقتصادية التى تمس إسرائيل إلا بعد التوصل إلى تسوية عادلة لقضية الشرق الأوسط بصفة عامة والقدس بصفة خاصة ، وكذلك أنه إذا لم تعد السيادة على القدس لأى دولة عربية عن طريق التفاوض فلن تقع المسئولية على تلك الدولة فقط بل ستكون مسئولية جميع العرب والمسلمين .

ويوضح كل ما سبق ذكره إصرار إسرائيل على أن يكون الحكم الذاتى الفلسطينى حكما إداريا للسكان فقط دون الأرض واستمرار سيطرة إسرائيل على معظم أراضى الضفة الغربية بحجة دواعى الأمن. وقد أدى تعنت الموقف الاسرائيلى إلى قيام الجماعات الفلسطينية المسلحة – لاسيما الجناح العسكرى لحركة حماس – بأربع عمليات انتحارية داخل إسرائيل فى كل من القدس وعسقلان وتل أبيب خلال أقل من عشرة أيام (أوائل مارس ١٩٩٦) أسفرت عن مقتل وإصابة عشرات من الإسرائيليين (٦١ قتيلا – ٢٥٠ جريحاً) وبالتالى مبادرة جمهورية مصر العربية بدعوة زعماء العالم لحضور مؤتمر دولى لبحث سبل تحقيق سلام عادل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط إلى جانب مكافحة الإرهاب الدولى (مؤتمر قمة صانعى السلام – شرم الشيخ فى ١٩٩٦/٣/١٣ م) والذى شارك فيه رؤساء وملوك ووفود من ثلاثين دولة خلاف وفد الولايات المتحدة الأمريكية برئاسة " بيل كلينتون ".

وبنظرة متأنية نجد أن الفارق ضئيل بين ما يمكن أن يتحقق للقضية الفلسطينية بصفة عامة ، ولمشكلة القدس بصفة خاصة بواسطة أى من " نيتانياهو " أو " بيرس " ، وذلك لعدة أسباب أهمها أنه حينما يكون الليكود وائتلافه فى الحكم يكون حزب العمل وائتلافه فى المعارضة ، حيث سيراعى كل منهما وجهة نظر الطرف الآخر فى الموضوعات الهامة للدولة ، أى أن كل من الليكود والعمل لن يستطيع تمرير قضية ما

دون موافقة الآخر، وبالتالى سيكون هناك حل وسط حتى يمكن إرضاء جميع الأطراف ، ولا ننسى أن معاهدة السلام التى أبرمت بين مصر وإسرائيل فى مارس عام ١٩٧٩ تمت أثناء تولى الليكود السلطة وكان رئيس الحكومة فى ذلك الوقت الراحل " مناحيم بيجين " (من حزب حيروت أكثر الأحزاب اليمينية تشددا) بينما كان حزب العمل فى المعارضة .

وتشير التطورات إلى إمكانية تجميد اتفاق أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل – فى أى وقت – ارتباطا بتعنت الحكومة الإسرائيلية – سواء تحت رئاسة زعيم حزب العمل أو زعيم الليكود – وإمكانية تصاعد أعمال العنف من الجانبين والتى يقوم بها المعارضون لمسيرة السلام من الفلسطينيين والإسرائيليين ، ولكل جانب أسبابه الخاصة .

ويمكن القول بأن الفلسطينيين لن يوقفوا أعمال المقاومة بالمناطق المحتلة إلا بعد جلاء إسرائيل عن أراضيهم بما فيها القدس الشريف وفقا لقوانين الشرعية الدولية ومبدأ الأرض مقابل السلام فى إطار مؤتمر مدريد . ويشير الموقف الراهن بصفة عامة إلى أن الطريق أمام نجاح المفاوضات والتوصل إلى حل شامل وعادل للقضية الفلسطينية ما يزال مسدودا لتعنت الجانب الإسرائيلى من ناحية وإصرار الجانب الفلسطينى على عدم تقديم أية تنازلات أخرى خاصة بعد كل ما قدمه الرئيس الفلسطينى " ياسر عرفات ".

خاتمة

فى ضوء كل ما سبق ، ومع إصرار إسرائيل على رفض جميع قرارات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية واستهانتها بالرأى العام العالمى ، واستمرارها فى إجراءاتها التعسفية بالمناطق المحتلة بصفة عامة ، وفى القدس بصفة خاصة ، لتحقيق أهدافها الرئيسية المتمثلة فى تفريغ تلك المناطق من العرب والمسلمين من ناحية ، وتغيير معالم القدس وتهويدها من ناحية آخرى ، وارتباطا بالرؤية العربية والإسلامية الواضح أحقيتها فى القدس ، وأن هذه المدينة لابد وأن تكون تحت السيادة الإسلامية ، ورفض أية حلول

تتناقض مع تلك الرؤية أو لا تؤدى إلى تحقيقها باعتبار أن القدس عربية منذ آلاف السنين.

وإذا كان الإيمان بعدالة القضية والتصميم على تحقيق الهدف من أهم الأسس لحل مشكلة القدس إلا أن ذلك وحده لا يكفى ، خاصة وأن سلطات الاحتلال الإسرائيلى قد استطاعت – مع مرور الوقت – تحويل القضية إلى مشكلة لاجئين عرب وليست قضية إسلامية ، وأنه يمكن حل تلك المشكلة بتوطين هؤلاء اللاجئين فى الدول العربية التى يقيمون فيها حاليا .

هذا إلى جانب أنه لا توجد زعامة فلسطينية يمكن أن تفرط فى قضية القدس ، كما أنه من الطبيعى القيام بعمليات تصفية جسدية لكل من يفكر فى التنازل عن المسجد الأقصى ، مع استبعاد قبول العرب والمسلمين استمرار بقاء القدس تحت الاحتلال الإسرائيلى إلى الأبد .

إن تأجيل حل مشكلة القدس إلى المرحلة النهائية للمفاوضات قد أثر – بلا أدنى شك – على الأوضاع بها لصالح إسرائيل التى تستمر فى إجراءات التهويد بشتى الطرق والوسائل التى تعتبرها قانونية – باستخدام القوانين الاسرائيلية ، أو غير القانونية حيث كان الأولى أن تكون مشكلة القدس على رأس قائمة التفاوض فى المرحلة الأولى ، لاسيما أن مفاوضات كامب ديفيد أكدت استعادة الأراضى العربية بما فيها القدس ، مع الوضع فى الاعتبار مواقف المجتمع الدولى إزاء قضية القدس ، والضغوط التى تمارسها إسرائيل بالاستعانة بالولايات المتحدة لمحاولة تحييده ، خاصة فى ضوء الميل الواضح للولايات المتحدة برئاسة " كلينتون " لتأييد المواقف الاسرائيلية وهو ما وضح فى النية لنقل مقر سفارتها من تل أبيب إلى القدس ، خاصة وأن طبيعة المفاوضات بصورتها الحالية وتركيزها على بحث قضايا هامشية تماطل إسرائيل فى تنفيذها بالإضافة إلى تصريحات الاسرائيليين الرسميين فى مختلف المناسبات التى تؤكد على أن القدس موحدة وعاصمة أبدية لأرض إسرائيل .

كما يمكن اتخاذ مجموعة من الخطوات الجادة لمواجهة الإجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس ، وإذا لم تفلح كل الجهود المبذولة لحل قضية القدس بالوسائل السلمية ،

فلا مناص من الجهاد المسلح وفى التوقيت المناسب لرد حقوق العالم الإسلامى فى القدس العربية المسلمة .

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢ - العهد القديم.

٣- العهد الجديد.

٤- أبو بكر محمد الواسطى - فضائل بيت المقدس - تحقيق وتقديم أ. حسون - دار ماجنس للنشر - الجامعة العبرية بالقدس - ١٩٧٩ .

٥- إسحق موسى الحسينى - عروبة بيت المقدس - مركز الأبحاث الفلسطينية - بيروت - يوليو ٩٦٩ .

٦- تاريخ الطبرى - الجزء الثانى .

٧- تقرير اللجنة الدولية المقدم إلى عصبة الأمم عام ١٩٣٠ - منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت ١٩٦٨ .

٨- خيرية قاسمية وآخرون - المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ - معهد البحوث والدراسات العربية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٨ .

٩- دافيد ماكدوال - فلسطين وإسرائيل : الانتفاضة وما بعدها - الهيئة العامة للاستعلامات - كتب مترجمة ٨٠٦ - القاهرة - ١٩٩٣.

١٠- دورى جولد - مستقبل القدس من منظور إسرائيلى - مجلة الدراسات الفلسطينية - بيروت - ربيع ١٩٩٦ .

١١- د . عبد الخالق عبد الله جبة - آثار الانتفاضة على العرب فى إسرائيل وعلى إسرائيل (من ديسمبر ١٩٨٧ حتى سبتمبر ١٩٩٣) - كلية الآداب - سوهاج - جامعة أسيوط - سبتمبر ١٩٩٣ .

١٢- د . عبد المنعم النمر - قضية القدس وموقف مصر منها ومن القضية الفلسطينية - مذكرة مقدمة للمؤتمر الثانى لوزراء الأوقاف المنعقد بمكة - وزارة الأوقاف المصرية - ١٩٨٣.

١٣- الشيخ عبد الحميد السائح - مكانة القدس فى الإسلام - مطبعة الإخوان مورا فتلى (الطبعة الثانية) - القاهرة - ١٩٨٥ .

١٤- د. عبد العزيز الخياط - ندوة القدس فى العقيدة الاسلامية وفى التاريخ - جامعة الأزهر - ٢٩ / ٦ / ١٩٩٦ .

١٥- عز الدين الخطيب التميمى - القدس فى ضوء العقيدة الإسلامية - وزارة الأوقاف الأردنية - ١٩٧٩ .

١٦- على محمد على - فلسطين بين عصبة الأمم المتحدة - سلسلة كتب قومية - العدد ١٩٤ .

١٧- د. فؤاد حسنين على - فلسطين العربية - معهد البحوث والدراسات العربية - قسم البحوث والدراسات الفلسطينية - ١٩٧٣

١٨- محجوب عمر - الانتفاضة تراث وحاضر ومستقبل ظافر - الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين - دار البيادر للنشر والتوزيع ١٩٨٩ .

١٩- محمد نبيل أمين صادق - مسيرة السلام فى الشرق الأوسط .. إلى أين ؟ مصر والنظام العالمى الجديد .. رؤية مستقبلية - جامعة أسيوط - مايو.

(20) Government of Palestine: Statistical abstract of Palestine, 1941.

(21) The Westminister Historical to the Bible, London, 1994 .

(22) The Interpreter's Dictionary of Bible, New York, 1962.

٢٣- أعداد من الصحف المصرية (الأهرام - الوفد ...).

٢٤- أعداد من الصحف والمجلات (هاآرتس - دافار - يديعوت أحرونوت - عل همشمار - حدشوت - هاتسوفيه - معاريف).

٢٥- جرائد الفجر والدستور والرأى الأردنية .

٢٦- صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية .

أطماع الغرب فى القدس
أثناء الحرب العالمية الأولى

دكتور فاروق عثمان أباظة
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر -كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

عندما سيطر الأتراك العثمانيون على الشام فى عام ١٥١٦م ، أصبحت القدس تابعة لهم بعد أن كانت تابعة من قبل لدولة المماليك . وإن أشمل الوثائق التى حددت التقسيمات الإدارية فى الدولة العثمانية هى رسالة تركية عنوانها " قوانين آل عثمان در مضامين دفتر ديوان " وهذا يعنى " قوانين آل عثمان فيما يتضمنه دفتر الديوان " وقد كتب فى هذه الرسالة فى سنة ١٠١٨هـ / ١٦٠٩م "عين على أفندى" الذى كان أمينا للدفتر الخاقانى ، أى أنه كان مطلعا على جميع سجلات الدولة المتعلقة بالأمور الإدارية والمالية ، وقد ورد فى هذه الرسالة أن الدولة العثمانية كانت تقسم فى ذلك التاريخ إلى ٣٢ إيالة منها ١٤ إيالة عربية ومن بينها "إيالة الشام" التى تنقسم بدورها إلى أحد عشر لواءً كان من بينها "لواء القدس الشريف" وكان أمير اللواء يتقاضى ٤٨٥ر٢٥٠ آقجة ، وكان عدد الخيالة المفروضة عليه ٥٠ [١] .

ثم أصدرت الدولة العثمانية حولية رسمية سنوية أطلقت عليها "سالنامة دولت علية عثمانية" ، بمعنى "الكتاب السنوى للدولة العلية العثمانية ". وتشير الحولية الرسمية العائدة لسنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م والتى لم يطرأ بعدها تغير يستحق الذكر على التقسيمات الإدارية المتعلقة بالبلاد العربية ، أنها كانت تقسم آنذاك إلى ٩ ولايات ، ٤ متصرفيات ،

---

[١] ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٠ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١

وكانت إحداها "متصرفيـة القدس الشريف" وهـى متصرفيـة مسـتقلة ، تتخـابر مـع وزارة الداخلية العثمانية مباشرة دون أن تتبع ولاية مـن الولايـات ، وكـانت تضـم أربعـة أقضيـة هى: يافا ، غزة ، بئر السبع ، خليل الرحمـن ، وكـان يتبـع مركـز المتصرفيـة والأقضيـة المذكورة ١١ ناحية ، و ٣٨٤ قرية ومزرعة ، وكانت أهم القبـائل التـى تتبـع قضـاء بـئر السبع هى : عزازمة ، بناها ، جبارات ، ترابين ، حناجرة [٢] .

ومن المعروف أن السلطان محمد الفاتح سمح لليهود بالاستقرار فـى اسـتنبول وكافـة أرجاء الدولة وعين لهم "حاخام باشى" أو حاخام أكبر ، وخلع عليه سلطات واسـعة شـبيهة بتلك التى كان يمارسها بطريرك طائفـة الـروم - علـى كـل يهـود الدولـة ، وعندمـا طُـرد اليهود من أسبانيا فى عام ١٤٩٢م أصدر السلطان بـايزيد الثـانى مرسوما يقضـى بحسـن معاملتهم فى أملاكه . وبلغ النفوذ اليهودى أوجه فى عهد السلطان سليم الثـانى (١٥٦٦ - ١٥٧٤) ثم ما لبث أن انتهى نفوذهم بوفاة سليم الثـانى ، وتولـى مـراد الثـالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥) الذى استبعد حاخام اليهود " ناسى" من الاشتراك فى شئون الدولة وصادر أمواله بعد وفاته فى عام ١٠٧٩ .

ومن الثابت أن الدولة العثمانية حرصت على مدار تاريخها على إرضاء رعاياها من اليهود والنصـارى وإزالـة الفوارق بينهم حتـى مشـاركتهم فـى الإدارة العامــة وتقليدهـم المناصب الرفيعة وإعلاء شأنهم وإثبات حقوقهم . وكان لـنزاع الطوائـف فيمـا بينهـا أسـوأ الأثـر علـى الدولـة العثمانيـة ، إذ استغلت الـدول الأوربيــة الحاميــة للطوائــف خلافاتهــا الطائفية.

وفى عهد الإدارة المصرية للشام أعلن إبراهيم باشا المسـاواة بيـن جميـع الطوائـف : "ومشى الرعايا جميعهم بالسوية النصرانى واليهودى والمسـلم حكـم واحـد" . وعندمـا عـاد العثمانيون إلى بلاد الشام فى عام ١٨٤٠ تابعوا إقرار المساواة بين الطوائف وفقا لما جاء فى خط كلخانة عام ١٨٣٩ : " .... ولكى يكون أهل الإسلام وباقى الملـل الذيـن هـم مـن تبعـة سـلطنتنا السـنية نـائلين مسـاعداتنا هـذه الشـاهانية بـدون اسـتثناء أعطيـت مـن طرفنـا

---

[٢] ساطع الحصرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

Gilb & Bowen : Islamic Society and the West , Vol . I port II , p 217

الشاهانى الأمنية الكاملة بمقتضى الحكم الشرعى لجميع أهالى ممالكنا المحروسة على نفوسهم وأعراضهم وناموسهم [٣] .

وعندما يطالعنا القرن التاسع عشر ، وهو واحد من أهم قرون التاريخ سطوة ونفوذا على العصور الحديثة اللاحقة له ، تبرز قضيتان هامتان ، أولهما المسألة الشرقية التى تمثلت فى عملية التربص بإرث الخلافة العثمانية، التى كانت إمبراطورية شاسعة تمركزت فى قلب العالم من شواطئ بحر قزوين إلى شواطئ المحيط الأطلسى، وضمت أقطارا كثيرة من جنوب أوربا والشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، لكن الوهن أصابها وعجزت وتهيأت كل ممتلكاتها الأوربية والآسيوية والأفريقية لتكون ميراثا للغالبين الأصحاء القادرين . لكن هؤلاء لم يكونوا بعد قد توصلوا إلى اتفاق حول تقسيم الإرث ، رغم نفاذهم إلى الأقاليم والقبائل والعشائر والطوائف فى أملاك الخلافة ، ومن وراء ظهرها وبهذا الشكل بقيت الخلافة كيانا لا يُسمح له بالموت ، ولا يُسمح له بالحياة ، إلى حين تستقر موازين القوة فى أوربا وبالتالى يطلب كل طرف بين الغالبين نصيبه فى القسمة والإرث .

والقضية الثانية التى بدأت تظهر تدريجيا منذ بداية القرن المذكور تمثلت فى المسألة اليهودية ، وهى قضية ديانة تَوَزّعَ أتباعها فى أنحاء الأرض ، ثم أنهم كانوا هدف عداءٍ استفحل خصوصا حول مواضع كثافة التواجد اليهودى فى شرق أوربا وروسيا ، ووقتها كان ٩٠٪ من يهود العالم (وعددهم الإجمالى ١٢ مليونا) يعيشون على تخوم ما بين روسيا وبولندا ، ويتعرضون بين الحين والآخر لغارات دموية تولدها احتكاكات دينية واجتماعية وفكرية . وكان يهود العالم منذ مأساة الخروج مع المسلمين من الأندلس فى عام ١٤٩٢م موزعين بين أوربا وشمال أفريقيا حيث لجأ الكثيرون منهم إلى العالم الإسلامى فى نهاية العهد المملوكى وبداية التوسع العثمانى التاريخى فى العالم العربى .

ومنذ تلك الأيام ، كان الكلام عن العودة إلى فلسطين نداء يتردد على لسان أحد الحاخامات بين حقبة وأخرى ، ولم يكن هناك من يأخذ هذا النداء جَداً ، أو يعلق عليه

---

٣ دكتور عبد العزيز عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سورية ١٨٦٤ – ١٩١٤ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ ، ص ٣١٩ .

بأكثر من أنه حنين يجتر الوهم ، لأن العودة خلط متعسف للأسطورة بالتاريخ ، ثم أنها حتى فى الأساطير مرهونة بإشارات وعلامات لم تظهر بعد على أى أفق .

وقد حاول نابليون بونابرت أن يعزف على الوتر الدينى اليهودى وأساطيره فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بحيث تكون فلسطين وهى حينذاك من أملاك الخلافة العثمانية – التى يتسابق الكل على إرثها – الوطن الموعود والمختار لليهود برعاية فرنسا لتكون نقطة بداية لخططها الإمبراطورية فى قلب أملاك الخلافة العثمانية ، فى وقت كان التنافس الدولى بين فرنسا وإنجلترا على أشده فضلا عن القوى الاستعمارية الأخرى . ومن المحقق أن بعض علماء الحملة الفرنسية بدءوا مبكرا فى الاتصال ببعض حاخامات اليهود فى فلسطين ، مثل "موسى موردخاى" و"جاكوب الجازى". وكانت ورقة نابليون التى أظهرها لليهود أمام أسوار القدس فى عام ١٧٩٩ نداء إلى يهود العالم لم يوزع فى فلسطين وحدها ، وإنما جرى توزيعه آنذاك فى فرنسا ، وإيطاليا ، والإمارات الألمانية ، وحتى فى أسبانيا ، الأمر الذى يشير إلى أن القضية أكبر وأوسع من ظرف محلى واجهه نابليون حينما استعصت عليه أسوار القدس .

كان نداء " نابليون " إلى يهود العالم على النحو التالى :

" من نابليون بونابرت القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية فى أفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين ...

أيها الإسرائيليون ، أيها الشعب الفريد ، الذى لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبه نسبه ووجوده القومى ، وإن كانت قد سلبته أرض الأجداد فقط ...

إن مراقبى مصائر الشعوب الواعين المحايدين – وإن لم تكن لهم مقدرة الأنبياء مثل أشعياء ويرئيل – قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع أن عبيد الله (كلمة إسرائيل فى اللغة العبرية تعنى أسير الله أو عبد الله) سيعودون إلى صهيون وهم ينشدون ، وسوف تعمهم السعادة حين يستعيدون مملكتهم دون خوف ...

انهضوا بقوة أيها المشردون فى التيه . إن أمامكم حربا مهولة يخوضها شعبكم بعد أن اعتبر أعداؤه أن أرضه التى ورثها عن الأجداد غنيمة تقسم بينهم حسب أهوائهم ... لابد

من نسيان ذلك العار الذى أوقعكم تحت نير العبودية ، وذلك الخزى الذى شل إرادتكم لألفى سنة . إن الظروف لم تكن تسمح بإعلان مطالبكم أو التعبير عنها ، بل إن هذه الظروف أرغمتكم بالقسر على التخلى عن حقكم ، ولهذا فإن فرنسا تقدم لكم يدها الآن حاملة إرث إسرائيل ، وهى تفعل ذلك فى هذا الوقت بالذات ، وبالرغم من شواهد اليأس والعجز ...

إن الجيش الذى أرسلتنى العناية الإلهية به ، ويمشى بالنصر أمامه وبالعدل وراءه ، قد اختار القدس مقرا لقيادته ، وخلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة التى استهانت طويلا بمدينة داود وأذلتها ...

يا ورثة فلسطين الشرعيين ...

إن الأمة الفرنسية التى لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل غيرها ، تدعوكم إلى إرثكم بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء ...

انهضوا وأظهروا أن قوة الطغاة القاهرة لم تخمد شجاعة أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان تحالفهم الأخوى شرفا لإسبرطة وروما ، وأن معاملة العبيد التى طالت ألفى سنة لم تفلح فى قتل هذه الشجاعة ...

سارعوا ! إن هذه هى اللحظة المناسبة – التى قد لا تتكرر لآلاف السنين – للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم ، تلك الحقوق التى سُلبت منكم لآلاف السنين وهى وجودكم السياسى كأمة بين الأمم ، وحقكم الطبيعى المطلق فى عبادة إلهكم يهواه ، طبقا لعقيدتكم ، وافعلوا ذلك فى العلن وافعلوه إلى الأبد" .

" بونابارت "

إن ورقة نابليون اليهودية هذه هى الوثيقة التى تستحق الاهتمام فى السياق التاريخى لأنها الأثر الإستراتيجى الباقى فى المنطقة من تلك الأيام وحتى نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين .

إن نابليون بونابرت لم يكن يهوديا ولا كان مواليا لليهود ، لكن ورقته اليهودية - المتمثلة فى ندائه ليهود العالم من خارج أسوار القدس هى التى تعبر عن دوره ودور فرنسا فى مساندة هذا التحرك ، على الرغم أن عدد اليهود فى فلسطين فى ذلك الوقت (عام ١٧٩٩) لم يزد على ألفين ، وبالتحديد وطبقا لتقرير مرفوع إلى نابليون نفسه من مجموعة ضباط استكشاف سبقت جيشه إلى فلسطين ، هو ١٨٠٠ (منهم ١٣٥ فى مدينة القدس) وهؤلاء لم يكن فى مقدورهم مهما فعلوا ، لا أن ينصروه ولا أن يخذلوه ، إنما كانت هذه رؤية القائد الفرنسى الذى كان يملك حسا استراتيجيا نابها وبعيدا حتى أنه من الثابت أن نابليون - بعد عودته من حملة مصر وإعلان نفسه إمبراطورا لفرنسا - حضر اجتماع المحفل اليهودى الأكبر فى سنة ١٨٠٧ فى باريس ، ورسمت لوحة لهذا المحفل ظهرت ضمن مجموعة رأسمالى يهودى هو "إسرائيل سولومون" فى عام ١٨٦٠ وقد سمح ابنه بنشرها ، وظهرت مطبوعة لأول مرة فى سنة ١٨٧١ [٤] . ولا شك أن حضور نابليون اجتماع المحفل اليهودى المذكور يوضح مدى اهتمامه باستقطاب يهود العالم لصالح فرنسا .

لقد أدرك نابليون أهمية مصر التى تتميز بموقعها الحاكم على طريق التوسع الإمبراطورى خصوصا إلى الهند وما حولها وما وراءها ، وأن السيطرة على مصر تعد مقدمة ضرورية لأى قوة تريد أن تتصدى لبريطانيا وتريد أن تتحدى سيطرتها على التجارة وعلى البحار . كما رأى بونابرت أن مصر فى اتصال غير قابل للانفصال مع السهل السورى الذى يشكل معها زاوية قائمة تحيط بالشاطئ الشرقى - الجنوبى للبحر المتوسط - وهذه الزاوية القائمة بضلعها الجنوبى فى مصر تمد تأثيرها بالعرض إلى كل الساحل الشمالى لأفريقيا وبالطول إلى الجنوب حتى منابع النيل ، ثم إنها بضلعها الشمالى فى سوريا تلامس حدود بلاد ما بين النهرين (العراق) وشبه الجزيرة العربية والخليج ، وحتى طرق الاقتراب البرى والبحرى إلى فارس والهند . وكما كان هذا شأن من سبقوه من الفاتحين ، أن من يسيطر على الزاوية الجنوبية من البحر المتوسط لابد أن يمد بصره إلى سوريا ، وهذا ما فعله فراعنة مصر وأباطرة الإغريق وقياصرة الرومان وأكاسرة

---

٤ محمد حسنين هيكل : المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ، الأسطورة والامبراطورية والدولة اليهودية ، دار الشروق ، الطبعة الخامسة ١٠ مايو ١٩٩٦ ، ص ٣١ - ٣٤ .

الفرس ، وهو نفسه ما قام بــه الخلفاء المسلمون فى أعقاب عصر النبوة ، ثم تواصل بعدهم أمراء المؤمنين من الأمويين والعباسيين ، وهو ما نفذه أحمد بن طولون وصلاح الدين الأيوبى وحتى مماليك مصر والأتراك العثمانيون من بعدهم ، أى أنه وعلى طول العصور كان لابد أن تكتمل الزاوية الجنوبية الشرقية للبحر المتوسط لتدخل فى إطار سياسى واحد يجعل كل ضلع منها تأمينا للضلع الثانى ضرورة جغرافية وعبرة تاريخ .

وكان نابليون يرى أنه لكى يضمن عدم التقاء الضلعين عربيا وإسلاميا ، فإنه يزرع عند نقطة التقائهما، أى عند مركز الزاوية شيئا آخر ، لا هو عربى ولا هو إسلامى ، لكن هذا الزرع لا يمكن خلقه من العدم ، وإنما يحتاج خلقه إلى بذور حتى وإن كانت من جينات حفريات الأنثروبولوجيا بحيث يمكن غرسها فى التربة، فإذا جرى ريها وأورق بعضها فحينئذ قد يصعب التمييز بين الأصل والدخيل ، وبين الطبيعى والهجين ، ومن هنا أتت ورقة نابليون اليهودية تصورا للمستقبل ورؤية – ربما لا تتحقق بسرعة – لكنها قابلة للتحقيق فى مستقبل الأيام ... وبها فقد ينشأ وطن يهودى يكون ضمانا إضافيا إذا أمكن ، ويكون عازلا إذا اقتضت الضرورات ، وفى صياغتها فإن صاحبها استخدم مطالب الإمبراطورية ودرس التاريخ وأساطير الأديان القديمة وحولها إلى إستراتيجية . والثابت أن نابليون لم يتخل عن تقديراته الإستراتيجية ، حتى بعد أن اضطر إلى التسلل ليلا من مصر والعودة إلى فرنسا ، وراح يواصل من باريس صراعه للسيطرة على أوربا إلى حيث تجمله جياده وتصل مرامى مدافعه، إلا أنه دعا فى سنة ١٨٠٧ إلى عقد المجمع اليهودى فى "سانهردان" ليحضره كل يهود أوربا ممثلين فى رؤساء طوائفهم إلى جانب مشاهير حاخاماتهم، ليلم "شمل الأمة اليهودية " على حد قوله ، وأن يدعوهم فى القرار الثالث من قرارات المجمع إلى "ضرورة إيقاظ وعى اليهود إلى حاجاتهم للتدريب العسكرى لكى يتمكنوا من أداء واجبهم المقدس الذى يحتاج إليه دينهم" . ولعل ذلك هو الذى أوحى إلى مفكر سياسى شهير مثل "دولاجار" بأن يكتب كتابه اللافت للنظر : "نابليون والعسكرية اليهودية ".

ورغم أفول نجم نابليون فى أوربا عام ١٨١٥ ، فإن الرؤى الاستراتيجية الواسعة للفاتحين الكبار لا تموت بموتهم ، وإنما تبقى فى حافظة التاريخ بعدهم تنتظر غيرهم ممن يجدون الجرأة والجسارة على استعادتها من جديد جزئيا أو كليا . وهذا ما جعل حلم جمع

الزاوية الشرقية – الجنوبية من البحر المتوسط بضلعيها المصرى والسورى ، يتحقق على يد محمد على فى العقد الرابع من القرن التاسع عشر . ويمكن أن يكون محمد على قد توصل إلى ذلك بحسه إلى الضرورات التى تجمع بين مصر وسوريا ، ومن المحتمل أن الفكرة وصلت إليه بوحى مباشر أو غير مباشر من "سليمان باشا الفرنساوى" الذى كان أحد ضباط نابليون ثم أصبح فيما بعد رئيسا لأركان حرب إبراهيم باشا ابن محمد على وقائد جيوشه .

ويأتى الحديث عن الدور البريطانى الذى دحر خطط بونابرت وتبنى بالكامل رؤاه وأمسك أكثر بإمكانياتها وراح يمهد الأرض لتحقيقها لاحقا بالعدو الفرنسى وسابقا له . وكان "بالمرستون" شأنه شأن ساسة جيله فى ذلك الوقت ، يعرف ما فيه الكفاية عن المسألة اليهودية ، وبالطبع فإنه كوزير لخارجية بريطانيا ثم رئيس لوزرائها كان مشغولا بالمسألة الشرقية ، لكن أوراقه لا تُظهر أنه ربط بين المسألتين إلا بعد أن قام به نابليون. والوثائق البريطانية حافلة بالشواهد على تطور فكر رئيس وزراء بريطانيا حتى وصل إلى تحديد ثلاثة أهداف للسياسة البريطانية فى الشرق الأوسط ، أولها إخراج محمد على من سوريا لفك ضلعى الزاوية المصرية – السورية ، وثانيها حصر محمد على داخل الحدود المصرية وراء صحراء سيناء وتحويل هذه الصحراء إلى نوع من "سدادة الفلين" تقفل عنق الزجاجة المصرية التى يمثلها وادى النيل ، والتشبيه من خطاب اللورد روتشيلد الذى كان من أكثر يهود الغرب الأغنياء المتأزمين من موجات هجرة يهود الشرق إلى غرب أوربا وأشدهم حماسة على "تصدير الفائض" منهم إلى فلسطين ، وثالثها قبول وجهة النظر القائلة بفتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود إليها وتشجيعهم على إنشاء شبكة من المستعمرات الاستيطانية فيها ليكون منها ذات يوم عازل – يحجز مصر عن سوريا ويمنع لقائهما فى الزاوية الإستراتيجية الحاكمة . وكانت أهداف "بالمرستون" تلقى تأييدا ومساندة من اللورد "ويلنجتون" قائد الجيوش البريطانية وقاهر نابليون فى "واترلو" . ومن الملاحظ أن كثيرا من التقارير فى الوثائق البريطانية تشير إلى أن "ولينجتون" هو صاحب نظرية مواجهة محمد على ، على ثلاث مراحل : إخراجه من سوريا ، واحتواؤه فى مصر ، وإنشاء عازل حاجز بين البلدين .

وبعد أن نجحت بريطانيا فى إعادة محمد على إلى مصر وانسحابه من الشام عقب معاهدة لندن فى ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ فقد كتب "بالمرستون" رسالة إلى سفيره فى استنبول : "أن يسعى لإقناع حاشية السلطان والسلطان نفسه بأن محمد على قد يحاول مرة أخرى – أن يدخل فى مواجهة مع السلطان – وإذا تركت له الفرصة فإنه سوف يعود مرة أخرى إلى دمشق ويعلن فيها تأسيس خلافة جديدة تعيد ذكريات الخلافة الأموية ويدعو العرب منها إلى إنشاء إمبراطورية كبيرة تجمعهم وتؤثر على الموازين فى الشرق الأدنى والبحر المتوسط ، وسوف تتكفل هذه الإمبراطورية إذا قامت بتهديد تركيا وربما إنهاء وجودها كدولة ، والحل السريع الممكن هو إقامة عازل بين الدولة العثمانية وبين طموحات محمد على أو خلفائه ، وعلى السلطان وحاشيته أن يدركا أن مطامع محمد على لا تقتصر فقط على شرق البحر المتوسط وإنما تمتد مطامعه أيضا إلى البحر الأحمر وحتى عدن لكى يؤكد سيطرته الإمبراطورية . إن العازل الذى يمكن التفكير فيه هو توطين اليهود فى فلسطين لأن ذلك يجعل منهم شوكة فى خاصرة محمد على تمنعه من تهديد تركيا من ناحية ، كما تردعه عن العربدة فى البحر الأحمر كما يحلم . إن الحكومة الإنجليزية سوف تكون مستعدة إذا ما قبل السلطان بمشورتها أن تضع المستعمرات اليهودية فى فلسطين تحت حمايتها لكى يكون ذلك تحذيرا دائما لمحمد على حتى يرتدع عن تهديد الدولة العلية".

ثم يعود بالمرستون بعد ذلك بشهرين فيكتب إلى سفيره فى عاصمة الدولة العثمانية : "عليك أن تلح على السلطان أنه سوف يستفيد فائدة كبرى إذا ما قام بإغراء وتشجيع اليهود المبعثرين فى أوربا بالذهاب والتوطن فى فلسطين . إن السلطان سوف يدرك أن اليهود فى فلسطين سوف يطلبون نوعا من الأمان الحقيقى والملموس ، ولا ترى الحكومة الإنجليزية مطالبته بأن يتحمل عبء هذا الأمان ، ولذلك فنحن نقترح أن يكون فى استطاعة هؤلاء اليهود أن يعتمدوا على حماية إنجلترا وأن يكون من حقهم أن ينقلوا شكاواهم إلى الباب العالى عن طريق السلطات الإنجليزية" . ومن المثير للتأمل أن عدد اليهود فى فلسطين آنذاك فى نهاية عام ١٨٤٠ كان ٣٢٠٠ نسمة فقط وكانت لندن تمشى

على خطى باريس ، وكان بالمرستون يقتفى أثر نابليون . ومن سوء الحظ أن الذين يعنيهم الأمر فى المنطقة لم يكونوا واعين لما يدبر لهم [٥] .

لم تكن السياسة البريطانية تهدف فقط إلى الفصل بين مصر والشام وزرع وطن قومى لليهود فاصلا بينهما عند نقطة الاتصال بين ضلعى الزاوية الإستراتيجية الكبرى فى جنوب شرق البحر المتوسط . وإنما كانت تضاف إلى ذلك مطالب تأمين خطوط المواصلات الإمبراطورية مع الهند ، ومنها مطالب السيطرة على طرق التجارة البحرية ، ومطالب الصراع على البحرين المتوسط والأحمر ، ومطالب لندن فى تأكيد مركزها المالى والتجارى الحاكم . ومع ذلك فإن هذه المطالب كلها – وهى حقائق واقعة – لا تنفى أنه فى تلك الفترة من منتصف القرن التاسع عشر كان فصل مصر عن سوريا وإنشاء عازل بينهما ، مطلبا من أهم مطالب السياسة البريطانية . وهذه عملية تواصلت خطاها ظاهرة وواثقة على خط ممتد من معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ وحتى صدور وعد بلفور سنة ١٩١٧ . وفى تلك الفترة تم لبريطانيا تمهيد الأرض لسوريا أخذا فى الاعتبار أن فلسطين فى ذلك الوقت كانت بأكملها ولاية من ولايات الشام .

على أن سلسلة الحوادث الكبرى التى وقعت فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر فى مصر وحولها وبالذات فى فلسطين لم تكن مصادفة وإنما حدثت نتيجة لأفكار وخطط وصراعات مصالح وقوى تطلب التفوق والغلبة . ومن هنا كان قيام "دزرائيلى" بمساعدة "روتشيلد" بشراء الحصة المصرية فى شركة قناة السويس ، وتم تدبير أربعة ملايين جنيه ذهبا ونقدا وعدا لإتمام الصفقة بأسرع ما يمكن قبل أن يغير خديوى مصر رأيه أو يتسرب سر الصفقة إلى آخرين . وفى عام ١٨٧٧ كانت أسرة روتشيلد تمول إنشاء أول مستعمرة استيطانية لليهود فى فلسطين على مساحة ٢٢٧٥ فدانا وهى مستعمرة "بتاح تكفاه" وفى نفس السنة كانت الحكومة الإنجليزية تطلب من السلطان السماح لها بإنزال قوات عسكرية فى قبرص لأن تلك ضرورة عسكرية لمراقبة ما يجرى فى سواحل الشام عن بعد ، وذلك تطبيقا لاتفاقية "المساعدة" الإنجليزية التركية التى عقدت بعد انتهاء حرب القرم ، والتى تعهدت إنجلترا للسلطان بمقتضاها أن تحمى ممتلكاته الشرقية . وكانت

---

٥ محمد حسنين هيكل : المرجع السابق ، ص ٤٥ – ٤٦ .

قبرص هي الموقع المثالي لمراقبة ومتابعة ما يجرى فى كل من مصر والشام . وفى سنة ١٨٨٢ تذرعت الحكومة الإنجليزية بوجود قلاقل فى مصر بقيام ثورة عرابى ، واتخذ مجلس الوزراء الإنجليزى قرارا يخول قائد القوات البريطانية اللورد "ويلسنتى" باحتلال مصر وقمع الثورة العرابية ، وكانت التكأة التى استند عليها القرار البريطانى هى خروج عرابى باشا عن طاعة خديوى مصر ومن ثم حقوق السلطان .

وفى نفس السنة التى تم فيها الاحتلال البريطانى لمصر قام البارون " إدموند روتشيلد " بتنظيم أول هجرة جماعية يهودية إلى فلسطين ، وبهذه العملية فإن تعداد اليهود فى فلسطين ارتفع من ثمانية آلاف إلى ٢٤ ألفا . وفى نفس الوقت كانت أسرة روتشيلد قد بدأت فى جمع تبرعات ومساهمات طائلة لشراء أراضٍ فى فلسطين ، وكانت الواجهة الظاهرة لهذه العملية مؤسسة للاستثمار فى مجال الأراضى الزراعية فى المشرق العربى. وفى ظرف عشر سنوات تم إنشاء العديد من المستعمرات الكبيرة وعددها عشرون مستعمرة ومستعمرات أخرى صغيرة شملت الأردن شرقا وغربا فى أراضى فلسطين .

وفى هذا المسرح ظهر دور "تيودور هيرتزل" المولود فى فيينا والذى كان يعمل فى مجال الصحافة واتصل بالمسألة اليهودية عن طريق جمعيات ومنظمات فكرية وثقافية تعنى بهذه المسألة . ولم يكن "هيرتزل" وحيدا فى ميدانه ، فقد سبقه وأحاط به جمع لا يستهان به من المفكرين والدعاة اليهود الذين رأوا الفكرة مثله ، وإن لم يقدروا على تحديدها والتبشير بها صراحة وعلنا . وكانت ميزة هيرتزل على قرنائه الآخرين فى زمانه أنه استطاع استيعاب مجمل الظروف الإستراتيجية ورأى أن اللحظة مناسبة لكى يتخلى العمل اليهودى عن سواتره بما فى ذلك التبشير والهجرة الخيرية ، وأن يدخل مباشرة وبقوة إلى عالم الحقائق السياسية ، فكان مؤتمر بال فى عام ١٨٩٧ مؤسسا للحركة الصهيونية العالمية .

وفى سنة ١٩٠٤ دعت إنجلترا إلى عقد مؤتمر على شكل حلقات دراسية تُمثل فيه الدول الاستعمارية فى ذلك الوقت بحضور بعض خبرائها وأساتذتها الجامعيين لدراسة الأسباب التى يمكن أن تكفل للاستعمار أطول فترة ممكنة من البقاء . وعلى هذا النحو جاء تقرير كامبل باترمان رئيس وزراء بريطانيا يدعو إلى تجزئة سوريا بقوله: "إن

الخطر الذى يهدد الاستعمار الغربى يكمن فى البحر المتوسط الذى يضم على سواحله الشرقية والجنوبية شعباً واحداً يتميز بكل مقومات الوحدة والترابط بما فى ذلك أراضيه من كنوز وثروات تتيح لأهلها مجال التقدم والرقى فى طريق الحضارة والثقافة ، وكذلك ينبغى العمل كوسيلة عاجلة بالتوصية التالية : وهى فصل الجزأين الأفريقى والآسيوى فى هذه المنطقة أحدهما عن الآخر ، وإقامة حاجز بشرى قوى وغريب فى نقطة التقاء الجزئين يمكن للاستعمار أن يستخدمه أداة لتحقيق أغراضهم [٦] .

وكان تنفيذ هذه الخطة من الناحيتين العسكرية والسياسية يعنى تفتيت الأمانى القومية العربية الناشئة فى الشام والباحثة عن استقلالها الذاتى بعيدا عن الأتراك أو أى دولة استعمارية أوربية ، ليس هذا فحسب بل وقبل أن تفيق الأمة العربية من هذه الضربة يكون الاستعمار قد أوجد ما يكفل له هذا التقسيم والتقطيع فى أوصال هذه الأمة وأراضيها [٧] .

ولما كانت الدولة العثمانية هى صاحبة الخلافة والسلطان على ذلك الجزء – الشام والعراق والجزيرة العربية – وبها الأماكن المقدسة فى الحجاز وفلسطين ، وكما كانت إنجلترا ترى أن الدولة العثمانية من الممكن– إذا تحالفت مع أية قوى معادية – أن تهدد المصالح البريطانية فى نقطتين هامتين أولهما قناة السويس المدخل الشمالى للبحر الأحمر، وثانيهما طريق الخليج الفارسى ، حيث آبار النفط الهامة التابعة للشركة البريطانية الفارسية [٨] . ومن ثم بدأت إنجلترا بإجراء دراسة متأنية لسياسة الأتراك وتحركاتهم قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤ مع العمل على اتخاذ ما يكفل تجنب مثل هذه المخاوف من قِبَل الأتراك.

وما أن نشبت الحرب العالمية الأولى ووقفت الدولة العثمانية إلى جانب دول الوسط ، حتى أرسل السير آرثر هرتزل S. A. Hertizel من قسم الشئون السياسية بوزارة الهند

---

٦ دكتور حسن صبرى الخولى : فلسطين بين مؤمرات الصهيونية والاستعمار ، إدارة الإعلام والنشر ، القاهرة ، ص٩.

٧ دكتور محمد عصمت شيخون : سورية وقضية فلسطين ١٩٢٠ – ١٩٤٩ ، دمشق ، ١٩٨٢ ، ص ٥٠ .

8 Rathwell, V. H. : Misopotamia in British (1) War Aims 1914 - 1918 , The Historical Journal III, London 1970 P. 273,274.

فى اليوم الثانى من سبتمبر سنة ١٩١٤ مؤكدا على ضـرورة "إحكام السيطرة البريطانية على الخليج الفارسى حتى لا يؤدى ذلك إلى نجاح الدولة العثمانية فى إثارة مسلمى الهند ضد الإمبراطورية البريطانية" ٩ ، ومن ثم فقد جهزت الحكومة البريطانية حملة عرفت باسم الحملة الهندية بقيادة الكولونيل ديلامين W. S. Delamin ليصل إلى شط العرب فى اليوم الخامس من نوفمبر سنة ١٩١٤ ١٠ ، كما جهزت بريطانيا حملة أخرى اتخذت من مصر قاعدة انطلاق لها عبر سيناء بقيادة الجنرال أرشيبالد مرى Archibald Murray بدأت تحركها للسيطرة على فلسطين والشام عموما وتحركت عام ١٩١٦ وخلفه عليها الجنرال اللنبى Allenby الذى استطاع الوصول إلى غزة حيث صدر وعد بلفور فى اليوم الثانى من نوفمبر ١٩١٧ ثم تمكن من دخول القدس فى اليوم التاسع من ١٩١٧ ثم دمشق بعد ذلك فى عام ١٩١٨ ١١ ، فكان ذلك بداية النهاية للدولة العثمانية ، وانتقلت الإدارة فى القدس آنذاك من السلطة العثمانية إلى السلطة البريطانية . وكان جيش الشريف حسين بقيادة ابنه فيصل يتجه شمالا إلى سوريا، حيث استثمره اللنبى كجناح أيمن أثناء تقدمه عبر فلسطين ثم سوريا ليدفع عنه أية هجمة تركية من جهة البحر الأحمر ١٢ .

وقد انضمت إلى قوات الجنرال اللنبى قوة تشكلت من متطوعى اليهود قوامها من ٥٠٠٠ إلى ٥٥٠٠ مقاتل وعرفت باسم فيلق اليهود" ، كان هدفها كما رسم زعماء الحركة الصهيونية مساعدة القوات البريطانية فى تخليص فلسطين من أيدى الأتراك . غير أن الحقيقة الباطنة هى استخدام هذه القوة اليهودية فى المساومة السياسية مع بريطانيا من أجل إنشاء الوطن القومى ، ولتكون نواة الجيش الذى يتولى حماية الكيان الصهيونى فى فلسطين بعد عودتهم مصقولين بخبرة هذه الحرب . وقد وصل هذا التشكيل العسكرى اليهودى إلى فلسطين لينضم بعدها إلى الجيش البريطانى تحت اسم "فرقة المشاة الملكية"

---

9 Marlow J. The Persian Gulf in the 20*th* Century , London, 1926, P. 44.

١٠ دكتور فاروق عثمان أباظة : مستقبل الجانب الشرقى من الدولة العثمانية فى نظر حكومة الهند البريطانية فى بداية الحرب العالمية الأولى ، دار المعارف بالإسكندرية ، ١٩٨٦ ، ص ١٦ .

11 Wavell : The Palistine Campaigns , New York , 1922, P .40.

١٢ أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى – أسرار ومأساة الشريف حسين ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، الجزء الثانى ، ص ٢١٣.

[١٣] . وقد بالغ بعض المؤرخين فى الدور الذى لعبه الفيلق اليهودى فى الحرب البريطانية التركية فى فلسطين غير أن الأحداث أكدت أن وصولها إلى منطقة الملاحة بواحة الأردن فى منتصف عام ١٩١٨ فى وقت كانت العمليات فيه قد بدأت تهدأ إلى أن تم انتهاؤها رسميا فى الحادى والثلاثين من أكتوبر عام ١٩١٨ [١٤] .

وهناك دور آخر لعبه اليهود لخدمة الإنجليز عن طريق التجسس لحسابهم قبل الحرب وبعد نشوبها ، حيث أمدوهم بالمعلومات اللازمة عن تحركات الأتراك . وقد لعب يهود فلسطين وسوريا الدور الرائد فى هذا المضمار باعتبار أن القدس كانت مركزا لكبار ضباط الأتراك ومنها يشرفون على التحركات والاستعدادات العسكرية أثناء الحرب العالمية الأولى [١٥] . وقد تم هجوم البريطانيين على القدس فى اليوم الثامن من ديسمبر سنة ١٩١٧ حيث حوصرت المدينة وطوقت من ثلاث جهات من الشمال والشرق والغرب، وقد حاولت الحامية التركية فى القدس القيام بهجمات وغارات مضادة خلال العشرة أيام الأخيرة قبل سقوط القدس لمشاغلة القوات البريطانية المحاصرة للمدينة ريثما تصل الإمدادات التركية ، ومن جهة أخرى صرفا لنظر القوات البريطانية عما كان يتم من تحصين للتلال الواقعة غرب القدس . غير أن اللبنى استثمر هذه الهجمات فى إنهاك الجزء الأعظم من قواهم الاحتياطية والتى كان من المفروض أن تظل فى خنادقها ثابتة لرد الغارات التى توجه إليها ، ومن جهة أخرى قام بتحسين الطرق المتجهة جنوب وغرب القدس لتتحمل سير المدافع عليها ، كما تم إحضار الذخيرة وإمدادات المياه [١٦] .

وقد أيقن الأتراك فى القدس أنهم خسروا المعركة ، وعلى ذلك قرروا الانسحاب من القدس حرصا على سلامة وصيانة المقدسات من كل أذى ، وكلفوا رئيس البلدية حسين سليم الحسينى وأعيان المدينة الذين اجتمعوا فى دار المتصرف أن يسلموا المدينة إلى الإنجليز فيدخلوها سلما . وفى صباح اليوم التاسع من ديسمبر ذهب رئيس بلدية القدس وبعض الأعيان إلى حى الشيخ بدر غرب المدينة ، وهم يحملون العلم الأبيض وسلموا

---

[١٣] محمود سعيد عبد الظاهر : الصهيونية وسياسة العنف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٩، ص ١٢٣.

١٤ سهام نصار : اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية ، دار الوحدة ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٢٤- ٢٥ .

١٥ محمود سعيد عبد الظاهر : المرجع السابق ، ١٢٣.

16 Wavell : The Palistine compaigns, P. 166

المدينة رسميا فى الظهيرة للجنرال "شيا Shea " قائد الفرقة الستين [17] ، وقد أشار فى وثيقة التسليم إلى أن الحكومة العثمانية قد حافظت على الأماكن المقدسة "ولهذا فهم يأملون أن تكون المعاملة من قِبَلكم (أى قِبَل البريطانيين) على هذا الوجه" [18] .

وعلى أية حال ، فقد غادر آخر جندى تركى عثمانى القدس، صباح اليوم التاسع من ديسمبر سنة ١٩١٧ باتجاه أريحا ، كما اتجه آخرون جهة نابلس ، لينتهى بذلك الحكم العثمانى الذى دام زهاء أربعة قرون . وقد تعرضت قوات الحملة لمقاومة عنيفة من مؤخرة الحامية العثمانية عند جبل الزيتون ولكن الإنجليز تغلبوا عليها بعد اشتباك بالحراب ، وما أن بدأ توافد الجنود البريطانيين على القدس حتى استقبلهم السكان وبعض السيدات الأمريكيات بالترحاب ، ثم تبع ذلك وصول اللنبى فى الحادى عشر من ديسمبر سنة ١٩١٧ من الباب المعروف بباب الخليل وقد ترك سيارته ودخل على قدميه وخلفه أركان حربه وبعض الضباط الفرنسيين الذين شاركوا فى الحملة [19] ، ثم دعيت الجهات المسئولة بموجب بطاقات خاصة من رؤساء الأديان والمجلس البلدى والوجهاء وكبار الموظفين وممثلى القرى للاجتماع فى الساحة الواقعة بين القلعة قرب باب الخليل لاستقبال اللنبى وتحيته والاستماع إلى خطابه الذى سيلقيه من فوق منصة أقيمت له أمام مدخل القلعة الرئيسى . فما أن وصل موكب اللنبى إلى الساحة حتى انطلقت الأكف بتصفيق له هدير عظيم ، وترجل اللنبى ورهطه عن خيولهم ثم صافح مفتى القدس الشيخ كامل الحسينى ورئيس بلديتها حسين سليم الحسينى وبطاركة المسيحيين وحاخام اليهود ، وقد أخذت أجراس الكنائس برمتها تقرع فرحا بسقوط القدس ، ومن جملتها الكنائس الألمانية وكأن ما خسرته ألمانيا سياسيا بهذا السقوط يعزيها بعودة البلاد المقدسة دينيا إلى أيدى المسيحيين [20] .

---

١٧ وداد فارس مالك : الحركة الصهيونية وصداها من عام ١٩١٧- ١٩٢٦ ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ١٩٧٥، ص ١٠٩.

١٨ عارف العارف : تاريخ القدس ، دار المعارف بمصر ، ص ١٣٧- ١٣٨.

١٩ عارف العارف : المرجع السابق ، ص ١٣٨.

٢٠ محمد كرد على : خطط الشام – الجزء الثالث – دمشق ١٩٢٥ ، ص ١٤١.

ومهما كان من وصف لما حدث من استقبال للقائد البريطاني اللنبي عند دخوله إلى القدس فلقد أشار بيده إلى جمهور المجتمعين ، ثم صعد إلى المنصة وأخذ يلقي خطابه المرتقب ، على حين كان الجنرال جلال باشا ملازما له ليقوم بالترجمة إلى العربية ، وما أن بدأ خطابه حتى قوبل بالتصفيق ، غير أنهم ما لبثوا أن توقفوا عندما تحدث في خطابه عن الحروب الصليبية على القدس ، خاصة عندما أنهى خطابه بقوله :"اليوم انتهت الحروب الصليبية" ، في حين أغفل دور العرب ولم يشر إليهم بكلمة واحدة ، فضلا عما بدا عليه من غطرسة ولهجة قاسية وهو يلقي كلمته [21] ، كما أنه لم يسمح برفع العلم العربي على فلسطين [22] ، وعلى ذلك فقد تعالت أصوات الاعتراض والتساؤل "هل سقط بيت المقدس في أيدي الأفرنج بعد أن خرجوا منها في الحروب الصليبية منذ ثمانمائة وتسع عشرة سنة" [23] ، ولهذا فقد استقر رأي المفتي وبعض الأعيان على الخروج من هذا الاجتماع ، فما أن أنهى اللنبي كلمته حتى انسحبوا دون أن يصافحوه احتجاجا على ما قاله ، ولم يكن الاحتفال قد انتهى ، ولم يكن اللنبي قد غادر منصة الخطاب بعد [24] .

وقد أعلن اللنبي في خطابه في مدينة القدس الأحكام العرفية وأكد أنها نافذة المفعول ما دام ثمة ضرورة حربية "ولئلا ينالكم الجوع كما نالكم على يد الأتراك ، أريد أن أخبركم أني أرى كل واحد منكم قائما بعمله وفقا للقانون ودون أن يخشى أي تدخل من أي شخص كان" ، كما أكد على صيانة الأماكن المقدسة لجميع الطوائف بقوله : "أود أن أحيطكم علما بأن جميع المعابد والأماكن المقدسة ستصان وفقا للعنعنات المرعية وبالنسبة إلى تقاليد الطوائف التي تملكها" [25] . وما أن أتم اللنبي هذا الإعلان حتى قامت حامية هندية بوضعه على الحرم الشريف بعد أن كُتب بعدة لغات [26] . كما كان من أوليات الأعمال البريطانية عقب دخول البريطانيين إلى القدس مباشرة أن أقاموا عند مدخلها الغربي نُصبا من الرخام الأبيض تذكارا لدخولهم القدس ونقشوا عليه اسم اللنبي والتاريخ

---

٢١ صبحي ياسين : الثورة العربية الكبرى في فلسطين – القاهرة ١٩٧٢، ، ص ٢٠.

٢٢ وداد فارس مالك : المرجع السابق ، ص ١١.

٢٣ محمد كرد علي : المرجع السابق ، الجزء الثالث ، ص ١٤٩.

٢٤ صبحي ياسين : الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٢٠.

٢٥ عارف العارف : تاريخ القدس ، ص ١٣٨.

26 Wavell : Allenby Soldier and Stateman , London 14945 ,.P194.

الذى أُحتلت فيه المدينة على يده ، وأنشأوا حول النصب حديقة وأرادوا أن يرفعوا على النصب صليبا ، إلا أنهم عدلوا عن ذلك استجابة لرغبة اليهود فوضعوا الصليب بشكل لا يراه الناظر من بعيد [٢٧] .

وعندما ترامت أخبار دخول اللنبى إلى القدس إلى مجلس الحرب فى لندن ، أبرق إلى اللنبى مهنئاً إياه على هذا الإنجاز ، ولكنه فى نفس الوقت طلب منه السرية التامة حتى يعلم هذا النبأ فى مجلس العموم البريطانى ، إذ أن سقوط القدس جاء محققا للأهداف البريطانية ، وكما أشيع آنذاك أن لويد جورج رئيس الحكومة البريطانية قد حصل بسقوط القدس على هدية عيد الميلاد .

وقد اجتاحت العالم المسيحى فرحة غامرة باستعادة الأماكن المقدسة من قبضة المسلمين الأتراك ، وقد اعتبروا انتزاعها خطوة فى سبيل زعزعة وإذلال الخلافة الإسلامية العثمانية بعد أن تم إخراج قواتها من المدينتين المقدستين مكة والمدينة . وأحدثت حركة الشريف حسين التى عُرفت بالثورة العربية "جُرحا لا يندمل فى جسد الدولة العثمانية واستمرت تعمل لاستنزاف المزيد من قوة الأتراك آنذاك [٢٨] ، إذ بلغت خسائر الأتراك فى الفترة من ٣١ أكتوبر سنة ١٩٧١ ـ وهو تاريخ سقوط بئر سبع ـ وحتى سقوط القدس فى التاسع من ديسمبر من نفس السنة نحو ٢٥ ألف من القتلى و١٢ ألف من الأسرى ، وأعداد ضخمة من الغنائم المادية منها ١٠٠ مدفع من أنواع متعددة ، عدا المدافع الرشاشة ، وأكثر من ٢٠ مليون طلقة ذخيرة من طلقات البنادق ، و٢٥٠ ألف من طلقات المدافع وأكثر من ٢٠ طائرة قد حطمتها وحدة الطيران الملكى أو احترقت عند محاولة الأتراك تجنب الوقوع فى الأسر [٢٩] ، كما أن معظم أسرى الأتراك كانوا من العرب الذين لم يقاتلوا بل استسلموا للجيش المهاجم تجاوبا مع حركة الشريف حسين ، كما بلغ إجمالى الخسائر البريطانية منذ سقوط العريش وحتى سقوط القدس نحوا من ١٨ ألف قتيل و٣ آلاف أسير [٣٠] .

---

[٢٧] عارف العارف : تاريخ القدس ، ص ١٣٩ .

[٢٨] بسام العسلى : الماريشال اللنبى ١٨٦١ – ١٩٣٦ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٣، ص ١٣٠.

29 Wavell : The Palestine Campaigns , p, 127 .

[٣٠] عمر الديراوى : الحرب العالمية الاولى – دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٥٠٣ .

وبسقوط القدس أصبح أمام القوات البريطانية مصدران مـن مصـادر الإمـداد ، الأول من البحر عبر يافا ، والثانى من شرق الأردن ، ولم تعد هناك حاجة ماسة للحصول علـى الإمدادات فيما حول المدينة . وبناء على هذا التيسير فى الإمداد بدأ اللنبى يضع خطته فى ٢٠ -٢١ ديسمبر لتأمين مدينة القدس ضد أية محاولات من جانب الأتـراك لاسـتردادها . وعلى الفور ثبت اللنبى الفرقة الستين أمـام القدس ، كمـا وزع قواتـه مـن الفرقتيـن ٧٤، ١١٠ على مدى خمسة كيلومترات من شمال القدس ، وقد أدى ذلك إلـى إجبـار الأتـراك على الانسحاب شمالا ، وتقدمت بعد ذلك الفرقة الثانية والخمسون لمتابعتهم حتى وصولهم قرب يافا ، كما قـامت الطـائرات البريطانيـة بقصـف المواقـع التركيـة الممتدة مـن شـمال القدس وحتى شمال يافا ، كما قدم الأسطول البريطانى الدعم اللازم بقصـف هـذه الجهـة ، حتى كاد الأتراك أن ينهزموا لـولا وصـول المدد إليهم فتوقفت القـوات البريطانيـة عـن ملاحقتهم ، وعليه فقد تمكن الأتراك من الانسحاب بعد أن خسروا فى هذا الهجـوم حوالـى ألفا من جنودهم ، كما تم أسر ٥٥٠ جندياً منهم [٣١] . ونظرا لظـروف الطقس السيئة فـى شهر ديسمبر سنة ١٩١٧ وبعد أن بلغت القوات البريطانية أقصى درجاتها من الإنهاك بعد هذه العمليات المتلاحقة ، فقد بات من المحتم على اللنبى أن يوقف العمليات الحربية مؤقتـا حتى يحصل على ما يلزمه من تجهيزات لاستئناف العمليات الهجوميـة وقواتـه فـى كـامل عددها وعدتها [٣٢] .

ومن المعروف أن القوات العربية التى كانت تابعة للشريف حسين ستواصل مهمتهـا للوصول إلى دمشق حيث ستلحق بها القوات البريطانية بقيادة اللنبـى الـذى سيقوم بزيـارة مدينة دمشق فى اليـوم الثـالث مـن أكتوبـر سـنة ١٩١٨م عقـب دخـول القـوات البريطانيـة والعربية لها فى اليوم الأول من نفس الشهر ، وقـد نـزل بفنـدق فيكتوريـا ثـم وصـل بعـده بقليل الأمير فيصل بن الحسين ليلتقـى الرجـلان وجهـا لوجـه ولأول مـرة ، وعلـى الفـور شرع الرجلان فى تداول الموقف العسكرى عن طريق لورانس الذى تولى عملية الترجمـة فيما بينهما [٣٣] .

---

٣١ بسام العسلى : المرجع السابق ، ص ١٣١.

32 Wavell : Allenby Soldier and Stateman, P. 194 .

٣٣ خيرية قاسمية: الحكومة العربية فى دمشق بين ١٩١٨-١٩٢٠، دار المعارف بمصر، ١٩٧١، ص ٥١.

وقد أكد اللنبى فى حديثه على أن الأراضى التى تم تحريرها من الأتراك فى سوريا والتى تعرف باسم أراضى العدو المحتلة Occupied Enemy Territory ستخضع خضوعا مباشرا لإدارته العسكرية باعتباره القائد الأعلى للعمليات العسكرية التى لم تنته بعد وذلك على الرغم من تقسيم المنطقة إلى ثلاث مناطق إدارية على النحو التالى :

أ- المنطقة المحتلة الشرقية : وتضم المنطقة الواقعة من شرق الأردن بداية من العقبة وحتى دمشق والتى تضم لواء الكرك وحوران وعجلون فى شرق الأردن ودمشق وعمان حتى القسم الجنوبى من حلب ، على أن يتولى الأمير فيصل بن الحسين هذه المنطقة .

ب- المنطقة المحتلة الغربية : وتضم لبنان وكل المنطقة الساحلية من سوريا ومن عكا وحتى الاسكندرونة وقد وضعت تحت الإدارة الفرنسية .

ج- المنطقة المحتلة الجنوبية : وتضم المنطقة الواقعة غرب الأردن التى تتضمنها فلسطين وقد وقعت تحت الادارة العسكرية البريطانية [٣٤] .

ومن الملاحظ أن اللنبى فى حديثه مع فيصل بن الحسين كان حريصا على أن يضع اتفاقية سايكس - بيكو فى عام ١٩١٦ موضع التنفيذ الفعلي دون إشارة صريحة لها ، ولم يكن هذا بالشئ الجديد فقد كان اللنبى حريصا منذ توليه القيادة العامة فى يونيو ١٩١٧ على اتخاذ كل ما يكفل تنفيذ اتفاقية سايكس - بيكو بناء على توصية كل من "لويد جورج" رئيس الوزراء "وكلايتون" وزير الخارجية البريطانية ، ومن ثم فقد راح يتفق والأمير فيصل بن الحسين على أن من يحرر من كلا الفريقين البريطانى أو العربى منطقة ما تؤدى إليه إلى أن يبحث مؤتمر الصلح الذى سينعقد بعد الحرب فى أمرها .

وكان يتيح هذا الاتفاق للقوات العربية وحدها دخول المناطق الداخلية من سوريا فينسب فتحها لها ، ومن ثم يحق لها استردادها مؤقتا إلى ما بعد الحرب ، وقد فعل هذا مع القوات الفرنسية بالنسبة للساحل السورى كما قام بإقرار إدارة بريطانية على فلسطين

---

34 Wavell : Allenby Soldier and Stateman, P. 257 .

بما فيها القدس بعد أن دخلتها القوات البريطانية ، وذلك طبقا لما لبريطانيا من مصالح فيها [٣٥] .

وقد علق فيصل على هذا التقسيم الذى رآه بعينه أمراً واقعا حينما توجه لباريس لحضور مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ بقوله : "إن أول ما أصابنى من خيبة الأمل لما أعلمنى اللنبى أن سوريا قد قسمت إلى ثلاثة أقسام، وأن هذا التقسيم مؤقت ليس إلا ، وأما الضربة الثانية فى تصديق معاهدة سايكس - بيكو التى كُذب خبر وجودها فى أول الأمر. وقد رأيت بعينى هاتين مصير بلادى المقسمة إلى ثلاث مناطق ، فكان علينا والحالة هذه أن ننظر إلى الحقيقة المجردة وأن نجابه الأمر الواقع ، ولما أُعلنت قرارات الحلفاء فيما يختص بسوريا وفلسطين كان موقف والدى مؤثرا فيما يتصل بخيبة الأمل التى نزلت به والذى لم يكن يعتقد أبدا أن النهاية ستكون كما رأى [٣٦] .

وهكذا كان احتلال القوات البريطانية للقدس فى اليوم التاسع من ديسمبر سنة ١٩١٧، ثم دخول اللنبى الرسمى إليها فى اليوم الحادى عشر من نفس الشهر مؤشرا واضحا لنهاية الحكم العثمانى فى القدس وفى فلسطين بوجه عام [٣٧] .

وقد اعتبر القوميون العرب آنذاك أن ذلك يعد خطوة فى سبيل تحقيق أمانيهم القومية فى إقامة دولة عربية مستقلة فى الحجاز والعراق وسوريا طبقا لما تم الاتفاق عليه فى محادثات الشريف حسين - مكماهون. على أن الهدف البريطانى فى هذا الاتفاق كان مغايرا تماما لأمانى العرب وبصفة خاصة فيما يختص بفلسطين إذ كان يرمى إلى الاستئثار بها دون العرب واتخاذها دولة حاجزة بين البريطانيين فى مصر والفرنسيين فى سوريا وذلك للتمكين لليهود فى فلسطين طبقا لوعد بلفور الصادر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ .

---

٣٥ دكتور توفيق على برو : العرب والترك فى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤- ١٩١٨ جامعة عين شمس ١٩٦٤، ص ٣٣٧.

٣٦ أمين الريحانى : ملوك العرب ، الجزء الثانى ، بيروت ١٩٢٩ ، ص ١١٩-١٢٠ .

٣٧ أحمد إبراهيم شحاتة : حملة اللنبى على سوريا (١٩١٧-١٩١٨) - رسالة ماجستير- كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ١٩٦٣ ، ص ١٦١.

ولما كان اللنبى قائدا أعلى للعمليات العسكرية التى لم تكن قد انتهت بعد ، فقد اعتبر فلسطين بما فيها القدس جزءا من أراضى العدو المحتلة فى سوريا ، ومن ثم فقد عرفت باسم أرض العدو المحتلة الجنوبية ، وقد خضعت مباشرة لإدارة عسكرية بريطانية على رأسها اللنبى كقائد عام وممثل لوزارة الحربية البريطانية التى تتلقى أوامرها وتعليماتها من وزارة الخارجية لكونها المُسَيرة لشئون المستعمرات البريطانية الخارجية آنذاك [٣٨] .

وقد حرص اللنبى عقب دخوله القدس فى ١١ ديسمبر ١٩١٧ على القضاء على كل محاولة عربية تشير أو تعمل على تثبيت نفسها فى فلسطين مهما كانت ضئيلة ، وعندما هم العرب فى القدس برفع الأعلام العربية على أبنية الحكومة ، لم يَرُق ذلك للكولونيل اللنبى بالطبع فكانت أولى أوامره إنزال هذه الأعلام مشيرا أنه لا خوف من ذلك طالما أن فلسطين جزء من الدولة العربية المستقلة وطالما أن الحرب لم تنته بعد وما هذا الإجراء إلا عملا مؤقتا إلى أن تتم التسوية النهائية فى مجلس الصلح الذى سينعقد بعد الحرب ، ونجح اللنبى بهذا فى تبديد المخاوف العربية ومن ثم فقد رضخوا لإجراء اللنبى هذا [٣٩] .

وأعقب اللنبى هذا الأمر بإلقاء بيانه من قلعة صلاح الدين مُؤَمنا الأماكن المقدسة والسكان على اختلاف مللهم ، على أن ينصرف كل إلى عمله دون أن يخشى شيئا ، كما أكد على استمرار الأحكام العرفية وخضوع البلاد للإدارة العسكرية البريطانية . وحرصا من اللنبى على عدم حدوث هياج بفلسطين فقد أصدر أوامره بنزع السلاح ممن تبقى من الأتراك مع السماح لمن كان يقيم منهم مع السكان بالبقاء فى دورهم . وفى نفس الوقت أكد على ضرورة إشاعة الأمن والطمأنينة بين السكان محذرا من القيام بنزع السلاح من السكان أو القيام بقمع أية رابطة إسلامية حتى لا يتسبب هذا فى هياج السكان وربما الثورة "وإنما من الأفضل الانتظار إلى أن يتم تجميع الجند داخل البلاد . ولكن هذا لا يعنى أن تسود الفوضى البلاد وإنما تُقمع أية محاولة لإثارة الاضطراب والقلاقل حتى وإن لم يكتمل وصول الجند" ، ومن جهة أخرى فقد كان اللنبى حريصا على التغلب على مشكلة الإمداد والتموين – خاصة وقد توقفت التجارة طوال سنوات الحرب ، كما أن رونالد ستورز الحاكم العسكرى للقدس قد أبرق فى أعقاب دخول الجيش البريطانى إلى

38 Grant , Michael : Palestine and the Palestinians, 1935-1983, New York, P.38 .

٣٩ دكتور عادل غنيم : الحركة الوطنية فى فلسطين ١٩١٧ – ١٩٣٦ ، جامعة عين شمس ١٩٧٠ ، ص ١١١.

القدس فى التاسع من ديسمبر ١٩١٧ عن مدى صدمته للمنظر الذى لقيه فيما يخص حال الحيوان والنبات ومدى معاناة الفلاح والسكان من أثر المجاعة "حتى بات يخشى على نفسه من الصياح أمام مكتبه" ، وعلى ذلك فقد أمر بمصادرة كل مستودعات الأتراك فى فلسطين لإطعام البلدة والقوات البريطانية المتواجدة بها وكذلك من تبقى من جند الأتراك .

على أنه خلال مدة الحكم العسكرى فى فلسطين أثناء فترة الحرب ، فقد قسمت إداريا إلى عدة مناطق كان بعضها من الدرجة الأولى والبعض الآخر من الدرجة الثانية ، والبعض الآخر من الدرجة الثالثة على النحو التالى:

أولا : مناطق الدرجة الأولى :

أ - القدس وملحقاتها - بيت لحم - رام الله - أريحا .

ب- حيفا - عكا وملحقاتها .

ج- الناصرة - طبرية - صفد وملحقاتها .

ثانيا : مناطق من الدرجة الثانية :

أ - يافا واللد والرملة وملحقاتها.

ب- نابلس وتوابعها .

ثالثا : مناطق الدرجة الثالثة :

أ- الخليل وملحقاتها.

ب- المجدل وملحقاتها.

ج- جنين.

د- طولكرم .

هـ- بئر سبع [٤٠] .

---

٤٠ دكتورعادل غنيم ، المرجع السابق ، ص ٥-٦ .

وقد اتبع اللنبى تقسيم فلسطين إداريا بأن جعل هناك وظيفتين أساسيتين أولهما الحاكم العسكرى للقدس وهو مسئول أمامه مباشرة. وكان أول من تولى هذه الوظيفة الجنرال بيل بورتون Bill Borton ، وقد استهل عمله بتعيين أعضاء جدد لمجلس بلدية القدس ، إلا أنه لم يمكث أكثر من أسبوعين استقال بعدها لأسباب صحية ، فخلفه فى الإدارة السيد الكسندر بيرد Sir Alexander Baird ثم خلفه السير رونالد ستورز Sir Ronald Stors السكرتير الشرقى لدار المندوب السامى البريطانى فى القاهرة ، وأما الموظف الثانى فكان مسئولاً عن إدارة فلسطين بأجمعها ولقبه المدير العام لبلاد العدو المحتلة الجنوبية ، وكان أول من شغل هذا المنصب الجنرال كلايتون Clayton فى سنة ١٩١٧ ، ثم خلفه الجنرال مونى Money فى سنة ١٩١٨ ثم الجنرال واطسون Watson فى سنة ١٩١٩ فالميجور بولز فى سنة ١٩٢٠ ، وقد اتخذ المدير العام لبلاد العدو المحتلة الجنوبية من يافا مقرا له ، وعين لكل قسم من أقسام فلسطين حاكما عسكريا[٤١] .

وهكذا تم وضع حجر أساس الإدارة العسكرية فى فلسطين ، فقد كان الضابط السياسى العام مرتبطا بالإدارة السياسية فى القاهرة عن طريق المكتب العربى وذلك لضمان تنفيذ المخططات والأطماع البريطانية فى هذه المنطقة ، ولكن ما أن استبدل مونى بكلايتون فى سنة ١٩١٨ حتى استقلت الإدارة العسكرية البريطانية فى فلسطين بذاتها ولم تعد مرتبطة بالإدارة السياسية فى مصر .

وتجدر الإشارة إلى أن الإدارة البريطانية فى فلسطين بوجه عام وفى القدس بوجه خاص مضت فى العمل على تقوية قبضة اليهود فى البلاد فمنحتهم وحدهم درجة فى المحاكم مع حق تعقيب أو مراجعة الجناة ، ثم اتبعت هذه الخطوة بتعيين مستشار يهودى لمحاكمها للنظر فى أمور اليهود الخاصة ، كما راحت تكون من اليهود فرقة ألحقتهم بالبوليس وجرى تسليحهم تسليحا كاملا ووضعتهم داخل فلسطين للحفاظ على الأمن العام بها ، غير أن تعدياتهم على السكان زادت عن الحد فكانوا محل سخط واحتجاج لدى

---

٤١ دكتور بهجت حسين صبرى : فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى : الإدارة العسكرية البريطانية ١٩١٤-١٩٢٠، جامعة عين شمس ١٩٦٥ ، ص ١٩٩-٢١٢.

الحاكم العسكرى من قِبَل الجمعية الإسلامية المسيحية التى طالبت بأن يكون للعرب مثل هذا الحق ، ولكن لم يكن هناك من مجيب [٤٢].

كما راحت الإدارة العسكرية تسند أعمال البناء فى جملتها لليهود فقط دون سائر الطوائف الأخرى المسلمة والمسيحية ، ولمواجهة القصور فى أعداد اليهود كانت تستقدم كل أسبوع أعدادا من اليهود الروس للعمل بدائرة الأشغال والعدلية وسائر دوائر الحكومة، رغم أن هذا كان يكلف الإدارة أكثر مما لو قام الوطنيون بمثل هذه الأعمال . كما طبقت الإدارة العسكرية هذا النظام على سائر المهن ، وقصرت تعاملات البنك الإنجليزى اليهودى على اليهود فقط دون الفلسطينيين من المسلمين والمسيحيين ، وقد ترتب على ذلك أن أصبح كبار التجار فى فلسطين من اليهود ، وكان استمرار مثل هذا العمل من شأنه أن تتحول كل التجارة إلى اليهود فقط وتنعدم تجارة العرب من المسلمين والمسيحيين الفلسطينيين [٤٣] .

وزاد الطين بلةً ما اتخذته الإدارة العسكرية فى أواخر عام ١٩٢٠ من منع تصدير القمح والشعير والذرة رغم أنه زاد عن الحاجة ، فتوقف دولاب العمل بين التاجر والمزارع ، واضطر الفلاح إلى الاقتراض بفوائد باهظة ، وازدادت الحالة سوءا بعد أن أغلقت الإدارة المصرف الزراعى وطالبت الفلاحين بتسديد الديون التى عليهم لهذا المصرف . وفوق هذا فقد راحت الإدارة البريطانية تفتح باب الهجرة أمام اليهود على مصراعيه بعد أن ألغت قانون الورقة الحمراء الذى سنه الأتراك والذى كان يقضى بحق المهاجر فى الإقامة بالبلاد لمدة لا تزيد عن ثلاثة اشهر ، ومن ثم فقد زادت الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتزعزعت ثقة السكان فى بريطانيا وتوالت المظاهرات وتحولت فى ربيع ١٩٢٠ إلى اضطرابات كان أشدها الذى حدث فى القدس فى ٤ إبريل ١٩٢٠ ، فقتل من جرائه ٩ من اليهود و ٤ من العرب وجرح ٢٥٠ يهودى و ٢١ عربيا ومن ثم فقد تشددت الإدارة العسكرية فى تطبيق الأحكام العرفية واعتقلت أعدادا من الزعماء والشبان وزجت بهم فى أعماق السجون ، وتألفت المحاكم العسكرية لمحاكمتهم ، وتراوحت

---

٤٢ من أوراق أكرم زعيتر : وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨– ١٩٣٩ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٨٤ ، ص ٤٠ .

٤٣ من أوراق أكرم زعيتر ، المرجع السابق ، ص ٦٠ .

أحكامها بين السجن لمدة شهر وخمسة أعوام ، وكان من نصيب عارف العارف ورفيقه الحاج أمين الحسينى الحكم بالإعدام إلا أنه خفض إلى السجن لمدة عشر سنوات ٤٤ .

وعلى أية حال ، فما أن أعلن مؤتمر سان ديمو مقرراته فى ٢٠ إبريل ١٩٢٠ وكان من بينها بند يقضى بوجوب الانتداب البريطانى على فلسطين ، حتى كان ذلك مؤشرا بانتهاء الحكم العسكرى البريطانى ليحل محله حكومة مدنية ، وضع على رأسها هربرت صموئيل كمندوب سامى بريطانى لتنفيذ وعد بلفور . وبوجه عام فإنه لا يمكن القول بأن الحكم العسكرى البريطانى الذى امتد بين عامى ١٩١٧-١٩٢٠ قد اهتم بتنظيم البلاد والعمل على دفعها نحو التقدم ، وإنما جاءت هذه الإدارة بتدابير مؤقتة هدفها مساعدة العناصر اليهودية والتمهيد لإقامة إدارة مدنية ٤٥ .

ومن ثم فقد تم اختيار رجال الإدارة على عجل من بين رجال الجيش البريطانى والموظفين المدنيين البريطانيين من الذين كانوا يعملون فى ذلك الوقت فى مصر . ولما لم تكن ترد لدى إدارة الحكم العسكرى التعليمات من وزارة الدفاع أو الخارجية البريطانية ، فقد انصب اهتمامها الأساسى على المحافظة على بقاء الأمور كما كانت عليه وذلك حتى تقوم فى البلاد إدارة مدنية تدفع البرنامج اليهودى فى فلسطين قدما . وبالفعل فما أن وصل هربرت صموئيل ليتولى الإدارة المدنية فى يوليو ١٩٢٠ كمندوب من قِبَل ملك بريطانيا - بعد ما عهد بمهمة تنفيذ وعد بلفور وجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود - حتى شرع من فوره فى جعل اللغة العبرية لغة رسمية إلى جانب الإنجليزية والعربية ، وسعى لتدفق الهجرة اليهودية بشكلها المكثف إلى فلسطين حتى امتلأت بهم الوظائف فى دوائر الحكومة ، كما قام بتنظيم قوانين الأراضى بالشكل الذى يُكْرِه الفلاح الفلسطينى العربى على بيع أراضيه ، كما سلم اليهود جميع وسائل الصناعة فى البلاد ، وعين يهوديا مشرفا على أوقاف المسلمين ، وسخر حكومة الانتداب لتسهيل إنشاء المستعمرات اليهودية ، كما سهل شراء السلاح لليهود . وبمثل هذا النهج عمل هربرت صموئيل على تهويد البلاد وتثبيت دعائم الوطن القومى لليهود فجعل من القلة اليهودية أصحابا للبلاد . وقد مهدت

---

٤٤ عارف العارف : تاريخ القدس ، ص ١٤٢.

٤٥ دكتور عبد الحميد متولى : نظام الحكم فى إسرائيل ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٢٨ .

الإدارة العسكرية البريطانية لهذا السبيل من قبل ، واستأنفت المسيرة حكومة الانتداب فسهلت تنفيذ احتكار بحيرة الحولة ومشروع البحر الميت ، وقد كانت هذه المشاريع كما ذكرت صحف كثيرة آنذاك دعامة من دعائم الكيان اليهودى فى فلسطين .

وانتهى الأمر إلى فصل فلسطين أو سوريا الجنوبية عن سائر البلاد السورية . وقد عبرت عن هذا الموقف جريدة الأهرام منذ أواخر عام ١٩١٨ بقولها : "وتركزت السياسة الإنجليزية فى تمكين الصهيونية من هدم الجزء العربى من سوريا الجنوبية ، وأضحى الشعب العربى فى فلسطين يئن تحت الحكم العسكرى البريطانى الذى أشرف على برنامج التهويد" ٤٦ .

وثمة أمر أخير ، فقد كانت القدس فريسة سهلة لحملة اللنبى فى نهاية عام ١٩١٧ نتيجة للدور الذى لعبته حركة الشريف حسين – التى عُرفت بالثورة العربية – فى دعم تلك الحملة التى بدت فى رؤوس مخططيها ومنفذيها وعلى أعلى المستويات البريطانية حملة صليبية للاستيلاء على فلسطين بالدرجة الأولى ، ولتدمير الروابط العربية والإسلامية ، وتصفية الدولة العثمانية معقل الخلافة الرابطة للعالم الإسلامى آنذاك واقتسام سائر أملاكها بين إنجلترا وفرنسا ، فكانت القدس على حد طلب لويد جورج من اللنبى "هدية عيد الميلاد للشعب البريطانى" ، كما أحدث احتلالها صدى بعيدا فى العالمين المسيحى والإسلامى ، هذا فضلا عن أنه بعث الأمل فى الإمبراطورية البريطانية التى أنهكتها حينذاك معارك الحرب العالمية الأولى . وقد مهدت بريطانيا كل السبل لتقديم القدس – طوال فترة الانتداب بين عامى ١٩٢٠ –١٩٤٨ وفى أعقابها – للكيان الصهيونى الذى أعلن قيام دولة إسرائيل ، التى تسعى لأن تكون القدس عاصمة أبدية لها، متجاهلة بذلك حق الشعب الفلسطينى والأمة العربية وقرارات الأمم المتحدة وكافة الخطوات التى اتخذت من أجل بناء سلام عادل ، تساندها فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية التى صادرت خطى السلام بقرار نقل سفارتها لدى إسرائيل من تل أبيب إلى القدس مؤخرا رغم الاتفاقات التى تمت فى المسيرة السلمية حول تأجيل التفاهم حول

---

٤٦ دكتور إحسان عسكر : الصحافة العربية فى فلسطين – الأردن – سوريا – لبنان – مؤسسة سجل العرب ، ص ٢٤ – ٢٥ .



القدس للمراحل الأخيرة من المفاوضات ، ورغم الأولوية التى تحظى بها القدس فى تلك المسيرة لدى كافة الأطراف المعنية ، فهل يسهم ذلك فى تقدم مسيرة السلام أم يعرقلها ؟

جدول ١. نسبة عدد سكان القدس من العرب واليهود .

السنة	نسبة العرب (٪)	نسبة اليهود (٪)
١٩١٨	٩٢,٨٠	٧,٢٠
١٩٢٢	٨٨,٨٦	١١,١٤
١٩٢٥	٨٥,٣٣	١٤,٦٧
١٩٢٦	٨٣,٣٧	١٦,٦٣
١٩٢٩	٨٣,٧٠	١٦,٣٠
١٩٣١	٨٣,١٠	١٦,٩٠
١٩٣٢	٨٢,١١	١٧,٨٩
١٩٣٣	٧٩,٤١	٢٠,٥٩
١٩٣٤	٧٦,٦٢	٢٣,٣٨
١٩٣٥	٧٢,٨٥	٢٧,١٥
١٩٣٦	٧١,٩٠	٢٨,١٠
١٩٣٧	٧١,٧٦	٢٨,٢٤
١٩٣٨	٧١,٣٥	٢٨,٦٥
١٩٣٩	٧٠,٣٤	٢٩,٦٦
١٩٤٠	٦١,٩٩	٣٠,٠١
١٩٤١	٧٠,١٠	٢٩,٩٠
١٩٤٢	٧٠,١٠	٢٩,٩٠
١٩٤٣	٧٠,٠٠	٣٠,٠٠
١٩٤٤	٦٩,٦١	٣٠,٤٩
١٩٤٦	٦٨,٦٠	٣١,٤٠
١٩٤٨	٦٨,٥٢	٣١,٤٨

• المصدر : دكتور محمد سلامة النحال : سياسة الانتداب البريطاني حول أراضى فلسطين العربية ، منشورات فلسطين المحتلة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ ، بيروت ، ص ١٢٤ .

اليهود والفلسطينيون . أرنولد توينبى

لمعى المطيعى
مستشار بالمجلس الأعلى للثقافة

وحدة بالمركز للقدس

* كلام العرب كثير ...
* المقالات الإنشائية كثيرة ...
* نجتمع وننفض ...
* تحية لـ (الايسيسكو) وهى المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ...
* المنظمة قررت إنشاء وحدة للقدس فى إدارتها العامة مهمتها متابعة شئون القدس ...
* أهمية إنشاء وحدة أو لجنة دائمة بمركز دراسات المستقبل بجامعة أسيوط ، وتبدأ بهذه الصفوة التى تجتمع اليوم للحديث عن القدس ...

للتاريخ رأى

* إسرائيل تحتفل بالألفية الثالثة ليهودية القدس ...
* هناك رأى للتاريخ للمؤرخ البريطانى العالمى أرنولد تونيبى ...
* رفق هذا نص المناظرة بين تونيبى وياكوف هيرزوج سفير إسرائيل فى كندا - ٣١ يناير ١٩٦١.

قال توينبى تحديداً

* لست عربيا ولا يهوديا ، فليس لي أية مصلحة شخصية فى أن أحابى أو أحمل على أى الفريقين .

*أعتقد فيما يتعلق بالمشكلة القائمة بين الفلسطينيين العرب والصهيونيين أن الفلسطينيين العرب على صواب ،

وأن الصهيونيين على خطأ.

* الجزء الأكبر من الأرض فى إسرائيل اليوم هو شرعا ملك لأولئك العرب الذين طردوا من ديارهم .

* لم يكن فى فلسطين عام ١٣٥ م سكان من اليهود لهم كيان .

* منذ عام ٦٤ قبل الميلاد لم تكن هناك دولة يهودية فى فلسطين .

* طالب الصهيونيون بقيام دولة لليهود ، وفى الوقت ذاته أنكروا على العرب الذين طردوا من فلسطين نفس الطلب .

* معاملة اليهود العرب فى فلسطين مشابهة من الناحية الأخلاقية لمعاملة النازى لليهود أثناء الحرب العالمية الثانية .

* إسرائيل الصهيونية الجديدة فى فلسطين طبعة ثانية من الدول الغربية العنصرية الحديثة.

* أهديت كتابى إلى المؤرخ الكبير عندما حضر إلى القاهرة فى ديسمبر ١٩٦١ وقدمنى إليه المرافق له الأستاذ الدكتور محمد أنيس وكنا فى الجمعية الجغرافية ، صدر الكتاب يوم حضور تونيبى إلى القاهرة .

هذا هو رأى التاريخ من مؤرخ عالمى محايد فى العمل ؟

* أين اتحاد المؤرخين العرب ليشارك فى إعداد كتاب أسود عن موقف إسرائيل من القضية برمتها ؟

وللمنظمات الدولية رأى

* يونيو/ يوليو عام ١٩٣٠ بعثت عصبة الأمم المتحدة لجنة دولية .
* أقرت اللجنة الدولية للمسلمين بملكية مكان البراق واعتباره جزءا من ساحة الحرم الشريف .
* أقرت اللجنة الدولية للمسلمين بملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام الحارة المعروفة بحارة المغاربة.
* سمحت اللجنة الدولية لليهود بممارسة ما اعتادوه من البكاء إلى جانب الحائط.

قرار مجلس الأمن ٢٤٢ وقام بصياغته اللورد كاردون :

* يجب أن تكون هناك قدس عربية وقدس إسرائيلية لكل منهما سيادة على منطقها ضمن حدودها .

قرار مجلس الأمن بشأن القدس رقم ٢٥٢ فى ٢١ مايو ١٩٦٨:

* المجلس يعتبر أن جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية وجميع الأعمال التى قامت بها إسرائيل بما فى ذلك مصادرة الأراضى هى إجراءات باطلة .

قرار مجلس الأمن رقم ٤٧٨ الصادر فى ٢٠ أغسطس ١٩٨٠:

* عدم الاعتراف بالقانون الأساسى الذى أصدره الكنيست الإسرائيلى بشأن توحيد القدس الشرقية والغربية وجعلها عاصمة موحدة لإسرائيل .

هذه هى قرارات المنظمات الدولية ، والآن أين اتحاد المحامين العرب ليشارك فى الكتاب الأسود المقترح ويقوم بتوعية المجتمع الدولى .

وللرموز الدينية رأى

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وقداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية اتفقت كلمتهما فى مؤتمر كبير على أن فلسطين والقدس والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة أمانة فى أعناقنا ويجب أن ندافع عنها بكل ما نملك .

والآن ما العمل ؟

* كل ما سبق جيد وصحيح ومطلوب.

* كل ما قيل هنا جيد وصحيح ومطلوب.

* ونضيف إليه أمرين :

الأول : وحدة الصف العربى وهذا هو دور الجامعة العربية .

الثانى : الديمقراطية وحقوق الإنسان وهذا هو دور الشعوب العربية .

* بدون ديمقراطية لا تقوم وحدة صف عربى متينة .

* بدون ديمقراطية وحقوق إنسان لا يستطيع أن ندخل حلبة السباق مع إسرائيل فى المجتمع الدولى .

مناظرة توينبى وسفير إسرائيل

نص المناظرة بين المؤرخ الفيلسوف " أرنولد توينبى" و " ياكوف هيرزوج" سفير إسرائيل فى كندا -٣١ يناير ١٩٦١ (نقلا عن كتاب - أرنولد توينبى المؤرخ الفيلسوف - للكاتب المؤرخ " لمعى المطيعى" ديسمبر ١٩٦١ صفحات ٧٠- ٨١).

توينبى واليهود

فى ٣١ يناير سنة ١٩٦١ حدثت مناظرة بين المؤرخ البريطانى (أرنولد توينبى) وبين (ياكوف هيرزوج) سفير إسرائيل فى كندا ، وكانت هذه المناظرة فى الدار المقامة على أرض جامعة ماكجيل تعرف باسم (ميلبل هاوس) وهى معدة للطلبة اليهود وقد امتلأت الدار بطلبة وممثلى الصحافة ، وكان بين من حضروها أحد سكرتيرى سفارة الجمهورية العربية وممثلو قنصلية إسرائيل فى مونتريال .

وقال المؤرخ البريطانى والفيلسوف العالمى توينبى : إن الجزء الأكبر من الأرض فى (إسرائيل) اليوم هو شرعا ملك لأولئك العرب الذين طردوا من ديارهم ، وأن الجزء الذى يخص اليهود شرعا (هو الجزء الذى اشتروه ودفعوا ثمنه) ، أما الباقى فهو ليس ملكا لهم لا شرعا ولا أدبيا .

ومما قاله أيضا : إنكم تطالبون بحق اليهود فى العودة إلى فلسطين على الرغم من أنه لم يكن هناك فى فلسطين عام ١٣٥ ميلادى سكان من اليهود لهم كيان .

إن اليهود دخلوا فلسطين فى صورة أقلية لحد ما ، ومنذ عام ٦٤ قبل الميلاد لم تكن هناك دولة يهودية فى فلسطين .

لقد طلبتم بالعودة لا بمقتضى وعد بلفور (وطن قومى لليهود دولة يهودية) وإنما طالبتم بصورة متطرفة بقيام دولة ، فى الوقت نفسه أنكرتم على العرب الذين طردوا من فلسطين نفس الطلب الذين تدعون أنه كطلب أساسى للشعب اليهودى ، إن فى هذا لتناقض كبير .

وكان المؤرخ البريطانى قد مهد لهذه المناظرة بتصريح ألقاه فى الأسبوع السابق عندما قال لمستمعيه من الطلبة اليهود فى جامعة ماكجيل : إن معاملة اليهود للعرب فى فلسطين سنة ١٩٤٧ كانت مشابهة من الناحية الأخلاقية لقتل النازى لليهود أثناء الحرب العالمية الثانية .

وأكد توينبى فى سلسلة من الموازنات : أن القتل هو القتل ، سواء أكانت الضحايا عربيا واحداً أم عدة ملايين من اليهود . وقال أيضا : لقد كانت الضحايا فى المذابح التى أشير إليها – وإنى لا أشير إلى القتال بين الإسرائيليين المسلحين والقوات العربية – من سكان فلسطين المحليين . إن عربا كثيرين يقيمون الآن على مرأى من ديارهم السابقة وأشجارهم المثمرة ومزارعهم ، وهذه هى مأساة الطبيعة الإنسانية ، وهى أن القوم الذين يعانون من شيء يجب أن يفرضوا هذا الشئ على قوم آخرين ، فلقد عانى اليهود طوال آلاف السنين من القتل والسرقة والطرد من ديارهم .

وقد كتب الفيلسوف توينبى كذلك فصلا فى المجلد الثامن من مؤلفه المشهور (دراسة التاريخ) تحت عنوان (اليهود والغرب الحديث) تعرض فيه للعدوان الصهيونى فى فلسطين وللمظالم التى أوقعها الصهيونيون بالعرب الفلسطينيين وقرر أن مظالم الصهيونيين بالعرب أنكى وأمعن فى الإثم من تلك التى أوقعها النازيون باليهود .

وعلى إثر نشر المجلد المذكور فى النصف الثانى من سنة ١٩٥٤ قامت قيامة اليهود فى أنحاء الدنيا وخصوصا فى أمريكا فحملوا على المؤرخ العظيم حملات قاسية حاولوا فيها تبرئة أنفسهم مما دفعهم به من ظلم وتعصب ، فى مجلة لهم تصدر فى أمريكا

تدعى " جويشن فرونتير" فلفت نظر المؤرخ إلى إحداها أستاذ فى إحدى الجامعات الأمريكية ، وقد كتبتها صحفية يهودية تدعى " مس سيركن " فتصدى البروفسيور توينبى " للرد عليها فى مقال هذه ترجمته :

إلى محرر " جويشن فرونتير" ...

سيدى ...

لقد بعث إلى البروفيسور أرنست صمويل من جامعة نورث وسترن المقال الذى كتبته مس سيركن بعنوان " البروفيسور توينبى واليهود " وبعد قراءة المقال والتفكير فيما جاء فيه ، لا أجد نفسى مقتنعا بنقدها للفصل المعنون " اليهود والغرب الحديث " المنشور فى المجلد الثامن من كتابى " دراسة فى التاريخ " ، ويحلو لى أن أوضح باختصار لماذا أفكر على هذا النحو .

إن مس سيركن لمخطئة فى ظنها أن " نشاط مستر توينبى فى وزارة الخارجية المشوب بالميل إلى العرب " يساعد على جلاء موقفه الحالى ، ومع أنى فى كلتا الحربين العالميتين خدمت موظفا مؤقتا فى وزارة الخارجية فإنى لم أكن قط فى مجال موالٍ للعرب، وكنت على الدوام معارضا شخصيا للسياسة البريطانية بشأن فلسطين . ومس سيركن لم تشر إلى القسم الذى كتبته فى الفصل المعنون " مسئولية بريطانيا " الذى أصررت فيه على أن بريطانيا تحمل أكبر قسط من المسئولية فى النزاع بين العرب واليهود ... وقد جاء فى هذا الفصل - دراسة التاريخ ص ٣٠٤ - ما يلى :

"إن الدولة الغربية التى تتحمل نصيب الأسد فى المسئولية عن الخيبة فى فترة بين الحربين لإنقاذ الموقف فى فلسطين هى بريطانيا التى كانت أولا الدولة المحتلة وبعد ذلك الدولة المنتدبة ، وقد أدارت شئون البلاد من سنة ١٩١٧ - ١٩٤٨ . وفى خلال هذه السنين الثلاثين الحرجة كان موقف الحكومة البريطانية الشامل لجميع الأحزاب والذى طبقته جميع الحكومات المتتابعة - هو التعامى المقصود الجدير بالإدانة .

فمنذ البداية حتى النهاية لم تكن فى تفكير البريطانيين أية خطة عملية لإقرار الأمور سلميا فى وضع فلسطين غير المستقر القابل للانفجار والذى أوجدته بريطانيا بتروٍ وتعمد، وأن الحكومة البريطانية لم تحاول إقرار الأمور حتى بالنسبة لعدد السكان فى ناحية

عنصرهم كيهود وعرب إلى أن سمح للأقلية اليهودية بأن تصبح كبيرة فى عددها - ما يقرب من ثلث مجموع السكان ، وبذلك لم يبق هناك أى أمل فى أن يرضى اليهود البقاء فى حكومة ثنائية قومية أو فى إمكان إيجاد مثل هذه الحكومة ، إن كان قدر لها أن تنشأ على الورق على اعتبار أن من الممكن لها أن تحكم نفسها وفقا للأسلوب المتبع فى نظام حكم الأكثرية العربى .

ويستطرد " توينبى " قائلا :

وباعتبارى بريطانيا ، فإنى أشعر شخصيا بهذه المسئولية ، ولأنى لست عربيا ولا يهوديا ، فليس لى أية مصلحة شخصية فى أن أحابى أو أحمل على أى الفريقين ، وأنى أعتقد فيما يتعلق بالمشكلة القائمة بين الفلسطينيين العرب والصهيونيين أن الفلسطينيين العرب على صواب ، وأن الصهيونيين على خطأ ، وأن رأيى فى هذه المسألة كرأى مس سيركن عرضة للاعتراض عليه ، إلا أن قيمته جاءت من أنه لا يقوم إلا على الوقائع التى أراها بنفسى .

إنى أرى القصة كمأساة ، ولا أرى أن المأساة بدأت بنشوب القتال فى فلسطين فى إبريل عام ١٩٤٨. إن الكثير من المسئوليات الناتجة عن أعمال الصهيونيين فى فلسطين ضد العرب فى سنة ١٩٤٨ تقع ، كما أعتقد وكما سبق لى أن قلت على بريطانيا ، إذ هى بوصفها دولة منتدبة استعملت قوتها لتجعل الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مدى لا يمكن أن يقبله السكان العرب فى البلاد باختيارهم ، أمرا ممكنا ، لأنها رفضت باستمرار مواجهة الحقائق فى أنها كانت تتبع سياستين متناقضتين فى وقت واحد ، وأنها برفضها الاختيار بينما كانت تدفع فلسطين نحو الكارثة بخلقها موقفا أصبح معه عيش العرب واليهود جنبا إلى جنب فى فلسطين أمرا يزداد صعوبة أكثر بأكثر ، ولكن المأساة كما أراها ترجع إلى ما قبل صدور وعد بلفور بكثير بل أرى أدوارها الأولى ابتدأت باهتداء كل من الصهيونيين والعرب إلى الآراء والعقائد الغربية الدنيوية إلى العنصرية .

وأعتقد أن اليهودية هى كأى نظام إنسانى آخر مزيج مفجع من الخير والشر وأن ما امتازت به اليهودية ليس هذا ، بل سيطرة اليهودية على كل من هذين العنصرين المتضادين فيها ، وتحويل نصف الجنس البشرى - النصف المسيحى والمسلم - إلى الروح اليهودية .

وهكذا انتقل التطرف فى الخير والشر فى اليهودية إلى الإسلام والمسيحية ، والأديان الثلاثة ترى صورتين متعارضتين لله ، فهم يرون الله فى صورة الحب والغيرة، ونعتقد بأنفسنا أننا شعب الله المختار، فإنه يوسوس إلينا أن نحتقر الأديان الأخرى وأن نخمد أنفاسها عندما نقدر على ذلك .

وأول المتعصبين فى التاريخ الذين عرفتهم ، ليسوا هم أقرباء البرابرة والمسيحيين الفزعوت كما قيل ، لأن كلمة " بيحوت" مشتقة من اسم (الفزعوت) ، بل هم المكابيون هذا إذا كانت كلمة (متعصب) تعنى كما أعتقد ، ليس مجرد ظالم ، بل الشخص الذى يضطهد شعبا من غير دينه بسبب اختلافه عنه فى الدين والعادة والعقيدة .

والمكابيون أجبروا " أدوم والجليل " على اعتناق اليهودية بالقوة ، وبذلك مهدوا لأن يكون هيرود والمسيح يهوديين ، وليسا من الأمميين ، وأن نتيجة التعصب تأتى أحيانا بالسخرية المحزنة .. وإنه لمحزن حقا أن تكون مجرما بالتعصب ، أو أن تكون ضحية له ؛

وقد كان اليهود على التعاقب مجرمين به ، وضحايا له منذ القرن الثانى قبل الميلاد ، وأن السخرية الأكيدة التى تستخرج من التاريخ اليهودى ، هى أن اليهود كانوا أول المتألمين من روح التعصب الذى كانوا هم أول من أشعل نيرانه .

وأن مأساة التاريخ اليهودى الحديث هى أنها بدلا من أن يتعلم اليهود من مصائبهم وآلامهم ، قد صنعوا بغيرهم العرب ما صنعه الآخرون بهم ، أى النازيون . ومع أنى عنيت بأن أظهر براءة الصهيونيين من جريمة الإفناء التى أقدم عليها النازيون عن عمد وبطريقة منظمة ، ومع بيان الفرق فى العدد بين الضحايا النازيين عن عمد وبطريقة منظمة ، ومع بيان الفرق فى العدد بين ضحايا النازيين من اليهود وضحايا الصهيونيين من العرب ، فإنى واثق فى أنى على صواب فى تمسكى برأيى ، وهو أن مراتب الجريمة والمأساة لا يحكم عليها بعدد الأرواح والمأساة التى يرتكبها كل منا ويتألم منفردا ، ولا يمكن أن يكون ذلك جملة .

إن مأساة العرب الفلسطينيين بسبب ما حل بهم من مصائب على الإسرائيليين ، ليست بمأساة يهودية خاصة . بل هى مأساة عامة ، مثلها مثل المصائب التى حلت بهم، لهو جرم البشر جميعا معرضون للوقوع فيه . ولكل شئ فى الحياة ثمن وتعويض ، وأن

التعويض لموقف المرء المفجع من كونه عضواً مضطهدا فى المنفى ، هو أن يكون كمن يقوم بدور العاشق الظريف ، وثمن الموقف المفجع فى أن يكون المرء مواطنا فى دولة إسرائيل المستقلة ذات السيادة المنتزعة بقوة بريطانيا أولا ، ثم بقوة الأسلحة الإسرائيلية ، من بلد كان يسكنه مثلا شعب آخر ، هو أن يكون كمن يتبادل الأدوار مع مضطهديه السابقين ، وإسرائيل اليوم سياسيا مثل سائر الدول الأخرى .

وكتب البروفيسور توينبى فى صفحة ٣١٢ من المجلد الذى سبقت الإشارة إليه بمناسبة مولد إسرائيل كدولة يقول : إن إسرائيل الصهيونية الجديدة فى فلسطين على ضآلتها وعداوتها مع جيرانها طبعة ثانية من الدولة الغربية العنصرية الحديثة ، وهى مع إخلاصها لمبادئها لا تعدو كونها مهزلة ، وأنه لمن سوء حظ اليهودية والعالم أن هذه الدويلة قد أحاط بمولدها الكثير من المثاليات ، والتضحية بالنفس ،.والجريمة ، والظلم والألم ، وقد قدر لها أن ترى النور فى اللحظة التى يرجى فيها لمثل هذا النوع من المجتمعات التى أصبحت إسرائيل أصغر عضو فيها ، أن تقترب فى النهاية إلى ظلمة الفشل .

ويعود " توتيبى " ليقول : " يا له من مصير مرعب ، لكن لا يزال اليهود من الناحية الروحية شعبا له صفاته الخاصة ، لما تجمع لديه من تجارب قاسية فاقت ما لدى الآخرين ، ولأنه تعلم من المحن التى أصابته هذه الدروس الروحية العميقة التى نقلها إلى نصف البشرية من مسلمين ومسيحيين ، ولهذا فإنى أشعر بأن مأساة جرائم إسرائيل والصهيونية أعظم شأنا من مأساة جرائم ألمانيا النازية .

إن مقياس المأساة ليس إحصائيا ، بل روحيا ، وأن أصحابى الألمان عندما اقترفوا ما اقترفوا من آثار ضد اليهود لم تكن لديهم خبرة اليهود الواسعة وتجاربهم ، ولا ما لدى اليهود من استنارة روحية فياضة " إن من أعطى الكثير يجب أن يطلب منه الكثير " ، وأعتقد أن هذه الحكمة يهودية لأنها تنسب للمسيح وإنى واثق من أنها حقيقة ... بل حقيقة سامية عندما يكون ما يعطى ألما ، وما يطلب هو الرحمة والخير .

إن مستقبل إسرائيل الروحى والسياسى مرتبط بمستقبل اللاجئين العرب الفلسطينيين، وإن إلغاء المظالم التى حلت بهولاء اللاجئين هو على ما أعتقد أساس واجبات إسرائيل وأسمى مصلحتها . والمرء كإنسان يحاول التقليل من شأن الظلم الذى اقترفه والألم الذى

أحدثه . لكن هذا المرض من بين جميع أمراض الإنسان الروحية يجلب حقاً النقمة الإلهية. والطريق الوحيد لوضع حد لأية مأساة هو فى القضاء على سلسلة الإثم والألم القاتلة ، والطريق الوحيد للقضاء عليها هو اعتراف المرء بذنبه ، وفى أن يعمل كل شئ فى حدود إمكانه ليكفر عنه . هذه هى الطريقة الوحيدة لإسرائيل وبريطانيا ولألمانيا ، لأنها الطريقة الوحيدة لأى واحد منا .

(" أرنولد توينبى" : عن مجلة (جويش فرونتير) فبراير ١٩٥٥).

الندوة الدولية " القدس: التاريخ والمستقبل " (٢٩- ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

بيت المقدس : تحليل تاريخي

دكتور فوزى رضوان العربى
أستاذ الأنثروبولوجيا التطبيقية - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

بيت المقدس والحملات الصليبية

فى عام ١٠٩٦ ميلادية أغار الصليبيون على سواحل الشام بحملتهم الأولى واستطاعوا أن يقطعوا هذه السواحل ويقيموا بها دويلات لاتينية أربع كان من بينها إمارة " بيت المقدس ". وقصة هذه الحروب فى مبدئها تتلخص فى أن أباطرة القسطنطينية عندما ضاقوا ذرعا بحملات السلاجقة وانتصاراتهم أرسلوا يستغيثون بمسيحى الغرب يدعونهم إلى نصرة المسيح واسترداد بيت المقدس من السلاجقة .

وقد نجح الصليبيون من قبل فى إقامة ملك لهم فى الشام وقت أن كانت الدولة الإسلامية موزعة إلى إمارات ودويلات يباعد بينها الخلاف ويكاد يفنيها النزاع والتخاصم . ومع هذا فقد كان الملك الذى أقامه الصليبيون ملكا صناعيا ، مزعزع الأركان لم يرس على قواعد ولم يقم على أسس ، ولم تكن له أخيرا أمة أو شعب أصيل صاحب وطن ، فهو ملك زرع فى غير بيئته وشعب أقام فى غير موطنه ، وهذه المظاهر تدل على أن الملك الصليبى كان يسير من قوة إلى ضعف ، فى حين أن المعسكر الإسلامى المجاور كان يسير من ضعف إلى قوة ، فالمسلمون كانوا يحسون فى كل لحظة أن هذه بلادهم وأوطانهم وقد اغتصبت منهم فى ساعة ضعف اغتصابا ، والذى يقاتل للدفاع عن وطنه يقاتل بقوة لا يعرفها من يقاتل عن ملك مغتصب ، والمسلمون يقدسون البيت المقدس كما يقدسه المسيحيون تماما، فهو عندهم ثالث الحرمين ، واليه أسرى الله

بنبيهم محمد من المسجد الحرام ، ولهم فيه أمجاد تاريخية كثيرة لا تنسى ، فهم يقاتلون في سبيله لا يقلون حماسة عن أعدائهم الطيبين .

وكان يدعم المعسكر الإسلامي ويزيده قوة على قوة أن أصبح جبهة واحدة متحدة على رأسهم قائد شجاع محنك هو صلاح الدين في حين أن المعسكر الصليبي كانت تأخذه حينذاك عوامل الفرقة والانقسام : ففي المعسكر الصليبي مات عموري ملك بيت المقدس عام ١١٧٤م وخلفه ابنه بلدوين الرابع وكان طفلا صغيرا تولت الوصاية عليه ايزابيلا أخته .

وفي سبتمبر عام ١١٨٧م اتجه صلاح الدين بجيوشه إلى هدفه وهدف المسلمين الأكبر ، إلى بيت المقدس أكبر الإمارات الصليبية ، ورغب في الاستيلاء عليها قبل أن يفيق العدو من ضربة حطين ، وقبل أن يصل إليها المدد من الخارج ، وكانت المدينة قوية تحيط بها الأسوار والحصون المنيعة ، فأحاطها بجيوشه وحاصرها حصارا شديدا ، ونصب المجانيق ، وضربت الأسوار ، وأبدى الفريقان بسالة رائعة في القتال ، ولكن لم يمضِ غير أسبوع واحد حتى اشتد الضيق بالصليبيين المحاصرين ، فطلبوا التسليم ، وتمنع صلاح الدين أولا ، وقال إنه يريد أن يستولي على القدس عنوة ليفعل بمن فيها من الفرنج مثل ما فعلوه بالمسلمين يوم استولوا على المدينة منذ نحو تسعين عاما .

وبعد مفاوضات اتفق على شروط التسليم ، وأكرم صلاح الدين ملكة بيت المقدس فسمح لها أن تصحب معها في خروجها أموالها وخدمها ، وكذلك فعل مع زوجات كثير من أمراء الصليبيين . وهكذا دخل صلاح الدين بيت المقدس بعد أن بقي في أيدي الصليبيين ثمانية وثمانين عاما ، كما عامل أهلها وسكانها كلها بروح كلها سماحة ونبل وكرم .

ولا يستطيع الباحث أن يمر بهذا الحادث دون أن يقف وقفة قصيرة يلقي فيها نظرة على الصورتين المتقابلتين المتعارضتين : صورة بيت المقدس عندما استولى عليه الصليبيون في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي ، وصورته عندما استعاده المسلمون في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي . الصورة الأولى نجد الصليبيين يخربون ويهدمون ويقتلون سكان المدينة من المسلمين ويذبحونهم حتى ليعترف أحد المؤرخين الصليبيين

الذى شهد الفتح أنه وصل إلى مسجد المدينة فى بحر من الدماء وصل إلى ركبتيه (١) .
وفى الصورة الثانية نجد صلاح الدين يحمى الأرواح ، ويبجل رجال الدين ، ويكرم الحرائر من النساء ، ويصون المبانى المقدسة ، بل يرممها ويأمر بإصلاحها ، فى الصورة الأولى وحشية الغرب وقسوته وهمجيته ، وفى الصورة الثانية سماحة الشرق ونبله وكرمه . بهذا شهد المؤرخون جميعا والغربيون منهم قبل الشرقيين منذ عصر صلاح الدين حتى اليوم .

وأكتفى بأن أنقل هنا بعض فقرات مما قاله مؤرخ انجليزى من مؤرخى الحروب الصليبية هو "رانسمان " فى كتابه "تاريخ الحروب الصليبية" الجزء الثانى، عند كلامه عن سقوط بيت المقدس وعن موقف صلاح الدين وجيشه من سكان المدينة : " كان المنتصرون معقولين وإنسانيين ، بينما خاض الفرنج عند استيلائهم على المدينة منذ ثمانية وثمانين عاما فى دماء ضحاياهم ، نجد فى هذه المرة أنه ما من بناء نهب وما من إنسان أصابه أذى، وقد أمر صلاح الدين الحراس أن يحرسوا الطرق والأبواب ، ويمنعوا أى اعتداء قد يصيب المسيحيين .

وقال فى نفس الصفحة : "وتقدم نساء الفرنج اللاتى افتدين أنفسهن إلى صلاح الدين والدموع تملأ عيونهن وسألنه فى استرحام أين يستطعن الذهاب فقد قُتل أزواجهن أو آباؤهن أو وقعوا فى الأسر ، فكان جواب صلاح الدين أن وعدهن بأن يطلق سراح كل زوج أسير ، أما الأرامل واليتامى فقد أعطاهم منحة تتناسب مع مكانتهم من حر ماله ، لقد كان عطفه وعفوه مباينا مباينة واضحة لأفعال المسيحيين الغزاة فى الحملة الصليبية الأولى . ولقد دخل صلاح الدين المدينة يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هجرية ، وهو يوم يحتفل المسلمون فيه بذكرى ليلة الإسراء ، وأقيمت الصلاة لأول مرة بعد أن ظلت معطلة ثمانية وثمانين عاما ، وخطب الجمعة الفقيه محيى الدين بن زكى الدين ، فألقى خطبة قوية هى من أروع ما خلفه عصر الحروب الصليبية من أدب (٢).

وقد أمر صلاح الدين بإصلاح ما أفسدته الحرب وما خربه الفرنج من مبانى المدينة ومنشآتها وخاصة المسجد الأقصى ، وحمل إليه المنبر الذى كان قد أمر نور الدين محمود بصنعه ليضعه بنفسه فى المسجد بعد استيلائه على المدينة ، وسار صلاح الدين فى بيت

المقدس على نفس السياسة الإصلاحية التى كان يتبعها فى مدن دولته المختلفة ، فأنشأ بها الكثير من المدارس ، كما أنشأ بها بيمارستانا لمعالجة المرضى .

وكان لسقوط بيت المقدس فى أيدى المسلمين صدى قوى فى أوربا ، فاستثيرت حماسة القوم من جديد ، وانتهى الأمر بإرسال حملة صليبية جديدة قوية هى المعروفة بالحملة الثالثة التى كانت تسيرها وتوجهها عوامل سياسية واضحة ، فلم يعد العامل الدينى هو العامل الوحيد المؤثر فى الحركة الصليبية ، وكان يقودها ثلاثة من كبار ملوك أوربا فى ذلك الوقت وهم : فردريك بارباروسا إمبراطور الدولة الألمانية وريتشارد قلب الاسد ملك إنجلترا وفيليب أوجست ملك فرنسا .

وبعد سقوط عكا فى أيدى الصليبيين استقر صلاح الدين فى القدس يقويها ويحصنها وأفسد الماء خارجها واتجه الفرنج بجيوشهم نحو المدينة ، ولكنهم لم يلبثوا أن عادوا إلى الساحل فقد أدركوا أ ن تحصينات القدس ليس من السهل التغلب عليها .

وتحددت مفاوضات الصلح ، وعقد الصلح فى ٣ سبتمبر ١١٩٢م وهو المعروف بصلح الرملة وأهم شروطه احتفاظ الفرنج بمنطقة الساحل من عكا إلى يافا والسماح للحجاج المسيحيين بزيارة بيت المقدس (٣) .

وتم الصلح ووفد الحجاج إلى القدس للزيارة فأكرمهم صلاح الدين وبالغ فى إكرامهم، وأقام صلاح الدين فى القدس قليلا يبنى ويعمر ويصلح وينشئ المدارس والمستشفيات كعادته وعاد إلى دمشق إلى أن صعدت روحه إلى بارئها فى ٤ مارس ١١٩٣م فحزن المسلمون لموته حزنا لم يحزنوه لموت أحد من قبله، فقد مات البطل الذى قادهم نحو النصر ، ورد اعتبارهم وأيقظ فيهم روح العزة والكرامة والبطولة ، وكان لهم دائما المثل الأعلى بتقواه وشجاعته ونبله ومروءته.

وقد بدأت علاقات الود والصداقة تتوثق بين ملوك الأيوبيين وملوك النورمان منذ عهد فردريك الثانى والكامل محمد وانتهت المفاوضات بين الكامل وفردريك بتسليم بيت المقدس للإمبراطور باعتباره ملك دولة الصليبية بشرط ألا يقيم الصليبيون بها حصونا أو قلاعا ، وأن يبقى فى أيدى المسلمين من بيت المقدس منطقة المسجد الأقصى على ألا يحمل المسلمون فى تلك المنطقة سلاحا ، وأن تسرى هذه المعاهدة لمدة عشر سنوات. ثار

المسلمون ضد الكامل لأنه فرط فى أملاك المسلمين ، وفى بيت المقدس بالذات دون حرب أو قتال ، ودخل فردريك بيت المقدس ، ووضع التاج بيده على رأسه .

وفى عام ١٢٤٤م سار الملك الصالح نجم الدين أيوب بقواته إلى بيت المقدس فحررها من الصليبيين عام ١٢٤٤م. وكان لسقوط بيت المقدس فى يد الصالح صدى قوى فى أوربا يشبه صدى سقوطها قديما فى يد صلاح الدين ، فبدأت الدعوة لحرب صليبية جديدة قوية .

تعريف الصهيونية

إن الرسالات السماوية الثلاث : اليهودية والمسيحية والإسلام ، قد نزلت على أنبياء ينتمون إلى أحد الفرعين الساميين : العرب واليهود ، بيد أن الشبه بين العرب واليهود ولاسيما من حيث الطباع يكاد يكون مفقودا . فالعربى طبع على الشجاعة والمروءة والنجدة والصراحة والزهد والكرم ، بينما اليهودى فطر على الخبث والنفاق والجبن والبخل والطمع , والصهيونية نسبة إلى صهيون أحد جبال القدس وهدفها تحقيق الطموح الدينى اليهودى بالاستيلاء على كامل فلسطين وعلى مناطق كثيرة فى الدول العربية .

ولم تتغير طبائع اليهود بمضى الزمن إلى أيام السيد المسيح عليه السلام ، وهاهو ذا السيد يخاطب اليهود موجها كلامه لأورشيلم بقوله :(يا أورشليم ، يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدى).

ثم هاهو ذا بولس الرسول يخاطب اليهود قائلا : (يا قساة القلوب ، يا غير المطهرين بالقلوب والآذان أنتم تقاومون الروح فى كل حين) .

أما القرآن الكريم فقد كان على حق حين وصف اليهود بأنهم أعداء الله وعبدة الطاغوت وأبناء القردة والخنازير (٤) .

ويغلب على ظن الكثيرين أن الصهيونية حركة دينية قديمة ، وأنها مرتبطة بما ورد من الوعود للخليل إبراهيم عليه السلام . والواقع أنها ليست بالحركة الدينية ، وليست

بالحركة القديمة فى بنى إسرائيل أنفسهم ، ولكنها حركة سياسية تابعة لقيام الدولة وسقوطها فى بيت داود ، فغاية ما بلغه إبراهيم عليه السلام تحت قمة صهيون أنه اشترى قبرا هناك بالمال كما جاء فى الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التكوين فى العهد القديم (٥) .

ومضت القرون بعد إبراهيم إلى عهد موسى عليه السلام ، ثم مضت القرون بعد موسى والحال على ما كانت عليه ، وبقيت مدينة القدس فى يدى اليوسفيين ، ثم أغار بنو يهودا عليها فدمروها وأحرقوها. ولم يخطر لهم أن يتخذوا فيها مقاما ذا قداسة عندهم أو غير ذى قداسة . ولم يتفق اليهود أنفسهم على قداستها بعد قيام الهيكل فيها .

وإذا رجعنا إلى كلمة "صهيون" نفسها لم نجد لها أصلا متفقا عليه فى اللغة العبرية ، فأكثر الشراح يرجحون أنها عربية الأصل لها نظير فى اللغة الحبشية ، وأنها من مادة الصون والتحصين ، وكانت فعلا من حصون الروابى العالية .

والمقصود بالعربية هنا لغة الأصلاء من أبناء الجزيرة الذين سكنوا أرض فلسطين قبل هجرة العبرانيين بمئات السنين ، وهم الذين أطلقوا على الأرض اسم " أرض كنعان " بمعنى الأرض الواطئة ، ولا تزال مادة كنع وقنع وخنع بهذا المعنى فى لغتنا العربية الحاضرة .

واليهود هم الذين قالوا على أنفسهم : نحن مثل حبات الرمال كلما داستنا الأقدام كلما ازددنا نعومة ولمعانا .. ونحن مثل حبات العنب تعصرنا الأقدام فيكون منا نبيذ بعد ذلك. وأحد مزامير التوراة يقول : (طوفوا بصهيون ودوروا حولها .. عددوا أبراجها .. ضعوا قلوبكم على متاريسها .. تأملوا قصورها .. وتحدثوا عن أمجادها لأجيال أخرى بعدكم .. والله يهدينا إلى الأبد .. (٦) .

الأطماع الصهيونية فى بيت المقدس

تربط الدعاية الصهيونية دائما بين فكرة (الحقوق التاريخية) وفكرة (أرض الميعاد) التى يبدو وكأنها تعطى الإسرائيليين (حقا إلهيا) لتملك فلسطين والسيطرة عليها ، إلا أنه

ليست هناك إشارة صريحة للعبرانيين ولا للإقامة بمصر ، ولا لخروجهم منها ، بل ولا لغزوهم أرض كنعان . وهكذا لا تظهر مسألة "أرض الميعاد" بفلسطين إلا في النصوص الصادرة عن أصحاب المصلحة فى الاستفادة منها (٧) .

وأول ملحوظة تعرض نفسها بمجرد أن نرفض الأجزاء التى تدعى تاريخية فى العهد القديم ، هى أن تاريخ العبرانيين أبعد من أن يكون قطب الرحى فى تاريخ العالم كما تدعى ذلك الصهيونية السياسية ومن تبعها من بعض المؤلفين المسيحيين ، فتاريخ العبرانيين لم يظهر فى أى لحظة قائما بذاته ومنفصلا عن تاريخ الإمبراطوريات الكبرى فى بلاد ما بين النهرين أو أرض الحيثيين أو أرض مصر ، ولم يشكل العبرانيون عنصرا قائما بذاته قبل مجىء البدو الرحل إلى أرض كنعان ، وإنما تكونوا من مجموعات ترجع إلى عناصر مختلفة وكانوا جزءاً من الهجرات البدوية الكبرى .

والمصادر الوحيدة لدينا – بخلاف العهد القديم – قليلة ، وأقدم ذكر لإسرائيل قد ورد فى حجر يشيد بالانتصارات المصرية للفرعون مرنبتاح حوالى عام ١٢٢٥ ق.م. وجاء فيه أن ذلك الفرعون أخذ يستولى على المدن الفلسطينية وأثناء ذلك دمر إسرائيل ، ولم يعد لذلك الشعب وجود ، وهذا يؤدى إلى نتيجتين هامتين :

الأولى : أنه يستحيل أن نعطى إسرائيل "حقا تاريخيا" باعتبارها أول من شغل هذه الأرض. فعندما أتت القبائل أرض فلسطين مع موجة الآرامية وجدت بها الكنعانيين والحيثيين والأدوقيين وغيرهم . وقد جاء العرب فى القرن السابع الميلادى وأدخلوا أغلب السكان فى الإسلام (بما فيهم اليهود) وامتزجوا بهم بالمصاهرة وأدخلوا اللغة العربية فى تلك البلاد . وظهور العرب فى فلسطين إنما هو ظاهرة ثقافية أكثر من كونها ظاهرة عرقية . والفلسطينيون الحاليون ينحدرون من السكان الأصليين الكنعانيين ، وهم يعيشون فوق تلك الأرض منذ خمسة آلاف عام على الأقل .

الثانية : هى أن العبرانيين عند وصولهم إلى مصر فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وعندما استقروا فى فلسطين إما بالتسلل إليها أو بغزوها ، هم على الأكثر غزاة من بين

آخرين مثلهم مثل البابليين والحيثييــن والمصريين والفرس والإغريق والرومان والعرب والعثمانيين والإنجليز (٨) . بل إن إسرائيل نفسها ليست لها خريطة رسمية .. إن حدودها مفتوحة ، لم تحدد بعد .. بل هم لا يريدونها محددة لأن أطماعهم لم تقف عند أية حدود بعد (٩) .

وإذا كان اليهود قد سرقوا أرض فلسطين فإن هذه الأرض هى أكبر من كل أطماع اليهود ، بل لم يكن من أحلامهم ، أول الأمر ، أن تكون لهم فلسطين ، فقد كانوا يحلمون بأى أرض وفى أى موقع .. وكان بكاؤهم عند حائط المبكى ليس فقط على أن المعبد قد انهدم عليهم أكثر من مرة .. وأنهم يتطلعون إلى اليوم الذى يعيدون فيه بناءه .. ولكن على أنهم بغير وطن وفى أى أرض .. فلما سرقوا فلسطين راحوا يبكون أيضا لأنهم لا يملكون الأرض العربية من النيل إلى الفرات . وكان شعورهم نحو بيت المقدس خلال هذه القرون لا يتجاوز شعور الحنين إلى مجد قديم ، وانتظار الوقت الموعود فى الزمن الذى يختاره الله . وكان يتفق فى بعض السنين أن يتجه اليهود والمسيحيون معا إلى بيت المقدس ، على إثر الإشاعات " الفلكية " التى يزعمها إناس من المنجمين موعدا لعودة المسيح عليه السلام – فتكثر الهجرة إلى المشرق على اعتقاد المهاجرين جميعا أن الدنيا تنتهى – فى هذا الاعتقاد – بهذه العودة الموعودة ، وليست فكرة "الوطن القومى" مما يدخل فى هذا الاعتقاد ، بل كان من المسيحيين من يرى أن ارتداد اليهود عن كفرهم بالديانة المسيحية شرط لقيام الساعة ، فلا أمل لهم قبل ذلك باليوم الموعود (١٠) .

وفى كتاب لموريتس هيس Moritz Hess بعنوان "رومة أورشليم" وموضوعه كله على ضرورة الاعتراف بوطنين للشعب اليهودى ، وعلى اعتبار أورشليم مركزا لليهودية كما تعتبر روما مركزا للكنيسة المسيحية الكبرى .

ويرى الحاخام اليهودى تسفى كاليشر Zvih Kalisher ، وهو من أكثر المفكرين اليهود الذين تركت آراؤهم آثارا عميقة وواضحة فى الفكر الصهيونى أن خلاص اليهود لا يمكن أن يتم إلا بعودة اليهود أولا إلى فلسطين ، وهذه العودة لابد أن تسبق مجىء المسيح المنتظر ، وكلما تأخرت العودة كلما تأخر مجيئه وبالتالى تأخر الخلاص اليهودى (١١) .

وفى عام ١٨٦٢م نشر كاليشر كتابه "البحث عن صهيون" حيث أفرد الجزء الأكبر منه للحديث عن قدسية العمل اليدوى وأهمية الاستيطان الزراعى فى فلسطين . وقد وصف كاليشر فى كتابه حالة اليهود فى أوربا الشرقية وصفا مأساويا يمثل منتهى البؤس والشقاء والتعاسة ، غير أنه اعتبر ذلك امتحانا للإيمان وبداية لحدوث الخلاص الطبيعى عن طريق التطوع للذهاب إلى فلسطين بقصد الاستيطان والإقامة الدائمة فيها.

ويستهل المفكر اليهودى موزس هس Moses Hess (من ١٨١٢- ١٨٧٥) كتابه " بعث إسرائيل " The Retrieval of Israel فى ١٨٦٢م : " كانت غربة طويلة استمرت ما يزيد على العشرين عاما ... وعدت بعدها إلى شعبى وأهلى لأشارك من جديد فى أفراحهم وأحزانهم ، آمالهم وذكرياتهم ... تلك المشاعر التى خلت نفسى قد نجحت فى كبتها عبر السنين الطويلة ، بعثت إلى الحياة من جديد ... إنها المشاعر المستمدة من قوميتى التى ترتبط بتراث أجدادى وبالأرض المقدسة الخالدة ... (القدس)(١٢) .

وهكذا وصفت نظريات هؤلاء المفكرين الأسس الفكرية والعقائد للحركة الصهيونية وكانت مسئولة إلى حد كبير عن دفع موجات الهجرة اليهودية الأولى إلى فلسطين ، وساهمت فى إرساء دعائم النزعة الاستيطانية التوسعية للعمل الصهيونى فى فلسطين والشرق العربى خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين (١٣) . وعندما تحدد المفهوم الواضح للصهيونية السياسية انطلاقا من كتاب تيودور هرزل (الدولة اليهودية ١٨٩٦م) لم يرد به ذكر للشعب الفلسطينى ، بل لم يذكر اسم ذلك الشعب لا فى كتاب هرزل ولا فى الجمعيات السياسية التأسيسية للحركة الصهيونية ، والعالمية ، فإنكار وجود هذا الشعب هو من أهم المبادئ الأساسية الصهيونية ، وهو أصل كل الجرائم اللاحقة التى ارتكبت ضده . ولقد صرحت جولدا مائير لجريدة صنداى تايمز اللندنية فى ١٥ يونيو ١٩٦٩ قائلة :(لا وجود للفلسطينيين . وليست المسألة إننا أتينا وطردناهم وأخذنا بلادهم ، لا، إنهم لم يوجدوا أصلا). وعندما وجه السؤال إلى وايزمان (وكان هذا الأخير من قادة المنظمة الصهيونية العالمية) عن مصير العرب إذا ما أعطيت فلسطين لليهود ؟ رد بقوله : (من هم أولئك العرب ؟ إنهم لا شئ تقريبا)(١٤) .

وكتب آشير جنزبرج (من أوائل الصهيونيين الذين جاءوا إلى إسرائيل فى عام ١٨٩١م) "اعتدنا أن نقول من الخارج بأن أرض فلسطين شبه صحراوية ، وأنها لا زرع فيها ولا ضرع ، وعلى من يشاء الحصول على أرض أن يأتى هنا ويأخذ ما يشاء من أرض ، غير أن الواقع مخالف لذلك تماما . فيصعب أن نجد فى طول البلاد وعرضها أرضا بلا زرع ، المناطق الوحيدة غير المستزرعة هى مساحات من الرمال وجبال صخرية يمكن أن تنمو بها أشجار الفاكهة بعد جهد شاق من استصلاح الأرض وإعدادها" (١٥) .

مفهوم العرق أو الجنس

إن مفهوم العرق أو الجنس ليس سوى بدعة من بدع القرن التاسع عشر الأوربى ، ففى تبريره لسيادة الغرب الاستعمارية ترك فكرة التميز بين شعب وآخر على أساس اللغة ، وانتقل إلى نظرية مزعومة عن الاختلاف البيولوجى تؤدى إلى القول بوجود طبقات بين الأجناس البشرية . ولم يوضع مفهوم لنموذج بشرى متميز إلا فى القرن الثامن عشر حين ابتكر الفرنسى "بوفُّون" نموذجا ساميا للبشرية ألا وهو النموذج المتمثل فى العرق الأبيض ، وهو نموذج يتدهور – فى زعمه – كلما اتجهنا نحو المنطقة المعتدلة، وجاءت نظرية أخرى على أساس مذهب " النشوء والارتقاء" ، وقد كانت أوربا كالعادة محور تلك النظرية حيث اعتبرت غير الغربيين شعوبا بدائية ، وكان ذلك المفهوم ذريعة لتبرير الغزوات الاستعمارية وإضفاء مهمة رسالة حضارية على الرجل الأبيض الذى يحقق التقدم أينما ذهب .

وتعتبر فكرة " التخلف " اليوم امتداداً لذلك المفهوم القائم على الطبقية والذى يزعم أن الغرب هو المثل الأعلى للبشرية ، فكلما اقترب شعب من الشعوب من الغرب كلما زاد تقدمه وكلما بعد ازداد تخلفه .

وقد استنكر المفكر الأنثربولوجى المعاصر ليفى ستراوس هذه العنصرية أشد استنكار وأوضح تماما أنها مضرة بالبشرية لأنها تستبعد اللقاء بين الثقافات ، وقال فى

كتابه "العرق والدين" ص٣٧ : " ليس هناك عيب أشد ضررا بأمة من الأمم وأكثر إعاقة لها عن تحقيق ذاتها من بقائها منعزلة عن غيرها ".

وقد استخدمت نظرية العرق المزعومة كمبرر لمختلف ألوان السيطرة والعنف ، وبلغت أقصاها فى عهد النازية ، واتهم "هتلر" اليهود فى كتابه "كفاحى" بأنهم يريدون تدمير الجنس الأبيض الذى يبغضونه أشد البغض وذلك بالهبوط به إلى الدرك الأسفل عن طريق اختلاط الدم والتهجين : (فاليهودى يسمم دم غيره بينما يصون دمه وليس هناك أى أساس موضوعى وعلمى لفكرة "العرق" فالقول بأن اليهود "عرق" أو "جنس" منعزل عن بقية الأمم هو مدعاة لخلق أسطورة يعتنقها الصهاينة تؤمن بوجود كيان "يهودى" غير قابل للاندماج فى غيره من الشعوب سواء أكان ذلك لأنه " الشعب المختار " أو لأنه " الشعب المطرود" .

فهناك نتيجة واحدة ألا وهى " اقتلاع " اليهود من الشعوب التى يعيشون فيها وذلك لجمعهم فى "منزل عالمى" أو "جيتو عالمى" ، والواقع أنه لم يكن هناك قط " جنس يهودى " إلا فى الشطحات الجنونية لهتلر وللصهيونية ، ففى كل مراحل التاريخ ، كان اليهود أحد العناصر التى تكونت منها الشعوب الكبرى .

ويؤكد ماكسيم رودنسون (وهو يهودى) هذه الحقيقة بقوله : "من المرجح جدا – وهذا أمر يتجه علم الأنثربولوجيا إلى إثباته – أن سكان فلسطين الذين يطلق عليهم عرب فلسطين (وهم فى أكثريتهم مستعربون) قوم تجرى فى عروقهم دماء من قدماء العبريين أكثر مما تجرى فى عروق يهود الشتات الذين لم يمنع انغلاقهم من دخول كثير ممن اعتنقوا اليهودية إلى صفوفهم" (١٦) .

وقد قدم توماس كيرنان فى كتابه " العرب" (بوسطن ١٩٥٧م) عرضا شاملا ليقضى على التزييف التاريخى الذى يقوم به الصهيونيون إذ قال فى ص ٢٥٣ : "الصهيونيون أوربيون تماما ، وليس هناك أية رابطة بيولوجية أو أنثروبولوجية بين يهود أوربا والقبائل العبرية القديمة" (أى ليست هناك أية قرابة عضوية أو قرابة دم بين الصهيونيين ، وهم من أهل أوربا ، وبين قدماء العبريين) .

نقل السكان العرب

يهدف المخطط الصهيونى إلى طـرد السكان الأصليين الذين يشغلون الأرض التى سيقام فيها التجمع الصهيونى. وقد كتب هرتزل فى يومياته عن "الطرق والوسائل المختلفة" لنزع ملكية الفقراء ، و"استخدام السكان الأصليين فى نقل الثعابين وما شابه ذلك، ثم إعطائهم وظائف فى دول أخرى يقيمون فيها بصفة مؤقتة " .

وطرد السكان الأصليين أمر حتمى ، حتى يتسنى إقامة دولة يهودية خالصة لا تشوبها أية شوائب عرقية أو حضارية أخرى ، وإذا كان هذا هو مخطط الصهاينة بالنسبة لأى سكان فى أى أرض قد يستولون عليها ، فبالنسبة للعرب الفلسطينيين يصبح الطرد أكثر إلحاحا وأكثر أهمية ، فظهور الفلسطينى على المسرح سيكشف الأسطورة الصهيونية، فى حين سيجعل اختفاؤه أو غيابه من الممكن للصهاينة أن يزعموا أن الأرض المقدسة الخالية هى أرض بلا شعب ، فى انتظار سكانها المقدسين منذ آلاف السنين . ولذا فليس من الغريب أن نكشف أن معظم الزعماء الصهاينة ، بما فى ذلك هرتزل ونوردو ، قد طالبوا بتفريغ فلسطين من سكانها ونقلهم إلى البلاد المجاورة . هذا وقد نشرت مجلة الجوتيش كرونيكل فى ١٣ أغسطس ١٩٧٣م وثيقة وقعها وايزمان بالحروف الأولى من اسمه ، تدل على أن الزعيم الصهيونى كان يرى أن نجاح مشروع التقسيم يتوقف على "مدى إخلاص الحكومة البريطانية للتوصية الخاصة بنقل السكان" (١٧).

وذكر جوزيف وايتز ، مسئول الاستيطان فى الوكالة اليهودية ، فى عدد ٢٩ سبتمبر ١٩٦٧ من جريدة دافار ، هو وغيره من الزعماء الصهاينة ، أنهم قد توصلوا إلى نتيجة مفادها أنه "لا يوجد مكان لكلا الشعبين (العربى واليهودى) فى هذا البلد "وأن تحقيق الأهداف الصهيونية يتطلب تفريغ فلسطين ، أو جزء منها ، من سكانها ، وأنه ينبغى لذلك نقل العرب ، كل العرب ، إلى الدول المجاورة ، وبعد إتمام عملية نقل السكان هذه ستتمكن فلسطين من استيعاب الملايين من اليهود" (١٨) .

إن فراغ فلسطين من سكانها هو هدف صهيونى ، وضرورة يحتمها منطق الأسطورة، ولكى يحقق الصهاينة مخططهم تبنوا تكتيكات مختلفة ، فلم يكن العنف المسلح

هو الوسيلة الوحيدة ، وإنما استخدموا وسائل أخرى أيضا . وقد اتهم عالم الاجتماع النمساوى لودفيج جومبلوفيتش وهو من أوائل العلماء الغربيين الذين نبهوا العالم الحديث إلى أهمية المؤرخ العربى ابن خلدون ، اتهم هرتزل بالسذاجة السياسية ، ثم طرح عليه سؤالا بلاغيا : "هل تريد أن تؤسس دولة بدون سفك دماء ؟ بدون عنف أو مكر ؟ هكذا بالتقسيط المريح!!" ومن المؤكد أن العنف والمكر هما الأداتان اللتان استخدمهما الصهاينة. ويتمثل المكر فى نشر الذعر والإرهاب بين العرب ، أما العنف فيتمثل فى تعريضهم للإرهاب الفعلى .

القضية الفلسطينية : رؤية تاريخية

القضية الفلسطينية هى قضية العرب الأولى بل هى قضية العالم بأسره ، وقد لعبت استراتيجية موقع فلسطين والعوامل الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية والعسكرية والصراعات الأيديولوجية دورا هاما وخطيرا فى خلق وتعميق المشكلة الفلسطينية (١٩) .

وكانت فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى واقعة كغيرها من الدول العربية تحت الحكم العثمانى . ولما انهارت الدولة العثمانية فى نهاية الحرب وقعت فلسطين تحت قبضة الاستعمار البريطانى من جهة ، وجشع وأطماع الصهيونية العالمية من جهة أخرى. وكان هذا الاتجاه متمشيا مع مقررات المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى بال بسويسرا عام ١٨٩٧م ، ومع توصيات مؤتمر الدول الاستعمارية الذى عقد فى عام ١٩٠٧م ، وأوصى بضرورة مقاومة أى شكل من أشكال الوحدة العربية ، والعمل على فصل الجزء العربى الآسيوى عن الجزء العربى الأفريقى وإقامة حاجز بشرى قوى وغريب على الجسر الذى يربط آسيا وأفريقيا .

ولما كانت بريطانيا تطمع فى السيطرة على فلسطين لتتحكم فى مصر وقناة السويس وتحمى خطوط مواصلاتها التجارية والعسكرية إلى الهند ، فقد تنكرت لكافة وعودها للعرب بالحرية والاستقلال فى مراسلات حسين - مكماهون - ولاتفاقية سايكس - بيكو التى وافقت على تدويل القدس ، وسارعت بإصدار تصريح بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧م الذى تعاطفت فيه مع أمانى اليهود القومية وتطلعاتهم فى فلسطين ، ووعدتهم بإنشاء وطن

قومى لهم هناك ، وهذا الوعد ينسب إلى جيمس آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا آنذاك. وقد جاء الوعد على شكل رسالة وجهها بلفور إلى اللورد روتشيلد الزعيم الصهيونى الكبير فى بريطانيا جاء فيها ما يلى : "إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف والرضا إلى إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل جهودها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ".

وهكذا جاء وعد بلفور ليكشف بكل وضوح حقيقة التحالف بين الاستعمار البريطانى والحركة الصهيونية لخدمة مصالحهما وأهدافهما المشتركة .

وبالرغم من أن الوعد استبدل تعبير "دولة" بتعبير "وطن" إلا أنه كان واضحا أن الدولة ستظهر إلى حيز الوجود فى نهاية المطاف . ولقد كان وعد بلفور أول اعتراف دولى بالصهيونية السياسية ومشاريعها الاستيطانية (٢٠) .

ولعلنا نكتفى هنا بذكر مشروع الفريد ليلينتال فى كتابه الأخير :" الوجه الآخر للعملة The Other Side of Coin الذى يقترح فيه أن يعود الصهيونيون الإسرائيليون الذين من أصل أوربى إلى أوربا ، ويبقى الإسرائيليون الذين من أصل شرقى فى فلسطين ، وذلك مع عودة عرب فلسطين إليها ليعيشوا معهم فى دولة واحدة جديدة ، تدخل مع الوقت فى علاقات اقتصادية مع الدول العربية متطلعة إلى اتحاد اقتصادى مع الأردن وغزة ومتجهة فى النهاية إلى "اتحاد سامى" كبير .

إن الحديث عن " وحدة جنسية " بين اليهود ككل لا محل له من حقيقة أو علم على الإطلاق ، وأن اليهود لا يعرفون الوحدة الجنسية أكثر مما يعرفون الوحدة الجغرافية . وواضح بالتالى أن النقاوة الجنسية المزعومة لهم إنما هى محض "خرافة" والواقع أن هذه قضية لم تعد ، بل لم تكن قط ، موضع جدل بين العلماء . إن المغزى الإثنولوجى لكلمة يهود قد انتهى منذ أمد طويل ، وليس اليهود جنسا بل مجرد "ناس" بكل بساطة (٢١).

وعلى هذا الحكم الحاسم الأخير يعلق مؤلفو كتاب " نحن الأوربيون We Europeans وهم جوليان هكسلى وهادون وكارسوندرز" ، ونحن نعتقد أن اليهود لا يمكن أن يصنفوا لا كأمة ولا حتى كوحدة إثنولوجية ، بل هم بالأحرى مجموعة اجتماعية - دينية . كما يقرر هوتون Hooton حقيقة هى لاشك أن اليهود مختلفون جنسيا ومن

أصـول طبيعيـة متنوعـة . وهـو إذا كـان يجد فيهم قـدراً ، مـن وحـدة طبيعيــة ونفسـية وحضارية ، فما هى بوحدة جنسية تماما ، ولا وطنية ولا لغوية ، ولكن إلـى حـد مـا كـان أولئك . ويؤكد آشلى مونتاجو Ashley Montagu نفس الانتهـاء فيقـرر علـى النقيـض مباشـرة مـن أن اليهـود ليسـوا وحـدة إثنولوجيـة، بـل - باصطلاحـه - مجــرد "معزولــة حضارية" Cultural Isolate (٢٢) .

وانطلاقا من هذا يسقط أى ادعاء سياسى للصهيونية فى "أرض الميعاد" فبغض النظر عن أن القانون الدولى يتكفل بشجب وتفجير ادعاءاتهم على أى أساس تاريخى أو دينى ، فإن الإنثروبولوجيا تبدد أى أساس جنسى قد يزعمونه فى هـذا الصـدد . فمـن ناحيـة ليـس اليهود قومية ولا هم شعب أو أمة ، بل هم مجرد طائفة دينية تتألف من أخـلاط مـن كـل الشعوب والقوميات والأمم والأجنـاس . ومـن ناحيـة أخـرى ، فـلا علاقـة لهـم جنسيا أو أنثروبولوجيا بفلسطين ، وهم أجانب غربـاء عنهـا دخـلاء عليهـا مثلمـا يعد الأوربيـون أو الأمريكيون بالنسبة إليها . وهم حين يغتصبونها ليخلقوا منهـا إسـرائيل الصهيونيـة فليست هذه عودة الابن القديم بعد رحلة طالت عبر الزمان والمكان ، وإنمـا هـى غـزو الأجنبـى الغريب ، بالإثم والعدوان .

ولا يشكل اليهود أغلبية إلا فى إسرائيل وحدهـا ، ومـع هـذا فـإنهم يحسـون بإحسـاس الأقلية نظرا لوجودهم فى صورة مجتمع استيطانى منعزل داخل الكثافة السكانية العربيـة، ولخوفهم الدائم من العرب الموجودين فى فلسـطين . ولتكـاثر العـرب فـى مقـابل تنـاقص الهجرة ، وتزايد النزوح بيـن المسـتوطنين ، وعقـم الأنثـى اليهوديـة فـى إسـرائيل ، فـإن العرب سيصبحون هم الأغلبية العددية لا النفسية فحسب ، وهذا ما يسمى "مشكلة إسـرائيل السكانية" (٢٣) . ويتكدس حوالى ٧٥٪ من اليهود فى مدن إسرائيل .

ويمثل الانتداب البريطانى على فلسطين (١٩٢٠- ١٩٤٨م) أول مرحلة مـن مراحـل المؤتمرات الاستعمارية الصهيونية لاقتلاع جـذور فلسـطين العربيـة الإسـلامية ، والتمهيد لاستيلاء اليهود عليها وتهويدها تدريجيا . وتضمن صك الانتداب الذى أقره مجلس عصبة الأمم فـى ٢٤ يوليـو ١٩٢٢م اعترافـا "بالصلـة التاريخيـة التـى تربـط اليهـود بفلسـطين وبالأسباب التى تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومى فى تلك البلاد" ، كما تضمن الصـك

تصريح بلفور والاعتراف بكل ما ورد فيه وألزم الدولة المنتدبة (بريطانيا) بالعمل على إنشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين وذلك بتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين وشرائهم للأرض (٢٤) .

وفى عام ١٩٢٠م ألغيت الإدارة العسكرية لفلسطين وأقيمت بدلا منها إدارة مدنية برئاسة اليهودى الانجليزى هربرت صموئيل الذى اختارته الحكومة البريطانية كأول مندوب سامى لبريطانيا فى فلسطين . ولاشك أن هذا التعيين يعنى صبغ فلسطين بصبغة يهودية تشجع على الهجرات اليهودية إلى فلسطين وتمكن من إنشاء حكومة يهودية فى نهاية الأمر . وتحقيقا لهذه الغاية فقد فتح صموئيل أبواب فلسطين على مصراعيها للمهاجرين اليهود من كل أرجاء العالم وقفلها فى وجه عرب فلسطين العائدين لبلدهم الذين فارقوه طلبا للرزق ، كما انتهج سياسة منحازة لليهود ومعادية للعرب ، وقد ظهرت فى عهده طوابع البريد وقطع العملة التى تحمل كلمة إسرائيل العبرية .

ونتيجة لهذه السياسة المتميزة لليهود فقد ازدادت أعداد الهجرة اليهودية إلى فلسطين زيادة كبيرة وبدأوا فى شراء وامتلاك الأراضى العربية من الفلسطينيين بالقوة مما أدى لقيام الثورة العربية ضد اليهود والتى استمرت لثلاثة أعوام (١٩٣٦- ١٩٣٩) وأعلن عرب فلسطين رفضهم لمشروع التقسيم بين إسرائيل وبينهم .

واستغلت الحركة الصهيونية الظروف التى أوجدتها الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) ، فاتجهت مساعيها نحو الولايات المتحدة الأمريكية التى أصبحت تمثل مركز الثقل بالنسبة للسياسة الدولية بعد انتهاء الحرب ، وتدفقت المساعدات الأمريكية على اليهود وانتشرت العصابات الصهيونية على أرض فلسطين مثل الهاجاناه والأرجون زفاى ليومى وأخذت تعمل فى العرب ذبحا وقتلا وإرهابا ، وتزايد العنف الدموى والإرهاب اليهودى ، وتخلت بريطانيا عن مسئوليتها فأعلنت إنهاء انتدابها على فلسطين عام ١٩٤٧م ، وأصدرت الجامعة العربية قرارها بدخول جيوشها إلى فلسطين لنصرة شعبها، ورغم تحقيقها لانتصارات باهرة وسريعة فى أول الأمر إلا أنها لم تكن مستعدة للحرب وغير مدربة ، كما أن قيادتها كانت تحت إمرة ضباط بريطانيين عرفوا بتعاطفهم مع

اليهود وخيانتهم للقضية العربية فتعرضت للهزيمة وظهرت دولة إسرائيل فى قلب الوطن العربى واعترفت بها الدول الكبرى بعد ساعات من قيامها .

وقد أدخلت عصابات الهاجاناه اليهودية بعض التحسينات الهامة على تكتيكاتها ، ولاسيما فى نهاية عهد الانتداب البريطانى . ففى الهجوم على القرى العربية كان رجال الهاجانه يضعون وبهدوء شحنات متفجرة حول المنازل المبنية من الحجارة ويبللون إطارات النوافذ والأبواب بالبنزين ، وبمجرد أن يتم تنفيذ هذه الخطوة يفتحون نيرانهم ، فى الوقت الذى يبدأ انفجار الديناميت ، فيحترق السكان النائمون حتى الموت . وتفاصيل حادثة الهجوم على قرية دير ياسين وهى أول قرية عربية تستولى عليها القوات اليهودية، والمذبحة التى أعقبتها قد سجل كله بالكامل فى ٢ إبريل عام ١٩٤٨م . وجاء فى إحدى النشرات الإعلامية التى أصدرتها وزارة الخارجية الإسرائيلية أن ما وصف بأنه "المعركة من أجل دير ياسين كان جزءاً لا يتجزأ من المعركة من أجل القدس" (٢٥) .

وقد علق حاييم وايزمان على نتائج الإرهاب والمكر الصهيونيين قائلا : إن خروج العرب بشكل جماعى كان تبسيطا لمهمة إسرائيل ونجاحا مزدوجا : انتصار إقليمى ، وحل ديموجرافى نهائى ، إن الأرض بعد تفريغها من سكانها ، أصبحت بلا شعب ، حتى يأتى الشعب الذى لا أرض له . إن الدولة الصهيونية لم ترض بما حصلت عليه من أرض ، فما كانت الأرض لترضيها وأرادت أن تخلى البلاد من أهلها حتى تجعل منها أرض استيطان يحل فيها المهاجرون محل السكان الأصليين (٢٦) .

وفى عام ١٩٤٩ وبعد الحرب الأولى بين إسرائيل والعرب ، أصبح الإسرائيليون يسيطرون على ٨٠٪ من أرض البلاد بعد أن طردوا ٧٧٠٠٠٠ فلسطينى .

ومنذ ثلاثة آلف عام تكونت – نتيجة لغزوة – مملكة يهودية مؤقتة عابرة لم تستمر سيطرتها سوى ٧٣ عاما ، ولم يكن لها قط تجانس يقوم على أساس جنسية واحدة ولا اهتمت هى بمثل هذا التجانس ، ثم أدت تقلبات التاريخ إلى انهيار هذه الدولة فكان مصيرها مصير كل الإمبراطوريات وكل الممالك . فجميع الغزاة الذين وفدوا على بلد ورفضوا الاندماج فى أهله كان مصيرهم الطرد ، مثل الصليبيين الذين غزوا فلسطين فى القرن الحادى عشر الميلادى وعاشوا فيها كالجسم الغريب كما تعيش إسرائيل اليوم ،

ويرضوا حكمهم كما فعلت إسرائيل الحديثة التى سيطرت بقوة أسلحة الغرب وأموال الغرب . فماذا حدث للصليبيين ؟ لقد طردوا من أرض فلسطين بعد قرنين من احتلال كان عبارة عن سلسلة متتابعة من الحروب ضد أهل البلاد وأُجْلِيَ عن عكا آخر جندى صليبى عام ١٢٩١م.

وبالرغم من تصريحات زعماء الصهاينة الدائمة بأنهم وُعدوا بهذه الأرض ، وأنهم شعب التوراة فيجب أن يمتلكوا بلاد التوراة ، بلاد القضاة أرض أورشليم وحبرون وأريحا سواء أكانوا من اليمين أم اليسار ، أعضاء فى حرب العمال أو فى كتلة ليكود ، ناطقين باسم الجيش أم باسم الحاخامية ، ويستندون إلى "حق إلهى" فى ملكيتهم لفلسطين يتيح لهم حق تجريد كل من يعيش فى فلسطين من أرضه ليضعوا هم يدهم عليه ، ويستبيح المرء كل شئ إذا كان من الشعب المختار (٢٧) .

إذا كان طرد الفلسطينيين والاستيلاء على أرضهم عملا تم عن قصد وبنظام منهجى، وأتت الصهيونية السياسية بالحل الوحيد الناتج عن البرنامج الاستعمارى وهو إقامة المستعمرات الاستيطانية بطرد الفلسطينيين وتشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين .

... بالقدس ترتبط أمجد لحظات الأديان السماوية الثلاثة ، ترتبط بها تضحية إبراهيم رمز الإيمان الذى يسمو على أية قيمة عقلية أو خلقية ، والقدس ملك للأديان الثلاثة : اليهودية والمسيحية والإسلام، وبها ارتبط اسم المسيح عليه السلام ، وبها ارتبط الإسراء والمعراج لمحمد عليه الصلاة والسلام . وكان للقدس إذن معنى رفيع لدى اليهود والنصارى والمسلمين ، فهى بالنسبة للأديان السماوية الثلاثة رمز تجمع البشرية فى الإيمان ، ولهذا حرص المسلمون خلال الأحد عشر قرنا التى تولوا فيها حراستها وصيانتها على توقيرها وسمحوا للحجاج من كل الأديان بأداء شعائرهم فيها .

وكانت الحروب الصليبية عبارة عن "صهيونية مسيحية" كما أن الصهيونية السياسية هى الآن "حروب صليبية يهودية ". والقدس هى المركز الروحى للإنسانية جمعاء ، هى مدينة الحج لا مدينة الحرب . أما نحن العرب فنحن أفضل مما كنا نتصور ... فلا نحن وَحْدَنا الذين حاولنا وانكسرنا ، ولا نحن وَحْدَنا الذين رحنا ضحية أنفسنا وغيرنا .. وإنما نستطيع إذا وقفنا أن نقف ، وإذا تعثرنا أن ننهض ، وإذا انتكسنا أن نعبر !!.

المراجـع

(١) جمال الدين الشيال : مذكرات فى تاريخ الدولة الأيوبية ، ١٩٥٨ ، بدون نشر ص ٣١.

(٢) راجع نصها فى كتاب الروضتين لابن شامة .

(٣) جمال الدين الشيال : المرجع السابق ص ٣٨.

(٤) مصطفى الرافعى : حضارة العرب ، دار الكتاب اللبنانى - بيروت ،١٩٨١ - ص ٢٦.

(٥) عباس محمود العقاد : الصهيونية العالمية . المكتبة العصرية - بيروت ، بدون سنة نشر ص٩.

(٦) أنيس منصور: وجع فى قلب إسرائيل . المكتب المصرى الحديث ، الطبعة الثانية ١٩٧٩، ص٥٣.

(٧) روجيه جارودى: ملف إسرائيل - دراسة للصهيونية السياسية . دار الشروق ، ترجمة مصطفى كامل فودة الطبعة

الأولى ١٩٨٣. ص٣٤.

(٨) المرجع السابق ص٣٩.

يقول أحد الحجاج اليهود إنه عندما زار القدس عام ١١٧٠م لم يجد إلا ١٤٤٠ شخصا من اليهود فى فلسطين كلها ، وإذا كان الصليبيون قد أحرقوا اليهود فى معبدهم عندما استولوا على القدس عام ١٠٩٩م، فإن صلاح الدين قد سمح لهم بالعودة عندما استولى على القدس عام ١١٨٧م . ولم يعد اليهود إلى فلسطين إلا إثر الاضطهادات التي حلت بهم ولم يعودوا إليها مدفوعين بالحنين إلى وطن الآباء والأجداد فى القرن الخامس عشر الميلادى .

(٩) أنيس منصور : المرجع السابق ص ٥٥ .

(١٠) عباس محمود العقاد : الصهيونية العالمية . المرجع السابق ص ١٧.

(١١) أمين عبد الله محمود : مشاريع الاستيطان اليهودى منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . عالم المعرفة الكويت ١٩٨٤م ، ص٧٠.

(١٢) المرجع السابق ص ٧٨.

(١٣)The Jewish Encyclopedia .Vol. 5, pp. 1403 - 1502.

(١٤) إسرائيل زنفويل : المجلة الصهيونية ، من كتاب " مستقبل الشرق الأوسط " Middle East Prospective نيويورك ١٩٧٨م ، ص ٣٤١.

... كان فى فلسطين كما هو ثابت من التعداد الذى قام به الانجليز فى ١٩٩٢/١٢/٣١ ٧٥٧٠٠٠ نسمة منهم ٦٦٣٠٠٠ من العرب وبنسبة ٨٨٪ ، ٨٣٠٠٠ يهودى وبنسبة ١١٪ .

(١٥) روجيه جارودى : ملف إسرائيل - المرجع السابق ص ٤٤.

(١٦) ماكسيم رودنسون : " الشعب اليهودى " ١٩٨١ ، ص ٢١٨.

(١٧) أرسكين تشايلدرز: " الرغبة الصامتة " من مواطنين إلى لاجئين " فى إبراهيم أبو لغد (محرر) ، تحول فلسطين ، ص ٦٧١ وانظر أيضا : عبد الوهاب المسيرى : الأيديولوجية الصهيونية" جـ٢ ، المرجع السابق ص ٩١.

(١٨) المرجع السابق ص ٣٩٢.

(١٩) عبد الوهاب أحمد ، فوزى العربى وآخرون : دراسات فى المجتمع العربى ، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، العين ، دولة الإمارات العربية ١٩٨٣م ، ص ٩٩.

(٢٠) أمين عبد الله محمود : " مشاريع الاستيطان اليهودى " المرجع السابق ص ٢٧٠.

(٢١) جمال حمدان : " اليهود أنثروبولوجيا " كتاب الهلال ، فبراير ١٩٩٦ ص ١٥٢.

(٢٢) المرجع السابق ص ١٥٣.

(٢٣) يبلغ عدد سكان إسرائيل من اليهود الآن ٥٠٠ر٢٤٢ر٤ وبنسبة ٨ر٣٢٪ من يهود العالم الذين وصل عددهم إلى ٨٠٠ر٩١٣ر١٢ عام ١٩٩٢ حسبما ورد فى الكتاب السنوى الأمريكى اليهودى لعام ١٩٩٤م.

(٢٤) عبد الوهاب أحمد ، فوزى العربى وآخرون : دراسات فى المجتمع العربى ، المرجع السابق ، ص ٣٠٠ .

(٢٥) عبد الوهاب المسيرى : "الايديولوجية الصهيونية" المرجع السابق ، ص ٤٠٣ .

(٢٦) روجيه جارودى : ملف إسرائيل - المرجع السابق ، ص٥٩.

(٢٧) أنيس منصور : وجع فى قلب اسرائيل . المرجع السابق ، ص ٦٧.

الندوة الدولية "القدس: التاريخ والمستقبل" (٢٩-٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

هيكل سليمان ... بين النصوص العربية والتوراتية

دكتور سعيد سيد أحمد أبو زيد
مدرس التاريخ الإسلامى - كلية الآداب - جامعة المنوفية

تمهيد

جاء يعقوب - عليه السلام - وبنوه إلى مصر، ليعيشوا بجوار يوسف - عليه السلام - وقد سكنوا أرض جاسان (القنطرة)[١]، فلما توفى يعقوب بمصر كان قد أوصى أن يدفن عند أبيه، فطلب يوسف من فرعون حمله إلى فلسطين، فحملوه ودفن بمقبرة آبائه، ورجع يوسف إلى مصر وأقام بها حتى توفى بعد عمر بلغ مائة وعشرين سنة، ودفن بمصر، وكان قد أوصى أن يحملوه معهم إذا خرجوا إلى الأرض المقدسة[٢].

وما تذكره المصادر العربية حول موت يعقوب ويوسف هو ملخص للإصحاح الخمسين من سفر التكوين، وإن كان ابن خلدون قد ذكر خروجهم إلى "أرض الميعاد وهى الأرض المقدسة"[٣]، تحديداً وتوضيحاً لما جاء فى التوراة فى سفر التكوين" وقال يوسف لأخوته أنا أموت ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التى خلف

---

[١] سفر التكوين ٤٧، ٢٧ .

[٢] ابن كثير: البداية والنهاية، ج١، دار الفكر العربى، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢٢٠، ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، ج٢ ق١، مؤسسات جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، ص ٨١، السيوطى: إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ق٢، تحقيق د. أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م، ص٨.

[٣] ابن خلدون: نفس المصدر والصفحة.

لإبراهيم وإسحاق ويعقوب"[4] وتؤكد التوراة أن يوسف قد مات عن عمر يبلغ ١١٠ أعوام عكس ما يقول ابن خلدون إنه عاش ١٢٠ عاماً، فتقول "ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين فحنطوه ووضع فى تابوت فى مصر"[5].

وفي مصر، كان مولد موسى – عليه السلام – ابن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب[6]، فلما جاء الوحى إلى موسى، وبلغ رسالة ربه إلى فرعون، فكذبه واشتد ظلمه لبنى إسرائيل، أوحى الله إلى موسى، بخروج بنى إسرائيل من مصر، فخرجوا وقد حملوا معهم تابوت يوسف، واستقروا بسيناء، وعلى جبل الطور، كلم الله موسى وكانت المعجزات المتتابعة ونزول الألواح[7].

والقرآن الكريم يذكر كل ذلك فى سورة البقرة (آيات ٤٩،٥٠،٥١) والأعراف (آية ١٣٨)، كما تذكره التوراة فى تفاصيل سفر الخروج، وعندما ذهب موسى إلى الجبل للتعبد، فأبطأ ، اجتمع شعبه من بنى إسرائيل بهارون أخيه، وطلبوا منه أن يصنع لهم آلهة تسير أمامهم، فجمعوا منهم الذهب وجاءوا به إلى هارون "فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر"[8]، التوراة هنا تخالف ما جاء فى القرآن الكريم، إذ تجعل من هارون صانعاً للتماثيل كى يعبدها بنو إسرائيل، بينما القرآن الكريم ينزه هارون عن ذلك، ويذكر شخصاً آخر هو الذى فتن بنى إسرائيل يعرف بالسامرى فيقول الله تعالى: " **قال فإنا قد فتنّا قومك من بعدك وأضلهم السامري** "[9] .

---

[4] سفر التكوين ٥٠:٢٤ .

[5] سفر التكوين ٥٠:٢٦ .

[6] ابن خلدون: العبر، جـ٢ ق١، ص ٨٢.

[7] ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١، ص ٢٧٥؛ ابن خلدون: نفس المصدر، ص ٨٢، ٨٣ .

[8] سفر الخروج ٣٢:٤.

[9] سورة طه: ٨٥.

تابوت العهد

غضب الله على بنى إسرائيل، ونزل موسى من الجبل وفى يده لوحا الشهادة" .. لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين، واللوحان هما صنعة الله، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين"[١٠]، فلما اقترب موسى من محلة قومه وسمع غناءهم وأبصر العجل والرقص" .. فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما فى أسفل الجبل"[١١]، وقام بحرق العجل، ثم طلب منه الله نحت لوحين آخرين " ثم قال الرب موسى انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين، فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التى كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما"[١٢]، والقرآن الكريم يؤيد ما جاء فى التوراة بخصوص ذلك فيقول الله تعالى: " **ولما سَكَتَ عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون** "[١٣]

صعد موسى إلى الجبل وكتب عهد الرب معه ومع إسرائيل "فكتب على اللوحين كلمات العهد، الكلمات العشر"[١٤]، وما كتب فى الألواح يذكره الله تعالى بقوله: " **وَكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلاً لكل شئ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين** "[١٥] . ويعدد لنا ابن خلدون هذه الكلمات العشر فى "كلمة التوحيد، والمحافظة على السبت بترك الأعمال فيه، وبر الوالدين ليطول العمر، والنهى عن القتل والزنا والسرقة وشهادة الزور، ولا تمتد عين إلى بيت صاحبه أو امرأته أو لشئ من متاعه، هذه الكلمات العشر تضمنتها الألواح"[١٦]

وهذه الوصايا التى أجملها ابن خلدون جاءت فى سفر الخروج، الإصحاح ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ومع موسى فى أرض سيناء، تتحدد النواة الأولى لتابوت العهد، الذى سيحوى

---

[١٠] سفر الخروج ٣٢: ١٥-١٦.

[١١] سفر الخروج ٣٢:١٩، وانظر، أحمد عثمان: تاريخ اليهود، جـ١، مكتبة الشروق، القاهرة.١٩٩٤م، ص٧٤.

[١٢] سفر الخروج: ٣٤:١.

[١٣] سورة الأعراف: ١٥٤.

[١٤] سفر الخروج ٣٤:٢٨.

[١٥] سورة الأعراف: ١٤٥.

[١٦] ابن خلدون: العبر، جـ٢ ق١، ص٣٨، وانظر، أحمد عثمان: تاريخ اليهود، جـ١، ص٧٥، ٧٦.

ألواح موسى، ويقدر بنو إسرائيل قدسيته، فيحملونه طوال عهدهم أينما ذهبوا، ويحافظون عليه بداخل هيكلهم، ذلك الهيكل الذى وضحت معالمه الأولى أيضاً فى سيناء، فقد أعطى الله موسى لوحي العهد، وطلب منه صناعة تابوت توضع فيه هذه الشهادة، وقد جاءت التوراة بوصف دقيق لهذا التابوت وبعض الملحقات الأخرى مثل "المائدة والمنارة، والمسكن، والمذبح، ليكون كل ذلك فى خيمة الاجتماع، الذى أمر الله موسى بإقامتها فى سيناء لعبادته، وقد حدد الله لموسى أوصاف خيمة الاجتماع ومقاييسها، كما أورد بياناً مفصلاً بمحتوياتها والمواد التى ينبغى استخدامها فى صناعتها والأجزاء التى تتكون منها باعتبار أنها ينبغى أن تكون ملائمة للصحراء، وأن تكون قابلة للفك والتركيب لنقلها من موضع إلى آخر، وإقامتها حيثما يذهب اليهود فى ترحالهم المستمر"[17].

هذه الخيمة وما احتوت هى هيكلهم الأول، الذى يؤدون فيه عبادتهم، وفيها يسكن الرب فتقول التوراة "فيصنعون لى مقدساً لأسكن فى وسطهم"[18]، وابن كثير يشير إلى هذه الخيمة مؤكداً أن ما يقوله قاله أهل الكتاب فيقول: "قال أهل الكتاب وقد أمر الله موسى – عليه السلام – بعمل قبة من خشب الشمشاز وجلود الأنعام وشعر الأغنام، وأمر بزينتها بالحرير المصبغ والذهب والفضة على كيفيات مفصلة عند أهل الكتاب"[19].

تقول التوراة عن التابوت "فيصنعون تابوتاً من خشب السنط طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف وتغشيه بذهب نقى، من الداخل ومن الخارج تغشيه، وتصنع عليه إكليلاً من ذهب حواليه، تسبك له أربع حلقات من ذهب، وتجعلها على قوائمه الأربع، على جانبه الواحد حلقتان وعلى جانبه الثانى حلقتان، وتصنع عصوين من خشب السنط وتغشيهما بذهب، وتدخل العصوين فى الحلقات على جانبى التابوت ليحمل التابوت بهما، تبقى العصوان فى حلقات التابوت لا تنزعان منها، وتضع فى التابوت الشهادة التى أعطيك، وتصنع غطاء من ذهب نقى طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف، وتصنع كروبين من ذهب، صنعة خراط تصنعهما فى طرفى الغطاء، فأضع كروباً واحداً على الطرف من هنا، وكروباً آخر على الطرف من هناك،

[17] زكى شنودة: المجتمع اليهودى، مكتبة الخانجى بالقاهرة، ص ١٦٤.

[18] سفر الخروج: ٢٥:٨.

[19] ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١، ص ٣٠٧.

ومن الغطاء تصنعون الكروبين على طرفيه، ويكون الكروبان باسطي أجنحتهما إلى فوق مظللين بأجنحتهما على الغطاء ووجهاهما كل واحد إلى الآخر، نحو الغطاء يكون وجها الكروبين، وتجعل الغطاء على التابوت من فوق وفى التابوت تضع الشهادة التى أعطيك، وأنا اجتمع بك هناك، وأتكلم معك من على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بنى إسرائيل"[٢٠].

وإلى جانب هذا التابوت، أمر الله موسى بصنعه مائدة من خشب السنط ومغشاة بالذهب، وكذلك منارة من ذهب نقى، ومذبح للذبائح من خشب السنط ومغشى بالنحاس، ومذبح لإيقاد البخور مغشى بالذهب، وبعد كل ما جاء من تفاصيل حول ذلك تجمل التوراة هذه الأشياء فى "... وفى قلب كل حكيم القلب جعلت حكمة ليصنعوا كل ما أمرتك، خيمة الاجتماع وتابوت الشهادة والغطاء الذى عليه، وكل آنية الخيمة، والمائدة وآنيتها، والمنارة الطاهرة وكل آنيتها، ومذبح البخور، ومذبح المحرقة وكل آنيته والمرحضة وقاعدتها، والثياب المنسوجة والثياب المقدسة لهارون الكاهن وثياب بنيه للكهانة، ودهن المسحة والبخور العطر للمقدس حسب كل ما أمرتك به يصنعون"[٢١].

وكل هذه التفاصيل التى ذكرتها التوراة، جاء بها ابن خلدون بما يتفق والتوراة[٢٢]، وقد حرص اليهود على تابوت العهد، فهو الذى يحوى الكلمات العشر، وهو التابوت الذى يكلم الله موسى من فوقه، وهو التابوت الذى يبين لهم ما هم مقبلون عليه، ويكشف لهم ما لا يرونه، وفيه السكينة وبقية ما ترك موسى وهارون، لذلك كانوا يتوارثونه كابراً عن كابر، وكانوا إذا اختلفوا فى شئ، تحاكموا إليه فيكلمهم ويحكم بينهم، وكانوا إذا خرجوا لقتال يقدمونه بين أيديهم.[٢٣]

---

[٢٠] سفر الخروج ٢٥:١٠-٢٢.

[٢١] سفر الخروج ٣١:٦-١١.

[٢٢] ابن خلدون: العبر، جـ٢ ق١، ص ٨٤.

[٢٣] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، ١٩٧٩م، ص ٤٦٤، الجمل: الفتوحات الألهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، جـ١، مطبعة عيسى البابى الحلبى، ص ٢٠١.

وكما حافظوا على هذا التابوت، حافظوا أيضاً على خيمة الاجتماع، معبدهم فى كل رحلاتهم، فعندما عبروا صحراء سيناء بعد أن مات موسى، ولم يعرف لـه قبر[٢٤] وصلوا إلى أرض كنعان فاستقرت خيمة الاجتماع فى "الجلجال"، حتى إذا تغلغل اليهود فى أرض كنعان نقلوا الخيمة إلى "شيلوه"، فبقيت هناك مدة تتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ سنة، ثم نقلوها بعد ذلك إلى "نوب" ثم نقلها داود إلى "جبعون"، فلما أتم سليمان بناء هيكل أورشليم نقل الخيمة مع كل أثاثاتها وآنيتها إلى أورشليم[٢٥].

ارتحل اليهود فى فلسطين، حيث خرج بهم من التية يشوع بن نون - عليه السلام -[٢٦]، ووقع الصدام بينهم وبين الفلسطينيين سكان هذه الأرض، واستطاع الفلسطينيون تحقيق النصر على اليهود، وتقدم التوراة سرداً تاريخياً لهذا الصدام، ففى سفر صموئيل الأول "فحارب الفلسطينيون وانكسر إسرائيل وهربوا كل واحد إلى خيمته، وكانت الضربة عظيمة جداً، وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف رجل"[٢٧] فما كان من بنى إسرائيل إلا أن هربوا إلى تابوت الله لينقذهم، لكن الفلسطينيين استولوا على تابوت الرب، ورحلوا به إلى أشدود، ووضعوه مع التماثيل[٢٨] ، وظل التابوت "فى بلاد الفلسطينيين سبعة أشهر"[٢٩] لم تهنأ فيها أرضهم، حيث حل بهم غضب الرب، كما يروى سفر صموئيل الأول ، وأمام ذلك اجتمع شيوخ فلسطين وأقطابهم وقرروا عودة التابوت إلى اليهود فأخذوا " .. بقرتين مرضعتين وربطوهما إلى العجلة وحبسوا ولديها فى البيت، ووضعوا تابوت الرب على العجلة مع الصندوق وفيران الذهب وتماثيل بواسيرهم"[٣٠]، وفرح الإسرائيليون بعودة التابوت، وطلب منهم نبيهم صموئيل التخلص من الآلهة وعبادة الرب وحده قائلاً:

---

[٢٤] السيوطى: إتحاف الأخصا، ق٢، ص ١٢٧.

[٢٥] زكى شنودة: المجتمع اليهودى، ص ١٧١.

[٢٦] ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١، ص ٣٢٣.

[٢٧] سفر صموئيل الأول ٤: ١٠.

[٢٨] الطبرى: تاريخ الرسل الملوك، جـ١، ص ٤٧٠،٤٧١.

[٢٩] سفر صموئيل الأول ٦:١، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٢، ص٧.

[٣٠] سفر صموئيل الأول ٦:١٠-١١.

"واعبدوه وحده فينقذكم من يد الفلسطينيين، فنزع بنو إسرائيل البعليم والعشتاروت وعبدوا الرب وحده."[31]

أذلت الملوك المجاورة لبنى إسرائيل قبائلهم، فهربوا إلى نبيهم صموئيل أو شمويل بن بالى[32] وطلبوا منه أن يجعل عليهم ملكا يقيم أمرهم ويجمع فرقتهم، لمواجهة الخطر المشترك، فوقع اختياره على طالوت (شاؤل) أو شاول بن قيس بن أبيئيل من بنى بنيامين[33]، فاستنكروا هذا الاختيار فيما أورده القرآن الكريم " **وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً، قالوا أنى يكون له المُلك علينا ونحن أحقُ بالمُلكِ منه ولم يُوتَ سعةً من المال، قال إن الله اصطفاهُ عليكم وزادهُ بَسْطَةً فى العِلْمِ والجسمِ، والله يُوتى مُلْكه من يشاء والله واسع عليم** "[34] . ومع استنكار بنى إسرائيل لاختيار طالوت، دهش طالوت نفسه من هذا الاختيار فيقول "أما أنا بنياميني من أصغر أسباط إسرائيل، وعشيرتى أصغر كل عشائر أسباط بنيامين، فلماذا تكلمنى بمثل هذا الكلام"[35]، ولما أراد أن يقنع صموئيل بنى إسرائيل بملك طالوت، كان ما يذكره القرآن الكريم " **وقال لهم نبيهُمْ إن آيةَ مُلْكِهِ، أن يأتيَكم التابوت فيه سَكينةَ من ربكم وبقيةٌ مما تَرَكَ آلُ موسى وآلُ هارونَ تحملُهُ الملائكة، إن فى ذلك لآيةً لكم إن كنتم مؤمنين** "[36].

ويذكر لنا الطبرى وابن كثير أن السكينة عبارة عن طست من ذهب يغسل فيها قلوب الأنبياء، أعطاها الله موسى، وفيها وضع الألواح، فأصبح التابوت وما فيه فى دار طالوت[37] ، وهذا يشير إلى محتويات تابوت الرب التى قدسها بنو إسرائيل وحرصوا عليها، ومع أن اليهود نجحوا فى إقامة ملك، إلا أن تلك القبائل اليهودية لم تستطع تكوين كيان سياسى موحد له حدود محددة ونظام إدارى مركزى، وإن تم الاتفاق بالمساهمة

---

[31] سفر صموئيل الأول ٧:٣-٤.

[32] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ١، ص ٤٦٧.

[33] سفر صموئيل الأول ٩ :١-٢ ، الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ١، ص ٤٧١.

[34] سورة البقرة: ٢٤٧.

[35] سفر صموئيل الأول: ٢١:٩، الطبرى تاريخ الرسل والملوك، جـ١، ص ٤٧١.

[36] سورة البقرة: ٢٤٨.

[37] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ١، ص ٤٦٨، ٤٦٩، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٢، ص٢.

بالرجال فى معارك الدفاع عن كيان القبائل[٣٨] ، وتوجه طالوت لحرب جالوت، واستطاع داود قتل جالوت فى قصة تذكرها التوراة والمصادر العربية[٣٩] ، ثم اعتلى داود بن يسى عرش إسرائيل أربعين سنة "فى حبرون ملك سبع سنين وفى أورشليم ملك ثلاثا وثلاثين سنة[٤٠] بعد أن قتل طالوت فى الحرب مع أولاده الثلاثة، بعد حكم دام مدة أربعين سنة".[٤١]

أراد داود – عليه السلام – أن يجعل لملكه عاصمة يستقر بها، فتوجه إلى أورشليم أى "يبوس"، لكن أهلها صدوه فأقام عاصمة ملكه فى حصن صهيون، ولندع التوراة تؤكد ذلك فتقول: "وذهب داود وكل إسرائيل إلى يبوس، وهناك اليبوسيون سكان الأرض ، وقال سكان يبوس لداود لا تدخل إلى هنا، فأخذ داود حصن صهيون، وهى مدينة داود"[٤٢]، وإن استطاع بعد ذلك أن يزحف بجيشه المكون من ثلاثين ألف مقاتل ويسقط يبوس سنة ١٠٤٩ق.م[٤٣]..

---

[٣٨] أحمد عثمان: تاريخ اليهود، جـ١، ص ١٦٧،١٦٨.

[٣٩] سورة البقرة: ٢٤٩-٢٥١، سفر صموئيل، الاصحاح ١٧، الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ص ٤٧٢، ٤٧٣، الجمل: الفتوحات الإلهية، جـ١، ص ٢٠٤.

[٤٠] سفر الملوك الأول ٢:١١.

[٤١] سفر صموئيل ٦:٣١، الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ١، ص ٤٧٥.

[٤٢] سفر أخبار الأيام الأول ١١:٤-٥.

[٤٣] فاروق عز الدين: القدس تاريخيا وجغرافيا، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨١م، ص ١٩- مدينة القدس: عرفت هذه المدينة بأسماء كثيرة، كان منها "يبوس" نسبة إلى اليبوسيين الذين يعتبرون بناة القدس الأولين، وهم بطن من بطون العرب الأوائل نشأوا فى جنوب الجزيرة العربية ثم رحلوا الى الشمال مع القبائل الكنعانية واستوطنوا هذه المنطقة، وكان ملكهم "ملكى صادق" هو أول من اختطها وبناها، وفى سجلات الفراعنة تسمى "يابيثى" وعرفها الكنعانيون "أورسالم" أى مدينة السلام، كما عرفها الفراعنة بهذا الاسم، ولهذا يعتبر الكثيرون أنها كنعانية الأصل، وقيل إن "أورو - سالم" بابلية الأصل، آرامية، واشتقت منها العبرية "أورشليم"، ومن أسماء هذه المدينة أيضاً، "مدينة داود" و "صهيون" وأسماها اليونانيون " بروساليم" وفى العهد الرومانى "هيروساليما" ، ومن هنا أخذت الأمم الأوربية "جيروسالم"، وفى سنة ١٣٩م سماها الإمبراطور هادريانوس "إيليا كابيتولينا"، وظلت تعرف باسم "إيليا" حتى أوائل الفتح الإسلامى، كذلك من أسمائها "بيت إيل" بمعنى بيت الرب و "الأرض المباركة" و "الساهرة" و "القرية" و "بيت المقدس" و "الأرض المقدسة" و "الزيتون" و "المسجد الأقصى" و "القدس" (السيوطى: إتحاف الأخصا، ق١، ص ٩٣-٩٥، الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، عهد الخلفاء الراشدين، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص ١٦٢،١٦٣، البلاذرى: فتوح البلدان، مراجعة وتعليق، رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص ١٤٤، وانظر، فاروق عز الدين: القدس، ص ٩-١٦، زكى شنودة: المجتمع اليهودى، ص ١٥، ٥٧).

بناء الهيكل

في مدينة داود، بنى داود لنفسه بيوتاً، وأراد أن يبنى للرب بيتاً، لكن الله منعه من ذلك، لأنه كما تذكر التوراة سفك كثيراً من الدماء، وأن الله سيجعل ذلك في ولده "إلا أنك أنت لا تبنى البيت، بل ابنك الخارج من صلبك هو يبنى البيت لاسمي"[٤٤] ، الطبرى يذكر ذلك فى تفاصيل، كما يذكرها ابن خلدون[٤٥] ، ويؤكد الطبرى أن داود أخذ فى بناء البيت" وكان ذلك - فيما قبل - لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه، وتوفى قبل أن يستتم بناءه فأوصى إلى سليمان باستتمامه"[٤٦]، ويؤكد السيوطى أيضاً أن داود "أسس قواعده، ورفع حائطه، فلما ارتفع انهدم، فقال داود - عليه السلام - يارب أمرتنى أن أبنى لك بيتاً فلما ارتفع هدمته فقال: "ياداود إنما جعلتك خليفتى فى خلقى فلم أخذت المكان من صاحبه بغير ثمن؟ إنه سيبنيه رجل من ولدك"[٤٧]، وما يذكره السيوطى هو معنى لما ورد فى أخبار الأيام الأول فى الإصحاح ٢١، ٢٢ ، وهو السفر الذى يبين جهود داود فى ذلك.

سعى داود لأن يكون له يدّ في بناء بيت الرب، أو على الأقل يوفر كل شئ لبنائه، طالما منعه الله من البناء، وادخر ذلك لولده، وداود يدرك أن ولده صغير وضعيف ولا يمكن أن يقوم بكل ذلك وحده، فلنترك ذلك لتصفه التوراة " وأمر داود بجمع الأجنبيين الذين فى أرض إسرائيل وأقام نحاتين لنحت حجارة مربعة لبناء بيت الله، وهيأ داود حديداً كثيراً للمسامير لمصاريع الأبواب وللوصل ونحاساً كثيراً بلا وزن، وخشب أرز لم يكن له عدد لأن الصيدانيين والصوريين أتوا بخشب أرز كثير إلى داود، وقال داود إن سليمان ابنى صغير وغض والبيت الذى يبنى للرب يكون عظيماً جداً فى الاسم والمجد فى جميع الأراضى فأنا أهيئ له، فهيأ داود كثيراً قبل وفاته، ودعا سليمان ابنه وأوصاه أن يبنى بيتاً للرب إله إسرائيل".[٤٨]

---

[٤٤] سفر الملوك الأول ٨:١٩.

[٤٥] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ١، ص ٤٨٥، ابن خلدون: العبر، جـ٢، ق١، ص٩٦.

[٤٦] الطبرى: نفس المصدر والصفحة.

[٤٧] السيوطى: إتحاف الأخصا، ق١، ص١١٣.

[٤٨] سفر أخبار الأيام ٢٢:٢-٧.

وهكذا جهز داود لابنه كل ما يحتاجه البناء، حتى الذهب والفضة والنحاس والحديد والخشب والحجارة بأنواعها الكريمة وغير الكريمة، والرخام[٤٩] ، واكتفى داود بأن أعد خيمة للعبادة كما فعل موسى من قبل وأعد مكاناً لتابوت العهد Ark of Law وجمع شيوخ بنى إسرائيل لإصعاد التابوت إلى الخيمة فى عاصمته " وأدخلوا تابوت الله وثبتوه فى وسط الخيمة التى نصبها داود ..."[٥٠]

اعتلى سليمان – ويدعى "شلما" فى العبرية –[٥١] العرش بعد أبيه داود الذى دفن مع آبائه فى مدينة داود[٥٢] وأمر ببناء بيت الرب وبيت لملكه، وقام بتقسيم مملكته إلى اثنتى عشرة ولاية، وكان على كل ولاية أن تزود المملكة شهراً، كما كان عليها أن تزود الدولة بالصناع الذين لهم خبرة بأعمال البناء لأنه كان مهتماً بإقامة المعبد والقصر[٥٣]، وأخذ يجهز لهذا العمل الضخم، حتى ".. أحصى سليمان سبعين ألف رجل حمال وثمانين ألف رجل نحات فى الجبل ووكلاء عليهم ثلاثة آلاف وست مئة"[٥٤].

وقد قص الله تعالى نبأ سليمان وأخبر أنه ألان له الحديد وأذل له الشديد، وسخر له الجن والإنس، والسباع والبهائم والوحوش وأنواع الحيوان والرياح تجرى بأمره رخاء حيث أجاب[٥٥] وهو ما تؤكده آيات القرآن الكريم " **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ** "[٥٦]، " **فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ، وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ**"[٥٧]، وربما دعت هذه الآيات الكريمات السيوطى لأن يقول عن سليمان "جمع حكماء الإنس والجن وعفاريت الأرض وعظماء الشياطين وجعل منهم فريقاً يبنون وفريقاً

---

[٤٩] سفر أخبار الأيام الأول ٢٩:٢.

[٥٠] سفر أخبار الأيام الأول ١٦:١.

[٥١] أحمد عثمان: تاريخ اليهود، جـ١، ص ١٦٩.

[٥٢] سفر الملوك الأول ٢:١٠.

[٥٣] عبد الحميد زايد: القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ص٦٢.

[٥٤] سفر أخبار الأيام الثانى ٢:١.

[٥٥] الموارى: نصيحة الملوك، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٨م، ص ١٠٠.

[٥٦] سورة النمل: ١٧.

[٥٧] سورة ص: ٣٦-٣٧.

يقطعون الصخور والعمد من معادن الرخام وفريقاً يغوصون فى البحر يخرجون منه الدر والمرجان"[٥٨]، وهذا يوضح لنا أن سليمان بما وهبه الله من نعمة إخضاع الإنس والجن له، واستخدامهم فى بناء هيكله وقصره، قد جاء البناء فى رونق وبهاء عظيم، وإن كان السيوطى أيضاً يؤكد أن البناء قد انهدم بعد أن بنى وأعيد بناؤه ثانية حيث أسسه على الماء[٥٩] وبعد أن انتهى من البناء" زينه بالذهب والفضة والدر والياقوت والمرجان وأنواع الجواهر فى سمائه وأرضه وأبوابه وجدرانه وأركانه مما لا يرى مثله"[٦٠].

شرع سليمان فى بناء بيت الرب فى أورشليم فى جبل المريا، حيث هيأ له أبوه داود هذا المكان، فشرع فى البناء فى ثانى الشهر الثانى فى السنة الرابعة لملكه[٦١] ، وتصف التوراة هذا البناء، سواء فى سفر الملوك الأول أو سفر أخبار الأيام الثانى ، ولننقل التفاصيل الوافية من سفر الملوك الأول الذى يقول: "وكان فى سنة الأربع مئة والثمانين لخروج بنى إسرائيل من أرض مصر، فى السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل فى شهر زيو، وهو الشهر الثانى أنه بنى البيت للرب، والبيت الذى بناه الملك سليمان للرب طوله ستون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وسمكه ثلاثون ذراعاً والرواق قدام هيكل البيت طوله عشرون ذراعاً حسب عرض البيت، وعرضه عشر أذرع قدام البيت، وعمل للبيت كوى مسقوفة مشبكة، وبنى مع حائط البيت طباق حواليه مع حيطان البيت، حول الهيكل والمحراب وعمل غرفات فى مستديرها، فالطبقة السفلى عرضها خمس أذرع والوسطى عرضها ست أذرع والثالثة عرضها سبع أذرع، لأنه جعل للبيت حواليه من خارج أخصاماً لئلا تتمكن الجوائز فى حيطان البيت ، والبيت فى بنائه بنى بحجارة صحيحة مقتلعة، ولم يسمع فى البيت عند بنائه منحت ولا معول ولا أداة من حديد، وكان باب الغرفة الوسطى فى جانب البيت الأيمن، وكانوا يصعدون بدرج منعطف إلى الوسطى ومن الوسطى إلى الثالثة، فبنى البيت وأكمله وسقف البيت بألواح وجوائز من الأرز، وبنيت الغرفات على البيت كله سمكها خمس أذرع وتمكنت فى البيت بخشب أرز وكان

---

[٥٨] السيوطى: إتحاف الأخصا، ق١، ص١١٧.

[٥٩] نفس المصدر: ص ١١٧.

[٦٠] نفس المصدر: ص١٢٠.

[٦١] سفر أخبار الأيام الثانى ٣:١-٢.

كلام الرب إلى سليمان قائلاً هذا البيت الذى أنت بانيه إن سلكت فى فرائضى وعملت أحكامى وحفظت كل وصاياى للسلوك بها فإنى أقيم معك كلامى الذى تكلمت به إلى داود أبيك، وأسكن فى وسط بنى إسرائيل ولا أترك شعبى إسرائيل، فبنى سليمان البيت وأكمله وبنى حيطان البيت من الداخل بأضلاع أرز من أرض البيت إلى حيطان السقف، وغشاه من الداخل بخشب، وفرش أرض البيت بأخشاب سرو، وبنى عشرين ذاعاً من مؤخرة البيت بأضلاع أرز من الأرض إلى الحيطان، وبنى داخله لأجل المحراب أى قدس الأقداس، وأربعون ذراعاً كانت البيت أى الهيكل الذى أمامه، وأرز البيت من الداخل كان منقوراً على شكل قثاء وبراعم زهور، الجميع أرز، لم يكن يرى حجر، وهيأ محراباً فى وسط البيت من الداخل ليضع هناك تابوت عهد الرب، ولأجل المحراب عشرون ذراعاً طولاً وعشرون ذراعاً عرضاً وعشرون ذراعاً سمكاً، وغشاه بذهب خالص وغشى المذبح بأرز، وغشى سليمان البيت من داخل بذهب خالص، وسد بسلاسل ذهب قدام المحراب وغشاه بذهب، وجميع البيت غشاه بذهب إلى تمام كل بيت وكل المذبح الذى للمحراب غشاه بذهب وعمل فى المحراب كروبيم من خشب الزيتون علو الواحد عشر أذرع وخمس أذرع جناح الكروب الواحد، وخمس أذرع جناح الكروب الآخر، عشر أذرع من طرف جناحه إلى طرف جناحه، وعشر أذرع الكروب الآخر، قياس واحد وشكل واحد لكروبين، علو الكروب الواحد عشر أذرع وكذا الكروب الآخر، وجعل الكروبين فى وسط البيت الداخلى وبسطوا أجنحة الكروبين فمس جناح الواحد الحائط وجناح الكروب الآخر مس الحائط الآخر، وكانت أجنحتهما فى وسط البيت يمس أحدهما الآخر، وغشى الكروبين بذهب، وجميع حيطان البيت فى مستديرها رسمها نقشاً بنقر كروبيم ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج، وغنش أرض البيت بذهب من داخل ومن خارج، وعمل لباب المحراب مصراعين من خشب الزيتون، الساكف والقائمتان مخمسة، والمصراعان من خشب الزيتون، ورسم عليها نقش كروبيم ونخيلاً وبراعم زهور وغشاهما بذهب، ورصع الكروبيم والنخيل والذهب، وكذلك عمل لمدخل الهيكل قوائم من خشب الزيتون مربعة، ومصراعين من خشب السرو، المصراع الواحد دفتان تنطويان والمصراع الآخر دفتان تنطويان ونحت كروبيم ونخيلاً وبراعم زهور وغشاها بذهب مطرق على المنقوش، وبنى الدار الداخلية ثلاثة صفوف منحوتة وصفاً من جوائز الأرز،

فى السنة الرابعة أسس بيت الرب فى شهر زيو وفى السنة الحادية عشرة من شهر بول وهو الشهر الثامن أكمل البيت فى جميع أموره وأحكامه. فبناه فى سبع سنين.[٦٢]

وكان سليمان قد جاء برجل من صور من سبط نفتالى يدعى حيرام، ماهر فى صنعة النحاس، فصنع له عمودين من النحاس "وأوقف العمودين فى رواق الهيكل، فأوقف العمود الأيمن ودعا اسمه ياكين، ثم أوقف العمود الأيسر ودعا اسمه بوعز"[٦٣]، كما أن هذا الصانع عمل بحر الهيكل مسبوكاً، وعمل قواعد عشر من النحاس ولها أتراس عليها أسود وثيران وكروبيم ولكل قاعدة أربع بكرات من النحاس، وعمل عشرة مراحض من نحاس، وجعل القواعد خمساً على جانب البيت الأيمن وخمساً على جانب البيت الأيسر، وصنع جميع هذه الآنية لبيت الرب من النحاس المصقول كما "عمل سليمان جميع آنية بيت الرب، المذبح من ذهب، والمائدة التى عليها خبز الوجوه من ذهب، والمنائر خمساً عن اليمين وخمساً عن اليسار أمام المحراب من ذهب خالص، والأزهار والسرج والملاقط من ذهب خالص والطسوس والمقاص والمناضح والصحون والمجامر من ذهب خالص، والوصل لمصاريع البيت الداخلى أى لقدس الأقداس ولأبواب البيت أى الهيكل من ذهب، وأكمل جميع العمل الذى عمله الملك سليمان لبيت الرب، وأدخل سليمان أقداس داود أبيه الفضة والذهب والآنية، وجعلها فى خزائن بيت الرب"[٦٤].

بعد أن أتم سليمان البيت جمع شيوخ إسرائيل فى أورشليم "لإصعاد تابوت عهد الرب من مدينة داود. هى صهيون"[٦٥] إلى أورشليم، واصعدوا مع التابوت خيمة الاجتماع مع جميع آنية القدس التى فى الخيمة، وسليمان وقومه يذبحون أمام التابوت من الغنم والبقر ما لا يحصى، حتى وضع التابوت فى محراب البيت فى قدس الأقداس، إلى تحت جناحى الكروبين، وتذكر التوراة أنه "لم يكن فى التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب حين عاهد الرب بنى إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر"[٦٦].

---

[٦٢] سفر الملوك الأول ٦:١-٣٨.

[٦٣] سفر الملوك الأول ٧:٢١.

[٦٤] سفر الملوك الأول ٧:٥١.

[٦٥] سفر الملوك الأول: ٨:١.

[٦٦] سفر الملوك الأول: ٨:٩.

وفى عهد سليمان بنى بيته فى ١٣ عاماً.[٦٧] كما بنى كثيراً من الدور والقصور فاتسعت أورشليم فى عهده وازدهرت بعد أن أتم بناء الهيكل سنة ١٠٠٧ ق.م.[٦٨] ويتضح من التفاصيل التى أوردتها التوراه عن المعبد، أنه كان على شكل مستطيل يتجه شرقاً، ويتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية: البهو الأمامى وبه عمودان اسمهما "ياكين" و "بوعز"، ثم القاعدة الرئيسية التى تنيرها نوافذ عند السقف وفى الأخير يوجد قدس الأقداس على شكل غرفة مكعبة حول صخرة المذبح ليس بها نوافذ، وأن التابوت وضع بها بين أجنحة الكروبيم المرسومة فوقه[٦٩].

وقد جاء الهيكل بوجه عام على شكل خيمة الاجتماع، معبدهم الأول، وإن كانت مساحته ضعف مساحتها ومقاييسه ضعف مقاييسها، كما أن معالم الزينة فيه كانت أكثر بذخاً وفخامة وضخامة، وكان ثمة ضريبة سنوية مفروضة على اليهود مقدارها نصف شاقل (شيكل)، أى ما يساوى درهمين يدفعها كل يهودى لخدمة الهيكل، وقد ظل هذا الهيكل قائماً ومحتفظاً برونقه أكثر من ٤٠٠ عام[٧٠].

وقد ذكرت المصادر العربية هذا الهيكل بين الإيجاز والتفصيل والتحليل ، فقد أشار إليه الطبرى بقوله "وفى سنة أربع من ملكه ابتدأ ببناء بيت المقدس"[٧١]، بينما جاء ابن خلدون بوصف للهيكل مفصل يتفق مع ما جاء فى التوراه من حيث الضخامة والفخامة[٧٢]، ويوضح السيوطى مشاركة الإنس والجن فى البناء حتى جاء فى أجمل زينة " مما لا يرى مثله"[٧٣]، ولكن ابن كثير جاء بتحليل لأصل هذا البناء الذى يذكره بالمسجد، فيؤكد أن الذى بنى المسجد الأقصى هو يعقوب (إسرائيل) – عليه السلام – ويؤكد قوله بحديث للرسول – صلى الله عليه وسلم – فيقول فى حديث عن أبى ذر الغفارى " قال: قلت يا رسول الله أى مسجد وضع أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى، قلت:

---

[٦٧] سفر الملوك الأول: ٧:١.

[٦٨] فاروق عز الدين: القدس، ص٢٠.

[٦٩] أحمد عثمان: تاريخ اليهود، ج١، ١٧٠،١٧١.

[٧٠] زكى شنودة: المجتمع اليهودى، ص١٧٩.

[٧١] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ١ ص٥٠٣.

[٧٢] ابن خلدون: العبر ، جـ٢ ق١، ص٩٧،٩٨.

[٧٣] السيوطى: إتحاف الأخصا، ق١، ص١٢٠.

كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، قلت: ثم أى؟ قال: ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد" ، وعلى هذا يؤكد أن يعقوب هو الذى بنى المسجد[٧٤] ، ثم يقول نقلاً عن أهل الكتاب "أن سليمان - عليه السلام - غاب عن سريره أربعين يوما ثم عاد إليه، ولما عاد أمر ببناء بيت المقدس فبناه بناء محكماً، وقد قدمنا أنه جدده وأن أول من جعله مسجداً إسرائيل عليه السلام"[٧٥] ، بل ويذهب السيوطى إلى أبعد من ذلك فى قوله "إن الأساس القديم الذى كان لبيت المقدس أسسه سام بن نوح، ثم بناه داود عليه السلام وسليمان على ذلك الأساس، وقيل أول من بناه وأرى موضعه يعقوب"[٧٦]، وما قاله ابن كثير والسيوطى أنهى أحقية داود وسليمان فى تأسيس هذا البيت إذ اقتصر عملهما على إعادة تجديده عندما أصبح لهما مملكة، ليجعلا من هذا المكان قدسية خاصة بهم دون غيرهم، وهذا ما يتخذه بنو إسرائيل ذريعة محمومة للبحث والحفر عن هيكل اندثر، فيطمسون كل ما هو قائم من أجل ما قد فنى واندثر.

تدمير الهيكل

عندما تقدمت السن بسليمان، وخفت قبضته على أعناق بنى إسرائيل تمرد عليه شعبه، وتطلعوا إلى ملك جديد، فتآمر عليه ابنه يربعام Jeroboam ومعه كثير من شيوخ بنى إسرائيل، فقرر سليمان قتل ولده، لكنه فرّ إلى مصر، حتى توفى سليمان سنة ٩٣٥ق.م. تقريباً واجتمع الشعب فى أورشليم ونصبوا رحبعام Rehoboam مكان أبيه ولكنهم اشترطوا عليه أن يرفع عن كواهلهم كثيراً مما فرض عليهم سليمان من قيود، فرفض، فما كان منهم إلا أن انحاز أغلبهم إلى أخيه يربعام، الذى عاد من مصر بعد موت أبيه، ولم يبق مع رحبعام سوى سبط يهوذا، وبذلك انقسمت الدولة إلى مملكتين متنازعتين إحداهما فى الشمال وتسمى إسرائيل وعاصمتها شكيم التى بناها يربعام، والثانية فى

---

[٧٤] ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١، ص١٦٢.

[٧٥] نفس المصدر: جـ٢، ص٢٦.

[٧٦] السيوطى: إتحاف الأخصا، ق٢، ص٨.

الجنوب وتسمى يهوذا وعاصمتها أورشليم وملكها رحبعام[77] ، حتى أن يربعام وقومه كفروا بإله يهوذا وعمل لهم عجلان ذهبيان وقال لقومه "هوذا آلهتك يا إسرائيل اللذين أصعدوك من أرض مصر، ووضع حداً فى بيت إيل (بالقرب من رام الله) وجعل الآخر فى دان (فى الجليل الأعلى)"[78].

وفى مصر كان الليبيون قد استطاعوا الوصول إلى حكم مصر بانتقال تدريجى للعرش من أيدى الفراعنة إلى الضباط الأجانب الذين كانوا فى الجيش، ليؤسس شيشنق Sheshonk (رئيس المشواس العظيم)، الأسرة ٢٢، وأخذ يبسط نفوذ مصر على فلسطين، حتى جعل سيادته هناك فعلية بعد أن كانت اسمية، والظاهر أن سليمان الحكيم كان والياً وقتئذ تحت النفوذ المصرى ويرجح أنه تزوج بكريمة فرعون، الذى أوسع له الأقاليم التى تحت إشرافه بضم مدينة جازر المهمة إليه.[79]

وفى السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشنق (شيشق أو شيشاق) إلى أورشليم، مستغلا فى ذلك انقسام مملكة سليمان وضعفها[80] أو بإيعاز من يربعام[81] أو كما تفسر التوراة الهجوم على أورشليم "بأن رحبعام بعد أن ثبت ملكه ترك شريعة الرب"[82] لذلك جاء إليه شيشنق " بألف ومئتى مركبة وستين ألف فارس، ولم يكن عدد للشعب الذين جاءوا معه من مصر لوبيين وسكيين وكوشيين، وأخذ المدينة الحصينة التى ليهوذا وأتى إلى أورشليم"[83] التى احتلها فى حوالى سنة ٩٢٦ق.م[84]. وقد استباح بيت المقدس وضرب على أهلها الجزية[85]، فكان أول تدمير للهيكل الذى بناه سليمان، ووضع فيه التابوت

---

[77] سفر الملوك الأول ١١: ٤٠-٤٣، الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ١، ص٥١٧، وانظر، عبد السلام عبده: قضية الدين مع مسيرة الفكر الإنسانى، اليهود واليهودية، عقيدة وتاريخاً، مطبعة لطفى، القاهرة، ١٩٧٩م، ص١٥٧،١٥٨.

[78] سفر الملوك الأول ١٢: ٢٨-٢٩.

[79] برستد: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى، ترجمة د. حسن كمال، مكتبة مدبولى القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م، ص ٣٥٧،٣٥٨.

[80] السيوطى: إتحاف الأخصا، ق٢ ص١٩١.

[81] عبد السلام عبده: قضية الدين، ص١٥٩.

[82] سفر أخبار الأيام الثانى ١٢: ١.

[83] سفر أخبار الأيام الثانى ١٢: ٣-٤.

[84] برستد: تاريخ مصر، ص٣٥٨.

[85] ابن خلدون: العبر، جـ٢ ق١، ص١٠١.

المقدس[٨٦] وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وكل شئ، كما أخذ جميع الأتراس الذهب التى عملها سليمان، مما دفع رحبعام أن يعمل عوضاً عنها أتراساً نحاسية.[٨٧]

فى عهد ملك أورشليم يهواش، عمل على ترميم البيت، لكن ملك آرام حزائيل عزم على التوجه لأخذ أورشليم، فما كان من يهواش إلا أن أخذ جميع الأقداس وكل الذهب الموجود "فى خزائن بيت الرب وبيت الملك وأرسلها إلى حزائيل ملك آرام فصعد عن أورشليم"[٨٨] حتى إذا كان عهد أمصيا بن يهواش ملك يهوذا، هاجم ملك إسرائيل المسمى يهواش أورشليم وهدم سورها من باب أفرايم إلى باب الزاوية بمسافة ٤٠٠ ذراع، وأخذ جميع الذهب والفضة والآنية الموجودة فى بيت الرب وفى خزائن الملك وعاد إلى السامرة.[٨٩]

فى السنة التاسعة والثلاثين لعزريا ملك يهوذا، تصدى لملك إسرائيل منحيم بن جادى، الذى قرر الاستعانة بملك آشور "فول" فى مواجهة عزريا ولكى يضمن مساعدته قدم له ما يرضيه من الفضة، حيث فرض على قومه "خمسين شاقل فضة على كل رجل".[٩٠]

وقد قادت دمشق تحالفاً سياسياً ضد الأشوريين، انضمت إليه دولتا أدوم وإسرائيل، اللتان كان يحكمهما "فقح بن رمليا" وقد تحالف الاثنان مع ملك آرام "رصين" ولم يبق خارج هذا التحالف سوى "آحاز" ملك يهوذا (٧٣٥-٧١٥ ق.م)[٩١] وتقدم التحالف وحاصروا "آحاز"، لكنهم لم يستطيعوا أن ينالوا منه، مما دفع "آحاز" إلى أن يراسل ملك آشور تجلات بلاسر الثالث (تغلث فلاسر)، ويقول له: "أنا عبدك وابنك، أصعد وخلصنى من يد ملك آرام ومن يد ملك إسرائيل القائمين على"[٩٢]، وكان على ملك يهوذا أن يقدم

---

[٨٦] عبد السلام عبده: قضية الدين، ص١٥٩.

[٨٧] سفر الملوك الأول ١٤:٢٦-٢٧.

[٨٨] سفر الملوك الثانى ١٢:١٨.

[٨٩] سفر الملوك الثانى ١٤:١٤، ابن خلدون: العبر، جـ٢ ق١، ص١٠٣.

[٩٠] سفر الملوك الثانى ١٥:٢٠، ابن خلدون: نفس المصدر والصفحة.

[91] Roux. G. Ancient Iraq (Penguin Books), 1980, P.285.

[٩٢] سفر الملوك الثانى ١٦:٧،

Cook, S.A.: Israel and the Neigbouring States, in CAH,III, Combridge, 1965, P.363.

المقابل لتلك المساعدة، فلم يجد إلا خزائن بيت الرب وبيت الملك ليقدمها لملك آشور كهدية[٩٣]، وبالفعل استجاب ملك آشور، وتدخل سريعاً مما أنقذ أورشليم من السقوط في أيدى المهاجمين بل إن تجلات بلاسر الثالث توجه إلى دمشق وأخذها وقتل رصين.[٩٤]

وقد أعاد الأشوريون تنظيم مملكة السامرة، على أنها إقليم أشورى وجاءوا إليها بالمستوطنين الذين تزاوجوا مع السكان الأصليين، فظهر جنس جديد هم السامريون نسبة إلى عاصمتهم السامرة، كانوا قريبى الشبه مع جيرانهم اليهوذيين دماً وثقافة، لكنهم مختلفون عنهم فى الميول السياسية.[٩٥]

فى السنة الرابعة عشرة لملك يهوذا "حزقيا بن آحاز"، توجه "سنحاريب" (٧٠٤-٦٨١ ق.م) ملك آشور إلى أرض فلسطين، واستطاع قائده "ربشاقى" أن يحاصر أورشليم سنة ٧١٣ ق.م ويدك أسوارها[٩٦] كما استولى على جميع مدن مملكة يهوذا، وهزم الجيش المصرى الذى كان يساندها[٩٧] وفرض جزية كبيرة على حزقيا بلغت ٣٠٠ وزنة فضة و ٣٠ وزنة ذهب، ويبدو أن حزقيا لم يكن يملك كثيراً من الذهب ليقدمه إلى سنحاريب، فلجأ إلى تجريد أبواب الهيكل ودعائمه من الذهب وقدمه إلى سنحاريب، فتقول التوراة " فدفع حزقيا جميع الفضة الموجودة فى بيت الرب وفى خزائن بين الملك، فى ذلك الزمان قشر حزقيا الذهب عن أبواب هيكل الرب والدعائم التى كان قد غشاها حزقيا ملك يهوذا، ودفعه لملك آشور".[٩٨]

لم يستقر سنحاريب فى فلسطين، بل عاد سريعاً إلى وطنه، وتوضح التوراة تلك العودة بسبب إله إسرائيل " .. أن ملاك الرب خرج وضوب من جيش آشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفاً، ولما بكروا صباحاً إذا هم جميعاً جثث ميتة، فانصرف سنحاريب

---

[٩٣] سفر الملوك الثانى ١٦:٨.

[94] Kraeling, E.G.: Aram and Israel, New York, 1918, PP.118-119.

[95] Roth , C.: A Short History of the Jewish People, London, 1969, PP.28-29.

[٩٦] فاروق عز الدين: القدس، ص ٢١.

[٩٧] حسن السعدى: فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م، ص ١٨٧،١٨٨.

[٩٨] سفر الملوك الثانى ١٨:١٥-١٦.

ملك آشور وذهب راجعاً وأقام فى نينوى"[٩٩]، وهو نفس السبب الذى أخذ به الطبرى عندما يقول " واستطلع شعيا الرب فأخبره بموت جند سنحاريب إلا سنحاريب وخمسة من كتابه كان أحدهم بختنصر"[١٠٠] بينما ترجع المراجع الحديثة الأمر إلى فتك الطاعون بجند سنحاريب وربما كان هناك قلاقل واضطرابات فى نينوى، دفعت سنحاريب إلى العودة إلى بلاده[١٠١].

فى عهد نبوخذ نصر (نبوخذ ناصر أو بخت نصر أو بخت نصر أو نبوخذ راصر) (٦٠٤-٥٦٢ ق.م)، ثار ملك يهوذا "يهوياقيم" Jehoiakim (٦٠٩- ٥٩٨ ق.م) على سيده البابلى[١٠٢] مما دفع نبوخذ نصر إلى التوجه إلى فلسطين، والقضاء على الثورة، وأخذه ليهوياقيم عبدا عنده ثلاث سنوات ثم أعاده، فعاد ثانية إلى التمرد على سيده، ويبدو أن ما ترتب على المعركة التى دارت سنة ٦٠١ ق.م بين الجيش المصرى والجيش البابلى، من خسائر فادحة للطرفين، جعلت نبوخذ نصر ينسحب عائدا إلى بلاده، كما شجعت نتيجة المعركة يهوياقيم (يواقيم) على شق عصا الطاعة على بابل، وعدم دفع الجزية إليها، وتجديد التحالف مع مصر[١٠٣]، لكن استطاع نبوخذ نصر القضاء على التمرد ثانية، ومات يهوياقيم، وجاء من بعده ولده "يهوياكين" Jeheiakin[١٠٤] الذى تذكره المصادر العربية باسم "يوياحين بن يوياقيم"[١٠٥]، وقد وقع بمملكته تحت حصار نبوخذ نصر، فخرج إلى ملك بابل "هو وأمه وعبيده ورؤساؤه وخصيانه"[١٠٦]، لكن هذا لم يشفع له، حيث أخذهم ملك بابل أسرى، كما سبى أهل أورشليم جميعاً، ولم يبق "إلا مساكين شعب الأرض"[١٠٧]، وقد كان هذا الحصار فى سنة ٥٩٧ ق.م أيام الملك نيخاو ابن بسماتيك

---

[٩٩] سفر الملوك الثانى ١٩: ٣٥-٣٦.

[١٠٠] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ١، ص٥٣٥.

[١٠١] حسن السعدى: فى تاريخ الشرق الأدنى، جـ٢، ص١٨٨، فاروق عز الدين: القدس، ص٢١.

[102] Malamat, A.: The Last Wars of the Kingdom of Judah. in JNES,9,1950, P.223.

[١٠٣] حسن السعدى: فى تاريخ الشرق الأدنى، جـ٢، ص٢٠٤.

[104] Malamat: Op. Cit, P.224.

[١٠٦] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ١، ص٥٣٦.

[١٠٧] سفر الملوك الثانى ٢٤:١٢.

الأول ملك مصر، الذى توفى عام ٦٠٩ ق.م، ويبدو أنه كان لنيخاو يد خفية فى إيقاد الفتنة فى فلسطين.[١٠٨]

بعد أن استولى نبوخذ نصر على أورشليم وأسر ملكها، أخذ جميع ما فى خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وكسر كل آنية الذهب التى عملها سليمان فى هيكل الرب،[١٠٩] كما جاء بعم الملك السابق واسمه "متنيا" وملكه على أورشليم بعد أن غير اسمه إلى "صدقيا" Zedekiah،[١١٠] لكن صدقيا لم يكن وفيا لملك بابل، فتمرد عليه، فزحف إليه نبوخذ نصر سنة ٥٨٧ ق.م[١١١] وحاصر أورشليم بأدوات الحصار والأبراج العالية، واستمر محاصراً لها مدة ثمانية عشر شهراً، وتعرضت خلالها المدينة لمجاعة قاسية وأخذ أهلها يفرون منها، كما فر الجنود اليهود، وفر صدقيا نفسه، ولكن جنود الملك البابلى أمسكوا به فى أريحا، وأرسلوه إلى نبوخذ نصر فى ربلة عبر نهر أورنت[١١٢] فما كان من الملك البابلى إلا أن أمر بقتل "بنى صدقيا أمام عينيه، وقلعوا عينى صدقيا وقيدوه بسلسلتين من نحاس وجاءوا به إلى بابل".[١١٣]

ثم أرسل نبوخذ نصر رئيس شرطته "نبو زرادان" إلى أورشليم فما كان من هذا القائد إلا أن أحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم، وهدم جميع أسوارها، وسبى جميع من بها، ودمر جميع أوانى بيت الرب من القدور والرقوش والمقاص والصحون، وجميع الآنية من النحاس والذهب والفضة أخذها، وترك الهيكل خراباً خالياً، إلا من البعض القليل من يهوذا حيث أقام عليهم نبوخذ نصر رجلاً منهم هو "جدليا بن أخيقام بن شافان".[١١٤]

---

[١٠٨] سفر الملوك الثانى ٢٤:١٥.

[١٠٩] برستد: تاريخ مصر، ص ٣٩٥.

[١١٠] سفر الملوك الثانى ٢٤:١٣.

[١١١] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ١، ص٥٣٦، وانظر، برستد: تاريخ مصر، ص٣٩٥.

[١١٢] حسن السعدى: فى تاريخ الشرق الأدنى ، جـ ٢ ، ص ٢٠٥ ،

Malamat: The Last Wars, P.224, Cook: Israel, P.401.

[١١٣] سفر الملوك الثانى ٢٥:٧، سفر ارميا ٣٩:٦-٧، الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ١، ص٥٣٦،

Noth, M.: The History of Isreal, London, 1965, P. 536.

[١١٤] سفر الملوك الثانى، ٢٥:٢٢، عبد السلام عبده: قضية الدين، ص ١٥٩،

وتشير المصادر العربية إلى هذا السبى البابلى لليهود، والخراب الذى عانى منه الهيكل، والهوان الذى لحق على يد الملك البابلى نبوخذ نصر، الذى يذكره الطبرى باسم "بخترشة"[115]. وتتفق بعض المصادر العربية، فى أن سبب قدوم نبوخذ نصر إلى أورشليم هو قتل اليهود للنبى يحيى بن زكريا، ويذكرون فى ذلك رواية توضح أن دم يحيى عندما قتل "أصبح دمه يغلى، فلم يزل يلقى عليه التراب ويغلى إلى أن بلغ سور المدينة"[116] فحل غضب الله على اليهود، فأرسل عليهم نبوخذ نصر، فحكم فيهم "حكم الجاهلية وبطش الجبارين فقتل منهم الثلث وسبى الثلث وترك الزمنى والشيوخ والعجائز ثم وطئهم بالخيل وهدم بيت المقدس، وساق الصبيان وأوقف النساء فى الأسواق حاسرات وقتل المقاتلة وخرب الحصون وهدم المساجد وحرق التوراة .. ودخل بخت نصر بجنوده بيت المقدس، ووطئ الشام كلها، وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم"[117]. وهذا الغضب الإلهى على اليهود هو ما تؤكده التوراة فيما جاء فى أقوال إرميا " .. هأنذا أرسل فآخذ كل عشائر الشمال، يقول الرب" وإلى نبوخذ راصر عبدى ملك بابل وآتى بهم على هذه الأرض وعلى كل سكانها وعلى كل هذه الشعوب حواليها فأحرمهم وأجعلهم دهشاً وصفيراً وخرباً أبدية".[118]

لكن بعض المصادر العربية تستبعد رواية دم يحيى بن زكريا وذلك لأن يحيى جاء بعد نبوخذ نصر بنحو ٤٠٠ سنة عندما ضرب الهيكل[119] ويبقى أنه كان على نبوخذ نصر أن يفرض سيطرته التامة على تلك الأراضى، التى تعانى دائماً من التمرد، كما أن مملكة يهوذا كانت تسعى دوماً للتحالف مع مصر لكى تحميها من أعدائها، فكان على الملك البابلى أن يتصدى لكل هذا حتى يحقق الاستقرار فى هذا الجزء من إمبراطوريته، فيضرب بيد من حديد على التمرد الدائم للقبائل اليهودية، ويشتتهم فى أنحاء دولته فيتفرق

Noth: Op. Cit, P.288, Cook: Op. Cit, PP.402.403.

[115] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ١، ص٥٣٦.

[116] الطبرى: نفس المصدر، ص٥٩١، ابن الجوزى " المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك " ، جـ٢، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢من ص١١.

[117] ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٢، ص٣٨.

[118] سفر ارميا: ٢٥: ٩.

[119] ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٢، ص٣٩، السيوطى: إتحاف الأخصا، ق٢، ص١٥.

دمهم، وتضعف شوكتهم ويمحى إن استطاع عبادتهم، لذلك كان حرقه للمعبد وما يحويه من تابوت العهد، فضاع معبد سليمان ومعه البقية المفترض أنها باقية من التابوت، الذى كفت الروايات عن ذكره، بعد نقله إلى معبد سليمان، وكان قد أقيم فى مكان خفى من المعبد كهدف تقليدى خاص بالعبادة مع أنه لم يلعب دوراً هاماً فى العبادة العامة.[١٢٠]

فى سنة ٥٣٨ ق.م استطاع قورش الملك الفارسى أن يحتل بلاد بابل[١٢١] ثم سمح لليهود بالعودة إلى أورشليم، كما سمح لهم بأخذ أوانيهم التى أخذها نبوخذ نصر، وسمح لهم بإعادة بناء الهيكل كما جاء فى سفر عزرا الإصحاح الأول، وكان الهيكل خرباً، حتى كان عهد قورش فأمر بإعادة بناء الهيكل[١٢٢] فراح اليهود بقيادة "زربابل" يرممون ما بقى من الهيكل القديم ويستكملون ما تهدم منه، بيد أنهم ظلوا يتعثرون فى عملهم هذا بسبب إسرائيل أعداء يهوذا، الذين أرادوا المشاركة فى البناء لكنهم منعوا من المشاركة فأخذوا يكتبون الشكاوى لوقف هذا البناء بعد موت قورش سنة ٥٣٠ ق.م، ولم يبن من المعبد إلا أساساته، مما أدى لتعثر بناء الهيكل، حتى أنهم لم يتمكنوا من إتمامه إلا بعد نحو ٢٢ عاماً، أى فى نحو سنة ٥١٥ ق.م. فى عهد داريوس بن قورش، وجاء البناء الجديد أضخم من الأول، ولكنه كان أقل منه رونقاً وفخامة[١٢٣] وبينما أعيدت بعض آنية المعبد الذهبية، فإن تابوت العهد كان قد اختفى، فظل مكانه فى قدس الأقداس خالياً.[١٢٤]

دخلت أورشليم العهد اليونانى عندما احتلها المقدونيون سنة ٣٣٢ ق.م، وقد استقبلتهم المدينة بالرضا والارتياح، وأصبح اليهود طوع حكام اليونان حتى أنهم بنوا مذابح للآلهة اليونانية فى كل المدن اليهودية، بل وفى هيكل أورشليم ذاته وأحرقوا ما لديهم من أسفار التوراة، ونبذوا كل أحكام الشريعة اليهودية ومال أغلب اليهود إلى الهللينية، لكن حدث فى

---

[120] Noth: The History, PP.286,287.

[١٢١] عبد السلام عبده: قضية الدين، ص١٦٠.

[١٢٢] ابن الجوزى: المنتظم، جـ٢، ص١٣، السيوطى: إتحاف الأخصا، ق١، ص١٢٥.

[١٢٣] راجع سفر عزرا، إصحاح ٤-٨، سفر حجى ١٨:٢، عبد الحميد زايد: القدس الخالدة، ص٩٩،١٠٠، زكى شنودة: المجتمع اليهودى، ص٣١٦.

[١٢٤] زكى شنودة: المرجع السابق، ص١٨٠.

عام ١٦٩ ق.م أن سرقت الأوانى المقدسة من المعبد، مما أثار الشعب فى المدينة وأدى بأنتيوخس إلى إرسال قوة ذبحت كثيراً من الأهالى وهدمت كثيراً من المبانى[١٢٥].

ثم قدر لأورشليم أن تخضع للرومان، وعلى عهد يوليوس قيصر سنة ٤٩ ق.م، تنفس اليهود الصعداء، فأقام هركانوس الخشمونى، حاكماً عليهم، ثم تولى هيرودس سنة ٣٧ ق.م، ملكاً على اليهود، وقد ثبت هذا الملك أقدام الرومان فى البلاد[١٢٦]، وكان هيكل زربابل قد بدأ يتصدع، وأصبح مهدداً بالسقوط، وكان هيردوس يريد أن يضفى على نفسه مجد سليمان كما كان يريد أن يتودد إلى اليهود الذين كانوا يكرهونه ويرفضونه كملك عليهم فبدأ فى نحو سنة ٢٠ ق.م فى ترميم الهيكل وتوسيعه[١٢٧] واستغرق ذلك ثمانى سنوات كما يرى ابن خلدون[١٢٨] ، وإن كانت المراجع الحديثة ترجح مدة بنائه فى مدة ٤٦ سنة، فلم يتم إلا فى عهد أغريباس الثانى حفيد هيرودس سنة ٦٦م، وأصبح بعدها صرحاً ضخماً يحيط به ثلاثة أسوار شاهقة، وكان مكوناً من ساحتين كبيرتين إحداهما خارجية والأخرى داخلية.[١٢٩]

استخدم فى بناء الهيكل الجديد مقادير عظيمة من الرخام الفاخر والفسيفساء الثمينة، والأخشاب العطرية النادرة، وقد وشيت جدرانه من الداخل بالذهب والفضة، وطعمت بالأحجار الكريمة، وكانت خزائن الهيكل تزخر بالأموال والكنوز والنفائس التى لا تقدر بثمن، بيد أن اليهود لم يلبثوا أن أحالوا هذا الهيكل الضخم إلى بناء قذر، إذ جعلوه سوقاً للبيع والشراء، فأصبح مكاناً للتجارة والمساومة بدلاً من الصلاة والعبادة، فلما رأى عيسى – عليه السلام – ذلك تألم " وقال لهم، مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه

---

[١٢٥] عبد الحميد زايد: القدس الخالدة، ص١١٠، فاروق عز الدين: القدس، ص٢٣، زكى شنودة: المرجع السابق، ص٣٣٤.

[١٢٦] عبد الحميد زايد: القدس الخالدة، ص١٢٢-١٢٥، فاروق عز الدين: القدس، ص٢٤.

[١٢٧] زكى شنودة: المجتمع اليهودى، ص١٨٠.

[١٢٨] ابن خلدون: العبر، جـ٢، ق١، ص١٣٤.

[١٢٩] زكى شنودة: المجتمع اليهودى، ص١٨٠.

مغارة لصوص"[130] ثم قال لتلاميذه نبوءة تحققت بعد ذلك "فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه. الحق أقول لكم إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض".[131]

فى عصر نيرون سنة ٦٦ م، تمرد اليهود فى أورشليم، حيث ثار الرعاع من اليهود الفقراء وهجموا على معبد أورشليم واستولوا عليه، مما اضطر الكهنة وعائلاتهم وهم الارستقراطيون، إلى الاختباء فى المغارات والسراديب خوفاً على حياتهم، وانتشر التمرد فى كل يهوذا فأرسل نيرون فى ربيع ٦٧م جيشاً بقيادة "فسباسيان" لإخماد التمرد جاء عن طريق سوريا فى الشمال، كما جاء جيش ثان من الجنوب قادماً من الإسكندرية بقيادة تايتيوس (طيطس أو طيطش أو ططوس أو تيطس) ابن فسباسيان، ووصل مجموع القوات ٦٠ ألفاً، وحدث أن وقع صراع فى روما على السلطة انتهى باختيار فسباسيان امبراطورا، وكان قد ترك ولده تايتيوس لقيادة الجيش فى ديسمبر ٦٩م[132] فتوجه لمهاجمة أورشليم، وقد شارك الأقباط بفرقة من الجيش عدتها ألف فارس وخمسة آلاف من المشاه[133]. ونصب الرومان الحصار حول أورشليم ثم ضربها الجيش بقذائف الحجارة فكسر أبوابها، ولكنه فوجئ بأن بعض اليهود أنفسهم قد أشعلوا النيران داخل المعبد، ولم يتدخل الجند الرومان بل تركوا النيران وراحوا ينشرونها فى باقى أنحاء المدينة طمعاً فى مخازن الذهب والفضة، ثم قاموا بعد ذلك بحرق باقى مبانى المدينة وقتلوا أهلها، ومن لم يمت أصبح أسيراً وعبداً للرومان، وذلك فى سنة ٧٠م[134].

كان اليهود أثناء ثورتهم، قد أحرقوا معبداً لإله الرومان الأكبر جوبيتر كابيتو لينوس Jupiter Capitolinus، فلما سقطت أورشليم فرض الرومان ضريبة على اليهود خصص عائدها للإله جوبيتر ومعبده عقاباً لليهود[135]، وقد أدى سقوط المدينة وتدمير الهيكل إلى شتات اليهود فهاجرت كثير من الجماعات اليهودية إلى بلاد العرب الشمالية

---

[130] إنجيل متى ٢١:١٣.

[131] إنجيل متى ٢٤:٢.

[132] أحمد عثمان: تاريخ اليهود، جـ٢، ص٨٧-٨٩.

[133] عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص١٦٦.

[134] أحمد عثمان: تاريخ اليهود، جـ٢، ص٨٩-٩٠.

[135] نفتالى لويس: الحياة فى مصر تحت الحكم الرومانى، ترجمة د. السيد جاد، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص٢٩،٣٠.

والحجاز واستقرت فى يثرب وخيبر ووادى القرى وفدك وتيماء[١٣٦]، وأمر الإمبراطور هادريان بعد ذلك بهدم كل شئ فى أورشليم، بل وسمى المدينة: إيليا كابيتولينا ، كما أقام مكان الهيكل معبداً لجوبيتر، ومنع اليهود من دخول المدينة، وجعل عقوبة الإعدام لمن يقدم منهم على ذلك، ثم سمح لهم بالمجئ إليها يوماً واحداً فى السنة والوقوف على جدار بقى قائماً[١٣٧] من حائط متهدم، يزعم اليهود أنه جزء من سور الهيكل وهو المعروف بحائط المبكى[١٣٨] وهو حائط كبير مبنى من حجارة ضخمة طول بعضها ١٦ قدم ، وأما الحائط فطوله ١٥٦ قدماً وارتفاعه ٥٦ قدم[١٣٩].

وقد ذكرت المصادر العربية ما أحاط بمدينة أورشليم على يد تايتيوس من خراب ودمار، فنجد الطبرى يوضح ما فعله "طيطوس بن اسفسيانوس" فى بيت المقدس من نسف وسبى، ويحتذى بنبوءة عيسى - عليه السلام - فيقول "حتى لم يترك بها حجر على حجر"[١٤٠] مثلما قال عيسى - عليه السلام - لتلاميذه. ويتناول ابن خلدون غزوة " طيطس " بالتفصيل، موضحاً أن اليهود هم السبب الأول لما حدث، حيث كثرت فتنهم داخل القدس، وكثرت الدماء التى سالت فى الطرقات، مما أدى لزحف تايتيوس عليهم، فحاصرهم ودمر أسوارهم، وأحرق الهيكل ثم رحل بالغنائم والأموال والأسرى[١٤١].

خاتمة

مما لاشك فيه أن الاعتماد على المصادر الإسرائيلية وحدها فى كتابة مثل هذا الموضوع وغيره، يؤدى إلى نقص الحقيقة التاريخية، ويقع بنا فى دائرة الإسرائيليات، وقد حذر ابن كثير من هذا الموضوع حيث قال "ذكر ابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهما من المفسرين ههنا آثاراً كثيرة عن جماعة من السلف وأكثرها أو كلها متلقاة من

---

[١٣٦] عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٤٣٣.

[١٣٧] السيوطى: إتحاف الأخصا، ق٢، ص١٩٢،١٩٣.

[١٣٨] زكى شنودة: المجتمع اليهودى، ص١٨٢.

[١٣٩] فاروق عز الدين: القدس، ص٧٥.

[١٤٠] الطبرى: الرسل والملوك، جـ١، ص٥٨١.

[١٤١] ابن خلدون: العبر، جـ٢، ق١، ص١٤٠.

الإسرائيليات، وفى كثير منها نكارة شديدة، وقد نبهنا على ذلك"[١٤٢]، وهـذا مـا وجدنـاه فـى احتذاء بعض المصادر العربية للنصوص التوراتية، مع إشارة المؤرخين المسلمين لذلك حرصاً على الأمانة التاريخية، وقد اندفعت المصادر العربية إلى النصوص والمصادر الإسرائيلية عندما كانت تعانى من نقص معلوماتى حاد خاصة فى حياة الأنبياء الذين جاء ذكرهم فى القرآن الكريم دون تفصيل، فكان توجههم إلى النصوص التوراتية مع ما فى ذلك من خطورة.

ومن خلال هذا المبحث نجد أن اليهود قد نجحوا فى الاستيلاء على أرض يبوس من أهلها، وأقاموا حكماً لهم فى فترة ليست طويلة فى عمر التاريخ واستطاعوا أن يحولوا خيمة الاجتماع - هيكلهم الأول - من مجرد خيمة إلى هيكل ضخم البناء فخم الهيئة بفضل إعداد داود وبناء سليمان له، إلا أنه لسوء تصرفات اليهود، وعدم قدرتهم على الخروج من القبلية، انقسموا وتفرقوا وتقاتلوا وهان عليهم كل شئ حتى معبدهم، الذى كانوا يجردونه مما فيه ليقدموا ذهبه وفضته هدايا أو يسرقونها، فكان المصير المحتوم فى توجيه الضربات إليهم على يد ششنق ملك مصر، وعلى يد نبوخذ نصر ملك بابل، الذى دمر أورشليم، ومن بعده لم نعد نسمع عن تابوت العهد، حيث اختفى، وبعد تدمير تايتيوس لأورشليم سنة ٧٠م لم يعد هناك أثر لمعبد سليمان، إذ تحققت نبوءة عيسى - عليه السلام - إذ لم يبق فيه حجر على حجر.

وخلال تاريخ الهيكل، قدر لبنى إسرائيل أن يذوقوا الشتات والسبى المتواصل، فاختلط الدم اليهودى بدم غيرهم من الشعوب فى كل العصور، فلم يعودوا العنصر النقى، وخلال هذا الشتات أيضاً عبدوا الآلهة الوثنية للشعوب المجاورة أو التى احتلتهم مثل البعليم والعشتاروت وآلهة اليونان والرومان، فلم يعد لهم حق القول بأنهم "الزرع المقدس"[١٤٣] أو أنهم "شعب الله المختار".[١٤٤]

---

[١٤٢] ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٢، ص٢٦.

[١٤٣] سفر عزرا ٩:٢.

[١٤٤] سفر إشعياء ٤٣:٢٠.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- الكتاب المقدس.

٣- البلاذرى (أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادى - ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) : فتوح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م.

٤- ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد - ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م : المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، جـ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٥- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد الحضرمى المغربى - ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) : تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، جـ٢، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

٦- الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان - ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، عهد الخلفاء الراشدين، تحقيق د.عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٧ - السيوطى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن على بن عبد الخالق - ت ٨٨٠هـ/١٤٧٥م) : إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ق١، ق٢، تحقيق د. أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.

٨- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير - ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) : تاريخ الرسل والملوك، جـ١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٧٩م.

٩- الماوردى (أبو الحسن) : نصيحة الملوك، تحقيق / فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٨م.

ثانياً: المراجع العربية والأجنبية

١ - أحمد عثمان: تاريخ اليهود، جـ١، ٢ ، مكتبة الشروق، القاهرة، ١٩٩٤م.

٢- السيد عبد العزيز سالم (دكتور): تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ.

٣- جيمس هنرى برستد: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى، ترجمة د. حسن كمال، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.

٤- حسن محمد محيى الدين السعدى (دكتور): فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م.

٥- زكى شنودة: المجتمع اليهودى، مكتبة الخانجى بالقاهرة، بدون تاريخ.

٦- سليمان بن عمر العجيلى الشافعى الشهير بالجمل (ت ١٢٠٤هـ): الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، جـ١، مطبعة عيسى البابى الحلبى، مصر، بدون تاريخ.

٧- عبد الحميد زايد (دكتور): القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

٨- عبد السلام محمد عبده (دكتور): قضية الدين مع مسيرة الفكر الإنسانى، اليهود واليهودية - عقيدة وتاريخاً، مطبعة لطفى، القاهرة، ٧٨/١٩٧٩م.

٩- فاروق محمد عز الدين (دكتور): القدس تاريخيا وجغرافيا، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨١م.

١٠- نفتالى لويس (دكتورة): الحياة فى مصر تحت الحكم الرومانى، ترجمة د. السيد جاد، الإسكندرية ١٩٩٣م.

11- Cook, S.A.: Israel and the Neighboring States, in CAH, III, Cambridge, 1965.
12- Kraeling, E.G.: Aram and Israel, New York, 1918.
13- Malamat, A.: The Last Wars of the Kingdom of Judah, In JNES, 9, 1950.
14- Noth, M.: The History of Israel, London, 1965.
15- Roth, C.: A Short History of the Jewish People, London, 1969.
16- Roux, G.: Ancient Iraq (Penguin Books), 1980.

الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

أورشليم "القدس"
منذ أقدم العصور وحتى بداية العصر الرومانى
(دراسة تاريخية وثائقية)

دكتور هابيل فهمى عبد الملك
مدرس التاريخ اليونانى والرومانى - كلية الأداب - جامعة المنوفية

مدينة أورشليم مدينة قديمة ، وأقدم الإشارات إليها نجدها فى رسائل تل العمارنة (١) (١٤٥٠ ق.م) حيث وردت فى الرسائل المتبادلة بين عبده خيبا Abdu - Heba حاكم أورشليم وبين الملك الفرعونى أمنحتب الرابع وابنه (إخناتون) (١٣٧٠ - ١٣٤٩ ق.م) كما يعتقد ، ومن هذه الرسائل نستنتج أن منطقة أورشليم كانت منطقة حصينة تحرسها قوات مصرية مرتزقة . وهناك اعتقاد ، سائر ، بأن فرعون مصر أمنحتب الرابع حاول جعل أورشليم مكانا مقدسا للإله آتون .

وقد ظهر اسم أورشليم فى الكتابات المسمارية على هذا النحو (اورو - سا - ليم) وهو ما يوافق اسمها على الآثار الآشورية منذ القرن الثامن ق.م (اور- سا - لى - إمو).

وإذا ما رجعنا إلى نصوص العهد القديم نجد أن اقدم الأسماء العبرية التى أطلقت على المدينة هى (يوروشاليم) ثم اختصرت إلى (ساليم) أو (شاليم) (٢) ، ثم تطور الاسم فصار ينطق (يوروشالايم) (٣) وهو نفس الاسم الذى ظهر على العملة اليهودية وفى الأدب اليهودى القديم .

وفى الترجمة السبعينية وردت أورشليم تحت اسم (ايروسليم) ، وفى كتابات يوسيفوس (هيروسليم) ، أما فى أسفار المكابيين الثانى والثالث (هيروسلوما) وهو نفس الاسم الذى ورد فى كتابات استرابون ، وشيشيرون وبلينى ، وثاكيتوس وغيرهم .

وفى عصر الإمبراطور هادريان (١١٧- ١٣٨ م) صار الاسم الذى يطلق على منطقة أورشليم هو ايلياء الكبرى أو ايلياء كابيتولينا Aelia Capitolina .

أما الاسم (جيروسليم) فقد ورد لأول مرة فى الكتابات الفرنسية التى ترجع إلى القرن الثانى عشر .

وتشير نصوص العهد القديم إلى أسماء أخرى أطلقت على أورشليم منها اسم (يبوس) وهو اسم أورشليم فى عهد اليبوسيين (٤) .

وتسمى أيضا (أريئيل) (٥) " ومدينة العدل " (٦) ، و" عيرهاكورش " (٧) أى مدينة القدس .

والاسم الشائع فى اللغة العربية هو (بيت المقدس) أو " القدس " أما فى الكتابات المسيحية فتسمى (أورشليم) نقلا عن اسمها العبرى .

أما عن معنى اسم (أورشليم) فالرأى السائد أن اسمها يعنى " مدينة السلام " أو مدينة الإله ساليم (٨) .

ومن سخريات القدر أن مدينة السلام لم تر إلا القليل من السلام عبر التاريخ ، فهل آن لها الأوان لتكون بالفعل مدينة للسلام ؟ !!

بعد هذا التقديم الذى أوضحنا فيه تطور اسم أورشليم ومعناه نستعرض فى إيجاز تاريخ المدينة منذ أقدم العصور وحتى صارت تابعة للرومان .

كما أشرنا سالفا فالإشارات الأولى عن مدينة أورشليم "القدس" ترجع إلى عام ١٤٥٠ ق.م فى رسائل تل العمارنة المتبادلة بين عبده خيبا حاكم المدينة والملك الفرعونى أمنحتب الرابع وترى فيها عبده خيبا يجاهد بكل قواه للمحافظة على حقوق سيده فى وجه الغزاة الذين يحاولون الاستيلاء على المدينة ، وتنتهى الوسائل دون أن تعطينا أية إشارات

حول مصير عبده خيبا أو طبيعة الأمور فى المدينة وربما يرجع ذلك إلى ضعف سيطرة مصر على هذه الأجزاء فى ذلك الوقت .

وبعد موت موسى النبى خلفه يشوع بن نون (٩) وفى أثناء غزو يشوع لكنعان يأتى ذكر اسم (ادونى صادق) ملك أورشليم (١٠) الذى اتحد مع ملوك حبرون ويرموت ولخيش وعجلون (١١) ضد يشوع ولكن يشوع هزمهم وقتلهم جميعا .

بعد موت يشوع حارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وأشعلوا فيها النار (١٢) ثم استولى عليها اليبوسيون بضع سنوات أخرى (١٣) وفى حوالى عام ١٠٠٠ ق.م استولى عليها داود الملك (١٠١٢- ٩٧٢ ق.م) وجعلها عاصمة له بعد أن حررها من اليبوسيين (١٤) وفى عهده اتسعت أورشليم نتيجة لنمو الضواحى وتدفق أتباع داود الملك على المدينة ووجود حامية عسكرية كبيرة (١٥) وموظفين كثيرين وكهنة مع عائلاتهم (١٦) بالإضافة إلى عائله الملك داود وأقاربهم (١٧) .

وبعد وفاة الملك داود عن عمر يناهز الحادية والسبعين تولى الحكم ابنه سليمان (٩٧٢- ٩٣٢) واستمر حكمه ٤٠ عاما كأبيه ، وفى عهده شهدت أورشليم نموا متزايدا خصوصا فى المجال المعمارى حيث أقام الهيكل الذى حمل اسمه وبنى قصرا جديدا له وأماكن لإقامة زوجاته وموظفيه ، وعماله الذين وفدوا إلى المدينة لتشييد المبانى الفخمة التى أقامها سليمان (١٨) إلى جانب قلعة المدينة وسورها (١٩) .

وفى عهد رحبعام بن سليمان لم تعد مدينة أورشليم العاصمة الموحدة للمملكة اليهودية، إذ انقسمت المملكة اليهودية إلى مملكتين : مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم ومملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة (٢٠) . وفى عام ٩٢٨ ق.م فى السنة الخامسة من حكم رحبعام ابن الملك سليمان غزا شيشنق ملك مصر أورشليم (٢١) واستولى على مدن يهوذا (٢٢) ويبدو أنه لم يستول على أورشليم حيث لم يذكر شئ عن هذه الحملة فى السجلات المصرية ، والأرجح كما جاء فى نصوص العهد القديم أن شيشنق اكتفى بأن قدموا له خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وجميع أتراس الذهب التى عملها سليمان(٢٣) .

ومن النصوص الواردة فى سفر الملوك الأول (٢٤) نجد مدينة أورشليم قد استردت أهميتها فى عهد يهوشافاط رابع ملوك يهوذا ، ولكن فى مدة حكم ابنه يهورام (٨٤٩ – ٨٤٢ ق. م) هاجم العرب والفلسطينيون أورشليم ونهبوها (٢٥) وأصبحت أورشليم فى ذلك الوقت مسرحا للأحداث المثيرة إذ اغتصبت (عثليا) زوجة (يهورام) ملك يهوذا العرش ثم قُتلت وتولى حفيدها (يوآش) الحكم وهو ثامن ملوك يهوذا (٨٣٦– ٧٩٧ ق. م) وقام بالعديد من الإصلاحات (٢٦) .

فى عام ٧٩٧ انتهز الآراميون حالة الفوضى فى أورشليم وقاموا بغزوها بقيادة حزائيل ونهبوا قصر الملك وخزائن بيت الرب (٢٧) وانتهى الأمر بمقتل يوآش (٢٨) وتولى الحكم من بعده ابنه أمصيا (٧٩٧–٧٧١) ويبلغ من العمر خمسة وعشرين عاما (٢٩) .

بعد استيلاء أمصيا على مقاليد مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم دخل فى حرب مع يهوآش ملك إسرائيل وانتهت الحرب بهزيمة أمصيا ودخول يهوآش أورشليم وقام بهدم أسوارها ونهب خزائنها وحمل الغنائم والأسرى (٣٠) وقتل أمصيا ودفن فى أورشليم وتولى بعده ابنه عُزْرِيا (٣١) عام (٧٧١– ٧٤٣) الذى حكم مملكة يهوذا لمدة ٥٢ عاما وعمل خلالها على إعادة التحصينات داخل أورشليم ، فبنى الأبراج عند باب الزاوية وباب الوادى(٣٢) وأقام على الأبراج منجنيقات لتُرمى من خلالها السهام والحجارة (٣٣) ويبدو أن أورشليم فى عهده قد استعادت بعض مجدها الذى كانت عليه أيام سليمان نظرا لهيبته وقوته التى امتدت إلى مصر (٣٤) ، وقد تعرضت أورشليم لزلزال عظيم فى عهده (٣٥) .

توفى الملك عزريا (أوعزيا) حوالى عام ٧٤٣ وتولى الحكم ابنه (يوثام) (٣٦) (٧٤٣–٧٣٦) الذى أكمل البناء الذى بدأه والده ، وبعده تولى الحكم ابنه (آحاز) (٧٣٦–٧٢٨) وقد ساد أورشليم فى عهده الضعف والانحلال (٣٧) ، وبعد موته تولى ابنه الملك حزقيا (٧٢٧–٦٩٩) ، وتمتعت أورشليم فى عهده بالعظمة والتقدير إذ دخل حزقيا فى علاقات صداقة مع ملك بابل (٣٨) وحصّن أورشليم ليمنع ملوك آشور من الوصول إليها (٣٩) غير أنه يبدو أنه واجه تهديدا جديدا بالهجوم على المدينة من جانب آشور (٤٠).

بعد حزقيا تولى العرش ابنه الملك منسى وكان عمره حينئذ ١٢ عاما وملك ٥٥ سنة (٦٩٨-٦٤٣) ومن النصوص الواردة في سفر أخبار الأيام الثاني (٤١) نرى أن منسى الملك قام ببعض الإصلاحات المعمارية في أورشليم ، ويتضح من نفس السفر أنه سقط أسيرا في يد (آشور بانيبال) ملك آشور (٤٢) ثم أطلق سراحه وعاد إلى أورشليم ومات هناك سنة ٦٣٩ وتولى الحكم من بعده الملك (يوشيا) الذى حكم ٣١ عاما (٦٤٠-٦٠٩) (٤٣) الذى قام بترميم الهيكل وزخرفته (٤٤) .

وفي عام (٦٠٩) حشد فرعون مصر نخاو الثاني (٦٠٩-٥٩٤) جيشه لمعاونة آشور وتقدم لاحتلال أرض الفرات غير أن الملك (يوشيا) ملك يهوذا المتحالف مع بابل تصدى لجيش مصر وتقابل الجيشان المصرى واليهودى عند مجدو فكان النصر حليف المصريين، وقتل يوشيا ودفن في قبره في أورشليم (٤٥) وتولى الحكم بعده ابنه (يهوآحاذ) لمدة ثلاثة شهور وقع بعدها أسيرا في يد نخاو الثاني ملك مصر ومات في مصر ودفن فيها في قبور الغرباء (٤٦) ، وخَلَفَه على العرش أخوه (ألياقيم) الذى غيّر نخاو فرعون مصر اسمه إلى (يهوياقيم) عندما أقامه ملكا على يهوذا عام (٦٠٩) (٤٧) . وبعد أن نجح البابليون في هزيمة مصر في موقعة كركميش عام (٦٠٥) تحول ملك يهوذا من الخضوع لمصر إلى الخضوع لبابل (٤٨) ثم حاول التمرد على ملك بابل لكنه فشل ومات عام ٥٩٨ بعد أن حكم لمدة أحد عشر عاما وخلفه ابنه (يهوياكين) (٤٩) سيئ الحظ إذ بعد ثلاثة اشهر وعشرة أيام فقط من حكمه وقع أسيرا هو وعائلته ورؤساء الشعب وبعض خزائن بيت الرب في يد نبوخذ نصر ملك بابل وأخذه إلى بابل (٥٠) واستمر هناك مدة ٣٧ عاما(٥١).

تولى حكم أورشليم بعد ذلك الملك (صدقيا) أخو يهوياكين وابن الملك يوشيا وكان له من العمر ٢١ سنة وملك ١١ عاما (٥٢) (٥٩٧-٥٨٧) ويعتبر الملك صدقيا آخر ملوك يهوذا .

ظل صدقيا الملك مواليا لبابل طوال مدة حكمه ثم قام بالثورة أخيرا ضد الملك نبوخذ نصر ، فما كان من الأخير إلا أن حاصر أورشليم مدة سنة ونصف السنة حتى اشتد الجوع بالمدينة ، مما دفع الملك صدقيا وحاشيته ومعاونيه إلى الهرب ليلا نحو الأردن ،

فتعقبه البابليون وألقوا القبض عليه ، وقادوه أسيرا إلى نبوخذ نصر الذى قام بقتل أولاده أمامه ثم اقتلع عينيه وربطه بسلاسل من نحاس وسيق إلى بابل (٥٣) وحبس حتى وافته المنية (٥٤) وقد أدى حصار نبوخذ نصر لأورشليم إلى تخريبها وأحرقها بالنار (٥٥) وظل الشعب اليهودى فى السبى مدة سبعين عاما .

فى عام (٥٣٨) وبعد أن أصبح كورش ملك فارس سيدا على الإمبراطورية البابلية أعطى الإذن لليهود بالعودة إلى بلادهم وبناء بيت الرب حيث عاد أكثر من ٤٠٫٠٠٠ نسمة بقيادة شيشبصر حاكم يهوذا (٥٦) من قبل كورش وقد أعاد إليه الأخير الأوانى المقدسة التى أخذها نبوخذ نصر إلى بابل واستؤنف تقديم الذبائح اليومية والاحتفال بالأعياد المقدسة والأصوام (٥٧) .

وكانت أسوار أورشليم مهدمة من جراء الحصار البابلى ولكن فى عام ٤٤٥ نجح نحميا الذى كان يعمل ساقيا فى بلاط الملك الفارسى أرتحشستا فى العودة إلى أورشليم وبناء أسوارها وقد استغرقت عملية البناء والترميم ٥٢ يوما (٥٨) .

وليس لدينا معلومات تاريخية وافية عن أورشليم طيلة المائة عام التالية (٤٤٥-٣٤٥) ولكن ابتداء من ظهور الإسكندر الأكبر على المسرح التاريخى أصبحنا أمام مرحلة جديدة فى تاريخ أورشليم .

أورشليم فى العصر الهللينستى

بعد معركة إيسوس Issos التى هزَم فيها الإسكندر الأكبر الفرس بقيادة ملكهم دارا الثالث فى خريف عام ٣٣٣ قام الإسكندر بزيارة أورشليم ، وإذا كان ذلك غير مؤكد إلا أن زيارته إلى أورشليم كانت محتملة لتحقيق هدفه النبيل فى إيجاد إمبراطورية موحدة تضم الشرق والغرب فى إطار هللينى يتمتع أبناؤها بالمساواة ويسودهم التوافق الفكرى والعاطفى وهو ما أسماه بالوئام homonoia لأن الناس فى نظره مهما اختلفت عناصرهم وقومياتهم إلا أنهم جميعا أبناء لأب واحد .

وبعد موت الإسكندر عام ٣٢٣ تأرجحت فلسطين بين الحكم البطلمى فى مصر والحكم السلوقى فى سوريا حيث تبادلت الدولتان حكمها . وفى عام ٣١٨/٣١٩ غزا بطليموس الأول (سويتر) جوف سوريا (وكان إقليما يشمل فلسطين وجنوب سوريا ويحده شمالا جبل هرمون (أو جبل الشيخ) وشرقا نهر الأردن وغربا البحر المتوسط) واستولى على أورشليم بخدعة إذ دخلها يوم السبت وهو يوم الراحة عند اليهود ، وأخذ معه كثيرا من الأسرى اليهود إلى مصر (٥٩) . وفى أثناء الصراع الذى قام بين البيت البطلمى فى مصر وخلفاء الإسكندر ظلت أورشليم بمعزل عن الاضطرابات بسبب موقعها المنعزل على الرغم من أن فلسطين نفسها قاست كثيرا ، ففى عام ٣١٥ فقد بطليموس سوتير جوف سوريا بعد أن استولى عليه أنتيجونوس حاكم آسيا الصغرى ولكن سوتير نجح فى استرداده ثانية عام ٣١٢ بعد موقعة غزة .

بعد معركة إيسوس عام ٣٠١ بدأت أورشليم تتأرجح بين الحكم البطلمى والحكم السلوقى فصارت تحت حكم السلوقيين ابتداء من هذا التاريخ ، ولكن بطليموس الثانى فيلادلفوس (٢/٢٨٣ - ٢٤٦) نجح فى استرداد جوف سوريا من يد السلوقيين فى عهد انطيوخوس الأول عام ٢٧٩/٢٨٠ ، وكان طبيعيا ألا يسلم السلوقيون باستيلاء البطالمة على جوف سوريا وشواطىء آسيا الصغرى لأن ذلك يحرمهم من النشاط التجارى والاحتفاظ بالموانىء الهامة (٦٠) لذلك كان الصدام بينهما آت لا ريب فيه فيما عرف بالحروب السورية ابتداء من عام ٢٧٦ ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت فلسطين سجالا بين الطرفين .

فى عام ٢١٧ زار بطليموس الرابع فيلوباتور (٢٢١ - ٢٠٥) الهيكل اليهودى فى أورشليم بعد انتصاره على أنطيوخوس الثالث فى موقعة رفح وحاول دخول قدس الأقداس، إلا أن أحبار اليهود رفضوا ذلك لكنه أصر لولا تدخل العناية الألهية - كما يقول اليهود - إذ مرض الملك بالباب (٦١) فعاد إلى مصر.

وفى عام ١٩٨ نجح أنطيوخوس الثالث (٢٤٢-١٨٧) فى استرداد جوف سوريا من يد البطالمة وقد ساعده اليهود على ذلك انتقاما من بطليموس الرابع الذى اضطهد يهود مصر ، واتقاء لشر أنطيوخوس نفسه فزودوه بالمؤن وأعانوه على محاصرة القوات

المصرية المرابطة فى القلعة . ويسجل لنا سفر الحكمة أحد أسفار الأبوكريفا (٦٢) أن أورشليم ازدهرت فى ذلك الوقت وتمتعت بمظاهر الحياة والنشاط ونجح سمعان بن أونياس فى ترميم الهيكل والأسوار ورغم ما قدمه اليهود للسلوقيين إلا أنهم حُرموا الحرية الدينية وعانوا من زيادة الضرائب وأصبح الولاء للديانة اليهودية خيانة للحاكم السلوقى .

وأثناء حكم أنطيوخوس الرابع ابيفانيس (٢١٥-١٦٣) تدخل لفض النزاع بين الكاهن الأعظم (أونياس الثالث) الذى كان منحازا للبطالمة وبين أخيه (ياسون) الذى كان منحازا للسلوقيين ، وفى عام ١٧٤ حصل ياسون على مركز رئيس الكهنة بعد أن دفع رشوة كبيرة لأنطيوخوس وتعهد له بتحويل سكان أورشليم إلى الهللينية (٦٣) فأنشأ الجمنازيوم فى أورشليم لتعريف الشباب اليهودى بالألعاب والتقاليد اليونانية ، وشجعه أنطيوخوس على ذلك ليس فقط لتحويل اليهود إلى الثقافة الهللينية بل أيضا لملء الخزينة السلوقية بالمال بعد أن نضب معينها بسبب الجزية الكبيرة التى كان أبوه يدفعها لروما ، ومما يؤكد ذلك أنه بعد ثلاث سنوات - أى فى عام ١٧١ - أرسل ياسون رسوله المدعو منلاوس إلى الملك أنطيوخوس الرابع بمبلغ كبير من المال ، إلا أن منلاوس انقلب على ياسون إذ نجح فى إقناع أنطيوخوس بالتخلى عن ياسون واختياره هو رئيساً للكهنة مقابل تقديم برنامج أقوى لتحويل اليهود إلى الثقافة الهللينية وأن يدفع له أضعاف ما كان يدفعه ياسون، وقد وافق أنطيوخوس على ذلك لحاجته الشديدة للمال هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى وجدها أنطيوخوس فرصة ليحطم أحد العوامل القوية فى توحيد اليهود وهو حرصهم على أن يكون رئيس الكهنة من سبط هارون فقط ، فمنلاوس من سبط بنيامين واختياره رئيسا للكهنة سوف يحطم فكرة أن يكون الاختيار وقفا على سبط هارون فقط وهذا يعطى السلوقيين الفرصة فيما بعد فى اختيار رؤساء الكهنة كما يشاءون دون التقيد بالتقاليد اليهودية (٦٤) .

هرب ياسون من أورشليم متجها صوب شرق الأردن ، ونهب منلاوس الآنية الذهبية الخاصة بالهيكل ، باع بعضها وأعطى البعض الآخر هدية لأندرونيكوس نائب أنطيوخوس فى أنطاكية ليشترى ذمته ويصبح طوع أمره ، ولما احتج أونياس الثالث رئيس كهنة اليهود الشرعى والذى كان لا يزال فى إنطاكية على تصرفات منلاوس أغرى الأخير أندرونيكوس على قتله (٦٥) .

وفى عام ١٦٩/١٧٠ غزا أنطيوخوس مصر وهزم بطليموس السادس فيلومتيور وأثناء ذلك حدثت اضطرابات فى أورشليم بسبب إشاعة بأن انطيوخوس قتل فى مصر فخرج ياسون من مخبئه فى شرق الأردن وهاجم أورشليم وأجبر منلادس على الهرب ، وانتقم ياسون من الشعب فذبح الكثيرين من الأبرياء مما أدى إلى تفاقم الأوضاع بالمدينة وانتهت بطرده خارجها فلجأ مرة أخرى إلى شرق الأردن (٦٦) .

بمجرد عودة أنطيوخوس من مصر قرر أن يخضع أورشليم (٦٧) لأنه أدرك أن ثورة اليهود على منلاوس هى ثورة عليه ، لذلك اقتحم المدينة ومعه منلاوس ودخل الهيكل ونهب ما فيه انتقاما من اليهود وأشعل النار فى المدينة وهدم الأسوار والبيوت وذبح الرجال وباع النساء والأطفال (٦٨) وبعد ذلك غادر المدينة بعد أن تركها تحت حكم أحد قادته ويدعى فيليب الفريجى (٦٩) .

فى عام ١٦٧ عزم أنطيوخوس الرابع على محو الديانة اليهودية وذلك بتحريم عاداتهم ونواميس آبائهم ، فمنع حفظ يوم السبت ، والأعياد ، والذبائح ، وختان الأطفال ، وأمر بحرق نسخ التوراة ، وإقامة المذابح الوثنية ، وأمر بتقديم ذبائح نجسه ، وأكل لحم الخنزير (٧٠) وكل من يعصى هذه الأوامر يعدم ، ووصل الأمر أنه جعل هيكل أورشليم مكانا لعبادة الإله زيوس Zeus وقدم لحم الخنزير على مذبح زيوس الذى أقامه فوق مذبح المحرقة (٧١) وكانت هذه الذبائح تقدم فى الخامس والعشرين من كل شهر بمناسبة عيد ميلاد أنطيوخوس أبيفانيس .

لقد أراد انطيوخوس من وراء كل ذلك توحيد إمبراطوريته حول الثقافة الهللينية معتقدا أن الديانة اليهودية تميل إلى تأييد البطالمة لكنه فشل فى تحقيق ذلك بل أدت تصرفاته هذه إلى إشعال ثورة المكابيين التى بدأها متتيا فى مودين عام ١٦٧ (٧٢) وواصلها من بعده ابنه يهوذا المكابى ١٦٥ ثم يوناثان عام ١٦٠ فسمعان ١٤٣ وأخيرا يوحنا هيركانوس ١٣٤ بعد ذلك .

بلغت أنباء الثورة المكابية أنطيوخوس الرابع فأمر فى عام ١٦٥ قائده ليسياس الحاكم على الجزء الغربى من مملكته والوصى على ابنه بإنهاء التمرد المكابى وإبادة جنس

اليهود (٧٣) لكن الجيش الذى أرسله ليسياس بقيادة (جرجياس) 'منى بهزيمة ساحقة وأجبر الجنود السوريون على الفرار (٧٤) .

وفى عام ١٦٤ قاد ليسياس بنفسه جيشا أكبر وهاجم أورشليم من الجنوب ولكن يهوذا المكابى نجح فى هزيمته فى بيت صور (٧٥) واستعاد يهوذا كل أرض اليهودية ما عدا قلعة أورشليم ، وقام بتجديد الهيكل وتدشينه وأعاد الذبائح اليومية فى الخامس والعشرين من شهر كسلو (١٤ ديسمبر ١٦٤) وكان هذا بداية عيد التجديد اليهودى أو عيد الأنوار(٧٦) .

استشاط انطيوخوس الرابع غضبا عندما سمع بانتصارات يهوذا المكابى لكنه لم يفلح فى استعادة أورشليم وانسحب ومات مجنونا فى بلاد فارس فيما بين ربيع وصيف عام ١٦٣ (٧٧) .

فى عهد أنطيوخوس الخامس (١٧٣-١٦٣) حاصر يهوذا المكابى قلعة أورشليم لاستعادتها من السلوقيين لكن ليسياس الوصى على الملك نجح فى هزيمته هذه المرة فى منطقة بيت زكريا الواقعة جنوبى غرب أورشليم (٧٨) وحاصر أورشليم ، وأثناء ذلك سمع ليسياس بقدوم فيلبس من فارس لحصار سوريا فبادر ليسياس بعقد الصلح مع يهوذا واعدا إياه بالحرية الدينية ، وبعد دخولهما أورشليم نقض ليسياس العهد وأمر بهدم السور الذى يحيط بجبل صهيون ، ثم انصرف مسرعا لملاقاة فيلبس الذى كان قد استولى على سوريا بالفعل وحاربه حتى استرد المدينة مرة أخرى (٧٩) .

وفى عام ١٦٢ قبض ديمتريوس الأول سوتير على كل من ليسياس وأنطيوخوس الخامس وقتلهما (٨٠) وقتل يهوذا المكابى عام ١٦١ واحتل السوريون أورشليم وما حولها وتولى قيادة اليهود يوناثان أخو يهوذا المكابى عام ١٦٠ . وقد نجح يوناثان فى أن يكسب ثقة الملك أنطيوخوس السادس (١٤٨-١٤٢) فعينه رئيسا للكهنة ونائبا للملك فى اليهودية، فجدد يوناثان المدينة وأعاد بناء قلعتها (٨١) وارتفع بأسوارها وشيد حائطا بين القلعة والمدينة ليفصلها عن الحامية السورية (٨٢) ونجح يوناثان فى إعفاء بلاده من دفع الجزية للملك السلوقى ونجح أيضا فى أن يجعل سوريا مسرحا للشغب والفتن حتى لقب بيوناثان

ا. حتان وبعد ذلك أسره القائد السورى تريفون وقتله عام ١٤٣ . ثم دبر تريفون مقتل أنطيوخوس السادس فى عام ١٤٢ (٨٣) وخلفه أنطيوخوس السابع (١٤٢-١٢٩) .

وبعد يوناثان خلفه سمعان وهو آخر أبناء (متتيا) واستطاع الاستيلاء على قلعة أكرا السورية التى كانت تلقى الرعب فى قلوب سكان أورشليم ، وصك نقودا خاصة باسمه ، وعاشت أورشليم فى سلام وتحسنت أحوال البلاد بصفة عامة فى عهده (٨٤) وفى عام ١٣٤ قُتل سمعان بيد صهره المدعو بطوليمايس إلا أن يوحنا بن سمعان المدعو يوحنا هيركانوس استطاع الهرب وقاد المكابيين فى حكم أورشليم لمدة ٢٩ عاما (١٣٤ - ١٠٥) أخضع خلالها الأدوميين أعداء إسرائيل القدامى كما أخضع أهل السامرة بعد حصار سنة كاملة انتهت بتدميرها .

فى عام ١٣٤ نجح أنطيوخوس السابع سيديفيس فى حصار أورشليم مما أدى إلى حدوث مجاعات داخل المدينة بسبب نقص الطعام ، فاضطر يوحنا هيركانوس إلى التسليم وعقد الصلح الذى استعاد بمقتضاه السلوقيون سلطانهم على المدينة ، وبعد مقتل أنطيوخوس السابع فى عام ١٢٩ تولى الحكم بعده ديمتريوس الثانى للمرة الثانية (١٢٩-١٢٥) وخلال تلك الفترة نجح يوحنا هيركانوس فى التحالف مع روما إذ أرسل سفارة إلى البيت الرومانى ورحبت روما بذلك مستغلة الصراع الدائر فى البيت المكابى فى أواخر عهدهم بين ارستوبولس الثانى وهيركانوس الثانى ، إذ ثار الأخير بتحريض من انتيباس الأدومى ضد أخيه ارستوبولس الثانى ، وبفضل مساعدة أريتاس ملك النبطيين حاصر هيركانوس أخاه أرستوبولس فى الهيكل فتدخل الرومان لفض النزاع فتغلب بومبى على أرستوبولس (الذى ملك بين سنة ٦٩ و ٦٣ ق.م) وعزله وجعل أخاه هيركانوس الثانى فى وظيفة الكاهن الأعظم وأقامه أميرا تحت الحماية الرومانية . وخلف هركانوس أنتيجونوس بن ارستوبولس (٤٠ - ٣٧ ق.م) فكان أخر السلالة المكابية وانتقل الملك منهم إلى هيرودس الكبير بن انتيباتروس وقد بلغت أورشليم فى عهده قمة مجدها وعظمتها .

ومنذ تلك اللحظة أصبحت أورشليم خاضعة للإمبراطورية الرومانية (٨٥) إلى أن دمرها تيطس ابن الإمبراطور فسبسيانوس عام ٧٠م ، وفى عام ١٣٨م أقام الإمبراطور

هادريانوس مدينة جديدة على أطلال أورشليم سميت إيلياء الكبرى أو ايليا كابيتولينا Aelia Capitolina .

ومما سبق يتضح لنا :

١- أن الشعب اليهودى شعب متمرد بطبعه ، متقلب المزاج ، لكنه يعرف كيف يستفيد من كل الظروف المحيطة به لتحقيق أحلامه ، فيستكين حينما يرى يد الحاكم قوية مثلما حدث فى عهد أنطيوخوس الثالث ، ويميل منحازا للبطالمة أعداء السلوقيين مثلما فعل أونياس الثالث كاهنهم الأعظم ، ولم يتورع فى أن يشترى ذمم الحكام بالمال وبكافة الوسائل مثلما فعل ياسون ومنلاوس فى عهد انطيوخوس الرابع .

٢- السلوك اليهودى منذ القدم يبعث على الاشمئزاز والضجر وهذا ما دفع بطليموس الرابع فيلوباتور إلى الانتقام منهم فى مصر بعد عودته من أورشليم بعد معركة رفح ٢١٧ ق.م ، بإرغامهم على عبادة الإله الإغريقي ديونيسوس إله الخمر ، ونفس الشيء فعله الملك أنطيوخوس الرابع الذى عمل على محو الديانة اليهودية وطقوسها ، وأرغم اليهود على عبادة الإله الإغريقى زيوس وأكل لحم الخنزير المحرم عند اليهود انتقاما منهم .

٣- تعاظم الدور اليهودى فى حركة التاريخ فى فلسطين عموما وأورشليم خصوصا ، واتضح ذلك بصورة أوضح خلال حكم الأسرة المكابية ، كما يلاحظ سلبية الدور الفلسطينى خصوصا خلال العصر الهللينستي وربما يرجع ذلك لأن شوكتهم لم تكن قوية مثل اليهود .

ونخلص إلى التأكيد على أهمية الدور العربي فى مساندة الشعب الفلسطينى حتى يأخذ حقوقه كاملة من هؤلاء اليهود ، وذلك برسم استراتيجية عربية محددة لمواجهة الاستراتيجية الإسرائيلية التى وضعت قبل صدور وعد بلفور .

حواشى البحث

١- رسائل تل العمارنة هى مجموعة رسائل عثرت عليها زوجة أحد الفلاحين عام ١٨٨٧ واشترتها متاحف أوروبا ، ومعظم هذه الرسائل من أرشيف الملك أمنحتب الثالث Amonhotep وابنه - Akhen Atonوقد ورد بها إشارات عن أورشليم خصوصا فى الرسائل المتبادلة بين الملك أمنحتب الثالث وعبده خيبا حاكم أورشليم التابع لمصر.

راجع الرسائل رقم ٢٨٦ ، ٢٨٩ وترجمها W. F. Albright فى :

- Ancient Near Eastern Texts, Relating to Old Testament , Edited by James B. Pritchard , (3*rd.* ed., Princeton , New Jersey), 1969 PP. 487 n. 17; 489.

انظر أيضا ما جاء فى الرسائل الآرامية حول أورشليم عند :

A. E. Cowley , Aramaic Papyri of the *5th.* Century B. C. Nos. 10-11; 21-30 , Oxford, 1923.

٢- العهد القديم : سفر التكوين ١٤ : ١٨ ، والمزامير ٧٦ : ٢.

٣- سفر إرميا ٢٦ : ١٨ ، سفر استير ٢ : ٦ ، سفر أخبار الأيام الثانى ٢٥ : ١ ، ٣٢ : ٩.

٤- ورد اسم (يبوس) فى نصوص العهد القديم فى سفر يشوع ١٥ : ٦٣ ، سفر القضاة ١٩ : ١٠ ، أخبار الأيام الأول ١١ : ٤ ، ويبوس اسم أورشليم فى عهد اليبوسيين وكانت مساحتها صغيرة جدا بالنسبة لمساحة أورشليم فى زمن سليمان الملك وكانت قلعة لمعقل صهيون وحصن . راجع : سفر صموئيل الثانى ٥ : ٧ ، ١ أخبار ١١: ٥ .

واليبوسيون اسم قبيلة كنعانية سكنت منطقة يبوس أو أورشليم والجبال التى حولها فى أيام يشوع (سفر التثنية ٧ : ١ ، ٢٠ : ١٧) انظر أيضا : Joseph . Ant. Jud . V : 2 -3

٥- اريئيل : اختلفت الآراء حول معنى هذا الاسم فمن قائل إنها تعنى موقد مذبح الله أو جبل الله وقد سميت أورشليم بهذا الاسم فى أيام يشوع أيضا . انظر : سفر يشوع ٢٩ :١-٧ .

٦- سفر أشعياء ١ : ٢٦ .

٧- ٤٨ : ٢ ، سفر نحميا ١١ : ١.

٨- قاموس الكتاب المقدس : تحت كلمة أورشليم .

٩- يشوع اسمه الأصلى هو شع (سفر العدد ١٣ : ٨) وهو خليفة موسى النبى (سفر الخروج ١٧ : ٩ ، ٢٤ : ١٣) وكان يبلغ من العمر عندئذ ٤٤ سنة .

١٠- سفر يشوع : ١٠ : ١ - ٢٧ ، ١٥ : ٣٥

١١- حبرون : هى مدينة جبلية تابعة لمملكة يهوذا وسميت قديما قرية أربع وباليونانية تيترابولس (راجع يشوع ١٥ : ٤٨ ، ٥٤ وأيضا سفر التكوين ٢٣ : ٢) وهى الآن مدينة الخليل نسبة إلى إبراهيم خليل الله ، وتعد من أقدم المدن فى العالم وقد أقام فيها الإمبراطور جستنيان كنيسة عريقة .

أما يرموت ولخيش فهما من مدن السهل يهوذا أيضا وتعرف لخيش تبل الحصى . وتدل الحفريات الأثرية على أن لخيش خربت مرتين فى أوائل القرن السادس ق. م وربما يكون لذلك علاقة بحصار أورشليم (سفر الملوك الثانى ٢٤ : ١٠ وما بعده) أما عجلون فهى مدينة ساحلية إلى الشمال الشرقى من غزة ويرجح أن مكانها اليوم تل الحس قرب إربد فى الأردن .

١٢- سفر القضاة ١ : ٨

١٣- ١ : ٢١ ، ١٩ : ١١

١٤- راجع سفر صموئيل الثانى الإصحاح الخامس وما بعده (حيث كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك واستمر فى ملكه ٤٠ عاما ملك على يهوذا سبع سنين وستة اشهر وعلى أورشليم ٣٣ سنة . وتشير نصوص العهد القديم إلى أن داود رغم استيلائه على منطقة أورشليم خصوصا منطقة الحصن والذى جعله جزءا من عاصمة مملكته إلا أنه لم يتمكن من طرد اليبوسيين نهائيا (صموئيل الثانى ٥ : ٦) و ١ أخبار ١١ : ٤ - ٨) فبقى بعضهم فى المدينة بعد استيلائه عليها منهم أرومة اليبوس (صموئيل الثانى ٢٤ : ١٦ - ٢٥) وقد أخضع ابنه سليمان بقية اليبوسيين وسخرهم وفرض عليهم الجزية (سفر الملوك الأول ٩ : ٢٠ - ٢١) وبقى بعض اليبوسيين فى اليهودية إلى ما بعد الرجوع من السبى البابلى (عزرا ٩ : ١ -٢).

١٥- سفر صموئيل الثانى ١٥ : ١٨ ، ٢٠ : ٧

١٦- ٨ : ١٦ - ١٨ ، ٢٠ : ٢٣ - ٢٦ ، ٢٣

١٧- ٥ : ١٣ - ١٦ ، ١٤ : ٢٤ ، ٢٨ ، ملوك أول ١: ٥

١٨- سفر الملوك الأول ٧ : ١ - ٨

١٩- ٣ : ١ ، ٩ : ١٥ و ٢٤ ، ١١ : ٢٧

٢٠- ١٤ : ٣٠ ، ١٥ : ٦ - ١٦ ، ٢٢ : ٢٤

٢١- ١٤ : ٢٥ - ٢٦

٢٢- سفر أخبار الأيام الثانى ١٢ : ٤

٢٣- سفر الملوك الأول ١٤ - ٢٦

٢٤- ٢٢

٢٥- سفر أخبار الأيام الثانى ٢٣ :٥

٢٦- سفر الملوك الثانى ١١ : ١٦ ، ١٢ : ١ - ١٦ وأيضا سفر أخبار الأيام الثانى ٢٣ : ١٥ ، ٢٤ : ١ - ١٤

٢٧- سفر الملوك الثانى ١٢ : ١٧ - ١٨ ، سفر أخبار الأيام الثانى ٢٤ : ٢٣

٢٨- ١٢ : ٢٠ - ٢١ ، " " " " " ٢٤ : ٢٥

٢٩- ١٤ : ١ - ٢٠ ، " " " " " ٢٥ : ١ - ٢٨

٣٠- ١٤ : ٨ - ٩ ، سفر العدد ١٤

٣١- ١٥ : ١٣ و ٣٠ - ٣٤

٣٢- سفر أخبار الأيام الثانى ٢٦ : ٩

٣٣- ٢٦ : ١٥

٣٤- ٢٦ : ٨

٣٥- سفر زكريا ١٤ : ٥

٣٦- الملوك الثانى ١٥ : ٣٥ : ملك يوثام مع أبيه لاثنين (٧٥١ - ٧٤٣) ومنفردا ١٦ سنة (٧٤٣ - ٧٣٦)

٣٧- الملوك الثانى ١٦ ، أخبار الأيام الثانى ٢٨ : ٣

٣٨- سفر اشعياء ٣٩ : ١ - ٢ : أرسل مردوخ بلادان ملك بابل رسائل وهدية إلى الملك حزقيا لأنه سمع بمرضه

٣٩- الملوك ثانى ٢٠ : ٢٠

٤٠- ١٩ : ٩ - ٣٧

٤١- أخبار الأيام الثانى ٣٣ : ١٤

٤٢- ٣٣ : ١١ وأيضا : Joseph. Ant. Jud X, 3.2

٤٣- الملوك الثانى ٢٣ : ٢٩ - ٣٠

٤٤- ٢٢

٤٥- ٣٥ : ٢٥

٤٦- سفر إرميا ٢٢ : ١٠ - ١٢

٤٧- أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ٤

٤٨- سفر الملوك الأول ٢٣ : ٣٥ ، ٢٤ : ٧ = أخبار الأيام الثانى ٣٥ : ٢٠ =

سفر إرميا ٤٦ : ٢ وأيضا : Joseph . Ant . Jud X 6.3

٤٩- الملوك الثانى ٢٤ : ١٦

٥٠- ٢٤ : ٨ - ١٦ ، أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ٩ - ١٠

٥١- ٢٥ : ٢٧ - ٣٠

٥٢- ٢٤ : ١٨ ، أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ١١

٥٣- ٢٤ : ١٧ - ٢٠ ، ٢٥ : ١ - ٧ ، أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ١١ - ٢١ ، سفر إرميا ٣٩ : ١ - ٢٤

٥٤- سفر إرميا ٥٢ : ١١

٥٥- الملوك الثانى ٢٥ : ٨ - ١٢ ، أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ١٧ - ٢١

٥٦- سفر عزرا ١ : ١ - ١١

٥٧ - ٣ : ٣ - ٧

٥٨ - للمزيد من التفاصيل راجع سفر نحميا . العهد القديم

(59) Joseph , Contra Apion I, 209 - 212 , Ant. Jud. X11, 3 - 6

وحول طقس يوم السبت عند اليهود راجع : سفر الخروج ٢٠ : ٨ - ١١ ، سفر التثنية ٥ : ١٢ - ١٥

٦٠ - إبراهيم نصحى : مصر فى عهد البطالمة ، الجزء الأول ، الطبعة السادسة (١٩٨٤) ص١١٠

٦١ - من الطريف كما يروى تاريخ المكابيين - III Macc. 2 : 28 أن الملك بطليموس الرابع بعد عودته من أورشليم أراد الانتقام من يهود مصر فطلب منهم عبادة الإله الإغريقى ديونيسيوس إله الخمر فرفضوا فقبض عليهم وأرسلهم إلى حلبة السباق فى الإسكندرية لقتلهم بواسطة الفيلة الثملة لكن الفيلة بدلا من أن تفتك بهم فتكت بجنود بطليموس ، وبهذه المناسبة احتفل اليهود سنويا فى مدينة بطوليمايس (المنشاه بالقرب من سوهاج) لمدة ٤٠ يوما تبدأ من ٢٥ من شهر بشنس حتى ٤ من شهر أبيب (٢٠ مايو - ٢٨ يونيو) :

- Cf. Joseph. C. Apion , 53 - 5 , III Macc, edited by R. H. Charles , The Apocrypha and Pseudepigrapha of the old Testament 2 vols. Oxford 1913.

ونحن نرى أنه فى أغلب الظن أن قصة الاحتفال بخلاص اليهود من الفيلة قصة مختلقة وربما مزيج من الخيال والحقيقة .

٦٢- سفر الحكمة ٥ : ١ - ٤ : وسفر الحكمة أحد أسفار الأبوكريفا وهى كتب دينية وصفها اليهود بهدف نقد الأوضاع الظالمة التى يعيش فيها اليهود ، وكتبت بالعبرية والآرامية وهي لم ترد أصلا فى التوراة لذلك عرفت باسم Apocrypha تميزا لها عن أسفار التوراة المنزلة Kanonika

(63) I Macc. 1: 10 - 15 , II Macc. 4 : 7 - 17

(64) II Macc. 4 : 23 , III Macc. 4

(65) 4 : 31 - 34

(66) 4 : 39 , 5 : 10

(67) 5 : 11 - 17

(68) I Macc 1 : 31 - 35 , II Macc. 5 : 24

(69) 1 : 20 - 29 , II Macc. 5 : 18 - 22 = Joseph. ant . Jud X11, 5,3

(70) II Macc. 6,18

(71) 6 : 1 - 11 , I Macc. 41 : 64

(٧٢) سفر دانيال ١١ : ٣٢ - ٣٥

(73) I Macc. 3 : 32 - 36

(74) I Macc. 4 : 1 - 22

(75) 4 : 28 - 35

(76) 4 : 52 - 59 , II Macc. 10 : 1 - 11

(77) 6 : 1 - 17 , II Macc. 9 : 1 - 29

(78) 6 : 28 - 54

(79) 7 : 55 - 63

(80) 7 : 1 - 4 , II Macc. 14 : 1 - 2

وديمتريوس الأول هو الابن الثانى لسلوقس الرابع وابن أخ انطيوخوس الرابع .

(81) I Macc. 10 : 10 - 11

(82) 12 : 36 - 37

(83) 11 : 1 - 13

(84) 16 : 1 - 10

(85) Joseph . X 111, 10 - 7 , 14 - 2

الندوة الدولية " القدس: التاريخ والمستقبل " (٢٩-٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

اليبوسيون في القدس القديمة
(حتى نهاية عهد سليمان)

دكتور عادل سيد مصطفى
كلية الآداب - جامعة المنوفية

لا يزال البحث في شأن اليبوسيين سكان القدس القديمة يلقى الضوء على قضايا عديدة إلا من ظلال تكتنفها، فيما يتصل بأصل اليبوسيين ولغتهم ودورهم التاريخي لأجل صيانة مقدساتهم وحقوقهم الوطنية. ولقد ورد اسم اليبوسيين أهلاً للقدس (أورشليم) فى مواضع عديدة من العهد القديم[1] وهم يُنسبون إلى "اليبوسى بن كنعان"[2] وعلى ذلك فقد رد البعض اليبوسيين - دونما سند مصدرى - إلى أصول عربية كنعانية، وأنهم بطن من بطون العرب الأوائل، نشأوا فى جنوب شبه الجزيرة العربية ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية[3] . ومهما يكن من شئ فليس أمامنا سوى ما ورد عن الإخباريين ، إذ يشير الطبرى وذهب على رأيه ابن خلدون[4] إلى أن أهل الشام وأهل مصر من العماليق العرب الذين يقال لهم الكنعانيون وكانت منهم فراعنة مصر !!. كما يشير ابن كثير إلى زواج الخليل من "قنطورا بنت يقطن الكنعانية" (قطورة العهد القديم)[5] ولئن صح أن "يقطن" هذا هو يقطان العهد القديم[6] فإن ذلك يحملنا على اعتبار أن الكنعانيين ساميون لا حاميون مثلما أشار سفر التكوين، وذلك ما يؤيده قاموس الكتاب المقدس: "وذكر مؤرخو العرب قبيلة قطورا التى تسكن بالقرب من مكة"[7].

فإذا كان "اليبوسى" ولد "الكنعانى" وفقاً لقائمة الشعوب فى سفر التكوين، فما علة وضع الكنعانيين على رأس اليبوسيين والحيثيين وغيرهم من أبناء كنعان فى تسلسل نمطى على امتداد أسفار العهد القديم، فالمفترض أن الكنعانيين هم كل هذه الشعوب، إلا إذا كان

الكنعانيون يختلفون عنها وفقاً لهذه القائمة! وقد ذهب قاموس الكتاب المقدس أبعد من ذلك، عندما رد وجود اليبوسيين إلى تاريخ متأخر للغاية، إذ يرى أنهم يمثلون قبيلة كنعانية سكنت "يبوس" أو أورشليم والجبال التى حولها فى أيام "يشوع"[٨]، وهو تفسير إنما يناقضه ما ورد فى إشارة سفر التكوين إلى ميثاق الرب مع إبراهيم عليه السلام بأن يمنح نسله أرض اليبوسيين، أى أن اليبوسيين كانوا معاصرين لإبراهيم[٩].

وعلى ذلك فإن نسب اليبوسية إلى الكنعانية وفقاً للعهد القديم إنما يحيد بنا عن منطق المنهج العلمى، كما يخرج باليبوسية عن مصاف الساميين ولغاتهم عامة لاسيما العربية، وبمعنى آخر فإن الذين تدافعوا وراء كنعنة اليبوسية إنما فاتهم أنهم استندوا إلى التقسيمات العرقية الواردة فى سفر التكوين الذى يفضى ليس باليبوسية والكنعانية معاً إلى الحامية، بل يضاف إليها عرب شبه الجزيرة العربية، الموطن الأول للساميين، لذا فهى وجهة نظر لا يستقيم لها ساق.

ولقد تصدى "وايزمان" بالنقد - فى تصديره لكتاب "شعوب عصور العهد القديم" لقوائم الشعوب - المشار إليها سابقاً - مفنداً ما سلكته القوائم القديمة فى تصنيف الشعوب دونما سند يعول عليه، ولأسباب عديدة منها أن قائمة التكوين دونت منذ القرن السابع قبل الميلاد، واعتمدت على التحالفات السياسية وعلاقات المصاهرة بين الشعوب، كما استندت فى توزيعها للأمم والشعوب على أساس جغرافى بمعرفتها للأقطار مما جعلها جغرافياً سلالية أحرى منها عرقية، مؤكداً بذلك على مفهوم الأمة ودلالته المركبة من صلة الدم والديانة واللغة والثقافة والإطار السياسى الذى تعيش فى كنفه، فقد انتهت الأبحاث الحديثة إلى أن عدداً من الأمم التى ضمتها قائمة التكوين إنما كانت سامية حامية من الوجهة اللغوية[١٠].

لا يظن الدارس أن المدخل إلى دراسة اليبوسيين قد يستند - فى ظل غياب النصوص القديمة - على أساس عرقى أو جنسى، بل على الأحرى من الوجهة الآثارية والنصية واللغوية والتاريخية التى قد يتبين منها إلى أى شعوب الشرق الأدنى القديم يمكن تأصيلهم.

أولاً: اليبوسيون من الوجهة الآثارية والنصية

كشفت أحافير مدرسة الآثار البريطانية منذ عام ١٩٦١ بالتعاون مع المتحف الملكي بأونتاريو عن أن مدينة القدس القديمة إنما شهدت منذ الألف الرابعة قبل الميلاد استقراراً بشرياً وعمرانياً، غير أن القطع الآثارية المهشمة لم تنهض على إعطاء صورة واضحة لطبيعة هذا الاستقرار المبكر(١١) وإن شهدت المدينة منذ عصر البرنز الأول مرحلة العمران المبكر (أى منذ بداية الألف الثالثة قبل الميلاد) إذ عُثر على فخار فى مواضع متفرقة من المنحدر الجنوبى لتل أوفيل، كما كُشف عن تجهيزات بالقرب من رأس العين لإمداد المدينة بالمياه من نهر عقرون(١٢).

وعندما تصدت "كينيون" لدراسة المدن الفلسطينية (رأس العين ومجدو وجيركو وتل الفرعة وتل الدوير) فى عصر البرنز الوسيط (حوالى ١٩٥٠ - ١٨٥٠ ق.م) خلصت إلى أن تصميمات المقابر الملاصقة للمنازل، وأسلوب الدفن، وما شملته هذه المقابر من أسلحة برنزية كالنصال والخناجر، فضلاً عن طرز الآنية وإخراجها والمصابيح والمدن التى أعيد بناؤها مرات فى العصر ذاته، إنما تشير على إجمالها إلى أن أقواماً جدداً وفدوا إلى فلسطين من الشرق، إذ خلت طرز الآنية من العناصر الفنية السورية، فاستقروا فى بعض المدن القديمة. كما استنتجت من تكرار بناء المدن على الرغم من حداثتها، فضلاً عن الأسلحة الحديثة كالنصال البرنزية والمركبات والمجانيق وأساليب الاستحكامات الحديثة للمدن المسورة أن هذه المدن قد مرت بفترة من الاضطرابات والفوضى، وأن هؤلاء السكان الجدد كان لهم تاريخ عسكرى أهلهم لأن يصبحوا قوماً محاربين، وتقترح أنهم من البدو الساميين الذين وفدوا من صحراء شبه الجزيرة العربية، وأنهم من أصول مخلطة وكانت فيهم عناصر من الخابيرو أو العابيرو الذين دخلوا فلسطين من جهة الشمال عن طريق سوريا وأن معظمهم تسموا بأسماء سامية وهم الذين انحدر منهم بنو إسرائيل(١٣).

وعلى الرغم من الاتفاق حول كل ما انتهت إليه "كينيون" إلا أن هناك بعض التحفظات فيما يتصل بتأصيل شراذم الخابيرو أو العابيرو فى هذه الموجة السامية لأسباب أهمها : أولاً: أن كينيون نفسها رأت أن هذه العناصر السامية إنما وفدت إلى فلسطين من

الشرق لا الشمال وأعطتنا لذلك عللاً كثيرة تقنعنا! ثم عدلت عن رأيها عندما أدركت أن الخابيرو أو العابيرو دخلوا فلسطين من جهة الشمال! ، مستندة إلى رسائل تل العمارنة وهى وثائق متأخرة بأربعة قرون على الأقل عن بداية العصر الذى نحن بصدده. وثانياً: أن قبائل الخابيرو أو العابيرو لم تتسلل إلى جنوبى سوريا وشمال فلسطين إلا منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد[١٤] وهو تاريخ يتفق حقاً مع ما وصلنا من إشارات فى لوحات تل العمارنة ونقوش متفرقة من عصر الأسرة الثامنة عشرة.

وينتقد "ليب" ما ذهبت إليه "كينيون" مقترحاً رأياً آخر رد به أصل هؤلاء الأقوام إلى جزر البحر المتوسط[١٥] غير أن رأيه لا يصمد طويلاً إزاء نمط التحصينات وشعائر الدفن فى مجتمعات الشرق الأدنى القديم، ولم تظهر فضلاً عن ذلك تأثيرات مماثلة على المدن الساحلية التى يفترض أن الوافدين الجدد قد اقتحموها.

ولئن كان الدليل الآثارى لا ينهض جملة على القطع بصحة هذه الموجة السامية فإن من النصوص المصرية والسورية والآشورية ما يلقى الضوء ويميط اللثام عنها، فيشير "سنوهة" المغترب فى بلاد رتنو (أو سوريا وفلسطين) حوالى ١٩٦٠ ق.م[١٦] إلى مباغتة هذه العناصر لتخوم سوريا وفلسطين الشرقية: "وعندما أضحى الآسيويون من الجرأة إلى حد مباغتة حكام الأقطار الأجنبية[١٧]. تفرست تحركاتهم. جعلنى حاكم رتنو هذا سنوات عديدة قائداً لجيشه، كل بلد أجنبى نازلته. عندما اجتحته شتته من مراعيه وآباره. سلبت ماشيته وأسرت أهله"[١٨].

وتشير الآثار والمصادر المصرية مجتمعة إلى أن مصر استقبلت منذ عهد سنوسرت الثالث جموعاً غفيرة من العمالة الآسيوية[١٩] يظن أنها كانت من بين العناصر السامية التى ضغطت بشدة على تخوم أقطار الشرق الأدنى القديم، فمن عصر سنوسرت الثالث أيضاً تشير لوحة "سبك خو" (حوالى ١٨٥٠ ق.م) إلى تحركات العناصر الرعوية "منتيو – ستت" التى يمكن ترجمتها مجازاً (المستعمرين الآسيويين) فضلاً عن "العامو" ، ويباهى "سبك خو" أنه سار فى ركب الملك الذى أخضع مدينة "سكمم" فى رتنو[٢٠] ربما تطابق "شكم أو شكيم"[٢١] (نابلس الحالية ٣١ ميلاً شمالى القدس).

ويعتقد أن موجة الاضطراب والقتال بين الغزاة الجدد والمدن الفلسطينية – كما تبين آنفاً من استنتاجات كينيون – قد استغرقت حوالى قرن (فيما بين ١٩٦٠ ق.م وهو تاريخ نص سنوهة و ١٨٥٠ ق.م تاريخ حملة سنوسرت الثالث) ربما كانت كافية لاستقرار العناصر السامية فى ظهير النطاق الصحراوى (أى التخوم الشرقية لسوريا وفلسطين) ثم تابعت زحفها إلى أن عبرت نهر الأردن واستقرت فى القسم الشرقى من فلسطين وسوريا. وقد أطلقت المصادر على القبائل التى سكنت هذا النطاق الشمالى فى سوريا اسم (سوتو) والذى يمتد منه جنوباً فى فلسطين (شوتو). إذ تجلى هذا الاسم منذ حوالى عهد سنوسرت الثالث أو منذ بداية القرن ١٩ ق.م فى "نصوص لعن الأمراء الآسيويين"[٢٢] بما يشير إلى أن حاكم هذه القبائل (شوتو) قد عقد تحالفات مع مدن فلسطين وسوريا ولبنان: "حاكم شوتو وأيابوم وكل من فى تبعيته، حاكم شوتو وكوشار وكل تابعيه الذين معه، حاكم شوتو وزابولالو وكل تابعيه الذين معه ..." "كل الآسيويين من بيبلوس وأولازا ويعنك وشوتو ..."[٢٣].

وقد أشار نص تمثال "ادريمى" ملك الألاخ (١٤٧٥ – ١٤٦٠ ق.م) إلى النطاق الشمالى للسوتو، إذ عبر بمركبته النطاق الصحراوى، ثم عرج إلى إقليم السوتو – المحاربين، وارتحل فى اليوم التالى إلى أرض كنعان، وعندما رجع إلى وطنه (الألاخ) يقول: "جعلت السوتو داخل بلدى يقيمون فى مساكن آمنة، وأولئك الذين لم يرغبوا الإقامة فى مساكن فعلت كذلك"[٢٤]. ويتجلى من ذلك أن السوتو أو السوتيين إنما كانوا قوماً محاربين، سكنوا الإقليم الممتد فيما بين النطاق الصحراوى (أو بادية الشام) شرقاً وأرض كنعان غرباً. ويغلب عليهم حياة البداوة التى استحبها البعض، بينما آثر البعض الاستقرار فى مواطن الحضر المتاخمة لأرض كنعان. وما من سبيل إلى معرفة السوتيين ووصفهم أهلاً للحرب أو الوغى على الرغم مما تشير إليه كلمة "سوتيو (م)" فى نصوص حمورابى (١٧٩٢–١٧٥٠ ق.م) من معنى "الجيش أو قوات حربية"[٢٥] ولا يستبعد صلتها بالعربية "سوط" بما تحمل من معانٍ تتصل بالضرب والهلاك[٢٦].

ولدينا نصان يشيران إلى أن السوتيين قد احترفوا التجارة، أحدهما: من رسالة رقم ٢٩٧ من رسائل العمارنة: "لقد أصبحت كمرجل البرنز الفارغ (لأن) الدين فى أيدى السوتو"[٢٧]. والنص الثانى: من نصوص المعاهدة بين "تقمبا" (ملك الألاخ) و"إيريم" (ملك

تونيب) منذ عهد "أوسرحدون" (٦٨٠-٦٦٩ ق.م): [أى شخص] سواء من التجار أو السوتيين ... [ابتغى بيع] وليكن شعيراً أو قمحاً أو زيتاً [...] ... [يجب ألا] يبيعها [دون تصريح][٢٨]. وقد رأى "أولبرايت" فى السوتيين، البدو ذوى الأصول السامية وذلك ما يؤيده نص الملك البديل مشيراً إلى أن السوتيين إنما هم العرب[٢٩].

ويستخلص من كل ما تقدم من نصوص أن هذه الموجة السامية الوافدة على فلسطين وسوريا منذ عصر البرنز الوسيط، إنما كان قوامها العرب الذين وصفوا بأنهم أهل وغى، وقد آثر بعضهم حياة البداوة والترحال فاشتغلوا بالتجارة وجاسوا الديار والممالك، بينما استقر أغلبهم فى مدن فلسطين خاصة. وعسى أن يؤيد هذا الاستقرار ما تجلى من كشف آثارى عن بقايا أسوار القدس القديمة التى أقامها اليبوسيون، وعلى الرغم من التأريخ لها بحوالى عام ١٨٠٠ ق.م[٣٠] إلا أنه لا يجزم ببداية استقرار اليبوسيين فى فلسطين لاسيما القدس القديمة.

ولئن كان نصيب القدس القديمة من النصوص المصرية جد ضئيل إلا أنها لا تخلو من تأييد لاستقرار اليبوسيين فى القدس. ويأتى أحد نصوص لعن الأمراء الآسيويين – وقد أشير إليه سابقاً – فى طليعة تلك النصوص. إذ يتوعد النص كل من يثور أو يتحدث بشأن قتال أو يشرع فى حرب، ثم يقدم إلينا بياناً بأسماء هذه المدن وحكامها.

(ا) "حاكم أورشليم (أو شاميم) ياقار (يقفر) عامو وكل تابعيه الذين معه، حاكم أورشليم "سيتى – عانو" وكل تابعيه الذين معه ...".

(ب) "كل حكام يسيبى وكل تابعيهم الذين معهم".

(جـ) "كل آسيوى ... أورشليم. عخموت. ياهلو. يسيبى"[٣١].

إن كلمة "يسيبى" فى (ب، جـ) تستوجب قراءتها "يبيسى" (إذ جرى قلب وإبدال فيها بين الباء المثلثة والسين)، ولما كانت الواو والياء تتعاقبان فى اللغة المصرية، لاسيما فى عصر الدولة الوسطى[٣٢] – أى العصر الذى ينسب إليه هذا النص – فإن تعديل قراءة "يبيسى" إلى "يبوسى" لا تعترضها صعوبة من الوجهة اللغوية. أما فيما يتصل بفحوى النص وسياقه، فقد تساءل "ولسون"[٣٣] فى شأن النص (جـ): إن اسم "يسيبى" غير

معروف، ولكن لماذا وردت حكام في صيغة الجمع؟ ولكنه لم يطرح السؤال ذاته فيما يتصل بحاكمي أورشليم "ياقار عامو" و "سيتي علنو"!. ولئن كان ذلك يمثل جانباً من الرد على تساؤل "ولسون" إلا أن وجود حاكمين في القدس القديمة ، عسى أن يكون أحدهما ممثلاً للسلطة الدينية والآخر للسلطة السياسية والإدارية. وإذا كان "ملكي صادق" ملكاً على شاليم (أورشليم) وكاهناً لله العلي[٣٤] زمن إبراهيم عليه السلام، إلا أن القدس لم تحد عما مرت به سائر مجتمعات الشرق الأدنى القديم، من حيث تمركز السلطتين في شخص الحاكم، ثم انفصالها في عهود لاحقة. ولا تفسير لعبارة "كل حكام يبوسي وكل تابعيهم الذين معهم" (نص ب) إلا أن اليبوسيين اتخذوا من أورشليم (أويبوس فيما بعد) عاصمة لإدارة مملكة يبوسية ذات كيان سياسي وديني كما يتبين فيما بعد. وربما ظلت كذلك إلى أن دخلها بنو إسرائيل، إذ نسمع أصداءها في سفر يشوع ، فعندما صالح سكان "جبعون" إسرائيل أرسل "أدوني صادق" ملك أورشليم إلى ملوك حبرون ويرموت ولخيش وعجلون[٣٥] يقول: "اصعدوا إلي وأعينوني فنضرب جبعون لأنها صالحت يشوع وبني إسرائيل" [٣٦]. وقد تعرضت مدينة يبيش جلعاد للتأديب من ملك عمون "ناحاش" (نحش العربية القديمة لاسم حنش أو حية) جزاءً لموالاتهم بني إسرائيل[٣٧]. ولا تنهض البيانات الجغرافية المتاحة على التحقيق من أسماء المدن المدرجة في قائمة نصوص اللعن سوى "رحوب" و "يرموت" و "عرقاتا" و "إسنو". وربما كانت هذه المدينة الأخيرة هي "أشنه" التي وردت مقترنة بمدينة "يرموت" في نصوص العهد القديم أيضاً[٣٨].

وهكذا فإننا بصدد عاصمة مملكة لا مدينة قائمة بذاتها (القدس) وقد تزعمت إدارة هذه المملكة وفق النظام السياسي الذي أصطلح على تسميته (اتحاد المدن) أو (المدينة - الدويلة)[٣٩]. وتبرز طائفة من الأسماء القديمة في خريطة فلسطين وسوريا، مثل مدينة يبوسي وجبل يبوسي (في سوريا) وخربة البيس في جبال القدس[٤٠] و "وادي يبيش (أويبيس)" وربما هي يبيش جلعاد شرقي الأردن[٤١] وقرية ساليم (شرقي نابلس)[٤٢] وتقع كلها في إطار امتداد جغرافي وديني وسياسي، وقد أصبحت أثراً بعد عين فتركت ذكرى عالقة لمملكة عربية موحدة! عساها أن تتجلى من دراسة اليبوسيين لغوياً.

وتحفل مقبرة "خنم حتب الثالث" بمنظر مشهور (مؤرخ بالعام السادس للملك سنوسرت الثاني ١٨٨٩ ق.م) لا يزال بما تضمنه من بيان جغرافي وسلالي يلقي بظلاله

على شروح وتخريجات عديدة. والمنظر يصور قافلة عدتها سبعة وثلاثون فرداً، الرجال فيهم ذوو لحى كثيفة وشعر رؤوسهم طويل وإن لم يخط فى رقابهم ويقبضون بأيديهم على سهام، ويرتدون من الثياب المترز المرقط، ويسيرون وفى صحبتهم نساء ويتقدم الموكب رئيسهم فى جو مفعم بأغانٍ يصاحبها العزف على الطنبور. وقد صور رئيسهم بشعر طويل يغطى كاهله، ربما تمييزاً لما له من زعامة وقيادة ، وقد نقش من وراء ظهره لقب (حقاخاست) ومن خلف ساقه اليمنى "[43] ويشير النص: "العام السادس من عهد جلالة حور قائد الأرضين ملك مصر العليا والسفلى خع خبر رع. قائمة العامو (الذين) أحضرهم ابن الأمير خنم حتب لأجل الكحل (مسدمة). عامو البلد الأجنبى شو"[44]. وهكذا فإن هذه القافلة كانت تتجر فى الكحل، وهو منتج عربى أشارت إليه النصوص الآشورية مراراً[45] والمقصود بالعامو هنا هم سكان فلسطين، لاسيما جنوبها[46] أما قراءة "عامون (أو: تا)[47] شوت" وفقاً لقراءة "ولسون"[48] فقد تطابق "شوتو" الواردة فى نصوص اللعن – المشار إليها سابقاً. أو ربما نقرأ "عامون شو خاست" (بمعنى عامو البلد الأجنبى شو). ولو صحت قراءتها هكذا فقد تكون "شو" هى (شُوَى الواردة فى العهد القديم) المتاخمة للقدس من الشمال[49] أو ينبوع (عن) (أو الواردة فى قائمة تحتمس الثالث بالكرنك[50]. وعلى الرغم من احتمال مطابقة اسم رئيس هذه القافلة ، مع ذلك الوارد فى العهد القديم: "ابيشاى"[51] إلا أن قاموس الكتاب المقدس لا يقدم اشتقاقاً لغوياً يُستند إليه، فرده إلى "ابى يسى"[52]، وعليه فقد يقرأ الاسم المصرى "يبسى"[53] (أى اليبوسى) فرئيس القافلة يمثل – وفقاً لهذا التفسير – حاكم بلدة شوى اليبوسى !!.

ثانياً: اليبوسيون لغوياً وتاريخياً

ما من سبيل إلى دراسة اليبوسيين من الوجهة اللغوية على ضوء نصوص العهد القديم لما سبق بيانه فى صدر هذا البحث، بل يضاف إلى ذلك أنها أوردت اسم "اليبوسى" (ولد كنعان) على أنه اسم شخص لا يحتمل التأويل، فكان علة من عُنوا بدراسة القدس فى

نسب "يبوس" الواردة في سفر القضاة[٥٥] إلى اليبوسيين لا على النقيض، بل زادوا على ذلك بأن أعطوا من الأسماء المصرية لمدينة "يبوس"، مثل (يابيثى ، يابيتى ، يابتى ، يابيش) دونما سند أو مرجع فأفقدوها قيمتها العلمية[٥٦].

وما دام البحث قد أضحى في صدد عروبة يبوس واليبوسيين فحَرِىٌ به تمحيص وجلاء عروبتها بما اكتنفته من أسماء ودياناتها وأقسامها وأعلام أبنائها. أما فيما يتصل باسم "اليبوسى" فالألف واللام فيه زائدة للتعريف والتخصيص، والياء الأخيرة للنسب، أى أن اسم صاحبه إنما ينسب إلى "يبوس" (اسم المدينة). وعليه فقد أصبحنا نجهل الاسم الحقيقى لليبوسى! ولقد كان "ملكى صادق" (أى المقدس العظيم أو إلهى الحق) أول حاكم للمدينة أشار إليه سفر التكوين[٥٧] وكان معاصراً لإبراهيم عليه السلام حوالى ١٩٠٠ ق.م[٥٨] ولما كان سور اليبوسيين - كما يتجلى فيما بعد - هو أقدم أثر ينسب إليهم في المدينة ويؤرخ له بحوالى ١٨٥٠-١٨٠٠ ق.م فإنه يتعين علينا التأريخ به لظهور "يبوس" اسماً للمدينة. ربما عقب وفاة "ملكى صادق"، إذ كانت الإشارة إليها في عهده باسم "شاليم" ثم استُخدم لقب اليبوسى علماً عليها.

وقد ساق إلينا "ياقوت الحموى" - طيب الله ثراه - ما عساه أن يكون لنا هدياً في التفسير. "يبُوسُ": يفعل من باس يبوس إن شئت من القُبْلة وإن شئت من الشدة (أى البأس). وهو اسم جبل بالشام بوادى التيم من دمشق"[٥٩] و "اسم قرية فى سوريا تعرف باسم (يبوس) من أعمال الزيدانى[٦٠]. ولئن شئنا "القُبْلة" كما ذهب ياقوت الحموى، فهى لغة فى "القُبْل والقُبُل" (ضد الدُبر والدُبر) ومنها القِبْلة التى يصلى نحوَهَا[٦١] أى أن "يبوس" يمكن أن تكون مبالغة لفعل رجل يبوس أى كثير التقبيل، لغة من يقتبل بالقبلة كثير السجود. ولقد كان عبدة الأوثان في المجتمعات الشرقية القديمة يقبلون الأوثان ويتخذون منها قبلة، وكانت الصابئة ترفع يدها إلى السماء نحو النجوم ثم تستقبل يدها لتقبلها بدلاً عن النجوم*.

إن ما يتوفر بين أيدينا من مادة عن "ملكى صادق" يجعله كفواً لهذا الرجل اليبوسى، "إذ كان كاهناً لله العلى مالك السموات والأرض" وبارك إبراهيم عليه السلام انتصاره

---

* قاموس الكتاب المقدس: ص ٧١٥.

على أعدائـه، وكـان "ملكـى صـادق" من قبل إبراهيم على سُنة اللـه القديمـة أو الأنبيـاء السابقين بيـن شـعب وثنـى[٦٢]، وبمعنـى آخـر فـإن إلـه "ملكـى صـادق" (اللـه العلـى مـالك السموات والأرض) هو نفسه إله إبراهيم القائل (رفعت يدى إلى الـرب الإلـه العلـى مـالك السموات والأرض)[٦٣]، بل إن مكانة "ملكـى صـادق" صـارت رتبـة للأتقيـاء والصـالحين التى قد ترقى إلى منزلة الرسل والصديقين فى العصور اللاحقة[٦٤].

ويستخلص مما تقدم أن "يبوس" إن قصـد بهـا مكانـاً فهـى "مَقْدِس" و "قُدْس" و "قبلـة" (أليست هى أولى القبلتين) وإن قصد بها شخص فهو العابد المؤمن كثير السجود "اليبوسى" (ملكى الصادق). ولو قصد بها أهل المدينة أى اليبوسيين فهم أهل القدس والقِبْلَة. وعلـى الرغم مما يكتنف هذا التفسير من مضامين عربية وإسلامية إلا أن التساؤل الذى قد يثـار: أى قبلة أو قـدس؟ جبـل يبـوس بـوادى التيم بدمشق، أو مدينـة يبـوس السـورية، أم قـدس فلسطين؟ وهو تساؤل وإن كان له ما يماثلـه فـى العصـور الوسـطى[٦٥] إلا أنـه لا يحتمـل التنافر أو التناقض لأسباب منها أولاً: أن "بيت - إيل" (أو بيـت اللـه) إنمـا ورد ذكـره فـى مواضع مختلفة من سفر التكوين[٦٦] ليدل على مواقع متفرقة، فتتعدد المساجد ودور العبادة والقبلة منها واحدة[٦٧] . وثانياً: أن اليبوسيين إنما كانوا من الوجهـة السياسـية والتاريخيـة - كما يتبين فيما سبق - يفرضون سيادتهم على بقاع عديـدة كـانت "يبـوس" قبلتهـا الدينيـة والإدارية. ثالثاً: أن "يبوس فلسطين" وفقاً لسفر نحميا هى "أورشليم مدينة القدس"[٦٨] ولئـن صح هذا التفسير اللغوى فإنما يعنى أن اليبوسيين قـد كـانوا أهـلاً للقـدس، بدلالتهـا الدينيـة المعروفة لنا قبل نزوح بنى إسرائيل عن مصر بستة قرون، وتسمت بهذا الاسم قبـل عهـد نحميا بأربعة عشر قرناً . فالقدس هى القدس عبر العصور.

أما أن "يبوس" من "بأس" بمعنى الشدة والقوة، كما أشار يـاقوت الحمـوى، فقد تكـون لغة فيها وتورية لتدل على صفة الحصانة والمنعة لمدينـة القـدس، مثلمـا اتفق طبوغرافياً وعسكرياً[٦٩] وقـد تصـف الكلمـة أهلهـا (اليبوسـيون) لتعنـى الأقويـاء والشـجعان فـى الحرب[٧٠].

وعلى الرغـم من دلالـة "يبـوس" من الوجهـة اللغويـة ومـا اكتنفت من معَانٍ دينيـة وعربية، إلا أنها لا تشير إلى أية دلالات عرقية عربية. والبحث لا يطرح مسألة العرقيـة

العربية إيثاراً لفرع ما دون الآخر، أو لبطن دون بطون العرب، بل على الأحرى تمحيص عروبة يبوس (القدس) من سكانها. فلئن كانت أسماء الأعلام سبيلاً لمعرفة أصول الأمم، إلا إننا بصدد لغتين ساميتين (العربية والعبرية) قد تختلط فيهما الجذور وتلتبس علينا المعانى فى مفردات الأسماء، ومع ذلك فقد أورد العهد القديم من الأسماء العربية الكثير ولا تخطئها عين اللغوى وقف منها قاموس الكتاب المقدس صامتاً، على الرغم مما درج عليه من رد المفردات إلى أصولها اللغوية، وما أكثر ما رد إلى العبرية، ومن الأسماء العربية على سبيل المثال : (قيس) و (بنو هاشم) و (خالد) و (ابن ذى بأس) و (زبيدة)(٧١). وقد شغل هؤلاء مراكز يشار إليها بالبنان، وكان بعضهم آباء لملوك وقادة لفرق الجيش. ومع ذلك فقد اتبعوا تحريم الاختلاط الجنسى بأجنبيات ، الذى نقرأه فى أكثر من موضع فى العهد القديم(٧٢).

ولنا مثل فى ذلك الوادى (وادى هنوم) الذى يطوق الركن الجنوبى الغربى لمدينة القدس القديمة (خريطة ١) والذى يفضى إلى تلك البقعة النجس "توفة"(٧٣) وكانت مقراً لتقديس الإله العمونى والموابى "مولك" (أو ملكوم أو بعل) الذى كانت تقرب بين يديه القرابين البشرية المذبوحة لاسيما من الأطفال، أو قد تحرق بإلقائها فى أتون أعدت خصيصاً(٧٤) غير أن بنى إسرائيل حادوا عن الطريق القويم(٧٥) وسلكوا بما فيهم بعض ملوكهم جانباً من شعائر هذا الرجس(٧٦). ومهما يكن من شئ فإن قاموس الكتاب المقدس لا يقدم إلينا تعريفاً لكلمة هنوم أو "هنّم"(٧٧) ويرى بعض المختصين باللغات السامية أن كلمة الوادى فى بعض اللغات السامية القديمة عرفت باسم "جى" فكان يقال "جهِنّم" أى (وادى هنّم أو وادى بنى هننم)، وهنم اسم قبيلة كان يسمى بها الوادى قبل الوجود العبرى(٧٨).

وكلمة "هنم" إنما تعنى فى العربية "الهينمة" أو "الصوت الخفى"(٧٩) بما يشير إلى أنها من الوسوسة وهى من أعمال الشيطان، ومن سلك واديه صار له تبعاً، فبنو هنم بذلك هم بنو الشيطان الذى يفضى بهم إلى أتونه (توفة) التى رأى قاموس الكتاب المقدس فيها تحليلاً غير دقيق (فربما تعنى البصاق أو مكان البغضة أو تكون مأخوذة من الآرامية ومعناها "مكان الحريق"(٨٠) ولاشك أن توفة إنما هى منقولة عن اليونانية من تيفون Typhon اليونانى رب مظاهر الاضطراب فى الطبيعة ومسببات الموت والهلاك، وقد

أصلّها على فهمى خشيم إلى العربية فى مادة "طوف" ومنها طوفان التى تقدم اشتقاقات تدور حول معنى الموت والدمار مستشهداً بالآية الكريمة " **إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا** " (سورة الأعراف ٢٠١) والطائف من طَيّف والطيف هو الشيطان والشبح والخيال[٨١] ويتجلى من ذلك أن توفة إنما هى مسكن الشيطان ومأواه من واديه، ولما كان الإله الشيطانى إلهاً مؤابياً، فقد وصف بنو إسرائيل المؤابيين بأنهم بنو الوغى والهلاك الواردة فى الترجمة الإنجليزية: Sons of Sheth[٨٢] ربما لأن شيث من بنى آدم يرمز إلى الشيطان ويجسده، أو لأن المؤابيين دوخوا بنى إسرائيل وأمعنوا فى قتالهم وعلى ذلك فوادى "هنم وتوفة" (مأوى الشيطان فيه) هما اسمان عربيان أطلقهما عرب القدس القديمة على عبدة الشيطان الذين كذبوا بآيات أنبيائهم ودعواهم إلى الاستقامة غير أنهم آثروا الضلال والاعوجاج.

ولأن العهد القديم كتب من وجهة نظر خاصة، تتصل بأخبار بنى إسرائيل وتاريخهم، فبديهى ألا نجد امتداد أسفاره إلا النزر اليسير فيما يتصل بالعرب إلا فى مواضع هامشية رغم حتميتها، لأن العرب إنما كانوا طرفاً فيها، بل يراه الباحث وقد مسخ الوجود العربى فى فلسطين عامة والقدس خاصة، بنفيه للعرب إلى البرية. وعندما تجرى الأحداث على أرض فلسطين ويكون العرب طرفاً فيها ويصفهم العهد القديم بأنهم قوم رحل بدو وأهل تجارة لا مقر لهم ولا وطن[٨٣] وإن تفضّل على العرب بلقب ملك أو ملوك فهم هناك فى البرية[٨٤] بينما ينزع عنهم لقب ملك إن كانوا فى القدس ويطلبون حقوقهم المشروعة فى القدس كما يتبين فيما بعد. إن علة ذلك كله إنما تتجلى فى "سفر نحميا"، عندما شرع نحميا فى بناء سور القدس، سمع سنبلط الحورونى وطوبيا العمونى وجُشم العربى، فذهبوا إليه: "هزءوا بنا واحتقرونا وقالوا ما هذا الأمر الذى أنتم عاملون أعلَى الملك تتمردون فأجبتهم وقلت لهم إن إله السماء يعطينا النجاح ونحن عبيده نقوم ونبنى وأما أنتم فليس لكم نصيب ولا حق ولا ذكر فى أورشليم"[٨٥].

وكنا نود أن يخبرنا "نحميا" حقاً بما تفوه جشم به فكان علة إنكار نحميا على العرب وحلفائهم حقوقهم فى القدس![٨٦] وبماذا أجابه "جشم"؟ ولأن ما عساه فى ذلك أن يكون شاهداً تاريخياً فلابد وأن كاتب النص قد حذفه!!. وجشم العربى هذا الذى تحدث عنه نحميا النبى إنما كان ملكاً على العرب القداريين الذين ينتهى نسبهم إلى قيدار بن إسماعيل

عليه السلام[٨٧] إذ عثر فى تل المسخوطة على كسرات لإناء دُون عليه بالآرامية نص وقف للإلهة "هان – اللات"، وذكر اسم صاحب النذر "قينو بن جشم ملك قيدار"[٨٨].

فهل يعنى ذلك أن العرب القيدارية كانت تشكل عصباً رئيسياً فى تلك الهجرات العربية الوافدة إلى فلسطين وعرفوا باسم اليبوسيين!. إن المنطق التاريخى يحملنا على قبول هذا الافتراض لأسباب أهمها: أولاً: أن العرب الإسماعيليين أشار إليهم العهد القديم وقد جاسوا فى أراضى فلسطين من شمالها إلى جنوبها منذ كان يوسف عليه السلام صبياً[٨٩]. ثانياً: أن ظهور اسم القيداريين أمة ذات مجد عظيم يتزامن مع توارى ذكر اليبوسيين. ثالثاً: أن قراءة سفر نشيد الأنشاد المنسوب إلى سليمان إنما يلقى مزيداً من الضوء على التواجد العربى فى القدس القديمة، فحبيبة سليمان هى "شولميت" (شاليم أو أورشليم)[٩٠] التى راحت تصف نفسها: "أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم كخيام قيدار كشقق سليمان. لا تنظرون إلى لكونى سوداء لأن الشمس قد لوحتنى"[٩١].

هكذا تتحدث شولميت أو أورشليم إلى بناتها، وهى تصف نفسها بالسواد، الذى اكتسبته من فراء الجداء السوداء (خيام قيدار السوداء) وشقق سليمان التى غيرتها الشمس وصفعت وجهها بما يشير إلى أن أورشليم كانت مقسمة إلى قسمين وفى اجتماعهما واتصالهما ما يكسب المدينة لون السواد، سواد الفتاة التى تجسد مدينة القدس، على الرغم مما ذهب إليه البعض بأنها فتاة قيدارية[٩٢]. ويستنتج من ذلك أن العرب القيدارية إنما كانوا يمثلون قسماً عظيماً من القدس القديمة زمن سليمان. ثم تبدى الفتاة (أورشليم) بعد ذلك لوعتها لهجرتهم إياها:

"بنو أمى غضبوا علىّ جعلونى ناطورة الكروم. أما كرمى فلم أنطره. أخبرنى يا من تحبه نفسى أين ترعى أين تربض عند الظهيرة[٩٣] لماذا أنا أكون كمقنعة عند قطعان أصحابك"[٩٤] وهى إنما قد افتقدت هنا من أحبتهم من العرب، لم لا وهم أهلها (بنو أمى) هجروها فصاروا أعراباً. وتسأل حبيبها الطريق إليهم، فيجيبها: "إن لم تعرفى أيتها الجميلة بين النساء فاخرجى على آثار الغنم وارعىْ جداءك عند مساكن الرعاة"[٩٥]. وكان من بين بنى قيدار من هم حضر يسكنون الشقق والديار[٩٦] كما يتبين لاحقاً فيما بعد.

أما فيما يتصل بجعلها ناطورة الكرم بعد هجرها إنما تحملنا على فهم التورية فى الشطى، إذ كانت العرب تربض بأغنامها من حول المدينة وتحل بذلك محل حَرس الكروم (النواطير) الذين يحمون العنب من بنات آوى التى كانت تسطو علي حقول القثاء والكروم، لذلك كانت الجدران الواطئة تقام أسواراً من حول الكروم لحمايته[٩٧] فكان أعراب العرب القيدارية النواطير قاموا من القدس مقام أسوارها أو جدران أسوارها. ويتضح وجه التورية هنا، فالعرب كانوا – ولا يزالون – يبدلون القاف جيماً فينطقون قيدار = جيدار (جدار).وقد رأى القس جبره الحلو فى "قيدار" اسماً سامياً يعنى (قدير أو أسود) و "قدرون" اسم عبرى ربما كان معناه "أسود" أيضاً[٩٨] وعلى ذلك فإن "قيدار" و "قدرون" مشتقتان من مادة واحدة. ويعنى ذلك أن "وادى قدرون" – الذى يكتنف القدس من الجهة الشمالية الغربية متجهاً إلى الجنوب الشرقى فيصل إلى زاوية السور الشمالية الشرقية – إنما كان وادى بنى قيدار وأن اسم قدرون ليس اسماً عبرياً، بل تصحيفاً للاسم العربى "قيدار" الذى ليس فيه معنى السواد كما ذهب القس جبره، فكلمة قيدار مشتقة من "قدر" بما فيها من معنى التضييق والتطويق[٩٩] أما معنى السواد فدخل على اللفظ صفة لوادى قدرون الذى كان يغص بأغنام بنى قيدار السوداء (وقد سبق وأشير إلى تلك الصفة فى صدد وصف شولميت لنفسها) أو قد يكون السواد بما فيه من معنى الغلبة والسيادة والقدرة (من قَدَرَ أيضاً). وهكذا كان وادى قدرون وادياً عربياً قدارياً تربض أعراب قيدار فيه بأغنامها إلى جوار قسمهم الحضرى فى القدس القديمة.

إن الانحراف المتعمد عن إرجاع الأسماء إلى أصولها العربية إنما تتضح فى مواضع أخرى كثيرة، فمدينة "جديروت" الواردة فى سفر يشوع (وهو ذو تاريخ متقدم منذ وطأ بنو إسرائيل أرض فلسطين) كانت من نصيب سبط يهوذا [١٠٠]. رد سفر المكابيين الأول اسمها إلى "حصن قدرون" أو "مدينة قدرون" التى أعيد بناؤها وتحصينها فى عهد أنطيوخوس السابع[١٠١]. ولدينا قياساً على ذلك طائفة أخرى من الأسماء تستوجب النظر، منها "جديرة" و "جدير وتايم" و "جدره"[١٠٢] وهى تعنى فى جملتها "حظيرة الغنم" أو "حظائر الغنم" أو "حصن" وفيها معنى التضييق والتطويق.

ويستخلص مما تقدم أن بنى إسماعيل والقداريين منهم خاصة قد سكنوا القدس القديمة وخضروها بأغنامهم، ولما كان اسم اليبوسيين لقباً فقد انضووا مع بنى أرومتهم العرب

اليبوسيين الذين ذكرهم سفر الملوك الأول باسم اليبوسيين الذين ليسوا من بنى إسرائيل ولم يقدر بنو إسرائيل أن يحرموهم فاكتفى سليمان بفرض السخرة عليهم[١٠٣]. وقد يكون القداريون هجروا القدس لما سلكه سليمان من سياسة قاسية! ونشيد الأنشاد ما هو إلا رثاء فى هجر العرب القدارية للقدس. ويتجلى صدى هذه الأحداث مما أشار إليه سفرا "إشعياء" و "إرميا" واستقرار القيداريين فى البادية[١٠٤] وعندما تنبأ إشعياء على أورشليم المدينة الحصينة بالخراب وسبى أهلها كان له صلة قوية بما أشار إليه فى موضع آخر: "وعندما يحل عليها (أورشليم) رضا الرب ومجده فإن" كل غنم قيدار تجتمع إليك. كباش نبايوت (أخى قيدار) تخدمك. تصعد مقبولة على مذبحى"[١٠٥] أى لا رضا للرب على أورشليم دون بنى قيدار وإخوانهم بأغنامهم وكباشهم.

إن قسم اليبوسيين العرب فى القدس من سياق النصوص وفحواها من عهد "يوشيا" عندما أرسل إلى خلدة النبية: "وهى ساكنة فى أورشليم فى القسم الثانى"[١٠٦]. وقد رأى قاموس الكتاب المقدس فيه "قسم أورشليم الغربى والشمالى الغربى[١٠٧] ربما وفق الاعتبارات الأثرية التى ترى أن بيت الرب أسفل الحرم الشريف (أى القسم الأول كما يُظن) غير أن حديث خلدة وردها على رسل يوشيا إنما لا يصدر إلا عن مزاج حاد وأسارير غضوب: "قولوا للرجل الذى أرسلكم إِلَىّ. هكذا قال الرب " فتنبئهم بالهلاك لأنهم تركوا الله وأوقدوا لآلهة أخرى" بما يشير إلى أن خلدة كانت غاضبة على مسلك بنى إسرائيل، فاعتزلتهم وعاشت فى القسم الثانى وهى الإشارة الوحيدة فى العهد القديم كله إلى هذا القسم، وإن كان من المفترض أن بنى يهوذا يشيرون إلى قسمهم على أنه الأول، فقد يعنى هذا أن القسم الثانى هو الذى سكنه اليبوسيون العرب! وإن صح هذا فلعله يستوجب التأكيد على موقع المقدسات اليهودية فى غربى القدس القديمة لا شرقها!!.

ومهما يكن فإن السؤال الذى يفرض نفسه ، متى تجلى هذا التقسيم؟؟. فعسانا أن نتلمس ذلك من الدور التاريخى للقدس ولسكانها اليبوسيين. كانت المدينة منذ عهد يشوع من نصيب سبط بنيامين[١٠٨]، ثم يفاجأ القارئ لسفر يشوع فى إصحاحه الخامس عشر: "وأما اليبوسيون الساكنون فى أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم، فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا فى أورشليم إلى هذا اليوم"[١٠٩] (أى القرن السابع ق.م). فكيف تكون أورشليم تابعة لسبط بنيامين بينما سكنها بنو يهوذا؟. يُعتقد أنه لا سبيل إلى تفسير ذلك إلا

افتراض أن سبط بنيامين فشل فى إخضاع أو طرد اليبوسيين أو حتى العيش معهم فى سلام، فتصدت يهوذا لإخضاع المدينة أو تمكين سبط بنيامين منها، كما تبين من الإصحاح الثامن عشر(١١٠)، ثم يشير سفر القضاة إلى أنه عقب وفاة يشوع: "حارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار(١١١). ويستنتج من ذلك أن اليبوسيين قد أعادوا فرض سيطرتهم على المدينة وطردوا بنى بنيامين منها. ويبين الإصحاح نفسه فى موضع آخر أن "بنى بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم، فسكن اليبوسيون مع بنى بنيامين فى أورشليم إلى هذا اليوم"(١١٢). ويتجلى من هذه العبارة أنها مطابقة لتلك الواردة فى يشوع (٦٣/١٥) مع إحلال بنى بنيامين محل بنى يهوذا فى النص، بما يتبين منه أن أهل القدس القديمة ظلوا فى رباط لفترة طويلة دفاعاً عنها ضد سبطى بنيامين ويهوذا، حتى أن كاتب النص لم تنهض ذاكرته على عرض الأحداث وفق تطورها الزمنى تباعاً! غير أن غياب الوثائق التى تؤيد ذلك إنما تجعلنا نفترض أن المدينة كانت على أغلب الظن محل صراع بين الأطراف الثلاثة (اليبوسيون والبنياميون وبنو يهوذا) وإن كانت الغلبة لليبوسيين أهل المدينة فى النهاية. وعندما أراد سفر القضاة أن يعلل انهزامية بنى إسرائيل أورد: "فهؤلاء هم الأمم الذين تركهم الرب ليمتحن بهم إسرائيل، كل الذين لم يعرفوا جميع حروب كنعان إنما لمعرفة أجيال بنى إسرائيل لتعليمهم الحرب. الذين لم يعرفوها من قبل فقط ... فسكن بنو إسرائيل فى وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين"(١١٣) وكأن الانتصارات التى زعمها بنو إسرائيل من قبل على تلك الشعوب لم يكن لها فى ظل الحقيقة شئ إلا ما أشار إليه هذا الإصحاح ذاته، وأن بنى إسرائيل اتخذوا من بنات هذه الشعوب لأنفسهم نساءً وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم. غير أن الإصحاح التاسع عشر من السفر ذاته (قضاة) عندما يعرض لقصة ذلك الرجل اللاوى ومروره بمدينة اليبوسيين، إنما يشير إلى خلاف ما سبق بيانه تماماً: "قال الغلام لسيده تعالى نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها، فقال له سيده لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بنى إسرائيل هنا. فعبر إلى جبعة ... التى لبنيامين"(١١٤) وهكذا يتجلى أن المدينة خرجت عن زمام بنيامين وهى لم تكن لهم فى الحقيقة، ولم يعد يقطنها سوى اليبوسيين، وأن المنطقة المحصورة ما بين

جبعة شمالاً وبيت لحم جنوباً أضحت تابعة لليبوسيين الذين لا يظهر أنهم وفقاً لهذا النص قد اختلطوا ببنى إسرائيل كما أشار الإصحاح من قبل.

وقد وردت منذ أوائل عهد داود أول إشارة إلى بداية الاهتمام بالقدس القديمة، عقب انتصار داود على الفلسطيني "وأخذ داود رأس الفلسطيني وأتى به إلى أورشليم. ووضع أدواته في خيمته"، ولا ندرى المغزى فى حمل داود لرأس الفلسطيني والدخول بها إلى أورشليم إلا فيما تضمنته الإشارة (إلى دخول داود دون سابقة) سوى أنه ضرب من الإرهاب لليبوسيين، الذين عاملوه بالمثل فيما اعتقد القوم أنه من قبيل بث الرعب فى قلوب جند داود، فعندما تقدم داود ورجاله إلى أورشليم "إلى اليبوسيين سكان الأرض. فكلموا داود قائلين لا تدخل إلى هنا ما لم تنزع العميان والعرج". أى لا يدخل داود إلى هنا. وأخذ داود حصن صهيون. هى مدينة داود. وقال داود فى ذلك اليوم إن الذى يضرب اليبوسيين ويبلغ إلى القناة والعرج والعمى المبغضين من نفس داود ... وأقام داود في الحصن وسماه مدينة داود. وبنى داود مستديراً من القلعة فداخلاً[116] . وقد فسر البعض وجود العرج والعمى على أنه تقليد حيثى كان يتبع عند قسم اليمين ومن يحنث فجزاؤه العرج والعماء. لذلك ذهب التصور إلى أبعد من ذلك عندما رسم لنا لوحة تفيض بالرعب، عندما وضع اليبوسيون العرج والعمى على أسوار المدينة أمام داود ورجالته[117] ولئن ذهبنا على هذا التصور فإنه يشير إلى أن داود إنما أقسم يميناً وقطع عهداً لا نعرف منه شيئا فى نصوص العهد القديم!

ومهما يكن الأمر، فيتجلى من النص أن مفهوم أو دلالة أورشليم كان أكبر وأعظم من الزعم بأنها مدينة يهودية، إذ شغل منها داود حصن صهيون فقط، التى رأى البعض موقعها فى الجزء الجنوبى من التل الشرقى![118]. ونقل داود تابوت الرب إلى مدينته، غير أنه تلقى من ربه كلمات على لسان ناثان النبى يفهم منها ما أقترفه "داود" من إثم، "اذهب وقل لعبدى داود هكذا قال الرب. أأنت تبنى لى بيتاً لسكناى. لأنى لم أسكن فى بيت منذ أصعدت بنى إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم، بل كنت أسير فى خيمة وفى مسكن ... هل تكلمت بكلمة إلى أحد قضاة إسرائيل ... قائلاً لماذا لم تبنوا لى بيتاً من الأرز"[119]. ولم تكن هذه الكلمات رداً على حديث داود بالمن على الله فقط - عندما قال ناثان "إنى أسكن فى بيت من أرز وتابوت الله ساكن داخل الشقق"[120]، بل لأن أمر الله

لداود بعمارة بيته فى مدينته لم يصدر، كما يتضح من سياق النص كله. فأرجأ نقل التابوت، لأنه ظن على ما يبدو من عقاب الرب لعُزة أنه غير راض على ما سلكه! ومعنى ذلك أن إقامة داود بيتاً لله وسكناً فى مدينته لم يكن عن أمر إلهى، وإنما شكر وزلفى إلى الله، الذى وعده أن يقيم له بيتاً ويثبت مملكته إلى الأبد. لذلك لم يمنح داود شرف إقامة البيت وإنما شيده ابنه سليمان.

وهكذا فإن مدينة داود لم تكن عاصمة سياسية لملكه ولا دينية - إذ غالباً ما كان تابوت الرب يصحبه فى حروبه وما أكثرها - وإنما كانت تمثل فى الحقيقة نقطة حصينة ومركزاً عسكرياً أحاطه بسور، وإن أطلقت عليها نصوص العهد القديم فيما بعد اسم "أورشليم" علماً عليها[١٢١] إلا إن مدينة داود لم تكن كفواً لها. وعلى الرغم مما ورد فى مزمور ١٢٢ المنسوب إلى داود بما يجعل مدينة داود هى أورشليم " تقف أرجلنا فى أبوابك يا أورشليم. أورشليم المبنية كمدينة متصلة كلها". إلا أن هذا الاتصال لم يكن سوى إطار شكلى يمثل اتصال سور قلعة داود بالسور الذى أقامه اليبوسيون من حول المدينة قبل عهد داود بوقت طويل، ونحميا النبى عندما يشير إلى إعادة بناء سور أورشليم واكتماله يقول: "فبنينا السور واتصل كل السور"[١٢٢] . ولعل ما سلكه داود إزاء أرونة (أو أورنان) اليبوسى - عندما طلب إليه مكان بيدره ليبنى فيه مذبحاً للرب - لا يخلو من إشارة إلى ما يسلكه الأنبياء فى هذا الصدد، فضلاً عن اعترافه بملكية اليبوسيين التى حفظت فى عهده[١٢٣] وربما كانت سياسة داود وفطنته فى الاحتفاظ بموطئ قدم فى القدس القديمة لها أبعادها وأهدافها، من حيث إن اليبوسيين ظلوا لوقت طويل يمثلون ترساً للقدس القديمة التى تمتعت بموقع يقسم ظهر بنى إسرائيل، ليس من حيث الموضع أو الموقع بل على الأحرى أهله اليبوسيين، وبمعنى آخر لم تكن أهمية المدينة من حيث وظيفتها عاصمة له، إذ كانت أمامه بيت لحم أو جبعة (التى حكم فيها شاؤل) المدينتان المتاخمتان للقدس من الجنوب والشمال. أما فيما يتصل بأحوال اليبوسيين فى عهد سليمان فقد سبق من التحليل اللغوى ما يغنى عن التكرار وربما شهد عهده الإرهاصات الأولى لغلبة العرب القيدارية فى القدس.

خلاصة وتعقيب

يستخلص من كل ما تقدم فى هذا البحث عدد من النتائج أهمها:

أولاً: شهدت مدينة القدس القديمة منذ الألف الثالثة قبل الميلاد استقراراً عمرانياً وبشرياً يظن أن قوامه الكنعانيون وفقاً لنصوص العهد القديم، أو الكنعانيون العرب على ما ذهب إليه الإخباريون، وإن جعلت قائمة الشعوب الواردة فى العهد القديم من الكنعانيين بطناً من البطون الحامية لا السامية، إلا أن هذه القائمة يشك كثيراً فيما حوته جملة وتفصيلاً لأسباب عديدة سقناها فى صدر هذا البحث، وهى قائمة مغرضة كتبت لتنزع عن الكنعانيين عروبتهم السامية، أو محو العرب عن أرض فلسطين. أما الكنعانيون وفقاً للنصوص القديمة فقد ورد أول ذكر لهم منذ أوائل القرن الخامس عشر قبل الميلاد فى نصوص "ادريمى" ملك الآلاخ (تل العطشانة شمالى سوريا)، وورد منذ عهد امنحتب الثانى فى النصوص المصرية على لوحة ميت رهينة.*

ثانياً: شهدت أرض سوريا وفلسطين على السواء منذ منتصف القرن العشرين قبل الميلاد موجة عربية سامية - وفقاً لنصوص سنوهة وسبك خو - وقد استغرقت حوالى قرن (١٩٦٠-١٨٥٠ ق.م) مما يقدر لعصر البرنز المتوسط حتى تأيد لها الاستقرار فى الأراضى السورية والفلسطينية (أو الكنعانية) عرفت عناصرها باسم "سوتو" فى سوريا (نصوص تمثال إدريمى) و "شوتو" فى فلسطين (نصوص لعن الأمراء الآسيويين)، وقد أطلق اسم سوتو أو شوتو علماً على هؤلاء العرب (نص الملك البديل) لتعنى المحاربين أو أهل الوغى، أو هى تعنى حرفياً "ريح الحريق" وفقاً للكلمة الآكادية السامية "شوتو" (الجنوب وريح الجنوب المهلكة)، وقد استقر هؤلاء العرب فى ظهير بادية الشام ونهر الأردن ويتاخمهم غرباً أرض كنعان. وقد أشارت النصوص المصرية والآكادية والآشورية المتواترة إلى أن بعضهم اشتغل بالتجارة واستحبوا حياة البداوة، بينما استقر أغلبهم فى المدن الفلسطينية، وقد عنوا بعمارتها وتحصينها مثلما أشارت تقارير مخلفاتهم الآثارية إلى ما يتفق مع ما تعنيه كلمة "شوتو" أو "سوتو" من حيث تقدم مستواهم العسكرى أو الحربى فيما يتصل بأسلحتهم وحصونهم أو مدنهم المسورة.

---

* Helck, W., Urkunden des 18 Dynastie, Berlin 1959, 1299-1316.

ثالثاً: إن إشارة نصوص لعن الأمراء الآسيويين منذ بداية القرن التاسع عشر قبل الميلاد إلى حاكمين للقدس (أورشليم)، فضلاً عن حكام "يسيبى" إنما لا تواجهها مشكلات من الوجهة اللغوية فى ردها إلى أصلها "يبيسى" أو يبوسى إذا رصدنا ظاهرة التعاقب بين الياء والواو فى اللغة المصرية فى عصرها الوسيط الذى ينسب هذا النص إليه. ويتجلى من ذلك أن القدس إنما كانت تمثل عاصمة لمملكة يبوسية اضطلع بشئونها الدينية والسياسية حاكمان، بينما تخضع لحدودها من الوجهة السياسية والإدارية مدن عديدة أشار إليها النص ذاته. وعسى أن يكون فى موقف "أدونى صادق" إزاء جبعون ما يصدق إشارات النص المصرى إلى تلك المملكة اليبوسية. وعلى ذلك فالقدس القديمة لم تكن مدينة لها كيانها السياسى والدينى مستقلة عما جاورها من مدن وإنما عاصمة لمملكة عربية يبوسية تركت ذكراها فى أسماء مدن عديدة وجبال وأودية. ولئن صح أن "شو" الواردة فى نص زيارة قبيلة إيشا لمصر - تطابق شوى المتاخمة للقدس من جهة الشمال، أو هى "عين" شوى أو "شو" الواردة فى قائمة تحتمس الثالث بالكرنك، فإن هذا التطابق إنما يستوجب إعادة النظر فى تفسير اسم "إيشا" إلى "يبشى" (أو يبسى) أى اليبوسى ليصبح ترجمة لقبه الوارد فى النص المصرى "حاكم البلد الأجنبى (شوى) اليبوسى"!.

رابعاً: يتجلى من دراسة اسم اليبوسيين من الوجهة اللغوية والتاريخية أن الأصل فى "اليبوسى" نسبة إلى "يبوس"، وإن ذهبنا على تفسير ياقوت الحموى للكلمة من "باس" فإنما تقدم تخريجات لغوية تشير إلى أن الاسم يعنى القبلة والقدس، وأن اليبوسيين هم (أهل القدس أو أهل القبلة) وعلى الرغم من دلالتها العربية والإسلامية منذ هذا العصر المبكر إلا أنها تتشوق إلى انتظار علم الآثار ليقول كلمته! والبحث إنما يرى فى "ملكى صادق" الملك وكاهن الله العلى لأسباب عديدة أنه المعنى فى سفر التكوين باسم اليبوسى أو العابد الذى عاصر إبراهيم عليه السلام. أما أن "يبوس" من "بأس" بمعنى الشدة فقد تكون صفة للقدس بمعنى القوية والمنيعة. ويكون أهلها بها الأقوياء أو الشجعان. وتشير دراسة طائفة أخرى من الأسماء إلى صلتها باللغة العربية مثل وادى هنم (وادى الشيطان) ومأواه فى توفة (مكان الحريق)، ووادى قدرون التصحيف العبرى له (وادى قيدار) وهى تتبين من الدراسة الأدبية لسفر نشيد الإنشاد، حيث تصف حبيبة سليمان (أورشليم) نفسها بأنها

سوداء كسواد خيام قيدار، ثم هى تبدى لوعتها لهجر الأعراب منها للمدينة. ويتصل باسم قيدار مدن أخرى عديدة هودت أسماؤها بما يقترب من اسم قيدار ومعناه. وهى لاشك تستوجب اهتمام اللغويين ، هذا فضلاً عن أسماء أخرى عديدة للأفراد مثل "بنو هاشم" و "ابن ذى بأس" و "زبيبة" و "قيس" التى لا يشك فى عروبتها.

خامساً: ظلت المملكة اليبوسية متماسكة ربما حتى توافد القبائل المعروفة باسم الهكسوس منذ حوالى نهاية القرن الثامن عشر وأوائل القرن السابع عشر قبل الميلاد، ولا نعلم إن كانت قد انفرط عقدها إزاء ضربات هذه العناصر الغازية، سواء عند دخولها أرض فلسطين أو عقب اكتساح مصر لها منذ أوائل القرن السادس عشر قبل الميلاد! ، إلا أن رسالة العمارنة رقم ٢٨٦** تشير إلى أن حاكمها "عبدى خيبا" إنما أقره الفرعون على عرش أبيه بما يتبين منه أن حكم المدينة كان وراثياً وأنها ظلت تحت حكم اليبوسيين حتى دخول بنى إسرائيل أرض فلسطين عقب نزوحهم عن مصر وإن كانت الآثار والنصوص تعوزنا لتأكيد ذلك. ويتجلى من بين نصوص العهد القديم أن اليبوسيين أهل القدس القديمة ظلوا فى رباط دفاعاً عن المدينة إزاء سبط بنيامين وبنى يهوذا إلى أن تولى الملك داود خلفاً لشاؤل، وقد ظلت حقوق اليبوسيين مرعية ومصونة حتى نهاية عهده.

سادساً: أشارت نصوص العهد القديم فى غير موضع أن داود استولى على حصن صهيون وأحاطه بسور وسماه مدينة داود. ولقد سقنا من البراهين والأدلة النصية ما يؤيد أن مدينة داود لم تتجاوز أهميتها من حيث هى نقطة حصينة وقلعة عسكرية، وإن أطلقت عليها النصوص عند الإشارة إليها اسم أورشليم التى لم تكن مدينة داود كفواً لها على الإطلاق، بل إن أهميتها من الوجهة الدينية تشكك فيها نصوص العهد القديم ذاتها. غير أنه مع بداية حكم سليمان اتبع مع اليبوسيين سياسة قاسية كسائر الشعوب الغريبة عن بنى إسرائيل إذ فرضت عليهم أعمال السخرة ، وإن بدت تلميحات حول تقوقع واعتزال اليبوسيين فى المدينة إزاء مشروعات سليمان العمرانية فضلاً عن سياسته العنيفة. وسفر نشيد الإنشاد، إن كان حقاً ينسب إلى سليمان، إنما يميط اللثام عن الإرهاصات المبكرة

** Albright, W.S., Akkadian Letters, in: ANET, P.487 (No.286)

لتقسيم المدينة التى تغلب العرب القيداريون على أهلها من اليبوسيين، وأن بدت جليا ملامح هذا التقسيم فيما بعد !

حواشى البحث

(١) تكوين: ١٨/١٥، خروج: ٨/٣، ١٧-١٨، ٢/٣٣، يشوع: ١١/٣، ٩/٢-٣، ١٢/٨-١٠، ١٢/٢٤، قضاة: ٨/١، ٢١/١٥.

(٢) تكوين: ٦/١٠، ١٦، أخبار الأيام الأول: ١٣/١-١٤.

(٣) يراجع: فاروق محمد عز الدين: القدس تاريخياً وجغرافيا، القاهرة ١٩٨١، ص١٦، سيد فرج راشد: القدس عربية إسلامية، القاهرة ١٩٩٥، ص٣١.

(٤) تاريخ الطبرى: الجزء الأول، ص١٠٣ ويضيف ابن خلدون فى تاريخه (جزء أول، ص٤٢) والعماليق هم بنو عمليق بن لاوز.

(٥) ابن كثير: قصص الأنبياء، القاهرة ١٩٨١، ص١٩١.

(٦) تكوين: ٢٦/١٠، أخبار الأيام الأول: ٢٠/١.

(٧) قاموس الكتاب المقدس، الطبعة العاشرة، القاهرة ١٩٩٥، ص٧٣٩.

(٨) المرجع السابق نفسه، ص١٠٥٢-١٠٥٣.

(٩) تكوين: ١٨/١٥-٢٠.

(10) Wiseman, D.J., "Peoples and Nations" in: POTT* = Peoples of Old Testament Times, ed. by Wiseman, D.J., Oxford 1973, PP.xvi-xxi; cf. Speiser, E.A., Interpreters Dictionary of the Bible, 1962, under "Man"

(11) Kenyon, K.M., Archaeology in the Holy Land, London 1965, P. 317.

(12) Ibid, P.117.

(13) Ibid, P.P.166-167, 169-170, 173-174, 177, 181,187, 192-193, 202, 206-207 cf. Millard, A.R., "The Canaanites" in: POTT, PP.38-41.

(14) Cazelles, H., "The Hebrews", in: POTT, PP.1-29, esp. PP.12 ff.

(15) Lapp, P.W., "The Dhahr Mirzbaneh Tombs", ASOR, 1966, PP.86 ff.

(١٦) وهو تاريخ يوافق العام الثلاثين الذى توفى فيه امنمحات الأول وفر سنوهة إلى "رتنو": يراجع تعليق الدكتور عبد الحميد زايد فى : جيمس بريتشارد: نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم، الجزء الأول، تعريب وتعليق عبد الحميد زايد، القاهرة ١٩٨٧، ص٨٣.

(١٧) أى البلاد التى يقطنها وفقاً للتسمية المصرية لها (حقاوخاسوت) ولا ينصرف الذهن إلى أنهم الذين عرفوا فيما بعد بالهكسوس، إذ كان اصطلاحاً عاماً يطلق على حكام الشعوب الأجنبية ومنهم النوبيون يراجع:

Meeks, Alex, III, P.203.

(18) Wilson, J.A., “Egyptian Myths, Tales, and Mortury Texts” in: ANET = Ancient Near Eastern Texts, Relating to the Old Testament, Princeton - New Jersey, 1969, P.20 .

(١٩) نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتى، مراجعة زكية طبوزادة، القاهرة ١٩٩١، ص٢١٨.

(20) Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt, Vol.I, Chicago 1906, P.304, 680 f.

(21) Gardiner, A.H., Ancient Egyptian Onomastica, Vol.I, Oxford 1947, P.143.

قاموس الكتاب المقدس، ص٥١٤.

(٢٢) يراجع التعليق على هذه النصوص:

Wilson, J.A., Egyptian Rituals and Incantations: The Execration of Asiatic Princes” in: ANET, P. 328, n.l.

(23) Ibid, P.329, cf. Sethe, K., Die Aechtung feindicher fursten, Berlin 1962, No.(4) (fi).

(24) Leo Oppenheim, A. “Babylonian and Assyrian Historical Texts” in: ANET, PP.557-558.

(25) Ibid,.P. 270.

(٢٦) مختار الصحاح: ص٣٢١، وقد ربط على فهمى خشيم (فى كتابه: آلهة مصر العربية، المجلد الأول، بنغازى ١٩٩٠، ص٤٣٣) بين سوط والعربية السبئية "و ص ت > صوت" بمعنى أمر وحرق وأحرق فما فيها من معانى العذاب والهلاك.

(27) Albright, W.F., Akkadian Letters, in: ANET, P.490, n. 23

(28) Reiner, E., Akkadian Treaties from Syria and Assyria, in: ANET, P. 531.

(29) Albright, W.F., op. cit., p.626, n. 92.

(30) Kenyon, K.M., op. cit., pp.317- 318.

(31) Wilson, J., op. cit., p.329; Sethe, K., op. cit., Nos. 27, 31, fl.

(32) Faulkner, R.A., A Concise Dictionary of Middle Egyptian, Oxford, 1961.

(33) Wilson,op.cit., p.329, n. 9.

(٣٤) تكوين: ١٤/١٨-١٩.

(٣٥) حبرون (وهى مدينة الخليل ١٩ ميل جنوب غربى أورشليم) و "يرموت" (كوكب الهواء الحالية ١٢ كم شمالى بيت شان) و "لخيش" (١٦ ميلاً شمال شرقى غزة) و "عجلون" (قرية سفر فى النقب ويرى البعض أنها بيت شان أو بيسان) و "جبعون" (٥ ميل شمال غربى القدس وهى قرية الجبلب الحالية ومن قراها جبعون والكفيرة وبئيروت ويعاريم: يشوع ١٧/٩) ويراجع عن هذه المواقع وفقاً لترتيبها فى النص: قاموس الكتاب المقدس، ص٢٨٦-٢٨٧، ص٨١٣، يقارن ص٦٠٨، ص٢٤٦. وكذا عن يرموت Wilson, op.cit., p.255, n.3.

(٣٦) يشوع: ٩/١-٥.

(٣٧) صموئيل الأول: ١١/١-٣. وقد ظل ابنه حانون حذراً فى تعامله مع "داود" النبى عليه السلام (صموئيل الثانى: ١٠٠/١-٥).

(٣٨) يشوع: ١٥/٣٣-٣٤.

(٣٩) يراجع ويقارن: عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، ص٤٠.

(٤٠) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص١٩.

(٤١) أبو خرز الحالية شمال وادى يبيش: قاموس الكتاب المقدس، ص١٠٤٣.

(٤٢) قاموس الكتاب المقدس، ص٦٥٣.

(43) Newberry, P.E., Beni Hasan, Vol.I, London 1893, pls.30-31.

(44) Sethe, K., Historisch biographische Urkunden des Mittleren Reiches, VII, Leipzig 1935, p.36-37.

(45) Leo Oppenheim A., op. cit., P. 298.

(46) Gauthier, A.H., DG = Dictionnair des Noms Geographiques Contenus dans les lextes Hiero-glyphique, tome I, Le Caire 1925, pp.133-135.

(47) Sethe K., op. cit., p.36, n. (b).

(48) Wilson, J.,op. cit., op.229, n.11.

(٤٩) المكان الذى التقى فيه إبراهيم الخليل مع ملك سدوم بعد هزيمة كدرلعوم. يراجع: تكوين: ١٤/١٧-١٨- وربما هى اسم وادى الجوز شمالى القدس ويتصل بوادى قدرون. يراجع: قاموس الكتاب المقدس، ص٥٢٧.

(50) Gauthier,D G, I, pp.149-150.

(٥١) أحمد عبد الحميد يوسف: مصر فى القرآن والسنة، الطبعة السادسة، القاهرة ١٩٩١، ص١٤.

(٥٢) قاموس الكتاب المقدس، ص٢١.

(٥٣) إن تعديل إلى قد يكون له ما يبرره أن العلاقة غالباً ما تسقط لتجنب تكرار السواكن فى الكتابة، كما أن الفراغ الزائد بين العلامتين و تستوجب وضع العلامتين معاً.

(٥٤) كان الأجنبى يكنى باسم بلده غالباً: مثل يانحسى أو باخار. يقارن:

Albright, W.F., The Vocalization of the Egyptian Syllabic Orthography, New Haven 1934, p.8.

(٥٥) قضاة: ١٩/١٠.

(٥٦) فاروق محمد عز الدين: المرجع السابق، ص٩،١٨؛ سيد فرج راشد: المرجع السابق، ص٣١. ويراجع: عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص٣٩-٤٤.

(٥٧) تكوين: ١٤/١٨، عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص٤٠، يقارن: قاموس الكتاب المقدس، ص٩٢٢.

(٥٨) حسن ظاظا: "القدس"، مجلة الفيصل، عدد ٢٣٢، ١٩٩٦، ص١٤.

(٥٩) ياقوت الحموى: معجم البلدان، الجزء الخامس، بيروت ١٩٧٩، ص١٤٣.

(٦٠) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص٣٩، حاشية (١٠).

(٦١) والقبيلة: واحدة (قبائل) العرب وهم بنو أب واحد (أى يقتبلون به ومن حوله يجتمعون إليه) ومن "القبيل" قيل: "ما يعرف قبيلاً من دبير" (أى لا يعرف أولاً من آخر). يراجع: لسان العرب، مادة "قبل"، وكذا: مختار الصحاح، ص٥٢٠-٥٦٩.

(٦٢) قاموس الكتاب المقدس، ص٩٢٢.

(٦٣) تكوين: ١٤/١٨-٢٢.

(٦٤) مزامير: ١١٠/٤.

(٦٥) إن مسألة "يبوس سوريا" و "يبوس فلسطين" ربما تجد لها مكاناً فيما أثاره خلاف السلف الصالح من المسلمين فى صدد الربوة المقدسة فى الآية الكريمة " وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين " فرآها عبد الله بن سلام فى دمشق ورآها ابن عباس فى بيت المقدس، ويروى أبو إمامه الباهلى بسند عن حديث رسول الله أنها غوطة دمشق؛ يراجع: السيوطى: إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق د. أحمد رمضان أحمد، القاهرة ١٩٨٤، ص١٣١،١٦٩.

(٦٦) تكوين: ١٢/٧-٩، ١٣/٣، ٢٨/١٩، ٣٣/٢٠، ٣٥/١، ٦،١٥.

(٦٧) ويروى السلف بسند إلى الوليد بن مسلم إلى ثور بن يزيد قال: قدس الأرض الشام، وقدس الشام فلسطين، وقدس فلسطين بيت المقدس، وقدس بيت المقدس الجبل وقدس الجبل المسجد وقدس المسجد القبة (السيوطى: المصدر السابق نفسه، ص١٦٨).

(٦٨) نحميا: ١١/٢، اشعياء: ٤٨/٢.

(٦٩) فاروق محمد عز الدين: المرجع السابق، ص٧٧-٧٨.

(٧٠) فالبأس فيه معنى القوة والشدة والشجاعة، ورجل بئس أى شجاع، ورجل يبؤس بأساً إذا كان شديد البأس شجاعاً، والبأس: الشدة فى الحرب بما فيها من ضرب ومشقة. يراجع: لسان العرب، جزء أول، ص١٩٩-٢٠١، مختار الصحاح: ص٣٨-٣٩.

(٧١) يراجع عن هذه الأسماء: أستير: ص٢-١٠ (وقد أنقذت مردخاى حفيدة قيس اليهود من الإبادة)، أخبار الأيام الأول: ١١/٣٤ (كان بنو هاشم أبناء حرب ووغى)، ١١/٣٠ (كان خالد على رأس فرقة من أربعة وعشرين ألف ٢٧/١٥: وكان لأهله ضياع حول القدس: نحميا:١٢/٢٩)، الملوك الثانى: ٢٣/٣٦ (كانت زبيدة امرأة يوشيا وأم الملك يهوياقيم). ويراجع عن التحقيق اللغوى لهذه الأسماء وفقاً لترتيبها: قاموس الكتاب المقدس: ص٧٥٢،٩٩٦،٣٣٤،٤٢٤.

(٧٢) عزرا: ٩/١، ١٠٠/٣.

(٧٣) أشعيا: ٣٠/٣٣.

(٧٤) الملوك الثانى: ٢٣/١٠،٦٠، حزقيا: ٢٠/٢٦، أرميا: ٣٢/٣٥. وعن ظاهرة التضحية ببنى البشر يراجع:

El-Nadoury, R., "Human Sacrifices in the Ancient Near East", in: AHS Alexandrie, 2,1968. pp.1-10.

(٧٥) محمد بيومى مهران: دراسات فى حضارات الشرق الأدنى القديم، ٢ (إسرائيل)، الاسكندرية ١٩٨٣، ص ٤٦-٦١.

(٧٦) الملوك الثانى: ٣/١٦، أخبار الأيام الثانى: ٣/٢٨، ٣٣/٦. ويقارن محاولات يوشيا وتصديه لهذه الشعائر: الملوك الثانى:٢٣/١٠-١٣.

(٧٧) قاموس الكتاب المقدس: ص١٠٠٣-١٠٠٤.

(٧٨) سيد فرج راشد: المرجع السابق، ص٣٤.

(٧٩) مختار الصحاح، ص٧٠٠.

(٨٠) قاموس الكتاب المقدس، ص٢٢٦.

(٨١) على فهمى خشيم: المرجع السابق، ص٤٣٠-٤٣١. ويقارن: Wilson, op. cit., p.329, n.4.

(٨٢) المرجع السابق نفسه، ص٤٤٦-٤٤٧، العدد: ١٧/٢٤.

(٨٣) يراجع تحركات العرب الإسماعيليين من جلعاد إلى أرض دوثان (شمالى أورشليم وبالقرب من شكيم والسامرة) ثم إلى مصر. تكوين: ٣٧/٢٥-٢٨.

(٨٤) يراجع: الملوك الأول: ١٠/١٥، مزمور: ٧٢/١١، أرميا: ٢٥/٢٣-٢٤.

(٨٥) نحميا: ٢/١٩-٢٠، ص٤-٦.

(٨٦) كان التحالف بين جشم العربى وسنبلط الحورونى وطوبيا العمونى ضد بنى إسرائيل، وليس حلف العرب ضد سنبلط وطوبيا كما يشير النص كما ذهب سيد فرج راشد: المرجع السابق، ص٥٠.

(٨٧) تكوين: ٢٥/١٣.

(88) Rabinowitz, "Aramaic Inscriptions of the Fifth Century B.C.", in: JNES = Journal of Near Eastern Studies, 15,1956, pp.1-9.

وهكذا نزع كاتب نص العهد القديم لقب ملك عن جشم العربى !

(٨٩) تراجع حاشية رقم ٨٣.

(٩٠) تراجع سائر الآراء حول الشخصيات فى هذا السفر والغرض منه فى قاموس الكتاب المقدس، ص٥٣٠، ٩٦٨-٩٧٠- فمن الصعب التسليم بأن الفتاة من "شونم" التى لم يرد لها ذكر فى النص. وكذا يراجع مزمور ١٢٢ لداود، إذ يتحدث إلى أورشليم ، لعب الأسلوب البلاغى فيه دوره من حيث اعتماده على تشخيص أورشليم.

(٩١) نشيد الأنشاد: ١/٥-٦.

(٩٢) فيليب متى: موجز تاريخ العرب، بيروت ١٩٤٧، ص٢٧.

(٩٣) هناك إشارات إلى العرب الأعراب والبدو الرابضين بأغنامهم فى : أشعياء ١٣/٢٠؛ أرميا: ٣/٢.

(٩٤) نشيد الإنشاد ١/٥-٧.

(٩٥) نشيد الإنشاد: ١/٨.

(٩٦) أرميا: ٤٩/٣٨-٣٩، اشعيا: ٤٢/١٠-١١.

(٩٧) قاموس الكتاب المقدس: ص٢٥٢، وكذا يراجعْ مقولة طوبيا العمونى إلـى صحبه فـى حضـور نحميـا: "إن ما يبنونه إذا صعد ثعلب فإنه يهدم حجارة حائطهم: نحميا: ٤/٣.

(٩٨) قاموس الكتاب المقدس، ص٧١٦،٧٥١.

(٩٩) وفى قول الله تعالى " **فقدر عليه رزقه** " أى ضيق عليه: لسان العرب، الجزء الخامس، ص٣٥٤٦.

(١٠٠) يشوع: ١٥/٤١، أخبار الأيام الثانى:٢٨/١٨.

(١٠١) تقع على مبعدة أربعة أميال جنوب غربى عقرون. يراجع: مكابيين أول: ١٥/٣٩، ٤١، ١٦/٩.

(١٠٢) يشوع: ١٥/٣٦، ٨/٢٨، مرقس: ٥/١، لوقا ٨/٢٦.

(١٠٣) الملوك الأول: ٩/٢٠-٢١.

(١٠٤) أشعياء: ٦٤/٩-١٠، أرميا: ٢/٩-١١، ٤٩/٣٨-٣٩.

(١٠٥) يقارن: أشعياء ١٧/٦-١٣، ٦٠/٧٠.

(١٠٦) الملوك الثانى: ٢٢/١٤.

(١٠٧) قاموس الكتاب المقدس، ص٧٣٠.

(١٠٨) يشوع: ١٥/٨، ١٨/١٦،٢٦.

(١٠٩) يشوع: ١٥/٦٣.

(١١٠) يشوع: ١٨/١٦، ٢٦.

(١١١) قضاة: ١/٨.

(١١٢) قضاة: ١٥/٢١.

(١١٣) قضاة: ٣/١ - ٥.

(١١٤) قضاة: ١٩/١ - ٤.

(١١٥) صموئيل الأول: ١٧/٥٤.

(١١٦) صموئيل الثانى: ٦/٥ - ٩،١٣.

(١١٧) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص ٤٦-٤٨. يراجع صور من القسم عند الشعوب السامية مماثلة لتلك بقاموس الكتاب، ص٧٢٩.

(١١٨) نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثالث، الطبعة الثالثة، الاسكندرية ١٩٦٦، ص٣٦٨.

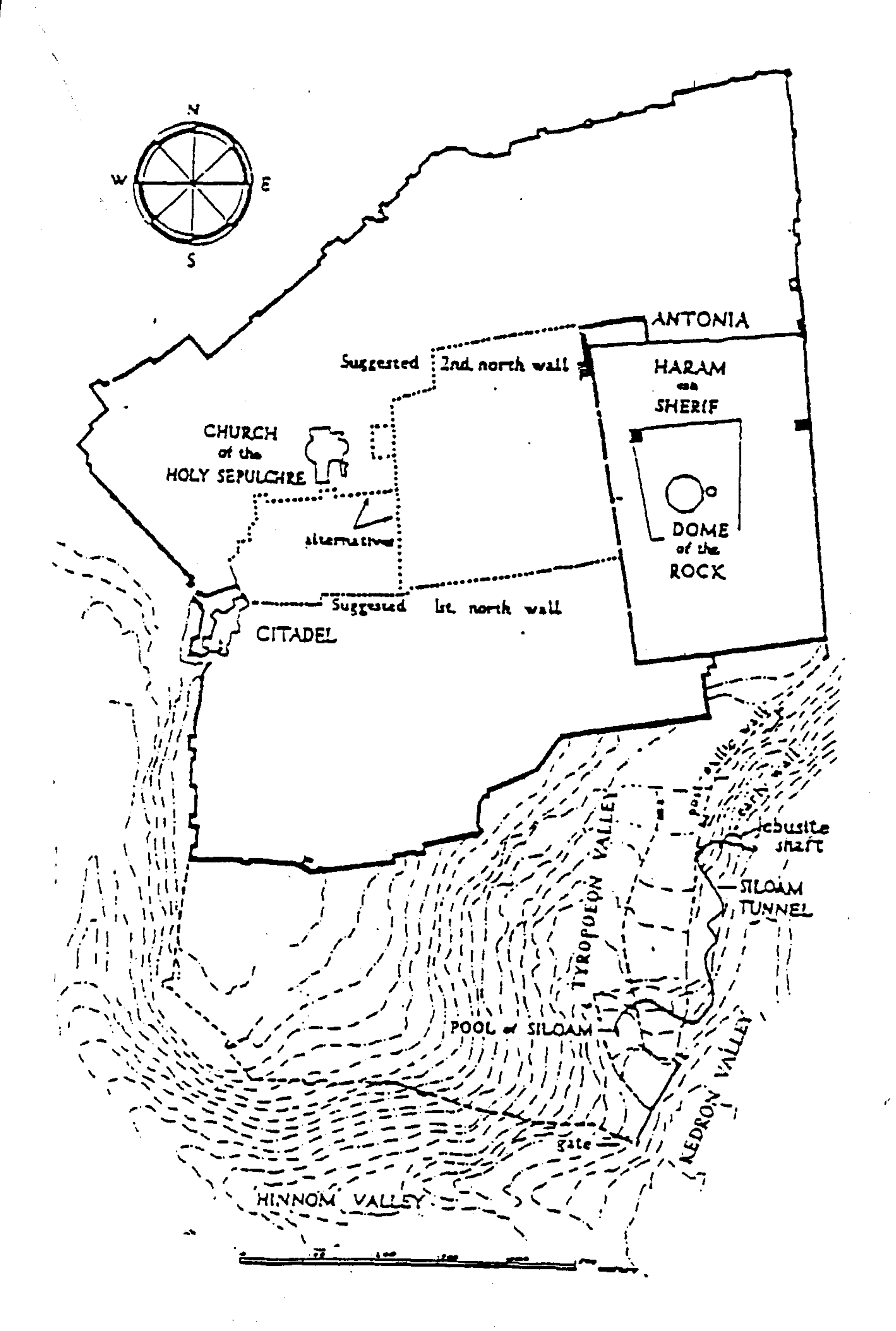
(١١٩) صموئيل الثانى: ٧/٢ - ٥.

(١٢٠) صموئيل الثانى: ١/٧ - ٢.

(١٢١) صموئيل الثانى: ٨/٨، ٩/١٣، ١٠/١٣، ١١/١، ١٢/٣١، ١٥/٨، ١١، ١٤، ٢٨، ٣٧، ١٩/٣٤، ٢٠/٢.

(١٢٢) نحميا: ٤/٦.

(١٢٣) صموئيل الثانى: ٢٤/١٠-٢٥، أخبار الأيام الأول: ٢١/١٧-٢٦.



Kenyon , Archaelogy in the Holy Land , P . 297 (67)

الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

علاقات القوى الدينية والسياسية بمدينة القدس
(دراسة وثائقية من خلال أحداث الفتح الإسلامي للمدينة)

دكتور عبد المنعم عبد الحميد سلطان

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية - وكيل كلية الآداب بسوهاج - جامعة جنوب الوادى

مقدمة

عُرفت مدينة القدس فى المصادر الإسلامية الأولى التى تناولت الفتح الإسلامى للمدينة باسم "إيلياء" ويشرحها البلاذرى بقوله " إيلياء هى مدينة بيت المقدس "[1] ، وقد جاء ذكرها أكثر من مرة بهذا الاسم "إيلياء" فى نص الأمان الذى أعطاه المسلمون لأهل المدينة عند الفتح[2] ، كما ذكرت أيضاً فى بعض المصادر الجغرافية "إيليا"[3] بكسر الهمزة الأولى أو فتحها ، وبدون الهمزة الأخيرة. ويروى أن إيلياء كلمة عبرية ومعناها "بيت الله"[4]، ولكن ياقوت فى معجمه ينسب المدينة إلى بانيها "إيلياء بن ارم بن سام بن نوح".[5]

ورغم ذلك فإن الاسم الذى يغلب عليها هو "بيت المقدس"[6]، كما تروى المصادر أن المسلمين الأوائل كانوا يكرهون تسمية المدينة باسمها العبرى "إيلياء" وكانوا يفضلون

---

[1] انظر : البلاذرى ، فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ١٦٤.

[2] الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك (طبعة دار المعارف) ، ج٣ ، ص ٦٠٩.

[3] انظر : الإدريسى ، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، (القاهرة بدون تاريخ) ، ج١ ، ص ٣٥٨ ؛ الحميرى ، الروض المعطار فى خبر الأقطار ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ٦٨.

[4] البغدادى ، أمراض الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، بيروت ١٩٩٥ ، ج١ ، ص ١٣٨.

[5] انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٥ ، ج١ ، ص ٢٩٣.

[6] انظر : البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ١٦٥ ؛ تاريخ الطبرى ، ج٣ ، ص ٦١٠ - ٦١١ ، ج٥ ، ص ٦٦ ؛ الحميرى ، الروض ، ص ٦٨.

تسميتها "بيت المقدس" ، فيروى صاحب إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى عن ثور بن يزيد (ت ١٥٣هـ) قوله : "بلغنى أن كعباً مر به ابن أخيه ورجل معه فسألهما : أين تريدان ، قالا : إيليا ، قال كعب : لا تقولا إيليا لكن قولا بيت المقدس" [٧].

كما عرفت المدينة بعد ذلك باسم "القدس" ، فيروى القلقشندى "والقدس بضم القاف والدال لفظ غلب على مدينة بيت المقدس"[٨] . ويبدو أن هذه التسمية لم تعرف إلا فى وقت متأخر نسبياً ، لأننا لا نلحظ ذكراً لتسميتها بالقدس فى المصادر القديمة التى تناولت الفتح الإسلامى ، مثل : فتح الشام لمحمد بن عبد الله الأزدى (ت ٢٣١هـ) ، وفتوح البلدان للبلازرى (ت ٢٧٩هـ) ، وتاريخ الطبرى (ت ٣١٠هـ) ، ولكن ناصر خسرو الذى زار بيت المقدس فى رمضان سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٧ م يقول : "وأهل الشام وأطرافها يسمون بيت المقدس "القدس"[٩] مما يوحى بأن هذه التسمية قد ظهرت فى البداية عند أهل الشام ثم انتشرت تدريجياً حتى أصبحت غالبة فى عصر القلقشندى (ت ٨٢١هـ).

أما تسمية "بيت المقدس" باسم أورشليم أو "أورى شلم" (بفتح اللام أو كسرها أو تشديدها) فهو كما شرحته المعاجم العربية : الاسم العبرانى المعرب لمدينة بيت المقدس[١٠] ولا نلاحظ ذكره كثيراً[١١] فى غير المعاجم ، ومعناه بالعبرانية "بيت السلام"[١٢] .

وهناك آراء حول أصل الكلمة العبرى ذكرتها المراجع اليهودية ، منها أنها مشتقة من كلمة شاليم Shalim بمعنى إله السلام ، وهو الاسم الذى أعطاها إياه سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وهناك أيضاً أورشليم Uru-Shalim بمعنى مدينة الله[١٣].

---

[٧] انظر : أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين السيوطى ، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، تحقيق د. أحمد رمضان ، القاهرة ١٩٨٢ ، القسم الأول ، ص ٢١٣ ـ ٢١٤.

[٨] القلقشندى ، صبح الأعشى ، القاهرة ١٩٦٣ ، ج٤ ، ص١٠٠.

[٩] انظر : ناصر خسرو ، سفر نامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥ ، ص١٩.

[١٠] انظر على سبيل المثال : الجواليقى ، المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، القاهرة ١٩٦٩ : ص ٧٩ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، (طبعة دار المعارف القاهرة) ، مادة "أور" ، ص١٦٩.

[١١] انظر : تاريخ الطبرى ، ج٣ ، ص ٦١١.

[١٢] انظر : لسان العرب ، نفسه.

[١٣] انظر :

The Jewish Encyclopedia , Jerusalem.

وتروى المصادر أن بيت المقدس (بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال) المقصود به المسجد الأقصى ، وأصل التقديس التطهير ، والمراد المطهر من الأدناس[١٤] ، والأرض المقدسة مشتملة على بيت المقدس وما حوله إلى نهر الأردن إلى مدينة الرملة طولا ، وتبلغ مساحتها أربعين ميلا فى مثلها ، وفى طرفها الغربى باب البحر الذى عليه قبة داود وفى طرفها الشرقى باب الرحمة الذى لا يفتح إلا فى عيد الزيتون ، وفى شرقها كنيسة القيامة ، وشرق هذه الكنيسة البيت المقدس الذى بناه سليمان بن داود عليهما السلام وكان موضع تقديس اليهود وحجهم ، ثم انتزع من أيديهم وخرب عدة مرات[١٥].

ويقال إن الإمبراطور قسطنطين الكبير[١٦] وأمه هيلانة عندما اعتنقا المسيحية ، ارتحلت هيلانة إلى بيت المقدس فى طلب الخشبة التى صلب عليها المسيح من جانب اليهود حسب اعتقادهم ، فأخبرها القساوسة بأنه رُمى بخشبته على الأرض ، وألقى عليها القمامات والقاذورات ، فاستخرَجت الخشبة ، وبَنت كنيسة القيامة وأمرت بطرح الزبل والقمامات على الصخرة المقدسة حتى غطاها وخفى مكانها انتقاماً لما فعله اليهود بقبر المسيح[١٧] ، وبقى الحال على ذلك حتى فتح المسلمون بيت المقدس ، وحضر عمر بن الخطاب إلى المدينة وسأل عن مكان الصخرة ، فدل عليها ، فأمر بتنظيف مكانها ، وبنى عليها مسجداً[١٨].

ولم تكن مدينة بيت المقدس مجهولة بالنسبة لعرب شبه الجزيرة العربية ، وخاصة عرب الحجاز فى العصر الجاهلى ، فالمدينة كانت سوقاً تجارياً نشطاً ، يؤمها التجار والحجاج من جنسيات مختلفة ومنهم التجار العرب فى رحلاتهم التجارية إلى الشام وفلسطين ومصر ، فالمدينة كانت تحتشد بأعداد كبيرة من الحجاج فى مناسبات دينية مختلفة معظمهم من اليهود والنصارى[١٩] مما جعل التجار يحرصون على استغلال هذه

---

[١٤] أبو عبد الله السيوطى ، المصدر السابق ، ص٩٤.

[١٥] انظر : الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ج١ ، ص٣٥٨ - ٣٥٩ ؛ الحميرى ، الروض ص٦٨ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج٤ ، ص١٠١.

[١٦] انظر : السيد الباز العرينى ، الدولة البيزنطية ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص١١٨.

[١٧] انظر التفاصيل ، ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق على عبد الواحد وافى ، ج٢ ، ص٨٦٤ - ٨٦٥.

[١٨] القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٠٠ - ١٠١.

[١٩] انظر : الحميرى ، الروض ، ص٦٨.

المناسبات فى ممارسة النشاط التجارى وتبادل السلع ، كما كان الحال فى مكة فى ذلك الوقت.

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه ابن عبد الحكم[٢٠]، أن عمرو بن العاص ، قدم بيت المقدس قبل الإسلام للتجارة فى نفر من قريش ، والتقى فيها بأحد رجال الدين المسيحى من أهل مدينة الإسكندرية كان قد قدم للصلاة فى بيت المقدس ، وقامت بين الرجلين صداقة كان سببها أن عمرو بن العاص أنقذ حياة المسيحى من خطر تعرض له ، وأصر الأخير على أن يصحبه عمرو في رحلته من بيت المقدس إلى الإسكندرية ليكافئه على صنيعه معه. ويهمنا من هذه الرواية أن بيت المقدس كان محطة تجارية لها أهميتها الاقتصادية فى ذلك الوقت بالنسبة للتجار العرب القادمين من الحجاز ، لأن المدينة لم تكن ذات جذب دينى لتجار وثنيين من أمثال عمرو بن العاص. فلم يكن هؤلاء التجار يزورونها لأسباب دينية قبل الإسلام.

كما يفهم من رواية لصاحب الأغانى ، أن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، كان قد قدم بيت المقدس فى تجارة قبل الفتح الإسلامى للمدينة [٢١].

وعندما بزغ نور الإسلام فى مكة المكرمة ، كان ذكر بيت المقدس يأتى مرتبطاً بأحداث مهمة فى تاريخ الدعوة الإسلامية ، وبالرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن أهم هذه الأحداث معجزة الإسراء والمعراج ، التى أسرى فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، حيث عرج به إلى السموات السبع[٢٢]، وجاء ذكر ذلك فى قوله تعالى "**سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** " [٢٣].

---

[٢٠] انظر : ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦١ ، ص٧٦.

[٢١] أبو الفرج الأصفهانى ، الأغانى ، (طبعة الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة) ، ج١٧ ، ص٣٥٩.

[٢٢] انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، القاهرة ١٩٧٨ ، ج٢ ، ص٣٢ وما بعدها ؛ أبو عبد الله السيوطى ، إتحاف الأخصا ، ص١٠٧ .

[٢٣] سورة الإسراء (١٧ : ١) .

فبيت المقدس من المساجد الثلاثة التى هى أفضل بقاع الأرض عند المسلمين ، وهى مكة والمدينة وبيت المقدس[24] . وعن أبى عباس أنه قال : بيت المقدس بنته الأنبياء ، وعمرته الأنبياء ، ما فيه موضع إلا وقد صلى فيه نبى[25] .

أما الحادثة الأخرى التى ربطت بين بيت المقدس وبين ذكريات وأحداث جليلة عند المسلمين ، فهى تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ، حيث كان المسلمون فى أول الأمر يتخذون من بيت المقدس قبلة يتوجهون إليها فى صلاتهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمنى أن تكون قبلة المسلمين إلى الكعبة ، حتى نزل الوحى على الرسول صلى الله عليه وسلم فى شعبان بعد مضى ثمانية عشر شهراً من مقدمه إلى المدينة[26] بتحويل القبلة إلى مكة ، وذلك فى قوله تعالى " **قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون**" [27] .

وقد أغضب هذا الأمر اليهود الذين كانوا يقيمون فى المدينة وما حولها ، واعتبروه تقليلاً من شأن بيت المقدس مركز ديانتهم ومقدساتهم ، وزاد حقدهم على الإسلام والمسلمين فيروى ابن سعد : " وكان اليهود قد أعجبهم إذ يصلى قِبَل بيت المقدس ، فلما ولى وجهه قِبَل البيت ، أنكروا ذلك" [28].

---

[24] انظر : ابن خلدون ، المقدمة ، ج٢ ، ص٨٥٤ ؛ أبو عبد الله السيوطى ، المصدر السابق ، ص ٩٨.

[25] ابن الفقيه الهمذانى ، مختصر كتاب البلدان ، ١٣٠٢ هـ ، ص ٩٦.

[26] انظر : ابن هشام ، السيرة ، ج٢ ، ص ١٨١ ، تاريخ الطبرى ، ج٢ ، ص ٤١٦ ـ ٤١٧ ؛ قارن: أبو عبد الله السيوطى ، المصدر السابق ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤.

[27] سورة البقرة (٢ : ١٤٤).

[28] ابن سعد ، الطبقات الكبرى (طبعة دار الشعب بالقاهرة ، مجلد ١ ، قسم ٢، ص ٥ ؛ أبو عبد الله السيوطى ، المصدر السابق ، ص ٨٥ .

الأوضاع السياسية والدينية قبيل الفتح

شهد الشام قبيل الفتح الإسلامى حركة بيزنطيـة ظـافرة قادهـا الإمـبراطور البـيزنطى هرقل (٦١٠ ـ ٦٤١م) الذى تمكن من تحقيق انتصار كبير على أعدائه الفرس ، وعقد معهم معاهدة استعاد بمقتضاها كافة الأقاليم التى سبق أن استولى عليها الفرس والآثار المقدسة التى سلبوها ، وخاصة "الصليب المقدس" أو "صليب الصلبوت" كما يسمونه[٢٩] .

كما شهدت مدينة بيت المقدس غزوة هذا الانتصار عندما قدم هرقل إلى المدينة فى ربيع سنة ٦٣٠م ، وفى احتفال مهيب أعاد وضع الصليب المقدس فى مكانه فى كنيسة الضريح المقدس أو كنيسة القيامة ، وسط فرحة رجال الدين وعامة المسيحيين فى المدينة[٣٠] ، ووزع هرقل المنح والهبات على كل الكنائس وأهل بيت المقدس[٣١] ، وكانت أول قراراته بعد الاحتفال ، هو أن أصدر أوامره بالانتقام من اليهود المقيمين فى بيت المقدس والتنكيل بهم . ويبدو أن هذا الأمر كان استجابة للشكوى المريرة من جانب سكان المدينة ورجال الدين المسيحى بها ، وتشير المراجع اليهودية إلى أن اليهود مدوا يد العون للقوات الفارسية الغازية عند استيلائها على مدينة أورشليم سنة ٦١٤م[٣٢] . ويبدو أنهم أساءوا معاملة المسيحيين خلال هذه الفترة ، فقد اتهم المسيحيون اليهود بأنهم كانوا أكثر قسوة من الفرس أثناء فترة احتلالهم للمدينة وقاموا بتدمير الكنائس وحرقها والفتك بالمسيحيين ، مما اضطر هرقل أن يتجاهل الأمان الذى منحه لليهود ، وأطلق يد رعاياه من المسيحيين الذين ارتكبوا مذبحة عامة ضد اليهود شملت جميع أنحاء الأقاليم التابعة للدولة البيزنطية[٣٣].

---

[29] Ostrogorsky, G., History of the Byzantine State, trans from the German by Joan Hussey, (London 1986) P. 103.

[30] Op. cit. P, 104.

[٣١] الباز العرينى ، الدولة البيزنطية ، ص ١٢٨.

[32] The Jewish Encyclopedia , Jerusalem.

[٣٣] الفريد بتلر ، فتح العرب لمصر ، القاهرة ١٩٨٩ ، ج١ ، ص ١١٩.

ورغم هذا فإن علاقة الدولة البيزنطية برعاياها من المسيحيين فى الشام ومصر لم تكن ـ كما قد يتبادر إلى الذهن ـ على وفاق وسلام ، فإن الإمبراطور هرقل أراد أن يفرض على رعاياه مذهباً دينياً يحسم به الخلاف حول طبيعة السيد المسيح ، مما أثار حدة الخلافات المذهبية بين رعاياه من المسيحيين وقاد إلى مزيد من العسف والاضطهاد ضد المسيحيين فى الشام ومصر[34] لرفضهم الانصياع لمذهب الإمبراطور.

موقف القوى الدينية من حركة الفتح الإسلامى

وفى ظل هذه الظروف كانت الجيوش الإسلامية تزحف على الشام ، وتفتتح مدنه الكبرى واحدة تلو الأخرى ، وتتوالى الهزائم على القوات الرومانية ، ويفر قادتها أمام الزحف الإسلامى الظافر[35] . ونحن فى هذا المقام لسنا بصدد التعرض لتفاصيل هزائم الروم فى الشام وخضوعه للمسلمين ، ولكن يهمنا قبل كل شئ الظروف التى فيها فتح بيت المقدس ، وما كانت عليه حال سكان المدينة قبيل الفتح ، وكيف كان موقفهم من دخول المسلمين إلى المدينة المقدسة ، وشعورهم بأن الفتح الإسلامى يعد منقذاً لهم مما عانوه تحت الحكم الرومانى[36] .

وفى رواية على قدر من الأهمية للبلاذرى يمكن أن توضح لنا موقف سكان الشام بوجه عام من الفتح الإسلامى لبلادهم فيقول: "إنه لما جمع هرقل المسلمين الجموع ، وبلغ المسلمون إقبالهم إليهم لموقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا : شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم ، فقال أهل حمص : لولايتكم وعدل لكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن ضد هرقل عن المدينة مع عاملكم ، ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل المدينة إلا أن نغلب ونجهد ، فأغلقوا الأبواب وحرسوها ، وكذلك فعل أهل المدن التى صولحت من النصارى واليهود"[37] .

---

[34] المرجع السابق ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩.

[35] Ostrogorsky , Op . cit , P , 111.

[36] انظر : موقف مسالمة الشام أثناء الفتح (محمد بن عبد الله الأزدى ، تاريخ فتوح الشام ، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٣١).

[37] انظر : البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٦٢.

والرواية السابقة ليست فى حاجة إلى تعليق ، فالنصارى واليهود فى الشام كانوا متمسكين باستمرار الوجود الإسلامى الناشئ فى مدنهم ، لما شعروا به من مظاهر الأمان والعدل فى ظل الحماية الإسلامية ، وأبدوا الرغبة فى مشاركة المسلمين فى القتال بجانبهم للمحافظة على ما حصلوا عليه من عهود[٣٨] تمنحهم الأمان على أموالهم وأرواحهم ، وتمكنهم من ممارسة شعائرهم الدينية فى حرية وسلام.

وينقل بتلر رواية فى نفس المعنى لأحد الكتاب المسيحيين وهو أبو الفرج بن العبرى (١٢٢٦ ـ ١٢٨٦م) نقلا عن كتابه تاريخ الدول قوله : "ولما شكا الناس إلى هرقل لم يجب جواباً ، ولهذا أنجانا الله المنتقم من الروم على يد العرب فعظمت نعمته لدينا أن أخرجنا من ظلم الروم ، وخلصنا من كراهتهم الشديدة ، وعداوتهم المرة ". ويعلق بتلر بمرارة على هذا النص بقوله : "وأنه من المحزن أن يقرأ الإنسان مثل هذا الترحيب من قوم مسيحيين بحكم العرب ، وزعمهم أن ذلك تخليص لهم ساقه الله إليهم "[٣٩].

استمرت الجيوش الإسلامية فى حركتها الظافرة فى الشام[٤٠]، وتمكن عمرو بن العاص قائد الحملة الإسلامية على فلسطين من التقدم بجيوشه لتحقيق هدفه[٤١] ويبدو أن عمر بن الخطاب كان يثق فى حسن قيادة عمرو ومقدرته العسكرية ، فيروى الطبرى أن عمرو بن العاص عندما تقدم بجيوشه فى اتجاه أجنادين ، وجد أن الروم قد حشدوا فيها قوات كبيرة بقيادة الأرطبون الذى جمع إليه عساكر غزة وبيسان ، كما حشد أعدادا كبيرة من رجاله بمدينة الرملة وبيت المقدس على أمل أن يعوق تقدم المسلمين إلى المدينة المقدسة وكان يوصف بأنه "أدهى الروم وأبعدهم غوراً وأنكاهم فعلاً" [٤٢]. وشعر عمرو بن العاص بأن قوات الروم تفوقه فى العدد ، وتتميز عليه بالتحصن فى قلاعها ، فكتب إلى الخليفة عمر بالخبر ، فلما جاءه كتاب عمرو قال : "قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب ، فانظروا عم تنفرج"[٤٣].

---

[٣٨] انظر أمثلة على هذه العهود التى حصل عليها أهل الشام ، البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٣٨، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٤.

[٣٩] انظر : بتلر ، المرجع السابق ، ص ١٤١.

[٤٠] انظر التفاصيل : الأزدى ، فتوح الشام ، ص ٨٧ وما بعدها.

[٤١] انظر : البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٢٩.

[٤٢] انظر : تاريخ الطبرى ، ج٣ ، ص ٦٠٥.

[٤٣] تاريخ الطبرى ، نفسه ، النويرى ، نهاية الأرب فى فنون الأدب ، (طبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب بالقاهرة) ، ج١٩ ، ص ١٦٩.

أحداث الفتح

أصدر الخليفة عمر أوامره إلى قواد الجيوش فى الشام بالتحرك إلى قيسارية والرملة وبيت المقدس ، حتى يخففوا الضغط العسكرى من جانب الروم ، ويشغلوهم عن عمرو بن العاص الذى كان هدفه فى هذه المرحلة فتح الطريق إلى بيت المقدس ، وتمكن معاوية بن أبى سفيان من شغل أهل قيسارية عن عمرو ، وتتابعت الإمدادات من كل جهة، حتى تمكن المسلمون من الاستيلاء على أجنادين وفر الأرطبون بفلول قواته إلى بيت المقدس سنة ١٥هـ / ٦٣٦م[٤٤].

احتشدت الجيوش الإسلامية حول بيت المقدس ، وقد حصنتها القوات الرومانية بقيادة الأرطبون ، ونصبوا المنجنيق على أسوارها ، مما صعب مهمة المسلمين فى الاستيلاء على المدينة واقتحامها ، فكتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر يبرر عدم تمكنه من اقتحام بيت المقدس ، وجاء فى كتابه قوله : "إنى أعالج عدواً شديداً".[٤٥]

وكعادة المسلمين قبل الاشتباك فى معارك عسكرية مع أهل البلاد التى فتحوها ، كانوا يعرضون عليهم التفاوض حول ثلاث خصال ليختاروا منها واحدة : وهى الدخول فى الإسلام أو دفع الجزية ، أو القتال . وتروى المصادر أن أبا عبيدة بن الجراح قائد جيوش المسلمين فى الشام ، وجه كتاباً إلى أهل بيت المقدس يحمل هذا المعنى ، جاء فيه " ... إنا ندعوكم إلى شهادة ألا اله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .. ، فإن شهدتم بذلك حُرِّمَت علينا دماؤكم وأموالكم ، وكنتم إخواننا فى ديننا ، وأن أبيتم فأقروا لنا بإعطاء الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، وأن أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حباً للموت منكم للحياة ، ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله حتى أقتل مقاتليكم ، وأسبى ذراريكم"[٤٦] .

لم يستجب القادة العسكريون داخل مدينة بيت المقدس المحاصرة لما عرضه عليهم المسلمون ، ولعلهم كانوا يأملون فى تحقيق النصر على القوات الإسلامية ، وجرت بعض

---

[٤٤] انظر : تاريخ الطبرى ، ج٣ ، ص ٦٠٦ - ٦٠٧ ، قارن ما أورده البلاذرى بشأن تاريخ وقعة أجنادين (فتوح البلدان ، ص١٣٦).

[٤٥] انظر : النويرى ، نهاية الأرب ، ج١٩ ، ص ١٧١.

[٤٦] انظر نص الكتاب كاملا فى : الأزدى ، فتوح الشام ، ص ٢٤٣.

المناوشات بين الجانبين ، وتمكن المسلمون من صد هجوم مفاجئ من جانب الجيش الرومانى لاختراق الحصار حول بيت المقدس ، واضطرت القوات الرومانية إلى التراجع والاحتماء بأسوار المدينة ، ومع شدة الحصار الذى دام ما يقرب من أربعة شهور ، أدرك المحاصرون صعوبة موقفهم ، وأنه لا سبيل أمامهم إلا التفاوض مع المسلمين[٤٧].

رغبة المسيحيين فى الصلح

ويفهم من المصادر أن التفاوض مع المسلمين كان رغبة أهل بيت المقدس من النصارى ، وهم معظم سكان المدينة فى ذلك الوقت بعد ما سبق الإشارة إليه من مذبحة اليهود التى وقعت منذ سنوات ، أما العناصر الرومية العسكرية ، فإنهم إن كانوا قد اضطروا تحت ضغط الحصار الإذعان لمبدأ التفاوض وعقد الصلح مع المسلمين ، فإنهم ما كانوا ليعترفوا بالهزيمة بسهولة ، فقائد الحامية العسكرية الرومانى عندما وضح له استحالة الاستمرار فى المقاومة والصمود للحصار الإسلامى ، هرب مع قواده من بيت المقدس ولجأ إلى مصر[٤٨] ويبدو أنهم تسللوا خلسة من منافذ يعرفونها بعيداً عن رقابة المسلمين على أمل الاستمرار فى التصدى للزحف الإسلامى الظافر فى معركة أخرى كانوا يتوقعونها فى مصر.

وكيفما كان الأمر ، فإن أهل بيت المقدس ، وكان يمثلهم البطريق النصرانى "سفرنيوس" ، اشترطوا لتسليم مدينتهم للمسلمين ، أن يكون الخليفة عمر بن الخطاب هو المؤمن لهم ، والذى يمنحهم العهد ويوقع العقد[٤٩] .

وكتب عمرو بن العاص كتاباً إلى الخليفة بالمدينة موضحاً له مطالب أهل بيت المقدس ، والموقف العسكرى حول المدينة[٥٠] . وتشير الروايات التاريخية أن الخليفة عمر اجتمع بمستشاريه من كبار الصحابة وعرض عليهم كتاب عمرو بن العاص ، ومطالب

---

[٤٧] انظر التفاصيل : الأذرى ، فتوح الشام ، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

[٤٨] تاريخ الطبرى ، ج٣ ، ص ٦٠٨ ، النويرى ، نهاية الأرب ، ج ١٩ ، ص ١٧٢ ـ ١٧٣.

[٤٩] انظر التفاصيل : البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ، بتلر ، المرجع السابق ، ج١ ، ص ١٤٨.

[٥٠] تاريخ الطبرى ، ج٣ ، ص ٦٠٧ ، الحميرى ، الروض ، ص ٦٨.

أهل بيت المقدس بضرورة قدوم الخليفة بنفسه إلى مدينتهم لتسليمها له ، وكان هناك رأى عارَض فكرة خروج الخليفة من عاصمته إلى بيت المقدس لأن هذه حادثة ليس لها مثيل فى الفتوحات الإسلامية ، ويجب أن يشعر أهل بيت المقدس بعدم اهتمام الخليفة بمطالبهم، وأنه لن يمر وقت طويل حتى يضطروا إلى الخضوع للمسلمين ، ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وكان يتزعم هذا الرأى عثمان بن عفان.

أما الرأى الآخر فكان يؤيد خروج الخليفة بنفسه إلى بيت المقدس استجابة لدعوة أهلها ، وكان يمثله على إبن أبى طالب الذى رأى فى هذا الإجراء حسماً للنزاع حول المدينة وحقناً للدماء التى قد تهدر من جانب المسلمين ، وكان رد عمر على الاقتراحين قوله : " قد أحسن عثمان فى مكيدة العدو ، وقد أحسن على النظر لأهل الإسلام"[٥١] .

قرر عمر بن الخطاب المسير إلى بيت المقدس ، وقبل خروجه من المدينة عاصمة الخلافة كتب إلى أمراء الأجناد بالشام أن يستخلف كلاً منهم على عمله وأن يجتمعوا به فى الجابية[٥٢] فى يوم حدده لهم[٥٣]، وفى طريقه إلى الجابية التقى به بعض اليهود وتنبئوا له بالنصر وأن يتم فتح بيت المقدس على يديه[٥٤] ولعل هذه كانت أمنيتهم ليس حباً فى المسلمين ، بل كراهة وغيظاً للروم والنصرى فى المدينة لما نالهم منهم من قتل وتشريد على يديهم[٥٥]، كما صادف الخليفة قوماً مجذومين من النصارى فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجرى عليهم القوت[٥٦]

---

[٥١] انظر التفاصيل : الأزدى ، فتوح الشام ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ، البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٦٤ ، أبو عبد الله السيوطى ، المصدر السابق ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

[٥٢] الجابية : قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان قرب مرج الصفر ، بالقرب منها تل يسمونه تل الجابية ، ويقال لها جابية الجولان (أنظر البغدادى ، مراصف ، ج١ ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥).

[٥٣] انظر رواية الطبرى التى يذكر فيها أن عمر بن الخطاب زار الشام أربعة مرات فى خلافته (تاريخ الطبرى ، ج٣ ، ص ٦٠٧).

[٥٤] انظر : تاريخ الطبرى ، ج٣ ، ص ٦٠٧ ـ ٦٠٨.

[٥٥] انظر : بتلر ، فتح العرب لمصر ، ج١ ، ص ١١٩.

[٥٦] البلاذرى ، فتوح ، ص ١٥٣.

وعندما اقترب الخليفة عمر من الجابية خرج المسلمون لاستقباله ، وخرج إليه أبو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبى سفيان ، وخالد بن الوليد ، ولم يكن عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة فى استقباله لأنهما كانا على حصار بيت المقدس[٥٧] .

وبعث أبو عبيدة إلى أهل المدينة يعلمهم بحضور أمير المؤمنين حتى يخرجوا للقائه ، فخرج من المدينة البطريرك سقرنيوس[٥٨] فى جماعة من عظماء النصارى "وترجل الرهبان والقسس والأساقفة معه ، وقد حمل بين يديه صليباً لا يخرجونه إلا فى يوم عيدهم، وقال لأهل بيت المقدس بعد أن تأكد من شخص الخليفة : انزلوا إليه اعقدوا معه الأمان والذمة ، هذا والله صاحب محمد بن عبد الله"[٥٩] .

وهكذا يمكن القول إن رجال الدين المسيحى فى بيت المقدس كانوا يسيطرون على مجريات الأمور فى المدينة ، وبيدهم سلطة التفاوض وعقد الصلح مع المسلمين ، ولا سيما بعد أن فر قادة الرومان من العسكريين إلى مصر بعد أن أيقنوا من الهزيمة[٦٠]، وضاقت أنفسهم بشدة الحصار.، وهذا ما كان يشعر به أهل المدينة ، ففى رواية لصاحب فتوح الشام يتضح مدى تطلع أهل بيت المقدس للتخلص من قسوة الحصار والحصول على الصلح والأمان ، فما كادوا يسمعون كلام البطريرك سقرنيوس حتى نزلوا مسرعين، وكانوا قد ضاقت أنفسهم من الحصار ، ففتحوا الأبواب ، وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد والميثاق والذمة ، ويقرون له الجزية[٦١] .

أمان الخليفة عمر لأهل القدس

استجاب الخليفة عمر لمطالب أهل القدس فى طلب الصلح والأمان ، ورغم أن شروط الصلح لا تختلف كثيراً عما سبق أن تعهد به المسلمون لأهل البلاد المفتوحة ، إلا

---

[٥٧] انظر : النويرى ، نهاية الأرب ، ج١٩ ، ص ١٧١ - ١٧٢.

[٥٨] انظر : بتلر ، المرجع السابق، ج١ ، ص ١٤٨ ، السيد الباز العرينى ، الدولة البيزنطية، ص ١٣٠ ، وتسمية المصادر الإسلامية ابن الجعيد ، وأبو الجعيد والعوام (انظر : تاريخ الطبرى ، ج٣ ، ص ٦٠٨ ، الحميرى ، الروض ، ص ٦٩).

[٥٩] الأزدى ، فتوح الشام ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

[٦٠] انظر : تاريخ الطبرى ، ج٣ ، ص ٦٠٨ ، النويرى ، نهاية الأرب ، ج١٩ ، ص ١٧٢ - ١٧٣.

[٦١] الأزدى ، فتوح الشام ، ص ٢٥٨.

أنه نظراً لأهمية هذا الأمان فى موضوع بحثنا ، فسنعرض لأهم النقاط التى وردت فيه طبقاً لأقدم الروايات فى هذا الشأن وهى رواية الطبرى[٦٢] .

جاء فى نص الأمان : "بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم .. أن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ... ولا يكرهون على دينهم".

ويمكن اعتبار هذه الفقرة أهم ما جاء فى الأمان ، ففيها تحديد واضح لما يتمتع به أهل بيت المقدس فى ظل الأمان من حرية دينية ، واقتصادية ، فلهم الحق فى الاحتفاظ بدور عبادتهم دون اعتداء أو تدمير ، مع حرية ممارسة شعائرهم والحفاظ على معتقداتهم دون تدخل أو إكراه ، بالإضافة إلى ممارسة حياتهم الاقتصادية وعدم التعرض للأرواح والأموال.

وقد وردت عبارة فى النص لها أهميتها فى توضيح الصراع الدينى بين اليهود والمسيحيين فى بيت المقدس ، ومدى ما كان يشعر به كل فريق من كره ضد الفريق الآخر ، فقد جاء فى نص الأمان "ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود". وواضح أن المباشرين للتفاوض مع المسلمين حول بنود الأمان كانوا من النصارى ، وأن اليهود كانوا على خلاف شديد معهم مما جعلهم فئة غير مرغوب فى بقائها أو عودتها إلى مدينة بيت المقدس ، ويؤكد هذا رواية صاحب الروض المعطار الذى ذكر أن أهل بيت المقدس أصروا على أن يذكر فى الأمان "ألا يساكنهم اليهود فيها"[٦٣] مما قد يوحى بالإضافة إلى الأحقاد المشتعلة بين الجانبين ، أن اليهود فى بيت المقدس كانوا أقلية ولا وزن لهم فى ذلك الوقت بعد المذبحة التى جرت ضدهم أثناء وجود هرقل فى بيت المقدس لإعادة الصليب المقدس كما ذكرنا.

ومن المنطقى أنهم لو كانوا يمثلون قوة لها تأثيرها فى بيت المقدس ما استجاب المسلمون لمثل هذا الشرط ، ولاسيما أن المدينة تضم مقدسات ذات أهمية دينية لدى

---

[٦٢] انظر النص الكامل للأمان ، تاريخ الطبرى ، ج٣ ، ص ٦٠٩.

[٦٣] انظر : الحميرى الروض ، ص٦٩ ، أبو عبد الله السيوطى ، إتحاف الأخصا ، ص ٢٣٢.

اليهود ، وفى نفس الوقت فإننا لا نلاحظ مثيلا لهذا الشرط فى العهود التى سبق أن منحها المسلمون لأهل البلاد المفتوحة . ومما هو جدير بالملاحظة أننا لم نصادف فى المصادر التى بين أيدينا ما يشير إلى أعداد اليهود والنصارى وغيرهم من السكان فى بيت المقدس عند الفتح الإسلامى ، ولكن هناك رواية عن الأعداد الإجمالية للروم وسكان المدينة الأصليين دون تصنيف ، فيروى أنه كان بالمدينة "اثنا عشر ألفاً من الروم وخمسون ألفاً من أهل الأرض" أى سكان المدينة[٦٤].

ويبدو أن اليهود الذين شردوا من بيت المقدس ، سواء هرباً من المذبحة السابق ذكرها ، أو تنفيذاً للعهد والأمان الذى حصل عليه أهل المدينة من المسلمين ، كانوا يتحينون الفرصة للانتقام من أعدائهم ، ففى رواية للبلاذرى لاحقة لفتح بيت المقدس ، تتعلق بفتح مدينة "قيسارية"[٦٥] يفهم أن هذه المدينة كان بها مائتا ألف يهودى[٦٦] ، ورغم احتمال المبالغة فى هذا العدد ، إلا أن الرواية تذكر أن اليهود بقيسارية ، ساعدوا المسلمين على اقتحام المدينة بعد أن دلوهم على طريق مائى يخترق أسوارها ، وكان ثمن هذا الموقف أن حصل اليهود على الأمان من المسلمين ، وقتل وأسر معظم الروم فى المدينة نتيجة لمفاجأة المسلمين لهم وقطعوا عليهم طريق الهرب[٦٧] .

وإذا عدنا للأمان العمرى لأهل بيت المقدس ، نلاحظ فى نص الأمان - بعد ذكر الحقوق السابقة التى يتمتع بها أهل المدينة فى ظله - ، ذكر الواجبات التى عليهم الالتزام بها ، وهى فى جملتها تتمثل فى دفع الجزية وإخراج من فى بيت المقدس من الروم والخارجين على النظام واللصوص[٦٨] كما أعطى الأمان حرية الخروج من المدينة فى سلام لكل من يرغب فى ذلك ، حتى يبلغ مأمنه ولا يتعرض المسلمون لشئ من أموال الخارجين أو ما يحملونه معهم من متاع. وفى ختام الأمان تأتى هذه العبارة المؤكدة له :

---

[٦٤] انظر : أبو عبد الله السيوطى ، المصدر السابق ، ص ٢٢٧.

[٦٥] قيسارية : بلدة على ساحل بحر الشام ، تعد من فلسطين ، بينها وبين طبرية مسيرة ثلاثة أيام (انظر : مراصد الإطلاع ، ص ١١٣٩).

[٦٦] انظر : البلاذرى ، فتوح ، ص ١٦٨.

[٦٧] انظر التفاصيل ، البلاذرى ، فتوح ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ (الذى يذكر أن قيسارية فتحت بين سنتى ١٩ ، ٢٠ هـ).

[٦٨] انظر : تاريخ الطبرى ، ج٣ ، ص ٦٠٩ ، أبو عبد الله السيوطى ، المصدر السابق ص ٢٢٧.

"وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين ، إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية[٦٩] ، شهد على ذلك : خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وكتب وحضر سنة خمس عشرة"[٧٠].

وبعد أن تسلم زعماء بيت المقدس الأمان ، قام الخليفة عمر خطيباً فى المسلمين ، فأشاد بالنصر العظيم الذى حققه المسلمون فى هذا اليوم المبارك بفضل الله سبحانه وتعالى وتأييده لعباده المخلصين ، وحضرت الصلاة ، فطلب عمر من بلال مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم وكان حاضراً ـ أن يؤذن للصلاة ، فقال بلال : " يا أمير المؤمنين ، أما والله ما أردت أن أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن سأطيعك اليوم إذ أمرتنى بهذه الصلاة وحدها " ، فلما أذن بلال وسمعته الصحابة ، ذكروا نبيهم صلى الله عليه وسلم فبكوا بكاءً شديداً[٧١] وكان يوماً مشهوداً احتفالا بفتح المسلمين لبيت المقدس.

وعندما دخل عمر بيت المقدس ، سأل عن الصخرة المقدسة[٧٢] فأرى مكانها وقد علاها الزبل والتراب ، فأمر بتنظيفها وبنى عليها مسجداً "على طريق البداوة"[٧٣] حسب تعبير ابن خلدون ، أى بنى مسجداً بسيطاً فى بنائه ومظهره ويبدو أنه كان من الخشب[٧٤]

---

[٦٩] كانت الجزية فى عهد عمر بن الخطاب محددة على الشخص البالغ القادر بالذهب أربعة دنانير ، وبالفضة أربعين درهما ، وجعلهم عمر طبقات : الغنى والمقل والمتوسط ، أما المعدم فليس عليه جزية (أنظر : البلاذرى ، فتوح ، ص ١٤٨).

[٧٠] تاريخ الطبرى ، ج٣ ، ص ٦٠٩ ، مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة ، جمعها محمد حميد الله ، القاهرة ١٩٤١ ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ـ أما عن تاريخ فتح بيت المقدس ، فقد اختلف المؤرخون فى ذلك ويتراوح ما ذكروه بين سنتى ١٥هـ ، ١٧هـ (أنظر : البلاذرى ، فتوح ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ، تاريخ الطبرى ، ج٣ ، ص ٦١٠ ، أبو عبد الله السيوطى ، المصدر السابق ، ص ٢٤٠).

[٧١] انظر : الأزدى ، فتوح الشام ، ص ٢٥٦.

[٧٢] يقال إن هذه الصخرة هى التى ربط الرسول صلى الله عليه وسلم عندها البراق ليلة الإسراء ، وهى حجر مرتفع مثل الدكة ارتفاعها عن الأرض نحو قامة (أنظر : الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٣٥٩ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج٤ ، ص ١٠٠).

[٧٣] انظر ابن خلدون ، المقدمة ، ج٢ ، ص ٨٦٥.

[74] The Jewish Encyclopedia Art, Jerusalem.

وخط به محراباً[٧٥] وبقى بالمدينة عدة أيام حتى حل يوم الجمعة فصلى بها الجمعة مع أصحابه ثم غادرها إلى المدينة[٧٦] .

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت مدينة بيت المقدس من أملاك الدولة الإسلامية الناشئة ، وكانت تابعة فى إدارتها طبقاً للتقسيم الإدارى لجند فلسطين[٧٧]، وجعل عمر "علقمة بن حكيم" على نصف فلسطين ، وأسكنه الرملة[٧٨]، وجعل "علقمة بن مجزر" على نصفها الآخر ، وأسكنه بيت المقدس[٧٩]، وبذلك يعد علقمة بن مجزر هذا أول والٍ على بيت المقدس من قِبَل الخلافة الإسلامية بعد فتح المدينة.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية

- ابن الأثير : على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى (ت ٦٣٠هـ). الكامل فى التاريخ ، القاهرة ١٣٠٣هـ.
- الإدريسى : محمد بن عبد الله بن إدريس (من علماء القرن السادس الهجرى) . نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- الأزدى : محمد بن عبد الله (ت ٢٣١ هـ) . تاريخ فتوح الشام ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٧٠.

---

[٧٥] انظر عن مسجد عمرو المحراب ، أبو عبد الله السيوطى ، إتحاف الأخصا ، ص ١٩٦.

[٧٦] البلاذرى ، فتوح الشام ، ص ٢٥٩.

[٧٧] يروى البلاذرى أن هناك خلافاً حول تسمية الأجناد من حيث التقسيم الجغرافى والمدلول ، فقال بعضهم : سمى المسلمون فلسطين جنداً لأنه جمع كورا ، وكذلك دمشق والأردن ، وكذلك حمص وقنسرين ، وقال بعضهم سميت كل ناحية لها جند يقبضون رواتبهم بها جنداً ، وذكروا أن الجزيرة كانت تابعة لقنسرين ، فجندها عبد الملك بن مروان ، أى جعلها مستقلة ، فصار جنودها يأخذون رواتبهم من خراجها ومن هنا جاء فى الأصل تدوين الدواوين فى عهد عمر بن الخطاب ، حيث نلاحظ فى رواية لابن سعد الارتباط بين تجنيد الجند وتدوين الدواوين بهدف منح الجند أعطياتهم (أنظر : ابن سعد ، الطبقات ، ج٣ ، قسم ١ ، ص ٩٢ ، البلاذرى ، فتوح الشام ص ١٥٦).

[٧٨] يروى ياقوت أن الرملة مدينة عظيمة بفلسطين ، كانت قصبتها ـ وكانت دار ملك داود وسليمان .. ولما ولى الوليد بن عبد الملك ، وولى أخاه سليمان جند فلسطين نزل اللد ، ثم نزل الرملة ومصرها (معجم البلدان لياقوت ، مادة الرملة) مما يوحى بأن الرملة كانت معروفة قبل الفتح الإسلامى بهذا الاسم.

[٧٩] النوير ، نهاية الأرب ، ج١٩ ، ص ١٧٢.

- البلاذرى : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ) . فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٦.

- البغدادى : عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩ هـ) . مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، بيروت ١٩٥٥ .

- ابن حزم : على بن أحمد (٤٥٦ هـ) . الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، تحقيق عبد الرحمن عميرة وآخر ، جدة ١٩٨٢.

- الحميرى : محمد بن عبد المنعم :(ت فى القرن التاسع الهجرى) . الروض المعطار فى خبر الأقطار ، بيروت ١٩٧٥ .

- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) :

١- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق على عبد الواحد وافى ، القاهرة ١٩٨١ .

٢- تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، بيروت ١٩٧١ .

- ابن خلكان : أحمد بن محمد بن على (ت ٦٨١ هـ) . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ - ١٩٧٢ .

- أبو زكريا : يزيد بن محمد بن إياس الأزدى (ت ٣٣٤ هـ) . تاريخ الموصل ، القاهرة ١٩٦٧ .

- ابن سعد : أبو عبد الله محمد الزهرى (ت ٢٣٠ هـ) . الطبقات الكبرى (طبعة دار التحرير بالقاهرة).

- السيوطى : أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن عبد الخالق المنهاجى شمس الدين (ت ٨٨٠هـ)

إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، تحقيق د. أحمد رمضان احمد القاهرة ١٩٨٢.

- الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) . تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (طبعة دار المعارف بالقاهرة) .

- ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧ هـ) . فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦١ .

- ابن العديم : كمال الدين أبو القاسم الحلبى . زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامى الدهان ، دمشق ١٩٥١ .

- أبو الفرج الأصفهانى : على بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) . كتاب الأغانى (طبعة الهيئة العامة للكتاب القاهرة) .

- ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم الدينورى (٢٧٦ هـ) . كتاب المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، القاهرة ١٩٦٩ .

- ابن القلانسى : أبو يعلى حمزة (ت ٥٥٥ هـ) . ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ .

- القلقشندى : أبو العباس أحمد (ت ٨٢١ هـ) . صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، القاهرة ١٩٦٣ .

- مجموعة الوثائق السياسية فى العصر النبوى والخلافة الراشدة ، جمعها محمد حميد الله ، القاهرة ١٩٤١.

- أبو المحاسن : جمال الدين بن يوسف (ت ٨٧٤ هـ) . النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، طبعة دار الكتب ١٩٦٣ .

- المسبحى : محمد بن عبيد الله (ت ٤٢٠ هـ) . أخبار مصر فى سنتين (٤١٤ -٤١٥ هـ) . تحقيق وليم ميلورد ، القاهرة ١٩٨٠ .

- **المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥ هـ) . إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ج٢، ج٣ : تحقيق محمد حلمى ، القاهرة ١٩٧١ ، ١٩٧٣ م .**

- أبو منصور الجواليقى (ت ٥٤٠ هـ) . المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، القاهرة ١٩٦٩.

- ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد (ت ٧١١ هـ) . لسان العرب (طبعة دار المعارف بالقاهرة).

- ابن ميسر : تاج الدين محمد بن على (ت ٦٧٧ هـ) . أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، نشر المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٨١ .

- ناصر خسرو علوى (ت ٤٨١ هـ) . سفر نامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥.

- النعمان : القاضى أبو حنيف محمد بن حيون الغربى (ت ٣٦٣ هـ) . دعائم الإسلام ، تحقيق اصف على فيظى ، القاهرة ١٩٥١

- النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ) . نهاية الأرب فى فنون الأدب (طبعة الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة).

- ابن هشام : أبو محمد عبد الملك المعافرى (ت ٢١٣ هـ) . السيرة النبوية ، القاهرة ، ١٩٧٨.

- الهمذانى : أبو بكر أحمد بن إبراهيم . مختصر كتاب البلدان ، ١٨٨٥.

- ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله الحموى (ت ٦٢٦ هـ) . معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٥ .

- يحيى بن سعيد الانطاكى : (ت ٤٥٨ هـ) . التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ١٩٠٥.

ثانياً : المراجع العربية الحديثة

- أحمد مختار العبادى (دكتور) . فى التاريخ العباسى والفاطمى ، الإسكندرية ١٩٨٧.

- الفريد بتلر ، فتح العرب لمصر ، القاهرة ١٩٨٩.

- حسن إبراهيم حسن (دكتور). تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٦٤.

- سيدة إسماعيل كاشف (دكتور) ، مصر فى عصر الأخشيديين ، القاهرة ١٩٧٠.

- السيد الباز العرينى (دكتور) ، الدولة البيزنطية ، القاهرة ١٩٨٢.

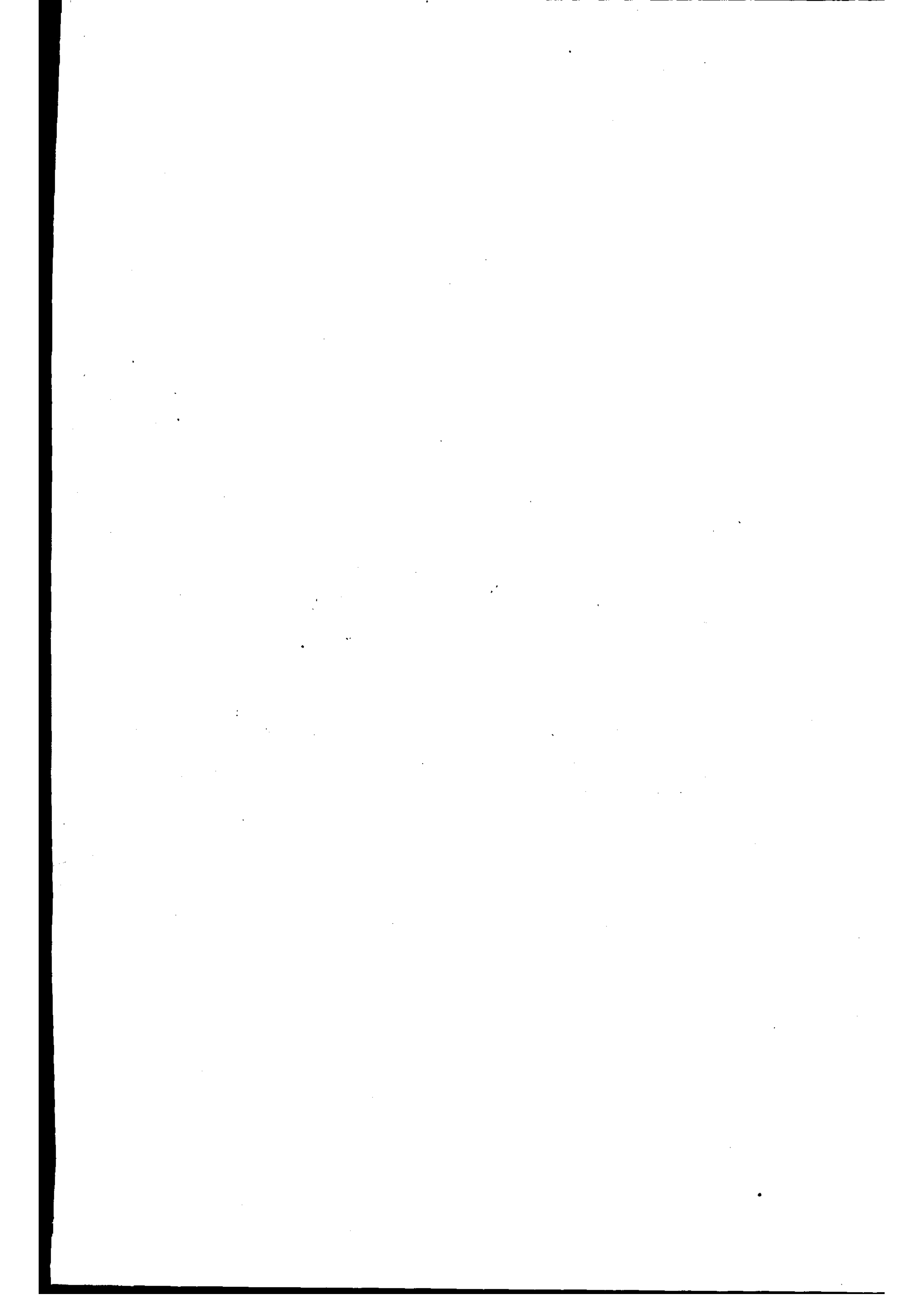
- شاكر مصطفى (دكتور) ، دولة بنى العباسى ، (٢ جزء) ، الكويت ١٩٨٣.

- محمد جمال الدين سرور (دكتور) ، سياسة الفاطميين الخارجية ، القاهرة ١٩٦٧.

- محمد ضياء الدين الريس (دكتور) ، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ، القاهرة ١٩٦٩.

ثالثاً : المراجع الأجنبية

- Fischel : Jews in economic and political life of Medieval Islam (London 1968).
- O'leary De Lacy : A short history of the Fatimid Khalifate (London 1932).
- Ostrogorsecy, G: History of the Byzantine state, trans from the German by Joan Hussey (London 1986).
- Runciman, S., A History of the Coursades, 3 vols, (London, 1971).
- Stanely Lane - Pool : A history of Egypt in the middle ages (London 1901).
- The Jewish Encyclopedia.



الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩ ـ ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل ـ جامعة أسيوط

سياسة التهويد الإسرائيلية لمدينة القدس منذ عام ١٩٦٧م حتى وقتنا الحاضر

دكتور سليمان محى الدين سليمان فتوح

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر ـ كلية التربية ببورسعيد ـ جامعة قناة السويس

تمهيد

تقع القدس فى منتصف فلسطين ، ومنها ينتشر العديد من الطرق إلى رام الله ونابلس شرقاً وبيت لحم والخليل غرباً والبحر المتوسط شمالاً ومنطقة أريحا والأغوار جنوباً ، وبنيت على جبل يتراوح ارتفاعه من ٧٢٠- ٧٨٠ متراً فوق سطح البحر ويبعد عن ساحل البحر بحوالى ٢٥ كم على خط مستقيم و ٥٩ كم على الطرق الطبيعية كما تبعد عن البحر الميت حوالى ١٠ كم على خط مستقيم و ٣٧ كم على الطرق الطبيعية .

وتنقسم المدينة إلى قسمين ، قسم داخل السور وهو البلدة القديمة ومساحتها حوالى كيلومتر مربع وتقع فيها الأماكن المقدسة للإسلام والمسيحية وآثار لليهودية ، وقسم خارج السور الذى يبلغ طوله ٤٢٠٠ متر وارتفاعه حوالى ٣٠ قدماً وبه العديد من الأبواب : باب الأسباط - الباب الذهبى - باب المغاربة - باب النبى داود - باب الخليل - الباب الجديد - باب العمود - وباب الساحرة [1].

وربما أطلق أكثر من اسم على كل باب منها ، فتسود تلك الأسماء وتختفى حسب المرحلة التاريخية . وكان بالسور ما يقرب من ٣٠ برجاً وقلعة كبيرة فى هذا القرن ،

[1] راجع على الخريطة ، أبواب القدس وأماكن وجودها (شكل١) ، وكذلك
Eva Goldman, A History of the Jewish People and their Promised Land, London. p. 103.

وداخل السور يقع مسجد قبة الصخرة المشرفة الذى بناه الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان (٦٨٥ - ٦٩١م) . ويقع المسجد الأقصى إلى الجنوب من مسجد قبة الصخرة الذى بدأ الخليفة عبد الملك بن مروان فى بنائه عام ٦٩٣م .

وبلغ عدد سكان المدينة القديمة ذات الأغلبية المسلمة كما ورد فى تعداد عام ١٩٩٠م حوالى ٢٧ر٨٠٠ ألف نسمة ، وقد أطلق على هذا القسم " القدس الشرقية " وهى التى بقيت خاضعة للسيادة العربية لوجود قوات الجيش العربى التابع للمملكة الأردنية الهاشمية، وأما الجزء الثانى فقد أطلق علية " القدس الغربية " والتى خضعت للسلطات الإسرائيلية حيث قامت باحتلالها وضمها إلى إسرائيل واعتبرتها جزءاً من دولة إسرائيل وعاصمة لها.

وقد بلغ عدد السكان بالقدس بقسميها الشرقى والغربى حسب تعداد عام ١٩٩٠م حوالى ١٣٥ر٠٠٠ ألف نسمة. وتحتوى القدس الغربية (الجديدة) على العديد من المستوطنات وأصبحت مساحتها ١٠٥ كم٢ وعدد سكانها ٤٩٥ر٠٠٠ ألف نسمة طبقاً لإحصاء عام ١٩٩٠م.

وتأتى مدينة القدس فى المقام الأول فى المخططات الصهيونية وهى قمة أطماعها الأولى ونقطة ارتكازها[٢] ، كما أخذت إسرائيل فى تهويد مدينة القدس فعليا باتخاذها خطوات عملية جادة ظهرت فيما أعلنه الزعماء الإسرائيليون من تصريحات تبين ماهية الضم منذ إعلان الدولة اليهودية عام ١٩٤٨م.

ومن أبرز تلك المخططات إعلان القدس المحتلة عام ١٩٤٨م عاصمة لإسرائيل فى ١٩٤٨/١٢/١١م ونقل مقر الحكومة الإسرائيلية إليها ، كما أصدرت قانون الغائبين فى ١٩٥٠/٣/٣١م الذى يبيح للمواطن الإسرائيلى حرية التصرف فى الممتلكات والأراضى العربية باعتبار كل مواطن عربى غادر الأرض أو غاب عنها منذ ١٩٤٨/٩/١م لا يحق

---

[٢] راجع على الخريطة موقع القدس بين القارات الثلاث (آسيا - أفريقيا - أوروبا) (شكل ٢) ، وكذلك
Lewis, H. : The Holy Places of Jerusalem. P.P. 13-7.
Donalds Will : Zionist settlement ideolgy and its ramifications for the Palestinian people . Journal of Palestine Studies. vol 11 (No 3), 1928. P. 37.

له العودة إلى مدينة القدس ، كما قامت بإتباع المدينة إدارياً إلى سلطات الحكم العسكرى الإسرائيلى منذ يونيو ١٩٦٧م حيث قامت بإلغاء القوانين الأردنية التى كان معمولاً بها.

هذا إلى جانب العديد من الممارسات الإسرائيلية على السكان العرب لمصادرة الأراضى والأحياء وإعلان الضم من الناحية السياسية لإسرائيل بجعل القدس عاصمة أبدية لها منذ ١٩٨٠/٧/٣٠م.

ومن خلال هذه الدراسة والبحث فى ملف القدس بدءاً من بداية الاحتلال الإسرائيلى للمناطق العربية فى ٥ يونيو ١٩٦٧م حتى وقتنا الحاضر نجد أن الممارسات الإسرائيلية أخذت تزداد وضوحاً فى القدس ، الأمر الذى يؤكد الاستمرار فى تلك السياسة العدوانية نحو الأرض والشعب على حد سواء ، وكذلك تركيز المؤسسات اليهودية باختلاف أشكالها وأنواعها على تصوير احتلال مدينة القدس على أنه بداية مرحلة الخلاص للشعب اليهودى، فعملوا منذ احتلالها على تهويدها ، وذلك بمزاحمة سكانها المسلمين بجلب وتوطين الآلاف من العائلات اليهودية داخلها وإحاطتها بالعديد من المستعمرات اليهودية.

وهو ما حاولنا تبيانه فى هذا البحث ، بالاعتماد على الوثائق التى قد حُصل عليها من المصادر المختلفة ، ومنها النشرات التى تصدر عن الإدارة المدنية للحاكم العسكرى فى القدس ، إلى جانب المراجع العلمية التى كتبت عن القدس.

أولاً : موقف الحكومة الإسرائيلية من المقدسات الإسلامية

تتمتع مدينة القدس بمنزلة دينية منذ أن باركها الله سبحانه وتعالى بقوله " **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله** "[٣] . وتزخر مدينة القدس بالمعالم الإسلامية التى تنتشر فى أنحاء المدينة فى القسم القديم منها ، حيث تشتمل على مجموعة منها ، كمسجد القدس الشريف ومسجد الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك والجامع العمرى وحائط البراق ، هذا إلى جانب الأماكن الوقفية الإسلامية المتعددة والمدارس الإسلامية التى تعنى بتدريس العلوم الشرعية واللغوية ، كما

[٣] قرآن كريم ، سورة الإسراء ، آية ١.

يوجد العديد من الزوايا الإسلامية إلى جانب الآثار التى خلفها المسلمون والتى مازالت من أبرز المعالم فى تلك المدينة[٤].

وقد أصبحت القدس مركزاً للتطلعات الدينية والقومية اليهودية ، من خلال إنشاء بيت قلداس أو الهيكل كما يطلقون عليه ، وأخذوا يطالبون اليهود بالقيام برحلات إلى القدس ثلاث مرات فى السنة لأداء "الحج" واعتبروها قبلة الصلاة اليهودية كما اتبعوا التقويم اليهودى.

ومنذ احتلال إسرائيل للقدس فى عدوانها يوم ٥ يونيو ١٩٦٧م على الدول العربية أظهرت النوايا الخفية لها وأهدافها المرسومة منذ مئات السنين الرامية إلى تدمير المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان مكانه حيث كان حلمها أن تجد آثاراً لهذا الهيكل فتقوم ببنائه من جديد ويكون بمثابة كعبة اليهود فى العالم ، فقد سعت منذ استيلائها على المدينة إلى تشويه وتدمير المعالم الإسلامية تطبيقاً لمبدأ الحكمة القائلة "إذا ما أريد قتل روح شعب فيجب تدمير حضارته وبنيانه الثقافى"[٥]، فاستولت على حى المغاربة وهدمته وهدمت إلى بجواره مسجدين كانا يخدمان سكانه ، كما أصدر وزير المالية الإسرائيلى قراراً بمصادرة مساحة واسعة ملاصقة للمسجد الأقصى واعتبارها أملاكاً إسرائيلية واشتملت على ٥ مساجد ، و ٤ مدارس ، ومركزين ثقافيين إسلاميين هما زاوية أبى مدين الغوث والزاوية الفخرية[٦] .

كما قامت بهدم ١٤ مبنى تاريخياً وإسلامياً فى ١٤ يونيو ١٩٦٩م بواسطة الجرافات الإسرائيلية وفى العشرين من الشهر نفسه قامت بمصادرة ١٧ مبنى ، منها المدرسة التنكرية فى باب السلسلة والتى استعملتها مقراً للجيش الإسرائيلى . وقد حُرص على الاستمرار بالمطالبة بالكشف عن جانبين كاملين من الحرم الشريف ويشكلان المنصة

---

[٤] راجع : عبد الفتاح أبو عليه (دكتور) وعبد الحليم عويس (دكتور) : بيت المقدس فى ضوء الحق والتاريخ ، دار المريخ ، ١٩٨١م ، ص ٤٠-٥٢.

[٥] مجلة الوعى الإسلامى ، عدد ٣٦٨ سبتمبر ، ١٩٩٦م.

[6] The Report of the commission of investigation into the Events on the temple mount in the Ruth Lapidoth.

Moshe Hirch. The Jerusalem Question and its Resolution, Selected Documents (Dordrecht, Martinns Nijhoff Publishers), 1994. P. 455.

الضخمة التى يقوم فوقها المسجدان من ناحية الركن الجنوبى الغربى بالقرب من حائط المبكى القائم الآن وحتى بوابة القبائل فى الطرف الشمالى الشرقى ، حيث يوجد على امتداد تلك المسافة التى تبلغ ثلاثة أرباع كيلومتر الأوقاف الدينية والتى تضم المدارس ومساحات تكايا فضلا عن مئات العرب الذين يعيشون فى تلك الأماكن ، ومع ذلك أخذت السلطات الإسرائيلية بالبدء فى أعمال الحفر فى مناطق متعددة منها :

أ- أسفل الجدار الغربى للقدس ابتداء من الزاوية الجنوبية وتجاه الشمال حتى أصبح طول هذه الحفريات الآن حوالى ٣٤٠ متراً على شكل نفق يبلغ عمقه تحت الأرض ٩ أمتار ، الأمر الذى أحدث تصدعاً فى بعض الأبنية منها : المدرسة العثمانية ـ عقار الشهابى ـ المدرسة المنجكية التى تضم مقر الهيئة الإسلامية العليا للقدس دائرة الأوقاف الإسلامية كما أخذت فى استخدام النفق للصلاة من قبل المتدينين اليهود.

ب- حفريات جنوب المسجد الأقصى وقد قام بهذه الحفريات البروفيسور "مزار" من الجامعة العبرية حيث اكتشف آثاراً إسلامية وبيزنطية وتم حفر وإزالة التراب من جنوب جدار الأقصى لعمق كبير .

ج - حفريات النبى داود والتى يشرف عليها "ايجال شيلوح" على أرض عائلة أبى السعود العربية.

د- حفريات قلعة القدس التى بناها السلطان العثمانى سليمان القانونى[٧].

وفى أغسطس عام ١٩٦٩م تعرض المسجد الأقصى إلى عملية إحراق على يد صهيونى متطرف حيث تباطأت سلطات الاحتلال الإسرائيلية فى عملية إطفاء الحريق مما سبب أضراراً بالغة الأهمية بالمسجد الأقصى والتهمت النار الجناح الجنوبى الشرقى منه وقضت تماماً على المنبر المطعم بالعاج الذى أقيم فى عهد صلاح الدين كما أن الأضرار أصابت سقف المسجد[٨].

---

[٧] رائف نجم ، الحفاظ على التراث المعمارى فى القدس الشريف رغم الاحتلال الإسرائيلى ، مجلة الإسكان والتعمير ، جامعة الدول العربية ، السنة الثانية ، عدد ٣ أكتوبر ١٩٨٥م ، ص ٢٦. وكذلك : روحى الخطيب ، تهويد القدس ، عمان ١٩٧٠م ، ص ٣٢.

[٨] مشاهدة الباحث تلك الأضرار أثناء زيارته لبيت المقدس عام ١٩٧٠م.

وقد أباحت السلطات الإسرائيلية إقامة الصلوات الدينية داخل الحرم الشريف لليهود[٩].

ويتضح لنا من خلال تلك الممارسات التى قامت بها السلطات الإسرائيلية والاعتداء الصارخ على المقدسات الإسلامية ما يلى:

١- تباطؤ سلطات الاحتلال الإسرائيلية فى إنقاذ المسجد وترك النيران تسرى فى الجناح الشرقى للمسجد وأعمدة الدخان ترتفع منه إلى عنان السماء مؤكدين على الجريمة التى ارتكبت.

٢- كان لنشوب الحريق أثره فى جماهير القدس المسلمة حيث سارع عشرات الآلاف من كل صوب إلى المسجد وأخذوا فى إطفاء النار بكل وسيلة.

٣- استنكار العالم الإسلامى لتلك الجريمة الشنعاء التى قامت بها سلطات الاحتلال الإسرائيلى[١٠].

٤- مخالفة السلطات الإسرائيلية للقانون الدولى بشأن المناطق الأثرية والإسلامية.

وفى ٣٠ أغسطس عام ١٩٧٠م قامت السلطات الإسرائيلية بمصادرة الأراضى التى تقع حول مدينة القدس وقراها كقرى الرام وقلنديا وبيت حنينا فى الشمال من القدس وقرى النبى صموئيل وبيت أكسا فى الغرب وقرى بيت صفافا وصور وباهر فى الجنوب ـ تحقيقاً لأهدافها التوسعية الرامية إلى إقامة القدس الكبرى[١١].

ورغم ذلك أخذت السلطات الإسرائيلية فى زيادة أعمالها من خلال عرض البروفيسور "يامين مزار" مدير الحفريات الإسرائيلية فى ١٩٧١/٨/٢م على موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى آنذاك شرحاً تفصيلياً عن الحفريات التى تتم بالقرب من الحائط الجنوبى للقدس وكان ديان قد أعطى توجيهاته وتوصياته بضرورة عدم التأخير فى عمل

---

[٩] مجلة القدس ، عدد ٢٠٩ أكتوبر ١٩٧٩م ، مقال منشور بعنوان الإجراءات الصهيونية لتهويد القدس خيرية قاسمية (دكتورة). وكذلك
The Report of the Commission of iInvestigation into the Events on the Temple.

[١٠] حسين طنطاوى ، الصهيونية والعنف ، مطابع الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٤م، ص ١٦٠ وما بعدها.

[١١] مجلة المنهل ، عدد ٥٠٨ المجلد ٥٥ سبتمبر ١٩٩٣م ، العدد السنوى الخاص بالقدس ، ص ٦٥.

الحفريات "يجب العمل على كشف وإعادة ترميم كافة ما يتعلق بأيام الهيكل الثانى وأفَضّل أن أرى السور كما كان فى عهد الهيكل الثانى"[١٢] .

فى مايو عام ١٩٧٢م ازدادت المحاولات الصهيونية فى عمليات الحفر بامتداد حائط المبكى حيث تم الكشف عن ١٨٠م وتتبقى ١٦٠م للوصول إلى الركن الشمالى الغربى حيث حدثت تصدعات لمبانٍ ترجع للعصر المملوكى وأصبحت مهددة بالانهيار ، كما استمرت السلطات الإسرائيلية فى عمليات الحفر التى أحدثت فجوات صغيرة فى جدار الحرم المكشوف ورغم الجهود المضنية لمحاولة وقف الحفر إلا أن الحكومة الإسرائيلية لم تستجب للنداءات بل زادت فى تيار السيطرة والانتقام ووجهت نداءً إلى اليهود قالوا فيه "أيها المقاولون بالمدينة أين جراراتكم وآلاتكم التى أدت عملها كما يجب فى أول ليلة لتطهير الأرض أمام حائط المبكى (أى إزالة حى المغاربة) لقد قررت البلدية إزالة الأحياء الفقيرة والخرائب ولابد من تنفيذ هذا القرار بدون خوف أو خجل ولابد من إصدار الأوامر لإخلاء المئات الذين يسكنونها " [١٣].

وقد قامت دائرة الأوقاف العربية فى القدس بالتصدى لتلك المحاولات الصهيونية منها ما تم خلال إصدار البيانات للأهالى وتنبيه السكان للمحاولات الإسرائيلية عن طريق الجرافات التابعة لها بالاعتداء على منطقة أرض تابعة للدائرة رقم ٥ من الحوض رقم ٣٠١٢٥ والمعروفة بأرض (اللورمة) فى منطقة سلوان بالقدس ومساحتها ٣٦ دونماً وتقع فى الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد الأقصى فى منطقة باب الرحمة وامتداد المقبرة الإسلامية [١٤].

ورغم ذلك لم تكتف السلطات الإسرائيلية ، بل أخذت بوضع لافتات داخل الحرم القدسى تؤكد فيها بأن المنطقة لمكان جبل الهيكل ، كما أخذت فى تشجيع الرحلات المدرسية المنتظمة للحرم القدسى بحجة التواجد اليهودى[١٥].

---

[١٢] مجلة القدس ، مرجع سابق ، عدد ٢٠٩.

[١٣] دافيد هرست ، البندقية وغصن الزيتون "مترجم" ، الهيئة العامة للاستعلامات ، رقم ٧٣٧ ، ص ٢٤٥.

[١٤] صحيفة القدس ، عدد ٨٩١٠ ، ٢٠ يونيو ١٩٩٤م ، ص٤.

[١٥] صحيفة القدس ، عدد ٩١٣٩ ، فبراير ١٩٩٥م.

وفى ١٢ أغسطس عام ١٩٨٠م قام الكولونيل "وارن" بفتح النفق الواصل بين سور القدس الغربى وسبيل قايتباى وكانت نيتهم الاستمرار فى حفر الخندق المتجه نحو الصخرة المشرفة ، ولولا أن دائرة الأوقاف الإسلامية أقفلته بجدار أسمنتى لكانت الحكومة الإسرائيلية قد تمكنت من الوصول لأهدافها حول هذا النفق.

ولم تقف تلك المحاولات بالتعديات على المسجد الأقصى من خلال الممارسات الإسرائيلية السابقة ، بل أخذت مجموعة إرهابية فى يناير ١٩٨٤م بالقيام بمحاولة تدمير الأقصى ، ولما افتضح أمر تلك المجموعة هرعت الشرطة الإسرائيلية إلى المكان واتهمت عضوين من رابطة الدفاع اليهودى المتطرفة التى يتزعمها الحاخام "مائير كاهانا" وألقت القبض عليهما ، ثم أطلقت سراحهما ، وسرعان ما برأت ساحتهما من التهمة التى وجهتها إليهما . وإن دل ذلك على شئ فإنه يدل على التواطئ مع المتطرفين اليهود للعمليات الإجرامية ضد المسلمين ومقدساتهم الدينية ، وليس أدل على ذلك من التقرير الخاص بسؤال أحد أفراد تلك المجموعة ويدعى "شمون بردة" الذين قاموا بالتخطيط لتدمير الحرم القدسى الشريف عام ١٩٨٤م والذى يبين من خلال أقواله أن العملية ما هى إلا عملية منظمة ومدروسة ووفق مسار زمنى كامل لها [١٦].

كما أخذت بالعودة إلى عمليات الحفر تارة أخرى بالاشتراك مع وزارة الآثار والأديان وبلدية القدس لشق نفق أسفل أبنية دائرة الأوقاف والمدرسة العمرية لتتصل بالبركة المزدوجة أسفل الأبنية وشمال أسفل طريق المجاهدين وبيت صهيون والمحلات التجارية [١٧].

---

[١٦] راجع فى الملاحق التقرير الخاص بذلك.

[١٧] يشكل النفق منظراً لسوق قديم له أقواس وحجارته من اللون الأبيض يتراوح حجمها بين متر وثلاثة أمتار تتداخل مع بعضها البعض ، وتوجد محلات على اليمين والشمال والمبانى على هيئة أقواس والأرضية بالبلاط "المزى" الناعم وقد تم السير حتى ممر على حجرين طول الأول ١٧م والثانى ١٨م والارتفاع ثلاثة أمتار ، والمتتبع لكميات الأتربة التى تم إخراجها تدل على طول الحفر وارتفاعه ، وعادة ما كانت عمليات إزالة الأتربة أيام السبت والأعياد عند اليهود وهى الأيام التى لا يسمح فيها للعرب بالمرور من ساحة البراق "المبكى" ، راجع التقرير الذى أعده الممثل الشخصى للمدير العام لليونسكو "ريموند لايد" وقدمه إلى المدير العام لليونسكو فردريك مايور ، صحيفة القدس ، عدد ٩٠٤٦ ، ٣ أكتوبر ١٩٩٤م.

ويتسع النفق فى اتجاه الشرق ويشكل نفقاً آخر يمتد أسفل المدرسة العمرية. والنفق عبارة عن رواق طويل يزيد عرضه فى المتوسط على المتر بينما ارتفاعه متران على الأقل وهو محفور على طول الجدار الغربى للحرم الشريف وأسفل ممتلكات عربية ويبلغ طوله ٤٧٠ متراً.

كما أخذت السلطات الإسرائيلية فى العمل لحفر نفق على هيئة نصف دائرة يزيد ارتفاعه على المترين ويبلغ عرضه متراً ونصف المتر وحفرت منصة تحت الأرض بهدف الفصل بين الخزانين اللذين كانت تربطهما قبل ذلك فتحتان كبيرتان على منسوب المياه. والهدف من ذلك هو مضاعفة القدرة الاستيعابية للنفق الذى أصبح معلماً من معالم القدس لابد أن يحج إليه اليهود.

وقد وجدت عملية الحفر هذه استنكاراً من العديد من الجهات وعلى رأسها إدارة الأوقاف الإسلامية فى القدس حيث تم عقد اجتماع عاجل لبحث تلك المسألة فى ١١ يوليو ١٩٩٤م حضره كلّ من ممثلى الأوقاف وممثلين عن الجانب الإسرائيلى ومدير شركة تطوير القدس ومستشار الآثار فى الحى اليهودى والمشرف على تنفيذ مشاريع التطوير والحفريات ، وقد أدعى الجانب الإسرائيلى بما يلى :

١- أنه تم إنجاز النفق الدائرى ويجرى العمل فى المنطقة التى تتسع شرقاً.

٢- العمل يجرى ببطء لتجنب اهتزازات أو تشققات فى الصخر الطبيعى التى تستند عليها أساسات المبانى الإسلامية أعلى المنطقة.

٣- ذكر "وان بهات" المسئول الإسرائيلى أن الهدف المباشر للنفق الدائرى أو المنطقة المتسعة إلى الجانب الشرقى هو تمكين مجموعات الزوار من الدخول والخروج عبر النفق فى وضعه الحالى حيث إن الدخول والخروج من جانب واحد.

٤- رغبته فى الاستمرار فى الحفر شرقاً للتمكن من إيجاد مخرج للنفق وأن أصحاب المحلات هم الذين يضغطون لفتح النفق فى نقطة ما فى شارع المجاهدين للاستفادة من دخول وخروج السياح.

٥- طلب الجانب الإسرائيلى فتح منفذ فى الشارع لإزالة الطمى الناتج عن عملية الحفر على أن يكون مقاس خط الفتحة فى حدود ٤٠ سم [١٨].

إلا أن إدارة الأوقاف فى المدينة قد ردت على تلك الآراء الإسرائيلية بأن الهدف من عمليات الحفر هو ما يلى :

١- أن النية تتجه إلى فتح مخرج للنفق وفى موقع بديل لشارع باب الغوانمة.

٢- أن الحفريات تتم فى الصخر الذى يشكل أساساً المبانى الإسلامية والمدرسة العمرية وهو اعتداء صارخ على ممتلكات الأوقاف.

٣- أن الحفر يتم دون إطلاع مسبق للأوقاف بل ادعاءات مستمرة بأن أعمال الحفر قد توقفت.

٤- أن الحفريات هى مقدمة لحفر فى اتجاه الشرق أسفل المبانى فى الجهة الشمالية من الحرم الشريف.

٥- أن الاستجابة للطلب الخاص بعمل فتحة لإخراج الطمى يعنى فى حد ذاته الموافقة الضمنية على الحفريات التى يتم تنفيذها .

٦- المطلوب الكشف عن مكان الحفريات.

ويتضح لنا من خلال تلك الحفريات ما يلى :

أ- أن السلطات الإسرائيلية إنما تقوم بعمليات الحفر هذه من أجل طمس معالم الآثار الإسلامية الموجودة بالمنطقة.

ب- يتخيل الإسرائيليون وجود آثار بالمدينة أسفل الآثار الإسلامية.

ج- محاولة السلطات الإسرائيلية الدائمة لطمس معالم العديد من المقابر والآثار فى شارع المغاربة وكذلك المناطق التى تحيط بباب الأسباط وباب الرحمة فى محاولة منها لطمس

---

[١٨] لمزيد من التفاصيل راجع
Shmaryyahu Cohen: The expansion of the Areas of the unified city and the establishment of the new neighborhoods, Jerusalem, 1984, P. 44.

المعالم الإسلامية والتى يذكر منها على سبيل المثال عدد من الصحابة منهم عبادة بن الصامت أول قاضى لمدينة القدس الذى عينه عمر بن الخطاب وقبر الصحابى الشداد بن أوس[١٩] .

ولكن المحاولات الإسرائيلية أخذت فى الاستمرار حيث حاول مائة متطرف يهودى دخول حرم المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة فى القدس بمناسبة يوم الحداد اليهودى المزعوم "تيشا بيان" وهو ذكرى تدمير هيكل سليمان الذى يعتقد اليهود أنه كان مبنياً فى هذا المكان وأن الرومان هدموه عام ٣٧٠م وهؤلاء اليهود يطمحون إلى هدم المسجد لإعادة بناء الهيكل المزعوم[٢٠] .

كما سمحت السلطات الإسرائيلية والمحكمة العليا للمتطرفين اليهود بالصلاة فى المسجد مما شكل سابقة خطيرة تهدد بمضاعفات مأساوية حيث وَضّحَ مدير أوقاف القدس "عدنان غالب الحسينى" بأن الفلسطينيين منذ البداية اعترضوا على محاولات المحكمة الإسرائيلية للتدخل فى الشئون الإسلامية بالقدس[٢١] .

وقد كانت السلطات الإسرائيلية فى الآونة الأخيرة قد زادت تعسفها تجاه المسلمين ومشاعرهم حتى فى إقامة صلواتهم ، وذلك بمنع آلاف المصلين من أداء صلاة الجمعة فى المسجد الأقصى حيث حول الجيش الإسرائيلى المدينة إلى ثكنة عسكرية وقام بنشر أكثر من ٢٠٠٠ جندى تساندهم طائرات الهليكوبتر والعربات المدرعة على طرق الضفة المؤدية إلى القدس[٢٢].

كما أخذت وبصورة مفاجئة بالتوسع فى حفر النفق بطول ٤٨٨م امتداداً من حائط المبكى ومروراً بالمسجد الأقصى المبارك للوصول إلى طريق الآلام الذى سار فيه السيد

---

[١٩] صحيفة الأهرام ، عدد ٤٠٠٤٣ ، السنة ١٢٠ ، ١٩٩٦/٧/٢٥م ، ص٩.

[٢٠] مجلة الوعى الإسلامى ، عدد ٣٦٨ ، سبتمبر ١٩٩٦م ، ص٨.

[٢١] الأهرام ، عدد ٤٠٠٤٥ ، السنة ١٢٠ ، ص٩.

[٢٢] صحيفة الوفد ، عدد ٢٩٦٧ ، السنة العاشرة ، ٣١ أغسطس ١٩٩٦م ، ص ١.

المسيح قرب باب الأسباط فى الحى المسلم فى القدس ، وهـذا فـى حد ذاتـه انتهـاك جديد للمقدسات الإسلامية[٢٣].

ومن خلال ما سبق حول الحفريات في المسجد الأقصى نجد الحقائق التالية :

أولاً : أن الحفائر التى قامت بها السلطات الإسـرائيلية فـى الجـدار الغربـى (أسـاس حـائط المبكى) لم تسفر عن شئ خاص بهم ، فكل ما عثروا عليـه هـو فقرتـان عـن سـفر النبـى اشعيا محفورتان بخط يجعل نَسَب تلك الحجارة لداود وسليمان مستحيلة.

ثانياً : أثبتت الحفريات أن الهيكل الخاص باليهود اندثر تماماً منذ آلاف السنين ، وقد ذكـر ذلك صراحة فى البدايـة مـن المراجـع اليهوديـة نفسـها حيـث أوضحـت الدكتـورة "كـاتلين كابنيوس" مديرة الحفائر فى المدرسة البريطانية للآثار بالقدس عن عدم وجود آثار لهيكل سليمان.

ثالثاً : أن المسجد الأقصى المبنى حالياً فى مدينة القدس ليس فى الزاويـة التـى بنـى عليهـا هيكل سليمان فالمسجد الأقصى موجه إلى الكعبة الشريفة أما الهيكل فهـو مسـتطيل الشـكل ومتجه من الغرب إلى الشرق.

رابعاً : لا يوجد دليل تاريخى على أن حائط البراق الذى يسميه اليهود حـائط المبكـى هـو جزء من هيكل سليمان كما أن اسمه الحقيقى كما سماه المسلمون (حائط البراق) نسبة إلـى البراق الذى ورد ذكره فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإسراء والمعراج[٢٤].

---

[٢٣] راجع : مجلة المنهل ، عدد ٥٠٨ ، مرجع سابق. وكذلك :
منار الإسلام ، عدد ٧ ، السنة الثالثة عشرة ، ١٩ فبراير ١٩٨٨م ، ص ٣٠ وما بعدها. وكذلك الخريطة التى تبين النفق وامتداده ، ص٣.

[٢٤] محمد عزت الطهطاوى : المسجد الأقصى هل أقيم حقيقة على أنقاض هيكل سليمان ، مجلة منار الإسلام ، عدد ٧ ، ١٩ فبراير ١٩٨٨م ، ص ٢٥ وما بعدها.

خامساً : أن أسفار التوراة والكتب التاريخية ما هى إلا بمثابة تجميع خطى للتقاليد الشفهية التى جاء بها مؤرخو القرن التاسع عشر ونساخ سليمان الذين كان همهم الأكبر هو إضفاء الشرعية على غزوات داود ومملكته وتفخيمها[٢٥].

ثانياً : سياسة إسرائيل تجاه عرب القدس

ظلت القدس محافظة على هويتها العربية حتى إعلان الحكومة البريطانية الانتداب البريطانى على فلسطين ضمن مخططها فى السيطرة على أملاك الدولة العثمانية بموجب اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦م وعلى إثر ذلك بدأت فى تغيير الهوية الإسلامية خلال فترة الانتداب البريطانى على النحو التالى :

أ- زيادة هجرة اليهود لفلسطين .

ب- إعلان وعد بلفور بحق اليهود فى إقامة دولة لهم فى فلسطين .

ج- نظرت عصبة الأمم المتحدة فى اضطرابات ١٩٢٩م بين المسلمين واليهود وأصدرت قرارها رقم ٣٥٠ لسنة ١٩٣٠م [٢٦].

د- نظرت الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن القضية الفلسطينية وأصدرت قرارها بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية ودولة يهودية عام ١٩٤٧م واعتبار القدس والمدن المحيطة بها بما فى ذلك بيت لحم ُمنطقة منفصلة يتم وضعها تحت نظام دولى خاص يتولى إدارته مجلس وصاية نيابة عن الأمم المتحدة ولكن العرب رفضوا هذا القرار .

هـ- أعلنت إسرائيل قيام دولتها فى ١٥ مايو ١٩٤٨م والتى ضمت القطاع الغربى من القدس .

و- فى يونيو ١٩٦٧م وعقب حرب الأيام الستة فرضت إسرائيل سيطرتها على القدس الشرقية . وفىَ هذا يقول موشى ديان أمام حائط المبكى "لقد جمعنا شمل المدينة الممزقة عاصمة إسرائيل ـ لقد عدنا إلى الهيكل وما كنا لنتركه ثانية " .

---

[٢٥] رجاء جارودى ، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، دار الغد العربى ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م ، ص ٥.

[٢٦] الهيئة العامة للاستعلامات : القدس العربية ، مسلسل عام ١٩٨١م.

وقد أكد ذلك بن جوريون بقوله " إن إسرائيل على استعداد للتخلي عن كافة مكاسبها عدا القدس وغزة إذا ما كان من الممكن الوصول إلى توقيع اتفاقية سلام "[٢٧] .

ومن الملاحظ أن القدس فى نظر الإسرائيليين هى تلك الحدود البلدية الحالية التى رسمت عام ١٩٦٧م والتى تشمل القدس الغربية لما قبل عام ١٩٦٧م والقدس الشرقية التى كانت تحت سيطرة الأردن وأجزاء من الضفة الغربية ضمت إلى القدس ، ولذلك بنيت أحياء كاملة على الخط الأخضر " راموت دنميلو "[٢٨]، واستخدمت أساليب متنوعة لتفريغ تلك المدينة من أهلها " السكان العرب " ، وهو ما سنحاول هنا إبرازه .

منذ الأيام الأولى لاحتلالها للمناطق العربية عام ١٩٦٧م ، أخذت إسرائيل فى إجراءاتها الفعلية فى ضم القدس الشرقية فأخذت منذ بداية الاحتلال فى قصف المدينة داخل وخارج الأسوار الأمر الذى أدى إلى مصرع العديد من المدنيين وتدمير جزء كبير من المبانى السكنية والأحياء التجارية ، كما أخذت السلطات الإسرائيلية فى التركيز على المناطق المجاورة للقدس كمنطقة (اللطرون - بالو وعمواس - وبيت نوبة) وغيرها من تلك القرى ، واتخذت لذلك العديد من الأساليب فى محاولة منها لتهيئة الضم تحقيقاً لأهدافها وتوسعاتها ، ومنها :

أ- ربط الجزء الشرقى بالجزء الغربى بخطوط أتوبيسات وخطوط المياه وشبكة التليفونات.

ب- إزالة السور الجديد القائم بين شطرى المدينة وكذلك إزالة البوابة القائمة عند (ماندل يوم) والتى كانت تعتبر بمثابة منطقة عبور بين شطرى المدينة.

---

[٢٧] اغتصبت اليهود السيادة على القدس على مرحلتين ، الأولى ١٩٤٨م حيث استولوا على القدس الجديدة وضموا إليها المدن العربية المحيطة بها فكان سكان المدينة فلسطينيين عرب ويهود ، وسكنت الأغلبية من أهالى القدس العرب فى خمس عشرة ضاحية وامتلكت ثلاثة أرباع أراضيها ومبانيها ، وبعد اجتياح اليهود الضواحى العربية فى القدس الجديدة اعتدوا على المدينة القديمة ولكن بسالة الفلسطينيين وبفضل السور الضخم المحيط بالمدينة الذى بناه السلطان سليمان القانونى لم يتمكن اليهود من اغتصابها ودخلت القوات الأردنية القدس القديمة فظلت المدينة فى أيدى الأردن حتى عام ١٩٦٧م.

راجع : هنرى كتن ، مفاهيم إسرائيلية وممارستها فى القدس ، بحث ضمن كتاب المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية جامعة الدول العربية ١٩٨٥م ، ص ١٤٩.

[٢٨] وزارة الخارجية ، إدارة شئون فلسطين ، تصريحات المسئولين الإسرائيليين ، ١٩٦٧م ، القاهرة ، ص٤٨.

ج- إصباغ الأحياء السكنية والشوارع والمحلات بالصبغة اليهودية حيث أضيفت الأسماء العبرية لها.

وبذلك يتضح لنا أن تلك الإجراءات الإسرائيلية والسريعة فى مدينة القدس إنما تبين مدى الأهمية التى أخذتها الحكومة الإسرائيلية على عاتقها فى ربط شطرى المدينة حتى قدر لها أن تجعل من القدس فى تركيب حياتها اليومية مدينة يهودية أكثر مما تعتبر باريس فرنسية أو لندن إنجليزية [٢٩].

وسرعان ما أصدرت الحكومة الإسرائيلية قرارها بضم مدينة القدس وجعلها عاصمة أبدية لإسرائيل ، حيث أصدر الكنيست الإسرائيلى قراراً على هيئة إضافة فقرة إلى القانون الإسرائيلى "قانونَ الإدارة والنظام لعام ١٩٤٨م" تنص على تطبيق قانون إسرائيل الخاص بالقانون والإدارة على جميع مساحة أرض إسرائيل التى حددتها الحكومة الإسرائيلية بالرسوم.

كما أصدرت قرارها رقم (١) لعام ١٩٦٧ فى ٢٨ يونيو ١٩٦٧م الذى يقضى بأن أرض إسرائيل المشمولة فى الجدول الملحق بالأمر خاضعة لقانون وإدارة الدولة الإسرائيلية ، وقد حدد الجدول المناطق الواقعة بين قرية قلنديا ومطارها فى الشمال وبيت حنين فى الغرب وسور باهر وبيت صفافا فى الجنوب وقرى طور والعزاوية وعيناتا ورام فى الشرق ، وعليه فقد اتخذت سلسلة من الإجراءات التى يمكن أن نبرزها على النحو التالى :

١- حل مجلس بلدية القدس حيث أبلغ القائد العسكرى للمدينة فى ٢٩ يونيو عمدة القدس الشرقية "روحى الخطيب" قراره بقوله "إنه يشرفنى أن أبلغكم حل مجلس البلدية"

٢- إغلاق المحاكم المدنية والعربية ، وفرض القانون الإسرائيلى على المدينة.

٣- تطبيق المناهج الدراسية على المدارس والمعاهد التعليمية فى القدس.

---

[٢٩] دافيد هرست ، مرجع سابق ، ص٢٤٦.

٤- إغلاق البنوك العربية ومصادرة أموالها مع فرض الضرائب الإسرائيلية على السكان العرب وتداول النقد الإسرائيلى "الليرة" [٣٠].

٥- إلزام العرب بالحصول على تصاريح دخول القدس ، وبذلك أصبحت القدس معزولة عن باقى الضفة الغربية.

ويتضح من تلك القرارات التى أصدرتها الحكومة الإسرائيلية آنذاك ، معنى موافقة الحكومة الإسرائيلية من قبل على مشروع عرف بـ "مشروع القدس الكبرى أو القدس الموسعة" وحدود هذا المشروع الخان الأحمر من الشرق وقرية بتين من الشمال ومدينة الخليل من الجنوب ووادى الصرار واللطرون من الغرب.

وقد بين وزير الإسكان الإسرائيلى آنذاك "ابرهام عوفير" أن الحكومة تعمل جاهدة على توسيع تلك الحدود لتصل إلى البحر الميت شرقاً ، وقد وضح بن جوريون إلى أشكول قائلاً " لابد من إحضار اليهود إلى القدس الشرقية مهما كان الثمن فلابد من توطين عشرات الآلاف من اليهود فى خلال فترة قصيرة من الزمن ولو فى الأكواخ فلا يجب أن ننتظر حتى تبنى أحياء جديدة تم التخطيط لها فأهم شئ أن يصبح لليهود وجود هناك".
وبالنظر إلى هذا المشروع يتضح لنا :

١ - أن إسرائيل تسعى لابتلاع الجزء الأكبر من مساحة الضفة الغربية فى نطاق توسعاتها جنوباً وشرقاً وشمالاً وغرباً على حساب القرى العربية القائمة من خلال ضم العديد من المدن والقرى العربية[٣١] .

٢- رغبة إسرائيل فى إبعاد القدس عن الهوية العربية من خلال إلغاء القوانين والأنظمة المعمول بها فى ظل إدارة الحكومة الأردنية.

---

[٣٠] محمود العايدى ، وسائل وطرق مأساة بيت المقدس ، منشورات وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية ، الأردن عام ١٩٦٩م ، ص١١٣.

[٣١] فى مجال السيطرة على الأراضى ، أصدرت الحكومة الإسرائيلية العديد من القرارات منها قانون المناطق المغلقة عام ١٩٤٩م وقانون التصرف عام ١٩٥٣م وقانون التقادم ١٩٥٧م. راجع
A. Joseph Badi : Fundamental laws of the state of Israel (New York , Twayne Publishers, 1961, P. 331).

٣- إرغام السكان العرب المقيمين فى القدس إما بمغادرة أراضيهم من جراء الإجراءات التعسفية فى ظل القوانين الجديدة المعمول بها أو القيود التى تفرضها عليهم بالهدم ومصادرة الأراضى وعدم السماح لهم ببناء أبنية جديدة ، وقد ظهر ذلك من خلال المؤتمر الصحفى الذى عقده وزير الإسكان الإسرائيلى عام ١٩٧١م وقوله "إن المنشآت اليهودية الجديدة قد تمت إقامتها لغرض محدد وهو تهويد المدينة" .

وقد اتخذت لتلك الأغراض الإسرائيلية إجراءات هامة وسريعة من أجل تهويد المدينة وجعل نسبة أكبر من اليهود يسكنون فيها ، حيث تم فى يناير ١٩٦٨م مصادرة مساحة ٣٣٤٥ دونماً فى تل الفرنسى و٤٥٨ دونماً قرب النبى صموئيل وبناء أول مستعمرتين للسكن هما مستعمرة "التل الفرنسى" ، "وراموت اشكول" ، وفى إبريل عام ١٩٦٨م صادرت إسرائيل ٦٧٥ دونماً فى النبى يعقوب شمالى القدس و١١٦ دونماً فى المدينة القديمة (حيث كان فيها ٥٩٥ مبنى ، ١٠٤٨ متجراً ، ٥ مساجد ، ٤ مدارس وسوق) فضلاً عن الأحياء (حى المغاربة ، حى الشرف) حيث تمت إزالتهما ، وقد كانت الأرض المصادرة تمثل ٢٠٪ من المساحة الكلية للقدس القديمة [٣٢].

كما قامت السلطات الإسرائيلية فى أغسطس عام ١٩٧٠م بمصادرة ١٢٢٨٠ دونماً منها شرفات النبى صموئيل والنبى يعقوب وحى الشرق فى القدس الغربية. وفى مارس ١٩٧٤م تمت مصادرة ٣٠٠٠ دونم تقع على الطريق الرئيسى بين القدس وأريحا ، وفى مارس ١٩٨٠م تمت مصادرة ٤٤٠٠ دونم لبناء مساكن إسرائيلية.

وقد عنيت الحكومة الإسرائيلية ببناء المساكن الجديدة على أن تكون كالقلاع والأسوار المنيعة العتيدة ولكن بصورة مساكن كما وصفتها صحيفة جروساليم بوست اليهودية ١٩٧٤م على "بناء قدس قلعة" وعلى ذلك فقد روعى بأن تكون المناطق السكنية الجديدة حسب مخططات عسكرية يكون الصف الأمامى فيها حصناً لحماية الصفوف الخلفية من النيران وتم بناء جدران الصفوف الأمامية بحيث تكون جدرانها الأربعة بثلاثة أمثال سمك الجدران الأخرى كى تقف أمام قذائف المدفعية ، ومن حيث النوافذ فقد

[٣٢] راجع فى الملاحق الإعلان الخاص بإيداع خريطة تشكل تغيير هيكلين محليين وكذلك الإعلان بخصوص المصادقة على خريطة.

روعيت أن تكون صغيرة الحجم لأغراض دفاعية ، أما الأسطح فقد حوت تحصيناتها المدافع الرشاشة التي تطل على الخطوط الأردنية[٣٣]

وقد أعلنت الحكومة الإسرائيلية عزمها على بناء ٣٠٠ وحدة سكنية في جنوب بسغات زئيقي ، ويقدر عدد الوحدات السكنية التي نوت الحكومة إقامتها في بسغات زئيقي بحوالي ٢٥٠٠ وحدة ، كما تقوم الحكومة باستكمال التحصينات الوقائية في ش ١٣ وأعمال البنية التحتية في المستوطنة[٣٤].

وقد سعت إسرائيل إلى استخدام كافة الأساليب المتنوعة لمصادرة الأراضي وهدم المنازل فعلى سبيل المثال :

أ- جاءت فتاة تروى مأساة أسرتها حيث احتج والدها على قرار الهدم الخاص بمنزله ، وذهب لمقابلة عمدة المدينة "تيدى كوليك" ، وترك الأسرة تحمل الأثاث إلى الخارج ، ولما عاد وجد المنزل كومة أطلال[٣٥].

ب- قامت السلطات الإسرائيلية بزج النساء اللاتي يحتججن على قرار الهدم في السجون الإسرائيلية مع اللصوص والبغايا.

ج- هدم أحد المنازل وهو عبارة عن فيلا مملوكة لفلسطيني أمريكي ، وعند استفسار القنصل الأمريكي عن الهدم أجابت السلطات الإسرائيلية بأن المنزل لم يكن له وجود.

د- أحد السكان بعد هدم منزله رفض المسكن البديل له في وادي جوز ، ونتيجة إصراره على موقفه أرغمته السلطات الإسرائيلية بدفع مبلغ ١٥٠٠ جنيه ثم طلبوا دفع مبلغ ٢٣٠٠ جنيه ، ورغم أنه لم يستطع توفير المبلغ إلا أن الحكومة الإسرائيلية أصرت على الدفع ولم يستطع تخفيض المبلغ إلا بعد الاتصال بمندوب جروساليم بوست المعروف بمعارضته للبلدية وتهديد المواطن بنشر قصته في صحيفة القدس.

---

[٣٣] رائف نجم ، مرجع سابق ، ص٣٠.

[٣٤] جريدة القدس ، عدد ٨٦٦٧ ، ص ١.

[٣٥] راجع : دافيد هرست ، مرجع سابق ، ص ٢٥٠.

راجع في الملاحق : الإعلان الصادر عن إحدى العائلات الفلسطينية في القدس بشأن مصادرة أراضيهم.

هـ- قامت الحكومة الإسرائيلية بإزالة منزل أحد المواطنين العرب ويدعى "محمود محمد سليمان" حيث داهمت قوة من ٢٢ سيارة شرطة وجرافتين و٨٠ عاملاً قاموا بهدم المنزل، ورغم مقاومة الأهالى إلا أن عملية الهدم تمت ، وقامت العائلة بمحاولة إقامة خيمة فى المنزل الذى أزيلت معالمه ولكن الحكومة الإسرائيلية سارعت واقتلعت ٥٠٠ شجرة زيتون وخوخ من أرض العائلة[٣٦].

تلك أمثلة على أسلوب الهدم الذى استخدمته السلطات الإسرائيلية بصورة أو أخرى ضد مواطنى القدس العرب أملاً فى ترك منازلهم وإجبارهم على الرحيل من تلك البقعة التى يرون أنها ضمن توسعاتهم وأملاكهم كما اتبعت إسرائيل العديد من الأساليب الملتوية الأخرى ضد السكان العرب تملكها الرغبة الجامحة فى تفريغ المدينة من السكان ، وقد صرح الحاخام اليهودى "مئير كاهانا" مؤسس رابطة الدفاع بضرورة تفريغ المدينة وطرد السكان العرب منها.

و- تقوم السلطات الإسرائيلية بوزارة الداخلية "قسم البناء" بهدم المنازل والأسوار وتقول "عينات هوفمان" عضوة المجلس البلدى لمدينة القدس فى هذا الصدد : "إن قسم البناء فى حاجة إلى تسع أو عشر توقيعات قبل أن يوقع عملية الهدم على المنزل ، أما المدعو "تيسون" المسئول عن قسم البناء فكل ما يحتاجه توقيعه فقط وتوقيع المهندس الرئيسى فى الداخلية وإذا كان أمر الهدم الإدارى يحتاج إلى ٧٢ ساعة فى البلدية فإنه يستغرق ٢٤ ساعة فى الداخلية[٣٧]، وهذا يبين مدى السهولة الكبيرة التى تتخذ فى إجراءات الهدم وتبسيط الإجراءات من خلال قسم مراقبة البناء.

ل- المواطن خليل عباس "٣٦ عاما" أب لخمسة أولاد يعمل فى مؤسسة "الكيبرين كيمييت" قُدِّرَت عليه غرامة مالية قدرها ١٦٠٠ شيكل و٦٠ شيكلاً عن كل يوم تأخير عن الموعد المحدد إذ لم يقم ببناء السور المساند قرب منزله بحجة أن طفلاً من الجيران فى التاسعة من عمره قد سقط من هناك ، ثم فوجئ المواطن بمفتش الداخلية يأمره بهدم السور ،

---

[٣٦] صحيفة القدس ، ١٦ عدد ٨٦٦٧ ، ص ١.

[٣٧] صحيفة القدس ، عدد ٩٢٥٣ ، ص ١٩. وكذلك العنوان الصادر عن الصحيفة بهذا الشأن فى الملاحق.

وهكذا أصبح المواطن فى حيرة من أمره الذى يطالب بدفع الغرامة والهدم فى آن واحد[38].

م- أصدرت بلدية القدس برئاسة "أولمرت" مخططاً سرياً للقيام بحملة واسعة النطاق لهدم المنازل فى القدس العربية على النحو التالى :

١- أصدرت عام ١٩٩٤م (١٩) أمراً إدارياً لعمليات الهدم.

٢- وقع أولمرت فى الخمسة شهور الأولى من عام ١٩٩٥م على ٤٩ أمر هدم على النحو التالى :

- ٤١ أمراً إدارياً بحجة إضافات للمنازل فى القدس العربية.
- ٨ أوامر إدارية تتعلق بشركة سلكوم حيث أقامت مبانى بدون ترخيص وأمراً إدارياً يتعلق بشركة السيارات حيث أقامت غرفة صغيرة قرب فندق (هوليداى إن).

٣- فى خلال شهر أصدرت ٢٧ أمراً إدارياً بهدم المبانى بحجة الترخيص.

أعلنت الجمعيات اليهودية المتطرفة فى مايو ١٩٦٧م أن بقاء تسعين ألفاً من العرب فى القدس يحول المدينة فى المستقبل إلى أيرلندا ، وكان من نتيجة ذلك[39] :

١- صدور قرار الحكومة الإسرائيلية بقانون أملاك الغائبين ، ومصادرة أراضٍ من المنطقة لمدة معلومة عن طريق إدارة أملاك الغائبين وحرمان من كانوا غائبين بحكم التجارة أو العمل أو التعليم مخالفة بذلك المادة (٣) من الميثاق العالمى لحقوق الإنسان وخلافاً لقرار هيئة الأمم المتحدة رقم ١٩٤ عام ١٩٤٨م والذى يعنى بعودة جميع اللاجئين لأراضيهم[40] .

---

[38] صحيفة القدس ، عدد ٩٢٥٣ ، ص ١٩.

[39] الكتاب السنوى الفلسطينى ، معهد الدراسات الفلسطينية ، بيروت ٢٩٦٨ ، ص ١٠٩.

[40] د. خيرية قاسمية ، مرجع سابق ، ص ١٩.

٢- إجبار السكان العرب على منحهم الهوية الإسرائيلية دون العربية وفرض القيود عليهم بهذا الشأن [٤١].

٣- استبدال العملة الأردنية بالعملة الإسرائيلية (الليرة) وتعريض السكان إلى العقاب بالسجن خمس سنوات مع الأشغال فى حالة وجود عملة أردنية فى حوزته.

٤- تحريم استيراد البضائع والخضروات والفواكه من الضفة الغربية إلى القدس مما أوقع أشد الأضرار بالمنتجات والاقتصاد.

٥- طرد موظفى الحكومة والبلدية الذين رفضوا التعاون مع الإسرائيليين أو الاعتراف باحتلال المدينة أو سيادة إسرائيل عليها.

٦- استيلاء السلطات الإسرائيلية على أرض فى حى "أبوغنيم" بالقدس لإقامة حى إسرائيلى وهدم منزل فى وادى قدوم بالقرب من القدس لعدم الترخيص.

٧- إغلاق السلطات الإسرائيلية الشارع الموصل بين قرى شمال غرب القدس وقرية "أبوغوش" ، وفرض حظر التجول على قرية العيزارية قرب القدس.

٨- تقوم الحكومة الإسرائيلية بعمل مقار جديدة لها فى مدينة القدس من المبانى السابقة التجهيز وتقدر تكلفتها بـ ٣٠٠ مليون دولار وتقدر مساحة تلك المبانى بحوالى ١٤٠ ألف متر مربع[٤٢].

٩- إعادة النظر فى التصاريح الممنوحة للسكان العرب فى القدس والتى كانت تسمح لهم بالسفر إلى الخارج لمدة ثلاث سنوات وتقوم بتجديد التصاريح لمدة أخرى ، فأخذت فى تشديد التجديد ومفعول التصاريح وسحب الهويات من أصحابها حتى لا يعودوا مرة ثانية ، وفى هذا صرحت المتحدثة باسم وزارة الداخلية الإسرائيلية "توفا الينسون" أن من حق الوزارة شطب اسم أى مواطن من حاسوب الوزارة فى حالة عدم إثبات إقامته فى مدينة القدس لمدة سبع سنوات متتالية [٤٣].

---

[٤١] صحيفة القدس ، عدد ٨٩٦٢ ، ص ٨.

[٤٢] صحيفة القدس ، عدد ٩٠٤٦ ، ص ١٩.

[٤٣] صحيفة القدس ، عدد ٩١٩٧ ، ص ١٨.

١٠- عمليات الترحيل التى كانت تتم علناً وبصورة خفية لأصحاب المكانة البارزة والقادة الوطنيين والدينيين والمفكرين الفلسطينيين منهم علـى سبيل المثـال "روحـى الخطيـب عمدة القدس" الذى عارض ضم مدينة القدس بطريق غير شرعى والشيخ عبد الحميـد رئيس المجلس الإسلامى الأعلى الذى عارض السلطات الإسـرائيلية فـى التدخـل فـى شئون المؤسسات العربية التى تتمتع بالحكم الذاتى ، هذا إلى جانب آلاف الفلسطينيين العاديين الذين تعرضوا لعمليات الترحيل.

١١- فرض نظام حظر التجول "التفتيش" الذى استخدمته السلطات الإسـرائيلية ، حيـث يقوم الأهالى بالخروج من منازلهم فى منتصف الليل ، ويقوم الجنود بتفتيـش المنـازل ، فى محاولة منهم لإرهاب المواطنين ونشر الهلع والفزع بين النساء والأطفـال علـى حد سواء فى محاولة منهم لترك الأرض ، وعند انسحابهم من عملية التفتيش يطلقـون النيران من مدافع رشاشاتهم ، فأحياناً يقتلون وأحياناً يصاب البعض بجراح [٤٤].

ثالثاً : دور المستوطنات الإسرائيلية فى القدس فى سياسة التهويد

بدأ هذا الاتجـاه عقب حرب ١٩٦٧م من استخدام الأراضـى وعمليـات الاسـتيطان للمساومة من أجل الضغط على الحكومات العربية لقبـول مبـدأ التفـاوض ، ثم تـدرج هـذا المفهوم من الناحية الأمنية التى تقـول بـأن بعض المنـاطق لا يمكن التنـازل عنهـا فيقـول "أيجـال آلـون" أحـد القـادة الإسـرائيلية "إن مسألة الاسـتيطان فـى المنـاطق ذات المكانـة الاستراتيجية والدفاعية العامة هى إحدى الوسائل الهامة فى صراعنا السياسى حول مسـألة تأسيس حدود إسرائيل[٤٥].

ويقول إسحاق رابين عن أهميـة المسـتوطنات "إن للمسـتوطنات دوراً اسـتراتيجياً فـى تقوية الوضع الأمنى وهى تقدم أساساً ثابتاً وقوياً لمطلب إسرائيل فـى السـلام فـى الحـدود

---

[٤٤] الجديد ، مجلة لبنانية ، ١٦ أغسطس ١٩٦٨م. وكذلك وكالة الأنباء الأردنية ، ٥ سبتمبر ١٩٦٧م.

[٤٥] وزارة الخارجية ، إدارة شئون فلسطين ، تصريحات المسئولين الإسرائيليين سنة ١٩٦٩ ، القاهرة ، ص ١٢٠ - ١٢١.

الآمنة التى يمكن الدفاع عنها وأن هدف الاستيطان تحديد وتوسيع الحدود التى يمكن الدفاع عنها [٤٦].

أما عيزرا فايتزمان فيقول "إن مسألة الاستيطان مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقضايا إسرائيل وبتحديد حدود إسرائيل فى المستقبل [٤٧]. ويرى أريل شارون "أن تنظيم المستوطنات يجب أن يكون مندمجاً فى الدفاع الإقليمى العام" [٤٨]. كما يحدد مناحم بيجين فى حكومة الائتلاف الوطنى عام ١٩٦٧م ذلك بقوله "إننا لنن نبقى فى المناطق المحتلة التى وصل إليها جيشنا فى الحرب بل سنعمل على تدعيم الوجود الاستيطانى لفرض الأمر الواقع"[٤٩]

ويرى الحاخام موشى لينفجر حاخام كريات أربع "أن الاستيطان يمثل رسالة قومية لليهود ولا توجد رسالة قومية أهم من الاستيطان"[٥٠]. ويدعو الاستيطان أيضاً من خلال المفاهيم والمعتقدات الدينية لديهم بضرورة التوسع فى عمليات الاستيطان ، وأن حق الشعب اليهودى فى مسألة الاستيطان فى جميع الأراضى وهو حق غير قابل للتصرف فهذا الحق فى وجهة نظرهم لا يتعارض مع اتفاقية الهدنة عام ١٩٤٩م ولهذا بنيت الفكرة الأساسية على التخطيط الاستيطانى المدنى والريفى فى تلك المناطق المحتلة وفقاً لأهداف صهيونية ومتطلباتهم الأمنية[٥١].

وهناك تيار يرى أن حق الشعب اليهودى فى الاستيطان لا يعنى السيطرة الإسرائيلية الكاملة على المنطقة وعليه يجب ألا يكون الاستيطان على حساب المراكز السكانية العربية القائمة . وعلى هذا الأساس فإن أنصار هذا الاتجاه يرون خلق جو من التعايش

---

[46] Jerusalem Post ,7/1/1977.

[٤٧] عيزرا فايتزمان : الحرب من أجل السلام ، ترجمة غازى السعدى ، عمان دار الجليل ١٩٨٤م ، ص ٢٢٦.

[٤٨] صحيفة معاريف الإسرائيلية ، ١٩٧٥/١٢/٢٦ ، ص ٦.

[٤٩] وزارة الخارجية ، إدارة شئون فلسطين ، المرجع السابق ، ص ٥٩.

[٥٠] نشرة دار الجليل للنشر والخدمات الصحفية (عمان) ، تقرير رقم ٦٥١ ، ١٩٨٣/١/٢٩م.

[٥١] مجلة الدراسات الفلسطينية (بغداد) ، ٢٦ فبراير ١٩٨٧م ، ص ٥٤.

ملحوظة : من أنصار هذا الاتجاه زعماء الليكود الحزبيون وأعضاء أرض إسرائيل الكاملة وعضو الكنيست غيئولا كوهين ، داريل شارون وغوش أمونيم وحركة كاخ وعصبة الدفاع اليهودى وغيرهم.

السلمى بين العرب واليهود[٥٢]. وقد ظهر تيار ثالث بعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م والغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢م حيث يطالب أنصار هذا الاتجاه إسرائيل بتقديم تنازلات فى مجال الانسحاب والاعتراف بحقوق الفلسطينيين ، وهو الطريق الأمثل لتحقيق الأمن الإسرائيلى[٥٣]

ومن هنا نوضح أن عملية الاستيطان بدأ الاهتمام بها عقب حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م حيث أصبحت المنطقة على أعتاب المفاوضات السياسية وبدأ الحديث عن قرب التوصل للحلول السلمية[٥٤] . ورغم اختلاف الاتجاهات والتيارات الإسرائيلية بمختلف أحزابها ، فقد كان للقدس النصيب الأكبر فى دائرة وبؤرة هذا الاهتمام حيث رأت العديد من المشاريع الاستيطانية التركيز على القدس لما لها من أهمية بالغة لهم . فعلى سبيل المثال مشروع آلون الاستيطانى فقد وضح فى أحد بنوده ـ التى قدمت للحكومة الإسرائيلية فى ١٩٦٧/٧/١٦م – بأن يشمل المنطقة الواقعة شمال طريق القدس ـ البحر الميت حتى طريق عطروت ـ اللطرون ويشمل أيضاً اللطرون بشريط أراض بعرض عدة كيلومترات مع محاولة تطويقها بطوق من المستوطنات[55]. كما شملت وثيقة غاليلى عملية الاستيطان وضرورة تطويره فى الضفة الغربية مع توسيع دائرة شراء الأراضى والأملاك لاستخدامها للأغراض الاستيطانية[٥٦].

أما سياسة حزب المعراخ فقد ركزت بشكل أساسى ومباشر على عملية الاستيطان فى القدس مع توطين شطريها وإغلاق الطريق أمام إمكانية تقسيمها ، ومن أهم تلك

---

[٥٢] من أنصار هذا الاتجاه ، عيزرا فايتزمان ، موشيه ديان.

[٥٣] أطلق على أنصار هذا الاتجاه الحمائم وهم مجموعة من القيادات اليسارية مثل (يورى أفنيرى ـ أنصار حركة السلام الآن). راجع : نظام محمود بركات (دكتور) : الاستيطان الإسرائيلى فى فلسطين بين النظرية والتطبيق ، مركز دراسات الوحدة العربية ، سلسلة الثقافة القومية ، عدد ١٥ ، عام ١٩٨٨م ، ص ١٤٦.

[٥٤] المعروف أنه منذ تولي الليكود الحكم عام ١٩٧٧م زاد الاتجاه نحو بناء المستوطنات حيث قاد الليكود حملة دعائية كبرى لإقناع الرأى العام الإسرائيلى بدوره وأهمية الاستيطان. راجع اتجاهات الصحافة الإسرائيلية ، الرأى العام والمفهوم الإسرائيلى للسلام ، مختارات من المقالات ، دراسات تحليلية ، إعداد مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، القاهرة ١٩٧٩م.

[55] Allon : Israel the Case for Defensible Borders. P.P. 4-49.

[٥٦] الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية ١٩٧٣م ، مركز الدراسات الفلسطينية ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٥.

المشروعات الاستيطانية التى قدمت للحكومة "مشروع شارون" والذى أطلق عليه عبارة "العمود الفقرى المزدوج" ومن أهم بنوده إقامة ثلاثة مراكز مدنية كبيرة فى الضفة الغربية تكون الأولى منها على مداخل القدس.

وقد أبرزت حركة غوش أمونيم أهمية الاستيطان فى أهدافها باعتبارها ركيزة هامة من الركائز لخلق أغلبية يهودية خلال السعى لكسب مزيد من المهاجرين. وأيا كانت الأحزاب والاتجاهات فى إسرائيل إلا أنها تعبر جميعها بروح واحدة ألا وهى "روح الاستيطان" لما تحققه تلك العملية فى أفكارهم من السيطرة الفعالة على أكبر جزء من الأراضى المحتلة سواء الضفة الغربية أو قطاع غزة. وقد حظيت القدس على الجانب الأكبر فى السياسات الإسرائيلية خلال الفترة من حرب يونيو عام ١٩٦٧م فاستخدمت كافة الأساليب الملتوية منها :

أ- الاعتماد على الحركات الدينية الفعالة المتطرفة فى مجال الاستيطان.

ب- العمل على إرهاب سكان المناطق فى محاولة لطردهم وتفريغ المدينة من خلال العديد من الإجراءات التى وضعتها على مواطنى المدينة المقدسة [٥٧].

ج- السعى لزيادة الاتصال بالمستوطنات والمراكز والمدن الإسرائيلية من خلال التوسع فى إنشاء شبكات الطرق ، فقامت السلطات الإسرائيلية بمصادرة ١٠٧٠ دونماً من أراضى مناطق السوامرة وصور وباهر وأبو ديس والطور فى ٢٠ فبراير عام ١٩٩٥ لعمل طريق دائرى يربط بالقدس [٥٨].

د- السعى لإيجاد مراكز صناعية فى القدس لربط تلك المراكز بالمؤسسات الاسرائيلية[٥٩].

هـ- استكمال عملية التهويد بسن قانون الكنيسـت عام ١٩٨٠م ، الذى نص على توحيد القدس وجعلها عاصمة لإسرائيل . ورغم أن هذا القانون قد قوبل باعتراض المؤسسات

---

[٥٧] صحيفة القدس ، عدد ٩١٩٠ ، ١٩٩٥/٣/٢٩م ، ص ٤.

[٥٨] راجع : النص المذكور فى الملاحق والخاص باللجنة الوطنية الإسلامية لمواجهة الاستيطان.

[٥٩] راجع : إطلال الناجى (دكتور) : الاستيطان الصهيونى والمقاومة الفلسطينية ، عمان ١٩٨٧م ، ص ٢٥٧ وما بعدها.

الدولية وعلى رأسها مجلس الأمن حيث أصدر قراراً رقم ١٧٨ عام ١٩٨٠م إلا أن الإجراءات والممارسات الاسرائيلية مازالت قائمة حتى يومنا هذا والسعى الدءوب لتحقيق أكبر قدر ممكن من عملية الاستيطان . وقد بدأت بإعادة إعمار الحى اليهودى فى البلدة القديمة عام ١٩٦٧م و إقامة الأحياء اليهودية الجديدة على حساب الأحياء العربية ، سواء من خلال تهجير سكانها أو الغائبين عنها لظروف الاحتلال أو المطرودين منها لأسباب أمنية تدعيها السلطات الاسرائيلية . وبذلك تكون السلطات الاسرائيلية قد ركزت على عملية الاستيطان فى القدس بعمل طوق استيطانى حول المناطق العربية فى القدس ، هذا إلى جانب تطويق المدينة أيضاً بطوق استيطانى جديد من خلال إقامة العديد من المستوطنات حول مدينة القدس منها (رامات - اشكول - معالوت دفنا - حى شاميرا فى التل الفرنسى - حى سانهدريا قرب شعفاط - مستوطنة الحى السكنى لطلبة الجامعة العبرية - مستوطنة جيلو (شرقيات) قرب بيت صفافا - معالية أدوميم) ، هذا إلى جانب العديد من الأحياء السكنية الكبيرة حول مدينة القدس من جهة والأحياء السكنية التابعة للجامعة العبرية ومستشفى هداسا من جهة أخرى ، وكذلك حى "غفعات همفتار" فى الشيخ جراح ، وتم الاستيلاء على ٣٩٤ دونماً لبناء ١٠٥٩ وحدة سكنية من أراضى قرية ديراستيا وبناء ٥٠٠ وحدة سكنية قرب مركز الشرطة بالقرب من راموت أشكول و٢٥٠ وحدة سكنية فى منطقة أونروا شرقى شارع رقم (١١) وبناء ٥٠٠ وحدة فى معالوات سكوبى فى المكان الذى أعد لبناء محكمة العدل الدولية هذا بالإضافة إلى وحدات سكنية فى حى سلوان وسط القدس القديمة [٦٠].

كما ترتكز السياسة الاسرائيلية فى إطار خطتها الاستراتيجية بشأن مدينة القدس على إيجاد ما يعرف بالقدس الكبرى وحدودها المعروفة من خلال التوسع المباشر فى السيطرة على المناطق الممتدة على أطراف المدينة من خلال المدن الأخرى ، كمدينة رام الله وأطراف مدينة الخليل ومنطقة الخان واللطرون فى جهة الغرب ، هذا إلى جانب العديد من المدن العربية التى شملها هذا الطوق الأمنى منها مدن "البيرة - بيت لحم - بيت جالا -

[٦٠] راجع عن المشاريع الاستيطانية : وليد الجعفرى : الاستيطان الصهيونى فى فلسطين فى الماضى والحاضر ١٨٨٢ - ١٩٨٣ ، بدون تاريخ ، ص٣٩. وكذلك مجدى الشندى : قبل أن تضيع القدس ، دار المنى للإعلام العربى ، ١٩٩٢ ، ص ٥٨ وما بعدها .

بيت ساحور" . كما قامت السلطات الاسرائيلية بمصادرة ٢٠٤٠ دونماً فى ١٧ مارس ١٩٩٥م بحجة بناء أبراج كهربائية فى مناطق شعفاط والعيسوية وعنانا كما قامت ببيع ١٠٠ دونم لمجموعة هزيت الاستيطانية من أجل بناء مستوطنة أفرات فى منطقة غوش عتسيون . وتعتبر عمليات البيع هذه من أكبر العمليات التى تقوم بها السلطات الاسرائيلية حيث تسعى تلك المستوطنات إلى الحصول على قروض من البنوك لإقامة تلك المشاريع الاستيطانية [٦١]. وإن دل ذلك على شئ فإنه يدل على مدى اهتمام المسئولين الإسرائيليين بالقدس بالقيام بعمل طوق أمنى وحزام استيطانى حول المدينة لإقامة المشروع الكبير على حد تعبير السياسيين الإسرائيليين ، فقد وصف "تياهود روبلس" رئيس إدارة الاستيطان التابعة للمنظمة الصهيونية عن السكان العرب بأنه " سرطان يحيط بالقدس يجب تصفيته "، وهذا ما أكدوه خلال ممارساتهم الفعلية ضد السكان وتزويد المستوطنين بالسلاح لمواجهة العرب [٦٢].

فحسب الإحصائيات الإسرائيلية يقدر سكان القدس الشرقية بـ ٤٠٠ ألف يهودى إلى جانب ١٩٠ ألف من العرب ، وقد دعى "أستيه بن أريه" مستشار رئيس بلدية القدس إلى ضرورة توسع وتكثيف الاستيطان اليهودى فى القدس مع ضرورة توسيع حدود بلدية القدس لتصل حتى نهر الأردن [٦٣]. كما تقدم عضوا الكنيست الإسرائيلى "عمنويل زيسمان" من حزب العمل و "يهوشاع" من حزب الليكود للكنيست الإسرائيلى باقتراح ينص على تطبيق القانون والقضاء والإدارة فى القدس على مستوطنى (معالية ــ أدوميم ــ وجعبات) وهذا يحقق امتداداً إقليمياً هنالك فى شمال وشرق القدس على المدن المحيطة بالقدس فضلاً على أن هذا المشروع يمنع أى امتداد إقليمى بين سلطة الحكم الذاتى وبين القدس وبصفة خاصة فى الجانب الشرقى، وينطوى هذا على إفشال أى خطة فلسطينية بالسيطرة

---

[٦١] صحيفة القدس ، عدد ٩١٩٠ ، ٢٩ مارس ١٩٩٥م ، ص ٤.

[٦٢] راجع فى الملاحق : تقرير منظمة حقوق الإنسان الإسرائيلية عن "بتسليم" ، صحيفة القدس، عدد ٨٩١٤ ، ١٩٩٤/٦/٢٤ ، ص ١٠ ، وراجع : الندوة الدولية حول المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة ٢٤ - ٢٦ سبتمبر ١٩٧٩م ، جامعة الدول العربية .

[٦٣] راجع على الخريطة حدود مدينة القدس قبل الاحتلال عام ١٩٦٧م وبعد قرار الضم عام ١٩٦٧م والخطة الاسرائيلية فى القدس عام ١٩٧٣م والقدس حسب الخطة الاسرائيلية فى ١٩٨٢م وخريطة القدس الكبرى حسب تخطيط سلطات الاحتلال الاسرائيلى .

بصورة أو أخرى على القدس . ومن خلال المشروع الذى تقدم به عضوا الكنيست تتضح مجموعة من الحقائق لكن نبرزها على الوجه التالى :

١- أن المشروع يعمل على إيجاد امتداد إقليمى بدون الحاجة إلى مصادرة أراض خاصة على طول الطرق إلى مستوطنات معالية وأدوميم وجعبات زائيف.

٢- أن توسيع مساحة البلدية معناه زيادة عدد السكان اليهود فى القدس وضمان الأغلبية وزيادة مساحة الأراضى للبناء وهو فى حد ذاته يتمشى والاستراتيجية الإسرائيلية الخاصة بالقدس لمختلف الأحزاب والاتجاهات فقد بلغ عدد المستوطنين ١٦٠ ألف مستوطن يهودى منتشرين فى الأحياء الاستيطانية.

٣- أن المشروع سيؤدى إلى إشراف دقيق من البلدية والداخلية بصورة فعالة على عملية البناء وهو ما يعنى سيطرة الحكومة على مقدرات الأمور فى القدس ، فبعد أن كان عرب القدس يملكون ما يقرب من ٨٣٪ من الأراضى العقارية عام ١٩٤٨م أصبحوا لا يملكون سوى ١٤٪ وأصبح اليهود هم الذين يملكون النسبة العالية ٨٣٪ وأن نسبة ٣٪ يمتلكها أجانب كما وضحنا ذلك.

وبهذا نرى أن الحكومة الإسرائيلية إنما سعت إلى زرع فكرة الاستيطان فى مدينة القدس إلى جانب عدد من المناطق العربية لتحقيق مكاسب سياسية وأمنية إذا كانت هناك مفاوضات سلام ، وعلى هذا الأساس فقد قسمت عملية الاستيطان إلى :

أ- استيطان أمنى : وهو القائم على النظرية الأمنية غير الخاضع من وجهة نظرهم لعملية التفاوض مع الطرف الفلسطينى .

ب- استيطان سياسى : وهو الذى يمكن التفاوض عليه باعتبار أن نشأته فى الأصل نشأة سياسية بحتة لا ضرورة لها وبالتالى لا ضرورة له فى سياق العملية التفاوضية.

ولهذا يمكن القول أن السياسة التى اتبعتها إسرائيل منذ عام ١٩٦٧م بشأن القدس هى سياسة نابعة من استراتيجيتها العسكرية وتدابيرها الأمنية الحريصة كل الحرص عليها ، وذلك بتطويق المدينة بطوق ذى طابع خاص ، ويظهر ذلك من خلال الممارسات التى

قامت بها ضد السكان العرب سواء بالطرد أو التهجير أو المعاناة بالاعتداء على المنازل فى القرى الأخرى [٦٤].

رابعاً : فرض القيود الاقتصادية والثقافية على سكان القدس

منذ أن سيطرت إسرائيل على الأراضى العربية فى يونيو عام ١٩٦٧م بما فيها مدينة القدس أخذت تعمل على إلغاء القوانين والأنظمة القائمة فى تلك المناطق بما فيها مدينة القدس وتغيير الطابع العربى بها ، فقامت بإصدار قانون التنظيمات القانونية والإدارية لعام ١٩٧٠م والذى بموجبه ألغت جميع القوانين الأردنية فى القدس ، واتخذت لذلك سياسة تهويد خاصة فى الهياكل التنظيمية للحياة (كالتعليم - القضاء - المرافق العامة - الهيئات الدينية والسياسية ... الخ) .

وسنبين فيما يلى أهم تلك الإجراءات التعسفية التى اعتمدت عليها السلطات الإسرائيلية فى ذلك :

أولاً : التعليم

أصبحت المؤسسات التعليمية على اختلاف أنواعها هدفاً للحملة الإسرائيلية الرامية لتفريغ المدينة من سكانها المقيمين بها من خلال فرض القيود الصارمة على المواطنين العرب من الدخول أو الخروج من القدس فى أثناء فترات فرض الطوق الأمنى على الضفة الغربية الأمر الذى يؤدى بالتالى إلى تعطيل المدارس من جهة وحرمان الطلاب من مدارسهم نتيجة غياب المعلمين العرب والذين أغلبيتهم من خارج دائرة القدس.

كما تقوم سلطات الاحتلال الإسرائيلى بإعطاء الطلاب تصاريح للخروج أو الدخول إلى المدينة بمواقيت ومواعيد محددة وفى حالة التأخر لأى عذر أو أى سبب من الأسباب

---

[٦٤] تروى إحدى السيدات العربيات " أنها قد سمعت بعد منتصف الليل طرقاً شديداً على الباب ففزعت وخشيت من فتح الباب خوفاً على أبنائها" . ويروى آخر " أن المستوطنين يقومون برشق الحجارة وافتعال المشاكل على أبواب المنازل ويجوبون الشوارع مطلقين أصواتاً مزعجة" ويروى ثالث "أنهم قاموا على صاحب مخبز فكسروا واجهات محلاته ومحتويات المخبز الداخلية" . وهذا يبين ما يرتكبه المستوطنون لافتعال أزمات مع العرب المقيمين فى القدس فى محاولات منهم لإجبارهم على النزوح والتهجير. راجع صحيفة القدس ، عدد ٨٩٢٤ ، ٤ يوليو ١٩٩٤م، ص ٧.

فتكون النتيجة الطرد. ففى رسالة لمكتب الشكاوى التابع لمركز الدفاع عن الفرد تقدمت مجموعة من الطلاب بشكواهم إلى المسئولين للنظر فى أمور التصاريح الخاصة للوصول إلى الضفة الغربية والعكس [٦٥].

وإن دل ذلك على شئ ، فإنما يدل على مدى معاناة الطلاب العرب الدارسين فى القدس من الصعوبات التى تواجههم نتيجة التعسف الإسرائيلى. كما قامت السلطات الإسرائيلية إلى إدراج اللغة العبرية كلغة رسمية فى المدارس إلى جانب اللغات الأوربية الأخرى هذا إلى جانب إلغاء المناهج والكتب الدراسية التى كان معمولاً بها فى المدينة قبل الاحتلال الإسرائيلى عام ١٩٦٧م.

كما قامت السلطات الإسرائيلية بفرض رسوم عالية وذلك فى محاولة منها لإبعاد التلاميذ عن هدفهم الأصلى وهو التعليم. وقد قام المواطنون العرب لذلك بإنشاء المدارس الأهلية التى لا تخضع لنظام التعليم الإسرائيلى ، وقامت السلطات الإسرائيلية لتقرير سياستها بإصدار قانون ٥٦٤ فى ١٩٦٩/٧/١٨ والذى ينص على منع فتح مدارس جديدة إلا برخصة من مدير المعارف والثقافة الإسرائيلى[٦٦].

كما قامت السلطات الإسرائيلية بإلغاء الكتب الدراسية التى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوطن العربى ووضعه وتاريخه ، فقامت بطبع كتب ومذكرات فيها الكثير من المغالطات وتشويه الحقائق التاريخية . كما تعمدت السلطات الإسرائيلية عدم إقامة منشآت جديدة لتعليم الطلاب واكتفت بما هو قائم من استئجار الغرف والحجرات المعدة للسكن للتدريس من خلالها. ورغم المطالبة الدائمة لدى السلطات الإسرائيلية إلا أن تلك الجهود كانت تضيع هباء[٦٧] . كما قامت السلطات الإسرائيلية أيضاً بإصدار القانون رقم ٨٥٤ والخاص

---

[٦٥] انظر فى الملاحق ، شكوى الطلاب.

[٦٦] قامت السلطات الإسرائيلية بفرض كتاب "إسرائيل جغرافيا وموطن" ، تأليف فضيل حداد عام ١٩٧٥م ، كما قامت بفرض كتاب مدينات إسرائيل تأليف سليمان حمود عام ١٩٧٩م ، كما تم استبدال جغرافيا العالم العربى وأضيفت لها كلمة إسرائيل. راجع المنهل عدد ٥٠٨ ، مرجع سابق ، ص ١٤٨.

[٦٧] تم عقد لقاء بين مديرى مدارس القدس الشرقية و"عيزرا وايزمان رئيس دولة إسرائيل الحالى والذى كان يشغل منصب وزير الدولة آنذاك للحاجة إلى إنشاء العديد من المدارس ، نشرة الأخبار الإسرائيلية للتليفزيون الإسرائيلى فى ١٩٨٥/٣/١٩ باللغة العربية.

بالجامعات فى الضفة الغربية والقدس ، إلى جانب وضع العراقيل أمام الطلاب للتسجيل فى أماكنهم وإعطاء فترة قصيرة للتسجيل لا تسمح بالقيام بذلك .

ومن خلال ما تقدم تتضح لنا العديد من الحقائق يمكن أن نبرزها على النحو التالى :

١- أن سلطات الاحتلال الإسرائيلى أرادت صبغ التعليم بالصبغة الإسرائيلية .

٢- رغبة سلطات الاحتلال فى عدم تجديد وإقامة منشآت تعليمية بهدف القضاء على الفكر وإجهاضه من خلال قتل العملية التعليمية .

٣- وضع العراقيل أمام الطلاب الدارسين فى محاولة لنشر مزيد من الجهل والأمية بين صفوف المواطنين العرب ليسهل أمامهم استمالتهم كيفما أرادوا .

٤- فرض الخريطة الإسرائيلية على التلاميذ كأمر واقع من خلال تأكيد سلطانهم ونفوذهم.

٥- تكميم الأفواه من خلال تجميد العقول بالقضاء على ما هو جديد فى الناحية التربوية .

٦- إزالة الروابط بين المجتمع العربى فى القدس والمجتمع العربى خارج الأرض المحتلة، حتى لا يتحقق الانتماء الوطنى من خلال فرض مناهج دراسية معينة .

ثانياً : القضاء

نهجت إسرائيل نفس التيار الذى اتبعته في العملية التعليمية ، والتى أوضحناها سابقا، حيث أدركت خطورة القضاء وما يتمتع به من نفوذ بين رجال القانون والدين على حد سواء ، وهو ما ترفضه السياسة الإسرائيلية شكلاً وموضوعاً . وعلى هذا الاتجاه اتبعت سياسة دمج القضاء فى القدس بالقضاء الإسرائيلى من خلال إصدار قانون خاص بذلك (رقم ٣٩) بنقل محكمة الاستئناف من القدس إلى مدينة رام الله ، كما أصدرت قراراً بإلغاء المحكمة الابتدائية فى القدس[٦٨]. وقامت أيضاً بفصل جميع المحاكم النظامية فى القدس عن النظام القضائى فى الضفة الغربية ، حيث ظلت تلك المدن والقرى بالضفة

---

[٦٨] تيسير النابلسى (دكتور) : الاحتلال الاسرائيلى للأراضى العربية فى ضوء القانون الدولى لعام ١٩٧١ ، ص ١٢٩ .

الغربية تعمل فى ظل النظام القضائى الأردنى بينما اتّبع القضاء الاسرائيلى فى مدينة القدس، وقد اتّبعت لذلك العديد من الخطوات منها :

أ - نقل دفاتر المحاكم السجلات وأثاثها إلى المحاكم الإسرائيلية .

ب- إصدار تعليمات إلى القضاء والجهاز المعاون له بتقديم طلبات الالتحاق إلى وزارة العدل الإسرائيلية .

ج- رفض الاعتراف بأى أحكام تصدر عن المحاكم الشرعية فى القدس ، ونفى رئيس المحكمة الشرعية فى القدس ، وإعطاء صلاحيات المحكمة الشرعية فى القدس إلى المحكمة الشرعية بيافا .

د- إيقاف كل القرارات الصادرة عن دائرة المحاكم الإسلامية وتجاهل ما يدور فى الأوقاف الإسلامية .

هـ- إصدار وزير الأديان الاسرائيلى قراراً ينص بعدم شرعية المحكمة الشرعية فى القدس من الناحية القانونية فى الدولة [٦٩].

ثالثاً : الخدمات العامة والمهن الحرة

اتبعت السلطات الإسرائيلية ممارسات تعسفية منذ سيطرتها على المدينة بشأن الخدمات التى تقدم للمواطنين أو المهن ومزاولتها أملاً فى ترك أوضاعهم والهجرة من المدينة طبقاً لأهدافهم وسياستهم . ومنذ أن تولت إدارة المدينة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ أصدرت العديد من القرارات والأوامر العسكرية منها :

١- نقل مراكز الخدمات الطبية بالمدينة إلى مدينة رام الله.

٢- أمرت السكان العرب بتسجيل حرفهم ومهنتهم لدى المؤسسات الإسرائيلية.

٣- أقامت مركز خدمات للشئون الإسرائيلية وأغلقت مراكز الخدمات التى كانت قائمة وتعمل بصورة منتظمة.

---

[٦٩] منظمة التحرير الفلسطينية (فتح) : القدس تاريخ وصورة ، ص ٤٤ .

٤- بدأت سياسة تغيير اللفظ العربى بمسميات الشوارع وتغييرها إلى أسماء عبرية وكذلك المصالح الحكومية.

٥- فرضت تداول العملة الإسرائيلية كعملة رئيسية دارجة فى المدينة وفتح بنوك إسرائيلية معتمدة وإغلاق البنوك العربية.

٦- طالبت المحلات بإصدار السجلات والتراخيص من خلال المصالح الحكومية الإسرائيلية وطبقاً للقوانين واللوائح الإسرائيلية.

٧- فرضت رسوماً عالية على أصحاب الحرف والمهن، حتى أصبح هؤلاء يعملون لحساب السلطات الإسرائيلية.

٨- إرهاب المواطنين والتجار من خلال فرض الضرائب الباهظة على السلع والبضائع المحلية وغير المحلية حتى يتجنب التجار العمل فى هذا المضمار وترك محلاتهم التجارية.

٩- إجراء سياسة تعسفية حول سياسة الجسور المفتوحة مع المملكة الأردنية الهاشمية من خلال إغلاقها أمام المواطنين فى مدينة القدس للزيارة أو العمل وفتحها أمامهم للهجرة أو المغادرة من المدينة.

وبهذا نرى أن السلطات الإسرائيلية مارست ضغوطاً مكثفة على السكان العرب فى مدينة القدس حتى من خلال حياتهم اليومية ووضع كافة العراقيل أمام أبواب الرزق المهيأة لهم من واقع تطبيق القوانين واللوائح الإدارية والأوامر العسكرية الإسرائيلية بشأن تهويد تلك المدينة ، ويدل ذلك على أن السياسة التى اتبعتها إسرائيل تعنى السيطرة على المدينة وإقامة الحزام الأمنى حولها من خلال النشاط المكثف للسلطات الإسرائيلية فى كل الاتجاهات.

خاتمة

وبعد ، فإنه من خلال ما تقدم فى ثنايا هذه الدراسة عن السياسة التى اتبعتها إسرائيل فى القدس منذ أن تغلغلت فى المنطقة العربية فى ٥ يونيو ١٩٦٧م وسيطرتها على مناطق عديدة ، يتضح لنا بجلاء أن اليهود كانوا يتطلعون إلى استعادة الدولة اليهودية وإعادة بناء الهيكل وإقامة عرش داود فى القدس ويقيمون ملكهم هناك فى المسجد الأقصى ، حيث

أخذت السلطات الإسرائيلية منذ بداية الأمر فى الاعتداء على المقدسات الدينية علـى شـكل حوادث فردية لمتدينين من اليهود ثم سرعان ما أخذت تتطور وتصبح عملاً رسمياً منظمـاً من قِبَل السلطتين التشريعية والتنفيذية إلى جانب الأحزاب والحركات الدينية اليهودية على اختلاف أشكالها وأنواعها ، وتصوير احتلال مدينة القدس على أنه بداية مرحلـة الخـلاص للشعب اليهودى ، ويتضح ذلك من خلال الممارسات التى قـامت بهـا مـع إبـراز النواحـى التالية :

أولاً : يتضح لنا أن ما قامت به الصهيونية ضد المقدسات الإسلامية فى القدس إنمـا يـدل على أنها مؤامرة نابعة من عقيدة حددت السلطات الإسرائيلية مفهومها متخذين مـن القـول القائل "إذا ما أريد قتـل روح أى شـعب فيجـب تدمـير رمـوز حضارتـه وبنيانـه الثقـافى" ، واعتداءات اليهود المتكـررة علـى المقدسـات الإسـلامية هـو قضـاء علـى الرموز الثقافيـة والحضارية رغم أن تلك الحفريات لم تسفر عن شئ لهم .

ثانياً : ما قامت به السلطات الإسرائيلية من مصـادرة الأمـلاك وتبويـر الأرض الزراعيـة وهدم المنازل وإجبار الآلاف من أهالى المدينة على الخروج من أرضهم ، إنما هو ضمن خطة وهـدف تسـعى إليـه الحكومـة الإسـرائيلية لإفـراغ الأرض مـن أصحابهـا الشـرعيين وتطبيق الأنظمة والقوانين الإسـرائيلية فيها كمـا حـدث فـى المـدن العربيـة الأخـرى التـى خضعت للسيطرة الإسرائيلية عام ١٩٤٨م مثل حيفـا ، ويافـا ، واللـد وغيرهـا مـن المـدن العربية الفلسطينية.

ثالثاً : استبدلت السلطات الإسرائيلية القوانيـن التـى كـان معمـولاً بهـا فـى القـدس بقوانيـن ولوائح إسرائيلية فكان لهذا تأثيره الواضح على مناحى الحياة فى المدينة العربية.

رابعاً : محاولة السلطات الإسرائيلية فى السيطرة على الهويـة الثقافيـة العربيـة مـن خـلال اتباع المنهج الإسرائيلى وجعل اللغة العبرية لغـة رسـمية فـى المـدارس وإشـرافها الكـامل على المدارس العامة والخاصة من خلال القوانين التى أصدرتها لهذا الشأن.

خامساً : زيادة سكان المدينة من اليهود والعمل على الاستيلاء على مساحات كبيرة من الأراضى لإقامة المساكن لليهود وتحويل اليهود إلى غالبية من السكان مع محاصرة المدينة العربية بكتل المبانى والمنازل اليهودية إلى جانب تطويقها بالمستعمرات حتى تكون النتيجة هى تهويد المدينة.

سادساً : إنشاء العديد من المستوطنات حول المدينة مع العمل على إقامة القدس الكبرى وتأثير هذه المستوطنات على أوضاع المدينة ككل ، سواء من الناحية السياسية أو الأمنية أو الإستراتيجية والكثافة السكانية ويتبين ذلك من خلال ما وضح فى العديد من الخرائط (ملحق الدراسة) التى تبين وضع القدس منذ عام ١٩٦٧م وظهور المستعمرات الاستيطانية جنباً إلى جنب مع المدينة العربية من جهة والمدن المجاورة لمدينة القدس من جهة أخرى.

ومن خلال ما سبق إيضاحه من نتائج هامة تم إبرازها فى الخاتمة يمكن أن نبين أهم التوصيات التى يجب الأخذ بها فى موضوع القدس :

١- يجب العمل بشكل جدى وفعلى على إنقاذ مدينة القدس من سياسة الإدماج وتهويد المدينة التى تتبعها إسرائيل وهو ما يشكل عقبة خطيرة فى طريق السلام ويؤثر بشكل مباشر فى اتجاهات الرأى العام الإسلامى والعربى.

٢- ضرورة مزاولة المؤسسات الفلسطينية أعمالها فى القدس كالمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والثقافية والأماكن المقدسة المسيحية والإسلامية للسكان العرب المقيمين بالمدينة التى تعمل السلطات الإسرائيلية جاهدة على محوها.

٣- العمل على وقف الحفريات التى تؤثر تأثيراً مباشراً على المقدسات الإسلامية من الناحية المعمارية والأثرية من خلال إصدار قوانين دولية ملزمة ورادعة تلزم سلطات الاحتلال الإسرائيلى بوقف كافة التعديات.

٤- ضرورة الوحدة الإسلامية والعربية فى مواجهة التحديات الإسرائيلية ضد المقدسات الإسلامية والحضارة العربية ، والتنديد بخطورة الممارسات الإسرائيلية والمخططات عبر مختلف وسائل الإعلام القومية والعالمية حتى يتنبه الرأى العام العالمى بخطورة السياسة الإسرائيلية على المنطقة العربية.

المراجع

باللغة العربية :

١- إطلال الناجى (دكتور) : الاستيطان الصهيونى والمقاومة الفلسطينية ، عمان ١٩٨٧م.

٢- تيسير النابلسى (دكتور) : الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية فى ضوء القانون الدولى ، ١٩٧١م.

٣- حسين طنطاوى : الصهيونية والعنف ، القاهرة ، ١٩٧٤م.

٤- دافيد هرست : البندقية وغصن الزيتون ، مترجم ، الهيئة العامة للاستعلامات.

٥- رائف نجم : الحفاظ على التراث المعمارى فى القدس الشريف رغم الاحتلال الإسرائيلى ، ١٨٨٥م.

٦- رجاء جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، دار الغد العربى ، ١٩٩٦م.

٧- روحى الخطيب : تهويد القدس ، عمان ، ١٩٧٠م.

٨- عبد الحميد زايد (دكتور) : القدس الخالدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤م.

٩- عبد الفتاح أبو عليه (دكتور) وعبد الحليم عويس (دكتور) : بيت المقدس فى ضوء الحق والتاريخ ، دار المريخ ، ١٩٨١م.

١٠- عيزرا فاتيزمان : الحرب من أجل السلام ، ترجمة غازى السعدى ، عمان ، ١٩٨٤م.

١١- مجدى الشندى : قبل أن تضيع القدس ، دار المنى للإعلام العربى ، ١٩٩٢م.

١٢- محمود العايدى : وسائل وطرق مأساة بيت المقدس ، الأردن ، ١٩٦٩م.

١٣- نظام محمود بركات (دكتور) : الاستيطان الإسرائيلى فى فلسطين بين النظرية والتطبيق ، ١٩٨٨م.

١٤- هنرى كتن : مفاهيم إسرائيل وممارستها فى القدس ، ١٩٨٥م.

١٥- وليد الجعفرى : الاستيطان الصهيونى فى فلسطين فى الماضى والحاضر ١٨٨٢ - ١٩٨٣م ، بدون تاريخ.

باللغة الإنجليزية

1- A Joseph Badi : Fundamental laws of the state of Israel (New York, 1961).

2- Donalds Will : Zionist settlemen ideology and its ramifications for the Palestinian people. Journal of Palestine Studies, vol 1 (1928).

3- Eva Godman : A history of the Jewish People and the Promised Land, London.

4- Lewis H : The Holy Places of Jerusalem.

5- Moshe Hirsch : The Jerusalem Question and its Resolution, Selected Documents (1994).

6- Shmar yahu Cohen : The Expansion of the Areas of the Iini fied City and Establishment of the New Neighbor-hoods (Jerusalem, 1986).

7- Yigal Allon : In search of Peace (Tel Aviv 1989).

8- Yigal Allon : Israel the Case for Defensible Borders.

رسائل جامعية غير منشورة

فواز حامد حسين الشرقاوى : الاستيطان فى فلسطين - دراسة مقارنة لمرحلة ما قبل قيام إسرائيل وما بعدها. رسالة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ١٩٩٠م.

الدوريات

مجلة القدس : عدد ٢٠٩ ، أكتوبر ١٩٧٩م.

مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، القاهرة ١٩٧٩م.

الندوة الدولية حول المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة ، ٢٤ - ٢٦ سبتمبر ١٩٧٩م.

الهيئة العامة للاستعلامات ، مسلسل ١٤٣ ، عام ١٩٨١م.

منار الإسلام ، عدد ٧ ، ١٩ فبراير ١٩٨٨م.

مجلة المنهل ، عدد ٥٠٨ ، المجلد ٥٥ ، سبتمبر ١٩٩٦م.

مجلة الوعي الإسلامي ، عدد ٣٦٨ ، سبتمبر ١٩٩٦م.

مجلة الدراسات الفلسطينية ، عدد ٢٦ ، عام ١٩٩٦م.

التليفزيون الإسرائيلي ، نشرة الأخبار باللغة العربية ، ١٩ مارس ١٩٩٦م.

الصحف

صحيفة القدس ، عدد ٨٩١٠ ، ١٩٩٤/٦/٢٠.

صحيفة القدس ، عدد ٨٩١٤ ، ١٩٩٤/٦/٢٤.

صحيفة القدس ، عدد ٨٩٢٤ ، ١٩٩٤/٧/٤.

صحيفة القدس ، عدد ٨٩٦٤ ، ١٩٩٤/٨/١١.

صحيفة القدس ، عدد ٩٠٤٦ ، ١٩٩٤/١٠/٣.

صحيفة القدس ، عدد ٩١٣٩ ، ١٩٩٥/٢/٤.

صحيفة القدس ، عدد ٩١٩٠ ، ١٩٩٥/٣/٢٩.

صحيفة القدس ، عدد ٩١٩٧ ، ١٩٩٥/٤/٥.

صحيفة القدس ، عدد ٩٢٥٣ ، ١٩٩٥/٦/٣.

صحيفة الأهرام ، عدد ٤٠٠٤٣ ، ١٩٩٦/٧/٢٥.

عدد ٤٠٠٤٥ ، ١٩٩٦/٧/٢٧.

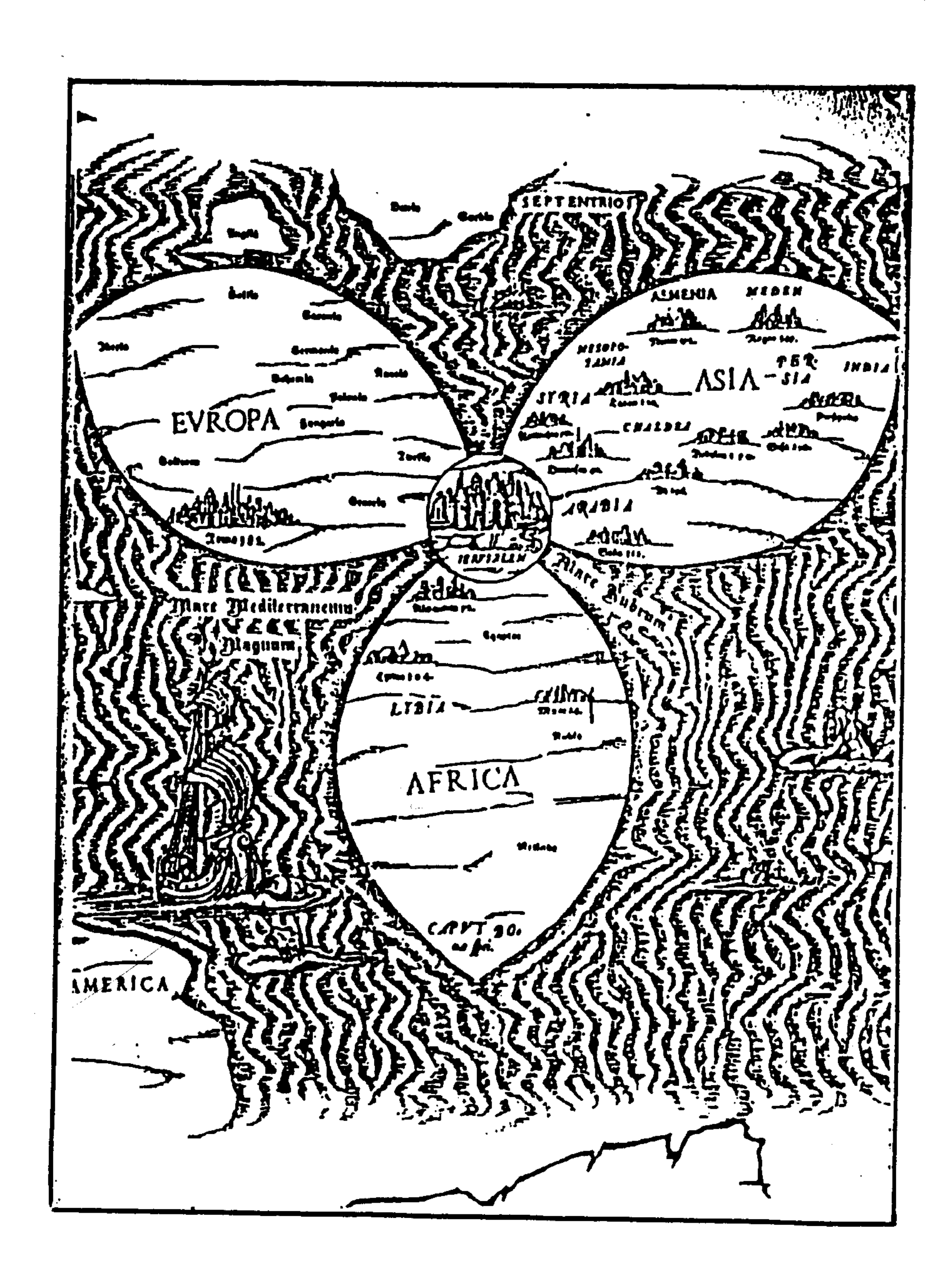
صحيفة الوفد ، عدد ٢٩٦٧ سبتمبر ١٩٩٦.

الجديد (لبنانية) ، ١٦ أغسطس ١٩٦٨.

وكالة الأنباء الأردنية ، ٥ سبتمبر ١٩٦٧.

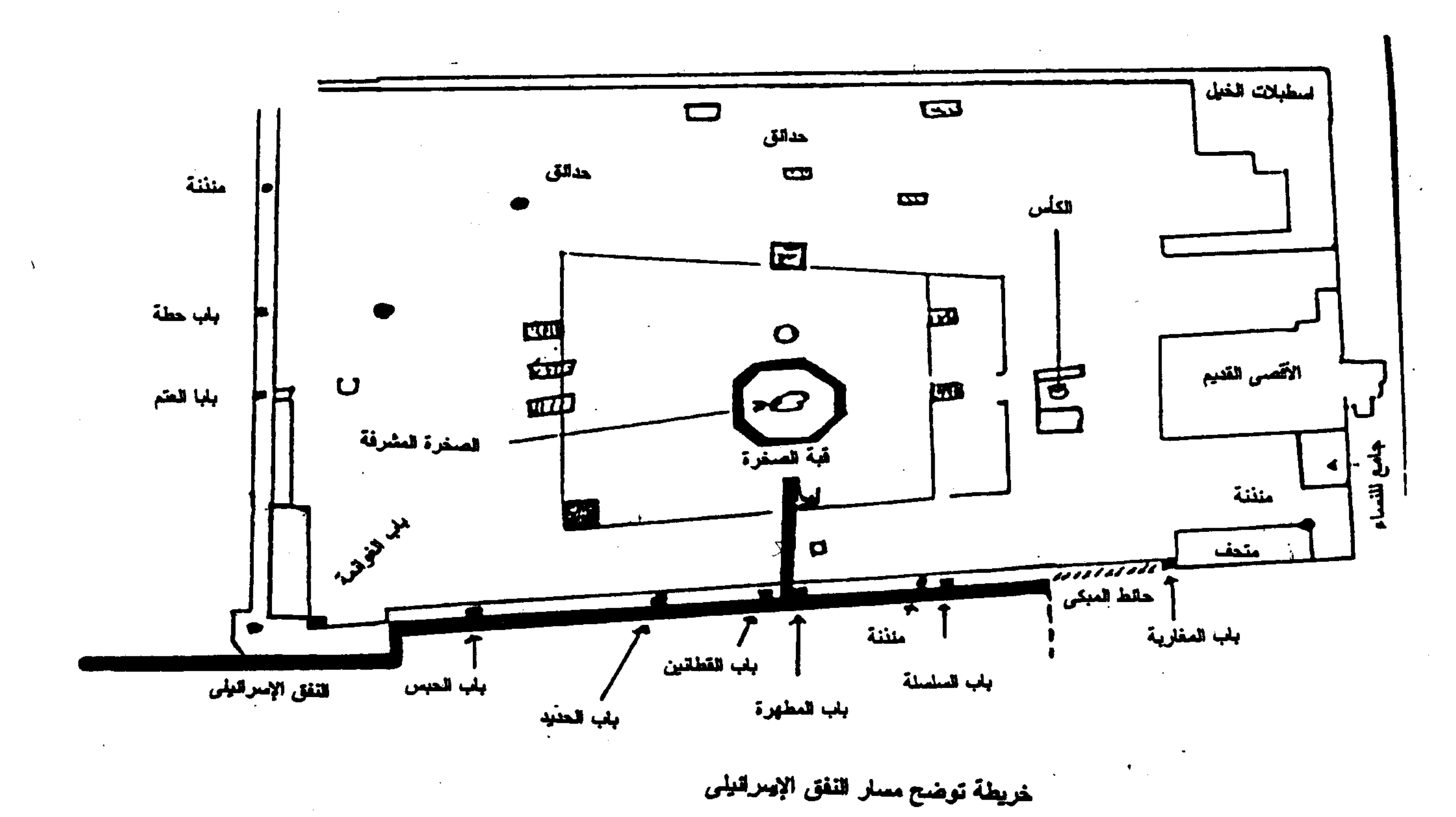
دوريات باللغة الإنجليزية

The Report of the Commission of investigation into the Events on the Temple Mount in the Ruth Lapidoth .



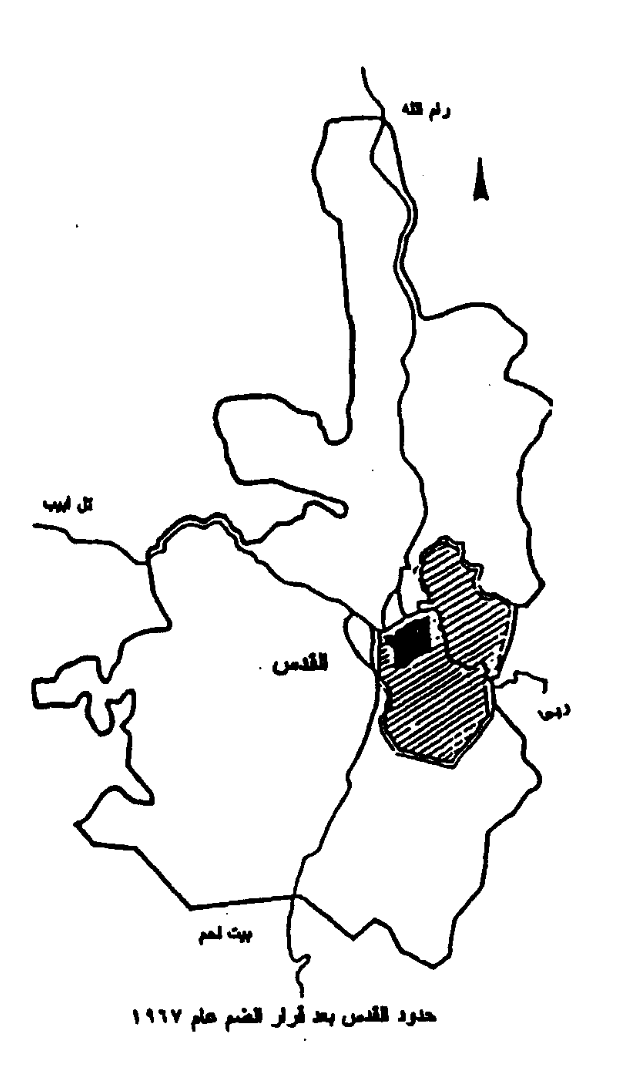
خريطة تبين أن القدس مركز العالم

المصدر: مجلة المنهل عدد ٥٠٨ مجلد ٥٥ ص ٨٢



خريطة توضح مسار النفق الإسرائيلى

مصدر : جريدة الأهرام : عدد ٤٠١٠٨ فى ٢٨ سبتمبر ١٩٩٦م ص ٦



حدود القدس بعد قرار الضم عام ١٩٦٧



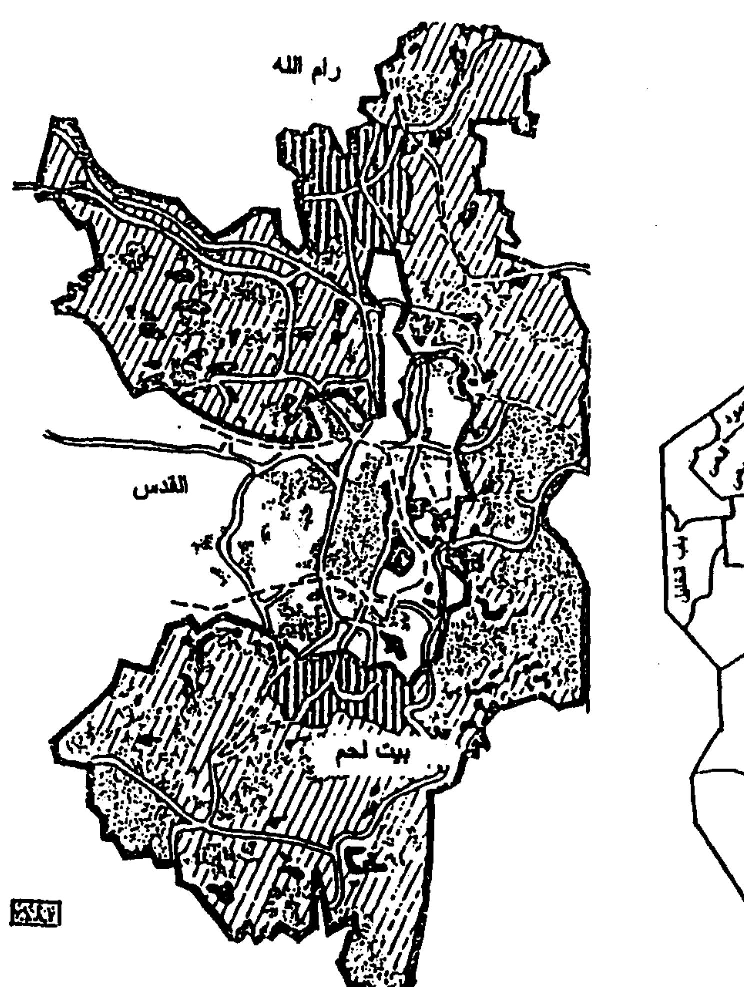
خارطة تبين حدود امانة القدس قبل احتلالها عام ١٩٦٧م

المصدر مجلة المنهل : عدد ٥٠٨ مجلد ٥٥ ص ٩٢

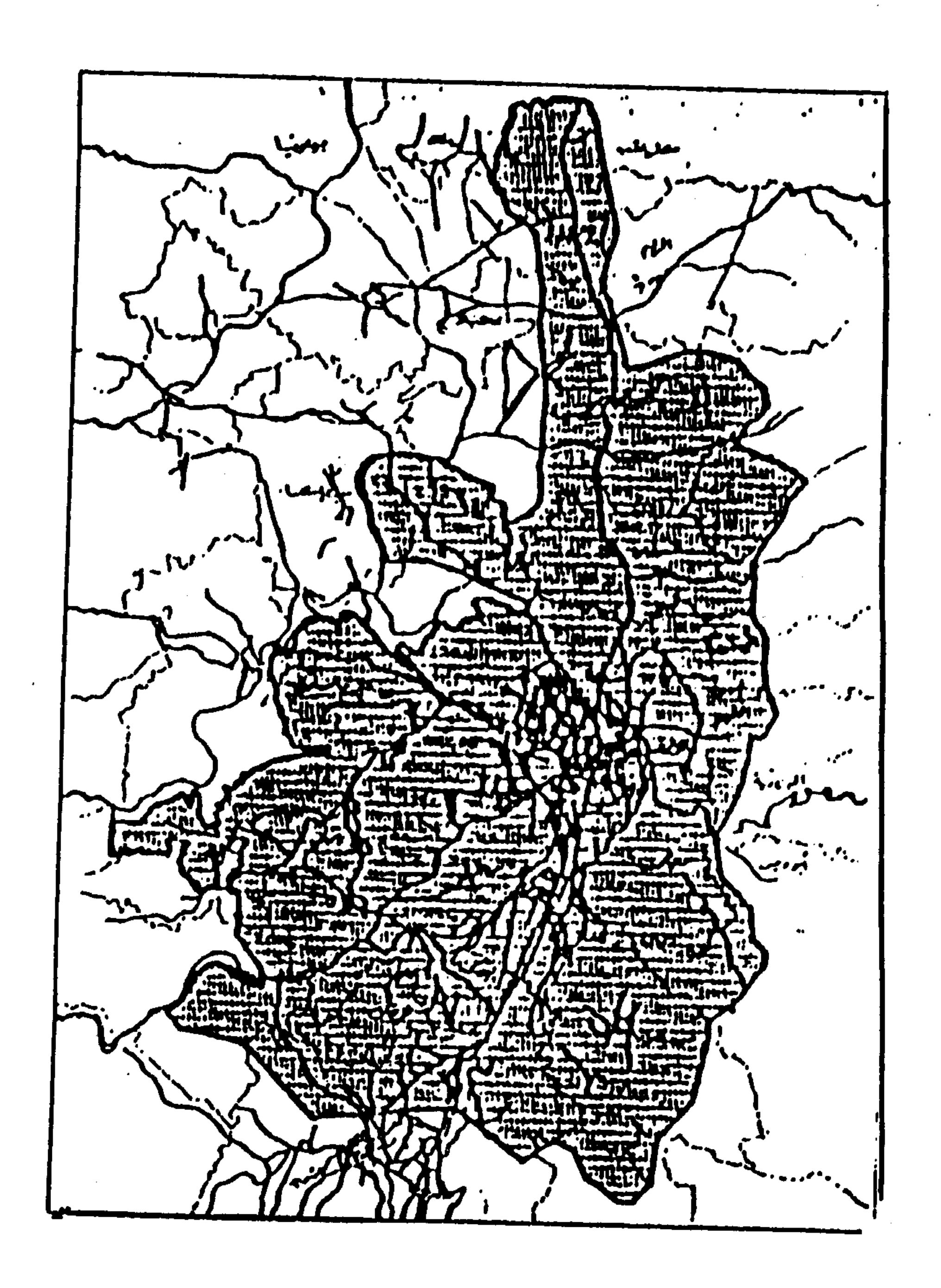
المصدر: مجلة المنهل عدد ٥٠٨ مجلد ٥٥ ص ٩١



خريطة توضح القدس حسب الخطة الاسرائيلية للقدس عام ١٩٧٣



خريطة القدس حسب الخطة الاسرائيلية عام ١٩٨٢



خريطة توضح القدس الكبرى حسب تخطيط اسرائيل

المصدر : مجلة المنهل عدد ٥٠٨ مجلد ٥٥ ص ٩٢

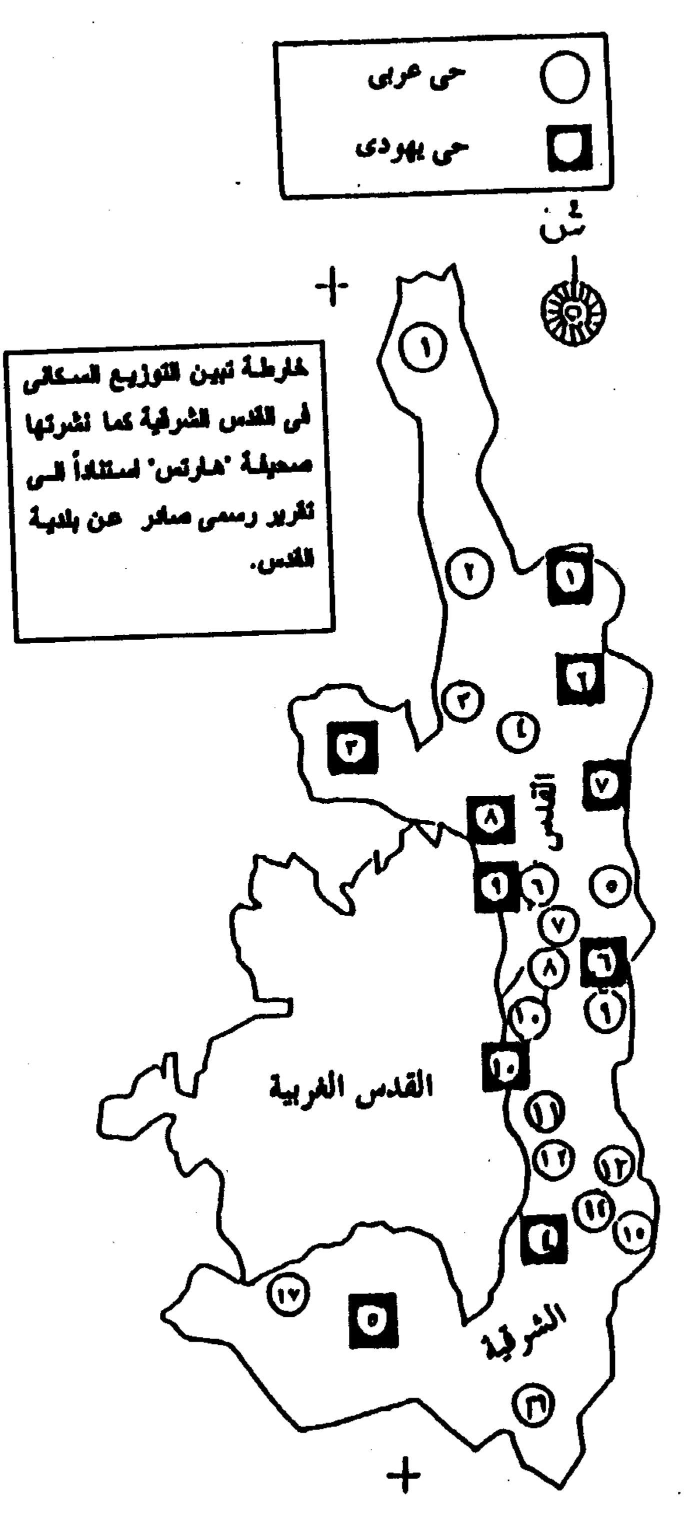
التقسيم السكانى فى القدس الشرقية

الأحياء العربية

المنطقة	السكان بالآلاف
١. كفر عقب	٥,٢
٢. بيت حنينا وحى نسيبة	١٦,٩
٣. شعفاط	١١,٦
٤. مخيم شعفاط	٦,٩
٥. العيسوية	٤,٧
٦. الشيخ جراح	٢,٤
٧. وادى الجوز	٦,٠٠
٨. باب الساهرة	٤,١
٩. الطور والشياح	١٢,٧
١٠.البلدة القديمة	٢٥,٩
١١.داوى حلوة	٢,٤
١٢.سلوان	٦,٤
١٣.راس العامود	٩,٦
١٤.ابو طور وجبل المكبر	٩,٤
١٥.عرب السواحرة وأم ليسون	٨,٣
١٦.صور باهر وأم طوبه	٧,٢
١٧.بيت صفافا وشرفات الزهر	٤,٦
١٨.أحياء اخرى	٦,٣
المجموع	١٥٠,٦

الأحياء اليهودية

المنطقة	السكان بالآلاف
١. النبى يعقوب	١٨,٨
٢. بسغات زئيف	٢٩,٠٠
٣. راموت	٢٧,١
٤. تل بيروت شرق	١٥
٥. جيلو	٣٠,٢
٦. جبل سكوبس	٢,٥
٧. التلة الفرنسية	٦,٥
٨. راموت اشكول وجبعات همبحا	٦و ٦
٩. معالية دفنة	٤,٧
١٠.البلدة القديمة	٢,٣
المجموع	١٥٢,٦



اعلان تحديد خطوط سير المركبات " عبر شوارع مدينة القدس"

يمنع وقوف المركبات في المواقف التالية : موقف اميل بوتا ، موقف مطحنة في يمن موشيه ، موقف حديقة الجرس المغطى بالاسفلت والموقف الغير مغطى ، مواقف دار الحكومة ومواقف مباني الأمة.

محاور السير التالية ستكون مغلقة بالتناوب وذلك في اتجاهي حركة السير:

*يوم الخميس (٢٧/١٠/١٩٩٤)

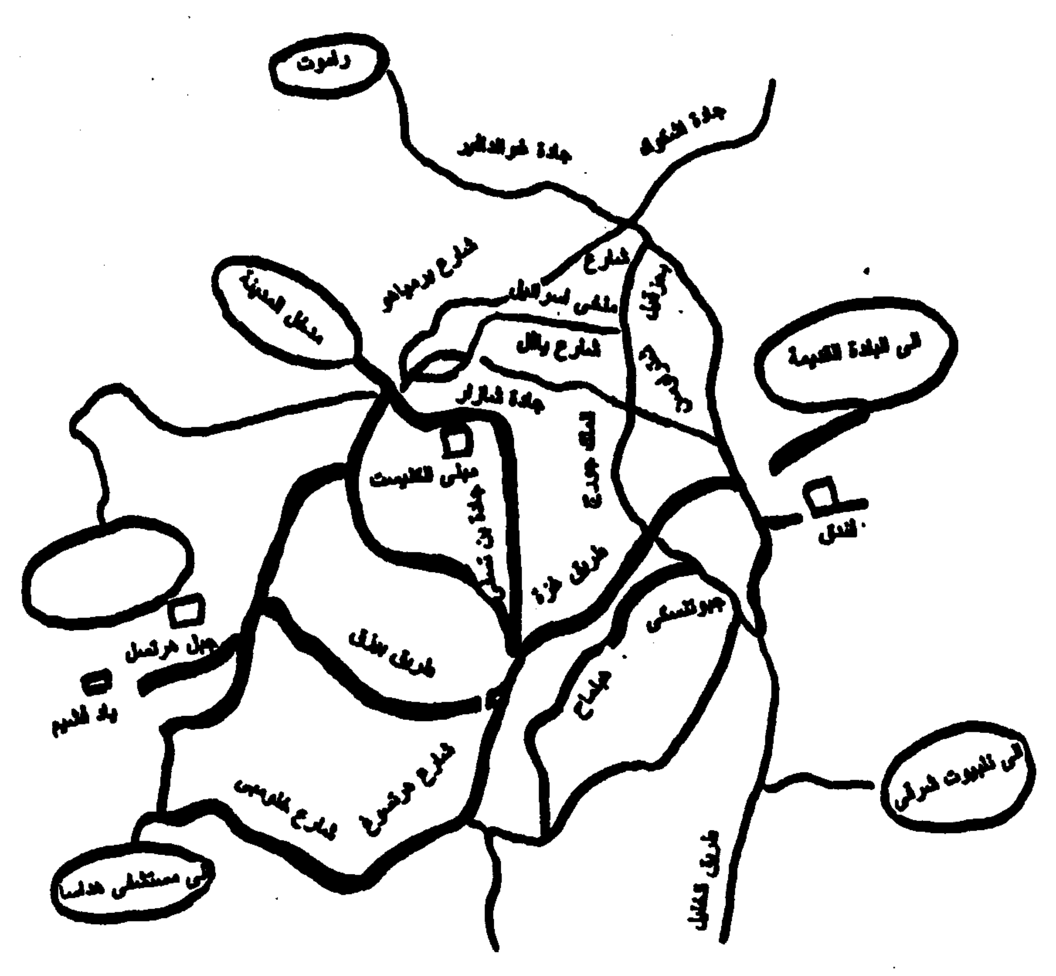
ابتداء من الساعة – , ١٥ بعد الظهر ولغاية الساعة – , ١٧ مساءً – شارع اورشليم القدس – تل ابيب ، جادة زلمان شزار ، جادة بن تسفي ، جادة حاييم هرتز ، جادة هرتسوغ ، شارع غزة ، شارع الهزون وشارع الملك داود.

من الساعة – , ١٧ ولغاية الساعة – , ٢٢ – شارع الملك داود ، شارع جبوتنسكي ، شارع كيرن هيسود ، شارع غزة ، طريق هيفين حتى الكنيست ، منطقة الكنيست ، دار الحكومة ، مباني الأمة منطقة المحطة المركزية.

من الساعة – , ٢٢ولغاية الساعة – , ١ – جميع انحاء منطقة البلدة القديمة والشوارع المؤدية اليها ستكون مغلقة كلياً امام حركة السير (بما في ذلك المواصلات العامة)

* يوم الجمعة (٢٨/١٠/١٩٩٤)

ابتداء من الساعة ٣٠, ٧ ولغاية الساعة ٣٠, ٩ – شارع الملك داود ، شارع جابو تنسكي ، شارع كيرن هيسود ، شارع غزة ، شارع هرتسوغ ، شارع بيزل ، جادة هرتسل ، منطقة ياد فشيم ، شارع اورشليم القدس – ابيب.



المصدر : الادارة المدنية بالقدس : بلدية أورشليم : منطقة التنظيم المحلية بالقدس

الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل" (٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

التسامح الديني في ظل الإدارة الإسلامية للقدس

دكتور محمد صابر إبراهيم عرب
أستاذ التاريخ الحديث - جامعة الأزهر

تتناول هذه الدراسة وضع الأقليات الدينية فى مدينة بيت المقدس فى ظل الحكم الإسلامى . وتتعرض فى البداية لمكانة المدينة المقدسة فى الديانات الثلاث (الإسلام والمسيحية واليهودية) ، ثم أبرزت بشكل خاص مكانتها فى القرآن الكريم والسنة النبوية وتراث الفقهاء والمحققين والجغرافيين والرحالة . وقدمت الدراسة تعريفا جغرافيا تاريخيا للمدينة العظيمة وتميزها الحضارى والثقافى والتاريخى ، الذى أهلها لكى تكون لها خصوصية المدن العملاقة ، حيث أبرزها القزوينى بقوله " ما فيها من موضع شبر إلا صلى فيه نبى أو أقام فيه ملك " .

ثم حاولت تتبع الملامح الأساسية التى صنعت من مدينة بيت المقدس عالماً زاخراً بالثقافات الدينية المتباينة ، وعلى الرغم من ذلك فقد بقيت بيئة إسلامية خالصة ، منذ أن فتحها الخليفة العظيم عمر بن الخطاب ، الذى يرجع اليه الفضل فى تحديد العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة وفقا لرؤية إسلامية دقيقة استمدها الخليفة عمر من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، واتسمت بفهم صحيح لروح الإسلام مما كان له أكبر الأثر فى طمأنة أهل الذمة بعد أن راحوا يقارنون بين أوضاعهم التى كفلها الإسلام ، والتى أتاحت لهم حرية لم تتح لنظرائهم من المسيحيين واليهود فى الدول الأوربية وقتئذ ، مما أتاح للكثيرين منهم حرية اختيار الإسلام دون ضغط او إكراه.

ثم تتبع الدراسة (بما يتناسب وحجم البحث) علاقة أهل الذمة فى بيت المقدس بالدولة الإسلامية اعتمادا على حقائق تاريخية تناولتها مصادر التاريخ الإسلامى وبعض المصادر المسيحية واليهودية وكلها تشيد بما تميز به المجتمع الإسلامى فى القدس من تسامح دينى لا يعتمد على مزاج الحكام أو الخلفاء ، وإنما يعتمد أولا وقبل كل شئ على ما كفله الإسلام لأهل الذمة من ضمانات صانت حقوقهم واحترمت آدميتهم وضمنت لهم حرية ممارسة عباداتهم دون ضغط أو إكراه .

وكان من المناسب أن أتناول ما قيل من أن اضطهادا قد وقع على أهل الذمة ولذا فقد حاولت تحقيق هذا الموضوع ودراسته دراسة علمية استنادا إلى الحقائق التاريخية أحيانا وعلى المفاهيم الدينية الصحيحة فى كثير من الأحيان ، ثم أبرزت الكثير من المقارنات بين وضع الأقليات الدينية فى القدس وبين وضع المسيحيين أو اليهود أنفسهم فى أنحاء الدول الأوربية التى خضعت لتوجيهات الكنيسة وفرضت على الناس فكرا كنسيا معينا ، مما أدى إلى ما يعرف فى التاريخ الأوربى بالتدهور الكنسى .

ولما كانت الحركة العلمية فى بيت المقدس تعد مظهرا رائعا للحرية التى كفلها الإسلام ، لذا فقد تعرضت هذه الدراسة لوضع علماء أهل الذمة فى الحركة العلمية ، واللافت للنظر أن العلماء من اليهود والنصارى قد برزوا فى العصرين الأيوبى والمملوكى أكثر من أى عصور تاريخية أخرى ، وأن الإدارة الإسلامية قد أتاحت لهم ما لعلماء المسلمين من امتيازات حفزتهم على النتاج العلمى تأليفا وتحقيقا ودراسة .

ثم أفرَدَت هذه الدراسة بنوع من التأصيل حالة اليهود والنصارى فى بيت المقدس متتبعة أنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية التى تشير فى كل مراحل التاريخ الإسلامى إلى أنهم تمتعوا بكل الحقوق التى كفلها الإسلام وفقا لقواعد ثابتة فى الفقه الإسلامى .

ولما كانت المقارنة هى حجة قوية لكل من روج لما يسمى بالاضطهاد التاريخى ، فقد تعرضت لوضع المسلمين واليهود حينما سقطت الأندلس والإبادة الجماعية التى تبنتها ومولتها الكنيسة الكاثوليكية تحت رعاية إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة وأبرزت حالة اليهود خصوصا .

ولقد تم تناول كل ذلك بالاعتماد على مصادر أصلية من خلال أعمال المنهج العلمي الدقيق، وهى محاولة نرجو أن تكون مفيدة تقديرا لمكانة القدس فى نفوسنا جميعا، والتى نود أن يفك أسرها قريبا بإذن الله.

تعايش المسلمين وأهل الذمة فى القدس فى ظل الحكم الإسلامى

لمدينة القدس فى الإسلام مكانة عظيمة تنبع من تقدير الرسول صلى الله عليه وسلم لها وحلوله فى أرضها وارتباطه بالمسجد الأقصى المبارك قبلة المسلمين الأولى ، الذى بناه يعقوب ، ثم جدده داود وأتمه سليمان عليهم السلام .

وفى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع على الأرض ، فقال : "المسجد الحرم ، قلت ثم أى ، قال : المسجد الأقصى ، قلت : وكم بينهما قال : أربعون عاما ، ثم الأرض لك مسجدا فحيثما أدركتك الصلاة فَصلّ فيه ، فإن الفضل فيه" .

وتعد مدينة القدس فى مقدمة المدن التى احتوت قدرا عظيما من المقدسات الدينية بحكم كونها موطن كثير من الأنبياء والرسل ، ويقول عنها القزوينى " أنها المدينة التى كانت محل الأنبياء وقبلة الشرائط ومهبط الوحى ، وما فيها من موضع شبر إلا وصلى فيه نبى أو قام فيه ملك "[1].

والسنة النبوية حافلة بما للمسجد الأقصى من مكانة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى" .

وقد أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وفى ذلك نزلت الآية الكريمة " **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ...** " .

---

[1] آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ١٥٩

ويروى ابن الجوزى "أن كثيرا من المحدثين يجمعون على أن الله عز وجل منذ خلق آدم إلى الدنيا لم يبعث نبيا إلا جعل قبلته صخرة بيت المقدس ، وقد صلى إليها نبينا صلى الله عليه وسلم"[٢].

من أجل ذلك فقد كانت القدس دوما محط آمال المسلمين وموضع رعايتهم ومحور اهتمامهم ، لذلك كان الموسرون من المسلمين على مر الأجيال يتنافسون فى إنشاء المساجد فيها والزوايا والتكايا بالرباطات ودور العلم والمستشفيات فى وقفيات لا يزال الكثير منها مسجلا فى سجلات المحكمة الشرعية بالقدس[٣].

ويكفى هذه المدينة العظيمة فخرا أن ضمت كثيرا من مقدسات الأديان السماوية الثلاثة ، فقد شهدت أرضها آثارا لموسى وعيسى ومحمدا عليهم السلام ، مما أهّل تلك المدينة لكى تؤدى دورا حضاريا عظيما . وقد عنى المؤرخون والجغرافيون والرحالة بهذه المدينة المقدسة وأفاضوا فى إبراز مصادر قوتها وعظمتها ، وكانت قمة المعرفة التاريخية والجغرافية هو التعرف على شخصية المدينة ، الذى يعد محصلة طبيعية لموقعها وتراثها وتاريخها الممتد عبر الزمان ، وهو النتاج الطبيعى لتفرد القدس وتميزها الحضارى والثقافى والتاريخى.

ومن خلال تتبع الدور الحضارى والتاريخى أمكن التعرف على خصوصية القدس ، التى افتقدت قدرا من المقومات الطبيعية للمدن التقليدية ، فلا هى تقع على مجرى مائى عظيم ، ولا هى ميناء ، إلا أن أراضيها بركانية ، صالحة للزراعة ، التى تعد عنصرا أساسيا لقيام الحضارة قديمها وحديثها .

وإذا كانت القدس قد افتقدت بعض المقومات الطبيعية التى تؤهلها لكى تلعب دورا عبقريا فى الحضارة باستثناء جودة أرضها واعتدال مناخها ، إلا أن مكانتها الدينية الضاربة فى أعماق التاريخ قد أهلتها لكى يكون لها خصوصية المدن العملاقة ذات التأثير الحضارى ، الذى اتسم بملامح دينية متميزة .

---

[٢] فضائل القدس ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ١١٤ .

[٣] اسحق موسى الحسينى ، مكانة بيت المقدس فى الإسلام ، بحث منشور ضمن مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ، المؤتمر الرابع لمجمع البحوث ، ١٩٦٨ ، ص ٦٧ .

لقد ارتبط بيت المقدس فى تراثنا الإسلامى ، منذ صدر التاريخ ، بقدر هائل من الاهتمام لدرجة أنه يندر أن تجد محدثا أو فقيها أو مؤرخا لم تشغل القدس مساحة هامة من كتاباته ، وبنفس القدر عنى الأوربيون منذ انتشار المسيحية والاعتراف بها فى أوائل القرن الرابع الميلادى ، حيث صار فى وسع المسيحيين فى مختلف الأقطار أن يرتحلوا إلى الأرض المقدسة ، وأصبحت زيارة القدس من أهم شعائرهم الدينية ، ففيها بيت لحم ، حيث ولد عيسى عليه السلام ، وما يقال عن وجود قبر مريم عليها السلام . وفى العصور الوسطى تعاظم دور الكنيسة الغربية (الكاثوليكية) لدرجة أنها حرصت على فرض سيطرتها على القدس ، وعلى ضم أبناء الكنيسة الشرقية لنفوذها ، واتخذت من الحروب الصليبية وسيلة لتحقيق أطماعها هذه حتى تم استيلاء الصليبين على بيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩م ، وظلت تحت حكم الصليبيين حتى استردها صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م عقب موقعة حطين الشهيرة .

وفى ضوء المبادئ الإسلامية النبيلة وهدى الدين القيم وأهدافه السامية وعلى أساس من إقامة ميزان العدل وإشاعة الحرية والمساواة ورفع مشعل الهداية جاء الفتح الإسلامى لبيت المقدس مرتين ، مرة فى أيام عمر بن الخطاب ، والأخرى فى أيام صلاح الدين الأيوبى .

وفى خلافة عمر بن الخطاب كانت إيلياء (بيت المقدس) هى الحضارة الكبرى لفلسطين ، وقد تولى فتحها عمرو بن العاص ، فحاصر المدينة ، ولما طال الحصار على أهلها طلبوا الصلح على شرط أن يكون المتولى لعقده عمر بن الخطاب ، فكاتبهم عمر وكتب لهم كتابا أمنهم فيه على أرواحهم وأموالهم وعقائدهم ، وتأتى رسالة عمر إلى أمراء الشام نموذجا للتسامح الدينى والسلوك الحضارى الراقى ، فلا تهدم كنائسهم ولا يكرهون على دينهم " ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن شاء قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ولا يؤخذ منهم شئ حتى يحصد حصادهم "[٤]، وشهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن

---

[٤] تاريخ ابن جرير الطبرى ، جـ٣ ، ص ١٠٥ ، خطط الشام ، جـ١ ، ص ١١٨ .

أبى سفيان ، كما قطع أهل ايلياء على أنفسهم عهدا تضمن كثيرا من المبادئ التى حددت طبيعة العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة عموما .

بعد أن قدم عمر صورة حقيقية للإسلام من خلال اتفاقه مع أهل ايلياء ، الذى يعد صورة رائعة لعدالة الإسلام وكريم معاملته ، مضى إلى بيت المقدس حتى دخل كنيسة القيامة ، ولما حان وقت الصلاة قال للبطريرك : أريد الصلاة ، فأشار عليه البطريرك (صفرونيوس) أن يصلى داخل الكنيسة ، ولكن عمر خشى أن يتخذ المسلمون صلاته فى داخل الكنيسة ذريعة فيضعوا أيديهم عليها ، ولذا فقد صلى على مقربة منها ، وقيل أن ذلك كان سببا كافيا لطمأنة البطريرك .

ثم زار عمر مكان الهيكل ولاحظ أن الأقذار قد تجمعت عليه فراح يحمل التراب بكفيه وتبعه الصحابة ، إلى أن برزت الصخرة التى كلم الله عليها يعقوب وأمر ببناء المسجد عليها (٦٣٧م) .

وبينما عمر يتفقد المدينة ويبحث شئونها أتاه رجل من النصارى له ذمة مع المسلمين فى كرم عنب ، فشكا إليه همه وعندما استوثق عمر من أن المسلمين قد أكلوا ما فى الكرم أثناء الفتح لشدة ما أصابهم من جوع ؛ أعطى الرجل ثمن ما أكلوه ، وقد أمر رجاله بالعدل قائلا لهم قولته الشهيرة " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ".

وهكذا أصبحت القدس فى كنف الإسلام ورحابه نموذجا للعدل والسماحة حيث التعايش السلمى بين جميع الطوائف فى مبادئ أساسية اتسمت بالعدل والرحمة ، مما دفع سكان ايلياء إلى التسابق فى معرفة الإسلام العظيم ، وهكذا كانت سياسة عمر سببا هاما من أسباب دخول أهل الشام عموما إلى الإسلام .

وفى سنة ٢١هـ / ٦٤١م ضمت القدس إلى الشام وخضعت لحكم معاوية بن أبى سفيان الذى كان واليا على الشام[°].

° لما مات عبد الرحمن بن علقمة الكنانى ، وكان عاملا فى فلسطين ، ضم عمله إلى معاوية ٢١هـ / ٦٤١ م . ثم أصبح حاكما مطلقا على الشام ومصر والعراق والحجاز ، وبويع بالخلافة ٤١هـ / ٦٦١م .

وفى عهد عبد الملك بن مروان أنشئت قبة الصخرة وهى بناء من الحجر فوق الصخرة المقدسة يقع وسط بيت المقدس ، وقد شرع فى تشييده ٦٦هـ / ٦٨٥م ثم أعاد بناء المسجد الأقصى وهما من أعظم آثار بنى أمية فى فلسطين ، ويقال أن عبد الملك بن مروان أراد أن يصرف الناس عن التفكير بالسفر إلى الحجاز[٦] وأن يشغلهم عن الكعبة ببناء هذا الأثر العظيم ، وهو قول لا يحمل قدرا من الحقيقة لأن الكعبة ليست مجرد بناء وإنما يرجع اهتمام المسلمين بها لأسباب دينية وليست لمجرد كونها بناء معماريا ، وهذا المعنى البسيط لا يمكن أن يغيب عن عبد الملك بن مروان .

وتشير مصادر التاريخ الأموى إلى أن عبد الملك بن مروان كان يثق فى النصارى إلى درجة أنه استخدمهم فى المسجد الأقصى وسمح لهم بتوارث الخدمة فيه[٧].

وإذا كان عبد الملك بن مروان قد بنى المسجدين المعروفين بمسجد الصخرة والمسجد الأقصى ، إلا أن إطلاق اسم المسجد الأقصى على ما دار عليه السور والأبواب هو الذى كان معروفا عند الإسراء والمعراج[٨].

وحينما خضعت القدس للعباسين ٧٥٠م عنى العباسيون بالمسجد الأقصى واستخدموا فى وظائف الإدارة كثيرا من غير المسلمين . وتشير مصادر العصر العباسى إلى أن هارون الرشيد قد عامل النصارى معاملة كريمة ، وسمح للإمبراطور شارلمان بترميم الكنائس وبناء كنيسة العذراء ، ولعل العلاقة بين شارلمان وهارون الرشيد قد توطدت لدرجة أنه أهدى شارلمان ساعة ومنزلا وأقمشة نفيسة وتعهد بحماية الحجاج المسيحيين الذين يفدون لزيارة القدس . وكان شارلمان يبعث كل عام بوفد إلى القدس يحمل الهدايا إلى الخليفة والأموال لفقراء المسلمين ، وفى إحدى المرات قدم الوفد مفاتيح كنسية القيامة والقبر المقدس[٩] تعبيرا عن التسامح الدينى الذى تجسدت كل معانيه فى سلوك كثير من حكام القدس .

---

[٦] بعد أن استقل بها ابن الزبير وأعلن الخروج على عبد الملك بن مروان .

[٧] محيى الدين ، الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل ، نقلا عن عارف العارف ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٢ .

[٨] إسحاق موسى الحسينى ، مكانة بيت المقدس فى الإسلام ، المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية ، ص ٨٢ .

[٩] عارف العارف ، تاريخ القدس ، ص ٥٥ .

وفى أواخر العصر العباسى زار القدس العالم المعروف (برنارد الحكيم) ووصفها وصفا دقيقا فقال " إن المسلمين والمسيحيين فيها على تفاهم تام وأن الأمن العام مستتب للغاية حتى أن المسافر ليلاً يفرض عليه أن تكون بيده وثيقة تثبت هويته وإلا زج فى السجن حتى يحقق فى أمره ، وإذا سافرت من بلد إلى بلد ونفق جملى أو حمارى وتركت أمتعتى مكانها وذهبت لاكتراء دابة من البلدة المجاورة عدت فوجدت كل شئ على حاله لم تمسه يد "[10].

والواقع أن ثمة حقيقة أساسية وهى أنه إذا كانت الحضارة العربية الإسلامية ، وهى باعتراف الباحثين أعظم حضارة شهدها العالم أجمع خلال فترة العصور الوسطى ، فإن السر فى ازدهارها إنما يرجع إلى روح التسامح التى عرف بها الإسلام والمسلمون ، ولسنا فى حاجة إلى الإشارة إلى أن الإسلام أوصى بأهل الكتاب من المسيحيين واليهود خيرا ، وأن الله أمر خاتم أنبيائه محمدا عليه الصلاة والسلام بأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة " **فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد** "[11].

وبمثل هذه الروح الطيبة فتح المسلمون أبواب بلادهم أمام اليهود ليدخلوا آمنين ويتنقلوا بين ربوعها سالمين وسمحوا لهم بممارسة نشاطهم الخاص والعام على أوسع نطاق وأباحوا لهم التتلمذ على أيديهم والأخذ عنهم وأجازوا لهم الكثير من المهام والأعمال والمناصب الرسمية وغير الرسمية فصار منهم التجار والصيارفة والأطباء والوزراء .

ولا أدل على تسامح المسلمين مع اليهود من السماح لهم بالاحتفاظ بهياكلهم ومعابدهم فى بيت المقدس فى الوقت الذى أمرت الكنيسة فى غرب أوروبا بتحطيم هياكل اليهود وإهدار دمهم .

لعل الوصف الدقيق لمدينة القدس فى عهد الفاطميين ودرجة تسامحهم نجده فى (سفر نامة) للسائح المشهور (ناصرى خسرو) فقد زارها ١٠٤٧م ووصفها قائلا "يحج

---

[10] نفس المرجع السابق ، ص ٥٨ .

[11] سورة آل عمران : ٢٠ .

سكان البلاد المجاورة للقدس ويشبعون فيها رغباتهم الدينية ويتقربون إلى الله بجميع أنواع الصلاة والعبادة" [١٢].

والقراءة المنصفة لتاريخ الصراع الإسلامى الصليبى تعطى انطباعاً دقيقاً عن التسامح الإسلامى ، فها هو صلاح الدين الأيوبى بعد أن حقق انتصاراً ساحقاً على الصليبيين فى حطين ٥٨٣هـ / ١١٨٧م يقبل اتفاقية الرملة ٥٨٧هـ / ١١٩١م حقناً للدماء، ومما يسترعى الانتباه مقدار التسامح والعفو ، حيث أطلق سراح اليتامى والشيوخ والأرامل من الصليبيين دون دفع الفدية ، إضافة إلى أنه منحهم مساعدات مالية من ماله الخاص .

ومما يسترعى النظر أيضاً أنه اكتفى بأن أخذ فدية رمزية قدرها عشرة دنانير من بطريرك بيت المقدس وتركه يغادر المدينة حاملاً ما استطاع حمله من الذهب والفضة ومن خلفه العربات تحمل النفائس التى كانت بالكنيسة وقد رفض صلاح الدين أن يتعرض لما حمله البطريرك وقال " لا أغدر به " ، وبهذا يظهر الفرق بين المعاملة الإنسانية الكريمة وبين معاملة الصليبيين حين سقطت بيت المقدس فى أيديهم سنة ١٠٩٩م وما فعلوه من تقتيل وتخريب وتدمير .

وتشير مصادر التاريخ الأيوبى إلى أن القدس فى عصر صلاح الدين قد شهدت قدراً عظيماً من التسامح أتاح لساكنيها من غير المسلمين الفرصة لممارسة أنشطتهم اليومية بحرية مطلقة ، مما أتاح الفرصة لصلاح الدين لكى يعنى بالخدمات العامة وإنشاء "البيمارستان"[١٣] .

وسواء أكان صلاح الدين هو أول من أنشأ "البيمارستان" فى القدس أو أنه كان قائماً منذ عصر الفاطميين إلا أنه من الثابت أن صلاح الدين قد عنى به واستقدم إليه الأطباء من دمشق والقاهرة كما جدد سور مدينة القدس وأقام عدداً من الأبراج الحديثة وكثيراً ما قام بنفسه بمشاركة العمال فى نقل الحجارة وأعمال البناء .

[١٢] عارف العارف ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٥ .

[١٣] كارل بركلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكى ، ص ٣٦٠ .

وإذا كان المسلمون قد تعاملوا مع أهل الذمة بقدر عظيم من التسامح أملته قيم الإسلام وتعاليمه ، إلا أن الصليبيين حينما استولوا على بيت المقدس سنه ٤٩٢هـ وظلت تحت وطأتهم زهاء قرن من الزمان قتلوا من أهلها خلقاً كثيراً[١٤] وانتهكوا محارمها وكانوا لا يطلقون أسيراً إلا بفدية ولم يحفظوا جميل المسلمين الذين صانوا آثار أهل الكتاب صيانتهم لآثارهم[١٥] .

وفى نهاية العصر الأيوبى تفاقم الصراع بين البيت الأيوبى لدرجة أنه استنجد بعضهم بالصليبيين ضد البعض الآخر[١٦]، وانقسمت البلاد إلى دويلات صغيرة مما أغرى الصليبيين بالهجوم على مصر ، ويروى أحد المؤرخين المعاصرين (ابن واصل) أن الحملة الصليبية الخامسة ٦١٤هـ / ١٢١٨م كانت تستهدف مصر باعتبارها الدعامة الأساسية مما يسهل مهمة احتلال القدس وكل ساحل بلاد الشام[١٧] .

وإذا كانت مصر هذه المرة قد جاءت هدفاً صليبياً مباشراً باعتبارها الدرع الواقى للشرق الإسلامى إلا أن الجيش الصليبى بأجمعه تقريباً قد وقع بين أسرى وقتلى وكان من جملة الأسرى لويس التاسع نفسه وقد سيق مكبلاً بالأغلال إلى المنصورة حيث سجن فى دار القاضى ابن لقمان[١٨] .

وفى العصر المملوكى ووفقاً لرواية ابن حجر القلقشندى وعلى وجه التحديد ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م فى زمن السلطان الأشرف شعبان بن حسين أصبحت القدس إدارة مستقلة بذاتها بعد أن كانت تابعة لدمشق[١٩] .

ولعل السلطان الأشرف قد أدرك أهمية بيت المقدس بحكم مكانتها الدينية والتاريخية ونظراً للأطماع الصليبية فيها ونظراً لتعدد ديانات سكانها وتنوع جنسياتهم ولما لها من دلالة

---

[١٤] ابن سرور ، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام ، يافا ، ١٩٤٦ ، ص ٦٢ .

[١٥] تاج الدين السبكى ، طبقات الشافعية ، جـ ٥ ، ص ٣٣٢ .

[١٦] د. على السيد على ، القدس فى العصر المملوكى ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٢٢ .

[١٧] ابن واصل . مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمال الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، جـ ٢ . ص ٢٥٨ .

[١٨] المقريزى ، كتاب السلوك ، جـ أ ، ص ٣٥٦ .

[١٩] أنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق د . حسن حبشى ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ط ١ ، ص ١٠٧ ، صبح الأعشى ج ١٢ ، ص ١٠٥ .

خاصة فى ذهن الأوربيين ، ولذا فقد اختير لإدارتها الأمير شهاب الدين ، وتشير المصادر إلى أن الرجل كان صاحب همة وعدل وعلم وكان موضع احترام وتقدير سكان بيت المقدس[٢٠] .

ويصعب فهم قرار المماليك باستقلالية القدس كنيابة مستقلة تابعة مباشرة للسلطان فى القاهرة إلا فى ضوء طبيعة الصراع الإسلامى المسيحى خلال تلك الفترة من العصور الوسطى حيث راحت الدول الأوربية تتسابق فيما بينها نحو إحياء مشروع الحروب الصليبية والإعلان صراحة عن نيتهم فى احتلال القدس على اعتبار أن ذلك هدفا دينيا وسياسيا مشتركا .

وهكذا لم تتوقف الأطماع الصليبية نحو القدس وخصوصاً بعد أن تولى (لوزينان) عرش قبرص ١١٩٢، ومنذ ذلك التاريخ غدت قبرص حجر الزاوية فى الحروب الصليبية لدرجة أن بطرس الأول ملك قبرص (١٣٥٩ - ١٣٦٩) أعد طائفة أطلق عليها "طائفة السيف" بهدف تخليص الأرض المقدسة من قبضة المسلمين وفى عهده تمت الحملة الشهيرة على مدينة الإسكندرية ١٢٦٥ بهدف الاستيلاء على مصر وتحطيم قوتها تمهيدا للإجهاز على القوى الإسلامية العربية فى الشرق الأدنى واسترجاع بيت المقدس[٢١] .

ويصور القلقشندى خطورة الأطماع الصليبية من خلال رسالة بعث بها صاحب غرناطة (السلطان عبد الله بن أبى الحجاج يوسف بن نصر بن الأحمر) إلى السلطان الأشرف (شعبان بن حسين) يقول فى رسالته " "اتصل بنا ما دامت الروم المكيدة التى كان دفاع الله من دونها سدا والملائة جندا والعصمة سورا والروح الأمين مددا منصورا وأنها استنفدت الوسع فى احتشادها حتى ضاقت اللجج عن أعوادها حتى غص كافر البحر بكفارها ، يصبح بهم التأليب ويدمرهم الصليب وقد سول لهم الشيطان ثغر الإسكندرية شجا صدورهم ومرمى آمال غرورهم ، ويسيموا سيوف التغلب على الشام ويحولوا بين

---

[٢٠] عبد الرحمن سعيد ، بيت المقدس فى عهد المماليك ، ماجستير غير منشورة من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ، ١٩٧٩ ، ص ٧٧ .

[٢١] د. على السيد على ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٥ .

المسلمين وبين محط أوزارهم وحجم مزارهم وبيت ربهم الذى يتصدونه من كل فج عميق"[22] .

والحقيقة أن هذه النزعة العدوانية الصليبية كانت فى مقدمة العوامل التى دفعت بأسبانيا ، التى اتحدت من خلال زواج فرديناند وايزابيلا، بهدف تطويق العالم الإسلامى تحت مسمى الكشوف الجغرافية ، وكان الطابع الدينى المتعصب يغلب على سياسة هذين الملكين الكاثوليكيين ، وكانا قد شنا حربا لا هوادة فيها بهدف الإجهاز على البقية الباقية من المسلمين فى شبه جزيرة أيبيريا كما كانا يمنيان النفس ببعث عهد الحروب الصليبية وإنفاذ حملة صليبية لانتزاع بيت المقدس من أيدى المسلمين[23] .

وعلى ضوء كل ما سبق يمكن تفسير سياسة المماليك نحو القدس ، سواء فى استقلالها عن دمشق إدارياً وجعلها تابعة للسلطان مباشرة فى القاهرة أو بتنمية مواردها والعناية بمقدساتها .

وعموماً فقد حظى نصارى بيت المقدس بالرعاية الكاملة وكفلت لهم الدولة الإسلامية الحرية المطلقة فى ممارسة عقائدهم الدينية وأنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية ، وقد عنى بهم سلاطين المماليك لدرجة أن رئاسة بطريرك السريان كان يصدر بها مرسوم من السلطان فى القاهرة ، وأعفوا من الرسوم المفروضة على زائرى كنيسة القيامة والتوصية عليهم بالإحسان لهم ومعاملتهم معاملة حسنة[24] ، وفى عهد السلطان برسباى استمرت هذه الامتيازات .

أما طائفة الأرمن فكانت من أنشط الطوائف فى بيت المقدس وكان لهم أملاك وأديرة أمنتها لهم الإدارة المملوكية التى تعهدت برفع الظلم عنهم ورعايتهم لدرجة أن هذه الطائفة قد حصلت على وثيقة من السلطان "جقمق" نص فيها "مرسوم مولانا السلطان الملك الظاهر أبو محمد سعيد جقمق عز نصره بإبطال ما أحدثه أبو الخير بن النحاس من

---

[22] نفس المرجع السابق ، ص ٣٥ ، ص ٣٦ .

[23] د. عبد العزيز محمد الشناوى ، أوروبا فى مطلع العصور الحديثة ، ص ١٠٤ .

[24] عبد الرحمن سعيد حمودة ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٣ .

ضمان ما يعقوب دير الأرمن بالقدس الشريف عاماً رده سيف الدين المقر الشرقى الأنصارى وسأل فى إبطال ذلك ليسطر فى الصحائف الشريفة بتاريخ ٨٥٠هـ" .

ولعل الروم كانوا ينازعون الأرمن فى حقهم بهذا الدير وكان إقرار السلطان بعودة الدير إلى الأرمن مصدر سعادة كبيرة لهم لدرجة أنهم علقوا هذه الوثيقة على أحد جدران أديرتهم بالقدس .

وتشير سجلات المحكمة الشرعية فى بيت المقدس إلى أن القاضى نظر فى شكوى قدمها إليه بطريرك الأرمن الذى حكم بحقهم فى الدير بعد أن استمع إلى شهادات رؤساء الطوائف الأخرى كالقبط والحبش والسريان[٢٥] .

لقد سكن بيت المقدس الروم الأرثوذكس ، وقد شملتهم سماحة الإسلام كغيرهم من الطوائف الأخرى وقد اكتسب وجودهم شكلاً شرعياً من خلال مراسيم سلطانية تحافظ عليهم وترعى حقوقهم وتوصى بهم خيراً . وقد حدد محمد بن قلاوون هذه المزايا من خلال عدة مراسيم لعل من أهمها "لا أحد يتعرض إلى ديرهم ولا لكنائسهم ولا لشئ من أراضيهم "[٢٦] .

ولم يقتصر الأمر على عناية السلاطين المماليك بالطوائف القاطنة بمدينة القدس فقط وإنما شملوا برعايتهم زوار مدينة القدس من المسيحيين واليهود وكثيراً ما نُص فى وثائق رسمية على التعهد بحمايتهم وتوفير أسباب الراحة لهم .

وكثيراً ما ترد فى مصادر العصرين الفاطمى والمملوكى بعض التجاوزات سواء فى القدس أو القاهرة أو دمشق ، ولا عبرة إطلاقاً بأن يلجأ رجل عرف بشذوذه الذهنى - مثل الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى - إلى اضطهاد الذميين من مسيحيين ويهود فى فترة محدودة من حكمه ، ذلك أن حاكما يحرم على شعبه أكل السمك والملوخية ويأمر بكتابة سب الصحابة على أبواب المساجد ، لا يمكن أن يكون طبيعيا ولا تعتبر تصرفاته بأى حال من الأحوال مرآة لروح الإسلام .

---

[٢٥] نفس المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

[٢٦] نفس المرجع السابق .

وإن كانت قد حدثت موجات من الاضطهاد لأهل الذمة فى عصر سلاطين المماليك فإنه ينبغى أن نقدر روح العصر (عصر الحروب الصليبية) وطبيعة المماليك أنفسهم وحداثة عهدهم بالإسلام وعدم تشربهم بروحه بالقدر الكافى[٢٧] .

وإذا كانت قد حدثت بعض الحالات الفردية من اضطهاد أهل الذمة فلا يمكن أن يكون ذلك اتجاها عاما بل الأساس أن أهل الذمة قد عاشوا فى القدس وفى غيرها من العواصم الإسلامية أكثر أمانا واستقرارا من بلادهم خلال فترة العصور الوسطى ، وتأتى جماعة الرهبان الفرنسيسكان ٦١٦هـ / ١٢١٩م التى أسسها فرانسيس الأسيزى وأقام بجماعته على جبل صهيون[٢٨] ، وسمح لهم السلطان الكامل بالتفرغ للعبادة ، ثم تمكنت هذه الجماعة من توسيع نشاطها حيث بنت ديرا على الجبل المسمى بدير صهيون بمعاونة صقلية ونابلى حيث توسط حاكم هاتين المدينتين لدى السلطات المملوكية التى استجابت لهذه الضغوط تقديرا منها لأهمية تحسين العلاقات الإسلامية الأوربية .

وعموما فقد عاش أهل الذمة فى القدس كما فى غيرها من الأمصار الإسلامية فى مناخ اتسم بالتسامح والحرية لدرجة أن الرحالة اليهودى إسحاق بن يوسف (١٣٣٣) يعترف صراحة بأن اليهود فى القدس يعيشون فى طمأنينة وسعادة ، وأرجع ذلك إلى عدل الحكومات الإسلامية[٢٩] .

واللافت للنظر أن أهل الذمة من سكان بيت المقدس لم ينغلقوا على أنفسهم ولم يعيشوا على حافة المجتمع خلال العصور الإسلامية المختلفة ، مما يفسر بروز العديد منهم فى مجال العلوم المختلفة ، حيث أتاحت لهم الدولة الإسلامية جوا من الحرية العلمية لم تتح لنظرائهم فى أوروبا ، فبينما كان العمل بالطب فى روما أو باريس أو لندن خلال العصور الوسطى يعد هرطقة تبرر للكنيسة حق إراقة دم من يعمل بتلك المهن بحجة أن ذلك يدخل فى أخص خصوصيات الرب ، وبموجب هذا الفهم العقيم قتل مئات من العلماء فى كل مجالات العلم حيث أعدموا حرقا بعد أن اتهمتهم الكنيسة بالهرطقة .

---

[٢٧] د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، اليهود فى العصور الوسطى بين الشرق والغرب ، كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٦٨ ، ص ٢٥٤ .

[٢٨] مجير الدين الحنبلى ، الأنس الجليل ، جـ٢ ، ص ٢٤٩ ، ص ٣٥٠ .

[٢٩] نقولا زيادة ، رواد الشرق فى العصور الوسطى ، ص ١١٠ ، ص ١١١ .

وبينما كان ذلك يحدث فى المدن الأوربية ، كان المسيحيون واليهود من سكان القدس يمارسون الطب والفلك والرياضيات . ويروى الرحالة اليهودى الأسبانى إسحاق بن شيلو (١٣٣٣) "أن من يهود القدس كان هناك من يعمل بالفلك والرياضيات . ولكن معظمهم كانوا يدرسون القانون"[٣٠] .

كما وجد أطباء مسيحيون فى القدس كانوا يقومون بممارسة مهنة الطب وبعضهم كان ينقطع لمعالجة أبناء طائفته وان طائفة الفرنسيسكان كانوا يخصصون أطباء لمعالجة أبناء طائفتهم وكانوا يمدونهم بالأدوية[٣١].

كل ذلك كان يحدث فى كنف الإدارة الإسلامية للقدس فى الوقت الذى كان فيه المسلمون واليهود فى أسبانيا يتعرضون للإبادة الجماعية التى باركتها الكنيسة الكاثوليكية التى اعتبرت أن استئصال المسلمين واليهود من أوروبا مسألة دينية خالصة ، ولذلك فإن الشعور الذى احتوى مسيحيى شبه جزيرة ايبيريا بوجوب محاربة الإسلام كان شعورا امتزجت فيه الروح الصليبية المتأججة العنيفة بالعاطفة الوطنية ، وأصدر البابا نيقولا الخامس ١٤٤٧ - ١٤٥٥ مرسوما بابويا تضمن ما يعرف باسم "خطة الهند" تقوم على إعداد حملة صليبية نهائية تشنها أوربا الكاثوليكية للقضاء قضاء مبرما على الإسلام والمسلمين [٣٢].

ويذكر البلاذرى "أن معاوية بن أبى سفيان ما كاد يستولى على طرابلس حتى جلب إليها اليهود وأسكنهم فيها"[٣٣] ، وخلال العصور الإسلامية المتعاقبة نعم أهل الذمة بكل حقوق المواطنة حتى أن بنيامين اليهودى قد قدر عدد اليهود فى القرن الثانى عشر للميلاد (السادس الهجرى) بثلاثمائة ألف يهودى فى المشرق الإسلامى وحده على حين قدرهم يهودى آخر فى نفس القرن بستمائة ألف فى العراق وحده[٣٤] .

---

[٣٠] د. على السيد على ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٥٠ .

[٣١] نفس المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

[٣٢] د. عبد العزيز محمد الشناوى ، أوروبا فى مطلع العصور الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٩١ .

[٣٣] البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٢٧ .

[٣٤] د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، اليهود فى العصور الوسطى بين الشرق والغرب ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٥٥ .

وتشير مصادر العصرين الأيوبى والمملوكى إلى أن اليهود قد وفدوا على القدس من أنحاء أوروبا ، وشهدت مدينة القدس خلال هذين العصرين نشاطا علميا ملحوظا قام به اليهودى الشهير موسى بن نحمان وهو الذى أحيا طائفة اليهود المعلمين فى القدس وبَنَى مركزا خاصا لتعليم اليهود وبَنَى المعبد الذى يحمل اسمه ، إضافة إلى ما يعرف بالأكاديمية اليهودية فى القدس والتى تخصصت فى تعليم اليهود[٣٥] وخصوصا فى مجال الدراسات اليهودية .

وفى الوقت الذى سقطت فيه غرناطة ١٤٩٢ آخر معاقل المسلمين فى الأندلس لم يجد يهود الأندلس إلا البلاد الإسلامية ملاذا من الإبادة الجماعية ، وكانت القدس واحدة من المدن الإسلامية التى وفد إليها يهود الأندلس واستقروا على أرضها وأمنوا على أنفسهم فى ظل سماحة الإسلام . ولعل قدرا كبيرا من التحسن قد طرأ على أوضاع اليهود فى القدس عموما نتيجة لهجرة يهود الأندلس إليها لأن المهاجرين الجدد لم يجلبوا معهم الثقافة المزدهرة فحسب بل أيضا الثراء ، وسرعان ما احتل هؤلاء (السفارديم) مكانة ممتازة فى الحياة العامة بحكم ثقافتهم الرفيعة التى اكتسبوها من الأندلس[٣٦] .

وعلى الرغم من روح التسامح الدينى الذى اتسمت به المدن الإسلامية إلا أن اليهود قد لازمتهم الخيانة لدرجة انهم قبلوا أن يكونوا أدلاء لطلائع الاستعمار الجديد الذى اتخذ من الكشوف الجغرافية وسيلة لتحقيق أهدافه نحو القضاء على الإسلام والمسلمين .

وقد سعى البرتغاليون منذ طلائع الكشوف الجغرافية الأولى للحصول على علوم العرب الملاحية واستعانوا بالتجار اليهود فى الأندلس ، الذين قبلوا أن يقوموا بدور الجواسيس فى الحصول على معلومات العرب البحرية ، وساعد اليهود على نجاحهم فى عمليات التجسس معرفتهم باللغة العربية وقاموا برحلات بين المشرق والمغرب براً وبحراً لهذا الغرض وتظاهروا بأنهم مسلمين ، وقد تتابع وصولهم إلى مصر وسائر البلاد العربية منذ ١٤٨٨ (أى قبل رحلة فاسكو دى جاما) بعشر سنوات ، وتخفى اليهود فى زى تجار برتغاليين وسافروا إلى مصر وكان على رأس هؤلاء الجواسيس الفونسو دى

---

[٣٥] د. صابر دياب ، دراسات فى عالم البحر المتوسط فى العصور الوسطى ، ص ٦٣ .

[٣٦] د. على السيد على ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٦٨.

بايفا Alfonso de Paiva وبيرو دى كوفيلهام Pero de Covilham ، ووقف الجواسيس على معلومات هامة ثم أقلعوا من السويس إلى عدن ومنها إلى الهند ثم عادوا إلى البرتغال عن طريق مصر ، وفى أثناء مرورهم بالقاهرة التقى هؤلاء ببعثة تجسس يهودية أخرى برئاسة ابراهام دى بيا ويبدو أنها كانت تحمل تعليمات جديدة من حكومة البرتغال لأن البعثتين الأولى والثانية انضمتا بعضهما إلى بعض فى بعثة واحدة سافرت إلى هرمز ثم إلى زيلع ومنها إلى الحبشة ثم عادت إلى مصر وواصلت سفرها فى رحلة العودة إلى البرتغال .

وقد استطاعت هذه البعثة الحصول على خرائط عربية عن المحيط الهندى ومعلومات تفصيلية عن التيارات البحرية والرياح الموسمية فى هذا المحيط فضلا عن البيانات الخاصة بالتجارة الشرقية ، وقدمت البعثة كل هذه المعلومات إلى سلطات لشبونة فكانت لهم نعم المعين ابتغاء تحقيق الهدف الأساسى وهو الوصول بحرا إلى الهند .

وخير مثال يمكن أن نسوقه كدليل على ما لقيه اليهود فى ظل الحكم الإسلامى من تسامح وأمن واستقرار وما تعرضوا له على أيدى المسيحيين فى العصور الوسطى من اضطهاد ، أن مدن الشام التى كانت بها جاليات ضخمة من اليهود تحت حكم المسلمين قد أصبحت تقفر منهم بعد استيلاء الصليبيين عليها .

ويقول بنيامين " أنه لم يبق فى بيت المقدس بعد استيلاء الصليبيين عليها سوى أربعة من اليهود فى حين كان فى مدينة صور تسعة فقط " . لذلك لا عجب إذا هلل اليهود عندما سمعوا باستيلاء صلاح الدين على بيت المقدس ٥٨٣هـ / ١١٨٧ م ، وذكر الشاعر اليهودى الأسبانى يهودا الحرزى " أن فتح صلاح الدين لبيت المقدس أعقبته هجرة عدد كبير من اليهود إليها "[٣٧] .

والتاريخ الإسلامى حافل بالعديد من الحكام العظام الذين شملوا برعايتهم أهل الذمة ووفروا لهم من الأمن والاستقرار ما سمح لهم بممارسة طقوسهم الدينية وأنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية بداية من الخليفة العظيم عمر بن الخطاب ومرورا بالقائد الفاتح

---

[٣٧] د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، اليهود فى العصور الوسطى ، دراسة مقارنة بين الشرق والغرب ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٥٧ .

صلاح الدين الأيوبى ، ولـذا فقد تضـاعف عدد اليهـود خـلال القرن الثـانى عشـر حيث اجتذبهم الشرق الإسلامى ، فكان بهمزان ثلاثين ألفا وبأصفهان خمسة عشر ألفا وبشـيراز عشرة آلاف وبسمرقند ثلاثون ألفـا وهـذه الأرقـام التـى يذكرهـا بنيـامين اليهـودى يؤكدهـا المقدسى فى القرن الرابع الهجرى ، فيقول " إن بخراسان يهودا كثـيرين ونصـارى قليليـن وأن بالجبل يهوداً أكثر من النصارى ، بل قد وجدت مدينتان فى المشرق الإسلامى أطلق عليهما اسم اليهودية إحداهما قرب أصفهان والأخرى شرقى مرو كذلك كـان لليهـود نسبة كبيرة فى مدينة قرح ذات الأهمية التجارية المعروفة "[٣٨] .

وفى كثير مـن المـدن الإسـلامية نجد أحيـاء تنسـب إلـى اليهـود فـى القـاهرة وبغـداد والقدس، وتذكر أقدم المصادر التاريخية عن القدس (الأنس الجليـل) "أنـه كـان فـى حـارة اليهود ببيت المقدس مسجد مجاور لكنيسة اليهـود وبجـوار المسـجد دار مـن جملـة أوقـاف اليهود انهدمت بسبب المطر فرغب المسلمون فى الاستيلاء عليها ممـا حمـل اليهـود علـى رفع الأمر لقضاة بيت المقدس ، الذين حكموا بحق اليهود فيها"[٣٩] .

لعل هذا التسامح الذى لم تحكمه اعتبـارات شـخصية أو مزاجيـة وإنمـا حكمتـه أسـس دينية وأخلاقية يعد دليلا على ما كان للإسلام من فضل ، إضافة إلى ما تمتـع بـه القضـاء الإسـلامـى من فهم دقيق لجوهر الإسلام .

لقد نعمت الطوائف الدينية بقدر هائل من الحرية التـى كفلتهـا سـماحة الإسـلام ، فمـع قيـام الدولة الفاطمية فى مصر والشام تمتع اليهود بحرية كاملة من خلال طوائفهم وأصبح لكـل طائفة رئيس مسـتقل فصـار لليهـود فـى القـاهرة والقدس وكافـة المـدن التابعـة للفـاطميين رؤساء وصار لليهود عموما رئيس مستقل لقب بأمير الأمـراء وخولـت إليـه مهمـة تعييـن أحبار اليهود فى مصر والشام وكتب له توقيع برئاسة سائر الفرق اليهودية فى جميع أنحـاء مصر والشام [٤٠] .

---

[٣٨] المقدس ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٣ ، ص ٩٥ ، ص ٣٩٤ .

[٣٩] مجيد الدين الحنبلى ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، جـ٢ ، ص ٣١٧ ، ص ٣١٨ .

[٤٠] آدم ميتز ، الحضارة الإسلامية ، جـ١ ، ص ٦٣ ، د. سعيد عاشور ، اليهود فى العصور الوسطى بين الشرق والغرب ، ص ٣٥٧ .

وفى ظل التسامح الإسلامى الذى يعبر عن جوهر الإسلام تمتع اليهود بحرية واسعة فى مباشرة نشاطهم الاقتصادى فاحتكروا التجارة بين الشرق والغرب ، واتخذوا من المدن الإسلامية فى شرق البحر المتوسط نقاط ارتكاز أساسية حيث باشروا مهامهم مع المدن الأوربية فى جنوب فرنسا وإيطاليا ، وقد أطلق المسلمون عليهم اسم اليهود الرازانية نسبة إلى الرون (وادى الرون فى جنوب فرنسا) وأحيانا أطلقوا عليهم تجار البحر فترسوا سفنهم المحملة بالفراء والجلود والغلمان على شاطئ الفرما ومنها يحملون بضائعهم إلى القلزم ثم يستأنفون رحلتهم إلى الشرق الأقصى عن طريق البحر الأحمر وأحيانا كانوا يتجهون إلى إنطاكية بدلا من الفرما ومنها إلى بغداد فالطريق البرى إلى الهند والصين ثم يعودون محملين ببضائع الشرق كالحرير والتوابل والمسك [٤١] .

وما من مركز تجارى فى العالم إلا كانت به جالية ضخمة من اليهود تسيطر على النشاط المالى فيه ، وفى بيت المقدس احتكر اليهود تجارة الأصباغ فى حين اشتغل يهود الأندلس بخصى الرقيق الصقالبة [٤٢] .

وتجدر الإشارة إلى أن التواجد اليهودى فى بيت المقدس قد نشأ إما لأغراض دينية أو هروبا من الاضطهاد الدينى فى أوروبا وخصوصا اليهود (السفرديم) الذين قدموا من أسبانيا ، ومما يستلفت النظر أيضا أن هؤلاء جميعا لم يكونوا من نسل يهود التوراة ولكنهم جميعا من سلالة الأوربيين .

ولم يكن حق التوطن وممارسة كافة النشاط الاقتصادى هما كل ما حظى به اليهود من حقوق وإنما كانت لهم امتيازات فى ظل الحكم الإسلامى بلغت من تسامح المسلمين لدرجة أن استخدموا اليهود فى وظائف الدولة وسمحوا لهم بتقليد أسمى الوظائف وأرقاها وعلى أرسها وظيفة الوزارة ، وظهر منهم فى العصر الفاطمى يعقوب بن كلس الذى لجأ إلى مصر حيث تاجر لكافور الإخشيدى ثم استوزره المعز لدين الله الفاطمى ، ويقال إنه

---

[٤١] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٥٣ .

[٤٢] د. سعيد عاشور ، اليهود فى العصور الوسطى بين الشرق والغرب ، ص ٣٥٨ .

هو الذى أشار عليه بفتح مصر ، وبالرغم من اعتناقه الإسلام إلا أنه ظل متحيزا لإخوانه اليهود ومع ذلك فقد كان المعز لا يفعل شيئا إلا بمشورته [٤٣].

أما الخليفة العزيز الفاطمى فقد استوزر عيسى بن نسطوروس النصرانى وأناب عنه فى حكم الشام يهوديا اسمه منشا واعتمد عليهما أهل الذمة وأنزلوا أضرارا كبير بالمسلمين . ويقال أن أهل مصر عندما ضاق بهم الحال كتبوا رقعة وجعلوها فى يد صورة امرأة عملوها من الورق وثبتوا الصورة فى طريق العزيز والرقعة فى يدها وفيها "بالذى أعز اليهود بمنشا بن إبراهيم الفرار والنصارى بعيسى بن نسطوروس وأذل المسلمين بك إلا كشفت ظالمتى " [٤٤].

وفى عهد الخليفة المستنصر الفاطمى ولى الوزارة يهوديا آخر هو أبو نصر صدقة بن يوسف الفلاحى وعلى الرغم من أنه أعلن إسلامه إلا أنه أشرك معه فى تدبير شئون الدولة يهوديا آخر هو أبو سعد التسترى وقد أثار التسترى كراهية المسلمين لتعصبه لليهود وإسناده مناصب الدولة إليهم مما مكنهم من اضطهاد المسلمين [٤٥].

ولم يقتصر الأمر على مصر فقد استوزر ملكشاه السلجوقى لنفسه أمين الدولة أبا الحسن بن غزال وهو طبيب يهودى وجد عنده بعد موته ثلاثة ملايين قطعة من الذهب فضلا عن التحف والجواهر التى لا يوجد مثلها عند الخلفاء .

وفى المغرب اتخذ باديس بن حبوس بن زيرى ملك غرناطة (٤٣٠ - ٤٦٦هـ) أحد اليهود وهو بن نغزالة وزيراً واتخذ يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المتوفى ٧٠٦ هـ وحفيده أبى الربيع سليمان (٧١٠هـ) حاجبا يهوديا يدعى خليفة بن حيون بن قاصة [٤٦] .

ولقد شهدت الدولة الإسلامية خلال عصورها المزدهرة أسماء أطباء من أهل الذمة حظوا بشهرة كبيرة وأباح لهم المسلمون مزاولة مهنتهم ، وبعضهم اختير طبيبا خاصا

---

[٤٣] المرجع السابق ، ص ٣٥٨ ، ص ٣٥٩ .

[٤٤] ابن الأثير ، الكامل ، جـ٩ ، ص ٨١ ، ص ٨٢ .

[٤٥] د. سعيد عاشور ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٥٩ .

[٤٦] نفس المرجع السابق .

للخليفة مثل الملك العادل الأيوبى الذى جعل يعقوب بن صقلان المتوفى سنة ٦٢٦ هـ طبيبا خاصا له فكان الملك العادل إذا احتاجه استدعاه اليه فى محفة يحْملها الرجال[٤٧] .

وعموما فإن اليهود قد نعموا فى ظل الحكم الإسلامى بكل حقوق المواطنة ، وبينما أحسنَ المسلمون لليهود فى الأندلس وأكرموهم وسمحوا لهم بتلقى العلم فى المساجد ، إذا بالحكام المسيحيين (بعد زوال الدولة الإسلامية فى الأندلس) يحرقون اليهود بالجملة من خلال المحارق التى ابتدعها الحكام الأسبان التى سموها بأفراح الموت حيث يلقى اليهود أحياء وسط تهليل وصياح جموع النصارى ، لكن تجربة المسلمين مع اليهود كانت دائما مريرة قاسية ، إذ كان اليهود يقابلون الوفاء بالغدر ، والإحسان بالنكران ، لذلك أخذ المسلمون فى العصور الوسطى يتخوفون من السفر مع اليهود خوفا من خديعتهم . وقد روى أن مسلما سافر مع يهودى فسأله المسلم ما يفعل ؟ فقال اليهودى : إنه يمشى حيث يكون ظل دابة المسلم واقيا رأسه على الدوام[٤٨] .

وعلى الرغم من أن صلاح الدين أكرم اليهود إلا أنه اكتشف مؤامرة للقضاء على حكمه فى مصر والشام عن طريق الاتصال بالصليبين وتولى كتابة الرسائل إليهم أحد اليهود بمصر ، وعندما دخل المغول الوثنيون حلب ٦٥٨هـ / ١٢٦٠ م تواطأ معهم اليهود ضد المسلمين فهدموا المساجد وخربوها ، ويعد معبد اليهود فى حلب أحد الأماكن التى لاذ إليها الفارون من المذابح[٤٩] .

وعموما فقد عاش أهل الذمة فى بيت المقدس عيشة كريمة مطمئنة ، وإذا كان قد حدث تجاوز فى بعض فترات التاريخ فهو الاستثناء الذى لا يقاس عليه ، ويشهد بذلك كثير من الرحالة الأجانب الذين زاروا بيت المقدس خلال العصور الثلاثة (الأيوبى والمملوكى والعثمانى) ، والذين أشادوا بعدل الإسلام وسماحته والحرية التى كفلها الإسلام لكل المقيمين فى القدس بما فى ذلك اليهود والنصارى . ويروى الأب سوريانو أنه فى عهد السلطان قايتباى تمتعت طائفة الفرنسيسكان بعطف السلطان نفسه لدرجة أنهم حينما

---

[٤٧] ابن العبرى ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٤٤٣ .

[٤٨] د. سعيد عاشور ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٦١.

[٤٩] أبو الفدا ، المختصر فى تاريخ البشر ، حوادث سنة ٦٥٨ هـ .

شكوا إليه من كثرة الأموال التى يجبيها منهم حاكم بيت المقدس غضب السلطان وأحضره مكبلا بالحديد وعزله وألقاه فى السجن مدة خمس سنوات ، وعندما شكا إليه رئيس الفرنسيسكان من أن هناك من يحاول الإساءة إليهم بعث السلطان بمن أحضرهم وعاقبهم عقاباً شديدا وفرضت عليهم غرامات [٥٠] .

والحقيقة أن سماحه الإسلام وعدله قد شملت كل قاطنى بيت المقدس بما فيهم المسيحيون واليهود مما أوجد مناخاً ثقافيا واجتماعيا عظيما ، حدث هذا بينما كانت البابوية فى أوروبا قد سيطرت على كل مناحى الحياة مما كان سببا فى اضمحلال المدن الزاهرة وأُغلقت المدارس وانتشرت الجهالة ، ولم يبق أثر للحضارة والعلم والثقافة فى أوروبا الغربية إلا بصيص خافت ينبعث من المؤسسات الدينية الجديدة مثل المدارس الديرية والمدارس الأسقفية ، كما أن بعض البابوات كانوا لا يشجعون سوى الدراسات الدينية المسيحية ويحاربون ما عداها ، هذا فى الوقت الذى كان فيه المسلمون يمضون قدماً فى إقامة بنيان حضارى شامخ ويضربون أروع الأمثلة فى حرية الفكر وتشجيع البحوث وسرعة التطور ، وكانت مدينة بيت المقدس واحدة من المدن الإسلامية العملاقة التى احتوت كل عناصر سكانها وهذبهم الإسلام بسماحته ورحابة صدره ولم تعرف المدن الإسلامية التعصب بكل أنواعه مما حفز الجميع نحو بناء حضارى شامخ .

لقد شهدت مدينة القدس سبقاً حضارياً هائلا فى كل مجالات المعرفة وسُمح لأهل الذمة بالمشاركة الفعالة فكان منهم الأطباء والفلكيون ، حتى الحرف الصغيرة كان لهم نصيب كبير فيها ، كل ذلك فى إطار من التسامح والمحبة .

وليس أدل على التسامح من أن طائفة الرهبان الفرنسيسكان سُمح لهم بتجديد كنيستهم كما سُمح لهم بتجديد كنيسة القبر المقدس ، وسَمح السلطان الغورى ببناء دير لهم فى الرملة وسمح لكل الطوائف بإقامة مدارس لأبنائها ، وتعددت المكتبات لدى الطوائف المسيحية المختلفة بالقدس تعدداً تشهد عليه كثرة تلك المكتبات من جهة وكثرة ما احتوته من ذخائر الكتب من جهة أخرى [٥١] .

---

[٥٠] عبد الحميد زايد ، القدس الخالدة ، ص ٢٦٠ .

[٥١] د . على السيد على ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٧٠ .

ولعل ذلك يعكس عناية الطوائف الدينية بالمكتبات التى أقيمت فى الكنائس والأديرة إضافة إلى الحرية العلمية التى أتاحها المجتمع الإسلامى فى القدس لعلماء تلك الطوائف الذين انصرفوا للتأليف ونسخ المخطوطات . وقد تنافست الطوائف الدينية فيما بينها عناية بالكتب والمخطوطات لدرجة أن طائفة كاليعاقبة قد حرصت على جمع ما يمكن جمعه من كنوز المعرفة وأعدوا مكاناً لعرض تلك الكتب وتقديمها للقراء تشجيعاً منهم للحركة العلمية المزدهرة فى القدس[٥٢] .

ويذكر أحد الحجاج المسيحيين الذين زاروا بيت المقدس فى عهد سلاطين المماليك أن كنيسة القديسة مريم بجوار كنيسة القبر المقدس كان بها مكتبة رائعة وأن مكتبة القبر المقدس التى أنشأها الروم الأرثوذكس كانت زاخرة بكافة المعارف الإسلامية والمسيحية[٥٣] .

والحقيقة أن مدينة بيت المقدس كانت مؤهلة منذ فتحها المسلمون لكى تلعب دوراً حضارياً متميزاً فهى مدينة جاذبة بحكم المقدسات الدينية بها ولمكانتها فى كل الأديان ، لذا فقد وفد عليها أناس استهواهم هذا الزخم التراثى الرائع . وبصرف النظر عن مراحل التصادم بين المسلمين والمسيحيين بهدف الانفراد بتلك المدينة المقدسة إلا أن ذلك كله قد خلف وراءه تراثاً حضاريا وإنسانيا رائعاً ، ومن ثم تميزت مدينة بيت المقدس بتنوع علاقاتها مع كثير من المراكز الحضارية الأخرى ، ولعل مدينة القاهرة تأتى فى مقدمة المدن التى كان لها خصوصية شديدة مع بيت المقدس تضمنتها حركة التاريخ وعمق التفاعل من خلال نضال طويل مشترك .

لقد كان الأزهر الشريف عاملا حيويا وفعالا فى تجسيد هذه العلاقة ، فمنذ تأسيس الأزهر والعلماء بين المدينتين يترددون فى حركة من التواصل والتفاعل المستمر بين القاهرة والقدس ، ويندر أن نجد عالما أو فقيها فى بيت المقدس لم يدرس فى الأزهر الشريف أو يستمع الدرس على أحد علمائه ، بل أن كثير من المدارس والمعاهد العلمية فى بيت المقدس قد تأثرت بنظام الدراسة فى الأزهر .

---

[٥٢] نفس المرجع السابق ، ص ١٧١ .

[٥٣] الأنس الجليل ، جـ ٢ ، ص ٥٣٤ .

والمتتبع لسيرة معظم من شغلوا وظيفة التدريس فى كثير من المعاهد العلمية فى القدس يلاحظ أنهم إما متخرجون من الأزهر أو تتلمذوا على يد من تخرج من الأزهر ، كما أن كثيرا من علماء بيت المقدس رحلوا إلى القاهرة وبعضهم قد عمل بالتدريس فى الأزهر ومنهم بدر الدين بن جماعة الذى تولى قضاء مصر زمن السلطان خليل بن قلاوون ٦٩٠ هـ / ١٢٩٠ م وأضيفت إليه مهمة الخطابة فى الجامع الأزهر[٥٤]، والشيخ شهاب الدين بن جبارة الحنبلى الذى درس فى الأزهر وتخصص فى القراءات والأصول وعمل بالتدريس فى الأزهر وبيت المقدس إلى أن توفى ٧٢٨ هـ ، وقاضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله الخالدى الذى تولى قضاء مصر وأصبح شيخاً للمدرسة المؤيدية بباب زويلة فى القاهرة ثم عاد إلى بيت المقدس ومات فيها ٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م[٥٥] .

أما القاهرة فقد بقيت دوماً الصرح الحضارى والثقافى الذى أمد القدس بكل مقومات نهضتها العلمية ، وكان الأزهر هو المعين الذى لا ينضب ، فقد ظل التواصل من خلال علماء الأزهر الذين ذهبوا إلى بيت المقدس للتدريس والقضاء وأحيانا الخطابة فى المسجد الأقصى وكان من هؤلاء الشيخ شهاب الدين أبو العباس المصرى[٥٦]، والعَالِم (أبو البقاء) أحمد الزبيرى الذى انتقل إلى بيت المقدس سنة ٧٣٠هـ / ١٤٢٦ م وتوفى فى بيت المقدس سنة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠ م[٥٧] ، وشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى الأصل المصرى المولد والمنشأ وهو من بين العلماء الذين ترددوا على القدس وعمل بالتدريس فيها ما بين أخريات القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجرى واشتهر بالتدريس والفتيا[٥٨] .

وعموماً فإنه من الصعوبة بمكان أن نترجم لكل من ساهم فى حركة التواصل العلمى والثقافى بين القاهرة والقدس ، لكن الترجمة العلمية لعلماء القاهرة والقدس بداية من العصور الإسلامية الأولى وحتى وقوع القدس تحت الاحتلال الاسرائيلى تدل على أن

---

[٥٤] المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، القسم الثالث ، ص ٧٧١ .

[٥٥] نفس المصدر السابق ، جـ ٤ ، القسم الأول ، ص ٣٥٥ .

[٥٦] مجيد الدين الحنبلى . الأنس الجليل ، جـ٢ ، ص ١١٠ .

[٥٧] السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ٩ ، ص ٢٨٩ .

[٥٨] د. على السيد على ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٤٣ .

معظمهم قد تأثر بالآخر بشكل أو بآخر مما أوجد نوعا من التكامل العلمى والحضارى بين هاتين المدينتين العملاقتين .

وتشير إحدى الدراسات إلى أن نصارى بيت المقدس قد أدركوا أهمية كسب ود العثمانيين منذ أن فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية ، ولعل بطريرك القدس قد أدرك طموحات العثمانيين فى الشرق الاسلامى فى الوقت الذى كانت فيه دولة المماليك تنذر بنهايتها ، ولذا فقد قام بزيارة سرية إلى السلطان العثمانى هنأه فيها على فتح القسطنطينية، وتمكن البطريرك من الحصول على عهد بالأمان ، حيث تعهد السلطان العثمانى استناداً إلى العهد الذى حصل عليه النصارى من الخليفة عمر بن الخطاب بأن تكون كنيسة القيامة ملكاً خالصاً للنصارى وكل المزارات المقدسة مثل مار يعقوب ودير الكرج والكنائس الواقعة فى حوزة البطريرك وكنيسة المسيح الكائنة فى بيت لحم وأن تعفى كل الطوائف الخاضعة للبطريرك من الخراج والكفارة وجميع الرسوم، وفى هذه الوثيقة أيضا يتعهد السلطان العثمانى بحماية البطريرك وأتباعه (٨٦٢هـ / ١٤٥٤ م)[٥٩].

والقراءة العلمية الدقيقة لمثل هذه الوثيقة والتاريخ الذى كتبت فيه يقطعان بعدم صحة مثل هذا وخصوصاً وأن سنة ١٤٥٤ هو التاريخ الذى كتبت فيه هذه الوثيقة حيث كانت العلاقات المملوكية العثمانية على أحسن ما يكون ولم يكن هناك ما يشير إلى أطماع العثمانيين فى الدولة المملوكية ، إضافة إلى أن السلطان العثمانى لا يمكن أن يقطع على نفسه عهداً لمجرد أن البطريرك قد طلب منه ذلك والمصادر العثمانية والمملوكية لم تشر إلى مثل هذا الاتفاق ولم يرد هذا النص إلا فيما كتبه (إبراهيم قزاقيا) .

وعموما فإن نهاية دولة المماليك ووقوع الشام تحت سيطرة العثمانيين (١٥١٦) لم يترتب عليه تغيير ملحوظ لمدينة بيت المقدس سواء فى وضعها الإدارى أو لوضع الأقليات الدينية فيها ، على الرغم مما شهده العصر العثمانى من تدفق ملحوظ من جانب الأوربيين وخصوصاً بلاد الشام التى شهدت قدوم الأجانب من جانب وتنازل الدولة العثمانية عن كثير من حقوقها فى شكل امتيازات منحت لهؤلاء الأجانب .

---

[٥٩] إبراهيم قزاقيا ، تاريخ الكنيسة الرسولية ، ص ٨٨ ، ص ٨٩ .

لم تكن هذه الامتيازات خطراً على الدولة وهى فى عنفوان قوتها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، أما بعد ذلك فقد تحولت هذه الامتيازات إلى حقوق اكتسبت شرعيتها تحت عامل التقادم من جانب وضعف الدولة العثمانية من جانب آخر ، وشملت هذه الامتيازات إعفاءات كثيرة لعل أخطرها السماح للأوربيين بممارسة نشاطاتهم الدينية وخصوصاً فى بلاد الشام ، وأصبح التسابق على أشده بين الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت وامتد الأمر نحو السماح ببناء العديد من المؤسسات التعليمية والتثقيفية ، وحينما أدركت الدولة العثمانية خطورة الموقف كان الزمن قد مضى وكان الرجل المريض قد تدهورت حالته وتكالبت عليه المطامع الأوربية التى أودت بحياته فى النهاية .

وفى ظل الامتيازات التى قدمها العثمانيون للأجانب عموما ، لعب اليهود دورا متزايدا لا يتناسب مع قلة عددهم فلم يزد عددهم فى فلسطين عموما خلال القرون الثلاثة الأولى من الحكم العثمانى على عشرة آلاف نسمة وكانوا ثلاثة أمثال هذا العدد فى بلاد الشام كله[٦٠] .

وبسبب سياسة التسامح التى انتهجها العثمانيون تزايد هذا العدد فى أواخر القرن التاسع عشر حتى بلغ حوالى المائة ألف ، وأسسوا مدارس لتعليم العبرية وأقاموا مستوطنات فى حيفا وسيطروا على تجارة صفد ودمشق وقاموا بدور بارز فى الحياة الاقتصادية فى حلب وبيروت وعكا وحيفا .

لقد أوجدت هذه الكثرة العددية العديد من المسارب إلى القدس حيث نمت المؤسسات التعليمية لليهود بشكل ملحوظ ، وعندما أدركت الدولة العثمانية خطورة الامتيازات التى فتحت الباب على مصراعيه لم تستطع أ ن تحول دون نمو هذه الامتيازات التى أصبحت بمثابة مواثيق مذلة للعثمانيين حتى سقوط دولتهم عقب الحرب العالمية الأولى .

وعموما يمكن أن نستخلص عدة نتائج من هذه الدراسة :

أولا : لقد بقيت القدس منذ أن فتحها المسلمون مدينة إسلامية حيث ذابت فيها كل الثقافات الأخرى ، وظلت الهوية الإسلامية هى الأساس الذى حفظ للقدس ملامحها الخاصة

---

[٦٠] د. عبد العزيز محمد الشناوى ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، جـ٣ ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٧٤٦ .

التى بقيت عبر تاريخها الطويل دليلا أكيدا على أن عودة القدس ليس مطلبا قوميا فقط وإنما هى ضرورة إسلامية بالدرجة الأولى .

ثانيا : إن القراءة العلمية لمدينة القدس تشهد على أن التسامح الدينى فى ظل الإدارة الإسلامية لم يكن شيئا استثنائيا أو طارئا وإنما كان بمثابة استراتيجية ثابتة حكمتها الشريعة الإسلامية التى أقرت كافة الحقوق التى كفلت لأهل الذمة حرية ممارسة عقائدهم وأنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية .

ثالثا : إن القراءة الدقيقة للتاريخ الإنسانى عموما تؤكد أن المسيحيين واليهود فى بيت المقدس قد توفرت لهما كل الحقوق التى لم تتوفر للأقليات الدينية فى أوروبا ، فبينما كان اليهود والمسلمون فى الأندلس الإسلامية يساقون إلى الموت فرادى وجماعات كان المسيحيون واليهود فى بيت المقدس يعيشون كمواطنين لهم كل حقوق المواطنة ، وبينما كانت الكنيسة الكاثوليكية تطارد العلماء وتتهمهم بالهرطقة خلال العصور الوسطى الأوربية كانت مدينة القدس الإسلامية تحتضن العلماء من اليهود والنصارى وتقدم لهم كل الإمكانات المادية والأدبية ، وهى حقيقة لم يغفلها الرحالة سواء من اليهود أو النصارى .

رابعا : لقد أسهمت مدينة القدس بقدر هائل فى نمو الحضارة الإسلامية وازدهارها من خلال الحركة العلمية التى شهدتها المدينة المقدسة ، وكانت المدارس والمعاهد والمكتبات مقومات أساسية لدفع الحركة العلمية التى نجم عنها أجيال من العلماء يصعب حصرهم فى شتى مجالات المعرفة ، مما طبع المدينة بطابع إسلامى جعلها صورة مكررة فى القاهرة ودمشق وبغداد .

خامسا : لعل فى مقدمة أولويات العمل الإسلامى تكاتف المسلمين فى شتى أنحاء المعمورة من خلال حركة منظمة ودقيقة تجمع الجهود الشعبية والحكومية وتتخذ من السياسة والاقتصاد والعلاقات الدولية وكافة السبل وسائل لإنقاذ المدينة المقدسة من براثن المحتل الغاشم الذى يبذل كل الجهود لطمس المعالم الإسلامية كحجة قوية لتبرير احتلاله .

المصادر والمراجع

(١) ابن غانم المقدس (الشيخ نور الدين على) ، مختصر الأعلام فى فضايل القدس والشام ، مخطوط بدار الكتب المصرية .

(٢) المقريزى (تقى الدين أحمد بن علي) ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ط١ - ٣ ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة

١٩٧١ .

(٣) السيوطى (أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن على) ، مخطوط بدار الكتب المصرية .

(٤) ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على) ، الكامل فى التاريخ ، جـ١١، ١٢، بيروت ، ١٩٦٦ .

(٥) ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفى) ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، جـ ١-٤ ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ،

١٩٧٤ .

(٦) ابن بطوطة (محمد بن إبراهيم الطنجى) ، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، جـ١ ، ٢، بيروت ، ١٩٦٩ .

(٧) ابن جبير (أبى الحسن محمد بن أحمد) ، رحلة ابن جبير ، القاهرة ، ١٩٥٥، تحقيق حسين نصار .

(٨) ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين احمد بن محمد بن على) ، أبناء الغمر بأبناء العمر ، جـ١ ،٢ ، القاهرة ، ١٩٧١، تحقيق د.

حسن حبشى .

(٩) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم ومن

عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، بدون تاريخ .

(١٠) ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن محمد العلائى) ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ط٩، ١٣ هـ ، القاهرة .

(١١) ابن شداد (القاضى بهاء الدين) ، سيرة صلاح الدين الأيوبى المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية .

(١٢) القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، ١٩٦٠ .

(١٣) القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على) ، نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، بغداد ، ١٩٥٨ .

(١٤) ابن كثير (عماد الدين أبى الفدا إسماعيل بن كثير القرش الدمشقى) ، البداية والنهاية فى التاريخ ، جـ ١٣ ، ١٤، ١٥ ، القاهرة ١٩٣٩ .

(١٥) أحمد رمضان (دكتور) ، المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

(١٦) أحمد عبد الرازق أحمد (دكتور) ، دراسات فى المصادر المملوكية المبكرة ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

(١٧) إسحاق الحسينى ، مكانة بيت المقدس فى الإسلام ، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، المؤتمر الرابع ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

(١٨) أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن أيوب) ، تقويم البلدان ، القاهرة ، بدون تاريخ .

(١٩) السيوطى (جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد) ، تاريخ الخلفاء ، ط٤ ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحليم .

(٢٠) أحمد دراج ، وثائق دير صهيون بالقدس الشريف ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

(٢١) أحمد دارج ، المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى ، القاهرة ، ١٩٦١ .

(٢٢) أحمد سامح الخالدى ، أهل العلم بين مصر وفلسطين ، القدس ، ١٩٤٧ .

(٢٣) سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) ، أضواء جديدة عن مدينة القدس ، بحث منشور ضمن مطبوعات مؤتمر بلاد الشام، ١٩٨٠.

(٢٤) سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) ، الأيوبيون المماليك فى مصر والشام ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

(٢٥) سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) ، اليهود فى العصور الوسطى ، دراسة مقدمة للمؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية ،

المؤتمر الرابع ، ١٩٦٨ .

(٢٦) عارف العارف ، المفصل فى تاريخ القدس ، القاهرة ، ١٩٦١ .

(٢٧) عبد الرحمن سيد حمودة ، القدس فى عهد المماليك ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ١٩٧٩ ، مكتبة كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر .

(٢٨) على السيد على (دكتور) ، القدس فى العصر المملوكى ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

(٢٩) فتحية النبراوى (دكتور) ، العلاقات السياسية الإسلامية وصراع القوى الدولية فى العصـور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

(٣٠) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكى .

(٣١) محمود العابدى ، قدسنا ، مطبوعات جامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

(٣٢) ميخائيل مكى اسكندر ، القدس عبر التاريخ ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

(٣٣) ظفر الإسلام خان ، تاريخ فلسطين ، بيروت ، ١٩٧٩ .

(٣٤) نقولا زيادة (دكتور) ، رواد الشرق العرب فى العصور الوسطى ، القدس ، ١٩٤٣ .

(٣٥) يوشع براور ، عالم الصليبيين ، ترجمة د. قاسم عبده قاسم و د. محمد خليفة ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

ادعاءات اليهود فى الحرم القدسى الشريف ونتائج لجنة التحقيق عام ١٩٣٠م

دكتور محمد عبد الحميد الحناوى
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر -كلية الآداب - جامعة أسيوط

مدينة القدس عربيا وإسلاميا

مما لا جدال فيه أن القدس مدينة عربية وإسلامية (١) ، وقضيتها حُسمت فى عقل وقلب كل عربى ومسلم فهى لا تزال طبقا لقرارات الشرعية الدولية مدينة محتلة منذ عام ١٩٤٨ ، وقد قامت إسرائيل بمحاولة تهويد المدينة لجعلها العاصمة الرسمية لدولة إسرائيل بعد احتلالها للجزء الشرقى من المدينة إثر عدوان ١٩٦٧ ومن خلال تغيير التركيبة السكانية لصالح اليهود ضاربة عرض الحائط بقرارات الأمم المتحدة .

ومن هذا المنطلق ، يسعى اليهود جاهدين إلى إعادة بناء هيكل داود وسليمان محل المسجد الأقصى بعد تقويضه وإزالته ، مدفوعين لتنفيذ هذه السياسة بفكرهم الدينى القديم . ويرتكز مخطط تهويد المدينة المقدسة على ما يأتى :

١- طمس الهوية العربية للمدينة عن طريق هدم الأحياء والمبانى الأثرية ذات الطابع العربى والإسلامى مثل هدم الجانب الغربى من المسجد الأقصى (حائط البراق) والذى يطلق عليه اليهود حائط المبكى ، وهدم حى المغاربة التاريخى .

٢- إجراء الحفريات المستمرة وبشكل واسع فى المنطقة الملاصقة للمسجد الأقصى ومن بينها النفق الذى افتتح فى شهر سبتمبر ١٩٩٦ .

٣- تطويق مدينة القدس بالمستوطنات اليهودية لتغيير معالم المدينة القديمة ، وفى نفس الوقت منع العرب والمسلمين من الحصول على تراخيص لمبانٍ جديدة مع هدم السلطات الإسرائيلية لمنازل العرب القائمة بدعوى الإجراءات التنظيمية بالمدينة (٢).

وعن المبنى الحالى للمسجد الأقصى فقد أسسه عام ١٠٣٣م عبد الملك بن مروان وأتمه ابنه الوليد ، وسمى بيت المقدس لأنه لم يعبد به صنم قط وفضلت الصلاة به عن غيره من المساجد (٣) ، باستثناء المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوى بالمدينة المنورة ، فهو ثالث الحرمين وأولى القبلتين للمسلمين ، وحتى حادثة الإسراء والمعراج كان موقع الحرم القدسى الشريف مخصصا للعبادة والصلوات (٤) .

أما مسجد قبة الصخرة فقد بناه كذلك عبد الملك بن مروان عام ٧٢ هـ ورصد لبنائه خراج مصر لعدة سنوات (٥) ، وقد نالت القبة اهتمام المسلمين من تعمير وترميم فى عهد الخلفاء العباسيين وأمراء المماليك ولا تزال حتى اليوم تلقى كثيرا من الاهتمام من جانب الدول الإسلامية .

الاعتداءات اليهودية على المسجد الأقصى

فى أعقاب صدور تصريح بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ بإنشاء وطن قومى لليهود على أرض فلسطين العربية قام زعيم الحاخامات اليهود بفلسطين ومعه ممثل الحركة الصهيونية بتقديم طلب إلى حكومة الانتداب البريطانى للاستيلاء على منطقة المسجد الأقصى تمهيدا لهدمه وبناء معبد سليمان مكانه .

وأعلن " كلونز" رئيس جمعية الدفاع عن حائط المبكى فى تصريح نشرته له صحيفة Palestine Weekly اليهودية عام ١٩٢٩ أن المسجد الأقصى القائم على قدس الأقداس فى الهيكل إنما هو لليهود .

واستمرارا لهذه الادعاءات اليهودية فقد أرسل رئيس حاخامات رومانيا "روزنباخ" خطابا إلى رئيس المجلس الإسلامى ومفتى فلسطين فى ٢٠ نوفمبر ١٩٣٠ يطالبه بضرورة تسليم اليهود المسجد الأقصى لإقامة شعائرهم الدينية (٦) .

ولم يكتف يهود فلسطين على المطالبات السلمية . بادعاءاتهم فـى المسجد الأقصـى وبالتحديد على ملكية الجدار الغربى من الحرم الشريف ، بل أراد اليهود فرض سيادتهم على هذه المنطقة وإقرار أمر واقع عليها يؤكد دعواهم التاريخية ، فوقعت الاضطرابات التى شهدتها القدس بين اليهود والمسلمين فى شهر أغسطس (آب) سنة ١٩٢٩ وقتل عدد كبير من الجانبين بسبب ادعاءات اليهود لملكيتهم للحـائط الغربـى للحرم الشـريف بلغت (١٢٣) قتيلاً و(٣٣٩) جريحاً من اليهود ، أما العـرب فقتـل منهـم (١١٦) وجـرح (٢٣٢)، وكـانت معظم الإصابـات التـى ألمـت بـالعرب مـن جـراء مهاجمـات الجيـش والبوليس البريطانى (٧) ، وعلى إثرها قـام وزيـر المستعمرات البريطانيـة فـى يـوم ١٣ أيلول (سبتمبر) من نفس العام بتعيين لجنة للتحقيق فى الأسباب التى أدت إلى وقوع هذه الحوادث واتخاذ التدابير اللازمة لمنع تكرارها.

وفى شهر ديسمبر (كانون الأول) ١٩٢٩ بعثت لجنـة التحقيـق برسـالة إلـى وزيـر المستعمرات بتوصياتها ومن بينها تعيين لجنة مؤقتة فى أقرب وقت طبقاً للمادة (١٤) من صـك الانتـداب علـى فلسـطين لتحديـد الحقـوق والادعــاءات بشــأن حــائط المبكــى فــى القدس(٨).

وفى الاجتماع الذى عقده مجلس جمعية عصبة الأمم عرض المندوب البريطانى فى المجلس بعض الاقتراحات التى تتفق وما أوصت به اللجنة ، وقد قرر المجلس بناء علـى ذلك أن يعهد إلى لجنة دائمة لتسوية هذه الحقوق والمطالب تتألف من ثلاثـة أعضـاء مـن غير الإنجليز على أن يكون أحدهم على الأقل من فقهـاء القـانون ، وقـد قـامت الحكومـة البريطانية فى يوم ٢ مايو (آيار) ١٩٣٠ بترشيح كل من : إليل لوفجرن وشارلى بيرد - رئيس محكمة العدل فى جنيف ، س . فـان كمبـن (الهولنـدى) – حـاكم السـاحل الشـرقى لجزيرة سومطرة ، وقد وافق مجلس جمعيـة عصبـة الأمـم فـى ١٥ مـايو (آيـار) ١٩٣٠ على تشكيل هذه اللجنة التى أبحرت إلى فلسطين فـى يونيـو (حزيـران) مـن نفـس العـام مزودة بكافة الوثائق والمستندات المتعلقة بحائط المبكى وأقامت فى فلسطين شهراً معظمه فى مدينة القدس ، وكانت خلال هذه المدة تعقد جلسة أو جلستين فـى اليـوم الواحـد عدا يومى الجمعة والسبت حتى بلغ عدد جلسـاتها (٢٣) جلسـة ، حضـر بعضهـا وكـلاء عـن المسلمين واليهود لأخذ أقوالهم وكان نوّاب المسلمين موفدين من قبـل المجلـس الإسـلامى

الأعلى أغلبهم يمثل مختلف الأقطار الإسلامية فى العالم ، وكان عمل لجنة التحقيق أشبه بإجراءات المحاكم من سماع الشهود وتقديم المرافعات والمستندات بينما لم يكن من صلاحية اللجنة تحليف الشهود أو تكليفهم بإعطاء تأكيدات على صحة أقوالهم .

واستمعت اللجنة إلى (٥٢) شاهدا ، واحد وعشرون منهم وكلاء عن اليهود ، وثلاثون وكلاء عن المسلمين ، وشاهد واحد بريطانى ، قدم خلالها اليهود (٣٥) وثيقة ، والمسلمون (٢٦) وثيقة تؤكد صدق كلامهم. وقامت اللجنة بزيارة الحرم الشريف وحائط المبكى وضواحيه وأهم الكنائس العائدة للطائفة الاشكنازية والطائفة السفاردية لدرس حالة المبانى المختلفة ، وأوفدت أحد أعضائها إلى المحكمة الشرعية الإسلامية بالقدس للتعرف على سندات الملكية الخاصة بحائط المبكى وما يجاوره .

ونظرا للأهمية الخاصة المتعلقة على بقاء الأحوال الراهنة (ستاتيكو) فى الأماكن المسيحية المقدسة خشية امتداد الأطماع اليهودية إليها فقد قامت اللجنة بزيارات طويلة لهذه الأماكن ومنها كنيسة القبر المقدس وكنيسة المهد فى بيت لحم للتأكيد على بقاء هذه الأماكن كما هى فى أيدى المسيحيين بفلسطين (٩) .

ورغم استماتة اليهود فى الدفاع عن الحائط فقد أثبتت اللجنة الدولية أنه أثر إسلامى، كما أقرت حكومة الانتداب البريطانى ما جاء فى تقرير اللجنة وألزمت اليهود به (١٠) .

وصف حائط المبكى عام ١٩٣٠

يطلق اليهود على الحائط الغربى للحرم القدسى الشريف اسم حائط المبكى ويدعون أنه نفسه قائما على موقع هيكل داود وسليمان ، وهذا الجدار نفسه هو الذى يطلق عليه المسلمون حائط " البراق" ، وهو نفس الموقع الذى عرج منه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى السماء ليلة الإسراء ، ويضم هذا الموقع الأماكن المجاورة له. وحائط المبكى كما يدعى اليهود جزء لا يتجزأ من الحائط الغربى للحرم الشريف (١١)، على الرغم من أن الهيكل القديم لليهود دمره البابليون عام ٥٨٦ ق. م. ، ثم أعادوا بناءه مرة أخرى ودمر ثانية على أيدى الرومان عام ٧٠م*.

والمسجد الأقصى هو أحد مسجدين داخل إطار الحرم الشريف ، أما المسجد الآخر فهو المعروف بقبة الصخرة أو ما يعرف بمسجد عمر .

أما ذلك القسم من الحائط الذى يدعى اليهود أنه يقوم على موقع هيكل سليمان فهو عبارة عن ثلاثين متراً من الحائط الخارجي للحرم الشريف ، ويمتد تجاه ذلك الجزء من الحائط رصيف لا يمكن الدخول إليه من الطرف الشمالى إلا عن طريق زقاق ضيق يبدأ من شارع الملك داود (باب السلسلة) ويمتد هذا الرصيف جنوبا إلى حائط آخر . وفى عام ١٩٢٩ فتح باب عند الطرف الجنوبى من الحائط الأخير يؤدى إلى تلك البيوت وإلى المسجد . ويبلغ عرض الرصيف الكائن أمام الحائط نحو أربعة أمتار ، وعلى مسافة قصيرة من الرصيف فى الجهة الجنوبية منه يوجد داخل الحائط تجويف غائر وهو المكان المعروف لدى المسلمين بأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ربط بُراقه فيه ليلة المعراج ولهذا السبب أصبح كل هذا الحائط يعرف بالبراق أو حائط البراق (١٢) .

أولاً : ادعاءات اليهود بملكية موقع الحائط

أ) عادة اليهود بالنواح بجوار الحائط : اعتاد اليهود الذهاب عند الحائط والصلوات جماعة مرة كل سنة زاعمين أن هذه عادتهم التى تعود إلى زمن سحيق بعد خراب الهيكل وهو مكان الرب حيث يقومون بالبكاء والنواح كما ورد عندهم فى سفر إرميا والملوك (١٣) ، ويدعى اليهود أن أباطرة الرومان فى القرون الأولى من انتشار المسيحية كانوا يسمحون لهم بالقدوم إلى القدس وأداء فروض العبادة فى هذا المكان وبالصعود فى بعض الأحيان إلى جبل الزيتون لرؤية مكانهم المقدس عن بُعد وتلاوة الصلوات والنواح ، كما يدعون أنهم زاولوا هذه العادة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر (١٤) .

ب) تكرار العبادة عند الحائط : يقول اليهود إنهم اعتادوا الذهاب إلى الحائط سنويا ، من المرجح فى يوم ذكرى خراب الهيكل فى ٩ (آب) أغسطس ، ثم تكررت عادتهم فى مختلف الأعياد الدينية وفى أيام السبت باستثناء فترة انقطاعهم إبان احتلال الصليبيين للمدينة ، وبعد أن أعاد صلاح الدين المدينة إلى السيادة العربية لم يمنع اليهود من

الذهاب إلى الحائط ، وازداد قدومهم إليه منذ أواخر القرن الثامن عشر بسبب نمو أعدادهم فى فلسطين وبوجه خاص فى القدس .

وكانت صلواتهم تقتصر على البكاء والنواح ، أما الأتقياء منهم فكانوا يقتربون من الحائط ويلمسونه بجباههم ويبللونه بدموعهم ويضعون فى شقوق الحجارة أحيانا قصاصات من الورق تتضمن استرحامات وتمنيات دينية ، غير أن اليهود أخذوا بعد ذلك يقرأون بعض المزامير وقطعا من أسفار موسى أو الصلاة عند الحائط .

كما ادعى اليهود أنهم استعملوا بعض الأدوات المصاحبة لصلواتهم قبل الحرب العالمية الأولى مثل المقاعد وأستار لفصل الرجال عن النساء وخزانة تتضمن أسفار التوراة وقناديل طقسية وطشنت للغسيل وغيره ، وكانت الإدارة البريطانية تسمح لهم بذلك.

وادعى فريق منهم أن صك الانتداب البريطانى على فلسطين ضمن لهم حرية العبادة عند الحائط حسب طريقتهم فى أداء الشعائر والطقوس الدينية دون تدخل العرب أو منعهم من ذلك (١٥) .

جـ- نفى اليهود مسألة البراق : ينفى اليهود إمكان اعتبار الحائط والرصيف الكائن أمامه ومحلة المغاربة أماكن إسلامية مقدسة ، ويصفون مسألة معراج الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأنها أسطورة تواردها المسلمون بعد زمن النبى محمد بدعوى أن البراق لم يرد ذكره فى القرآن ، وأن الطريق الذى سلكه النبى قبل دخوله ساحة الحرم ليس معروفاً تماما للمسلمين الذين لم يطلقوا اسم البراق على الحائط إلا فى السنوات السابقة على عام ١٩٣٠ ، مطالبين باعتبار حائط المبكى مكانا مقدسا لجميع يهود العالم قاطبة والسماح لهم بأداء طقوسهم دون ممانعة من أحد .

ثانياً : وجهة النظر الإسلامية

وهى التى أدلى بها نيابة عن جميع المسلمين أحمد زكى باشا وكررها من بعده محمد على باشا - معترضا على عمل اللجنة وما أبدته من دفوع تخدم وجهة النظر

اليهودية معترضين بصفة مبدئية على عدم الاعتراف بالانتداب البريطانى على فلسطين وبذلك لا يمكن إقرار أى عمل مستمد من هذا النظام ، وبالطبع السماح بوطن قومى لليهود فى فلسطين ، كذلك فإن النزاع الدائر على ملكية أماكن العبادة بين المسلمين واليهود ، وعلى حقوق مدعى بها فى هذه الأماكن ، يجب أن يرفع إلى الهيئة المختصة وهى المجلس الإسلامى للفصل فى أمر الوقف والأماكن الإسلامية المقدسة (١٦) .

أ) الولاية العربية على القدس وفلسطين

يؤكد التاريخ على أن اليهود بعد أن عادوا لفلسطين بعد السبى البابلى وتدمير الهيكل الأول فى القرن السادس ق. م طردهم الرومان مرة ثانية على إثر تدمير الإمبراطور تيتوس لمدينة القدس وهيكلهم الثانى عام ٧٠ م ، ثم تدمير مدينة القدس وقتل سكانها من اليهود على يد ايليوس هادريانوس عام ١٣٥م جيث قام بتغيير اسمها لتصبح ايليا كابيتولينا ، ثم حكمها البيزنطيون حتى الفتح العربى فى عهد عمر بن الخطاب ، وظلت فى حوزة العرب جيلا بعد جيل إذا استثنينا مدة تسعين عاما خضعت فيها لسيادة الصليبيين . ولم يتعرض العرب لليهود الذين وفدوا إلى فلسطين بأعداد ضئيلة ، بل أكرم مثواهم حكام البلاد المسلمون . وخلال هذه الفترة الطويلة لم يقع أى نوع من الحوادث عند البراق ، ولم يَدّعِ اليهود يوماً من الأيام أى حق فى الحائط ، بل كانوا قانعين بالذهاب إليه للنواح حيناً بعد آخر مستغلين تسامح العرب المسلمين . وقد أدى وعد بلفور الذى أدمج فى أحكام صك الانتداب إلى وقوع الخلاف بين الطرفين وإراقة الدماء فى فلسطين ، مشجعاً اليهود على تقديم مطالب لم يحلموا بها فيما مضى ، بل ساعدهم على إنشاء الوطن القومى لهم على أرض فلسطين ، ولم تكن تلك الأرض التى فتحها العرب فى القرن السابع الميلادى مملكة يهودية قط ، بل لم يكن لهم فيها أى حق على الإطلاق (١٧) .

ب) مدى أحقية اليهود فى الحائط والرصيف وما جاورهما

لا جدال فى أن العرب المسلمين فى فلسطين كانوا يمتلكون هذه الأماكن منذ قرون عديدة ، فموقع البراق جزء لا يتجزأ من الحرم القدسى الشريف وليس فيه حجر واحد

يعود إلى عهد الملك سليمان ، والممر الكائن عند الحائط ليس طريقاً عاماً ولكنه أنشئ فقط لمرور سكان محلة المغاربة وغيرهم من المسلمين فى ذهابهم إلى مسجد البراق ومن ثم إلى الحرم الشريف ، والمنطقة التى حولها يقطنها مسلمون من المغاربة الحجاج، وبذلك لا يحق لليهود نزع ملكيتها لإنشاء (كنيس) لهم ، ولا يعنى تسامح الحكام العرب معهم بتواجدهم عند الحائط فى أيام معلومة مطالبتهم بإقرار حقوق دائمة لهم ، وقد أكد المرسوم الصادر من إبراهيم باشا عام ١٨٤٠م ، والفرمان العثمانى الصادر عام ١٨٨٩م على ذلك (١٨) .

جـ) الحالة الراهنة

أما عن تمسك اليهود بالحالة الراهنة من أنهم اعتادوا الذهاب إلى الحائط والنواح على سقوط عظمة إسرائيل فلا يعطيهم الحق فى التملك ، لأن الموقع المذكور عائد لوقف إسلامى لا يجوز لهم إحداث أى تغير فيه ، ولذلك فقد اعترض المسلمون على جلب اليهود بعض الكراسى بجوار الحائط التى قد تصبح مقاعد ثابتة فيما بعد وبالتالى يكتسبون حقاً شرعياً فى الموقع بمرور الزمن ، وبذلك لا يستطيع اليهود الاستناد إلى مبدأ الحالة الراهنة ، وهو ما تفعله إسرائيل الآن من فرض سياسة الأمر الواقع (ستاتيكو) على أهل فلسطين (١٩) .

د) الوقف وحكمه الشرعى

الوقف فى الشريعة الإسلامية هو حبس العين عن تمليكها لأحد والتصدق بريعها على جهة أو أكثر من جهات البر ، ولهذا لا تجيز الشريعة الإسلامية بيع الوقف ولا تحويله خلافاً لشرط الواقف ، ومن هذا المنطلق الإسلامى فإن موقع البراق لكونه جزءاً من الحرم الشريف يعتبر وقفاً من المرتبة الأولى التى توقف على المساجد ، أما الرصيف المجاور للحائط ومحلة المغاربة فهى وقف من المرتبة الثالثة المخصصة لاستعمال الزوار من المسلمين وحجاجهم . والشريعة الإسلامية تحظر على اليهود أن يدعوا بأية حقوق كانت فى هذه الأماكن ، حيث إن الوقف لا يسقط بتقادم الزمن إلا إذا كان الغاصب قد اغتصب الوقف مدة ثلاث وثلاثين سنة على الأقل بلا ممانعة ولا

انقطاع وهو الأمر الذى يجب أن يتنبه إليه المسلمون فى ضرورة تواصل رفض الأمر الواقع والثورة عليه باستمرار .

كما أن اليهود ليس من حقهم الادعاء بحق الارتفاق المعروف فى الشريعة الإسلامية لأن هذا الحق لا يتفق مع مزاعمهم إذ أنه يجب أن يكون لمنفعته عقار آخر ملاصق لا لمنفعة أشخاص (٢٠) .

هـ) قدسية الرصيف المجاور للحائط وما يليهما

إن قدسية الحائط الغربى الذى هو جزء من الحرم الشريف لا ينازع فيه منازع . وقد ورد ذكر إسراء النبى صلى الله عليه وسلم إلى القدس . فيقول رب العزة فى كتابه الكريم : "**سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** " (٢١) .

وقد عرف هذا الموقع إثر إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أى البعيد عن مكة ثم أصبح قبلة المسلمين الأولى قبل التوجه إلى بيت الله الحرام فى مكة . أما تقديس المسلمين للحائط والرصيف المجاور له فيأتى من أنه محل البراق الذى نزل فيه النبى صلى الله عليه وسلم ومر به ثم ربط فيه براقه فى الحائط نفسه ليلة الإسراء ، ولذلك فقد أوقف أصحاب الأملاك المجاورة أملاكهم وأنشئت فيها الزوايا وبيوت الحجاج المغاربة (٢٢) .

و) نوايا اليهود الحقيقية

لم يكن قصد اليهود من مطالباتهم قبل حوادث عام ١٩٣٠ بإقرار الوضع القائم لهم فقط ، بل إن غايتهم الحقيقية كانت ولا تزال وضع يدهم على الحرم الشريف وتقويضه جزءاً جزءاً ، وما حادث النفق الذى فتحوه فى شهر سبتمبر الحالى (١٩٩٦) ببعيد . فتصريحاتهم شئ ، وأفعالهم شئ آخر مخالف تماماً لتصريحاتهم وأقوالهم . وقد اعترفت لجنة شو Shaw نفسها بأن مخاوف العرب من اليهود فى هذا الشأن معقولة وفى محلها.

إن وعد بلفور هو الذى استثار اليهود لطلب بعض الحقوق التى لا وجود لها فى الحقيقة ، إذ أن مطمعهم الأساسى هو الاستيلاء على مسجد قبة الصخرة والساحة المحيطة به وهى فى نظرهم ساحة الهيكل وإخراج العرب من فلسطين نهائيا ليحلوا حينئذ محلهم . إن اليهود يتطلعون إلى إقامة دولة إسرائيل الكبرى واجتماع شملهم فى فلسطين ، وإعادة بناء دولتهم اليهودية وهيكلهم ، وإقامة عرش داود فى القدس دون غيرها .

وهذه الحالة التى أوجدها اليهود فى الأرض المقدسة وعلى وجه التحديد فى القدس تشكل مصدر خطر دائم يهدد السلام كما جاء فى تقرير اللجنة الدولية التى بحثت الأمر من جميع جوانبه ورأت أن أفضل حل لفض هذا النزاع هو منع اليهود من الاقتراب من الحائط (٢٣) . وكانت مهمة لجنة شو Shaw هو التحقيق فى النزاع الذى نشأ بين العرب واليهود فيما يتعلق بعادة اليهود فى الذهاب إلى الحائط الغربى أو البراق وهو ما يطلق عليه اليهود حائط المبكى للتضرع وذرف الدموع.

وقد ألقيت التبعة على بريطانيا صاحبة الانتداب على فلسطين بعدم تصديها لإدارة أى الأماكن الإسلامية المقدسة التى يضمن صك الانتداب ضمانا تاما بعدم تعرضها لامتيازاتها . وقد احتج رئيس المجلس الإسلامى الأعلى في كتاب بعث به إلى الجمعية العامة لعصبة الأمم بتاريخ ١٧ شباط (مارس) ١٩٣٠ لتعيين لجنة دولية للبت نهائيا فى حقوق ومطالب اليهود بشأن الحائط الغربى ، نظرا لأن أى تلميح أو إشارة إلى حقوق ومطالب اليهود فى هذا المكان تعتبر تعديا خطيرا على حقوق المسلمين ومقدساتهم .

لكن الحكومة البريطانية فى كتابها الأبيض الصادر فى شهر تشرين الثانى (أكتوبر) ١٩٢٨ ذكرت أن الحائط الغربى أو المبكى يؤلف قسما من الحائط الخارجى لهيكل اليهود القديم وهو مقدس لذى اليهود ، ويشكل الحائط أيضا قسما من الحرم الشريف وهو بصفته هذه مقدسا لدى المسلمين وملكا لهم ، كما أن الرصيف المقابل له وقفا عليهم ، ورأت تطبيقا لأحكام المادة (١٣) من صك الانتداب على فلسطين أن المسألة توجب المحافظة على الحالة الراهنة والسماح لليهود بالمرور لإقامة صلواتهم على الرغم من

ملكية المسلمين له مع عدم السماح بإجراء أية محدثات أو تغييرات فى أو بالقرب من الحائط نفسه مما يلحق باليهود إزعاجاً أثناء إقامة صلواتهم (٢٤) .

وخلصت اللجنة إلى أن حق ملكية الحائط والتصرف فيه وما جاوره من الأماكن عائد إلى المسلمين لا ينازعهم فيه منازع لكونه جزءا لا يتجزأ من الحرم الشريف ، كما أن الرصيف الكائن عند الحائط حيث يقيم اليهود صلواتهم هو أيضا ملكٌ للمسلمين ، حيث ثبت للجنة أن المنطقة التى تكتنف الرصيف قد وقفها على المسلمين الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبى حوالى عام ١١٩٣م . أما منازل الحجاج المغاربة التى أنشئت حوالى عام ١٣٢٠م فقد أوقفها عليهم أبو مدين الغوث بإعلان شرعى أصدره القاضى سنة ١٦٣٠ م بعد أن فقدت صكوك الوقف الأصلية لها .

فإن كان يجب المحافظة على الحائط الغربى والرصيف الكائن أمامه لمصلحة اليهود الدينية ، وجب عليهم أيضا أن يراعوا حرمة المسلمين الذين أكرموا مثواهم ، والذين ضمنت لهم أحكام صك الانتداب مقاماتهم المقدسة (٢٥) .

وفضلا عن ذلك ، فقد تلقى المسلمون ما ورد فى الكتاب الأبيض فى هذا الشأن بمزيد من الارتياح على حد ما ذكرته لجنة "شو" فى تقريرها . وفى ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٢٨ أرسل مفتى القدس بصفته رئيس المجلس الإسلامى الأعلى كتابا إلى حاكم مقاطعة القدس يقول فيه :

" اطلع المجلس الإسلامى الأعلى على الكتاب الأبيض الذى أصدره حضرة وزير المستعمرات فى شهر تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٩٢٨ ، ونشرته الجريدة الرسمية بشأن قضية البراق (حائط المسجد الأقصى الغربى) ، فوجد "أن ما فيه من الدقة وبعد النظر ومراعاة العدل من غير أى محاباة قد بدد بوضوح وصراحة تلك الغيوم التى حاولت الدعاية الواسعة والضجة المصطنعة أن تخفيا تحتها الحالة الراهنة ... " ، ويصف موقف الحكومة البريطانية فى هذا الشأن بالنزاهة ، وضرورة إسراعها بالمحافظة على الحالة الراهنة التى استمرت منذ عهد الأتراك وظلت مرعية قبل الحرب العالمية الأولى، ومنع وضع اليهود لأى حاجز أو ستار سواء لفصْل الرجال عن النساء أو لأية غاية أخرى ، أو وضع أية سجاجيد أو حصر ، أو النفخ فى البوق (شوفار) .

وأقرت اللجنة أن للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربى ، ولهم وحدهم الحق العينى فيه لكونه يؤلف جزءا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التى هى من أملاك الوقف ، وللمسلمين أيضا تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفا حسب أحكام الشرع الإسلامى لجهات البر والخير (٢٦) .

وقد توصلت اللجنة المكونة من : الياس لوفجرين ، وشارلى بيرد ، وفان كمبن ، وستيج ساهلين إلى آرائها وقراراتها فى كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٣٠ ، والتى كانت فى صالح العرب (٢٧).

الحواشى والمصادر

(١) نشأت مدينة القدس على يد العرب الكنعانيين قبل مجئ نبى الله داود إليها بقرون طويلة ، ومن المؤكد أن سالم اليبوسى الكنعانى العربى هو مؤسس مدينة القدس عام ٣٥٥ ق.م. ، لا كما يزعم اليهود أنها تأسست عام ١٠٠٠ ق.م. على يد داود عليه السلام ، ولذلك أطلق عليها أورسالم أى مدينة سالم حيث إن كلمة "أور" كلمة سومرية تعنى "مدينة".

(٢) أصبح اليهود الآن يملكون ٨٤٪ من مبانى مدينة القدس مقابل ١٤٪ للعرب و٢٪ للأجانب بعد أن كانت عام ١٩٤٨ بواقع ٩٤٪ للعرب ، و٤٪ لليهود ، و٢٪ للأجانب .

(٣) عز الدين الخطيب التميمى : القدس فى ضوء العقيدة الإسلامية ، وزارة الأوقاف الأردنية ، ١٩٧٩ ، ص ٧٧.

(٤) ابن جرير الطبرى : تاريخ الطبرى ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

(٥) اسحق موسى الحسينى : عروبة بيت المقدس ، مركز الأبحاث الفلسطينى ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٥٣ .

(٦) عز الدين الخطيب ، المرجع السابق ، ص ١١٣، ١١٤ .

(٧) د. عبد العزيز الشناوى ، د. جلال يحيى : وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ص ١٨٢ .

(٨) ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية ، ج ٢ ، ص ٢٥٩-٢٦٠ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٢٦٠ – ٢٦٤ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٣٤٩ .

(١١) .يبلغ طول الحائط الغربى للحرم القدسى الشريف ما يزيـد علـى المائـة مـتر وارتفاعـه نحـو عشـرين مترا .

(١٢) ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ – ٢٦٨ .

(١٣) سفر إرميا (الإصحاح الحادى والأربعون ، العدد ٥) ، سفر الملوك الأول (الإصحاح الثامن – العدد ١١) .

(١٤) ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية ، المصدر السابق ، ص ٢٧٩ – ٢٨٠ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٢٨١ – ٢٨٣ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ – ٢٨٦ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٢٨٦ – ٢٨٧ .

(١٨) المصدر نفسه ، ص ٢٨٧ – ٢٨٨ .

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٢٨٨ – ٢٩٠ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٢٩١ – ٢٩٢ .

(٢١) سورة الإسراء ، الآية (١) .

(٢٢) ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية ، المصدر السابق ، ص ٢٩٠ .

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩٣ – ٢٩٤ .

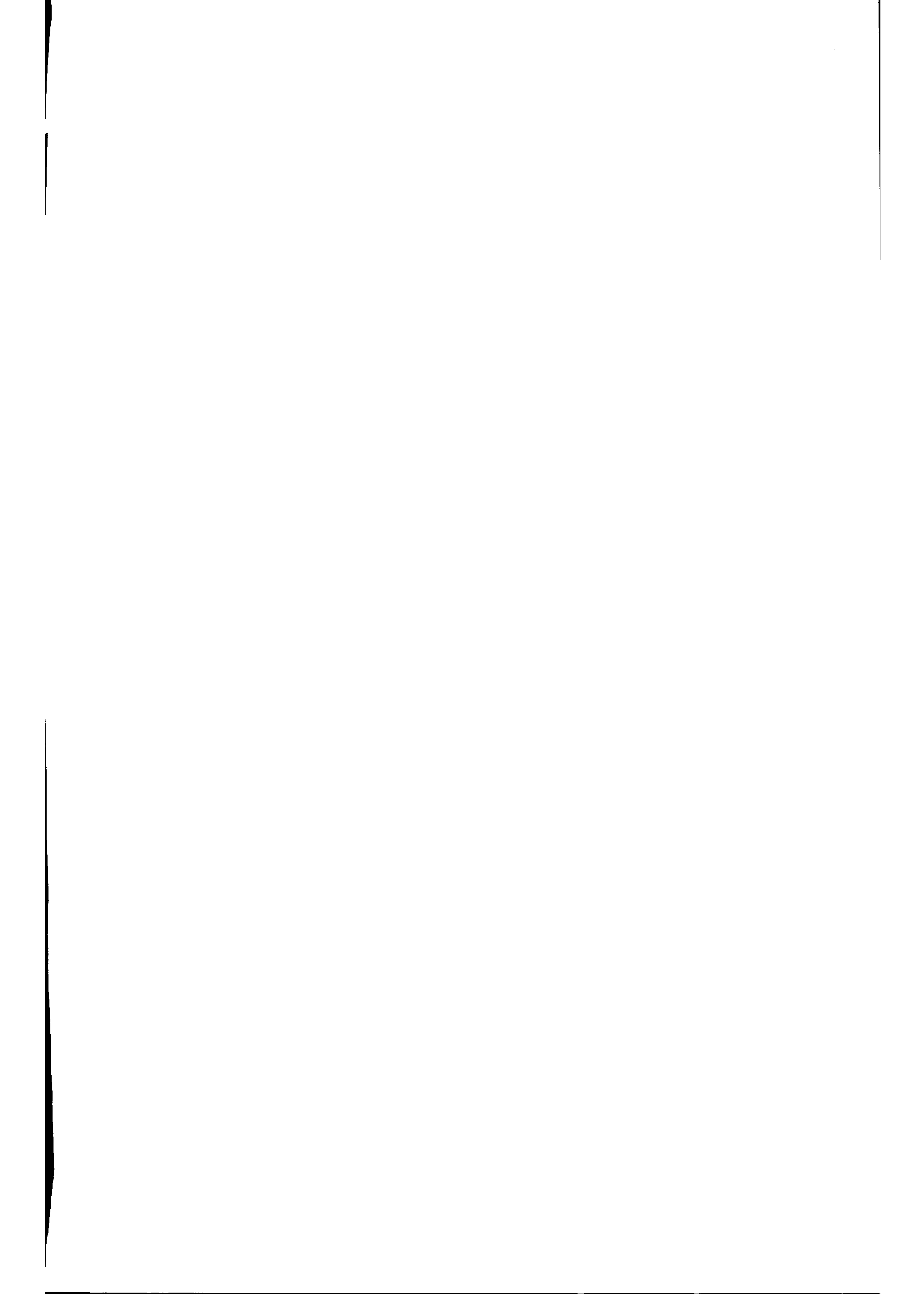
(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٣٣٢ – ٣٣٧ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٣٣٠ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٣٣٨ – ٣٤٥ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ٣٥٠ .

القــدس : التغيــرات الجغرافية والديموجرافيــة



الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

الاستيطان في مدينة القدس: الأهداف والنتائج

السيد خليل التفكجى

جمعية الدراسات العربية - مدير دائرة الخرائط بالقدس

مقدمة

تلعب الحدود السياسية دوراً هاماً فى تحديد العلاقة ما بين رجل القانون والسياسى والمؤرخ والجغرافى، إذ أن لكل واحد منهم وجهة نظر مختلفة ، فرجل القانون يحدد الحدود التى تخضع للسيادة وإشراف السلطة وإخضاعها لقوانينها ، بينما يحدد السياسى النظام الأيدلوجى والاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، أما الجغرافى فهو يهتم بدراسة الحدود السياسية باعتبارها جزءاً من (اللاندسكيب) . ولا شك فى أن جميع هذه العناصر لعبت دوراً هاماً فى ترسيم حدود بلدية القدس ، فقد كان للموقع الجغرافى الذى يجمع بين ميزتين ، ميزة الانغلاق وما يوفره من حماية للمدينة ، وميزة الانفتاح وما يتبعه من اتصال بالمناطق والأقطار المجاورة ، دوره فى تحديد الحدود ، كذلك لموقع القدس الجغرافى أهمية خاصة فى المجال العسكرى نظراً للتضاريس الطبيعية التى تعزز الدفاع عنه . ولا يقل موضوع المدينة أهمية عن موقعها ، فهو موضوع دينى دفاعى يجمع بين قدسية المكان وسهولة الدفاع عنه.

نشأت النواة الأولى لمدينة القدس (تل أوفيل) المطل على قرية سلوان ، حيث اختير هذا الموقع لأسباب أمنية ، وساعدت عين سلوان فى توفير المياه للسكان ، وهجرت هذه النواة إلى مكان آخر هو (جبل بزيتا) ومرتفع موريا الذى يقع عليه قبة الصخرة

المشرفة. وأحيطت المدينة بالأسوار ، ثم بدأت بالتقلص حتى بنى السلطان العثمانى (سليمان القانونى) السور الحالى محدداً حدود القدس القديمة جغرافياً بعد أن كان سورها يمتد شمالاً حتى وصل فى مرحلة من المراحل إلى منطقة المسجد المعروف (مسجد سعد وسعيد) . وفى عام ١٨٦٣ تأسست أول بلدية للقدس . وفى منتصف القرن التاسع عشر بدأت الأحياء اليهودية تظهر طابع هذه الحدود لتبدأ فى رسم الحدود السياسية لمدينة القدس . ومن أجل هدف أيديولوجى أقيم حى (يمين موشيه) عام ١٨٥٠ فى منطقة جورة العناب ليكون نواة لأحياء يهودية تقام خارج الأسوار باتجاه الجنوب الغربى والشمال الغربى والغرب ، ثم أقيم حى (مئة شعاريم) فى منطقة المصرارة ، و(ماقور حاييم) المسكوبية فى عام ١٨٥٨.

ونتيجة لنشوء الضواحى الاستيطانية فى المنطقة العربية ، ونتيجة للزعم الصهيونى بأن القدس كانت دائما ذات أغلبية يهودية ، علماً بأن مساحة الحى اليهودى فى القدس لم يتجاوز مساحة (٥ دونم) وعدد سكانه لم يتجاوز التسعين أسرة ، فإن حكومة الانتداب البريطانى وقادة الصهيونية اتفقوا على رسم حدود البلدية بطريقة ترتبط بالوجود اليهودى، حيث امتد الخط من الجهة الغربية عدة كيلومترات (جبعات شاؤول، سكنات نتفيورى ، بيت هاكيرم ، سكنات هبو عليم ، بيت فجان) التى تبعد ٧ كم عن أسوار المدينة ، بينما اقتصر الامتداد من الجوانب الجنوبية والشرقية على بضع مئات من الأمتار ، وقفت حدود البلدية أمام مداخل القرى العربية المجاورة للمدينة ومنها قرى عربية كبيرة ، خارج الحدود (الطور ، شعفاط ، لفتا ، دير ياسين ، سلوان ، العيسوية ، عين كارم ، المالحة ، بيت صفافا) رغم أن هذه القرى تتاخم المدينة حتى تكاد تكون كل منها ضاحية من ضواحيها.

ثم جرى ترسيم الحدود البلدية عام ١٩٢١ حيث ضمت حدود البلدة القديمة وقطاعا عريضاً بعرض ٤٠٠ م على طول الجانب الشرقى لسور المدينة بالإضافة إلى أحياء (باب الساهرة ، وادى الجوز ، الشيخ جراح) من الناحية الشمالية ، ومن الناحية الجنوبية انتهى خط الحدود إلى سور المدينة فقط ، أما الناحية الغربية والتى تعادل مساحتها أضعاف القسم الشرقى ، فقد شملتها الحدود لاحتوائها تجمعات يهودية كبيرة بالإضافة

إلى بعض التجمعات العربيـة (القطمون ، البقعة الفوقا والتحتا ، الطالبيـة ، الوعريـة ، الشيخ بدر ، ومأمن الله).

أما المخطط الثانى لحدود البلدية فقد وضع عام ١٩٤٦ بقصد توسيع منطقة خدماتها، غير أن التوسيع تركز أيضا علـى القسم الغربـى حتـى يمكن استيعاب وضم الأحياء اليهودية الجديدة التى بقيت خارج منطقة التنظيم العام (١٩٣١) ، وفـى الجزء الشرقى أضيفت قرية سلوان من الناحية الجنوبية ، ووادى الجوز ، وبلغت مساحة المخطط ١٩٩, ٢٠ دونما توزعت ملكية أراضيها كما يلى:

١	أملاك عربية	٤٠٪
٢	أملاك يهودية	٢٦, ١٢٪
٣	أملاك مسيحية	١٣, ٨٦٪
٤	أملاك حكومية وبلدية	٢, ٩٪
٥	طرق ، سكك حديدية	١٧, ١٢٪
	المجموع	١٠٠٪

وتوسعت المساحة المبنية من ٤١٣٠ دونما عام ١٩١٨ إلى ٧٢٣٠ دونما عام ١٩٤٨ . وجاء قرار التقسيم والتدويل (١٩٤٧ - ١٩٤٩) لأن فكرة التقسيم وتدويل القدس لم تكن جديدة ، فقد طرحتها اللجنة الملكية بخصوص فلسطين (لجنة بيل) ، حيث اقترحت اللجنة إبقاء القدس وبيت لحم إضافة إلى اللد والرملة ويافا خارج حدود الدولتين (اليهودية والعربية) مع وجود معابر حرة وآمنة . وجاء قرار التقسيم ليوصى مرة أخرى بتدويل القدس ، وقد نص القرار على أن القدس ستكون (منطقة منفصلة) تقع بين الدولتين (العربية واليهودية) وتخضع لنظام دولى خاص وتدار من قبل الأمم المتحدة بواسطة مجلس وصاية يقام لهذا الخصوص. وقد حدد القرار المذكور حدود القدس الخاضعة

للتدويل بحيث شملت إضافة إلى المدينة ذاتها (أبو ديس شرقاً ، بيت لحم جنوباً ، عين كارم ، موتسا قالونيا غرباً ، وشعفاط فى الشمال) (خريطة رقم ٢).

ولكن حرب عام ١٩٤٨ ، وتصاعد المعارك الحربية التى أعقبت التقسيم أدت إلى تقسيم المدينة إلى قسمين . فى تاريخ ١٩٤٨/١١/٣٠ وقعت السلطات الإسرائيلية والأردنية على اتفاق وقف إطلاق النار بعد أن تم تعيين خط تقسيم القدس بين القسمين الشرقى والغربى للمدينة فى ١٩٤٨/٧/٢٢. وهكذا فإنه مع نهاية عام ١٩٤٨ كانت القدس قد تقسمت إلى قسمين وتوزعت حدودها نتيجة لخط وقف النار إلى:

١	مناطق فلسطينية تحت السيطرة الأردنية	٢٢٠, ٢ دونما	٤٨, ١١٪
٢	مناطق فلسطينية محتلة (الغربية)	٢٦١, ١٦ دونما	١٢, ٨٤٪
٣	مناطق حرام ومناطق للأمم المتحدة	٨٥٠ دونما	٣٩, ٤ ٪
	المجموع	**٣٣١, ١٩ دونما**	١٠٠ ٪

وهكذا ، وبعد اتفاق الهدنة بين الطرفين الأردنى والإسرائيلى فى ١٩٤٩/٣/٤ ، تأكدت حقيقة اقتسام القدس بينهما انسجاماً مع موقفهما السياسى المعارض لتدويل المدينة . وفى ١٩٥١/٧/١٣ جرت أول انتخابات لبلدية القدس العربية ، وقد أولت البلدية اهتماماً خاصاً بتعيين وتوسيع حدودها البلدية وذلك لاستيعاب الزيادة السكانية بعد استفحال الضائقة السكنية. وصودق على أول مخطط يبين حدود بلدية القدس (القدس الشرقية) فى ١٩٥٢/٤/١ . وقد ضمت المناطق التالية إلى مناطق نفوذ البلدية : (قرية سلوان ، رأس العامود ، الصوانة ، أرض السمار ، والجزء الجنوبى من قرية شعفاط) ، وأصبحت المساحة الواقعة تحت نفوذ البلدية ٥, ٦ كم٢ فى حين لم تزد مساحة الجزء المبنى منها عن ٣ كم٢. وفى ١٩٥٧/٢/١٢ قرر مجلس البلدية توسيع حدود البلدية نتيجة للقيود التى وضعها كاندل فى منع البناء فى سفوح جبل الزيتون والسفوح الغربية والجنوبية لجبل المشارف (ماونت سكوبس) ، بالإضافة إلى وجود مساحات كبيرة تعود للأديرة والكنائس، ووجود مشاكل أخرى مثل كون أغلبية الأرض مشاعا ولم تجر عليها التسوية (الشيخ جراح ، شعفاط) . وهكذا ، فى جلسة لبلدية القدس بتاريخ ١٩٥٨/٦/٢٢ ناقش المجلس

مشروع توسيع حدود البلدية شمالا بحيث تشمل منطقة بعرض ٥٠٠ م من كلا جانبى الشارع الرئيسى المؤدى إلى رام الله ويمتد حتى مطار قلنديا. واستمرت مناقشة موضوع توسيع حدود البلدية بما فى ذلك وضع مخطط هيكلى رئيسى للبلدية حتى عام ١٩٥٩ ، دون نتيجة. وفى أيلول عام ١٩٥٩ ، تم الإعلان عن تحويل بلدية القدس إلى أمانة القدس. ولكن هذا التغيير فى الأسماء لم يتبعه تغيير فى حجم الميزانيات أو المساعدات . وفى عام ١٩٦٤ ، وبعد انتخابات عام ١٩٦٣ ، كانت هناك توصية بتوسيع حدود بلدية القدس لتصبح مساحتها ٧٥ كم٢ ، ولكن نشوب حرب عام ١٩٦٧ أوقف المشروع ، وبقيت حدودها كما كانت عليه فى الخمسينيات . أما القدس الغربية فقد توسعت باتجاه الغرب والجنوب الغربى (وضمت إليها أحياء جديدة منها كريات يوفيل ، كريات مناحيم ، عير غانيم ، وقرى عين كارم ، بيت صفافا ، دير ياسين ، لفتا والمالحة ، لتبلغ مساحتها ٣٨ كم٢). وقد شرعت بلدية القدس الغربية بإعداد مخطط هيكلى للمدينة فى عام ١٩٦٤ ثم أعيد تصميمه عام ١٩٦٨ (خريطة رقم ١).

حرب حزيران وتوسيع الحدود

اندلعت حرب عام ١٩٦٧ ، فاحتلت إسرائيل شرقى القدس ، وبدأت خطوات تهويد المدينة ، واتفقت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة سواء حكومات المعراخ أو الليكود على هذه السياسة ، ووضعت البرامج الإستراتيجية والتكتيكية لبلوغ هذا الهدف ، فبعد الإعلان عن توسيع حدود بلدية القدس وتوحيدها بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٨ ، وطبقا للسياسة الإسرائيلية للسيطرة على أكبر مساحة ممكنة من الأرض مع أقل عدد ممكن من السكان العرب ، ورسم (رحبعام زئيفى) حدود البلدية لتضم أراضى ٢٨ قرية ومدينة عربية ، وإخراج جميع التجمعات السكانية العربية لتأخذ هذه الحدود وضعاً غريباً ، فمرة مع خطوط التسوية (الطبوغرافية) ، ومرة أخرى مع الشوارع. وهكذا بدأت حقبة أخرى من رسم حدود البلدية ، لتتسع مساحة بلدية القدس من ٦,٥ كم٢ إلى ٧٠,٥ كم٢ وتصبح مساحتها مجتمعة (الشرقية والغربية ١٠٨,٥ كم٢) لتتوسع مرة أخرى عام ١٩٩٠ باتجاه الغرب لتصبح مساحتها الآن ١٢٣ كم٢ (خريطة رقم ٣).

ومنذ الساعات الأولى للاحتلال ، بدأت الجرافات الإسرائيلية والسياسة الإسرائيلية فى رسم المعالم لتهويد القدس من أجل فرض الأمر الواقع وخلق ظروف (جيوسياسية) يصعب على السياسى أو الجغرافى إعادة تصميمها مرة أخرى ، فبدأت بوضع الأساسات لبناء الأحياء اليهودية فى القدس الشرقية لتقام عليها سلسلة من المستوطنات أحاطت بالقدس من جميع الجهات وملأتها بالمستوطنين لتخلق واقعاً جغرافياً وديموغرافياً وخلخلة سكانية فى القدس العربية . وبعد أن كان السكان الفلسطينيون يشكلون أغلبية عام ١٩٦٧ أصبحوا أقلية عام ١٩٩٥ ، وبعد أن كانوا يسيطرون على ١٠٠٪ من الأراضى ، أصبحوا يسيطرون على ٢١٪ من الأراضى بعد عمليات المصادرة ، وإقامة المشاريع الاستيطانية عليها ، وفتح الطرق ، والبناء ضمن الأحياء العربية ، لتأتى مرحلة أخرى من مراحل التهويد ورسم الحدود ، وهى حدود القدس الكبرى (المتروبوليتان) لتشمل أراضى تبلغ مساحتها ٨٤٠ كم٢ أو ما يعادل ١٥٪ من مساحة الضفة الغربية ، ولتبدأ حلقة أخرى من إقامة المستعمرات خارج حدود البلدية ، ولكن هدفها هو التواصل الإقليمى والجغرافى ما بين المستعمرات خارج حدود البلدية والواقعة فى الضفة الغربية ، بالإضافة الى إقامة شبكة من الطرق تصل ما بين هذه المستعمرات . وهكذا فإن خريطة الحكومة الإسرائيلية للاستيطان تشمل إفرات وغوش عتصيون ومعاليه أدوميم ، وجبعات زئيف ، ويجرى البناء فيها بطاقة كاملة . وقد أشار باحثو الجغرافية منذ سنوات طويلة إلى الصلة الوثيقة بين حدود بلدية القدس وبين القدس الكبرى (خريطة رقم ٤).

السكان والمساحة

السكان

تشكل زيادة عدد السكان اليهود داخل وحول القدس ، جزءاً أساسياً من الاستراتيجية الإسرائيلية لضمان سيادتها المستمرة . وقد وزع السكان اليهود فى كل مكان من القدس الشرقية التى ضمت عن طريق بناء أحياء جديدة قريبة ذات كثافة سكانية عالية . وقد تركزت معظم هذه الزيادة فى عدد السكان اليهود فى هذه المستعمرات ، وكانت نتيجة ذلك أن حققت إسرائيل أغلبية يهودية على الفلسطينيين فى القدس الشرقية (١٦٥ ألف مقابل ١٦٠,٩ ألف فلسطينى) وبلغ عدد اليهود فى القدس (الشرقية والغربية) حوالى

(٨, ٤٠٦ ألف) نسمة أو ما يعادل ٧, ٧١٪ . وحينما يتم إشغال آلاف المنازل التي يجرى التخطيط لها ، والتي في طور البناء في المستعمرات ، فإن عدد السكان الإسرائيليين في القدس الشرقية سوف يتفوق على عدد الفلسطينيين لتصل إلى ١:٣ ، ولتصل نسبة الفلسطينيين إلى ٢٢٪ من المجموع العام (يبلغون اليوم ٣, ٢٨٪ من المجموع العام لسكان القدس[1] (خريطة رقم ٥).

المقارنة بين البناء العربي واليهودي داخل حدود بلدية القدس

تم مصادرة (٢٤) كم٢ ، أو ما يعادل (٣٤٪) من مساحة القدس الموسعة البالغة (٥, ٧٠) كم٢ ، وخلال ذلك تم بناء (٨٦٧, ٦٤) وحدة سكنية داخل حدود البلدية ، تم إقامتها من قبل الحكومة أو ما يعادل (٨٨٪) ، أما بالجانب الفلسطيني فتم فيه إقامة (٨٨٩٠) وحدة سكنية ، وهي أبنية أقيمت بمبادرات خاصة أو ما يعادل (١٢٪) . أما الوحدات السكنية اليهودية التي أقيمت بالقدس الشرقية على الأراضي المصادرة من أصحابها العرب فقد بلغت (٥٣٤, ٣٨) وحدة سكنية أو ما يعادل (٤, ٥٩٪) من الوحدات السكنية التي بنيت للإسرائيليين داخل حدود البلدية ، ففي عام ١٩٩٠/١٩٩٣ تم بناء (٠٧٠, ٩) وحدة سكنية ، منها (٤٦٣) وحدة سكنية للعرب ، وهي تشكل (١, ٥٪) من مجمل الشقق (١٩٩٣) تم الانتهاء من بناء (٢٧٢٠) وحدة سكنية ، منها (١٠٣) وحدة للعرب وتشكل (٨, ٣٪). وفي عام ١٩٩١ شكلت المنطقة التي بني فيها لصالح العرب (٥, ٨٪) من مجمل المنطقة التي بنيت بالمدينة :

١٩٩٢   ٣, ٩٪

١٩٩٣   ٣, ٦٪

وبالمقارنة بحجم البناء ما بين عام ١٩٦٧/١٩٩٥ نجد ما يلي :

السكان	عام ١٩٦٧	عام ١٩٩٥
العرب	١٢ , ٠١٠	٤٩٠, ٢١ وحدة
اليهود	----	٥٣٤, ٣٨ وحدة

---

[1] Statistical Year book of Jerusalem.

عدد السكان العرب واليهود

السكان	عام ١٩٦٧	عام ١٩٩٣
العرب	٦٨,٦ ألف	١٦٠,٩ ألف
اليهود	---	١٦٠,٤ ألف
المجموع العام للسكان	٥٦٧ ألف نسمة	

وفى عام ١٩٩٣ كان عدد العائلات بالقدس (١٤٤,٣٠٠) عائلة ، منها (١١٦,٦٠٠) عائلة يهودية و(٢٨,٢٠٠) عائلة عربية ، ومتوسط أفراد العائلة العربية (٥,٤١) عربى مقابل (٣,٥٣) يهودى. وهكذا ففي حين ارتفعت نسبة الفلسطينيين إلى المجموع العام للسكان داخل حدود البلدية :

عام ١٩٦٧ ٢٥,٨٪

عام ١٩٩٣ ٢٨,٣٪

انخفضت نسبة الوحدات السكنية التى بنيت لصالحهم ، كما ذكر أعلاه[٢].

المساحة

تحتاج المستعمرات والشوارع التى ستخدم الزيادة الهائلة فى عدد المستوطنين إلى مساحات من الأراضى ونتيجة لذلك فإنه يتم تقليص المساحة التى يعيش فيها الفلسطينيون بشكل مبرمج من خلال قوانين التخطيط والقيود على رخص البناء ومصادرة الأراضى ، بالإضافة إلى (البروتوكولات) التى تعتبر نموذجاً متطوراً فى منع البناء العربى . ففى المناطق الغربية يمنع البناء بأكثر من (٣) طوابق كأقصى حد ، بينما فى المناطق اليهودية تكون نسبة البناء عالية جداً تصل إلى (٨) طوابق. ولهذه الأسباب ونتيجة للزيادة السكانية الفلسطينية فإن الفلسطينيين يجبرون على مغادرة الأحياء العربية المركزية إلى الأحياء خارج حدود بلدية القدس أو إلى الضفة الغربية حيث تكون قوانين التخطيط والبناء أقل صرامة ، وأسعار الأراضى رخيصة مقارنة بما هو موجود ضمن حدود بلدية القدس . وفى مقابل ذلك فإنه يتم ضمان البناء السريع للمستعمرات الإسرائيلية من خلال الحوافز

[٢] انظر الملحق الخاص بالسكان فى نهاية البحث.

الحكومية للمتعهدين الخاصين ، وفيما تقام ألوف الوحدات السكنية اليهودية ، تتقلص المناطق العربية ، وبينما تشق الشوارع الإسرائيلية الجديدة للمستعمرات لربطها بعضها ببعض ، تقسم هذه الشوارع المناطق والقرى العربية وتعزلها عن بعضها البعض.

سياسة التخطيط والبناء فى الأحياء الفلسطينية

إن للمصلحة الجيوسياسية للسلطة الإسرائيلية فى شرقى المدينة أبعاداً على تحديد سياسة التخطيط فى كل ما يتعلق بالسكان الفلسطينيين . وقد انبثق عن السياسة التى تبلورت مجموعة من الخطوات الإدارية والقانونية فى مجال التوطين والتخطيط والبناء التى جاءت لمنع تطوير الأحياء الفلسطينية فى شرقى القدس وكذلك تقييد الزيادة السكانية الفلسطينية ، وانبثق عن هذه السياسة تقليص كبير للاستثمار فى البنى التحتية والقطاع السكانى المتعلق بالفلسطينيين.

إن البناء المكثف لصالح السكان اليهود فى شرقى المدينة ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالقيود المعقدة على البناء للسكان الفلسطينيين ، فعلى سبيل المثال:

أ - مصادرة الأراضى لأغراض عامة فى شرقى المدينة وفرت المزيد من الأراضى لبناء الأحياء اليهودية وبالمقابل قلصت بصورة كبيرة الأراضى المعدة للتطوير والسكن لصالح السكان الفلسطينيين ، وهكذا فإن معظم المصادرات التى أعدت للتطوير والبناء فى شرقى المدينة استثمرت فى الأحياء اليهودية الجديدة (ملحق رقم ٢).

ب - كذلك فإن سلطات التخطيط الإسرائيلية تتجاهل الضائقة السكنية الخطيرة وسط السكان الفلسطينيين فى المدينة وتتنصل من واجبها فى الاهتمام بالسكن المناسب لهم ، وهذا التجاهل تشارك به أيضا اللجنة المحلية للتخطيط والبناء واللجنة اللوائية للتخطيط والبناء ، واللجنة الوزارية لشؤون القدس ، ووزارات حكومية مختلفة ، وهى تعبر عن نفسها بأشكال مختلفة ، ففى الوثيقة الصادرة عن قسم سياسة التخطيط والإسكان التابع لبلدية القدس عام ١٩٧٥ باسم "أحياء للترميم فى القدس" جاء بوضوح أن المذكرة تتطرق إلى غرب القدس فقط (الأحياء اليهودية).

ج- ونتيجة لوجود مواصفات اجتماعية واقتصادية فى شرق المدينة تختلف عن ما هو موجود فى غربها ، بالإضافة إلى السياسة الواضحة باتجاه شرق المدينة بغية تقليص

الامتداد العمراني والسكاني فقد تقرر عدم ضمها إلى هذه المذكرة ، علماً بأن أجزاء كبيرة من العمران الفلسطيني بحاجة ماسة إلى ترميم أو إعادة بناء.

د - وفي حالات أخرى امتنع المستوى المهني الإسرائيلي من أن يقدم اقتراحات بشأن سبل تطبيق الخطط والأهداف التي حددها هو نفسه لتحسين الوضع السكني للسكان الفلسطينيين ، ففي عام ١٩٧٣ ، أوصت اللجنة (غافني) الحكومة بأن يتم توجيه كبير وخاص للبناء للقطاع العربي وأشار إلى أن مجموع الشقق التي يجب أن تبنى في العقد القادم هو (١٠,٠٠٠) شقة منها حوالي (٣٠٠٠) ترميم واستبدال شقق غير صالحة وحوالي (٧٠٠٠) للزيادة الطبيعية ، ولم تتطرق اللجنة إلى الجانب التنظيمي لتنفيذ هذه الخطة.

ولكن من توصيات اللجنة التي تتطرق إلى تطوير المدينة حتى عام ١٩٨٥ ، ثمة توصية للبناء السكني لصالح السكان اليهود فقط ، وحين وصلت التوصيات إلى اللجنة عام ١٩٧٥ من أجل مناقشتها في اللجنة المحلية للتخطيط والبناء التابعة لبلدية القدس صودق عليها بدون أن يقترح المستوى المنفذ سبل تطبيق التوصيات المتعلقة بالبناء لصالح السكان الفلسطينيين في نفس الفترة.

ومنذ أن أوصت لجنة غافني عام ١٩٧٣ ببناء حالي (١٠,٠٠٠) وحدة سكنية لصالح السكان الفلسطينيين خلال عشر سنوات ، مر ٢٢ سنة ، وفي نفس الفترة ازداد عدد السكان الفلسطينيين من (٩٦,١٠٠) نسمة إلى أكثر (١٦٠,٩٠٠) نسمة وحتى اليوم لم يبن إلا حوالي (٦,٣٠٠) وحدة سكنية.

شل مركز المدينة العربية

بعد أن تمت محاصرة القدس العربية من جميع الجهات بالمستعمرات ، وإقامة ألوف الوحدات السكنية اليهودية ومصادرة ٣٤٪ من مساحة القدس ، وإسكان الألوف من المستوطنين ، بدأت مرحلة أخرى من عملية التهويد وضرب العصب الاقتصادي الفلسطيني ، وذلك بإعلان عن مخطط جديد لمركز المدينة لتقييد النشاط التجاري بطمس التجارة والصناعة في المدينة العربية . وقد امتد النشاط التجاري بشكل ضئيل جداً وراء صفين من المحلات التجارية والمكاتب التي كانت موجودة قبل عام ١٩٦٧ . لقد كان من

الممكن أن تكون الأراضي التي صودرت شمالي القدس مساحة للتوسع التجاري وللمؤسسات الفلسطينية التي ابتعدت عن المنطقة التجارية من جراء سياسة المصادرة عن مركز المدينة إلى الأحياء البعيدة ، وتنوى البلدية الآن إحداث تغييرات جذرية على المنطقة التجارية حيث سيتم إخلاء مواقف الشاحنات والسيارات العمومية والبسطات لتنظيف الشوارع المحيطة بأسوار البلدة القديمة ، كما سيتم إعادة تخطيط طريق حركة السير حتى يتم تخفيف الازدحام المروري . إلا أنه وبدون خلق بديل للوصول إلى موقع المناطق التجارية وإيجاد مناطق تجارية جديدة ، فإن هذه التغييرات ستضعف القدس الشرقية أكثر ، من حيث موقعها التقليدي كمركز للمواصلات التجارية في الضفة الغربية، وبدأت ظاهرة نقل المؤسسات التجارية والاقتصادية من قلب المركز تأخذ بعداً سياسياً واقتصادياً ، وبرزت ظاهرة مدينة الأشباح بعد الساعة الرابعة.

المستعمرات الإسرائيلية ضمن حدود بلدية القدس الموسعة

كما ذكرنا آنفا ، فإن السياسة الإسرائيلية في تهويد القدس ، بدأت عام ١٩٦٧ مباشرة بهدم حارة الشرف بالقدس لتوسيع وبناء الحي اليهودي الجديد بتاريخ ١٩٦٨ ، ثم مصادرة (١١٦ دونما) بموجب قرار أصدرته وزارة المالية مرفقاً بالخريطة رقم ٥ ب /أ/١٠٨/٣٢٢ ونشر بالجريدة الرسمية رقم ١٤٤٣ . وقد كان قائماً على هذه المساحة المصادرة ٥٩٥ بناية تضم ١٠٤٨ دكانا وقبراً ، وخمسة جوامع ، و ٤ مدارس ، وسوقاً عربية تاريخية هي (سوق الباشورة) ، وشارعا تجارياً هو جزء من شارع باب السلسلة ، ويقع على طول هذا الشارع عدد من العمارات التاريخية التي يعود تاريخ بنائها إلى العصر المملوكي . وكان يعيش في هذه المنطقة نحو ٦ آلاف عربي في ثلاثة أحياء هي حي المغاربة[٣] والذي دمر كلياً بعد الحرب مباشرة ، وجزء من حي السريان وحي الشرف.

وتشكل هذه المساحة حوالي ٢٠٪ من مساحة البلدة القديمة من القدس (٨٦٨ دونما مساحة البلدة القديمة). وقد بذلت السلطات جهوداً مكثفة ووظفت استثمارات مالية هائلة لإعادة بناء الحي ، ليس بصورة موسعة فقط بل وبدقة عالية من المعمار الحديث الذي

---

[٣] تهويد القدس – روحي الخطيب .

يستلزم إمكانات مالية مضاعفة ؛ وذلك بهدف المزج بين الطراز التقليدي المتميز لمباني البلدة القديمة مع الطابع العصري في هذه المباني ، لجعل هذا الحي معلماً سياحياً وحضارياً من معالم المدينة بالإضافة إلى الشروط المريحة للاستيطان ، ويبلغ عدد سكان هذا الحي (٢,٤٠٠) نسمة عام ١٩٩٤.

وقد نشر المشروع رقم (٢١٨٥) الذي تبلغ مساحته ١٠٥ دونما ، والذي يقضي بإقامة ٦٥٠ وحدة سكنية تشتمل على ٢١٠٠ غرفة على مساحة ٨٠ دونما ، أما عدد الوحدات المخططة فتبلغ ٢١٢٢ وحدة ، وأقيم في هذا الحي مؤسسات تعليمية ونواد ، ومراكز للأمومة والطفولة ، وعيادات صحية[٤].

١- النيفي يعقوب : تم الإعلان عن مصادرة ١٨٣٥ دونما بين عامي ١٩٦٨ و ١٩٨٠، وتم نشر هذه الإعلانات بالجرائد الرسمية ، بموجب قانون الأراضي (الاستملاك للمصلحة العامة) لسنة ١٩٤٣ . هذا ويبلغ عدد الوحدات السكنية ٣٨٠٠ وحدة سكنية يقيم فيها ١٩,٣٠٠ نسمة ، على مساحة ٨٦٢ دونما بموجب المخطط الهيكلي رقم ١٥٤٢ ، بالإضافة إلى وجود ٤٦ دونما مناطق خضراء ، تعتبر احتياطيا للتوسع المستقبلي للمستعمرة [٥].

٢- راموت : ضمن أكبر مصادرة جرت في مدينة القدس (عام ١٩٧٠) تم الاستيلاء على ٤,٨٤٠ دونما ، ونشر الإعلان عن هذه المصادرة بالجرائد الرسمية الإسرائيلية (النشرة العبرية) رقم (١٦٥٦) بحجة الاستملاك للمصلحة العامة ، وقد تم إرفاق خريطة تحمل رقم هـ ف/١٢١/ ٣٢٢بحدودها ، بدأ تأسيس هذه المستعمرة عام ١٩٧٢ ، وتشير الخريطة الهيكلية رقم (١٨٦١) ومساحتها ٢٨٧٥ دونما ، إلى وجود (٨٠٠٠) وحدة سكنية يقطنها الآن (٣٧,٢٠٠) نسمة ، كما جرى توسيع حدودها مرة أخرى حاملة اسما آخر هو راموت (٦ ٠) والذي يقضي بإقامة (٢٠٠٠) وحدة سكنية جديدة.

---

[٤] المخطط الهيكلي لمدينة القدس - بلدية القدس .

[٥] البروتوكول المرفق بالمخطط الهيكلي لمستوطنة النيفي يعقوب .

٣- **جيلو** : بدىء بتأسيس هذه المستعمرة عام ١٩٧١ ، بعد أن تمت مصادرة ٢٧٠٠ دونم عام ١٩٧٠ ، وحسب الخريطة الهيكلية رقم (١٩٥٠) تبلغ مساحتها ٢٧٤٣ دونما ، أقيم فيها ٧٤٨٤ وحدة سكنية يسكنها ٣٠,٢٠٠ مستوطن ، وقد تم توسيع حدودها أكثر من مرة كان آخرها إضافة (٣٠٠) وحدة سكنية ، بعد أن تمت مصادرة المزيد من الأراضى على اعتبار أنها أملاك غائبين . وتعتبر هذه المستعمرة أكبر المستعمرات التى تقع فى الجزء الجنوبى الغربى حيث تسيطر على الأراضى والمناطق العليا المشرفة على بيت جالا وبيت لحم ، كذلك على مدينة القدس ، وقد شق شارع عريض يصل بين مركز المدينة والمستعمرة (شارع بات - جيلو) وقسم بالتالى بيت صفافا إلى شطرين ويشير المخطط العام للمستوطنة إلى إقامة ٩٠٠٠ وحدة سكنية.

٤- **تلبيوت الشرقية** : تمت مصادرة أرض مساحتها الإجمالية ٢٢٤٠ دونم ، بموجب قرار المصادرة الصادرة عام ١٩٧٠ مرفقا بالمخطط رقم هـ ف/٣٢٢/١٢٢ . وتشير الخريطة الهيكلية رقم ١٨٤٨ إلى أن مساحة هذه المستعمرة تبلغ ١٠٧١ دونما وأقيمت فيها ٤٤٠٠ وحدة سكنية تستوعب حوالى ١٥,٠٠٠ نسمة ، وتشكل هذه المستعمرة مع مستعمرة جيلو الحزام الجنوبى الشرقى من أحزمة الطوق حول القدس ، ويقع جزء كبير من هذه المستعمرة على الأراضى الحرام التى تفصل الأردن وإسرائيل وتشرف عليها قوات مراقبة الهدنة ، وبعد حرب عام ١٩٦٧ وقعت إسرائيل اتفاقا مع الأمم المتحدة تنازلت الأخيرة بموجبه عن ٢٠٨٤ دونما واحتفظت بحوالى ٧١٦ دونما ، وقد بدئ بتأسيس المستعمرة عام ١٩٧٣ .

٥- **معلوت دفنا** : أقيمت على أراض صودرت بموجب قرار هـ ف/٣٢٢/١١١ عام ١٩٦٨ . وتعود ملكية هذه الأراضى إلى عائلات من مدينة القدس ، ويشير المخطط الهيكلى رقم (١٤٣٩ أ) إلى أن مساحة هذه المستعمرة تبلغ (٣٨٩) دونما وأقيمت عليها ١١٨٤ وحدة سكنية بدىء فى إنشائها عام ١٩٧٣ فى المناطق الحرام السابقة التى كانت تفصل بين القدس الشرقية والغربية ، وقد شق شارع رقم (١) بالقرب منها . وتعتبر من مستعمرات أحزمة (القلب) حيث أقيم بجوارها المبنى الضخم لمقر حرس الحدود .

وتخطط الحكومة لإنشاء المزيد من الوحدات السكنية فى الأملكن التى بقيت خالية بموجب خطة شارون (٢٦ بوابة حول القدس ويبلغ عدد سكانها ٤,٧٠٠ نسمة.

٦- **الجامعة العبرية:** أقيمت المبانى للجامعة العبرية على أرض قرية العيسوية عام ١٩٢٤ بالإضافة إلى مستشفى ، وظلت كذلك حتى عام ١٩٤٨ ، وبقيت الجامعة العبرية ضمن المنطقة الخاضعة لإشراف الأمم المتحدة المنزوعة السلاح . وبعد علم ١٩٦٧ ، وبعد مصادرة مساحات واسعة من أراضى قريتى العيسوية ولفتا ، جرى توسيع حدودها وذلك على حساب المناطق الحرام والمناطق العربية ، وتم وصلها بالقدس الغربية عن طريق الأحياء السكنية التى أقيمت على مقربة من (التلة الفرنسية ، جبعات همفتار ، رامات اشكول) . وتبلغ مساحة المخطط الهيكلى الذى يحمل رقم ٣٢٠٣ ، (٧٤٠) دونما. وللجامعة العبرية مكانة استراتيجية من الناحيتين الأمنية والسياسية ، حيث تسيطر على شمال القدس وتشرف على مجموعة قرى حولها ، بالإضافة إلى إشرافها على وادى الأردن وجبال الأردن الغربية (وجبال السلط) . وقد بلغ عدد سكانها ٢٥٠٠ نسمة.

٧- **ريخس شعفاط (جبعات هاشعفاط) :** تقع هذه المستعمرة على أراض صودرت علم ١٩٧٠ ، بموجب قانون (الاستملاك للمصلحة العامة) . وقد بلغت مساحة المستعمرة حسب المخطط الهيكلى ١٩٧٣ (١١٩٨) دونما ، وزرعت المنطقة فى البداية حيث تحولت إلى محمية طبيعية . وفى عام ١٩٩٠ ، أعلن عن إقامة هذه المستعمرة واقتلعت الأشجار وأنشئت البنية التحتية لإقامة (٢١٦٥) وحدة سكنية لليهود المتدينين الكنديين . ويجرى الآن وصل هذه المستعمرة بالمستعمرات الواقعة إلى الشمال الشرقى (نفى يعقوب، بسجات زئيف ، بسجات عومر) بشارع يحمل رقم (٢١) ليصل الشارع رقم (٩) داخل إسرائيل ليوصل بين المستعمرات الشرقية والغربية ، وفصل القرى العربية عن بعضها البعض (بيت حنينا ، شعفاط).

٨- **رامات اشكوك (جبعات همفتار):** تعتبر هذه المستعمرة من أولى المستعمرات التى أسست حول مدينة ، وحلقة ربط بين الأحياء فى القدس الغربية والقدس الشرقية ، ففى

١٩٦٨/٩/١ صودر ٣٣٤٥ دونما بموجب القرار (١٤٢٥) . وعلى ضوء ذلك أقيم هذا الحى السكنى حيث تشير الخريطة الهيكلية لهذه المستعمرة إلى أن مساحتها ٣٩٧ دونما وتضم حوالى ٢٢٠٠ وحدة سكنية تستوعب ٦,٦٠٠ نسمة ، وتعتبر هذه المستعمرة مع جبعات همفتار ، الجزء الغربى من الأحياء الاستيطانية التى تم إنشاؤها لمراقبة الشارع العام الواصل بين القدس ورام الله، بالإضافة إلى تطويق مدينة القدس .

٩ – مستعمرتا بسجات زئيف ، بسجات عومر: أقيمتا على أراضى قرى (بيت حنينا ، شعفاط ، حزما وعناتا) . وتمت مصادرة ٣٨٠٠ دونم لإقامة (١٢) ألف وحدة سكنية لإسكان (١٠٠) ألف مستوطن . وحسب المخططات الهيكلية المعينة ستكون هذه المستعمرة أكبر المستعمرات فى الجزء الشمالى الشرقى من مدينة القدس ، وتكون الحزام الاستيطانى الثانى بعد الحزام الأول المحيط بالمدينة ، ويبلغ عدد سكانها (١٩٩٥) ٣٠ ألف نسمة . وهكذا فإنه بإكتمال هاتين المستعمرتين بالإضافة إلى مستعمرة النيفى يعقوب يكون قد تم بناء الحائط الشمالى الشرقى من المستعمرة الواقعة ضمن حدود بلدية القدس الموسعة ، ولم يبق سوى منطقة فراغ واحدة يجب ملؤها ليتم وصل جميع مستعمرات الطوق الثانى مع الطوق الأول.

ولهذا السبب تمت مصادرة ٨٢٧ دونما ضمن مشروع يعرف بـ (البوابة الشرقية) ، وأغلق الجزء الشمالى الشرقى بالحائط الثانى وتطويق الأحياء العربية فى هذه المنطقة بالإضافة إلى الموضوع السياسى وهو مصادرة المزيد من الأراضى العربية ، وتهجير السكان العرب بطريقة غير مباشرة لعدم إمكانية البناء ، وإقامة المراكز الصناعية لإيجاد العمل للمستوطنين.

١٠ – عطروت (منطقة صناعية): أقيمت على أراض صودرت عام ١٩٧٠ (١٢٠٠ دونم) وأقيمت فيها صناعات الأثاث والصناعات المعدنية ، وتم نقل كثير من المصانع من القدس الغربية إلى هذه المنطقة . ونتيجة لقربها من المطار فقد تم الإعداد لمشروع جديد يهدف إلى توسيع مدرج المطار والمنشآت الخاصة به ، لاستخدامه فى نقل البضائع للعالم

الخارجي فى حالة فتحه أمام الطائرات العالمية ، وتبلغ مساحة مخططها الهيكلى ١٣٦٠ دونما .

١١ - جبعات هماتوس : أقيمت على أراض تعود ملكيتها إلى قرية بيت صفافا ومدينة بيت جالا ، وتبلغ مساحتها (١٧٠) دونما . بدىء بتأسيسها عام ١٩٩١ بنصب بضع مئات من الكرافانات وتشير الخريطة الهيكلية إلى أن مساحتها الإجمالية ٩٨٠ دونم وأن أبنيتها المؤقتة سوف تستبدل بأبنية دائمة وإقامة ٣٦٠٠ وحدة سكنية . وتعتبر هذه المستعمرة مع مستعمرة جيلو الحزام الجنوبى الغربى الذى يبنى حول القدس من أجل منع الامتداد العربى ومحاصرة القرى العربية التى تقع داخل حدود بلدية القدس وفصلها عن مدن الضفة الغربية .

١٢ - مستعمرة (هار حوماه) : فى عام ١٩٩٠ تم استملاك ١٨٥٠ دونما من أراضى القرى العربية (صور باهر ، أم طوبا ، بيت ساحور) ، وهى الآن عبارة عن محمية طبيعية ، ويشير المخطط الهيكلى الذى يحمل رقم (٥٠٥٣) لهذه المستعمرة إلى إقامة ٦٥٠٠ وحدة سكنية . وهكذا فإن إنشاء هذه المستعمرة فى المنطقة الجنوبية الشرقية ، وبعد أن يتم وصلها بالمستعمرات الجنوبية الغربية تكون قد أغلقت جنوب القدس ، ووضعت الشارع الواصل بين مدينة القدس وبيت لحم تحت السيطرة الإسرائيلية ، تغلقه متى شاءت.

١٣ - التلة الفرنسية : تعتبر من أول المستعمرات التى أنشئت فى القدس لاستكمال حلقة الطوق حول المدينة . وتعتبر هذه المستعمرة التى أقيمت على أراضى قريتى لفتا وشعفاط من أكبر الأحياء السكنية فى الحزام الاستيطانى الأول . وبموجب المخطط الهيكلى رقم (١٥٤١ أ) ، بلغت مساحتها ٨٢٢ دونما ، وتمت إقامة ٥٠٠٠ وحدة سكنية فيها وبلغ عدد سكانها ٦,٥٠٠ نسمة.

١٤ - مشروع ماميلا (قرية داود) : تقع غربي باب الخليل فى منطقة حى الشماعة . وفى عام ١٩٧٠ أعلن عن استملاك ما مساحته (١٣٠) دونم بموجب الخريطة رقم هـ ف/١٢٥/٣٢٢ . وتعتبر هذه المنطقة التى كانت منطقة حراماً جزءاً من مخطط عام يهدف إلى دمج القدس الشرقية بالغربية ، وإعادة تشكيل هاتين المنطقتين . وتعتبر الأجزاء المصادرة جزءاً من الأملاك العربية ، ويتم البناء فى القرية الجديدة بطراز ونمط معين ، بهدف تجارى وسياحى.

وهكذا ، يمكننا القول إن سلطات الاحتلال قد خلقت واقعا سياسياً وديمغرافياً جديداً فى مدينة القدس ، فالديمغرافية الإسرائيلية كانت على حساب الجغرافية الفلسطينية من خلال مصادرة الأراضى ، وبناء المستعمرات ، مناطق خضراء ، سياسة هدم البيوت ، ورفض منح تراخيص البناء ، وقد أدى مجمل هذه الانتهاكات الإسرائيلية فى حق الأرض والشعب الفلسطينى إلى خلق خلل ديمغرافى ، لاستخدامه كوسيلة للضغط فى أية مفاوضات مع الطرف الفلسطينى لإنجاز اتفاقات تخدم المصالح الإسرائيلية.

(جدول رقم ١). انتهاء بناء سكنى حسب القومية ١٩٦٧ - ١٩٩٥.

	يهود	فلسطينيون	غير معروف	المجموع
الوضع السكنى لعام ١٩٦٧	٥٧ ,٥٠٠	١٢ ,٦٠٠	---	٧٠ ,١٠٠
الوضع السكنى لعام ١٩٩٥	١٢٢ ,٣٦٧	٢١ ,٤٩٠	٢, ٣٩٤	١٤٦ ,٢٥١
إنهاء بناء من ١٩٩٥ - ١٩٦٧	٦٤ ,٨٦٧	٨ ,٨٩٠	٢ ,٣٩٤	٧٦ ,١٥١

(ملحق رقم ١) : سكان القدس ، حسب القومية ، فى سنوات مختارة.

العام	المجموع	يهود	غير يهود	المجموع	يهود
	بالآلاف			بالنسبة المئوية	
١٩٦٧	٢٦٦,٣	١٩٧,٧	٦٨,٦	١٠٠,٠	٧٤,٢
١٩٧٠	٢٩١,٧	٢١٥,٥	٧٦,٢	١٠٠,٠	٧٣,٩
١٩٧٥	٣٥٥,٥	٢٥٩,٤	٩٦,١	١٠٠,٠	٧٣,٠
١٩٨٠	٤٠٧,١	٢٩٢,٣	١١٤,٨	١٠٠,٠	٧١,٨
١٩٨٧	٤٨٢,٦	٣٤٦,١	١٣٦,٥	١٠٠,٠	٧١,٧
١٩٨٨	٤٩٣,٥	٣٥٣,٩	١٣٩,٦	١٠٠,٠	٧١,٧
١٩٨٩	٥٠٤,١	٣٦١,٥	١٤٢,٦	١٠٠,٠	٧١,٧
١٩٩٠	٥٢٤,٥	٣٧٨,٢	١٤٦,٣	١٠٠,٠	٧٢,١
١٩٩١	٥٤٤,٢	٣٩٢,٨	١٥١,٣	١٠٠,٠	٧٢,٢
١٩٩٢	٥٥٦,٥	٤٠١,٠	١٥٥,٥	١٠٠,٠	٧٢,٧
١٩٩٣	٥٦٧,٧	٤٠٦,٨	١٦٠,٩	١٠٠,٠	٧١,٧

المصدر : بلدية القدس ومعهد القدس للأبحاث /إحصاء القدس السنوى ١٩٩٣.

(جدول رقم ٢). السكان والمساحة المبنية للسكن فى القدس (السكان بالآلاف).

المجموع	يهود	فلسطينيون
٥٦٧,٢	٤٠٦,٤	١٦٠,٨

المصدر : الإحصاء السنوى / القومى ١٩٩٣ (جدول ى/١٩) .

المساحة المبنية للسكن (آلاف م٢)

المجموع	يهود			فلسطينيون	غير معروف
	غرب المدينة	شرق المدينة			
١٠ ,١٧٨	٥ ,٢٧٧	٢ ,٢١٠	٧ ,٤٨٧	١ ,٢٥٥	١ ,٤٣٦

م للشخص الواحد

يهود	فلسطينيون
١٨ ,٤	٧ ,٨

(ملحق رقم ٢). بناء الشقق في شرقي القدس حسب القومية والحي ، شباط/ فبراير ١٩٩٥.

الحي	مجموع الشقق
أحياء يهودية	٣٨ ,٥٣٤
رموت اشكوك ، معلوت دفنا ، سنهدرية الموسعة	٤ ,٣٢١
الحي اليهودي	٥٥٩
رموت الون	٧ ,٧٩٤
نيفي يعقوب	٤ ,٦٥٧
بسجات زئيف	٧ ,٤٣٨
التلة الفرنسية ، جبل سكوبس	٢ ,٠٥٨
تل بيوت الشرق	٤ ,٢٢٣
جيلو	٧ ,٤٨٤
الأحياء الفلسطينية	٢١ ,٤٩٠
حارة النصارى	٩٨٠
الحي الأرمني	٥٦٧
الحي الإسلامي	٢ ,٥٠٥
كفر عقب ، عطروت	١ ,٠١٥
بيت حنينا	٢ ,٣٨٥
شعفاط	٢ ,٢٢٧
العيسوية	٦٢٥
الطور – جبل الزيتون	١ ,٧٢٦
وادى الجوز	٧٣٦

الشيخ جراح	٥٣٣
طريق نابلس - الشيخ جراح	١٨٦
باب الساهرة	٤٠٧
وادى حلوة/ باب اسباط	٨٢
سلوان	١,٧٧٣
راس العمود	١,٧٣٣
أبو طور / الثورى	٢٨٠
عرب السواحرة	١١
أم ليسون / الغزيل	١,٤٨٧
صور باهر / أم طوبا	١,١٦٤
بيت صفافا / شرفات	٤٨٩

المصدر : الإحصاء السنوى / القدس ١٩٩٣ (جدول ى/١٩).

(جدول رقم ٣) . مجمل المصادرات لأغراض عامة حسب أمر الأراضى.

تاريخ المصادرة	المنطقة /الحى	المساحة بالدونم
١٩٦٨/١/٨	القلة الفرنسية جبل سكوبس رموت اشكول	٣,٣٤٥
	معلوت دفنا	٤٨٥
المجموع		٣,٨٣٠
١٩٦٨/٤/١٤	نيفى يعقوب	٧٦٥
	البلدة القديمة الحى اليهودى فقط	١١٦
المجموع		٨٨١
١٩٧٠/٨/٣٠	نيفى يعقوب	٤٧٠
	رموت الون تلة شعفاط	٤,٨٤٠
	التيوت شرق	٢,٢٤٠
	جليو	٢,٧٠٠
	عطروت	١,٢٠٠
	وادى الربابة	١٣٠
	شارع يافا	١٠٠
	منطقة رمات راحيل	٦٠٠
المجموع		١٢,٢٨٠
١٩٨٠/٣/٢٠	بسجات زئيف	٤,٤٠٠

١ /٧/ ١٩٨٢	عطروت	١٣٧
١٩٩١/٥/١٦	جبل أبو غنيم	٢٨٠ + ١ ,٨٥٠
١ /٢/ ١٩٩٥	بيت حنينا + بيت صفافا	٥٣٥ دونم
المجموع		٢٤ ,٢٠٠

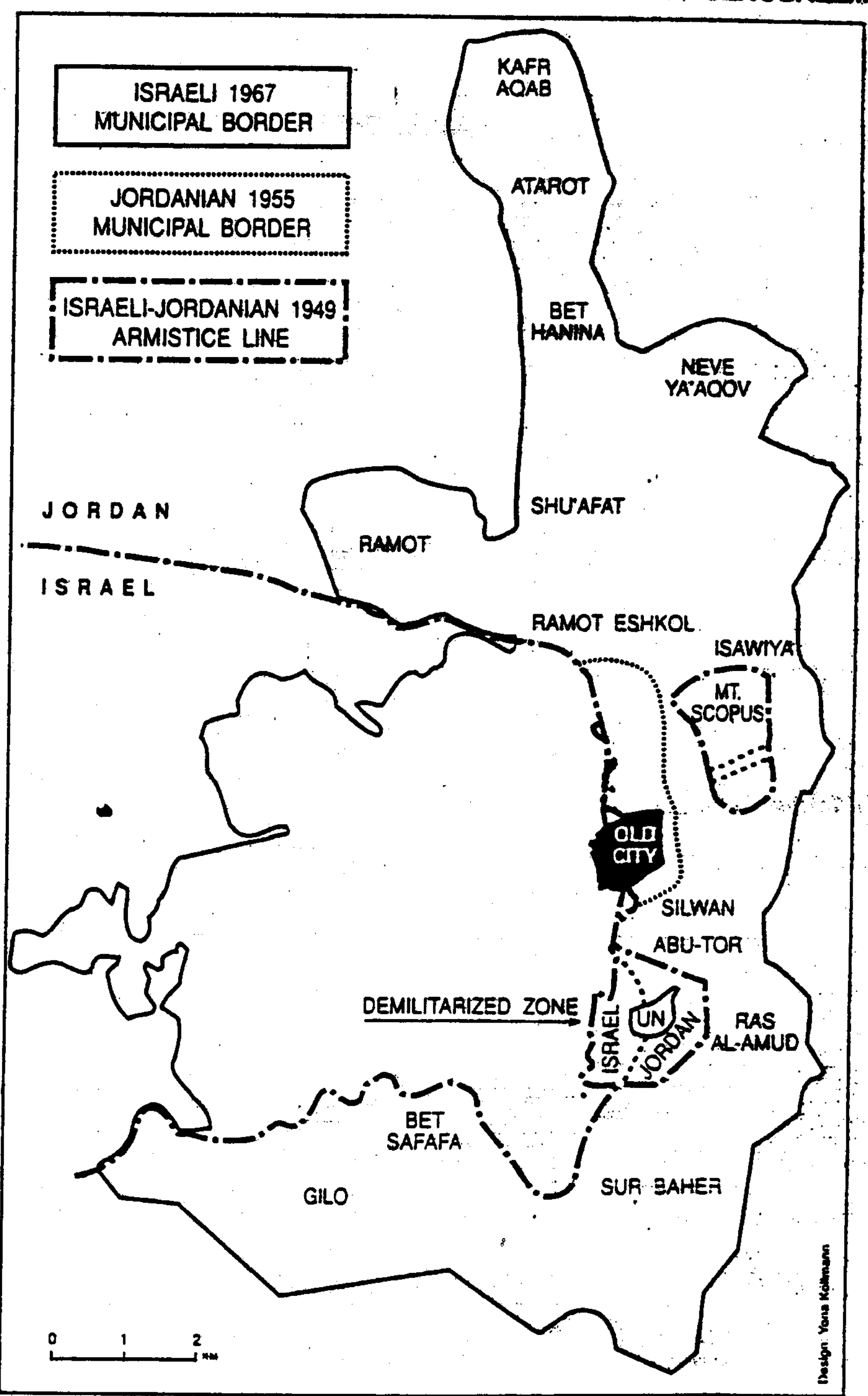
(جدول رقم ٤). السكان والوحدات السكنية فى الأراضى التى صودرت لأغراض عامة.

الحى	الوحدات السكنية القائمة (شباط ١٩٩٥)	عدد السكان
التلة الفرنسية	٢, ٠٥٨	حوالى ٨,٧٠٠
رموات اشكوك جبعات همفتار	٢,٣٦٩	حوالى ٦,٣٠٠
معلوت دفنا	١,١٨٤	حوالى ٤,٦٠٠
نيفى يعقوب	٤,٦٥٧	حوالى ١٩,٣٠٠
البلدة القديمة (معطيات الحى اليهودى فقط)	٥٥٩	حوالى ٢,٤٠٠
رموات الون	٧,٧٩٤	حوالى ٣٩,٧٠٠
تلة شعفاط*	٢١٦٥	المتوقع ٢٠,٠٠٠
تل بيوت شرق	٤,٢٢٣	حوالى ١٥,٠٠٠
غليو	٧,٤٨٤	حوالى ٣٠,٢٠٠
عطروت	منطقة صناعية	-----
وادى الربابة	منطقة عامة	----
شارع يافا	منطقة عامة	----
منطقة رامات راحيل		-----
بسجات زئيف	٧,٤٣٨	حوالى ٣٥,٢٠٠
جبل أبو غنين	**	غير مأهولة
المجموع	٣٧,٧٦٦	حوالى ١٦٠,٤٠٠

* تم إسكان ١٦٢٨ وحدة من ٢١٦٥ وحدة سكنية تم بناؤها.

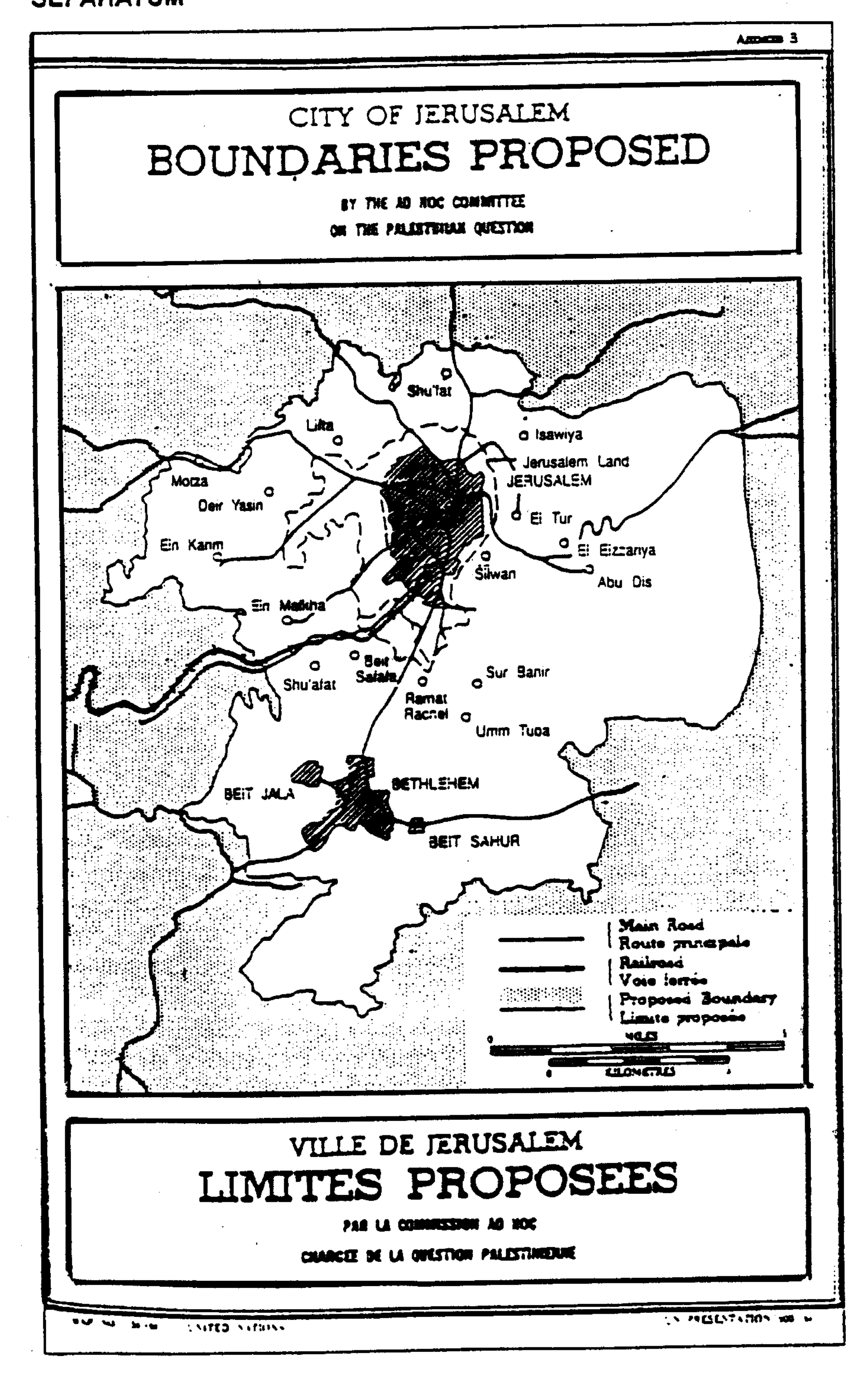
** من المخطط إقامة ٦,٥٠٠ وحدة سكنية للبناء.

MAP 1
JORDANIAN AND ISRAELI MUNICIPAL BORDERS OF JERUSALEM

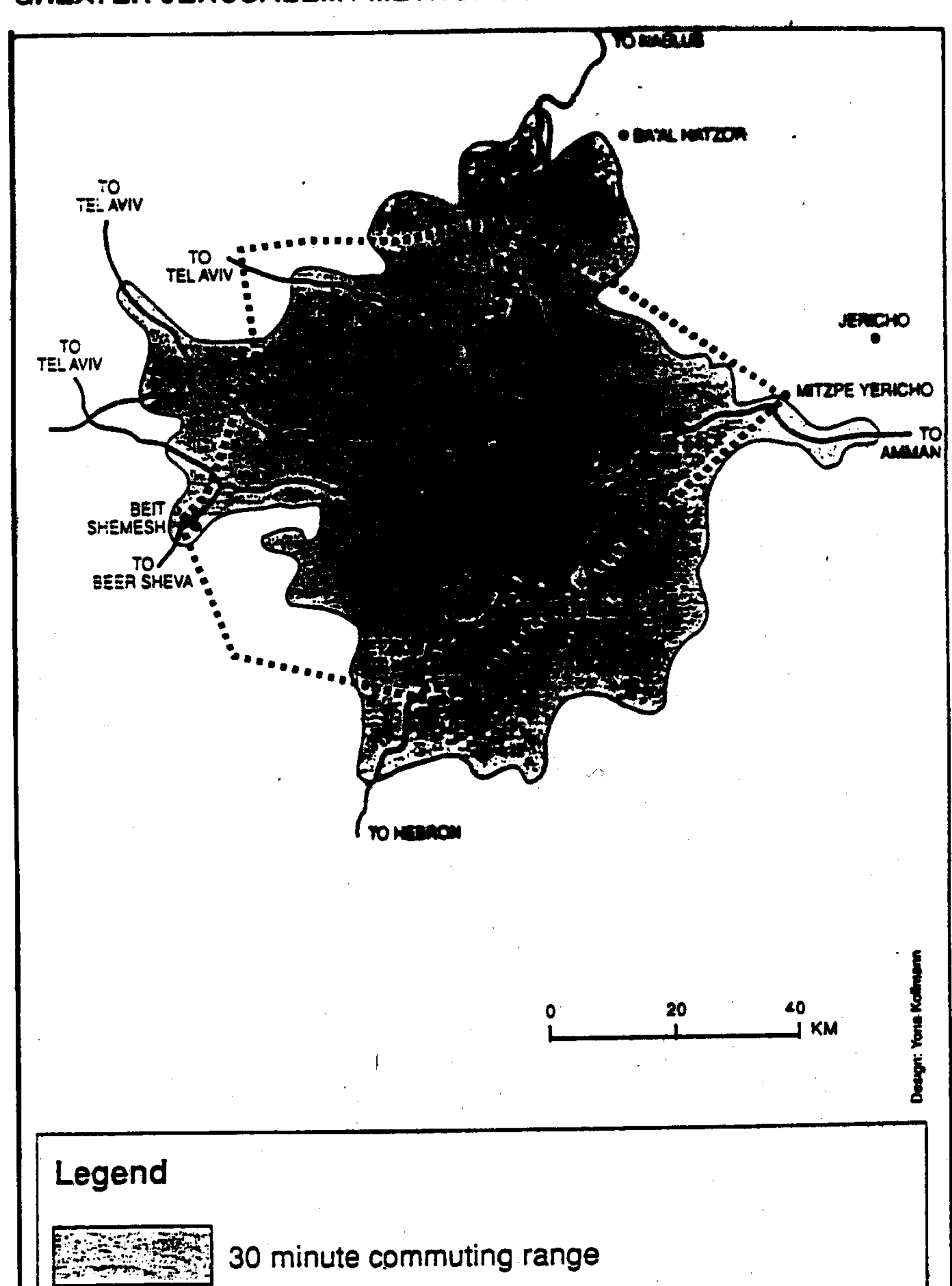


MAP 2

U.N. RESOLUTION 181 - BOUNDARIES OF THE CORPUS SEPARATUM



MAP #4
GREATER JERUSALEM / METROPOLITAN JERUSALEM

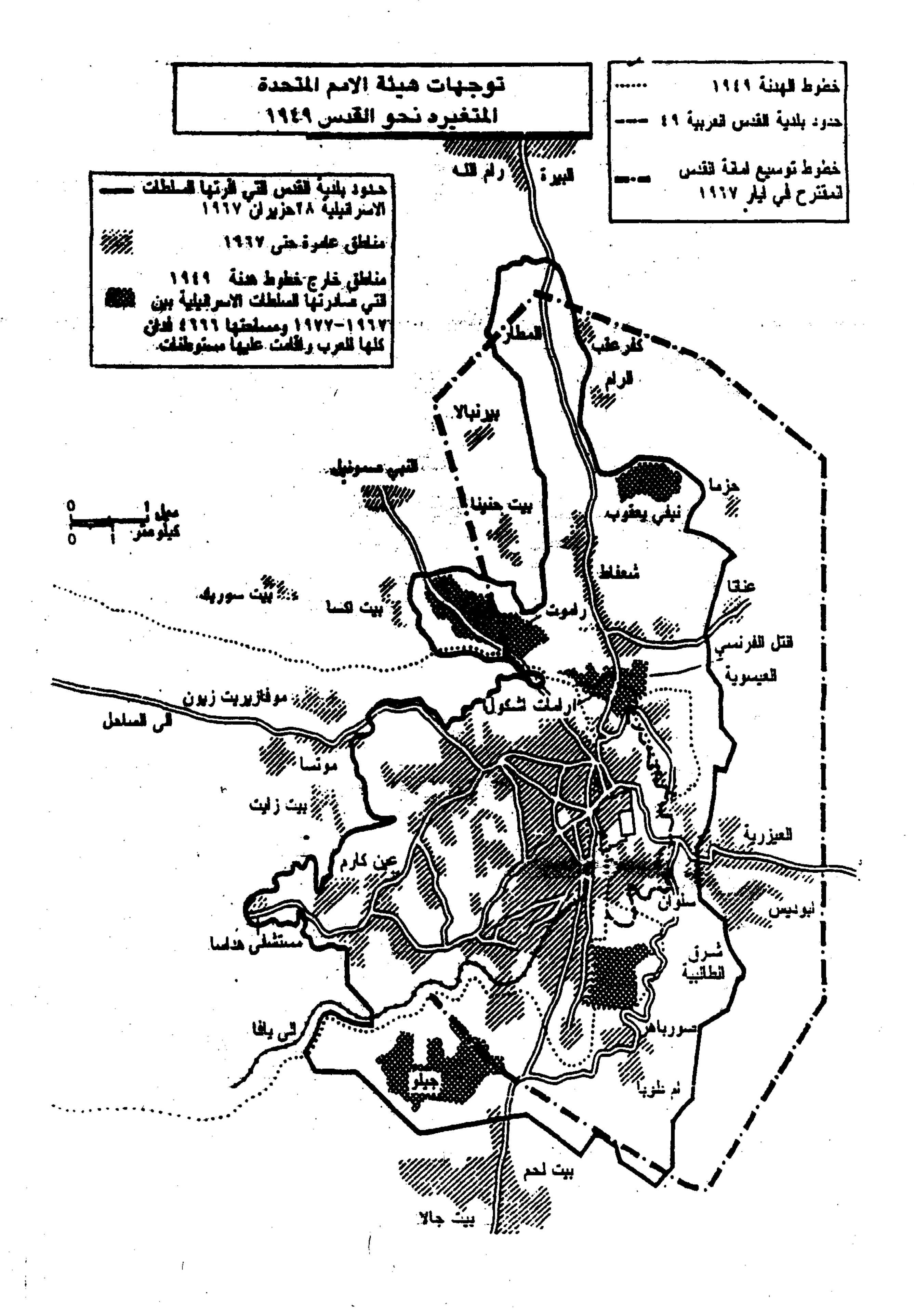


Legend

30 minute commuting range

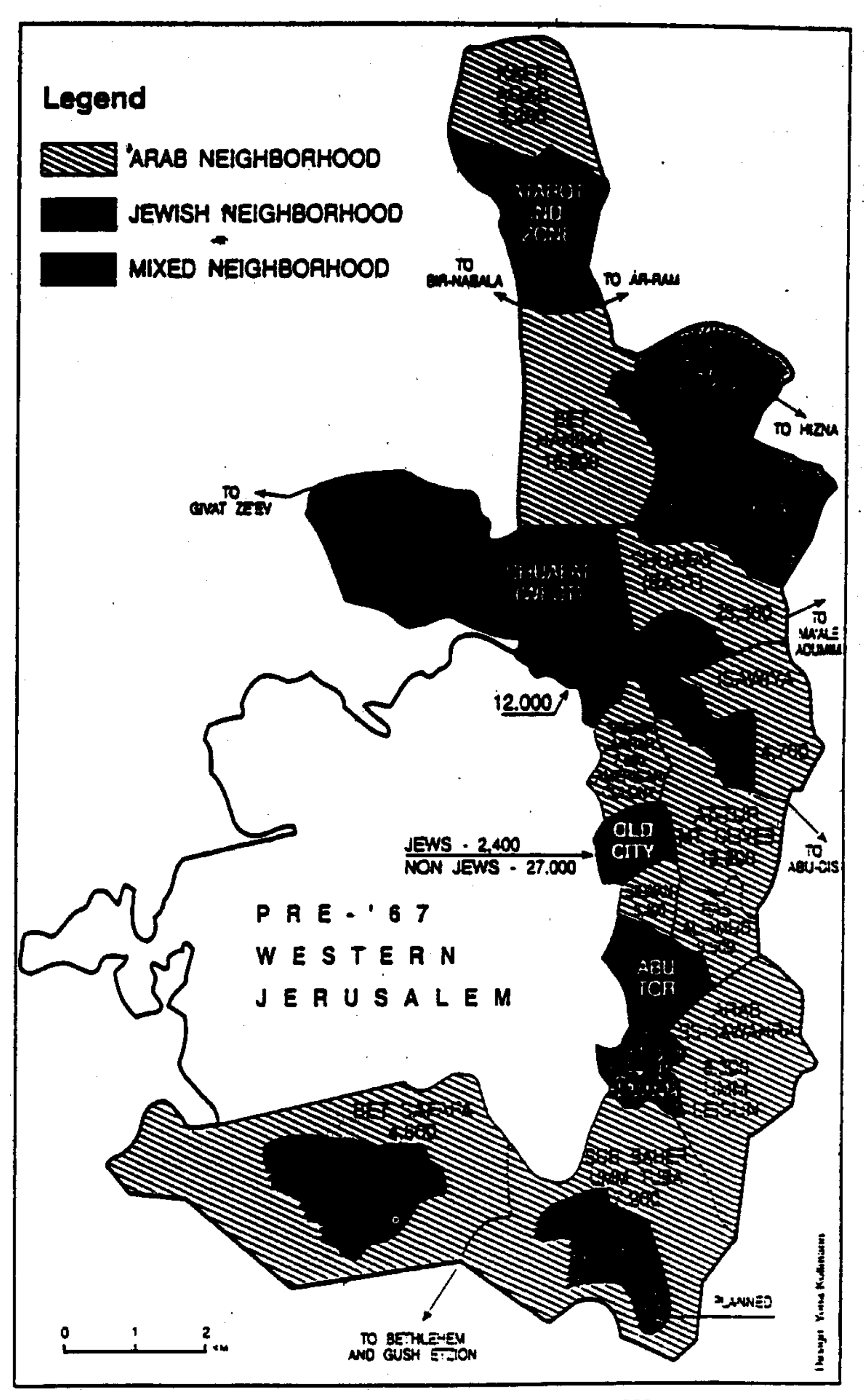
Metropolitan Area: Inter-Ministerial Committee on Jerusalem planning assumptions (1983 Israeli government decision)

From: Israel Kimhi, Shalom Reichman, Joseph Schweid, *The Metropolitan Area of Jerusalem* (Jerusalem: 1984); *Ha'aretz*, 20 January 1995; Meiron Benvenisti, Shlomo Khayat, *The West Bank and Gaza Atlas* (Jerusalem: 1988).



توجهات هيئة الامم المتحدة
المتغيرة نحو القدس ١٩٤٩
خطوط الهدنة ١٩٤٩
حدود بلدية القدس العربية ٤٩
خطوط توسيع امانة القدس المقترح في ايار ١٩٦٧
حدود بلدية القدس التي اقرتها السلطات الاسرائيلية ٢٨حزيران ١٩٦٧
مناطق عامرة حتى ١٩٦٧
مناطق خارج خطوط هدنة ١٩٤٩ التي صادرتها السلطات الاسرائيلية بين ١٩٦٧-١٩٧٧ ومساحتها ٤٦٦٦ فدان كلها للعرب واقامت عليها مستوطنات
رام الله
البيرة
المطار
كفر عقب
الرام
بيرنبالا
النبي صموئيل
بيت حنينا
حزما
نيفي يعقوب
شعفاط
عناتا
بيت سوريك
بيت اكسا
راموت
التل الفرنسي
العيسوية
رامات اشكول
موفازيريت زيون
الى الساحل
موتسا
بيت زايت
العيزرية
عين كارم
سلوان
ابوديس
مستشفى هداسا
شرق الطالبية
صورباهر
الى يافا
جيلو
ام طوبا
بيت لحم
بيت جالا

MAP 5 .
JERUSALEM: DISTRIBUTION OF JEWISH AND PALESTINIAN POPULATION BEYOND THE PRE-1967 BORDER



Sources: Statistical Yearbook of Jerusalem (1995); *Ha'aretz*, August 11, 1993.

المراجـع

١- اليشع افرات ، جغرافية الاستيطان.

٢- خليل التفكجى (١٩٩٤) ، المستعمرات الإسرائيلية ، جمعية الدراسات العربية.

٣- خليل التفكجى ، تهويد القدس ، حقائق وأرقام .

٤- خليل التفكجى ، القدس ، مشروع مقترح.

٥- البروتوكولات المرفقة بالخرائط الهيكلية ، بلدية القدس .

٦- الموسوعة الفلسطينية .

٧- دكتور محمد أحمد الديب ، حدود فلسطين ، دراسة تحليلية لوثائق الانتداب .

٨- بلدية القدس ومعهد القدس للأبحاث ، إحصاء القدس السنوى ١٩٩٣.

الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

الاستيطان الإسرائيلي في القدس
وأثره في إحداث تغيرات ديموجرافية في المدينة

الدكتور فاروق أحمد مصطفى
أستاذ الأنثروبولوجيا - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

مقدمة

انعقدت بالقاهرة ندوة دولية حول القدس الشريف تحت شعار " القدس مدينة السلام " في الفترة من ١١ - ١٣ شوال ١٤١٥هـ ، ١٢ - ١٤ مارس ١٩٩٥ والتي عقدتها منظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية بهدف تأكيد موقف الأمة العربية والإسلامية والقوى المحبة للسلام الداعم للحق الفلسطيني في قضية القدس الشريف بوصفها جزءً لا يتجزأ من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ وضرورة عودتها إلى السيادة الفلسطينية ، وقد أدان المجتمعون الإجراءات الإسرائيلية المتمثلة في الاستيلاء على الممتلكات والأراضي العربية واستمرارها في بناء وتوسيع المستوطنات في القدس الشريف ومطالبتهم إسرائيل بشأن وقف الاستيطان اليهودي في الأرض الفلسطينية والعربية المحتلة بما فيها مدينة القدس الشريف .

وتؤكد هذه الدراسة على تطور ظهور الاستيطان الإسرائيلي في فلسطين وفي مدينة القدس منذ القرن التاسع عشر وحتى الآن ، وتوضح أهمية دراسة هذا الموضوع وتأثير عمليات الاستيطان الإسرائيلي في إحداث تغيرات ديموجرافية في مدينة القدس الشريف. وقد اشتملت هذا الدراسة على الجوانب التالية :

- المفاهيم الأساسية للديموجرافيا والاستيطان وأثر الهجرة اليهودية فى إحداث التغيرات المختلفة .

- تطور الاستيطان الإسرائيلى منذ القرن التاسع عشر وحتى القرن العشرين بالنسبة لفلسطين كلها وما أحدثه من تغيرات تؤكدها الإحصاءات المنشورة والتى تم تحليلها بمعرفة الباحث .

- تناول البحث بعد ذلك القدس ونشأتها التاريخية وسكانها قبل الهجرات اليهودية المتتابعة وأثر الاستيطان على المدينة المقدسة والتغيرات المختلفة التى حدثت وتحدث فيها حتى الآن .

- إشارة إلى أهم نتائج الدراسة فى أن الاستيطان الإسرائيلى قد أحدث تغيرات ديموجرافية فضلا عن تغيرات أخرى اجتماعية متعلقة بالصراع الإسرائيلى العربى فى فلسطين وعلى وجه الخصوص فى القدس .

(١)

نتناول فى هذا الجزء من الدراسة بعض المفاهيم الأساسية التى نستخدمها فى التحليل الذى نعنى به عملية تلخيص كل ما تم جمعه من معطيات أو بيانات أو حقائق ، وذلك من خلال تصنيف هذه المعطيات وإيجازها وتجميع شتاتها فى صورة نتائج أكثر عمومية من جزئيات المعطيات والبيانات التى تم جمعها (١).

ويحتل مفهوم الديموجرافيا Demography فى هذا البحث وضعا خاصا باعتبار أننا ندرس سكان مدينة القدس ، ومن المعروف أن علم الديموجرافيا يبحث السكان من حيث أعدادهم والتغيرات التى تطرأ عليهم والعوامل التى تنشأ عنها هذه التغيرات ، كما يهتم أيضا بدراسة التركيب السكانى ، وبذلك ينقسم السكان إلى مجموعات متماثلة على أساس النوع والسن والحالة الاجتماعية والتوزيع المهنى والتعليمى والدينى حتى تبدو الصفات السكانية واضحة وما يترتب عليها من آثار اقتصادية وأوضاع اجتماعية .

وتستعين الدراسات الديمواجرافية بالطرق الإحصائية بعد تطويرها وملاءمتها لطبيعة البيانات الديموجرافية ، فميدان علم الديموجرافيا يتسع ليشمل أيضا دراسة التحركات السكانية الطويلة المدى ومحاولة تحليل أسبابها وتحديد أساليبها . ومما هو جدير بالذكر أن الديموجرافيا أنواع : تاريخية تعرض للسكان قبل ظهور الإحصائيات الحديثة ، ورياضية تدرس تطور السكان تطوراً عددياً ، ووصفية تبين خصائص السكان ومميزاتهم وهناك توقعات ديموجرافية تشير إلى مستقبل السكان ونموهم وثورات ديموجرافية يزيد فيها عدد السكان زيادة غير عادية (٢) .

وإذا نظرنا إلى السكان على أنهم نسق اجتماعى ، فلابد من تحليل هذا النسق إلى عناصره الرئيسية من حجم وتكوين وتوزيع وهجرة . وهذه العناصر السكانية محور الاهتمام الأساسى فى الدراسات الديموجرافية وذلك نظراً لتغير حجم النسق نتيجة لتغيير العمليات السكانية المختلفة حيث يموت بعض أعضاء النسق ويولد غيرهم ويهاجر بعضهم إلى مناطق أخرى ، كما أن النسق أيضا يستقبل أعضاء آخرين مهاجرين إليه باختيارهم أو مهجرين إليه بالقوة (٣) كما هو الحال عند دراستنا للنسق الديموجرافى لمدينة القدس والتغيرات المختلفة التى حدثت بها نتيجة الهجرات اليهودية المختلفة .

ويرتبط موضوع الاستيطان بشكل رئيسى بمفهوم الهجرة Migration التى يقصد بها حركة مجموعة السكان داخل موطنها أو إلى موطن آخر وقد تكون هذه الهجرة موسمية طلباً للمياه أو الكلأ ، كما قد تكون دائمة بسبب الكوارث الطبيعية أو الحروب أو البحث عن مستوى معيشى أفضل . ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بمصطلح الهجرة مصطلحان رئيسيان هما الهجرة الداخلية immigration وهى تحركات سكانية داخل حدود الدولة أو الإقليم وتتم فى العادة بين موطنين أو موقعين أحدهما مزدحم بالسكان ويكون الثانى أقل ازدحاما بالسكان ، أما المصطلح الآخر وهو الهجرة الخارجية Emmigration وهى هجرة الجماعة إلى موطن آخر خارج موطنها وحدودها الإقليمية التقليدية بهدف الإقامة الدائمة فى الموطن الجديد . وعادة ما تحدث الهجرة الخارجية بسبب الكوارث أو الحروب أو التهجير بالقوة أو طلباً لمستوى معيشى أفضل (٤). وقد يسمى بعض الاجتماعيين الهجرة الداخلية بالهجرة الأولية ، أما الهجرة الخارجية فيطلقون عليها مصطلح الهجرة الثانوية وهى مصاحبة للعنف لمحاولتها إفساح مكان لها قد يكون على حساب غيرها ، أو

أن تكون الهجرة أيضا قهرية كالتى تحدث للفارين من الغزاة وهذا ما حدث للفلسطينيين بعد حرب ١٩٦٧(٥).

وقد تأثر وضع سكان فلسطين من نتائج الحرب العربية الإسرائيلية التى نشبت فى كل من عامى ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ فنتج عن حرب عام ١٩٤٨ قيام دولة إسرائيل فوق غالبية الأراضى الفلسطينية (٧٩٪ من مساحة فلسطين وتشتت عرب فلسطين فى خارجها وداخلها ، إذ هاجر أكثر من ٨٠٠ ألف عربى فلسطينى من ديارهم وأقام بعضهم فى الضفة الغربية وقطاع غزة وهما المنطقتان العربيتان اللتان حافظ كل من مصر والأردن عليهما من الاحتلال الصهيونى ، وأقام بعضهم الآخر خارج فلسطين فى الدول العربية المجاورة وبقى نحو ١٥٠ ألف عربي فى ديارهم خاضعين للاحتلال الصهيونى ، أما سكان الضفة الغربية فإنهم ضمُوا إلى الأردن فى وحدة مع الضفة الشرقية حتى يونيو ١٩٦٧ عندما خضعوا للاحتلال الصهيونى على إثر الحرب العربية الإسرائيلية التى نشبت فى هذا العام . وأما سكان قطاع غزة فإنهم وضُعوا تحت الإدارة المصرية حتى يونيو عام ١٩٦٧ عندما تعرضوا للاحتلال الصهيونى أيضا . وبذلك أصبحت فلسطين بأكملها خاضعة للاحتلال الصهيونى ويقيم فيها أقل من مليونى فلسطينى يعانون أبشع أنواع الاستعمار الاستيطانى الصهيونى بينما يقيم حالياً نحو ٢ر٧ مليون عربى فلسطينى خارج فلسطين ، وقد حل المهاجرون واليهود الذين قدموا إلى فلسطين من الخارج بعد عام ١٩٤٨ محل هؤلاء العرب الذين أُجبروا على الهجرة ومغادرة ديارهم والذين لم تسمح سلطات الاحتلال الصهيونى لهم بالعودة كما هو موضح بالجدول التالى(٦).

جدول رقم (١). عدد العرب الفلسطينيين حسب مكان الإقامة (١٩٨١) بالألف نسمة .

مكان الإقامة	عدد السكان	مكان الإقامة	عدد السكان
الضفة الغربية	٨٣٣	لبنان	٢ر٤٩٢
الضفة الشرقية	٢ر١١٤٨	ليبيا	٧ر٢٣
الكويت	٩ر٢٩٤	الإمارات العربية المتحدة	٠٠ر٣٧
مصر	٣٠٠ر٣٤	قطر	٠٠ر٢٤
قطاع غزة	٦ر٤٥١	باقى الدول العربية	٠٠ر٥١
سوريا	٢ر٢٢٥	البحرين	——
العراق	٦ر٢٠	الولايات المتحدة الأمريكية	١٠٥
السعودية	١٣٧	عمان	——
فلسطين المحتلة (قبل ١٩٦٧)	٨ر٥٥٠	باقى دول العالم	١٤٠
		المجموع	١ر٤٥٦٦

(٢)

ترى الصهيونية أن عمليات الاستيطان داخل فلسطين تحقق الذات اليهودية رغم خرق هذه العمليات لكل القوانين الدولية ، بينما يرى العرب والفلسطينيون أن هذا الاستيطان كارثة أحلت بهم وبوطنهم ، ومهما اختلفت الآراء سيظل الاستيطان ظاهرة فريدة ربما لم يشهد التاريخ لها مثيلا.

ومنذ نشوء الحركة الصهيونية فى أواخر القرن التاسع عشر استمرت وبشكل متواصل حركة الصراع خصوصا بعد أن اتضحت النوايا . ومنذ البداية كانت النظرة

التى سيطرت على المستوطنين بالنسبة للمواطنين الفلسطينيين أنهم أقل قيمة منهم وأنهم أغراب مقيمون فى هذه البلاد التى منحها لهم الرب ، لأن اليهود يؤمنون عن اعتقاد عميق بأن الجنس البشرى كله ينقسم إلى قسمين : القسم الأول هو اليهود Jews وهم الصفوة شعب الله المختار ، والقسم الثانى هو الأمم Pentiltes وهم الآخرون جميعاً ، وأن الإله Jahovah قد اختار شعباً له - هو هذه الصفوة - وفضلها على العالمين . ويفسر المتشددون منهم الشهود على أنه قد أباح لهم أرواح وأموال الأمم وأنها أصبحت جميعاً حلا وحقاً لهم ، فلا عقاب ولا تثريب على من قتل أو سلب مال غير اليهودى ، مبررين تصرفاتهم بأنها جاءت جزاء وحقا لما لاقته هذه الصفوة المختارة على مدى أجيال من الاضطهاد وسوء المعاملة (٧).

ويمكن تحديد أثر الاستيطان الإسرائيلى عند دراستنا لأوضاع الملكية للأراضى فى فلسطين قبل عام ١٩٤٨ وحتى الآن ولمصادرة الأراضى وبناء المستوطنات ، كما أن هناك مؤشراً هاما على ذلك عندما ندرس هجرة اليهود الخارجية إلى فلسطين فى السنوات المختلفة .

فبالنسبة لملكية الأراضى نجد أنه حتى عام ١٨٥٥ لم تكن لليهود أى ممتلكات تذكر خارج مدن فلسطين باستثناء القدس والخليل وصفد وطبريا . وبدأ أحد الشخصيات اليهودية بشراء مساحة ١٠٠ دونم قرب يافا وتتابع شراء الأراضى فى السنوات التالية بمعرفة اليهود إلى أن وصلت ممتلكاتهم من الأراضى فى نهاية ١٨٨٢ نحو ٢٢ ألف دونم. واستمرت عملية الشراء ، وبلغت مساحة الأراضى مع انتهاء الحرب العالمية الأولى ٤١٨ ألف دونم ، زادت فى فترة الانتداب . وبعد إعلان قيام دولة إسرائيل ، أصبحت مساحة إسرائيل حسب خطوط الهدنة عام ١٩٤٩ حوالى ٢٢ر٩٢٠ر٠٠٠ دونم منها ٤٢٥ ألف دونم مساحات مائية ثم واصلت السلطات الإسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ استيلاءها على الأراضى العربية ، ليست فحسب تلك التى اضطر أصحابها إلى تركها - العرب الذين اجبروا على تركها - نتيجة للجوئهم إلى الأقطار المجاورة ، بل كذلك أراضى المواطنين العرب الذين واصلوا الإقامة فى فلسطين خلال فترة ثلاثين عاما (١٩٤٨- ١٩٧٨) فصادرت السلطات الإسرائيلية نحو ٤٠٪ من الأراضى التى يملكها العرب . وساعدت حرب يونيو ١٩٦٧ على استيلاء إسرائيل على الأراضى العربية

المحتلة لتنفيذ السياسات الاستيطانية فى الأراضى المحتلة ، فقامت بسلسلة من الإجـراءات للسيطرة علـى أراضـى المواطنين العـرب ، وقـامت بتدمير القـرى الفلسطينية وإصدار مجموعة من القوانين الإسرائيلية التى تستهدف السيطرة على أراضـى المواطنين العرب كقانون المنـاطق المحتلـة ١٩٤٩ ويتيـح لرئيس الإسكان إغـلاق أى مساحة من الأرض بحجة التدريبات العسكرية حيث لا يسمح بالدخول إليها إلا بموجـب تصاريح من الحكـام العسكريين ، وقانون منـاطق الأمـن وقـانون استهلاك الأرض ، وقـانون امتـلاك الغـائبين الذى يعطى حق استعمال الأراضى التى تركها العرب الذين أجبروا على تركها ، وقـانون التصرف ، وقانون ضريبـة الأمـلاك ١٩٧٢ الذى اعتبر أن الأراضـى الزراعيـة أراض معدة للبناء وفرض عليها ضرائب تصل إلى ٢ر٤٪ من قيمة الأرض وبعد أن تقدر قيمتها بمبالغ وأرقام خيالية ، وقانون استهلاك أراضى البلد الصادر عـام ١٩٨٠ ، وغيرهـا مـن القوانين التالية التى تتيح مصادرة الأراضى وطرد أصحابها دون الرجوع إلى المحاكم أو إصدار قوانين جديدة من الكنيست (٨).

وقد تعرضت فلسطين لموجات من الهجرة اليهودية الشرسة بدأت بأعداد صغيرة مـع نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حيث هاجر إلى فلسطين ٦٨ر٢٤٠ يهوديا فى الفترة مـن عـام ١٨٩٧ وحتـى ١٩٠٣ وهـذه الهجـرة يطلـق عليهـا الهجـرة الأولـى . وجاءت بعـد ذلـك الهجـرة الثانيـة فـى الفترة من عـام ١٩٠٤ وحتـى ١٩١٨ حيث تُـرك ٠٠٠ر٢٤ من اليهود الروس متوجهين إلى فلسطين ، ولم يفطن العرب أو المسـلمون إلـى هذه الهجرات ولم تواجه بأية معارضة تذكر .

وفى نهاية الحرب العالمية الأولى ، بلغ عدد اليهـود فـى فلسـطين ٠٠٠ر٨٠ نسـمة. بعد ذلك جاءت الهجرة الثالثة فى الفـترة من عـام ١٩١٩ وحتـى ١٩٢٣ ، وبلـغ مجمـوع المهاجرين فيها ١٨٣ر٣٥ نسمة ، ثم جاءت الهجـرة الرابعـة فـى الفترة مـن عـام ١٩٢٤ وحتى ١٩٣٢ وكانت أكثر عددا حيث بلغ مجمـوع المهـاجرين اليهـود ١٦٦ر٩٤ نسـمة . وقد شهدت السنوات التالية زيادة كبيرة فى عدد المهاجرين اليهـود حيث بلـغ عددهـم فـى الهجرة الخامسة وفـى الفترة من عـام ١٩٣٣- ١٩٣٨م ٩٧٥ر٢٠٣ نسمة ، ثـم توالـت الهجـرات بعـد ذلـك ، وفـى الفـترة مـن عـام ١٩٣٩ حتـى ١٩٤٨ هـاجر ٥٣٣ر١٤١ من

اليهود إلى إسرائيل ، أما الهجرة اليهودية إلى فلسطين بعد إقامة إسرائيل عـام ١٩٤٨ فقد بلغ عدد المهاجرين فيها ٢٠٣ ألف مهاجر جاءوا من ٤٢ دولة .

واستمرت هجرات اليهود من البلاد العربية ، وفى عام ١٩٧٦ بلغت ٨٧٠ر٢٥ مـن اليهود الذين كانوا يعيشون فى البلاد العربية (٩).

جدول رقم (٢). بيان بالهجرات اليهودية منذ إنشاء إسرائيل وحتى عام ١٩٨٣.

السنوات	١٩٦٠/١٩٤٨	١٩٦٤/١٩٦١	١٩٧١/١٩٦٥	١٩٧٩/١٩٧٢	١٩٨٣/١٩٨٠
المجموع	٦٣٧ر٤٦٩	٥٨ر٩١٣	٨٩٨ر١١٢	٢٢٨ر٦٥٣	٠٨٤ر٩٣

وقد بلغ مجموع الهجرات اليهودية إلى إسرائيل ٦٣٠ر٩٩٩ (حوالى مليون نسمة من المهاجرين الجدد). وتدعى إسرائيل لأسباب سياسية محضة بانحسار الهجرة عنها ، وتقوم إدارة الإحصاء الإسرائيلية بنشر الإحصاء التالى لتهدئـة الموقف وإسكات الرأى العام العالمى على ظاهرة الاستيطان الفريدة من نوعها والتى لم تحدث من قبل .

جدول رقم (٣). الهجرة اليهودية إلى إسرائيل والمهاجرون منها خلال من ١٩٧٢ وحتى ١٩٨٢ بالألف (١٠).

السنة	يهود قادمون	يهود راحلون	صافى الهجرة
١٩٧٢	٥٥ر٤	٩ر٥	٤٥ر٩
١٩٧٣	٥٤ر٢	٦ر٢	٤٨ر٠٠
١٩٧٤	٣١ر٣	١٨ر٦	١٢ر٧
١٩٧٥	١٩ر٧	١٩ر١	ر٦
١٩٧٦	١٩ر٥	١٢ر٥	٧ر٠٠
١٩٧٧	٢١ر٣	١٤ر٣	٧ر٠٠
١٩٧٨	٢٦ر٨	١٠ر١	١٦ر٧
١٩٧٩	٣٧ر٢	٣٠ر٠٠	٧ر٢
١٩٨٠	٥٠ر٥	٣٣ر٠٠	١٧ر٥
١٩٨١	٣٣ر١	٢٢ر٩	١٠ر٢
١٩٨٢	١٣ر٠٠	١٢ر٠٠	١ر٠٠
المجموع	٣٦٢ر٠٠	١٨٨ر٢	١٧٣ر٨

يتضح من الجدول السابق أن الهجرة اليهودية إلى إسرائيل مازالت مستمرة ، وأنه فى فترة عشر سنوات (١٩٧٢-١٩٨١) قدم إليها ٣٦٢ر٠٠٠ نسمة من اليهود . وطبقا لما تدعيه إسرائيل فقد هاجر من إسرائيل ١٨٨ر٢٠٠ نسمة من اليهود ليصبح صافى الهجرة ١٧٣ر٨٠٠ نسمة ، وهذا لا يدل على أن الهجرة إلى إسرائيل انحسرت بدليل الأعداد الكبيرة من المستوطنات التى تبنى الآن على الأراضى المملوكة للفلسطينيين والتى

تشق لها الطرق وتقام فوقها الكبارى للربط بينها والتى يُحرم استخدامها على الفلسطينيين(١١).

(٣)

يحتل موقع القدس أهمية خاصة فى المجال العسكرى نظراً للتضاريس الطبيعية التى تعزز الدفاع عنها ولا يقل موضع المدينة أهمية عن موقعها الجغرافى ، فهى مدينة دينية جمعت بين قدسية المكان وسهولة الدفاع عنها . وقد تعاقبت كثير من الأمم على هذا المكان منذ بداية التاريخ حتى اليوم وشهدت حروباً كثيرة أدت إلى تعاقب البناء والهدم بما لا يقل عن ١٨ مرة خلال تاريخها (١٢).

وبالنسبة للنشأة الأولى لمدينة القدس كانت (تل فل) المطلة على قرية سلوان ، حيث اختير هذا الموقع لأسباب أمنية ، وساعدت عين سلوان فى توفير المياه للسكان ، وهجرت هذه النواة وانتقلت إلى مكان آخر هو "جبل بزيتا" ومرتفع موريا الذى تقع عليه قبة الصخرة ، وأحيطت بالأسوار ، ثم بدأت القدس بالتقلص حتى بنى السلطان العثمانى عام ١٥٤٢م السور الحالى ، محدداً حدود القدس القديمة جغرافياً بعد أن كان سورها يمتد شمالاً حتى وصل فى مرحلة من المراحل إلى منطقة المسجد المعروف بمسجد سعد وسعيد . وفى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لم يعد موضعها يستوعب الزيادة السكانية ، فبدأ الامتداد العمرانى خارج السور وفى جميع الجهات وظهرت الأحياء الجديدة التى عرفت فيما بعد بالقدس الجديدة ، بالإضافة إلى الضواحى المرتبطة بالمدينة ، ومازالت قرى تابعة لها ، حيث اتخذ الامتداد العمرانى اتجاهين أحدهما شمالى غربى والآخر جنوبى . ونتيجة لنشوء الضواحى الاستيطانية فى المنطقة العربية فقد جرى العمل على رسم حدود بلدية بطريقة ترتبط بالوجود اليهودى ، حيث امتد الخط من الجهة الغربية إلى عدة كيلومترات ، بينما اقتصر الامتداد من الجوانب الجنوبية الشرقية على بضع مئات من الأمتار حيث وقف خط الحدود أمام مدخل القرى العربية المجاورة للمدينة، ومنها قرى عربية كبيرة خارج حدود البلدية والطور وشعفاط ولقتا ودير ياسين ، سلوان ، العيساوية ، عين كارم ، المالحة ، بيت صفاقا ، رغم أن هذه القرى تتاخم المدينة حتى تكاد تكون ضواحى من ضواحيها .

وفى عام ١٩٢١ ضمت البلدية القديمة قطاعا عرضيا بعرض ٤٠٠م على طول الجانب الشرقى لسور المدينة بالإضافة إلى أحياء باب الساهرة ، وادى الجوز ، الشيخ جراح من الناحية الشمالية ، ومن الناحية الجنوبية انتهى خط الحدود إلى سور المدينة فقط، أما الناحية الغربية والتى تعادل مساحتها أضعاف المسح الشرقى فقد شملتها الحدود لاحتوائها تجمعات يهودية كبيرة بالإضافة إلى بعض التجمعات العربية (القطمون، البقعة، الطالبية، وفا ، من الله).

وتم توسيع المسح الغربى فى عام ١٩٤٦ ليستوعب الأحياء اليهودية الجديدة التى بقيت خارج التنظيم عام ١٩٣١ ، أما الجزء الشرقى فقد أضيفت إليه قرية سلوان من الناحية الجنوبية ووادى الجوز ، وبلغت مساحة المدينة بهذا المخطط ٣٢١ر١٩ دونماً منها ٨٦٨ دونماً مساحة البلدة القديمة و٤٦٣ر١٨ دونماً خارج الأسوار ، وتوسعت المساحة المبنية من ٤٣٠ دونماً عام ١٩١٨ إلى ٧٢٣٠ دونماً عام ١٩٤٨(١٣).

ويشير جمال حمدان فى كتابه المدينة العربية إلى أن مدينة القدس مدينة دينية تتميز عن المدن الدينية الأخرى فى أنها ملتقى الأديان الثلاثة ، أما الأراضى المقدسة مكة أو المدينة فمحرمة على غير المسلمين ، وقد يتأثر التركيب البيولوجى للسكان فيأخذ خطا غريبا شاذا ، فيسود العجزة والشيوخ والمسنون والمرضى من كل نوع ممن يأملون الشفاء ، وبعضهم يفضل المدينة المقدسة من أجل أن يموت فيها . وبجانب الوظيفة الدينية تعتمد المدينة على حرفة الضيافة والفنادق ، وتتحول هذه المدينة إلى سوق كما تكثر تجارة وصناعة الهدايا والتذكارات الدينية ، وقد ظلت القدس عاصمة فلسطين وكبرى مدنها حتى بدأت الهجرة الصهيونية ترجح عليها كفة تل أبيب – يافا – فى الثلاثينيات وما بعدها ، وكان الاستيلاء على القدس من أهم أهداف الاغتصاب الصهيونى ونقل عاصمتها السياسية إليها كمناورة سياسية تستغل إسرائيل الجانب الدينى . ويدور فى فلك القدس المدنى عدة أقمار دينية هى بيت لحم مولد المسيح فى الجنوب ، ورام الله فى الشمال ، وبيت جالا فى الغرب ، وكلها تقع وسط الزيتون والكروم وتعمل فى صناعات الهدايا والتذكارات (١٤).

• وقد شهدت مدينة القدس والمدن التى تسير فى فلكها تغيرات استيطانية يهودية ، منذ قرار التقسيم الذى أوصى بتدويل القدس وخضوعها لنظام دولى خاص وإدارتها من قبل الأمم المتحدة ، وحدد القرار حدود القدس الخاضعة للتدويل حيث شملت عين كارم وموتسا فى الغرب ، وشعفاط فى الشمال ، و"أبوديس" فى الشرق وبيت لحم فى الجنوب . ولكن حرب ١٩٤٨ أدت إلى تقسيم المدينة ، ولضيق الأراضى والزيادة السكانية صودق على أول مخطط رسمت فيه حدود بلدية القدس عام ١٩٥٢، حيث ضمت إلى نفوذ البلدية ضواحى (سلوان) رأس العامود والعوانة أرض السماد والجزء الجنوبى شعفاط ، وأصبحت مساحة البلدية ٥ر٦ كيلومتر مربع . وفى عام ١٩٥٩ أوصى بتوسيع حدود بلدية القدس وأمانة القدس ، فقامت شركة بريطانية برئاسة كاندل بوضع مشروع لتوسيع حدود البلدية ليصل إلى ٧٥ كيلومتر مربع ، ولكن نشوب حرب عام ١٩٦٧ أوقف المشروع . وإذا كانت مساحة القدس قبل عام ١٩٦٧ قد بلغت ٥ر٦ كيلومتر مربع فإنه بعد عام ١٩٦٧ بلغت ٥ر٧٠ كيلومتر مربع . وبهذا الأسلوب استطاعت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة أن تخلق واقعاً جغرافياً وسكانيا فى القدس الشرقية ، وأخذ الصراع العربى الإسرائيلى على منطقة القدس مظهراً ديموجرافياً ، فقفز عدد السكان اليهود عام ١٩٦٧ إلى ١٦٠ ألف ، شكلوا لأول مرة أغلبية يهودية فى الشطر الشرقى من القدس المحتلة . وقد أقيمت ١٥ مستعمرة على هذه الأراضى ، وتم بناء ٣٠ ألف وحدة سكنية لليهود مقابل ٥٥٥ وحدة للعرب . وبعد أن تم الاستيلاء على ٣٣٪ من مساحة القدس بشكل مباشر وعن طريق الاحتلال والقوانين تفتقت العقلية الإسرائيلية عن أسلوب جديد هو أسلوب المصادرة بالطرق غير المباشرة عن طريق وضع الهياكل التنظيمية لتطوير أى قرية أو مدينة ، كان هدفها الأول خنق وضبط البناء العربى ووقف النمو السكانى لهذه التجمعات والقرى العربية ..والأمثلة على ذلك كثيرة، فقرية العيسوية التى تبلغ مساحتها ١٠٤١٧ دونماً جاء المخطط الإسرائيلى ليختصر مساحتها إلى ٦٦٦ دونماً توزعت إلى ٨ر٢٣٪ مساحات خضراء و٥ر٧٪ مبانٍ عامة و ٤ر٥٤٪ مناطق تحديد البناء و ٣ر١٤٪ للطرق .

أما الهدف الثانى لهذه المخططات ، فهو تقسيم هذه القرى وإحاطتها بالمستعمرات من جميع النواحى بغرض السيطرة عليها وإنهاء وجودها كقرية وتحويلها إلى مجموعة من

الأبنية موزعة بعيدة كل البعد عن جيرانها وتدميرها اقتصاديا واجتماعيا . ويمكننا أن نأخذ قرية بيت صفافا مثالا أيضا ، فقد تم تقسيمها إلى أربعة أجزاء بشوارع طولية وعرضية بالإضافة إلى إحاطتها بالمستعمرات من جميع الجهات ، أما مناطقها الخضراء فقد تحولت إلى مستعمرات مفتوحة ، وبذلك أصبحت القرية ممزقة ومرتبطة اقتصاديا بالسوق الإسرائيلى . أما الهدف الثالث فهو جعل جزء كبير من المخططات مناطق خضراء تكون احتياطيا للتوسعات المستقبلية الإسرائيلية ، حيث يمنع البناء العربى على المناطق الخضراء لتتحول إلى مناطق لبناء المستعمرات (١٥) . فقد صودرت عام ١٩٧٠ أرض تبلغ مساحتها ١٣٩٨ دونماً من أراضى قرية شعفاط وزرعت أشجاراً حرشية وأطلق عليها اسم (غابة راموت) ، وفى عام ١٩٩٠ قطعت أشجار هذه الغابة لتقام عليها مستعمرة حديثة أطلق عليها اسم (ريخس شعفاط) وشيدت ٢١٦٨ وحدة سكنية لليهود المتدينين . أما المثال الثانى فهو المنطقة الجنوبية الشرقية من مدينة القدس حيث يقع جبل "أبوغنيم" وهو عبارة عن محمية طبيعية تم تشجيرها لمنع البناء العربى عليها وخاصة قريتى (صور باهر وأم طوبا) ، وفى عام ١٩٩٠ تم مصادرة ١٨٥٠ دونماً لإقامة مستعمرة على هذا الجبل ، وبعد أن خسر السكان الالتماس المقدم للمحكمة العليا فى عام ١٩٩٤ فقد تم مشروع بناء ٧٥٠٠ وحدة سكنية على هذا الجبل وقُطعت الأشجار. وقد استطاعت إسرائيل إحكام قبضتها على القرى العربية بالقدس بسياج المستعمرات الإسرائيلية ، وأن تسيطر على ٧٣٪ من مساحة القدس كما بدأت فى استخدام أسلوب آخر سبق الإشارة إليه وهو فرض ضريبة الأملاك على السكان العرب منذ عام ١٩٨٥ حتى لا يستطيعوا البناء على أراضيهم ، فضلا عن المساحات التى تنزع من أجل إقامة طرق عليها والتى بلغت ٦٪ من مساحة القدس بهدف وصل المستعمرات بعضها ببعض ومحاصرة القرى العربية وجعل مداخلها ومخارجها تحت السيطرة الإسرائيلية ، لذلك فإن ما تبقى من القدس ٣١٪ فقط من مساحتها . وحتىهذه المساحة عرضة للنهش والابتلاع من جانب المستعمرات الإسرائيلية الأمر الذى أدى إلى الصراع فى جو من عدم التوازن، وفى جو تميل فيه كفة الميزان للجانب الإسرائيلى . وإذا أضفنا التغير السكانى للمدينة والهجرة العربية من القدس باتجاه الضواحى وما تقدمه السلطات من تسهيلات للحصول على الجنسية الإسرائيلية (١٦) ، فضلاً عن التطور الكبير فى عدد المهاجرين اليهود

والراغبين فى الإقامة الدائمة فى القدس كل هذا أدى إلى وجـود خلـل ديموجرافـى كبـير ، وهذا ما توضحه الإحصاءات التالية :

جدول رقم (٥). عدد سكان القدس وتوقعات الزيادة ما بين عام ١٨٠٠- ١٩٦٦(١٧).

السنة	يهود	النسبة المئوية	مسلمون	النسبة المئوية	مسيحيون	النسبة المئوية	آخرون	النسبة المئوية	المجموع	النسبة المئوية
١٨٠٠	١٠٠٠	١٠ر٠٠							١٠ر٠٠٠	١٠٠
١٨٣٨	٣٠٠٠	٢٧ر٣	٤٥٠٠	٤٠ر٩	٣٥ر٠٠٠	٣١ر٨			١١ر٠٠٠	١٠٠
١٨٧٣	٤٠٠٠	٢٦ر٧	٦٠٠٠	٤٠	٥ر٠٠٠	٣٣ر٣			١٥ر٠٠٠	١٠٠
١٨٨٤	٢٠ر٠٠٠	٥٠ر٠٠	١٠ر٠٠٠	٢٥	١٠ر٠٠٠	٢٥			٤٠ر٠٠٠	١٠٠
١٨٨٧	٢٥ر٠٠٠	٥٠	١٢ر٥٠٠	٢٥	١٢ر٥٠٠	٢٥			٥٠ر٠٠٠	١٠٠
١٨٩٨	٤١ر٠٠٠	٦٧ر٤	٧ر٠٠٠	١١ر٥	١٢ر٨٠٠	٢١ر١			٦٠ر٨٠٠	١٠٠
١٩٠٥	٤٠ر٠٠٠	٦٦ر٦	٧ر٠٠٠	١١ر٧	١٣ر٠٠٠	٢١ر٧			٦٠ر٠٠٠	١٠٠
١٩١٢	٤٥ر٠٠٠	٦٤ر٣	١٠ر٠٠٠	١٤ر٣	١٥ر٠٠٠	٢١ر٤			٧٠ر٠٠٠	١٠٠
١٩٢٢	٣٣ر٩٧١	٥٤ر٣	١٣ر٤١٣	٢١ر٤	١٤ر٦٩٩	٢٣ر٥	٤٩٥	٨ر	٦٢ر٥٧٨	١٠٠
١٩٣١	٥١ر٢٢٢	٥٦ر٦	١٩ر٨٩٤	٢٢	١٩ر٣٣٥	٢١ر٤	٥٢	٠٠	٩٠ر٥٠٣	٠٠
١٩٤٤	٩٧ر٠٠٠	٦١ر٧	٣٠ر٦٣٠	١٩ر٥	٢٩ر٣٥٠	١٨ر٧	١٠٠	١ر	١٥٧ر٠٨٠	٠٠
١٩٤٦	٩٩ر٣٢٠	٦٠ر٤	٣٣ر٦٨٠	٢٠ر٤	٣١ر٣٣٠	١٩ر١	١١٠	١ر	١٦٤ر٤٤٠	٠٠
الغربية	١٣٨ر٠٠٠	٩٩ر٣			١٠٠٠	٧ر			١٣٩ر٠٠	٠٠
الشرقية							٢	٠	٤٧ر٠٠٠	٠٠
الغربية	١٦٥ر٠٢٢	٩٨ر٦			٢٤١٣	١ر٤			١٦٧ر٤٣٥	٠٠
الشرقية			٤٩ر٥٠٤	٨١ر٨	١٠ر٩٨٢	١٨ر٢	٢	٠	٦٠ر٤٨٨	٠٠
الغربية	١٩٣ر٠٢٠	٩٨ر٦			٢٦٨٠	١ر٤			١٩٥ر٧٠٠	٠٠
الشرقية			٥٧ر٤٠٠	٨٢ر٠٠	١٢ر٦٠٠	١٨			٧٠ر٠٠٠	٠٠

يتضح من الجدول السابق أنه فى الوقت الذى كان فيه اليهود يمثلون ١٠٪ من السكان فى عام ١٨٠٠ وعددهم ألف يهودى ، تضاعف عددهم أكثر من ٤٠ مرة فى قرن من الزمن عن طريق الهجرة ليصبحوا ٠٠٠ر٤٠ وتصبح نسبتهم ٦ر٦٦٪ ، ثم يعلو عددهم - بعد حرب ١٩٤٨ - فى عام ١٩٥٢ إلى ٠٠٠ر١٣٨ ليتضاعف عددهم حوالى أربع مرات ويستقلون بالقدس الغربية حيث بلغت نسبتهم ٣ر ٩٩٪ ، بينما يصل عدد المسلمين والمسيحيين فى القدس الشرقية إلى ٠٠٠ر٤٧ أى ما يقرب من ثلث نسبة اليهود المقيمين فى القدس الغربية . وفى عام ١٩٦١ بعد عشر سنوات فقط يصل عدد اليهود إلى ٠٢٢ر١٦٥ فى القدس الغربية بينما يبلغ عدد المسلمين فى القدس الشرقية ٥٠٤ر٤٩ ليصلوا إلى ما يقرب من ٣٠٪ من حجم اليهود . ويشهد عام ١٩٦٦ زيادة فى عدد اليهود فى القدس الغربية ليصل إلى ٠٢٠ر١٩٣ نسمة، بينما يصل عدد المسلمين فى عام ١٩٦٦ إلى ٤٠٠ر٥٧ نسمة . ثم تحدث التغيرات الديموجرافية الكبيرة بعد حرب ١٩٦٧ وسيطرة إسرائيل الكاملة على القدس وطردها المواطنين العرب وتشجيعهم على مغادرة القدس أو منحهم الجنسية الإسرائيلية . وهذا ما توضحه الإحصاءات التالية :

جدول رقم (٦). عدد سكان القدس فى الفترة ما بين ١٩٦٧ و١٩٧٩(١٨).

السنة	العدد الكلى	اليهود	النسبة المئوية	غير اليهود	النسبة المئوية
١٩١٧	٢٩٠ر٢٨٠	٧١٠ر٢١١	٥٣ر٧٥	٥٨٠ر٦٨	٤٧ر٢٤
١٩٦٨	٠٦٠ر٢٨٩	٢٢٩ر٢١٧	١٥ر٧٥	٨٣٠ر٧١	٨٥ر٢٤
١٩٦٩	٣٩٠ر٢٩٧	١٥١ر٢٢٣	٠٣ر٧٥	٢٣٩ر٧٤	٩٧ر٢٤
١٩٧٠	١٠٠ر٣٠٦	٩٠٠ر٢٢٩	١١ر٧٥	٢٠٠ر٧٦	٨٩ر٢٤
١٩٧١	٤٠٠ر٣١٦	٣٠٠ر٢٣٧	٠٠ر٧٥	١٠٠ر٧٩	٠٠ر٢٥

١٩٧٢	٣٣٠ر١٠٠	٢٤٨ر٤٠٠	٧٥ر٢٥	٨١ر٧٠٠	٢٤ر٧٥
١٩٧٣	٣٤٣ر٢٠٠	٢٥٨ر٠٠	٧٥ر١٧	٨٥ر٢٠٠	٢٤ر٨٣
١٩٧٤	٣٦٠ر٦٠٠	٢٦٧ر٤٠٠	٧٤ر١٥	٩٣ر٣٠٠	٢٥ر٨٥
١٩٧٥	٣٧١ر٧٠٠	٢٧٥ر٦٠٠	٧٤ر١٤	٩٦ر١٠٠	٢٥ر٨٦
١٩٧٦	٣٨٢ر٥٠٠	٢٨٢ر٢٠٠	٧٣ر٧٧	١٠٠ر٣٠٠	٢٦ر٢٣
١٩٧٧	٣٩٢ر٥٠٠	٢٨٨ر٨٠٠	٧٣ر٥٨	١٠٣ر٧٠٠	٢٦ر٤٢
١٩٧٨	٤٠٣ر٤٠٠	٢٩٦ر٢٠٠	٧٣ر٤٣	١٠٧ر٢٠٠	٢٦ر٥٧
١٩٧٩	٤١٥ر٠٠	٣٠٥ر٠٠	٧٣ر٥٠٠	١١٠ر٨٠٠	٢٦ر٥٠

من الجدول السابق يتضح أنه فى فترة ثلاثة عشر عاما زاد سكان القدس من اليهود ١٣٤ر٧١٠ نسمة بينما غير اليهود من المسلمين والمسيحيين لم يزيدوا فى نفس الفترة عن ٤٢ر٢٢٠ نسمة ، أى أن نسبة اليهود إلى غيرهم مازالت ثلاثة أضعاف ويمثلون الأغلبية بالنسبة للسكان (أكثر من ٧٥٪).

مما سبق يتضح أن احتلال إسرائيل للقدس الشرقية عام ١٩٦٧ أدى إلى فرض سلطة الأمر الواقع على شطرى المدينة ، وقد أدعت إسرائيل السيادة القانونية على القدس الموحدة وفرضت قوانينها عليها باعتبار أنها عاصمة الدولة العبرية إلى الأبد . ومنذ ذلك الحين تقوم إسرائيل بإحداث تغيير جوهرى فى واقع المدينة الديموجرافى والتاريخى والحضارى ، وذلك لكى تلغى الطابع العربى للمدينة سعيا إلى استبداله بالطابع اليهودى الاستيطانى. ويؤكد ذلك ما أشارت إليه الإحصاءات السابقة من زيادة كبيرة وغير متوازنة فى عدد اليهود ، فضلاً عن أنها تتخذ الخطوات التى تؤدى إلى تقلص عدد الفلسطينيين (مسلمين ومسيحيين) فى المستقبل مثل مصادرة الأراضى الفلسطينية ، وتقييد التوسع العمرانى الفلسطينى ، وإبقاء الأراضى الفلسطينية دون تخطيط أو إعلانها أرضاً خضراء ، وهدم المنازل الفلسطينية بحجة البناء بدون ترخيص ، ومنع دخول الفلسطينيين

إلى القدس حتى هؤلاء الذين خرجوا منها ، وتشتيت الأسر الفلسطينية داخل القدس فهناك زوجات داخل القدس وأزواج فى الضفة وفى قطاع غزة لا يستطيعون زيارة زوجاتهم ، ووضع القيود على تحرك الفلسطينيين داخل القدس نفسها.

كل هذه الإجراءات وغيرها تهدف إلى طمس الهوية العربية الفلسطينية فى القدس ، بحيث يصبح الفلسطينيون أقلية هامشية ليس لها تأثير يذكر فى إطار ما يدعى "القدس الكبرى العاصمة الأبدية لإسرائيل(١٩) . ويؤكد ذلك آخر التقارير التى وردت إلى جامعة الدول العربية – قسم فلسطين – من دائرة الشئون الفلسطينية فى المملكة الأردنية الهاشمية ، والذى صدر عن سفارة الأردن بالقاهرة بتاريخ ١٩٦٦/٩/٢١ والذى نجتزئ منه .. لوحظ خلال الشهر المذكور (أغسطس ١٩٦٦) تصعيد فى الهجوم الإسرائيلى على مدينة القدس ومواطنيها العرب ، فقد سلم ممثلو الشرطة الإسرائيلية عضو المجلس التشريعى الفلسطينى حاتم عبد القادر أمراً بمنع أى نشاط للسلطة الفلسطينية فى القدس الشرقية ، وطُلب مًنه استناداً لهذا الأمر وقف العمل فوراً فى المكتب الذى افتتحه فى بيت حينا فى القدس ، وقامت الشرطة الإسرائيلية فى وقت لاحق بمداهمة المكتب ومصادرة محتوياته وإغلاقه . وأشارت الأنباء الواردة من الأراضى الفلسطينية إلى قيام الحكومة الإسرائيلية بتشكيل طاقم وزارى خاص ، برئاسة كل من وزير المعارف فلزبولان هامر ورئيس البلدية (يهودا أولمرت) لمتابعة تطبيق ما وصف بسلطة القانون والنظام فى القدس الشرقية ، وبهدف الحفاظ على السيادة الإسرائيلية الكاملة فى جميع أجزاء المدينة ويعمل هذا الطاقم على بلورة المقترحات والتوصيات للحد من تغلغل السلطة الفلسطينية فى مؤسسات وأجهزة التعليم الفلسطينى فى الشطر الشرقى من المدينة . ومن الإجراءات التى نفذت فى مؤسسات عربية فى القدس ما حدث يوم ١٩٩٦/٨/٢٧ من هدم مبنى " اللقلق" فى باب حطة داخل البلدة القديمة ، ويشرف هذا المبنى على رعاية الأطفال والمسنين والمتقاعدين من أبناء المنطقة ، وقد تمت عملية الهدم بحجة إجراء ترميمات مخالفة للقانون فى قاعة الجمعية الخيرية .. الخ .

كذلك شرعت المؤسسات الاستيطانية الإسرائيلية فى تنفيذ قرار وزير الدفاع اسحق مردخاى الذى يقضى بإضافة بيوت جاهزة إلى المستوطنات . وقد كشفت الصحف الإسرائيلية النقاب عن خطة أعدها مجلس المستوطنات اليهودية فى الضفة الغربية وقطاع

غزة تهدف إلى زيادة عدد المستوطنين خلال السنوات الأربع المقبلة إلى نصف مليون مستوطن ... وأشارت مصادر صحف إسرائيلية إلى أن نائب وزير الإسكان الاسرائيلى مكيريورس يعتزم بناء ١٥ ألف وحدة سكنية للمتدينين اليهود منها ٦٥٠٠ وحدة فى المدخل الغربى للقدس ... وفى إطار الهجمة الاستيطانية على المدينة المقدسة تم كشف النقاب عن مخطط تعده وزارة الإسكان الإسرائيلية يرمى إلى إقامة مدينة استيطانية جديدة على بعد عدة أمتار من مدينة القدس شمال مستوطنتى "بنى يعقوب" و"ضبعات زئيف" فى رام الله ، كما تعرضت خمسة منازل أخرى تقع فى حدود بلدية القدس فى العيسوية وصدر باهر وسلوان للهدم بحجة عدم الترخيص ، كما هدمت السلطات الإسرائيلية خمسة منازل أخرى يوم ١٩٩٦/٨/٢٨ قرب طولكرم بدعوى عدم ترخيصها ومنزلا آخر فى منطقة سميراميس فى رام الله بالحجة نفسها (٢٠) ، الأمر الذى دعا بشارة داود عضو المجلس التشريعى الفلسطينى فى بيت لحم إلى التصريح لجريدة الأهرام إلى أن إسرائيل قد قامت بضم ثلثى أراضى بيت جالا وبيت لحم وبيت ساحور إلى مدينة القدس بقرار من طرف واحد ، وأقامت مستوطنة "جيلو" التى تتسع لأكثر من ٥٠ ألف مستوطن كما استولت على أعلى قمة فى منطقة القدس وهى جبل الرأس فى بيت جالا وبنيت عليه مستوطنة أخرى ... وأطلقت حكومة الليكود الإسرائيلية العنان للجراف الاسرائيلى وللمستوطنين للاستيلاء على أراضٍ جديدة وبناء مستوطنات حديثة وفتح الأنفاق ، حتى أصبحت هذه المستوطنات بمثابة السرطان الذى يسرى فى الجسد الفلسطينى .

والخلاصة أن ما يجرى فى القدس والمدن والقرى التى حولها هو خنق هذه المدن ، وجميعها يؤكد أن الجراف الاسرائيلى أخطر من المدفع والدبابة فى عملية السلام وفى الأراضى الفلسطينية (٢١) .

(٤)

شهدت فلسطين تغيرات سكانية واجتماعية كبيرة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين باتفاق الدول الاستعمارية الكبرى مع الصهيونية العالمية فى أواخر فترة الحرب العالمية الأولى والانتداب بريطانيا على فلسطين ، الأمر الذى مهد لإقامة الوطن اليهودى وقيام الكيان الصهيونى بمجرد انتهاء الانتداب . وقد أثرت هذه الأوضاع السياسية على

سكان فلسطين من الناحيتين الديمواجرافيــة والاجتماعيـة وبصفـة خاصــة علـى المواطنيـن العرب لأن المؤامرة الاستعمارية الصهيونية استهدفت محو عروبة فلسطين وتهويدها

وفيما يلى أهم النتائج التى يمكن استخلاصها من هذه الدراسة :

- منذ قيام دولـة إسـرائيل فـى عـام ١٩٤٨ واحتـلال معظـم فلسطين وبعض الأراضـى العربية بعد حرب ١٩٦٧، الأمر الذى أدى إلى الهجرات اليهودية المتتابعة من الخـارج ، ومصـادرة مسـاحات كبيرة مـن أراضـى عـرب فلسـطين ، وتشـجيع الاستيطان ، وتدفـق الأفواج الكثيرة من اليهود إلى فلسطين ، أدى كـل هـذا إلـى تغير الميزان الديموجرافـى لصالح إسرائيل . ففى عام ١٩٧٠ ارتفعت نسبة اليهود لتبلغ نسبتهم إلى المواطنين العرب أكثر من ثلثى السكان ، وفى عام ١٩٨٢ ارتفعت نسبة المواطنين العرب إلى حوالى ٣٦٪ من سكان فلسطين، ومن المتوقع أن ترتفع إلى حوالى ٣٨٪ فى علم ١٩٩٠ وإلـى حوالـى ٤١٪ عام ٢٠٠٠ (٢٢).

- تؤكد الإحصاءات الفلسطينية هذه الزيادة حيث بلغ عدد السكان الفلسطينيين فى كل مـن الضفة الغربية وقطاع غزة فى عام ١٩٨٧ (٠٠٠ر٦٥ر١ نسمة) ، وأن سكان القدس فى نفس العام بلغ عددهم (٠٠٠ر١٤١ نسمة) من الفلسطينيين الصامدين فضلا عن سكان المدن التى تدور فى فلك القدس كأريحـا التـى بلـغ سـكانها (٠٠٠ر١٠٨ نسـمة) والخليـل (٩٠٠ر١٧٢ نسمة) (٢٣).

- ولكن مما لاشك فيه أن الاستيطان الاسـرائيلى المسـتمر، عن طريـق بنـاء مسـتوطنات جديدة وجلب هجرات خارجية لليهود إلى فلسطين وإلى القدس ، قد أدى إلى إحداث خليـط سكانى كبير نظرا لتعدد مصادر الهجرة اليهودية (من ٤٢ دولة) مختلفة ، الأمر الذى أدى إلى إحداث نوع من عدم التجانس السكانى ، كما أدى إلى تدهـور سكان جماعـة الأقليـات التى تصاحبها عموما مكانة اجتماعية واقتصـادية دنيا وفرص سياسية أقل (٢٤) وهـذا مـا ينطبق بدقة على الفلسطينيين عامة وعلى الفلسطينيين فى القدس بصفة خاصة .

- أن الهجرات اليهودية المتعاقبة والتى مازال بابهـا مفتوحـاً إلـى فلسطين ، ستؤدى إلـى عدم التوازن الديموجرافى فى القدس وفى فلسطين كلها .

- وجود الصراع العرقى واستمراره بين اليهود والعرب، وذلك للنظرة العرقية لليهود وإحساسهم وشعورهم بالتمايز باعتبار أنهم شعب الله المختار وأنهم أفضل شعوب الأرض جميعاً .

- بناء المزيد من المستعمرات اليهودية فى القدس وهدم المنازل المملوكة للفلسطينيين بحجة أنها بنيت بغير تصريح أو لدواعى الأمن ، وغلق مناطق بأكملها للتدريب أو غيره من المبررات الإسرائيلية ، سيؤدى فى النهاية إلى مزيد من التغيرات الديموجرافية فى المدينة .

- أوضحت الدراسة الزيادة الرهيبة فى عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين بصفة عامة وإلى القدس بصفة خاصة ، وبالذات من جانب المتدينين اليهود والمتعصبين منهم ، مما يؤدى إلى زيادة الصراع داخل مدينة القدس .

- أثبتت الدراسة خلق مناطق للتوتر والصراع الدائم داخل مدينة القدس وفلسطين ومنطقة الشرق الأوسط بأسرها ، نتيجة مصادر التمايز العرقية والسلالية واللغوية والدينية وغيرها ، الأمر الذى يصاحبه عادة عدم المساواة فى الفرص ومن ثم فى المكانة الاجتماعية والاقتصادية .

الهوامش والمراجع

1- W. Gade & K.Hatt: Methods in Social Research. McGraw Hill Comp. New York, 1952, PP. 341 - 342.

٢- انظر معجم العلوم الاجتماعية ، تصدير ومراجعة د. إبراهيم مدكور ، الهيئة المصرية العامة للكتب - ١٩٧٧ ص ٢٧.

3- T.R. Ford & F. Dejon: Social Demography, Prentice Hall Inc. N.J. 1979, PP 7-8 .

٤- شاكر سليم : قاموس الأنثروبولوجيا ، جامعة الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٨١ ، الكويت ، ص ٤٨ ، ٣٠٠ ، ٦٣٠.

٥- انظر معجم العلوم الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٦٢٩.

٦- حسن عبد القادر صالح : سكان فلسطين ديموغرافيا وجغرافيا، الأردن ، دار الشرق للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥، ص ٣٩ - ٤٠.

٧- انظر مقال فكرى مكرم عبيد "هذا الرجل الصغير أكبر عدو لإسرائيل" ، جريدة الأهرام ، ١٢ أكتوبر ١٩٦٦ ، السنة ١٢١ العدد ٤٥١٢٢ ، ص ١٠ .

٨- انظر عبد الرحمن أبو عرفة : الاستيطان التطبيق العملى للصهيونية ، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية ، عمان ، الطبعة الثانية ١٩٨٦.
٩- المرجع السابق ص ٥٨.
10- Central Bureau of Statistics, Statistical Abstract of Israel, 1982, p .32
١١- مسعود الحناوى : شاهد عيان على المستوطنات ، جريدة الأهرام ، ٢٩ أكتوبر ١٩٩٦ ، السنة ١٢١ ، العدد ٤٠١٢٤.
١٢- خليل التفكجى : كيف استوطنوا القدس - تهويد القدس حقائق وأرقام ، بحث مقدم إلى مؤتمر القدس مدينة السلام - جامعة الدول العربية - ١١ شوال ١٤٠٧ هـ/ ١٢ مارس ١٩٩٥م.
١٣- نفس المرجع السابق ، ص٢ .
١٤- جمال حمدان : المدينة العربية ، كتاب الهلال ، العدد ٥٤٩ سبتمبر ١٩٩٦ ، ص ١٢٦ ، ١٣٠ ، ٢٩٣.
١٥- خليل التفكجى ، مرجع سابق ، ص ٢- ٥.
١٦- خليل التفكجى ، مرجع سابق ، ص ٦.
١٧- سمير جريس : القدس والمخططات الصهيونية -الاحتلال والتهويد ، مؤسسة التراث الفلسطينية ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨١ ، ص٢١٥- ٢١٦ .
١٨- نفس المرجع السابق ، ص ٢١٧ .
١٩- راجع جريدة الأهرام ، العدد ٧٨٦ ، السنة الثامنة عشرة ، ٩ أكتوبر ١٩٩٦ .
٢٠- جامعة الدول العربية : تقرير دائرة الشئون الفلسطينية فى المملكة الأردنية الهاشمية عن آخر تطورات الضفة الفلسطينية ونشاطات دائرة الشئون الفلسطينية . صدر عن سفارة المملكة الأردنية الهاشمية بالقاهرة بتاريخ ١٩٩٦/٩/٢١ ص ١ - ٥.
٢١- جريدة الأهرام ، العدد ٤٠١٢٢ ، السنة ١٢١ ، ١٢ أكتوبر ١٩٩٦.
٢٢- حسن عبد القادر صالح ،مرجع سابق ،ص ٢٦٣.
٢٣- منظمة التحرير الفلسطينية المكتب المركزى للإحصاءات والمصادر الطبيعية الفلسطينية ، المجموعة الاحصائية الفلسطينية ، العدد السابع .
24- P.M Hauser & D. D. Duncan, The Data and Methods in the Study of Population , The University of Chicago Press, 1959, P.48- 52.

الحرم القدسي الشريف

مجاهد على شراب
كاتب صحفى فلسطينى ومراسل هيئة الإذاعة والتليفزيون الفلسطينية

مقدمة

تتناول هذه الدراسة بالتوضيح "الحرم القدسى الشريف" (وبه قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك) مع تفصيل لتاريخهما وعمارتهما وزخرفتهما خاصة قبة الصخرة . ولعل أحد الدوافع التى حدت بى - ككاتب - لكتابة هذه الدراسة هو ذلك الخلط والتشويش الذى يحدث عند الكثير من المتابعين ، خاصة بعض الصحف والمجلات العربية ومنها الدينية الإسلامية على وجه الخصوص !!، عند نشر صور " قبة الصخرة المشرفة " وكتابة اسم" المسجد الأقصى" تحتها وكفى ! دون أى توضيح أو إضافة . فى حين لا تنشر (وأحيانا كثيرة لا تشير أية إشارة إلى) صورة المسجد الأقصى المبارك نفسه كمسجد وبناء مستقل يقع إلى الجنوب فى ساحة الأقصى المبارك وتستمد ساحة الحرم القدسى الشريف اسمها من اسم الأقصى ذاته ، أو حين يتحدث البعض عن " المسجد الأقصى " وعمارته وزخرفته فيتحدث - فى حقيقة الأمر - عن قبة الصخرة المشرفة نفسها ولا يذكر - حقيقة - المسجد الأقصى نفسه فى هذا الحديث ، أو يخلط - بطريقة غير واعية - بين وصفه للمسجد الأقصى كمسجد وبناء وبين قبة الصخرة المشرفة وعمارتها وزخرفتها كبناء آخر مستقل ، فتتداخل الأطوال والمقاييس (فيذكر كلمة عن هذا وكلمة عن ذاك ، وكأنه يتحدث عن بناء واحد). وحتى أسماء أبواب المسجد الأقصى وأبواب ساحة المسجد الأقصى (وهى ساحة الحرم القدسى الشريف) فالكثير يخلطون بين أسماء أبواب المسجد وهى (١١) باباً وساحته وهى (١٥) باباً ، وأيضا أبواب المدينة

القديمة داخل السور (وهى سبعة أبواب)، وأحيانا أقل يقع الخلط مع أبواب قبة الصخرة المشرفة نفسها (وهى أربعة أبواب)، وهكذا عند الحديث عن وصف العمارة والزخارف.

وتتناول هذه الدراسة بالتوضيح والتفصيل الموسع كل هذه الجوانب . فالمبحث الأول يتحدث عن الحرم القدسى الشريف (ساحة الأقصى المبارك) ككل وقدسية محتوياته جميعها - ما دار عليه السور - ويعدد هذه المحتويات من قباب ومدارس وزوايا وآبار وأسبلة ، إضافة إلى المسجد الأقصى وقبة الصخرة التى سنفرد لها الأجزاء التالية .

أما المبحث الثانى فيتناول قبة الصخرة المشرفة من ناحية تاريخ البناء ، ولماذا بناها عبد الملك بن مروان ؟ ، يليه المبحث الثالث ويتحدث عن قبة الصخرة المشرفة كأجمل الآثار التى خلدها التاريخ وأجمل الأبنية على وجه البسيطة ، كما جاء وصفها فى آراء وأقوال ووصف الرحالة وعلماء الآثار وفى فنون العمارة . ويتناول المبحث الرابع بالتفصيل العبقرية فى بناء قبة الصخرة المشرفة والإبداع فى زخارفها ونقوشها مع وصف دقيق من الداخل والخارج. ثم المبحث الخامس الذى يتناول المسجد الأقصى المبارك - كبناء مستقل - وتاريخه وعمارته وما تعرض له من أحداث ومحاولات هدم وحرق وعمليات حفريات أسفله وبجواره وصولا إلى مرحلة " النفق " التى عادت - وبرزت فى الأيام الأخيرة - كمشكلة من جديد ، إلى واجهة الأحداث ، وأدت إعادة افتتاح النفق تحت جنح الليل إلى إشعال الانتفاضة الفلسطينية الجديدة دفاعا عن الأقصى والقدس الشريف .

المبحث الأول : الحرم القدسى الشريف

يقع الحرم القدسى الشريف (" ساحة " المسجد الأقصى المبارك) على هضبة جبل موريا فى الزاوية الجنوبية / الشرقية من مدينة القدس العتيقة ، وهى هضبة مستوية السطح مستطيلة الشكل تقريباً تقدر مساحتها بحوالى (١٤٤) دونما ، ويحيط بأرض الحرم سور كبير يصل ارتفاعه إلى (٤) أمتار ، وسمكه متران وربع المتر ، وطول الجهة الغربية منه (٤٩٠) مترا ، والشرقية (٤٧٤) متراً ، والشمالية (٣٢١) متراً ، والجنوبية (٢٨٣) متراً ، ويتخلل السور (١٥) باباً هى أبواب الحرم .

ويطلق على الحرم القدسى الشريف وجميع محتوياته " المسجد الأقصى المبارك " بالمعنى الإسلامى الذى تم الإسراء إليه ، وهو يعنى كل ما دار عليه السور فيشمل : المسجد الأقصى (البناء المتعارف عليه الآن إلى الجهة الجنوبية من الحرم) وقبة الصخرة المشرفة (وتتوسط - تقريباً - ساحة الحرم) وكل الساحات والقباب والأبنية والآثار والمقدسات الموجودة فيه .

وقد أكد المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية المنعقد بالقاهرة (رجب ١٣٨٨ هجرياً/ أيلول - سبتمبر ١٩٦٨) على قدسية كل ساحة الحرم الشريف ، فى البند الرابع - الفقرة ب من القرارات والتوصيات ، فقال " يؤكد المؤتمر الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم بالضفة الغربية (المحتلة) فى ١٧ جمادى الأولى ١٣٨٧ هجرياً الموافق ٢٢ آب / أغسطس ١٩٦٨ ، والمتضمنة أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الدينى يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن وقبة الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما وما عليه السور وفيه الأبواب . ويؤكد المؤتمر " أن العدوان على أى جزء من ذلك يعتبر انتهاكا لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداءً على قدسيته".

ويحتوى الحرم القدسى الشريف ، إضافة إلى المسجد الأقصى المبارك فى الجهة الجنوبية من ساحة الحرم ، ومسجد قبة الصخرة المشرفة فى وسط الحرم تقريباً وفى أعلى بقعة منه (وسنعود إلى تقديمهما بشكل تفصيلى موسع فى الأجزاء التالية من هذه الدراسة) ، يحتوى على العديد من الساحات والآثار الإسلامية ، والمساجد الصغيرة (مثل مسجد عمر ومسجد البراق) والعديد من القباب والميازين (الموازين) والمدارس والزوايا والأروقة والمصاطب ، وبعض الأسبلة والآبار . ويجتمع الناس للوضوء حول حوض يسمونه " الكأس " أمام المسجد الأقصى . وللحرم أربع مآذن عالية وبه متحف إسلامى ومكتبة وعدد من الأروقة تقع فى الجهتين الغربية والشمالية .

المدرسة الأشرفية

يقول القاضى مجير الدين فى كتابه " الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل " : فى القدس الشريف جوهرتان : الأولى المسجد الأقصى المبارك والثانية الصخرة المشرفة ، وأما الجوهرة الثالثة فهى المدرسة الأشرفية التى أكمل بناءها السلطان قايتباى المملوكى ، وتعتبر من أهم المعالم المملوكية فى القدس (هدمها زلزال سنة ٩٠٣ هجرياً ثم أعيد بناؤها ثانية وعادت إلى سابق عهدها) . وكانت الجواهر الثلاث (الأقصى - قبة الصخرة - المدرسة الأشرفية) تضاء أيام الجمعة والأحد والاثنين على التوالى ، كما يقول كتاب الأنس الجليل .

تتكون المدرسة من طابقين ، وتقع بين قبة الصخرة ومنارة باب السلسلة ، وقد قامت دائرة الأوقاف بالقدس بترميم الطابق السفلى منها ونقلت إليه مكتبة المسجد الأقصى وبها مجموعة نادرة من الكتب والمخطوطات الإسلامية . كما يوجد داخل الحرم مبنى متحف الفن الإسلامى الذى يضم مجموعات نادرة من المخطوطات والقطع المعدنية الأثرية من مختلف العصور الإسلامية ، ويضم بقايا محراب صلاح الدين الأيوبى (ما تبقى منه بعد الحريق) داخل دولاب زجاجي وكذلك بقايا الأخشاب التى بنى منها مسجد عمر بن الخطاب.

وهناك مدارس كثيرة تقع داخل الحرم مثل " المدرسة الجاولية " (كلية روضة المعارف الوطنية) وواقفها هو الأمير علم الدين سنجر الجاولى نائب غزة ، سنة ٧١٥ هجرياً / ١٣١٥ ميلادياً ، وكان من أهل العلم وله مصنفات كثيرة ، وتقع فى الجهة الشمالية الغربية من ساحة الحرم ، وفيها مدفن الشيخ الصالح درباس الكردى الهكارى . و"الخانقاة الفخرية " تقع عند باب حارة المغاربة وواقفها هو القاضى فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل الله (ناظر الجيوش الإسلامية) المتوفى فى منتصف رجب سنه ٧٣٢ هجرياً / ١٣٣١ ميلادياً . ويذكر مجير الدين الحنبلى ، أن أصله قبطى وأسلم وحسن إسلامه وله أوقاف كثيرة وبر وإحسان لأهل العلم .

و" المدرسة الكريمية " بالقرب من باب حطه وواقفها هو كريم الدين بن المعلم بن مكناس (ناظر الخواص الشريفة بالديار المصرية) سنة ٧١٨ هجرياً / ١٣١٩ ميلادياً ، "والمدرسة الناصرية" نسبة إلى الشيخ نصر المقدس ، واشتهرت باسم "الغزالية " نسبة إلى

الإمام أبى حامد الغزالى الذى اعتكف فيها فترة طويلة عندما وضع كتابه " إحياء علوم الدين " ، وتقع على برج باب الرحمة (فى الباب الذهبى على السور الشرقى) ، وجددت عمارتها سنه ٦١٠ هجرياً / ١٢١٤ ميلادياً لجعلها زاوية لقراءة القرآن الكريم وآداب اللغة العربية والنحو .

وهناك المدرسة المعظمية (الحنفية) بالقرب من باب شرع الأنبياء (فيصل) ، وبنيت سنة ٦١٤ هجرياً / ١٢١٧ ميلادياً وكذلك "القبة النحوية " التى تعتبر من القباب أيضاً وبنيت سنه ٦٠٤ هجرياً / ١٢٠٧ ميلادياً فى بناء جميل عند الزاوية الجنوبية الغربية لصحن قبة الصخرة لتكون مقراً لدراسة الآداب العربية . وهناك مدارس كثيرة خارج الحرم على السور الشمالى والغربى منه .

القباب والميازين

أما عن القباب الواقعة داخل الحرام ، فهناك " قبة السلسلة " و"قبة المعراج" و " قبة سليمان " و " قبة الأرواح" التى يقال إن الله تعالى يبعث الأرواح من هذه المنطقة يوم القيامة ويستشهد فى ذلك بحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن أرض بيت المقدس بأنها " أرض المحشر والمنشر ". وهناك قباب أخرى مثل قبة يوسف وقبة موسى وقبة برهان الدين ، إضافة إلى " القبة النحوية " السابق ذكرها .

وتوجد العديد من الآبار والأسبلة ، منها ثمانى آبار فى صحن الصخرة وسبع عشرة فى فناء الأقصى، كذلك بئر قايتباى وسبيله ، وسبيل سليمان وسبيل الشيخ بدير وسبيل قاسم باشا ، وسبيل مشعلان فى زاوية صحن قبة الصخرة من الجهة الشمالية الغربيه بناه الملك عيسى ابن الملك العادل أخ السلطان صلاح الدين سنه ٦١٣ هجرياً / ١٢١٦ ميلادياً .

ويوجد ضمن قبة الصخرة ، حول المسجد الأقصى وفى مواجهة أبوابه ، عدد من العقود (الأقواس) المحمولة على أعمدة رخامية غاية فى الجمال ، تسمى بالميازين (أو الموازين) منها الثلاثى والرباعى والخماسى وذلك بحسب الأقواس المحمولة على الأعمدة الرخامية وقناطرها.

وهناك العديد من الأروقة الممتدة من جهة الجنوب إلى جهة الشمال على السور الغربى للحرم القدسى الشريف.

المبحث الثانى : قبة الصخرة المشرفة ، متى شيدت والهدف من البناء؟

عندما حضر أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) لتسلم مدينة القدس / ايلياء ، كما طلب صفرونيوس بطريرك الروم من أبى عبيدة بن الجراح ، وكتب عمر "وثيقة الأمان" التى سميت "العهدة العمرية" سنة ١٥هـ / ٦٣٦م ، طلب عمر بن الخطاب من صفرونيوس أن يدله على مكان الأقصى المبارك والصخرة المشرفة ، وكانت ساحة الأقصى وقتها مهملة مهجورة ، فدله على مكان الصخرة التى كان يعلوها التراب والنفايات ، فأخذ عمر بن الخطاب ينظف الصخرة بيديه وطرف ردائه وقبائه ومعه الصحابة يرفعون التراب حتى نظفت الصخرة تماما (التى يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ١٧,٧٠ م وعرضها من الشرق إلى الغرب ١٣,٥٠ م وسمكها ٢ م) والتى لها منزلة خاصة فى قلوب المسلمين ، حيث عرج الرسول الكريم سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى السماء ، عنها ، فى ليلة الإسراء والمعراج ، وعلى طرفها الأيمن يبدو أثر قدمى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليلة المعراج ، كما روى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : "صليت ليلة أسرى بى إلى بيت المقدس على يمين الصخرة" ، وعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال "صخرة بيت المقدس من صخور الجنة" .

فى البدء : مسجد عمر ، وقد أمر سيدنا عمر بن الخطاب ببناء مسجد يتسع لثلاثة آلاف من المصلين عند الصخرة . ومن الذين رأوا المسجد (الذى أقيم على الصخرة – قبل مسجد قبة الصخرة الحالى – وكان يسمى مسجد عمر) بأم أعينهم ، السائح أركولف الذى زار القدس ، وكذلك السائح المؤرخ جيروم الذى زار القدس بعده بقليل ، وقالا إن ذلك المسجد كان مبنيا من الخشب وكان يتسع فعلا لثلاثة آلاف مصل، لكنه لم يصمد وتهدم – فيما بعد – نتيجة لبعض الزلازل والعوامل المناخية الأخرى.

وعندما عزم عبد الملك بن مروان ، خامس خلفاء بنى أمية ، على بناء مسجد يليق بمكانة القدس فى الإسلام وبمكانة وقدسية الصخرة المشرفة ويتناسب مع عظمة الإسلام ولما لهذه الصخرة من منزلة دينية ومكانة روحية عند المسلمين ، كتب إلى دلاة الدولة الإسلامية ليأخذ مشورتهم ويقف على رأى بلادهم فى الفكرة ، فأشاروا عليه بالإقدام على هذا العمل واثنوا على الفكرة وشجعوه على تنفيذها ، وكانت ردودهم (كما يقول : المنهاجى الأسيوطى فى كتابه "إتحاف الاخصا فى فضائل المسجد الأقصى) تقول : "إنه رأى موفق سديد لأمير المؤمنين ، ونسأل الله أن يتم له ما نوى من بناء بيته ومسجده ويجرى ذلك على يديه ويجعله له مكرمة ولمن مضى من سلفه تذكرة " .

فشرع عبد الملك بن مروان فى بناء مسجد قبة الصخرة المشرفة سنة ٦٥/ ٦٦ هـ / ٦٨٢ م ، فوق وحول الصخرة المشرفة مباشرة وسط الحرم القدسى الشريف ، بتصميم فريد لم يعرف من قبل فى عمارة المساجد الإسلامية ، ليتميز ببساطة التصميم وتناسق الأجزاء ودقة النسب ، وليتفوق على سائر المبانى الإسلامية بجماله الأخاذ وفخامته وروعته وإبداع زخرفته ورسومه ، وليشهد بها معظم مؤرخى الفنون الإسلامية والعالمية على مدار الثلاثة عشر قرنا الماضية ، بأن قبة الصخرة من أعظم العمائر الإسلامية وأنها أجمل الآثار التى خلدها التاريخ بل أجمل وأبهى الأبنية الموجودة فوق ظهرالبسيطة وأروع ما وصل إليه المجهود الإنسانى فى فن العمارة . وقد بنى عبد الملك بن مروان " قبة السلسلة " إلى اليمين من مكان بناء قبة الصخرة (فوق الصخرة المشرفة) لتكون كما قيل دليلاً للصناع ونموذجاً مصغراً لمسجد قبة الصخرة ، وللاسترشاد به ، إذا وافته المنية قبل إتمام مسجد الصخرة . وقد جاء بناء قبة الصخرة الحالى ، بإشراف أهل البلاد الفلسطينيين حسب نموذج " قبة السلسلة " الذى وضعوه ، مع الكثير من التعديلات ، ليخرج البناء بالشكل الذى نراه اليوم ولا زال محافظا على شكله وعمارته رغم التجديدات والصيانات التى أجريت له لاحقا.

وقد عهد عبد الملك بن مروان فى إدارة العمل والإشراف عليه إلى اثنين من رجاله، وهما : رجاء بن حياة الكندى من كبار علماء المسلمين فى عصره ، وكان نبيلا كامل السؤدد ويسمى " سيد أهل الشام " وهو عالم تقى مشهور من أهل بينان بفلسطين ، ويزيد بن سلام من أهل القدس نفسها ، وهما من الخبراء فيما أسند إليهما . وبعد أن تم بناء

المسجد ، الذى استغرق سبع سنوات ، فى سنه ٧٢هـ / ٦٩١م ، تبقى من المبالغ المخصصة للبناء والعمارة والزخرفة ، مائة ألف دينار ، وعندما أعاداها للخليفة عبد الملك بن مروان ، أمر بمنحهما هذا المبلغ ، جائزة لهما على ما بذلاه من جهد متواصل فى الإشراف على بناء مسجد القبة ، فاعتذر ابن حياة وابن سلام عن قبول المبلغ ، بقولهما للخليفة : " إننا أحق وأولى أن نزيد فى ذلك من حلى نسائنا فضلا عن أموالنا ، فضع هذا المبلغ حيث شئت فى مصالح المسلمين ، فأمر عبد الملك بن مروان ـ كما يروى مجير الدين بن الحنبلى صاحب " الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل " ـ بأن تسبك ، هذه المبالغ ذهبا وتفرغ على القبة والأبواب .

والمعروف أن عبد الملك بن مروان لم يدخر مالا أو ذهبا أو فضة فى بناء المسجد أو تصفيحه أو كسوته أو زخرفته ، ولم يألو جهدا فى سبيل بناء مسجد قبة الصخرة وإتمامه بهذه الأبهة والروعة ، فجمع له أمهر الصناع وجمع له الأحجار والفسيفساء من كل أنحاء الدنيا ، وتم البناء بالكامل سنة ٧٢هـ /٦٩١م كما هو مدون على القناطر الوسطى للبناء ، وجاء فيه :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنى هذه القبة ، عبد الله عبد الملك بن مروان ، أمير المؤمنين ، فى سنة اثنتين وسبعين . تقبل الله منه ورضى عنه . آمين " .

والطريف ذكره ، أنه قد جرت محاولة لاستبدال اسم الخليفة عبد الملك بن مروان ، باسم الخليفة العباس المأمون (وقد تكون قد تمت فى عهده) فى عبارة تشير إلى تاريخ إنشاء البناء (فى الجزء العلوى من التثمينة الداخلية وتضم آيات قرآنية) ونص العبارة : " بنى هذه القبة عبد الله الإمام المأمون فى سنة اثنتين وسبعين " !! . والمعروف أن سنة ٧٢هـ تقع فى حكم عبد الملك بن مروان ، ولا تقع فى حكم المأمون ١٩٨ / ٢١٨هـ الذى زار مدينة بيت المقدس فى سنة ٢١٦هـ ، كما أن اسم الخليفة المأمون وألقابه مكتوبة بخط ضيق يخالف الخط المستعمل فى سائر أجزاء الكتابة. ويبدو أن الصانع فاته أن يغير التاريخ كما غير الاسم!! أو أنه لم يرد أن يغير التاريخ وأبقى ذلك عمداً ليكشف التعديل وتغيير الاسم فيما بعد !!

وحول دوافع وأسباب عبد الملك بن مروان لبناء وتشييد مسجد قبة الصخرة المشرفة واهتمامه بإظهاره بهذا القدر الفريد من الروعة والأبهة والفخامة والجمال ، فقد تواردت روايات عديدة ، أهمها ما أورده المؤرخون المسلمون من دافعين أو سببين حول ذلك :

الرواية الأولى : أوردها اليعقوبى فقط فى كتاب " البلدان " ، ولم يتفق العديد من المؤرخين المسلمين حولها ، وتقول : عندما ثار عبد الله بن الزبير بالحجاز ضد الأمويين، وأخذ البيعة لنفسه ، منع عبد الملك أهل مصر والشام من الحج لأن عبد الله بن الزبير كان يأخذهم ، إذا حجوا ، بالبيعة . ولما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة ، فضج الناس وقالوا : تمنعنا من حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا، فقال عبد الملك : هذا ابن شهاب الزهرى يحدثكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى " ، وهذه الصخرة التى يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها ، لما صعد إلى السماء ، تقوم لكم مقام الكعبة !! ، لذلك بنى عبد الملك على الصخرة قبة وأخذ الناس يطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة !! .

ويستبعد المؤرخون هذه الرواية ، ويعتبرونها من وضع خصوم بنى أمية من بنى العباس ، واليعقوبى نفسه المتوفى سنة ٢٨٤هـ هو من المنتسبين إلى العباسيين ومعروف للعيان ما بين الأمويين والعباسيين ، ومن غير المعقول أن يقدم رجل مثله على محاولة تغيير أحد أركان الدين الخمسة بتحويل شعائر الحج عن الكعبة فضلا عن أنه يعرف جيدا أن الحج هو الوقوف بعرفة وليس الطواف حول الكعبة فقط !.

الرواية الثانية : أوردها أبو عبد الله بن أحمد البشارى المقدس فى كتاب " أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم " ، وأكد عليها جل المؤرخين المسلمين ، " أن عبد الملك عندما رأى عظمة قبة القيامة وهيبتها ، خشى أن تعظم فى قلوب المسلمين فتصب على الصخرة قبة على ما ترى ... واتخذها للمسلمين مسجدا شغلهم به عنها وجعله من عجائب الدنيا ". وليس غريبا أن يفكر عبد الملك بن مروان فى أن يكون للمسلمين عمائر تضارع ولا تقل

فخامة عن كنيسة القبر المقدس التى جددت بعد أن دمرها كسرى ملك فارس ، قبل الإسلام ، فى البهاء والعظمة وفخامة تليق بمكانة وقدسية الصخرة المشرفة .

وقد تسابق معظم الخلفاء والحكام المسلمين والسلاطين ، على مدار التاريخ الإسلامي، وفى كل العصور إلى الحفاظ على هذا الرمز الإسلامى الكبير وصيانته وترميمه وتحريره من كل غاصب ، وتقديم كل ما هو ثمين لخدمة وكسوة وإصلاح وترميم كل ما يصيب قبة الصخرة المشرفة وكذلك المسجد الأقصى المبارك ، وكان أفضل لقب يطلق على الخليفة أو السلطان فى بلاد المسلمين ، أو أعظم لقب يريد أن يتحلى به السلاطين المسلمون ويفخرون به ، هو : " خادم الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى أولى القبلتين ".

المبحث الثالث : قبة الصخرة المشرفة ... أجمل الآثار التى خلدها التاريخ

تعتبر قبة الصخرة المشرفة (التى أقامها عبد الملك بن مروان ٧٢هـ/ ٦٩١م فوق "صخرة المعراج " فى ساحة الحرم القدسى الشريف ـ ساحة المسجد الأقصى المبارك) والتى لا زالت تتحدى الأجيال كأقدم نموذج لفن العمارة الإسلامية ؛ تعتبر آية فى الروعة والجلال والدقة والجمال فى الفن العربى الإسلامى ، و" أجمل الأبنية على وجه البسيطة"، وأروع ما وصل إليه المجهود الإنسانى فى فن العمارة و " أجمل الآثار التى خلدها التاريخ " .. هذا ما حملته كتابات ومؤلفات المؤرخين المسلمين وغير المسلمين ، والرحالة على مدى قرون طويلة ، وحتى الآن ، بالاعتراف بهذه الحقيقة والإشادة بها .

وقد قيل ـ منذ القدم ـ" إن الله جل جلاله نظر إلى المسجد الحرام بعين الجلال ، ونظر إلى المسجد الأقصى وقبة الصخرة بعين الجمال ". كما قيل " إن الله تعالى قسم الجمال إلى عشرة أجزاء ، منح القدس تسع منها ، ووزع الجزء الباقى على باقى الكرة الأرضية ".

وتصفها الموسوعات الفنية ، ومنها " موسوعة الفن فى العصر الأموى " بأنها أعظم العمائر الإسلامية فى الفخامة وإبداع الزخرفة وتمتاز ببساطة التصميم وتناسق الأجزاء . وتضيف : ... ومن آيات الإعجاز فى تصميم بناء قبة الصخرة أنه روعى فيه أن يكون

فى دائرة دعامات القبة لفت بسيط حتى لا تحجب الأعمدة الواقفة أمام الرائى الأعمدة الأخرى المقابلة لها فى الطرف الآخر ، ولذلك يتسنى لمن يدخل من أى باب من أبوابها أن يرى كل ما فيها من أعمدة وأكتاف ، سواء منها ما كان أمامه تماما أو ما كان فى الجهة المقابلة .

ويضيف أحد الكتاب (ياقوت الحموى) إلى كلام الموسوعة ، من ناحية أسلوب تصميم القبة ، " من أعظم محاسنه أنه إذا جلس إنسان فى أى موضع منه يرى أن ذلك الموضع هو أحسن المواضع وأشرحها ". ووصفها البروفسيير هارتمان بأنها " نموذج من التناسق والانسجام ". وتقول الموسوعة الإسلامية " إن التنافس فى تناسبها وغنى زخارفها وكسوتها يجعل من قبة الصخرة أحد أجمل المبانى فى العالم ". ويضيف غوستاف لوبون على ذلك : " إنه أعظم بناء يستوقف النظر ، إن جماله وروعته مما لا يصل إليه خيال الإنسان " .

أما فيرغسون فيقول : " لم أكن أتوقع مطلقا أن أرى مثل هذه العظمة الساحرة والفتنة الفائقة فى هذا البناء الذى فاق تاج محل وغيره من المقابر الملكية ، وأن ما فيه من التناسق والجمال الذى لا نظير له ليفوق كل أثر آخر فى العالم " . ويقول المهندس حسين الشافعى (كبير المهندسين المصريين الذين أشرفوا ، فى عام ١٩٦٤م ، على تجديد وترميم مسجد قبة الصخرة) : " إن القبة تحوى على دقة وروعة فى الفن العربى الإسلامى تفوق كل ما فى أهرامات الجيزة وغيرها ، ولولا التعصب الأعمى ضد كل ما هو عربى إسلامى ، لاعتبرت قبة الصخرة إحدى عجائب الدنيا وغرائبها ، وذلك يستلزم تمجيد القدرة والمهارة العربية الإسلامية والتحدث عنها وأوربا المتعصبة لا تريد ذلك ". ويضيف على ذلك كرزويل : " إن لقبة الصخرة المشرفة أهمية ممتازة فى تاريخ العمارة الإسلامية فقد بهرت ببهائها ورونقها وفخامتها وسحرها وتناسقها ودقة نسبها كل من حاول أن يدرسها من العلماء " . والمعروف أن كرزويل هو أحد الذين أجروا أهم الدراسات ــ إضافة إلى مارجريت فان برشم ــ على قبة الصخرة وزخارفها . وتقول برشم فى وصفها لجمال الفسيفساء فى عمل الزخارف : " ليس من قبيل المبالغة أن نقول بأن هذه المجموعة الزخرفية فريدة من نوعها فى العالم ، ليس فقط بجمالها ، ولكن لأن هويتها الأموية تعطيها أهمية أكثر ضخامة من أى الآثار التصويرية الباقية من العصر الأموى

مما وصل إلينا حتى اليوم . وتضيف : " لعل عظمة قبة الصخرة وجمالها هما في تخطيطها وتصميمها من بساطة وتناسق تجعلها حقا مفخرة العمارة الإسلامية " .

وعن فسيفساء البناء والفنانين الذين أنجزوه ، تقول مارغريب فان برشم : " من نباهة وأساليب هؤلاء الفنانين أنهم تجاوزوا بمهارتهم كل ما تم في هذا المجال في الغرب. إن دراسة للفسيفساء والجدران في العصور الوسطى في الغرب ، تسمح لي أن ألقى هذا الحكم " .

ويتابع د. عفيف بهنسي هذا الرأى (في دراسته " الفن العربي الإسلامي في بداية تكوينه ") فيقول: " إن تنفيذ هذا الفسيفساء الرائع قد تم من قبل المواطنين أنفسهم من سكان البلاد سواء كانوا من المسلمين أو ممن حافظ على دينه واعتبر ذميا ، له حصانته ودوره في بناء المجتمع الجديد " ، ويوضح " أن أحجار الفسيفساء كانت صناعة محلية أيضا ". ويضيف د. بهنسي : إن هذه الكتابة ـ الفسيفسائية ـ مع كتابات قرآنية أخرى ، تعتبر اقدم ما كتب من خط عربي جميل ، ومن أهم خصائص هذا الفن اعتماد المسار الهندسي في رسم الحروف بالدقة والبراعة التي تسمح بها مادة التنفيذ الفسيفسائي . لقد كان هذا الخط منطلقا للخط الكوفي من جهة والخط الثلث اللين من جهة أخرى ، فنرى محصلة مسبقة لهذين الخطين اللذين تفرعا عنه ، كما تفرع عنه أنماط كثيرة من الخطوط .

وكان شيخ الخطاطين العرب المرحوم محمد صيام قد أعرب عن إعجابه البالغ بجمال الكتابة للآيات القرآنية الكريمة على جدران البناء وفي السقف الداخلي للقبة وعن تأثير ذلك في موهبته (في مقابلة خاصة مع مجلة " فلسطين الثورة " قبل وفاته ، حيث عاش وتوفي في مدينة القدس نفسها) ، قائلا : " خذ مثلا " سورة يس " المكتوبة على قبة الصخرة ، أخذت مني وقتا طويلا وأنا أحدق فيها ، وفي كل مرة لا امتنع عن النظر إليها ، إلا حينما تؤلمني رقبتي فقط ، من طول النظر إلى أعلى " .

أما الموسوعة الفلسطينية فقد وصفت القبة ـ بكل تواضع وشمول من آن واحد ، قائلة : " إن قبة الصخرة في هندستها وشكلها وزخرفتها كانت وما تزال من أجمل وأروع المباني التي أتحف بها العالم ، وقلما يوجد في مباني العالم ما يفوقها أو يضارعها بهاء وروعة وجمالا ، فزيادة على زخرفة سقوفها المذهبة وجدرانها الرخامية ونوافذها

الزجاجية، فإنها تفتن العين بالفسيفساء وجمال تأليفها وألوانها التى جاءت كلها على أحسن تناسق وانسجام وبالأشكال المختلفة التى استعملت والأساليب والألوان ودقة الصنع التى بلغت الحد الأعلى من الكمال ، كل هذا جعل من قبة الصخرة أثراً فريداً فى تاريخ الفن " .

لقد كتب الصحافى البريطانى تيرى كولمان (صحيفة " الجارديان " البريطانية) مشاهداته وانطباعاته عن زيارته ـ فى ديسمبر/ كانون أول من عام ١٩٨٥ ـ فيقول " عرفت أننى غير متأثر كثيرا "بالعهد القديم" (التوراة والأسفار الخمسة) فالكلام عن أن داود كان هنا ، وداود كان هناك . وما قاله الدليل السياحى من أن آدم وحواء دفنا فى الخليل ، كلها حكايات لا يملك المرء إلا أن يبتسم لها ... وبعد بضعة أيام لم أشعر بأى حزن إزاء مشاهدة " حائط المبكى " ، ولكن مسجد عمر (رضى الله عنه ـ المقصود مسجد " قبة الصخرة المشرفة ") المقام بالقرب منه كان أكثر أهمية بالنسبة لى . وتحت القبة الذهبية العظيمة توجد الصخرة وهى الصخرة التى عرج من فوقها النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى السماء ولا يستطيع المرء إلا أن يحس بالخشوع داخل هذا المبنى المذهل ، وأقولها بصراحة : إننى لم أحس بالخشوع إلا فى هذا المكان "! .

وتناول المؤرخون والكتاب وعلماء الآثار والفنون وحتى الرحالة والمستشرقون أوصاف بيت المقدس ودرته المكنونة الحرم القدسى الشريف بمسجده الأقصى وقبته المشرفة من كافة الأوجه ، وقد أجمعوا على أن قبة الصخرة من أجمل الأوابد الشهيرة فى التاريخ وهى من أجمل الأبنية الموجودة فوق سطح البسيطة ، إنها عبقرية فى البناء وجمال فى تناسق الأبعاد ، ففى المعمار بنيت الأركان والأعمدة محروفة ، حتى لتظهر أمام الداخل إلى المسجد من أى جهة كل أطراف المكان ، فلا يقاطع بصره شئ من الأبنية ، هذا يظهر المكان أفسح وأكثر اتساعا مما هو حقيقة . روعة فى الكساء الداخلى والخارجى ... كسيت جدرانه بالرخام الرمادى المعرق ، وبالقيشانى ، والخزف المزين المرقش بالأبيض على خلفية زرقاء ، وفى الداخل كسيت الجدران بأبهى وأثمن أنواع الرخام الملون ، وفسيفساء الزينة ، أنيقة ، دقيقة فى نقوشها : أشجار نخيل تتفرع منها قطوف بلح دانية ، أكاليل أزهار تلتف حولها الأوراق ، دوالى عنب ممتدة إلى عالى

الأركان أو منتشرة على توشيحات القناطر ، أغصان وأوراق نبات تزينها سلاسل ذهبية وصدفية منتشرة على الجدران ، وقلائد أزهار ملبسة باللآلىء ...

يقول أبو عبد الله بن أحمد المقدسى فى كتابه " أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم " : " إذا بزغت الشمس عليها ... أشرقت وتلألأت المنطقة ... ورأيت شيئا عجبا ... ومجمل القول إننى لم أر فى الإسلام ولا سمعت فى الشرق عن مثل هذه القبة " .. إنها فعلا ... بلغت حد الكمال والبهاء والروعة ، لامزيد عليه ... وأجمل الآثار التى خلدها التاريخ " .

المبحث الرابع : قبة الصخرة المشرفة .. عبقرية فى تصميم البناء وإبداع فى كسوته وزخارفه

قبة الصخرة المشرفة بناها الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان (٧٢هـ /٦٩١م) حول صخرة المعراج المشرفة ، كصرح معمارى إسلامى جميل ، بسيط وبديع ، فريد الطراز لتمجيد الصخرة وتعظيمها ، فى أعلى بقعة تتوسط ساحة الحرم القدسى الشريف (ساحة الأقصى المبارك).

يتكون بناء قبة الصخرة المشرفة من بناء مضلع مثمن الشكل ، قوامه " تثمينة خارجية " من الجدران ، تليها من الداخل " تثمينة " أخرى من الأعمدة والأكتاف (الأساطين / الدعامات) ، داخلها أيضا " دائرة " من الأعمدة والأكتاف ، وفوق الدائرة الداخلية التى تحيط بالصخرة المشرفة ، " قبة " مرفوعة على " رقبة " (أسطوانة) فيها ست عشرة نافذة مفتوحة (من ٣٢ نافذة فى الجدار) . و" القبة " خشبية مزدوجة الكسوة ، مكسوة من الداخل بطبقة من الجفت المذهب المزخرف ، وكانت القبة مكسوة / مغطاة من الخارج بطبقة من النحاس المذهب ، ثم استبدل النحاس بالرصاص ، ثم بعد إصلاحات وترميمات عام ١٩٦٤ ، استبدل بالألمونيوم المذهب ، وفى عام ١٩٩٤ تم ترميمها من جديد وتكسيتها بالنحاس المذهب بطبقة من الذهب الخالص .

وقد بلغ التناسق والانسجام بين هندسة البناء المعمارية ، وبين كسوته الداخلية المنمقة بالفسيفساء والزخارف والرسوم والآيات القرآنية وطبقة الرخام الملون ، وكسوته الخارجية المنمقة بالرخام والخزف (القيشانى) والنقش والزخرفة والآيات القرآنية

بالخطوط العربية الأصلية ، بلغ قمة الإعجاز والعبقرية ، والإبداع والدقة ، والجمال والجلال ، والروعة والبهاء ، مالا مزيد عليه .

هندسة العمارة وتصميم البناء

المسجد عبارة عن مضلع ثماني الشكل من الجدران (داخله مضلع مثمن آخر من الأعمدة والدعائم) ، يبلغ طول ضلعه (جداره) الخارجي ٢٠,٥٩ م ، وارتفاعه ٩,٥٠ م ، إضافة إلى التصوينة فوق الجدران ويبلغ ارتفاعها ٢,٦٠ م ، وجميع أضلاع المبنى الثمانية متساوية . وفيه أربعة أبواب تفتح على الاتجاهات الأربعة ، في أربعة جدران خارجية ، يبلغ عرض كل من الأبواب ٢,٥٥ م × ارتفاع ٤,٣٥م. الباب الشمالي واسمه " باب الجنة " ويقابل باب فيصل في سور الحرم . الباب الشرقي ويسمى " باب داود " ويقع في اتجاه " قبة السلسة " النموذج الأول التي بنيت عليه قبة الصخرة . الباب الجنوبي ويقابل المسجد الأقصى والكأس التي أمامه ، وهو أكبر الأبواب بقبة الصخرة وأغناها نقوشا وزخرفة وتقوم مظلة مدخله على ثمانية أعمدة رمادية اللون مشجرة (رخامية) ، تيجانها كورنثية وقواعدها مكعبة لونها أبيض ناصع . الباب الغربي ويسمى " باب القطانين " ويقع قبالة باب القطانين وباب المظهرة على سور الحرم وكذلك مقابل سبيل قايتباي.

ويقع في كل ضلع / حائط (من غير ذات الأبواب) سبع نوافذ ، خمس منها يخترقها الضوء ، أما التي على أقصى جانب الحائط ـ من كل طرف ـ فهي مغلقة . وكذلك في الأضلاع / الحوائط التي بها الأبواب : أربع نوافذ مفتوحة يخترقها الضوء ، واثنتان مغلقتان . وقد أعطى نظام الإضاءة ، حيث لا تدخل أشعة الشمس مباشرة إلى داخل المسجد ، أعطى شعورا خاصا للرائي ملؤه الإعجاب والانبهار والخشوع أمام هذا الإبداع والإتقان والإعجاز. وتكمن براعة هندسة البناء في أن الداخل من أي باب من الأبواب الأربعة للمسجد يستطيع أن يرى جميع ما في داخل البناء من الأعمدة والدعائم (الأكتاف) في كل أطراف المكان ، وقبة وصخرة وساحات وأبواب ، تظهر أمامه مباشرة ولا يقاطع بصره أي شئ ، ولا يحجبها من نظره أي حاجب أو قاطع . وقد روعي عند البناء ، أن يكون في دائرة دعامات القبة لفت بسيط ، حتى يظهر للرائي كل ما بها وما تحتويه من

أعمدة أو عقود وقبة وصخرة وأبواب ، ويعتبر رجال العمارة الحديثة ذلك من آيات الإعجاز في تصميم بناء قبة الصخرة المشرفة ، وإلى الداخل يوجد تثمينة داخلية (مثمن الأضلاع) تتكون من ثماني قناطر ثلاثية العقود (الأقواس) محمولة على ثماني ركائز (دعائم) و١٦ عمودا ، وهي تحمل سقف البناء ، ويبلغ طول كل قنطرة من هذا المضلع ١٤,٤٥م. وقد نتج عن تشييد المثمن الداخلي وجود رواقين - على جانبيه - داخلي وخارجي ، يغطيهما سقف من الخشب مزدوج الكسوة ، وقد خصصت هذه الأروقة للصلاة ولمرور الناس حول الصخرة.

ويتوسط التثمينتين ، الخارجية والداخلية ، وتحيط بالصخرة المشرفة ، دائرة من الأعمدة والأكتاف ، ترتفع عليها القبة بعلو يصل إلى ٣١,٥ م ، كما يرتفع في أعلى القبة هلال طوله أربعة أمتار . وترتكز القبة على رقبة (أسطوانية) قطرها ٢٠,٤٤ م ، وبها ١٦ شباكا. وهذه الدائرة الداخلية التي تحمل الرقبة والقبة وتحيط بالصخرة ، تتمثل في ١٢ عمودا و٤ ركائز (دعائم) تظهر من الخارج (بطول ارتفاع رقبة القبة) ، والركائز مستطيلة الشكل ، طول كل منها ٣م. وتتصل رؤوس الأعمدة والركائز (من داخل البناء) بقناطر رباعية العقود (ويقع بين كل ركيزتين ثلاثة أعمدة). وقد استطاع البناء العربي أن يكسر الأضلاع الثمانية إلى أنصاف أضلاع فحصل بذلك على ستة عشر ضلعا قصيرا ليصبح دائرة ، والاعتماد على رسم دائرة داخل مثمن وهو ابتكار جديد في تصميم المساجد والعمارة الإسلامية ، وربما كان وراء اختيار هذا التصميم رغبة عبد الملك بن مروان في تشييد مبنى (مسجد) يحيط بالصخرة المقدسة ويصلح مزارا للمسلمين ، ويضاهي ويتفوق على تصميم بعض الكنائس التي كانت موجودة ببلاد الشام ، فليس لمسجد قبة الصخرة شبيه من قبل ولا من بعد ، سواء في تصميم عمارته التي أوضحناها أو حتى بزخرفته وكسوته البديعة النادرة التي سنوضحها لاحقا.

صخرة المعراج

في وسط الصخرة المشرفة ، وفي مركز البناء المثمن ، وتحت القبة مباشرة ، توجد الصخرة المشرفة وهي غير منتظمة الشكل ، يبلغ طولها الخارجي من الشمال إلى الجنوب ١٧,٧٠م (٣٥ ذراعا تقريبا) ، وعرضها من الشرق إلى الغرب ١٣,٥٠م (٢٧

ذراعا) ، وأقصى ارتفاع لها عن مستوى أرض البناء ١,٥م، وحجر الصخرة مكسو بالرخام الملون على ارتفاع ذراعين ، وأحيطت بسور خشبى من الأبنوس بديع النقش والزخرفة ، ارتفاعه ٢ م وفيه فجوات تظهر منها الصخرة مضاءة بالكشافات . وفى آخر الصخرة المرخمة ، من الشمال الغربى ، حجر صغير على ستة أعمدة صغيرة يعتقد أنه أثر قدمى النبى (صلى الله عليه وسلم) عند معراجه من هذه الصخرة إلى السماء . والحديث النبوى الشريف يقول : " صليت ليلة أسرى بى إلى بيت المقدس على يمين الصخرة " ، وفى حديث آخر " صخرة بيت المقدس من صخور الجنة " . وقبالة القدم المشار إليه ، توجد مرآة من سبعة معادن تسمى " درقة حمزة " وهى محمولة على ثلاثة أعمدة جميلة ، منها اثنان (زوجان فى جسد) ومحراب " قبلة الأنبياء " الذى يصلى به أمام الصخرة يقع (على يمين الداخل من باب المسجد القبلى / الجنوبى) داخل السور الخشبى الأبنوسى المذكور آنفا . وتجاه المحراب يوجد باب " مغارة الصخرة المشرفة " (مسجد الغار / الكهف) بابه فى الجنوب الشرقى تحت الصخرة ، وأقيم على مدخله قوس (عقد) رخامى جميل محمول على عمودين ، ينزل منه – من الرواق الداخلى للمسجد إلى باطن المغارة – ست عشرة درجة رخامية ، توصل إلى " الغار الشريف " وهو أشبه بكهف كله من الرخام أبعاده ٤,٥×٤م وسقفه يرتفع قرابة ٤م (وفيه ثغرة سعتها نحو المتر) .

وفى داخل مسجد الغار الشريف (تحت الصخرة) محرابان صغيران باسم سيدنا إبراهيم وسيدنا الخضر عليهما السلام ، ويعتبر أحدهما من أقدم العناصر المعمارية فى البناء ويعود إلى عهد عبد الملك بن مروان نفسه ، ويعتبره بعض المؤرخين أقدم محراب فى الإسلام . ويتبارك زوار قبة الصخرة المشرفة بالصلاة فى مسجد الغار الشريف والدعاء فيه.

كسوة قبة الصخرة وزخارفها

حظيت قبة الصخرة المشرفة بكسوة فنية فسيفسائية ورخامية وقيشانية وبزخرفة ورسومات وكتابات بديعة نادرة منسجمة مع بعضها فى وحدة فنية متناسقة متجانسة ، دخلت فيها معظم أنواع الفنون (عدا التى نهى عنها الإسلام مثل صور الإنسان

والحيوان). فاستخدمت فى كسوتها ، سواء الخارجية أو الداخلية ، مساحات واسعة من الفسيفساء الزجاجية المذهبة أو الملونة بألوان مختلفة متجانسة ، غنية بالرسوم النباتية والأشكال الهندسية إضافة إلى لوحات تجريدية منفصلة ومكملة لمحيطها . كذلك كسيت مساحات واسعة من الجدران بالرخام المنحوت والمصقول إضافة إلى الخشب المزخرف والمذهب ، كما غطيت مساحات أخرى بكتابات عربية ، بحروف وخطوط مذهبة وفسيفسائية ، وعلى الزجاج والخزف . كل هذا التناغم والتناسق والانسجام تم باختيار دقيق وبطريقة بارعة وأسلوب بديع ، فيجد الرائى أن كل قطعة فنية وضعت فى مكانها المناسب والصحيح . وتبلغ المساحة المزخرفة بالفسيفساء – داخل المسجد – أكثر من ١٢٠٠ م٢ وهذه وحدها تعتبر عملاً فريداً من نوعه فى العالم.

كسوة البناء الخارجية

تكسو جدران بناء القبة ، المثمن الشكل ، من الخارج ، حلة فنية زاهية تأسر الأنظار ، فالجزء الأسفل منه مصفح بألواح الرخام الأبيض الجميل ، والجزء الأعلى كان مغطى بطبقة من الفسيفساء أزيلت فى العصر العثمانى ، واستبدلت بالقيشانى فى فترة حكم سليمان القانونى . والجزء الأعلى من الجدران (وهو حوالى ثلثى الارتفاع ويضم النوافذ والتصوينة التى تعلوها) زين بالقيشانى (الخزف) الملون بأرضية زرقاء وكتابات ونقوش وزخارف هندسية ونباتية وكتابات مختلفة بألوان بيضاء وخضراء وصفراء ، تعلوها – بأعلى الجدران – " سورة يس" بالخط الثلث المركب وباللون الأبيض على أرضية زرقاء . أما رسومات وزخارف النوافذ الزجاجية – فى الواجهات الثمانى – فجاءت كلوحات فنية بألوان منسجمة غاية فى الجمال والروعة ، بحيث تتشابه كل نافذتين متقابلتين فى كل واجهة أضلع ، وتُرِكَتْ فتحات دائرية فى كل نافذة لينفذ منها الضوء إلى الداخل ، وكل ضلع من الأضلاع الثمانية يختلف فى ترتيب ألوانه ونقوشه وزخارفه بحيث يظهر كل ضلع كعمل فنى مختلف لكنه منسجم مع الأضلاع الأخرى . أما الأبواب الأربعة للمسجد فألصقت على جدرانها عدة ألواح رخامية بيضاء ورمادية مشجرة تتخللها أشكال هندسية وتجريدية من رخام غامق اللون.

وتظهر "رقبة القبة" الأسطوانية – من زخارفها الخارجية – وكأنها عبارة عن ٣٢ نافذة موصولة ببعضها البعض ، تبرز منها للخارج قليلا ، الركائز (الدعامات) الأربع المستطيلة التى ترتفع عليها الرقبة ومن فوقها القبة ، وهناك فقط ست عشرة نافذة (من مجموع الـ ٣٢) يخترقها الضوء ، وهى صغيرة الحجم. ويعلو النوافذ ، فى أعلى الرقبة، مساحة كتبت عليها سورة "الإسراء" باللون الأبيض على أرضية زرقاء وبخط الثلث المركب .

القبة .. تبقى ذهبية

والقبة مؤلفة من طبقتين خشبيتين ، ومتكئة على الرقبة الأسطوانية ، بينهما فراغ به مواد عازلة للحرارة (لباد) ، ألصق على الطبقة الخارجية منها ألواح ألومونيوم مذهبة (١٠٢٠٠ لوح) تتوج بناء مسجد الصخرة ، وكانت عند إنشائها من الخشب المكسو بالنحاس المذهب ، حتى القرن التاسع الميلادى ، حيث كسيت بالرصاص القابل للتمدد ، وظلت كذلك حتى الإعمار الشامل الذى تم فى العام ١٩٥٧ – ١٩٦٤ حيث أصبحت من الألومونيوم المذهب (المطلى بالذهب) ، بعد أن أصيبت بالقنابل الإسرائيلية فى حرب ١٩٤٨.

وجرت للقبة عدة إصلاحات وترميمات جديدة للحفاظ على القبة ومسجد القبة الذى يحوى "صخرة الإسراء والمعراج المشرفة" ، حيث شهدت القبة تشققاً أدى إلى تسرب المياه عبرها إلى داخل المسجد . وقد طالبت لجنة إعمار القدس (فى كتاب " كنوز القدس" الصادر عن منظمة المدن العربية ، ١٩٨٣ (لمجموعة مؤلفين) ، بإجراء بعض الإصلاحات والترميمات العاجلة ، ومن هذه الترميمات المطلوبة : "تغيير القبة الألومونيوم الخارجية بتصفيح جديد من (ألواح الرصاص – حسب رأى اللجنة وقتها – يركب على ألواح من خشب الأرز قياس ٢,٥ سم × ٢٥ سم تركب قطرياً " ، وإصلاحات أخرى فى جوانب مختلفة .

التكسية بطبقة من الذهب الخالص

ومن جهة أخرى ، وضعت مديرية أوقاف القدس خطة لتنفيذ عملية ترميم قبة الصخرة المشرفة ، استغرق اتخاذ قرار بشأنها وقتاً طويلاً ، لأسباب فنية وأخرى مادية !! ، ويقول المهندس عدنان الحسيني – موضحاً طريقة الترميم التى ستتبع – " إنه سيتم طلاء قبة الصخرة بطريقة كهرومغناطيسية بطبقة من الذهب على ألواح من النحاس " (تقدر التكلفة بـ ٧,٠٢ مليون دولار لمراحل الترميم الأولى والتى تشمل ترميم القبة وتركيب جهاز إنذار مبكر وترميم الأروقة ، وستشارك فى عملية الترميم إحدى الشركات البريطانية المتخصصة) . ويوضح المهندس عصام عواد من لجنة إعمار الأقصر ، كيفية الترميم ، قائلاً: "سنستبدل كسوة القبة – بدلاً من الألومونيوم المذهب – بألواح نحاسية وستطلى بذهب حقيقى ، وذلك ليس للبهرجة وإنما سيوضع الذهب كحل عملى وعلمى" . ويضيف شارحاً :" ذلك على أساس المحافظة على نفس اللون الأصفر (اللون الذى انطبع فى أذهان الأجيال المعاصرة له) ، لأن النحاس يتأكسد ويصبح لونه بنياً ، أو نضطر فى كل مرة إلى تلميعه ، إضافة إلى أن عملية التلميع ستأخذ جزءاً من سماكة طبقته ، لذا ستطلى القبة بطبقة من الذهب سماكتها ٠,٠٠٢ مم (٢٠ ميكرون) على مساحة ١٢٠٠ متر مربع مساحة سطح القبة ، تستهلك حوالى ٨٠ كيلوجراماً من الذهب ، والمشروع يشمل القبة وأسقفة الأروقة" (وقد فرغت اللجنة من أعمالها قبيل قدوم ذكرى الإسراء والمعراج ، ليتم الاحتفال بها ، والقبة مكسوة بالذهب الخالص) . ويوضح عصام عواد : " كما سيوضع هيكل خشبى جديد ويرفع الخشب المزخرف مؤقتاً ، ويعاد بعد الترميم بالإضافة إلى جهاز إنذار مبكر حتى تمنع احتمالات الحرائق المفاجئة ! ، فالجيش الإسرائيلى لا يتورع عن إلقاء قنابل داخل البناء وسبق أن أطلقت قنابل من أنواع مختلفة لذا يجب الحفاظ على قيمة هذا الأثر" ! ، وأضاف :" إننا فى حالة صراع حول تهويد القدس ، لذا يجب أن نؤكد ، من خلال صيانتنا لمقدساتنا ، الحفاظ على هوية المدينة العربية الإسلامية ، وفى مقدمتها قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك وساحة الحرم القدسى الشريف ".

كسوة البناء الداخلية

لا تزال قبة الصخرة المشرفة غنية بزخارف الفسيفساء فى كثير من أرجائها الداخلية (رغم ما أزيل منها - من الخارج - واستبدل بالقيشانى) . وقوام هذه الزخارف رسوم الفاكهة والأشجار والأوانى التى تخرج منها الفروع النباتية ورسوم الأهلة والنجوم مكسوة بالفسيفساء ذات الفصوص المتراصة بأشكال زخرفية وألوان متجانسة تميل إلى زرقة هادئة . وتحتوى قبة الصخرة على كتابة كوفية قوامها آيات قرآنية طولها ٢٤٠ متراً من الفسيفساء المذهبة على أرضية زرقاء داكنة (أعلى التثمينة الداخلية) ، وكذلك الروابط الخشبية الضخمة التى تربط تيجان الأعمدة (لتزيد قوة احتمال الأقواس ومقاومتها لهزات الزلازل) بعضها ببعض ، حُليت بصفائح معدنية فيها نقوش بارزة غاية فى الدقة والإبداع.

كسوة الجدران المثمنة

من الداخل تكسو الجزء السفلى من جدار البناء المثمن ، كمثيله من الخارج ، ألواح الرخام الأبيض والرمادى المشجر ، تتخلله إطارات وأشكال هندسية من الرخام الغامق اللون ، والأبواب صنعت بطريقة مزدوجة من خشب ثمين مكسو بصفائح الرصاص ، أما الشبابيك والنوافذ المزججة فقد زخرفت بألوان وأشكال دقيقة ومتعددة ، يختلف كل منها عن الآخر فى الزخارف والألوان والآيات القرآنية ، فقد نسخ على كل نافذة آية من القرآن الكريم جعلها تتفرد بزخارفها عن غيرها من باقى نوافذ البناء ، كما دون على الجدار أسماء وتاريخ التجديدات والإصلاحات والترميمات التى حدثت لقبة الصخرة . ومعظم النوافذ "المزينة بالذهب" صنعت بأمر السلطان سليمان القانونى كما جدد أبوابها وجاءها بقطع القيشانى من جميع بقاع الأرض ، وقد دون على جانب الباب الشمالى لمسجد قبة الصخرة (المعروف بـ "باب الجنة") كتابة نقشت بالذهب على لوحة نحاسية ، جاء فى نصها : " قد جدد بحمد الله قبة الصخرة من بيته المقدس الفائقة ببنائها ، فى ظل دولة السلطان الأعظم والخاقان الأكرم واسطة عقد الخلافة بالنصر والبرهان أبو الفتوح سليمان خان " (٩٥٠ هـ / ١٥٤٣م) .

كسوة التثمينة وزخارفها

يتكون المثمن الأوسط (التثمينة الداخلية) من ثماني دعائم مكسوة بالرخام المعرق وستة عشر عموداً رخامياً ملوناً مرتبة بحيث يفصل بين كل دعامتين منها ، عمودان ذات تيجان مختلفة الطراز . وصبغت تيجان الأعمدة الكورنثية الطراز باللون الذهبي وأبقيت قواعدها المكعبة بيضاء ناصعة . ويعلو هذه الدعائم والأعمدة عقود زينت بطنياتها وتواشيحها (جدرانها) بطبقة من الفسيفساء قوام زخارفها عناصر من رسوم نباتية مختلفة بألوان متجانسة ومذهبة ، وبين الأعمدة أوتار وروابط خشبية مكسوة بالبرونز بنقوش كلاسيكية مذهبة غنية بالزخارف الشرقية ، وتعلو الروابط الخشبية قناطر تزينها فصوص مذهبة . ورصعت القناطر الوسطى ، من الداخل والخارج ، بالفسيفساء الزجاجية المزينة بالفص المذهب البديع بأنواع التشجير والتنميق. فهي تحوي أشكالاً متعددة للنباتات : النخيل والعنب ، وأكاليل الزهور وقطوف البلح الدانية ودوالي العنب الممتدة إلى أعالي الأركان أو المنتشرة على توشيحات القناطر ، وأكاليل أزهار وأغصان وأوراق نبات في سلاسل ذهبية وصدفية تتفرع وتنتشر على الجدران. وفوق القناطر الوسطى سقف خشبي مائل (للرواقين الداخلي والخارجي) ، جمالون من الخشب مزدوج الكسوة ألواحه الخشبية ثمينة زخرفت بأشكال هندسية جميلة عليها نقوش مختلفة من الباطن (داخل البناء) وعليه ألواح من الرصاص من الخارج (سقف البناء المسجد المثمن من الخارج).

وهذه الزخرفة تنقسم – بحسب تاريخ صنعها إلى ثلاثة أقسام واضحة الأسلوب ، منسجمة بعضها البعض وتؤلف وحدة بديعة متناسقة ، وهي :

١- زينة التوشيحات وبواطن قناطر المثمن الأوسط من الداخل والخارج رصد فيها تاريخ البناء (عبد الملك بن مروان : ٧٢ هـ) وآيات قرآنية بالحروف الكوفية المبكرة ، تمتد على طول ٢٤٠ متراً بلون ذهبي على أرضية زرقاء على رؤوس القناطر المحاذية للمطاف (الرواق) الخارجي . وتعتبر هذه الكتابات وثائق تاريخية لأول الكتابات العربية الفنية . والفسيفساء المحيطة بالكتابة شبيهة جداً ، حجماً وشكلاً وأسلوباً ، بتلك المؤرخة سنة ٧٢ هـ / ٦٩١ م عند الانتهاء من إقامة البناء ، ولا شئ يدل على انفصال الواحدة عن الأخرى مما يؤكد صنعها في زمن واحد ومعاصرتها لتاريخ البناء نفسه.

٢- زينة الوجه الخارجى لقناطر الرواق الداخلى المستدير (الحامل للقبة) وهى من الرخام الملون المرصع بالفسيفساء ، وهى غير مؤرخة وبدون كتابات .

٣- الفسيفساء التى تزين الجزء المجدد والمعمر فى عهد الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمى (٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) ، إثر حدوث زلزال سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، فى زمن والده الحاكم بأمر الله ، سقطت بسبب بعض أجزاء قبة الصخرة المشرفة ، وكانت وقتها مغطاة من الخارج بالرصاص ومن الداخل مكسوة بالفسيفساء . وتم إعمارها على يد " على بن أحمد " (المنقوش اسمه على الخشب الموجود فى دهليز دائرة القبة) . وظل الكثير من إعمار الظاهر لإعزاز دين الله ، قائما إلى منتصف القرن العشرين الميلادى كالعقود التى تحمل القبة والفسيفساء المذهبة والرواق الأوسط بأعمدته وما يعلوها من أقواس .

دائرة الرقبة والقبة

أما الدائرة الداخلية فى البناء ، دائرة القبة التى تحيط بالصخرة المشرفة ، فقد بنيت من الأعمدة الرخامية والأكتاف (الدعائم) الرخامية البيضاء ، وبين كل دعامتين ثلاثة أعمدة من الرخام الملون ، وتحمل ٤ عقود (أقواس) من ترابيع الرخام الملون (الأبيض والأسود) بحيث يعقب كل حجر رمادى فاتح فى كل عقد حجر غامق . أما القناطر التى ترتكز عليها رقبة القبة ، فقد رصعت من الخارج (من ناحية الرواق الأوسط) بالفسيفساء دون كتابات ، أما من الداخل (وإلى أعلى) وهى رقبة القبة التى تحملها الدعائم ، وهى مساحة واسعة مكسوة بالفسيفساء ذات الفصوص المتراصة بكتابات وأشكال زخرفية قوامها أوانى الزهور والأشكال الالتوائية والفروع النباتية بألوان متجانسة تميل إلى زرقة هادئة غاية فى الجمال والروعة ، تعلوها - أعلى الرقبة - ست عشرة نافذة مفتوحة (من ٣٢ ظاهرة) مزخرفة بالقيشانى من الخارج - خارج المسجد ، ومكسوة برخام معرق وزخارف جصية ، بها زجاج مزخرف بأشكال هندسية دقيقة من الداخل . ويعلو النوافذ كورنيش من الرخام عليه نقوش مذهبة ترتكز عليه القبة. ويفصل زخرفة القبة الداخلية عن الرقبة ، قنطرة دائرية صغيرة العقود أقواسها مركبة (تنفذ من جدرانها أربعون نافذة صغيرة تعلوها ٥٦ طاقة أقل اتساعا من النوافذ ، وتطل على داخل المسجد) . وفوق

الأقواس المركبة بقليل لوحات منفصلة مكتوبة بالخط الثلث المركب وبحروف ذهبية بارزة تثبت تواريخ التجديد وأسماء مصلحيها ، ويظهر مكتوبا على أحد جوانبها التجديد والإصلاح الذى تم فى عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى ، ويقول النص : " بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد وتذهيب هذه القبة الشريفة مولانا الملك الناصر العالم العادل العامل صلاح الدين بن يوسف بن أيوب تغمده الله برحمته وذلك فى شهور سنة ست وثمانين وخمسمائة" .

والقبة التى تأخذ شكلا نصف بيضاوى ، مكسوة ومزينة من الداخل بطبقة من الجص المذهب المزخرف بمجموعة من النصوص الذهبية البارزة على الطريقة العربية الإسلامية ، بألوان مختلفة آية فى الجمال والدقة والإبداع الفنى وكتبت فى أعلاها آية الكرسى.

مسك وعنبر

يقول أبو محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال بن تميم بن سرور المقدسى (المتوفى ٧٦٥هـ / ١٣٦٤م) فى كتابه "مثير الغرام بفضائل القدس والشام" عن اهتمام أهل القدس بقبة الصخرة : "بلغ من تعظيم المسلمين قبة الصخرة أنهم كانوا فى كل يوم اثنين وخميس يطحنون الزعفران ويمزجونه بالمسك والعنبر والماء وردى الجورى ، ويخمرون هذا المزيج ليلا ، وفى الغداة يأمرون الخدم فيدخل هؤلاء الحمام ويغتسلون ويتطهرون ثم يرتدون الثياب النظيفة ويأتون إلى مسجد الصخرة ، حاملين ما تخمر بالأمس ، وبعد أن يغسلوا الصخرة يأتون بمجامر الذهب والفضة ، فيها العود والند الممزوج بالمسك والعنبر ، فيرخون الستور حول الأعمدة كلها ، ثم يحملون البخور ويدورون حول الصخرة . ثم ينادى المنادى فى سوق البزازين : "ألا إن الصخرة قد فتحت للناس .. فمن أراد الصلاة فليأت .. " . وكان يقف على كل باب من أبواب المسجد عشرة من الحجاب ، ومتى دخله المصلون شموا رائحة البخور والمسك والعنبر" .

المبحث الخامس : المسجد الأقصى المبارك

يرجع تاريخ المسجد الأقصى ، كمكان مقدس للعبادة ، إلى قدم التاريخ . وقد أورد القاضى مجير الدين العليمى الحنبلى فى كتابه "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل" أن سيدنا آدم عليه السلام هو أول من بنى مسجد بيت المقدس ، عن بعض المؤرخين ، وأنه دفن أيضا بين القدس والخليل . وهناك رواية أخرى تقول إن سيدنا إبراهيم عليه السلام ، أبا الأنبياء ، بنى المسجد الأقصى كبناء مقدس ، بعد بناء البيت الحرام (الكعبة المشرفة) فى مكة ، بأربعين سنة ، ويؤكد ذلك حديث نبوى شريف ، عن أبى ذر (رضى الله عنه)، قال : سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن أول مسجد وضع على الأرض فقال : "المسجد الحرام" ، قلت ثم أى ؟ قال : " المسجد الأقصى " ، قلت : وكم بينهما ؟ قال : " أربعون عاما ثم الأرض لك مسجدا فحيثما أدركتك الصلاة فَصَلِّ فيه ، فإن الفضل فيه " ، وتذهب بعض التفاسير إلى أن الذى بنى الأقصى هو " يعقوب " بن اسحق ، وليس سيدنا إبراهيم ، ويقال – فى روايات أخرى – إن "يعقوب" طوره فقط ! فى حين تحدد بعض الروايات أن "يعقوب" هو الذى بناه وأن "سليمان" طوره وجدده .

يقول الزركشى فى كتابه " إعلام الساجد " ، " أن سليمان عليه السلام إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه والذى أسسه هو يعقوب بن إسحق عليهما السلام بعد بناء إبراهيم (عليه السلام) الكعبة بهذا القدر " . وتقول " رواية توراتية " إن سيدنا إبراهيم الخليل " همّ " بذبح ابنه (تقول الرواية "إسحاق" !! وليس إسماعيل) على " صخرة " بيت المقدس (وليس الكعبة المشرفة فى مكة المكرمة كما ورد فى القرآن الكريم) .

البداية والاكتمال

أما المسجد الأقصى الحالى (البناء المتعارف على تسميته بالمسجد الأقصى ويقع فى الجهة الجنوبية من الحرم القدسى الشريف / ساحة الأقصى المبارك) فتنسبه بعض المصادر إلى عهد سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، وقد بنى من الخشب ، مربع الشكل ، أمر به سيدنا عمر مسجدا لرجال الفتح يؤدون فيه صلواتهم ، وكان يتسع لثلاثة آلاف مصل ولا يتسع لأعداد المصلين الباقية (تقول رواية إنه أقيم مكان القبة

ورواية أخرى إنه أقيم مكان المسجد الأقصى الحالى) . وعندما انتهى الخليفة عبد الملك بن مروان من بناء مسجد قبة الصخرة شرع فى بناء المسجد الأقصى (فى مكانه الحالى) سنة ٧٤هـ / ٦٩٣م ، واستمر البناء فيه حتى سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥م ، وتوفى عبد الملك بن مروان قبل إتمام البناء ، فأتمه ابنه الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ / ٧٠٥ - ٧١٥م) الذى عزم على إتمام ما بدأ به أبوه واستمر البناء حتى سنة ٩٠هـ / ٧٠٩م، فأحضر الفسيفساء من القسطنطينية إلى دمشق ومنها إلى بيت المقدس ، وخرج بيت المقدس على الطراز الباسليكى الذى يتناسب مع الأبنية الواسعة وعلى غرار المسجد الأموى بدمشق . ويقال إن أبواب الأقصى - زمن الأمويين - كانت مصفحة بالذهب والفضة ، ولكن أبا جعفر المنصور أمر بخلعها وصرفها دنانير تنفق على المسجد (ويقال فى رواية أخرى إنه خشى على بيوت الله من البهرج الزائد !) .

وفى حين ينسب المؤرخون المسلمون (مجير الدين الحنبلى والبشارى المقدس والسيوطى وشهاب الدين المقدس) بناء المسجد الأقصى إلى عبد الملك بن مروان ويذكرون أنه بناه سنة ٧٢هـ / ٦٩١م !! وهذا غير صحيح أو أن المقصود منه هو إتمام بناء قبة الصخرة فى هذا التاريخ ، ينسب بعض المؤرخين الآخرين (مثل : ابن الأثير ، وابن البطريق ، وابن الطقطقى) بناء المسجد إلى الوليد بن عبد الملك، وهذا أقرب إلى الصحة . والواقع ، بل إن الأدق كما أوضحنا سابقا - أن عبد الملك بدأ البناء وأتمه ولده الوليد سنة ٩٠هـ / ٧٠٩م.

ويختلف البناء الحالى للمسجد الأقصى عن الذى بناه عبد الملك وولده الوليد اختلافا كبيرا ، ولم يبق من هيئته الأصلية إلا أجزاء قليلة بسبب تأثره بالهزات الأرضية وعوامل الطبيعة الأخرى مما أدى إلى إعادة أقسامه فى العهود العباسية والفاطمية والصليبية والأيوبية والمملوكية . والجزء الأكبر من الشكل الحالى للمسجد الذى نراه اليوم هو من عمل وإعمار الخليفة الفاطمى الظاهر لإعزاز دين الله ، وقد ضيق المسجد من الغرب ومن الشرق بحذف أربعة أروقة من كل جانب من المسجد ، وصنع له الأبواب السبعة التى فى واجهة المسجد من الناحية الشمالية . أما الأقواس السبعة التى تقابل الأبواب ، وتصنع الرواق الشمالى للمسجد فقد أقامها الملك عيسى بن أيوب (فى سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م) ، ومع العديد من سلاطين الأيوبيين ثم المماليك ثم العثمانيين ، أجروا إصلاحات

وإعمارات كثيرة ، إلا أن إصلاحات وترميمات وإعمارات الناصر صلاح الدين الأيوبى - بعد أن حرر القدس من أيدى الصليبيين - ومن بعده الملك عيسى ابن الملك العادل أخى صلاح الدين ، وإصلاحات عهد الأيوبيين ، هى التى بقيت واضحة وتميز شكل المسجد الحالى . ففى سنة ١٠٩٩م سقطت القدس فى يد الصليبيين ، "وما تلى ذلك - كما يقول تشارلز جولستون فى كتابه : القدس - التراجيديا والملهاة ، ميتشجان ، ١٩٧٨ . ص ١٩٥ - يعتبر وصمة لا تمحى فى تاريخهم . ففى منطقة (حائط البراق) وصل الدم إلى ركب الخيل لدى تقدم الغزاة نحو المسجد الأقصى " !! وعبثت أيديهم بالحرم القدسى الشريف وبساحة المسجد الأقصى . وكما يقول جون جراى فى كتابه : تاريخ القدس ، نيويورك ، ١٩٦٩م ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ ، حَوّل الصليبيون / الفرنجة بعض المساجد إلى كنائس ، ومنها مسجد قبة الصخرة الذى صار كنيسة باسم "هيكل السيد "! وجعلوا قسما من المسجد الأقصى كنيسة واتخذوا القسم الآخر مسكنا لفرسان الهيكل (الاستبارية) ومستودعا لذخائرهم!

صلاح الدين والمسجد الأقصى

وعندما فتح الناصر صلاح الدين الأيوبى ، القدس الشريف يوم الجمعة ٢٧ من رجب سنة ٥٨٣هـ ، الموافق ٢ أكتوبر ١١٨٧م ، وكان يتوافق مع ليلة الإسراء والمعراج، ودخل صلاح الدين ساحة المسجد الأقصى المبارك يوم الجمعة ٤ من شعبان ٥٨٣هـ - الموافق ٩ أكتوبر ١١٨٧ م ، ليصلى فى قبة الصخرة المشرفة ويشكر الله على عظيم توفيقه وعزيز نصره المؤزر ، بعد أن أزال الصليب (الذى رفع فوق القبة) ومظاهر الاحتلال الصليبى وأمر بإصلاح المسجد الأقصى وإعادة البناء إلى ما كان عليه قبل الاحتلال فجدد قبة الصخرة ٥٨٥هـ / ١١٨٩ م ، وجدد الناصر صلاح الدين محراب المسجد الأقصى وكسا قبته بالفسيفساء وأتى بالمنبر المرصع بالعاج والأبنوس والصدف المزخرف زخرفة نادرة (الذى أمر نور الدين محمود زنكى ٥٦٤هـ / ١١٦٩م - قبل وفاته - بصنعه خصيصا للمسجد الأقصى) من حلب (بعض المصادر ، مثل موسوعة الفن فى العصر الأموى ، تذكر أنه أحضره من عسقلان) ووضعه صلاح الدين الأيوبى

فى المسجد الأقصى على يمين المحراب . وبقى فى مكانه إلى أن أحرقته إسرائيل فى جريمتها الدنيئة يوم ٢١/ ٨/ ١٩٦٩ .

عمارة الاقصى وزخرفته

يبلغ طول المسجد الأقصى الحالى (من الداخل) ٨٠ متراً وعرضه ٥٥ متراً ، ومساحته ٤٥٠٠ متراً مربعاً ، وتم تجديد جميع أعمدته القديمة وتوحيد أشكالها وعددها ٥٣ عمودا مستديرا من الرخام و٤٩ سارية مربعة من الحجارة ، وارتفاع الأعمدة والسوارى خمسة أمتار قامت فوقها أقواس حجرية ، اتساع كل منها تسعة أمتار ، وتربط بين الأعمدة مشدات نحاسية منقوشة طولها ٩ أمتار بين العقود المحمولة على الأعمدة . وللمسجد أحد عشر بابا سبعة منها على الجانب الشمالى للمسجد (واجهته وهى المقابلة لقبة الصخرة) وواحد فى الجانب الشرقى واثنان فى الجانب الغربى وواحد فى الجانب الجنوبى .

وفى مقدمة المسجد (الواجهة الشمالية) سبعة أروقة ، أمام الأبواب الشمالية ، رواق أوسط مرتفع قليلا وثلاثة أروقة فى جهة الشرق وثلاثة مماثلة فى جهة الغرب . وأبواب المسجد متساوية لكن أوسطها هو أعلاها وكذلك البهو الأوسط داخل المسجد هو أعلاها وأجملها وهو مزخرف بالفسيفساء الملونة التى يغلب عليها الزرقة . وبدخول هذه الأبهاء الرحبة ينتهى المطاف إلى تحت القبة القبلية (تقع فى الجزء الجنوبى من المسجد ، وهى فضية اللون (من الخارج) وترتفع ١٧ متراً عن الأرض وتكسوها الفسيفساء الجميلة فى انسجام بديع متناسق ومتناغم تضم جميع مظاهر الفن وتعتمد على الزينات النباتية ، دون وجود أى رموز أو صور حيوانية أو آدمية . وفى قبلة المسجد الأقصى يقف منبر نور الدين زنكى ومحراب صلاح الدين الأيوبى ، وحول المحراب كتبت الآية الأولى من سورة الإسراء : "**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** " صدق الله العظيم ، والآية الثانية من سورة الإسراء : " **وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا** " . صدق الله العظيم .

الحريق

وفى ١٩٦٩/٨/٢١ ، أقدمت إسرائيل على جريمة بشعة بمحاولة إحراق المسجد الأقصى المبارك ، بهدف التخلص من وجوده ! ، مدعية أن شخصا مختلا اسمه "روهان" هو الذى قام بمحاولة الحريق بمفرده !! وقد أتى هذا (الحريق) على ثلث مساحة المسجد الإجمالية وأحرق معه منبر صلاح الدين الأيوبى ومسجد عمر ومحراب زكريا ومقام الأربعين وثلاثة أروقة ممتدة من الجنوب شمالا مع الأعمدة والأقواس والزخرفة والسقف الذى سقط على أرض المسجد وعمودين رئيسيين مع القوس الحامل للقبة وأجزاء من القبة الخشبية الداخلية المزخرفة ، والمحراب والجدار الجنوبى وتصفيح الرخام و٤٨ شباكا من الجبس والزجاج الملون والسجاد العجمى ولوحة "سورة الإسراء" التى تتبدى من فوق المحراب وتمتد شرقا ، والمصنوعة من الفسيفساء المذهبة وكثير من الزخارف والآيات القرآنية . وقد تم ترميم جميع الأجزاء المحترقة (فى عام ١٩٨٤ ما عدا منبر صلاح الدين الأيوبى) وتركيب سورة الإسراء وتصفيح بعض الرخام وترميم القبة الداخلية ، وهى من أهم وأصعب عمليات الترميم التى تمت بالاستعانة بمؤسسة اكروم الإيطالية .

حفريات حول وتحت الاقصى

وقد قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلى بالعديد من المحاولات لتهويد المدينة المقدسة ككل (عن طريق أحزمة الاستيطان) ، ومحاولات تهويد الحرم القدسى الشريف ومحاولة هدمه والتخلص منه وإزالة المسجد الأقصى وكذلك المبانى الإسلامية وذلك للاستيلاء الكامل على الحرم القدسى الشريف ، بحجة البحث عن بقايا الهيكل ، من أجل إعادة بناء هذا الهيكل المزعوم . وشرعت سلطات الاحتلال الإسرائيلى فى العديد من أعمال الحفريات حول المسجد الاقصى وتحته من الناحيتين الجنوبية والغربية ، منذ عام ١٩٦٧ . وقد عجزت أعمال الحفر حول الاقصى وتحته ، المستمرة منذ ١٩٦٧/٦/١٣ ، عن التوصل إلى أى آثار من الهيكل المزعوم ، بل وجدت أثراً قديماً لقصر أموى مما أصاب السلطات الإسرائيلية "بخيبة أمل كبيرة" لعدم اكتشاف "هذه البقايا" لهيكلهم المزعوم، حسب توقعاتهم ، أو الوصول إلى أية دلالات أثرية أو شواهد على ذلك باعتراف علماء الآثار الإسرائيليين أنفسهم ، حتى عندما وصلت الحفريات إلى "مرحلة النفق" الذى يصل

ما بين أسفل حائط البراق وأسفل قبة الصخرة المشرفة (اكتشفت هيئة الأوقاف الإسلامية عمليات الحفر الإسرائيلية فى هذا النفق عن طريق الصدفة بتاريخ ١٩٨١/٨/١٧) ، وأرسلت يوم ١٩٨١/٩/٢ فريقا من الفنيين والعمال العرب لإغلاق النفق ، وقام المتطرفون الصهاينة - ومن ورائهم السلطات الإسرائيلية - بالتصدى للفريق والاشتباك معهم مما أدى إلى وقوع ثلاثة جرحى من العرب ، وإثر ذلك أعلنت الهيئة الإسلامية الإضراب العام - يوم الخميس ١٩٨١/٩/٣ - وتمكنت الهيئة ومعها الجماهير العربية من إغلاق فتحتى النفق من الناحيتين .

وقد ادعت أجهزة الإعلام الإسرائيلية - وقتها - أن اكتشاف هذا النفق ينطوى على "بعض الدلالات الأثرية" !! التى تخدم عملية البحث عن الهيكل المزعوم ، لكن علماء الآثار اليهود اعترفوا بوضوح ، ومنهم مئير بن دوف ، أن العثور على هذا النفق لا يعد اكتشافا ، لأن النفق كان معروفا منذ ١١٠ عاماً عندما اكتشفه الكولونيل تشارلز وارين وهو جزء من شبكة أقنية مائية أقيمت فى القدس ولم تكن هذه الأقنية سرية . ومن ناحية أخرى ، تبين - من خلال تقارير عديدة - أن النفق أثر إسلامى خالص وهو يمتد من أسفل الحائط الغربى للحرم القدسي الشريف فى الموقع المسمى "بالمطهرة" (ما بين بابى القطانين والسلسلة) باتجاه الشرق مسافة ٢٥ متراً وبعمق ستة أمتار حتى يصل إلى مقابل سبيل قايتباى المواجه لقبة الصخرة المشرفة ، وعلى بعد ٣٠ متراً منه إلى الجهة الغربية.

كما قامت السلطات الإسرائيلية ، رسميا ، بعمل وحفر ثلاثة أنفاق حفرت مباشرة تحت الأقصى تهدد بشكل واضح بناء المسجد ، مما قد يؤدى إلى تصدعه وانهياره ! أو وصوله إلى حالة سيئة تسمح بهدمه ، وفرض الأمر الواقع الصهيونى على الحرم القدسى الشريف ، من أجل تهويد المكان وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه ، وتحقيق النوايا الإسرائيلية المبيتة تجاه الأقصى والحرم القدسى الشريف ، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، والعمل على إنهاء الارتباط الإسلامى التاريخى لبيت المقدس ، الذى يمثل الأقصى المبارك رمزا لقداسته وأهميته الدينية والتاريخية .

الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

الجغرافيون والرَّحَّالة المسلمون فى مدينة بيت المقدس فى العصر الإسلامى

دكتور أسامة محمد فهمى صديق
مدرس التاريخ الإسلامى - كلية الآداب - جامعة أسيوط

مقدمة

تمثل القدس عند المسلمين تاريخا مقدسا ، حيث المسجد الأقصى ، وحيث موطن إسراء النبى صلى الله عليه وسلم ومعراجه إلى السماء . و" لم تكن القدس بالنسبة للمسلمين مجرد مدينة على الخريطة ، وإنما كانت لهم أولى القبلتين وثالث الحرمين "[١] .

خرج العرب فى زمن الخلفاء الراشدين (١١ - ٤٠ هـ / ٦٣٢ - ٦٦١ م) من الجزيرة العربية لنشر الإسلام فى غير بلاد الإسلام ، وتمكنوا من تطويق ولايات الإمبراطورية البيزنطية ، فضموا الشام ومصر ، وتمكنوا من القضاء على امبراطورية آل ساسان الفرس ، وضموا العراق وإيران [٢].

" ومع تيار الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام ، اتجهت الجيوش الإسلامية بقيادة عمرو بن العاص لفتح بيت المقدس ، وظلت تلك الجيوش ما يقرب من أربعة شهور تحاصر بيت المقدس " [٣].

" وفى هذه الأثناء عرض المسلمون على الروم - فى بيت المقدس - أن يدخلوا فى دين الله أو يدفعوا الجزية ، لذلك تشاوروا فى أمرهم وما وصل إليه حالهم وعرضوا أن يقبلوا الصلح مع المسلمين على أن يتم توقيعه مع الخليفة عمر بن الخطاب لا مع قائد الجيوش الإسلامية عمرو بن العاص ، لما لمدينة بيت المقدس من الأهمية والقداسة الدينية

" [٤] . وقد أشارت المصادر التاريخية إلى فتح بيت المقدس ، فنجد البلاذرى [٥] يتحدث عن الفتح بقوله " :

"طلب أهل إيلياء (بيت المقدس) الأمان والصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام من أداء الجزية والخراج والدخول فيما دخل فيه نظراؤهم على أن يكون المتولى للعقد لهم عمر بن الخطاب نفسه ، فقدم عمر فنزل الجابية من دمشق ثم صار إلى إيلياء فأنفذ صلح أهلها وكتب لهم به ، وكان فتح إيلياء فى سنة سبع عشرة هجرية " .

ونستخلص من كتابات البلاذرى [٦] ، ما يفيد بأن حملة عمرو بن العاص على بيت المقدس حققت أهدافها " بعد أن تسلمها الخليفة عمر بن الخطاب من البطريرك اليونانى على بيت المقدس صفرنيوس سنة ١٧ هـ/٦٣٨ م [٧] " .

" وبعد أن أتم الخليفة عمر بن الخطاب ما أراد من فتح بيت المقدس سلما ، واستلام المدينة وتنظيم أمورها عاد إلى المدينة [٨] " .

*** الجغرافيون والرحالة المسلمون فى مدينة بيت المقدس زمن الأمويين والعباسيين [٩]**

" كانت لمدينة بيت المقدس جاذبيتها الخاصة فى عيون المسلمين مثلها مثل مكة والمدينة" [١٠] ، وقد أطنب رحالة وجغرافيو المسلمين الذين تحدثوا عن المدينة زمن الأمويين والعباسيين فى وصفها وفى تصوير الحياة الدينية والاقتصادية والاجتماعية بها .

وقد انقسمت الشام فى العصر الأموى إلى أجناد خمسة وهى : جند دمشق ، وجند حمص ، وجند فلسطين ، وجند الأردن ، وجند قنسرين [١١].

كانت كور جند فلسطين ايلياء وهى بيت المقدس[١٢] وعمواس ونابلس وسبسطية وكورة بيت جبرين[١٣] .

*** أشار المؤرخ والجغرافى والرحالة المسلم الكبير اليعقوبى (توفى ٢٨٤هـ/ ٨٩٧ م)** إلى الأهمية الدينية لكورة بيت المقدس زمن الأمويين والعباسيين " .. ولفلسطين من الكور كورة إيليا وهى بيت المقدس وبها آثار الأنبياء " [١٤] .

* **أما المؤرخ والجغرافى ابن الفقيه الهمذانى (توفى ٢٩٠ هـ/ ٩٠٢م) [١٥] فنجده** يتحدث عن مدينة بيت المقدس زمن الأمويين والعباسيين بإسهاب ، موضحا مكانتها الدينية الكبيرة فى نفوس المسلمين [١٦].

ومن الأمور الجديرة بالملاحظة ، أن ابن الفقيه حرص على إيراد تميز مدينة بيت المقدس بالأماكن الدينية المقدسة وأهميتها الدينية ، إذ أشار إلى ذلك بقوله [١٧] : ... شدد الله عز وجل ملك داود عليه السلام ببيت المقدس ، وسخر الله له الجبال والطير يسبحن ببيت المقدس ووهب الله عز وجل له سليمان عليه السلام بها ، وغفر لسليمان ذنبه وفهمه الحكمة فى بيت المقدس ... ، واصطفى الله عز وجل مريم بها على نساء العالمين . وفى الخبر " من صلى فى بيت المقدس فكأنما صلى فى السماء " وتزف الكعبة بجميع حجاجها يوم القيامة إلى بيت المقدس ... ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : لا تشد الرحال إلى أفضل من ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى ومسجد بيت المقدس ... ، وهى أول أرض بارك الله عز وجل فيها ... وبها موضع الصراط ... ، وصدق إبراهيم الرؤيا بها وكلم عيسى عليه السلام الناس فى المهد بها ... ، وما من ماء عذب إلا يخرج من تحت الصخرة التى ببيت المقدس ... ، وقالت ميمونة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت لرسول الله .. أفتنا عن بيت المقدس ، قال : نعم المصلى ... فصلوا فيه فإن الصلاة فيه كألف صلاة ... ، وعن ابن عباس قال : " بيت المقدس بنته الأنبياء وعمرته الأنبياء ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبى ... " ، وعن وهب بن منبه قال : " أمر إسحاق ابنه يعقوب ألا ينكح امرأة من الكنعانيين وأن ينكح من بنات خاله .. وكان مسكنه فلسطين فتوجه إليه يعقوب فأدركه فى بعض الطريق تعب فبات متوسدا حجرا فرأى فيما يرى النائم كأن سلما منصوبا إلى باب السماء عند رأسه والملائكة تنزل منه وتعرج فيه وأوحى الله عز وجل إليه إنى أنا الله لا اله إلا أنا إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وقد ورثتك هذه الأرض المقدسة وذريتك من بعدك ... وجعلت فيكم الكتاب والحكم والنبوة ثم أنا معك حتى أردك إلى هذا المكان فاجعله بيتا تعبدنى فيه وذريتك فيقال إن ذلك بيت المقدس ، ومات عنه داود عليه السلام فلم يتم بناءه وأتمه سليمان ... ، ... فلما فرغ من بنائه اتخذ سليمان ذلك اليوم عيدا فى كل سنة وجمع عظماء بنى إسرائيل

وأحبارهم فأعلمهم أنه بناه لله جل وعز ... ثم قام على الصخرة رافعا يديه إلى الله جل وعز وحمده ومجده ".

" ويقال إن طول مسجد بيت المقدس [١٨] ألف ذراع .. وعرضه سبعمائة ذراع وفيه أربعة آلاف خشبة وسبعمائة عمود وخمسمائة سلسلة نحاس ... وعلى يمين المحراب بلاطة سوداء مكتوب فيها خلقة محمد صلى الله عليه وسلّم " وفى ظهر القبلة فى حجر أبيض كتابة بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله نصره حمزة " ... ووسط المسجد دكان (دكة) ، وله ست درجات إلى الصخرة والصخرة وسط هذا الدكان (الدكة) وهى مائة ذراع فى مائة ذراع ، ارتفاعها سبعون ذراعا ... وحجر الصخرة ثلاثة وثلاثون ذراعا فى سبعة وعشرين ذراعا تحتها مغارة يصلى فيها الناس ... وفرش القبة رخام أبيض وسقوفها بالذهب ... والقبة بناها الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان [١٩] على اثنى عشر ركنا وثلاثين عمودا وهى قبة على قبة عليها صفائح الرصاص وصفائح النحاس مذهبة جدرها ... وعند الصخرة قبة المعراج ... ومن خارج المسجد على باب المدينة فى الغرب محراب داود ومربط البراق فى ركن منارة القبلة ... " .

ونستخلص من كتابات ابن الفقيه ، وهى أقدم وصف لقبة الصخرة والمسجد الأقصى [٢٠] مدى أهمية مدينة بيت المقدس من الناحية الدينية ، ومكانتها الخاصة عند المسلمين . " ولا ريب أنه منذ مجىء الخليفة عمر بن الخطاب وقبوله تسلم القدس ، زادت أهمية بلاد الشام ونظر العرب إلى هذا القطر نظرة جدية حيث إنهم ، اعتبروه فيما بعد فى عهد الأمويين ، أرضا عربية أفضل من الحجاز : لغناه وموقعه الممتاز ووجود الصخرة المقدسة والمسجد الأقصى به " [٢١] .

*** الجغرافيون المسلمون فى مدينة بيت المقدس (فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) [٢٢]**

أشار الجغرافى الكبير ابن حوقل [٢٣] ، والجغرافى الكبير المقدسى[٢٤] كذلك إلى الحياة الدينية والاقتصادية والاجتماعية فى مدينة بيت المقدس (فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) .

أما ابن حوقل (توفى ٣٨٠هـ/ ٩٩٢م) ، فقد حرص على إيراد تميز بيت المقدس بالأماكن الدينية الهامة لاسيما المسجد الأقصى وقبة الصخرة [٢٥] .

" أما الزوايا الاقتصادية لدى ذلك الجغرافى فى حديثه عن الحياة الاقتصادية فى مدينة بيت المقدس ، فنجد تناوله للنشاط الزراعى فى المدينة ، ووصفه لعيون الماء والشجيرات التى حولها ، " وهى من أخصب بلاد فلسطين على مر الأوقات " [٢٦] ، ووصفه لأشجار الزيتون والتين والجميز فى مدينة بيت المقدس [٢٧].

وفيما يتصل بالجغرافى الكبير المقدسى - وهو ينسب إلى مدينة بيت المقدس - (توفى ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م) نجد أنه أشار إلى مكانة مدينة بيت المقدس عند المسلمين ، والأماكن الدينية الهامة فى بيت المقدس كالمسجد الأقصى وقبة الصخرة [٢٨] ، وإشارات المقدسى لها أهميتها لأنه يتحدث عن بلده فى عصر النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام .

" ولعل أهم الأحداث التى أوردها عند حديثه عن المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، " قيام الخليفة العباسى المنصور بإعادة بناء المسجد الأقصى (فى سنة ٧٧١ م) عقب زلزال حطمه " [٢٩] ، " وإضافة عبد الله بن طاهر أعمدة رخام للمسجد الأقصى[٣٠] ، وأمرت أم الخليفة العباسى المقتدر [٣١] ، بصناعة أبواب من خشب التنوب لقبة الصخرة " [٣٢].

أما الزوايا الاقتصادية التى تناولها ذلك الجغرافى فهى كثيرة ، من ذلك تناوله للنشاط الزراعى فى مدينته بيت المقدس وذكره لزراعة الفواكه "كالاترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز" فى مدينة بيت المقدس[٣٣] .

أما على المستوى الصناعى فقد أشار إلى صناعة المرايا وقدور القناديل والإبرفى بيت المقدس[٣٤] .

" وفيما يتصل بالزاوية التجارية فقد أشار إلى التجارات التى ترتفع من مدينة بيت المقدس كالجبن والقطن وزبيب العينونى والتفاح والمرايا وقدور القناديل والإبر "[٣٥] .

" أما فيما يتصل بالحياة الاجتماعية والعلمية نجد أنه أشار إلى انتشار خوانق طوائف الكرامية ، ووجود مجالس للذكر يعقدها أصحاب الإمام أبو حنيفة فى المسجد الأقصى"[٣٦].

" وهكذا قدم لنا المقدسى تصورات هامة بشأن بلده مدينة بيت المقدس ، واحتوى تناوله على العديد من الجوانب الدينية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية لمدينة بيت المقدس فى عصر النفوذ الفاطمى فى الشام ، اعتمد عليها بعد ذلك الجغرافيون المسلمون عند تناولهم لمدينة بيت المقدس بالحديث.

* **الرحالة المسلمون فى مدينة بيت المقدس فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)**

من الرحالة المشهورين فى القرن الخامس الهجرى ناصر خسرو علوى (توفى ٤٨١هـ/١٠٨٧م) [٣٧] ، وقد مر الرحالة الفارسى ناصر خسرو بمدينة بيت المقدس ، فى عصر النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام ، وترك وصفا دقيقا لرحلته للمدينة [٣٨] .

" احتلت الأماكن الدينية المقدسة فى مدينة بيت المقدس أهميتها الخاصة الجديرة بها ، لدى الرحالة ناصر خسرو ، شأنه فى ذلك شأن غيره من الجغرافيين والرحالة المسلمين الذين قدموا إلى مدينة بيت المقدس ووصفوا الأماكن المقدسة بها ، ومن الملاحظ هنا أن ذلك الرحالة ظهرت بجلاء عاطفته الدينية عند تناوله الحديث عن الأماكن الدينية المقدسة فى مدينة بيت المقدس [٣٩].

ومن أمثلة ذلك وصفه للمسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وقبر إبراهيم الخليل عليه السلام ، وبالإضافة إلى وصفه الأماكن المقدسة للمسلمين ، نجده يتحدث عن كنيسة بيعة القمامة "وللنصارى فى بيت المقدس كنيسة يسمونها " بيعة القمامة " – كنيسة القيامة – لها عندهم مكانة عظيمة .." [٤٠].

أما عن وصفه لمدينة بيت المقدس فقد أشار إلى أن بيت المقدس " مدينة مشيدة على قمة الجبل ، ليس بها ماء غير الأمطار ورساتيقها ذات عيون وأما المدينة فليس بها عين فإنها على رأس صخر . وهى مدينة كبيرة كان بها فى ذلك الوقت ، عشرون ألف رجل ، وبها أسواق جميلة وأبنية عالية ، وكل أرضها مبلطة بالحجارة ، وقد سووا الجهات الجبلية والمرتفعات ، وجعلوها مسطحة ، بحيث تغسل الأرض كلها وتنظف حين تنزل الأمطار " " وأهل الشام وأطرافها يسمون بيت المقدس " القدس" . ويذهب إلى القدس فى

موسم الحج من لا يستطيع الذهاب إلى مكة من أهل هذه الولايات ... كذلك يأتى لزيارة بيت المقدس من ديار الروم كثير من النصارى واليهود ... والخيرات ببيت المقدس كثيرة ورخيصة ..." (٤١) .

أما الزوايا الاقتصادية لدى ذلك الرحالة فهى كثيرة ، من ذلك تناوله للنشاط الزراعى فى مدينة بيت المقدس وذكره " أن أغلب الزراعة فى المدينة الشعير ، والقمح قليل ، والزيتون كثير . ويعطون الضيوف والمسافرين والزائرين الخبز والزيتون . وهناك طواحين كثيرة تديرها البغال والثيران لطحن الدقيق "(٤٢) .

أما على المستوى الصناعى فقد أشار إلى أن " فى المدينة صناع كثيرون ، لكل جماعة منهم سوق خاصة " (٤٣) .

" وفيما يتصل بالزاوية التجارية نجد أنه أشار إلى أسواق المدينة الجميلة ، وإلى وجود أرباب عائلات فى المدينة يملك الواحد منهم خمسين ألف من زيت الزيتون ، يحفظونها فى الآبار والأحواض ، ويصدرونها إلى أطراف العالم .." (٤٤) .

أما إذا ما انتقلنا إلى الحياة الاجتماعية والعلمية فى مدينة بيت المقدس التى أوردها ناصر خسرو فنجده يذكر " أن المدينة بها مستشفى عظيم عليه أوقاف طائلة ويصرف لمرضاه العديدين العلاج والدواء وبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف ، وتوجد بها حمامات تستخدم مياه الأمطار ، وكان أهل القدس يعطون الضيوف والمسافرين والزائرين الخبز والزيتون . وفى بعض الأيام يبلغ عدد المسافرين خمسمائة ، فتهيأ الضيافة لهم جميعا " (٤٥) .

زِد على ذلك ، أن ناصر خسرو ، قد أشار إلى أعمال بعض خلفاء الدولة الفاطمية ونوابهم على الشام ، لتعمير وتزيين الأماكن المقدسة ببيت المقدس ، وإنشاء الطرق " والمراقى المؤدية إلى الدكة بساحة جامع بيت المقدس " (٤٦) .

" وهكذا قدم لنا ناصر خسرو من خلال ترحاله فى مدينة بيت المقدس العديد من الجوانب الهامة عن الأوضاع الدينية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية هناك ، وقد قدم رؤية رحالة مشرقى شاهد عيان ، واحتوت إشاراته على جوانب عن المزارات الدينية

والعلاجية والنشاط الاقتصادى والحياة الاجتماعية والعلمية على نحو جعل لها قيمتها بين مؤلفات الرحالة المسلمين ، الذين وفدوا إلى مدينة بيت المقدس فى عصر نفوذ الخلافة الفاطمية فى بلاد الشام .." [٤٧] .

*** الجغرافيون المسلمون فى مدينة بيت المقدس زمن الحروب الصليبية [٤٨]**

يتناول هذا الجانب بالدراسة ، الجغرافى المسلم الكبير الشريف الإدريسى (توفى ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) [٤٩]، الذى قدم إلى بلاد الشام (خلال القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) ، وكانت مدينة بيت المقدس قد قامت فيها مملكة بيت المقدس الصليبية وقامت إمارات صليبية فى عدد من مناطق بلاد الشام ، وكان وصف الإدريسى لمدينة بيت المقدس ، كما يذكر أحد الباحثين [٥٠] "لا تدع مجالاً للشك فى أنه يعبر عن رؤية شاهد عيان معاصر للوجود الصليبى بها (خلال أواسط القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) ، ومن ثم تميزت نصوصه حول مدينة بيت المقدس عن نصوص الجغرافيين المسلمين السابقين ".

وجدير بالذكر – كما يذكر أحد الباحثين [٥١] – أن الإدريسى يتميز عن الجغرافيين المسلمين الآخرين ، الذين زاروا بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية (على مدى القرنين السادس والسابع الهجريين / الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين) بأنه أكثرهم تفصيلا بشأن المزارات المسيحية المقدسة فى فلسطين ، ولعل تعليل ذلك أن الكتاب الذى ألفه ونعنى به " نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق " قد ألف أصلا بناء على طلب ملك صقلية المسيحى روجر الثانى ".

كتب الإدريسى عن المزارات المسيحية والأماكن الدينية الإسلامية فى مدينة بيت المقدس ، ومن المزارات المسيحية التى تحدث عنها الإدريسى [٥٢] ، " الكنيسة العظمى المعروفة بكنيسة القيامة ويسميها المسلمون قمامة وهى الكنيسة المحجوج إليها من جميع بلاد الروم ..." .

أما الأماكن الدينية الإسلامية فنجده يتحدث عن [٥٣] : المسجد الأقصى ، ويصفه بأنه " ليس فى الأرض كلها مسجد على قدره إلا المسجد الجامع الذى بقرطبة من ديار الأندلس ..." كذلك وصف قبة الصخرة وأماكن دينية إسلامية أخرى [٥٤].

أما الزوايا الاقتصادية ، فقد تناول الإدريسى النشاط الزراعى فى مدينة بيت المقدس، وذكر " أن مدينة بيت المقدس فى وهدة بين جبال كثيفة الأشجار أعنى شجر الزيتون والتين والجميز وفواكه كثيرة " [٥٥] .

وهكذا قدم لنا الإدريسى من خلال ترحاله فى مدينة بيت المقدس ، العديد من الجوانب الدينية والاقتصادية هناك زمن الحروب الصليبية .

أما الجغرافى المسلم الكبير ياقوت الحموى [٥٦] **(توفى ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)** ، فقد قدم وصفاً هاما لمدينة بيت المقدس بعد أن حررها صلاح الدين الأيوبى واستردها من الصليبيين (٥٨٣ هـ) ، " وأصبحت فى يد بنى أيوب " [٥٧] .

احتلت الأماكن الدينية الإسلامية فى مدينة بيت المقدس أهميتها الخاصة الجديرة بها ، لدى ياقوت الحموى ، فنجده يتناول المزارات الدينية الإسلامية مثل المسجد الأقصى وقبة الصخرة [٥٨] " وقد فصل الحديث بشأنهم بيد أنه لم يخرج به عن حدود أوصاف الجغرافيين المسلمين السابقين " [٥٩] وتناول ياقوت أيضا المزارات المسيحية فى مدينة بيت المقدس مثل " كنيسة القيامة " [٦٠].

" أما النواحى الاقتصادية فقد تناول ياقوت النشاط الزراعى فى بيت المقدس وذكر أن زروعها على الجبال ، وبها فواكه الأغوار والسهل والجبل ... والأترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز ..." [٦١] .

وفيما يتصل بالنشاط التجارى نجد أنه أشار إلى كثرة أسواق مدينة بيت المقدس [٦٢] .

أما الحياة العلمية فى مدينة بيت المقدس ، فنجد ياقوت يذكر وينسب إلى بيت المقدس جماعة من العباد الصالحين والفقهاء ، منهم : " نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود أبو الفتح المقدسى الفقيه الشافعى الزاهد ... " [٦٣] .

أما الجغرافى المسلم الكبير القزوينى[٦٤] (توفى ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) فقد وصف مدينة بيت المقدس فى العصر المملوكى [٦٥] ، فنجده يصف الأماكن الدينية الإسلامية مثل المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، والأماكن المسيحية مثل كنيسة القيامة فى مدينة بيت المقدس [٦٦] .

أما وصفها والنشاط الاقتصادى بها ، فقد أشار إلى " أن مدينة بيت المقدس متوسطة الحر والبرد ، وقلما يقع بها ثلج ، ولا ترى أحسن من بنيانها ولا أنظف ولا أنزه من مساجدها ، قد جمع الله فيها فواكه الغور والسهل والجبل ... واللوز ... والجوز ... والموز ... ، وليس به أمكن من الماء والأذان ، والضرائب ثقال على ما يباع فيها .." [٦٧].

أما الحياة الاجتماعية والعلمية فى مدينة بيت المقدس ، فنجد القزوينى يذكر " وهى قليلة العلماء كثيرة النصارى " [٦٨] .

* مدينة بيت المقدس فى كتابات الرحالة المسلمين فى عصر الحروب الصليبية

من الرحالة الأندلسيين الذين قدموا إلى بلاد الشام (خلال القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) ، الرحالة المسلم الكبير ابن جبير (توفى ٦١٦ هـ أو٦١٧هـ /١٢١٩م أو١٢٢٠م) [٦٩] ، الذى أرخ لرحلة هامة تناول فيها العديد من الجوانب السياسية ، والحربية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والعقائدية ، فى حياة بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية . وفى بعض الأحيان نجده ينفرد بايراد إشارات لا نجد لها نظيراً فى رحلات الرحالة المسلمين الذين زاروا بلاد الشام فى ذلك العصر ، ومن ثم تحتل رحلته مكانة خاصة بين مؤلفات الرحالة المسلمين " [٧٠] .

" لم يقم ابن جبير برحلة واحدة بل قام بثلاث رحلات ، قصد فيها جميعاً الحج ، الذى كان مقصد كل الراحلين من المغرب إلى المشرق . ولم يدون ابن جبير أخبار هذه الرحلات كلها فى كتابه الذى نتحدث عنه، بل قصره على الرحلة الأولى " [٧١] .

وتجدر الإشارة إلى أن ابن جبير رجل ذو عاطفة دينية جياشة ، ومشاعره الإسلامية واضحة بصورة لا تتكر ، ومن ثم نجد تعبيراته صريحة لاسيما حيال عدائه للصليبيين ، فى بلاد الشام " (٧٢) .

ويلاحظ أن ابن جبير لم يدخل مدينة بيت المقدس ، لأنها كانت خاضعة للاحتلال الصليبى ، وقامت بها "مملكة بيت المقدس الصليبية " (٧٣) ، إلا إنه أورد إشارات عن الأماكن الدينية الإسلامية والمسيحية المقدسة بمدينة بيت المقدس (٧٤) .

ويلاحظ أن ذلك الرحالة " ابن جبير" قد عقد المقارنة بين الأماكن الإسلامية فى مدينة بيت المقدس والأماكن الإسلامية الأخرى (فى الشام والحجاز ..) ، ومن إشاراته إلى ذلك: "(.. ، وطول مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثلاث مائة ذراع .. ، وطول مسجد بيت المقدس، أعاده الله للإسلام ، سبع مائة وثمانون ذراعاً ، وعرضه أربع مائة وخمسون ذراعاً .."(٧٥) .

وبالإضافة إلى ذلك نجده يعقد مقارنة بين قباب الجامع الأموى بدمشق ، وقبة الصخرة بمدينة بيت المقدس ، ومن إشاراته إلى ذلك : " إنه ما على ظهر المعمور" أبعد سمواً ولا أغرب بنياناً من هذه القبة ــ قبة الجامع الأموى بدمشق ـ إلا ما يحكى عن قبة بيت المقدس ، فإنه يحكى أنها أبعد فى الارتفاع والسمو من هذه "(٧٦) .

وهكذا قدم لنا ابن جبير مقارنات هامة بين الأماكن الإسلامية الهامة فى الشام والحجاز ، وأبرز أهمية الأماكن الإسلامية بمدينة بيت المقدس .

***الرحالة المسلمون فى مدينة بيت المقدس فى العصر المملوكى**

من أهم الرحالة المسلمين فى العصور الوسطى ابن بطوطة الطنجى (توفى سنة ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧م)(٧٧)، وتسمى رحلته " تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" وقد ولد ابن بطوطة فى طنجة ، فقيل له الطنجى . ومكث فيها إلى أن بلغ الثانية والعشرين ، فاندفع بدافع التقوى ، إلى الحج ، وانساق بحبه الأسفار إلى التجوال فى بلدان العالم المعروف فى أيامه" (٧٨).

" قام ابن بطوطة بثلاث رحلات واسعة النطاق جاب فيها كثيراً من البلاد ، فطاف فى مصر وفلسطين والشام والحجاز وبلاد أخرى كثيرة ، وخص مدينة بيت المقدس بزيارتين "(٧٩).

زار ابن بطوطة مدينة بيت المقدس للمرة الأولى في العصر المملوكى ، وترك وصفاً دقيقاً وهاماً لرحلته الأولى للمدينة ، فنجده يصف الأماكن الدينية الإسلامية مثل المسجد الأقصى و قبة الصخرة ، وتناول ابن بطوطة ايضا المزارات المسيحية فى مدينة بيت المقدس مثل كنيسة القيامة(٨٠).

زد على ذلك ، أن ابن بطوطة ، قد اشار إلى أعمال الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن أيوب ، والسلطان المملوكى الظاهر بيبرس(٨١) لحماية مدينة بيت المقدس من الأعداء(٨٢).

أما الحياة الإجتماعية والعلمية فى مدينة بيت المقدس ، فنجد ابن بطوطة يذكر بعض علماء وفضلاء القدس ، "منهم قاضى القدس العالم شمس الدين محمد بن سالم الغزى ...." ، ومنهم خطيب القدس " الصالح الفاضل عماد الدين النابلسى"، ومنهم " المحدث المفتى شهاب الدين الطبرى ، ومنهم مدرس المالكية وشيخ الخانقاه الكريمة أبو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطى نزيل القدس .... ، ومنهم الشيخ الصالح العابد أبو عبد الرحيم عبد الرحمن بن مصطفى من أهل أرز الروم ، وهو من تلامذة تاج الدين الرفاعى ، – ويذكر أبن بطوطة أنه رافقه ولبس منه خرقة التصوف –"(٨٣) ، وفى زياته الثانية للقدس سنة ١٣٤٨ م(فى العصر المملوكى) ، تحدث ابن بطوطة عن شيخ المغاربة بالقدس الصوفى الفاضل طلحة العبد الوادى(٨٤).

وهكذا قدم لنا الرحالة الكبير ابن بطوطة من خلال ترحاله فى مدينة بيت المقدس العديد من الجوانب الهامة عن الأوضاع الدينية والإجتماعية والعلمية هناك.

وختاما يمكن القول أن كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين عن مدينة بيت المقدس قد أفادت فى تقديم صورة كاملة عن أهمية المدينة دينيا واقتصاديا واجتماعيا وعلميا ، وأوضحت التسامح الدينى بين طوائف سكانها المسلمين والمسيحيين واليهود فى العصر الإسلامى (٨٥).

الهوامش

١ - راجع : على السيد على : القدس فى العصر المملوكى ، (تقديم الكتاب للدكتور قاسم عبده قاسم ، ص ٦).

٢ - راجع: البلاذرى : فتوح البلدان، ص ١١٥-٤٣٣ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها، ص ٥٣-٢٢٥ .

٣ - انظر : البلاذرى: : المصدر السابق ص ١٤٤ ، عفاف صبره : الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، دراسة ضمن كتاب (الخلفاء الراشدون) ، ص ٩٨ .

٤ - انظر : البلاذرى : المصدر السابق ص ١٤٤ ، عفاف صبره : المصدر السابق ، ص ٩٨ .

٥ - البلاذرى : المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

٦ - انظر : البلاذرى : المصدر السابق ، ص ١٤٤-١٤٥ .

٧ - البلاذرى : المصدر السابق ، ص ١٤٤، عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ١ ، ص ١٨٨ .

٨ - عفاف صبره : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

٩ - زمن الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ / ٦٦١ - ٧٥٠ م) ، زمن الدولة العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ / ٧٥٠-١٢٥٨ م) ، قدمنا نماذج فى بحثنا هذا من الجغرافيين والرحالة المسلمين .

١٠- على السيد على : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

١١- " الأجناد الإسلامية أقاليم استقرت فيها فرق من الجيوش الإسلامية لحمايتها وقبض أعطياتهم ، وهى شبيهة بنظام البنود البيزنطى الذى كان سائدا فى القرن السابع الميلادى " ، انظر : ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ١٠٧ ، اليعقوبى : البلدان، ص ٣٢٣-٣٢٩، نجدة خماش: الإدارة فى العصر الأموى ، ص ٣٧-٣٩ .

١٢- انظر : اليعقوبى : المصدر السابق ، ص ٣٢٨ ، نجدة خماش : المرجع السابق ، ص ٤٢ .

١٣- انظر : ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ١٠٣ ، نجدة خماش : المرجع السابق ، ص ٤٢ .

١٤- " اليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) قام بأسفار كثيرة وتقلد وظائف هامة فى الدولة الطاهرية بخراسان والدولة الطولونية التى قامت فى مصر (٢٥٤-٢٩٢ هـ / ٨٦٨-٩٠٥ م) وامتد نفوذها إلى بلاد الشام"، راجع : اليعقوبى : المصدر السابق ، ص ٣٢٨ .

١٥- " ابن الفقيه الهمذانى (ت٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م) ألف كتاب البلدان " حوالى سنة ٢٧٩ هـ " ، ولم يصلنا منه إلا مختصره : راجع : ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٩٣ - ١٠٢ ، وعن اليعقوبى وابن الفقيه : راجع : زكى حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، ص ٣٥ - ٣٦ ، سيدة كاشف: مصادر التاريخ الإسلامى ، ص ٤٢ - ٤٣ .

١٦- راجع : ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٩٣ - ١٠٢ .

١٧- راجع : ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٩٣ - ١٠٢ .

١٨- المسجد الأقصى : " القبة هى أقدس مكان فى حرم المسجد الأقصى ، ولفظ المسجد الأقصى يطلق بصفة عامة على مجموعة الأبنية المقدسة التى تشمل قبة الصخرة نفسها والقبور والتكايا أو الزوايا والأسبلة التى تعاقب على بنائها الخلفاء من أيام الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥ م) إلى السلطان العثمانى سليمان القانونى والتى تغطى مساحة تبلغ نحو أربعة وثلاثين فدانا . ولكن المسجد الأقصى فى معناه المحدود يطلق على المسجد الذى بناه الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان على مقربة من القبة . وقد استعمل فى بنائه أنقاض كنيسة القديسة مريم التى بناها الإمبراطور البيزنطى جستنيان وظلت قائمة فى موضعها حتى حطمها كسرى ملك الفرس. وقد أعاد الخليفة العباسى المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥ م) بناء المسجد الأقصى فى سنة ٧٧١ م عقب زلزال حطمه ، ثم أدخل الصليبيون بعد ذلك على البناء عدة تعديلات ، وفى سنة ١١٨٧م أعاد صلاح الدين الأيوبى المسجد إلى حظيرة الإسلام " ، انظر : فيليب خورى حتى : تاريخ العرب ... نقله إلى اللغة العربية محمد مبروك نافع ، ص ٣٣٠ .

١٩- قبة الصخرة : " ... من المحتمل أن يكون الخليفة عمر بن الخطاب عند زيارته لمدينة بيت المقدس (فى سنة ٦٣٨ م) قد أقام مكانا للعبادة من الخشب أو الآجر على تل موريا الذى قام عليه من قبل معبد سليمان ثم معبد وثنى ثم كنيسة مسيحية . ولما أحس عبد الملك بن مروان بحاجته إلى مركز للعبادة تعلو أهميته على كنيسة القبر المقدس وينافس المسجد الحرام فى مكة الذى كان إذ ذاك فى أيدى منافسه على الخلافة عبد الله بن الزبير ويصرف إليه جماهير الحجاج ، فإنه أسس فى نفس الموقع ببيت المقدس قبة الصخرة التى تسمى خطأ " مسجد عمر " ، وعلى ذلك فإن القبة تقوم على بقعة مقدسة ،... وقد استعمل عبد الملك فى بنائها بعض المواد التى حصل عليها من الأبنية المسيحية التى كانت قائمة هناك قبل أن يحطمها كسرى الثانى - ملك الفرس - ... ، وأسفر البناء عن أثر معمارى ذى جمال رائع ... ، والقبة لها مكانة دينية كبيرة فى نفوس المسلمين ... " ، انظر : فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .

٢٠- راجع : ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٩٣ - ١٠٢ ، فيليب حتى ، المرجع السابق ، ص ٣٢٩، ٣٣٠ " ومن المؤكد أن مدينة القدس ظهرت فى عهد العرب الكنعانيين .. حيث أسسها سالم اليبوسى الكنعانى العربى (حوالى سنة ٣٥٠٠ ق . م) ، ولذلك فقد أطلق عليها أورسالم أى مدينة سالم ... ، لذلك فمزاعم اليهود بأن القدس تأسست حوالى سنة ١٠٠٠ ق. م على يد داود عليه السلام باطلة ، راجع : محمد عبد الحميد الحناوى : ادعاءات اليهود فى الحرم القدسى الشريف (بحث مقدم للندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " ، مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط ، أكتوبر ١٩٩٦ م).

٢١- عبد المنعم ماجد : المرجع السابق جـ ١ ، ص ١٨٨ ، كانت دمشق فى بلاد الشام عاصمة الخلافة الأموية ، وبغداد وسامرا فى العراق عواصم الخلافة العباسية ، راجع : "The Encyclopedia of Islam, Vol. I , PP. 14 - 15"

٢٢- " خضعت سوريا وفلسطين للدولة الإخشيدية التى قامت فى مصر (٣٢٣ - ٣٥٨ هـ/٩٣٥ - ٩٦٩ م) ولقد كان للأخاشدة فى مصر منافسون أقوياء وهم الحمدانيون فى الشمال. وقد أسس الحمدانيون

دولتهم أولا فى شمالى العراق (٩٢٩ - ٩٩١م) ، وقد انتقلوا (فى سنة ٩٤٤م) إلى شمالى الشام ، واستولى زعيمهم سيف الدولة الحمدانى على حلب وحمص من يد نائب الأخاشدة فى الشام . وظلت الشام باستمرار مهد الثورة الملتهب ومصدر عدم الرضا عن الحكم العباسى ... ، ولذلك امتد إلى بلاد الشام كذلك نفوذ الخلافة الفاطمية التى قامت فى مصر (٣٥٨-٥٦٧ هـ/٩٦٩ -١١٧١م) " ، راجع : فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٥٨٩ - ٥٩٠ .

٢٣- انظر : ابن حوقل (توفى سنة ٣٨٠ هـ - ٩٩٢ م) : كتاب صورة الأرض ، ص ١٧١ - ١٧٣ .

٢٤- انظر : المقدسى (توفى سنة ٣٩٠ هـ - ١٠٠٠م) : كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ص ١٦٥ - ١٧٣ ، والمقدسى ينسب إلى مدينة بيت المقدس : انظر: ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص١٦٨ . وقد شهد القرن الرابع الهجرى (سنة ٣٥٨هـ) قيام الدولة الفاطمية فى مصر وامتداد نفوذها إلى بلاد الشام .

٢٥- ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

٢٦- نفسه ، نفس المصدر ، ص ١٧١ .

٢٧- نفسه ، نفس المصدر ، ص ١٧٢

٢٨- المقدسى : المصدر السابق ، ص ١٦٦ - ١٧٣ ، " عن عصر النفوذ الفاطمى فى الشام " ، راجع : المقدسى : المصدر السابق ، ص ١٥١ - ١٩٢ .

٢٩- نفسه ، نفس المصدر ، ص ١٦٨ ، ١٨٨ ، فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٣٣٠ .

٣٠- عبد الله بن طاهر أحد أمراء الدولة الطاهرية [وهى من الدويلات الفارسية التى استقلت عن الخلافة العباسية ... (٢٠٥ - ٢٥٩ هـ / ٨٢٠ - ٨٧٢ م)] .

٣١- تولى المقتدر الخلافة (٢٩٥ إلى ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ - ٩٣٢ م) .

٣٢- المقدسى : المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

٣٣- المقدسى : المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

٣٤- نفسه ، نفس المصدر ، ص ١٨٠ .

٣٥- نفسه ، نفس المصدر ، ص ١٨٠ .

٣٦- نفسه ، نفس المصدر ، ص ١٧٩ ، ١٨٢ ، الكرامية من فرق المشبهة ــ (من الفرق الإسلامية) - والتى كان يعتنقها جماعة من الزهاد .. وكانت لهم خوانقهم : راجع : المقدسى : المصدر السابق ، ص ٣٢٣ .

٣٧ـ ناصر خسرو " إيرانى قام برحلات وأسفار طويلة فى أنحاء إيران وتركستان والهند وبلاد العرب والشرق الأدنى وزار مصر الفاطمية التى امتد نفوذها إلى بلاد الشام ... واعتنق المذهب الشيعى الإسماعيلى ـ مذهب الدولة الفاطمية ـ وأصبح من أشد دعاة الإسماعيلية الشيعية والمتعصبين للخلفاء الفاطميين بعد أن كان يتبع المذهب السنى ... وتوفى سنة (٤٨١ هـ / ١٠٨٧ م)، راجع : ناصر خسرو علوى : سفر نامة ، ص ١١ـ ٤٠ ، شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون .. جـ ٢ ، ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ ، سيدة إسماعيل كاشف : مصادر التاريخ الإسلامى ، ص ٤٦ .

٣٨ـ ناصر خسرو : المصدر السابق ، ص ٦٧ ـ ٨٩ .

٣٩ـ نفسه ، نفس المصدر ، ص ٦٧ ـ ٨٩ .

٤٠ـ راجع : نفسه ، نفس المصدر ، ص ٦٨ ـ ٨٩ ، الإدريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، جـ ١، ص ٣٥٨ .

٤١ـ ناصر خسرو : المصدر السابق ، ص ٦٧ .

٤٢- نفسه ، نفس المصدر ، ص ٨٦ .

٤٣- نفسه : نفس المصدر ، ص ٦٧، ٦٨ .

٤٤- نفسه : نفس المصدر ، ص ٦٧ .

٤٥- نفسه : نفس المصدر ، ص ٦٨، ٦٩ ، ٧٥ ، ٨٦ ، ٨٧ .

٤٦- راجع: نفسه ، نفس المصدر ، ص ٦٨ - ٨٩ .

٤٧- راجع: نفسه ، نفس المصدر ، ص ٦٧-٨٩ ، راجع كذلك : التحليل التاريخى الهام عن الجغرافيين والرحالة المسلمين : محمد مؤنس عوض : الجغرافيون والرحالة المسلمون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية (فى عصر الحروب الصليبية) ، ص ٥ - ٣٢٩ .

٤٨- " الحروب الصليبية هى حركة كبرى انطلقت من الغرب الأوروبى المسيحى فى العصور الوسطى واتخذت شكل هجوم حربى استعمارى على بلاد المسلمين وبخاصة منطقة بلاد الشام بقصد امتلاكها ، وقد انبعثت هذه الحركة من الأوضاع الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التى سادت غرب أوربا فى القرن الحادى عشر الميلادى ، واتخذت من استغاثة البيزنطيين ضد السلاجقة المسلمين ستارا دينيا للتعبير عن نفسها تعبيرا عمليا واسع النطاق ، وسميت باسم الحروب الصليبية نسبة إلى الصليب الذى اتخذه المحاربون شعارا لهم ... ، واستمرت هذه الحروب من (١٠٩٥ م إلى ١٢٩١ م) فى منطقة الشام ، وجاءت الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق الأدنى وبلاد الشام مفككة سياسيا لا تربط بين أجزائها وحدة سياسية ولا تهيمن عليها قوة كبرى تستطيع أن تصد الخطر الغربى ... ، هذا فى الوقت الذى كانت الخلافة العباسية تعانى ضعفا واضحا والخلافة الفاطمية فى القاهرة تسير فى طريق الانهيار، ونجحت الحملة الصليبية الأولى فى تكوين عدة إمارات للصليبيين فى الشام وشمال العراق والاستيلاء على بيت المقدس (١٠٩٩ م) ، حتى كان ظهور عماد الدين زنكى ومن بعده نور الدين محمود ليقوما بدور بارز فى مدافعة الصليبيين وتكوين جبهة إسلامية متحدة ، ثم استطاع صلاح الدين الأيوبى - مؤسس الدولة الأيوبية فى مصر - (٥٦٧ - ٦٤٨ هـ / ١١٧١ - ١٢٥٠ م) أن ينزل ضربته الكبرى بالصليبيين فى حطين ، ثم يسترد منهم بيت المقدس (٥٨٣ هـ) واستمر الصراع حتى استطاعت دولة المماليك فى مصر (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م) استئصال شأفة الصليبيين نهائيا من الشام ... " ، راجع : عماد الدين الكاتب الأصفهانى : سنا البرق الشامى (٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م : ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) ، اختصار الفتح بن على البندارى ، تحقيق فتحية النبراوى ، ص ١٦-٣٣٥، محمد محمد أمين : تاريخ العلاقات بين أوربا والشرق فى العصور الوسطى ، ص٣-٢٠٤.

٤٩- " الشريف الإدريسى من أعلام الجغرافيين المسلمين ولد فى سبتة سنة (٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م) ، ودرس فى جامعة قرطبة ، ثم طاف فى الأندلس وشمالى أفريقية وآسيا الصغرى ، ويقال أيضا إنه زار فرنسا وإنجلترا ، ثم لبى دعوة ملك صقلية المسيحى روجر الثانى (رجار) فنزل فى بلاطه بصقلية حيث كان التأثر بالمدينة الإسلامية لا يزال كبيرا ، وقع اختيار روجر الثانى على الشريف الإدريسى ليصنف له كتابا فى وصف الكرة الأرضية التى صنعت له ... ، وتم تأليف هذا الكتاب المسمى " نزهة المشتاق "، وقد تم تأليف هذا الكتاب قبل وفاة روجر الثانى (سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م) ، وأطلق على الكتاب أسم " كتاب رجار " نسبة إلى روجر الثانى ، وتوفى الشريف الإدريسى (٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م) ، راجع : الإدريسى : المصدر السابق جـ ١ ، ص ٣-١٤ ، محمد مؤنس عوض : المرجع السابق ، ص ١٧ - ٤١ ، زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، ص ٦٤ - ٦٧ .

٥٠- محمد مؤنس عوض : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

٥١- نفسه ، نفس المرجع ، ص ٢٨ .

٥٢- الإدريسى : المصدر السابق جـ ١ ، ص ٣٥٨ - ٣٥٩ ، عن الأماكن المسيحية التى كتب عنها الإدريسى راجع : الإدريسى : المصدر السابق جـ ١ ، ص ٣٥٨ - ٣٦٣ .

٥٣- نفسه ، نفس المصدر جـ ١ ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

٥٤- نفسه ، نفس المصدر جـ ١ ، ص ٣٥٩ - ٣٦٣ .

٥٥- نفسه ، نفس المصدر جـ ١ ، ص ٣٦٣ .

٥٦- ياقوت الحموى : " من أشهر الجغرافيين والمؤرخين والأدباء المسلمين وهو رومى الأصل وأسر فى حداثته وابتاعه تاجر حموى مقيم فى بغداد ، فنشأ مسلما وعنى التاجر بتعليمه ، وقد اعتقه مولاه (سنة ٥٩٦ هـ) ... واحترف ياقوت نسخ الكتب ... وجال إيران وبلاد العرب وآسيا الصغرى ومصر والشام وبلاد ما وراء النهر ، ومن أهم المؤلفات الجغرافية التى ألفها ياقوت " معجم البلدان " ... وقد امتاز هذا المعجم بدقته وجمعه بين الجغرافية والتاريخ والعلم والأدب ، وفرغ ياقوت من تأليف هذا المعجم (سنة ٦٢١ هـ) ، وتوفى ياقوت (سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) " . راجع : ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ١ ، ص ٦ ، سيدة إسماعيل كاشف : المرجع السابق ، ص ٤٧ ، محمد مؤنس عوض : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

٥٧- راجع : ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٧١ .

٥٨- نفسه ، نفس المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٦٦ _ ١٧٠ .

٥٩- كان الاقتباس بين المؤرخين والجغرافيين والرحالة المسلمين _ ومن بعضهم البعض _ شائعاً ومنتشراً فى العصر الإسلامى : راجع : محمد مؤنس عوض : المرجع السابق ، ص ٩١ ، ١١٤ .

٦٠- ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ ٥ ، ص ١٧١ .

٦١- نفسه ، نفس المصدر جـ ٥ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

٦٢- نفسه ، نفس المصدر جـ ٥ ، ص ١٦٨ .

٦٣- نفسه ، نفس المصدر جـ ٥ ، ص ١٧١ _ ١٧٢ .

٦٤- " القزوينى (توفى سنة ٦٨٢ هـ /١٢٨٣ م) وكان من القضاة ، ولد فى قزوين .. ورحل إلى الشام والعراق ... راجع القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٥٩ ـ ١٦٣ ، شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون جـ ٤ ، ص ٣١٤ ـ٣١٥ .

٦٥- " بعد أن تمكنت دولة سلاطين المماليك التى قامت فى مصر من كسر الموجة المغولية الطاغية (فى موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م) ، خضعت بلاد الشام ومنها بيت المقدس لسيطرة سلاطين المماليك .. " راجع : على السيد على : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

٦٦- القزوينى : المصدر السابق ، ص ١٦٠-١٦٣ .

٦٧- القزوينى : المصدر السابق ، ص ١٦١ .

٦٨- نفسه ، نفس المصدر ، ص ١٦١ .

٦٩- " كان كثير من الحجاج القادمين من الأندلس يزورون المغرب ومصر والشام فى طريقهم إلى الحجاز، ثم ينتهزون هذه الفرصة للطواف فى بعض الأقاليم الإسلامية الأخرى ، وأعظم أولئك الحجاج شأناً فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) هو ابن جبير ، فقد قام بثلاث رحلات إلى الشرق ودَوّن أخبار الرحلة الأولى فى شبه مذكرات يومية باسم " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار " ولعله كتبها سنة (٥٨٢ هـ/١١٨٦م) ، " والرحلة الثانية قام بها ابن جبير لما شاع الخبر المبهج بفتح " المقدس" (٥٨٣ هـ /١١٨٧م) على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .. " ، وكتاب " رحلة ابن جبير" هو رحلة قام بها ابن جبير للحج إلى الأراضى الحجازية ، واستغرقت عامين وثلاثة أشهر ونصفاً (من شهر شوال ٥٧٨ هـ / فبراير ١١٨٢ م ، إلى شهر محرم ٥٨١هـ / إبريل ١١٨٥م) ، وزار فيها مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية فى عصر الحروب الصليبية .. " ، راجع : ابن جبير (محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى البلنسى الأصل ، الغرناطى الاستيطان ، ولد ببلنسيه أو بشاطبة سنة ٥٣٩ هـ أو ٥٤٠ هـ ، وتوفى ٦١٦ هـ أو ٦١٧ هـ ، وهو من علماء الأندلس) : كتاب رحلة ابن جبير " فى مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية " " عصر الحروب الصليبية " ، تحقيق حسين نصار، مقدمة المحقق محمد مؤنس عوض : المرجع السابق ، ص ٢٨٣ ـ ٣٠٩ ، زكى محمد حسن: الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، ص ٧٠ ـ ٨٨ .

٧٠- محمد مؤنس عوض : المرجع السابق ، ص ٢٨٣ .

٧١- راجع : حسين نصار : رحلة ابن جبير ، (سلسلة تراث الإنسانية) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (١٩٩٦م) ، ص ١٦ ـ٤٧ .

٧٢- راجع : ابن جبير: رحلة ابن جبير ، دار صادر ، دار بيروت ،١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م ، ص ٢٢٥ - ٢٨٣ ، راجع : محمد مؤنس عوض : المرجع السابق ، ص ٢٨٦ ـ ٣٠٩ .

٧٣- راجع : محمد مؤنس عوض : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٩ .

٧٤- ابن جبير : المصدر السابق ، (بيروت) ، ص ٨١ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ .

٧٥- نفسه ، نفس المصدر ، (بيروت) ، ص ٨١ .

٧٦- نفسه ، نفس المصدر ، (بيروت) ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٧ .

٧٧- "هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتى ، نسبة إلى لواتة إحدى قبائل البربر المعروف بابن بطوطة، والملقب بشمس الدين ، ولد فى طنجة ، فقيل له الطنجى ... (ولد سنة ٧٠٤ هـ وتوفى ٧٧٩ هـ/ ١٣٠٤ - ١٣٧٧م)" ، راجع ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة " المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " ، (تقديم الكتاب لكرم البستانى ، ص ٥-٧).

٧٨- " سمى ابن بطوطة أخبار رحلاته " تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" ولكنها تعرف اليوم برحلة ابن بطوطة ... ، راجع : ابن بطوطة : المصدر السابق ، (تقديم الكتاب لكرم البستانى ص ٥-٧) .

٨٩- نفسه ، نفس المصدر ، (تقديم الكتاب لكرم البستانى ، ص ٥) ، ص ٦٥٢ ، ٦٥٥، راجع كذلك الدكتور محمد محمد أمين : .. علم التاريخ ومناهجه فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٨١ - ١٩٨٢ م ، ص ١٣٠ - ١٣١.

٨٠- ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ٥٧ - ٥٩.

٨١- الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى من سلاطين المماليك البحرية (تولى من سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م إلى سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م).

٨٢- ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ٥٧.

٨٣- نفسه ، نفس المصدر ، ص ٥٩ .

٨٤- راجع : نفسه ، نفس المصدر ، ص ٦٥٢ - ٦٥٣.

٨٥- راجع : محمد مؤنس عوض : المرجع السابق ، ص ١٧- ٣٢٩ .

المصادر

أولا : المصادر العربية

ابن أبى الدم الحموى (القاضى شهاب الدين إبراهيم) (ت ٦٤٢ هـ) .

١ - التاريخ الإسلامى المعروف باسم التاريخ المظفرى (من البعثة النبوية إلى نهاية الدولة الأموية) قام بتحقيقه دكتور حامد زيان غانم زيان، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، (القاهرة ١٩٨٩ م).

ابن الأثير - أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم الجزرى (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ / ١١٦٠ - ١٢٣٣ م) .

٢ - الكامل فى التاريخ ، عدة مجلدات ، راجعه وصححه دكتور محمد يوسف الدقاق (بيروت - لبنان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .

ابن أعثم الكوفى ـ محمد بن على أعثم الكوفى .. (توفى حوالى ٣١٤هـ / ٩٢٦م) .

٣ – كتاب الفتوح ، ٨ أجزاء ، الطبعة الأولى ، السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ، طبع بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية ، (حيدر آباد – الدكن – الهند ١٣٨٨ هـ – ١٣٩٥ هـ / ١٩٦٨ م – ١٩٧٥ م) ، (الناشر دار الندوة الجديدة – بيروت).

ابن بطوطة – أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتى الطنجى (توفى ٧٧٩ هـ/١٣٧٧م).

٤ – رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" ، دار صادر (بيروت : ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م).

ابن جبير – محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى (توفى ٦١٦ هـ أو ٦١٧ هـ) .

٥ – كتاب رحلة ابن جبير ، فى مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية ، عصر الحروب الصليبية ، تحقيق دكتور حسين نصار ، (مكتبة مصر ، القاهرة : ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م) ، (طبعة ، دار صادر ، بيروت : ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م) .

ابن حوقل – أبو القاسم محمد بن على الموصلى الحوقلى النصيبينى البغدادى (توفى سنة ٣٨٠ هـ – ٩٩٢ م) .

٦ – كتاب صورة الأرض ، (الناشر دار صادر ، بيروت ، طبعة مصورة عن ط ٢ ، مطبعة بريل – ليدن ٣٨ – ١٩٣٩ م ، تحقيق كرامرز) .

ابن خرداذبة ـ أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (توفى سنة ٣٠٠ هـ/٩١٢م) .

٧ – كتاب المسالك والممالك ، ملحق به نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى (توفى سنة ٣٢٠ هـ) ، مكتبة المثنى ، بغداد (د. ت) .

ابن خلكان – أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان (٦٠٨ – ٦٨١ هـ / ١٢١١ – ١٢٨٢ م) .

٨ – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ثمانية مجلدات ، تحقيق دكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، (بيروت – لبنان ، ١٩٦٨ – ١٩٧٢ م) .

ابن دحية – الإمام الحافظ أبو الخطاب عمر بن الشيخ الإمام أبو على حسن بن على سبط الإمام أبو البسام الفاطمى المعروف بذى النسبين دحية والحسين (٥٤٤ – ٦٣٣ هـ / ١١٥٠– ١٢٣٥ م) .

٩ – كتاب النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس ، صححه وعلق عليه المحامى عباس العزاوى ، وزارة المعارف العراقية – لجنة الترجمة والتأليف والنشر ، مطبعة المعارف ، (بغداد : ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م) .

ابن رستة – أبو على أحمد بن عمر (توفى ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) .

١٠- كتاب الأعلاق النفيسة ، هو وكتاب البلدان لليعقوبى فى مجلد واحد (المجلد السابع فى المكتبة الجغرافية العربية) ، (الناشر ، دار صادر - بيروت ، طبعة مصورة عن طبعة مطبعة بريل - ليدن ١٨٩٢ م ، تحقيق دى جويه) .

ابن عبد الحكم - أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ولد بالفسطاط سنة ١٨٧ هـ/ ٨٠٣ م ، وتوفى فى مطلع سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م) .

١١- كتاب فتوح مصر وأخبارها ، ط ١ ، (مكتبة مدبولى ، القاهرة : ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ، طبعة مصورة عن طبعة تورى) .

ابن فضلان (أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد) .

١٢- رسالة ابن فضلان ، فى وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩ هـ - ٩٢١ م ، حققها وعلق عليها وقدم لها دكتور سامى الدهان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، دار الفكر للطباعة - (دمشق ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨) .

ابن الفقيه الهمذانى- أبوبكر أحمد بن محمد الهمذانى المعروف بابن الفقيه (توفى ٢٩٠ هـ /٩٠٢ م).

١٣- مختصر كتاب البلدان ، (الناشر ، دار صادر ، بيروت ، طبعة مصورة عن طبعة مطبعة بريل - ليدن ١٣٠٢ هـ ، تحقيق دى جويه) .

ابن منظور - جمال الدين أبو الفضل محمد بن جلال الدين أبو العزم مكرم بن نجيب الدين الأفريقى المصرى (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) .

١٤ - لسان العرب (المحيط) قدم له الشيخ عبد الله العلايلى ، إعداد وتصنيف يوسف خياط ، نديم مرعشلى ، مجمع اللغة العربية - دمشق ، مجمع اللغة العربية - القاهرة ، المجمع العلمى العراقى ، جامعة سورية ، جامعة الرباط ، ج١ ، دار لسان العرب - (بيروت : ١٣٨٩ هـ) .

ابن النديم - أبو الفرج محمد بن اسحق أبى يعقوب بن النديم الوراق (توفى فيما بين سنة ٣٨٥ هـ - ٣٩٠ هـ / ٩٩٥م - ٩٩٩م).

١٥ - كتاب الفهرست ، أضيف إلى هذه الطبعة تكملة قيمة من ذخائر المكتبة التيمورية ، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ، (بيروت - لبنان ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م) .

الإدريسى - الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد -(توفى ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م) .

١٦- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، مجلدان ، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة : ١٤١٤هـ/١٩٩٤ م) .

الأصطخرى المعروف بالكرخى - أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسى الأصطخرى المعروف بالكرخى (توفى سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م) .

١٧- مسالك الممالك " وهو معول على كتاب صور الأقاليم لأبى زيد أحمد بن سهل البلخى ، تحقيق دى جويه ، ط ٢ ، مطبعة بريل - ليدن ١٩٢٧ م ، أعادت نشره دار صادر عن طبعة ليدن ١٩٢٧م " (دار صادر بيروت) .

الأصفهانى (العماد الكاتب) (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) .

١٨- سنا البرق الشامى ، ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م : ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ، اختصار الفتح بن على البندارى (القرن ١٣ م) ، تحقيق الدكتورة فتحية النبراوى ، (مكتبة الخانجى- القاهرة ١٩٧٩م) .

البلاذرى - أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (توفى ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) .

١٩- فتوح البلدان ، قوبل هذا الكتاب على نسخة الأستاذ الشنقيطى المحفوظة بدار الكتب المصرية ، عنى بمراجعته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان ، طبعة دار الكتب العلمية (بيروت : ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) .

البيرونى - أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمى (ولد سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م - وتوفى ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) .

٢٠ - كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية ، الطبعة التى صورتها مكتبة المثنى ببغداد ، على المطبوعة بلايبزك سنة ١٨٧٩م - ١٩٢٣م ، التى اعتنى بها إدوارد سخاو ، (طبعة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) .

الطبرى - أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ - ٣١٠هـ / ٨٣٨ - ٩٢٢ م) .

٢١ - تاريخ الرسل والملوك ، ١٠ أجزاء ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، سلسلة ذخائر العرب رقم (٣٠) ، طبعة دار المعارف - القاهرة (١٩٧٧ - ١٩٧٩ م) .

قدامة بن جعفر - أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى (المتوفى سنة ٣٢٠ هـ) .

٢٢ - نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة ، مكتبة المثنى (بغداد : د. ت) .

القزوينى - أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود (توفى سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) .

٢٣ - آثار البلاد وأخبار العباد ، الناشر دار صادر ببيروت ، (د. ت) .

المسعودى - أبو الحسن على بن الحسين بن على بن عبد الله الهذلى المسعودى ، يتصل نسبه بعبد الله بن مسعود الصحابى الجليل وقد ذاعت شهرته باسم المسعودى (توفى فى الفسطاط ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م) .

٢٤ - التنبيه والاشراف ، طبعة جديدة منقحة بإشراف لجنة تحقيق التراث ، سلسلة (فى سبيل موسوعة تاريخية رقم " ١ " منشورات دار ومكتبة الهلال (بيروت - لبنان : ١٩٨١م) .

٢٥ - مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ أجزاء ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، (صيدا - بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م) .

المقدسى المعروف بالبشارى ـ شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء الشامى المقدسى المعروف بالبشارى (ولد ٣٣٥هـ / ٩٤٦م ، وتوفى أواخر القرن الرابع الهجرى حوالى سنة ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م) .

٢٦ ـ أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، (الطبعة الثالثة ، مكتبة مدبولى ـ القاهرة : ١٤١١هـ / ١٩٩١م) ، (طبعة مصورة عن طبعة ليدن : ١٩٠٦ م ، تحقيق دى جويه) .

ناصر خسرو علوى ـ أبو معين الدين القباديانى المروزى (ولد سنة ٣٩٤هـ / ١٠٠٣ ـ ١٠٠٤م ، توفى سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٧م).

٢٧ ـ سفر نامة ، كتبه ناصر خسرو بالفارسية ، نقله إلى العربية وعلق عليه دكتور يحيى الخشاب ، تصدير دكتورعبد الوهاب عزام ، ط٢ ، سلسلة الألف كتاب الثانى ، رقم (١٢٢) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (١٩٩٣م) .

الواقدى (محمد بن عمر بن واقد (توفى سنة ٢٠٧هـ) .

٢٨ ـ كتاب الردة ، مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة " الشيبانى " " رواية أحمد بن محمد بن أعثم الكوفى " ، تحقيق يحيى الجبورى ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامى ـــ بيروت (١٤١٠هـــ ـــ ١٩٩٠م).

ياقوت الحموى (الإمام شهاب الدين أبوعبد الله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى ، (ولد حوالى سنة ٥٧٤ هـ / ١١٧٨م) (وتوفى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨ م) .

٢٩ ـ معجم البلدان ، ٥ مجلدات ، دار صادر للطباعة والنشر (بيروت : ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م) .

اليعقوبى ـ أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسى المعروف باليعقوبى (توفى سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧م) .

٣٠ ـ البلدان هو وكتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته فى مجلد واحد (المجلد السابع) ، (دار صادر ـ بيروت، طبعة مصورة عن طبعة بريل ـ ليدن ١٨٩٢م ، تحقيق دى جويه) .

٣١ ـ تاريخ اليعقوبى ، مجلدان ، دار صادر للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م) .

ثانيا : كتب عربية حديثة

٣٢ ـ آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة فى الإسلام ، مجلدان، تعريب دكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة .. ، ط ٤ ، (مكتبة الخانجى بالقاهرة ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) .

٣٣ ـ أشتور (ا. أشتور) : التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، ترجمة عبد الهادى عبله ، مراجعة أحمد غسان سبانو، دار قتيبة ، (دمشق ، ١٩٨٥ م) .

٣٤ ـ دومينيك سورديل : الإسلام فى القرون الوسطى ، ترجمة على المقلد ، ط ١ ، (بيروت ١٩٨٣م) .

٣٥ ـ دومينيك وجانين سورديل : الحضارة الإسلامية فـى عصرهـا الذهبى ، ترجمـة حسنى زينـة ، ط١ ، (بيروت ١٩٨٠م) .

٣٦ ـ زكى محمد حسن (دكتور) : الرحالـة المسلمون فـى العصـور الوسطى ، (دار المعـارف ، مصـر : ١٩٤٥ م) .

٣٧ ـ سيدة إسماعيل كاشف (دكتورة) : مصـادر التـاريخ الإسلامى ومنـاهج البحث فيـه ، ط٢ ، (مكتبـة الخانجى ، القاهرة : ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م) .

٣٨ ـ شاكر مصطفى (دكتور) : التاريخ العربى والمؤرخون ، دراسة فى تطور علم التاريخ ومعرفة رجالـه فى الإسلام ، جـ ١ ، ٢ ، ط ٣ ، جـ ٣ ، ٤ ، ط ١ ، (دار العلم للملايين ، بيروت : ١٩٨٣ـ ١٩٩٣ م) .

٣٩ ـ عبد المنعم ماجد (دكتور) : تـاريخ الحضـارة الإسـلامية فـى العصـور الوسـطى ، الطبعـة الأولـى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (القاهرة : ١٩٧٨ م) .

٤٠ ـ عبد المنعم ماجد (دكتـور) : التـاريخ السياسـى للدولـة العربيـة ، ط٧ ، الأنجلـو المصريـة ، القـاهرة ، (١٩٨٢ م) .

٤١ ـ على السيد على (دكتور) : القدس فى العصر المملوكى ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، ط ١، (القاهرة : ١٩٨٦ م)

٤٢ ـ كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية " يتناول وصف العراق والجزيـرة وإيـران وأقـاليم آسـيا الوسطى منذ الفتح الإسلامى حتى أيام تيمور ، " نقله إلى العربية وأضاف إليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية ووضع فهارسه ، بشير فرنسيس ، كوركيس عـواد ، مطبوعـات المجمـع العلمـى العراقـى ، (بغداد ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤ م) .

٤٣ ـ فيليب حتـى (دكتور) : تـاريخ العـرب ، نقلـه إلـى اللغـة العربيـة محمـد مـبروك نـافع ، ط٣، القـاهرة (١٩٥٣ م) .

٤٤ ـ فيليب حتى (دكتور) : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجى ، أشرف على مراجعتـه ره جبرائيل حيور ، دار الثقافـة ، بيروت ، مؤسسـة فرنكلين للطباعـة والنشـر (بـيروت ـ بيروت) .

٤٥ ـ محمد مؤنس عوض (دكتور) : الجغرافيون والرحالة المسلمون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ط ١ ، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٩٥ م) .

٤٦ ـ محمد محمد أمين (دكتور) : تاريخ العلاقات بين أوربا والشرق فى العصور الوسطى ، (دار النهضـة العربية ، القاهرة ٨٣ ـ ١٩٨٤ م) .

٤٧ ـ نجـدت خمـاش (دكتـورة) : الإدارة فـى العصـر الأمـوى ، ط١ ، دار الفكـر ، (دمشـق ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠ م) .

ثالثا : الدوريات والأبحاث العلمية

٤٨ ـ أحمد الشنتناوى ، إبراهيم زكى خورشيد : دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية).

٤٩ ـ أحمد فؤاد سيد(دكتور) : كتب المسالك والممالك وتقويم البلدان والرحلات الجغرافية وأهميتها فى تاريخ انتشار الإسلام والثقافة العربية فى العالم ، (بحث : ندوة العصور الوسطى الثانية عن الرحلة والرحالة فى العصور الوسطى ، قسم التاريخ كلية الآداب ، جامعة المنيا ١٩٩٣ م) .

٥٠ ـ حسين مؤنس (دكتور) : أطلس تاريخ الإسلام ، ط ١ ، (الزهراء للإعلام العربى ، القاهرة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧ م) .

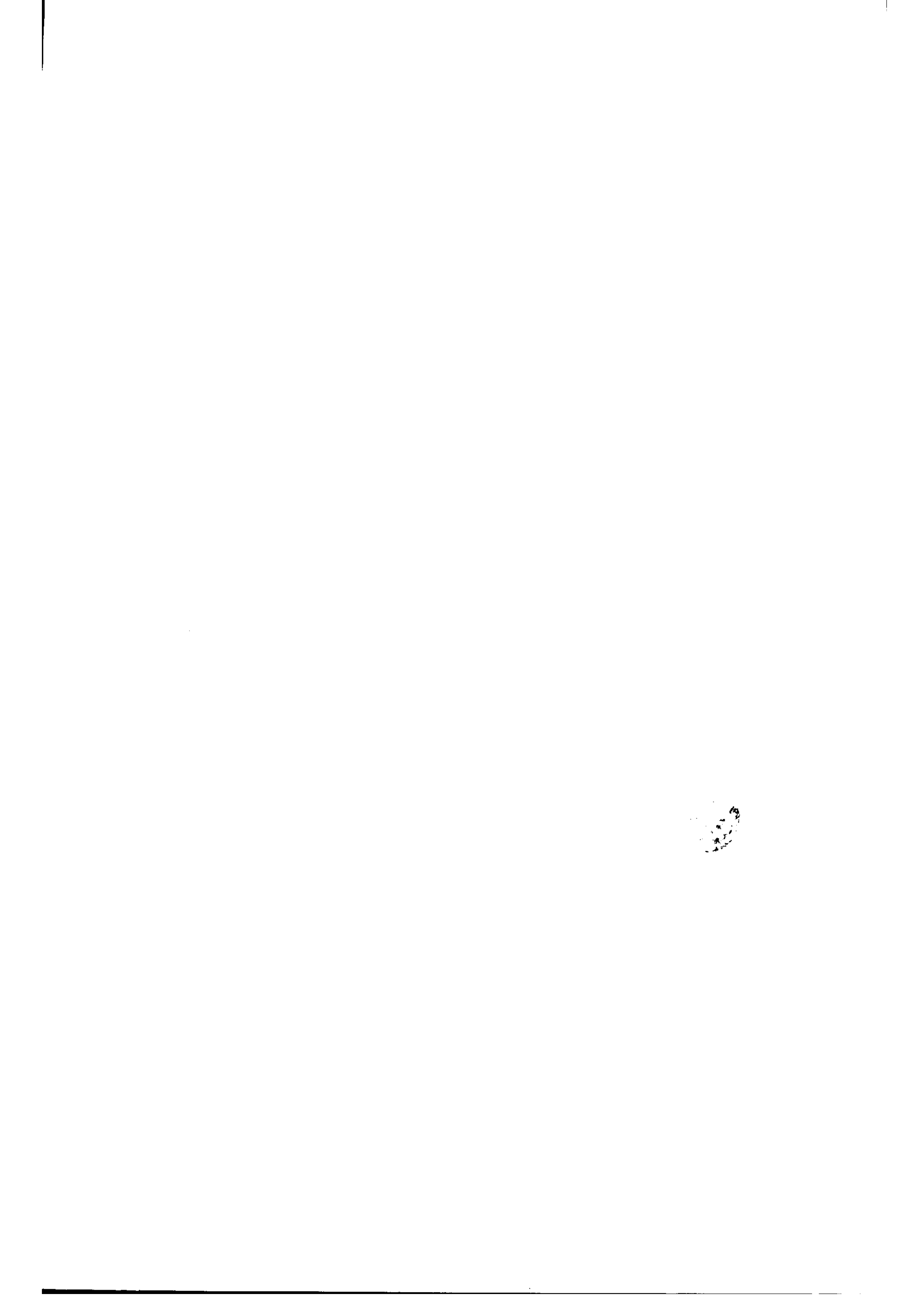
٥١ ـ عفاف صبره (دكتورة) : الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، (دراسة ضمن كتاب " الخلفاء الراشدون " ـ القاهرة : ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ م) .

٥٢ ـ محمد عبد الحميد الحناوى (دكتور) : " ادعاءات اليهود فى الحرم القدسى الشريف ونتائج لجنة التحقيق عام ١٩٣٠ م " ، بحث : ندوة القدس : التاريخ والمستقبل ، مركز دراسات المستقبل ، جامعة أسيوط ، أكتوبر ١٩٩٦ م) .

رابعا : المراجع الأجنبية

1 - Encyclopedia of Islam, Vol. 1, Brill , Leyden , London, 1913 .

القدس : الحقوق القانونية وقرارات الشرعية الدولية



القانون الدولى وقضية القدس

دكتور مفيد شهاب

رئيس جامعة القاهرة

مقدمة

يتعين التأكيد منذ البداية على ضرورة الاهتمام بالجانب القانونى فى أبعاد هذه القضية التاريخية والدينية والسياسية لقضية القدس ، التى تعتبر الحجر الأساسى فى قضية الصراع العربى – الإسرائيلى. ولا أغالى إذا قلت بأننى أعتقد ، بأنه لا سلام ولا أمن فى المنطقة ، إلا بحل عادل يلتزم بحكم القانون واحترام الحقوق ، فى قضية المدينة المقدسة " القدس الشريف" ، منارة الأديان. وإذا كنت قد سعدت بعدم إغفال الجانب القانونى فى إعداد برنامج هذه الندوة ، فذلك لأن هناك فى عالمنا العربى من يعتبر المنهج القانونى درباً من العبث ، طالما أن أحكام القانون الدولى لا تلقى الاحترام من كل الدول ، ولا حتى فى قرارات بعض المؤسسات الدولية المنوط بها إعمال القواعد القانونية ، ولعل قرارات مجلس الأمن التى تكيل بمكيال أو أكثر ، مجرد نموذج على ذلك.

وعلى عكس هؤلاء ، فإننى أنتمى لمن يؤمنون بحتمية الاستناد للمنهج القانونى ، وخصوصاً وأننا أصحاب حقوق ولا نطالب إلا باحترام هذه الحقوق ، المؤكدة بالقوانين وبالقرارات الدولية . أليس غريباً أن نرى المعتدى يتمسح بهذا المنهج القانونى ، لتبرير عدوانه وتمريره ، ولا يرى البعض منا جدوى فى التمسك بهذا المنهج القانونى ، الذى يدعم ما نطالب به من حقوق ، وما ندافع عنه من مصالح مشروعة ، وعلى سبيل المثال:

- العدوان الاسرائيلى على مصر عام ١٩٥٦ ، والذى بررته إسرائيل بأنه دفاع شرعى ، مسموح به فى القانون الدولى .

- حرب ١٩٦٧ والتى بررتها إسرائيل بأنها دفاع شرعى .
- أما العمل العسكرى السورى المصرى عام ١٩٧٣ فقد قالت عنه إسرائيل إنه فى حكم القانون الدولى ، عدوان ، بل لقد وصلت إسرائيل إلى حد الاستناد إلى نظرية الدفاع الشرعى ، فى تبرير قتل الأجنة فى بطون الأمهات الفلسطينيات!

وإذا كنت أؤكد على أهمية المنهج القانونى فى مواجهة المعتدى ، وفى مواجهة المجتمع الدولى ، فلست أدعو بذلك إلى التخاذل عن دعم كل مصادر قوتنا العسكرية والاقتصادية والسياسية والعلمية والتكنولوجية اكتفاء بأننا أصحاب حق ، أو أن القانون فى صفنا . لكننى أزعم أن المنهج القانونى السليم ، لو أحسن استخدامه ، سياسياً وإعلامياً ، لكسبنا نحن العرب وضعا أفضل فى المجتمع الدولى ، ومع المؤسسات الدولية من أجل استرجاع الحقوق.

والتزاما بالأسلوب العلمى فى معالجة هذا الموضوع ، واحتراما للبرنامج المعد ، أجد لزاما على أن أقصر حديثى على قضية القدس دون القضايا الأخرى المرتبطة بها ، أو القضية الرئيسية التى أدت إلى نشأة أزمة القدس: القضية الفلسطينية ، والصراع العربى - الإسرائيلى بصفة عامة . وأقتصر ، أيضا ، فى حديثى على ما هو قانونى فقط ، دون ما هو دينى أو تاريخى أو سياسى ، فقد تحدث فى هذه الجوانب من هم أكثر منى خبرة ودراية . ولذا أتجاوز عن كل هذه الجوانب وأدخل مباشرة فى الناحية القانونية ، وسأحرص على الإيجاز والعرض ، ذلك أننى سأضع ورقة العمل التى أعددتها بين يدى أمانة الندوة لتتضمنها أعمال الندوة.

أولا: وضع مدينة القدس فى ظل قرار تقسيم فلسطين

بموجب قرار تقسيم فلسطين ، الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ٢٩ نوفمبر١٩٤٧ وقرارين لاحقين صدرا فى ١١ ديسمبر ١٩٤٨ ، وفى ديسمبر ١٩٤٩ ، تم وضع نظام للإدارة الدولية لمدينة القدس نظرا لاحتوائها على الأماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين واليهود ، ويشمل النظام الدولى بلدية القدس أى مدينة القدس بأكملها ، بما

فيها من أحياء قديمة وحديثة والقرى المحيطة بها ، والتى تشكل معها وحدة واحدة ، وتم تحديد مشتملاتها فى خريطة ألحقت بقرار التقسيم الصادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧.

وقد تقرر فى هذا التقسيم ، وضع القدس تحت السيادة الجماعية للأمم المتحدة ، بحيث يكون مجلس الوصاية مسئولا عن إدارتها ، ويعين مجلس الأمن ، حاكما للمدينة المقدسة ، يعاونه مجلس تشريعى يتكون من أربعين عضواً ، وتوضع القدس فى حالة حياد دائم ، ويكون لسكانها رعاية خاصة .

لكن النظام الدولى المقترح للقدس لم ير الحياة. وبيان ذلك أن مجلس الوصاية قد كلف بوضع مشروع لهذا النظام تمهيداً لعقد اتفاق دولى بشأنه ، لكن هذا المشروع تعذر إقراره بواسطة الجمعية العامة نتيجة لمعارضة كل من البلاد العربية وإسرائيل لتدويل القدس ، فبقى التدويل معطلاً .

وظل القسم القديم من القدس تحت سيطرة الأردن . وهو الجزء الذى يحتوى على الأماكن المقدسة ، أما القسم الحديث فقد احتلته إسرائيل منذ نشوئها سنة ١٩٤٨ . وفى ٧ يونيو ١٩٦٧ ، احتلت إسرائيل مدينة القدس بأكملها عقب عدوانها على مصر فى ٥ يونيو ١٩٦٧ . ومنذ عام ١٩٦٧ – وحتى الآن – هناك انتهاكات إسرائيلية يمكن حصرها للحقوق المدنية والمعتقدات فى مدينة القدس.

ثانيا : الانتهاكات الإسرائيلية للحقوق الدينية والمعتقدات فى مدينة القدس

لم تكتف سلطات الاحتلال الاسرائيلى ، فى الأراضى العربية المحتلة بانتهاك حقوق الإنسان ، بل امتدت يدها للعبث بالمقدسات ، وخاصة فى مدينة القدس ، حيث عملت على إجراء الحفريات حول الحرم الشريف فى القدس ، واغتصاب وهدم وإزالة العقارات والمقدسات الإسلامية بها وتشريد سكانها ، مستهدفة إزالة الحرم الشريف ومسجد الصخرة والمسجد الأقصى ، وإزالة ما حولهما وما يجاورهما من تراث إسلامى ومسيحى وحضارى ، واستبدال كل ذلك بهيكل جديد لليهودية.

وقد عملت السلطات الإسرائيلية ، منذ احتلال القدس ، على مواصلة إجراءات الحفر حتى وصلت إلى أسوار الحرم الشريف من الجهتين الجنوبية والغربية ، وقد حدد أحد علماء الآثار الإسرائيليين طول هذه الحفريات بـ ٤٨٥ متراً ، كان قد تم حفر ٢٣ متراً منها حتى ١٤ أكتوبر ١٩٧٠ . ثم استمرت هذه الأعمال بصفة متدرجة حتى وصلت في أجزاء منها إلى اكتمال حفر نفق إلى ما تحت قبة الصخرة والإعلان عن ذلك وفتح النفق للإسرائيليين والسائحين في سبتمبر ١٩٩٦.

وقد تجلت قمة الأعمال الإجرامية للسلطات الإسرائيلية بقيامها بإحراق المسجد الأقصى ، في ٢١ أغسطس عام ١٩٦٩ ، في محاولة منها لتهويد القدس العربية والقضاء على أهم معالمها الإسلامية ، كل ذلك من أجل بناء هيكل اليهودية المزعوم مكان المسجد الأقصى.

إن قواعد القانون الدولي تؤكد على حماية الأماكن المقدسة والأماكن الأثرية وذلك لأنها تعتبر تراثا إنسانيا وحضاريا لا يقدر بثمن . كما تلزم هذه القواعد سلطات الاحتلال باحترام هذه الأماكن وعدم المساس بها ، والعمل على احترام حرية ممارسة الشعائر الدينية ، كما تحذر من التدخل في هذه الشئون أو العمل على تعطيلها ، وعلى سبيل المثال، اتفاقية لاهاى الرابعة لسنة ١٩٠٧ في نص المادة ٥٦ ، الذي يقرر أن "أمتلاك البلديات والمؤسسات الدينية والتعليمية ، حتى ولو كانت للدولة ، يجب أن تعامل كالأملاك الخاصة ، وأن الاستيلاء أو التدمير أو الأضرار المتعمد لهذه المؤسسات أو المباني التاريخية أو التحف الفنية محظور ، ويجب أن تتخذ قيد المخالفين لنصوص هذه الاتفاقية كل الإجراءات القضائية" .

كما جرى النص أيضاً ، على حرية ممارسة الشعائر الدينية ، والتزام السلطة المحتلة بوجوب احترام ذلك ، في نص المادة ٢٧ من اتفاقية جنيف الرابعة لسنة ١٩٤٩ الخاصة بحماية المدنيين ، والتي أكدت على حق السكان في المناطق المحتلة في ممارسة شعائرهم الدينية حسب عاداتهم وتقاليدهم.

وقد أكدت محكمة "نورمبرج " في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، على أن تعرض سلطات الاحتلال للأماكن الدينية أو المساس بها ، وكذلك إعاقة أو تعطيل الشعائر الدينية

فى الأراضى المحتلة ، يشكل جريمة من جرائم الحرب ، تدينها قوانين وأعراف الحرب والاتفاقيات الدولية والقوانين الوطنية والمبادئ العامة المعترف بها من قبل الدول المتمدنة. وقد أصدرت محكمة "نورمبرج" أحكاماً عديدة بإدانة الأشخاص الذين قاموا بإغلاق الأديرة وسلب أموال الكنائس والمعابد وانتهاك حرمتها ، وتدخلوا فى ممارسة السكان المدنيين لعقائدهم الدينية واضطهادهم للقساوسة ورجال الدين.

ثالثاً : إسرائيل وإجراءات الاستيلاء والمصادرة للممتلكات العربية فى القدس

نتيجة للغزو الاسرائيلى للدول العربية ، فى ٥ يونيو ١٩٧٦ والاستيلاء على الضفة الغربية ، أقدمت إسرائيل على ضم مدينة القدس واعتبرتها عاصمة موحدة لإسرائيل . أقدمت إسرائيل على هذه الإجراءات متحدية بذلك المجتمع الدولى بأسره ، ومنتهكة لمبادئ القانون الدولى التى أخذت جميع الدول على عاتقها احترامها والالتزام بها ، ومن ضمنها إسرائيل نفسها. ولجوء إسرائيل إلى هذه الإجراءات ، الهدف منه تثبيت أقدامها تدريجياً فى الأراضى العربية المحتلة ، متبعة فى ذلك سياسة إقامة المستوطنات الإسرائيلية لتكون فى المستقبل بمثابة أمر واقع تفرضه إسرائيل على الدول العربية كما فعلت سنة ١٩٤٨ .

وفضلا عن ذلك ، فقد قامت إسرائيل فى أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ بحركة استيطان وضم هائلة فى الضفة العربية عامة والقدس خاصة ، تنفيذاً لمخططها التوسعى:

ففى ٢٨ يوليو ١٩٦٧ ، بعد العدوان بشهر ونصف ، أصدرت إسرائيل أمراً أطلقت عليه اسم " أمر القانون والنظام رقم ١ لسنة ١٩٦٧ " أعلنت فيه أن "مساحة أرض إسرائيل المشمولة فى الجدول الملحق بالأمر ، خاضعة لمرسوم قانون إدارة الدولة الإسرائيلية" . هذا الجدول يتضمن تنظيماً لمدينة القدس بأكملها حتى الجزء الذى كان يقع تحت الحكم الأردنى العربى ، والذى كان يقطنها آنذاك حوالى مائة ألف نسمة من السكان العرب.

ودعا بن جوريون ، فى خطاب له أمام الكنيست الاسرائيلى ، إلى الإسراع فى عملية توطين اليهود فى القدس للقديمة وغيرها من الأماكن المقدسة ، وقال فى هذا الصدد ، أن توطين ٢٠,٠٠٠ أسرة يهودية فى المنطقة المحيطة بالقدس سينهى إلى الأبد كل حديث حول فكرة تدويل المدينة المقدسة.

كذلك قامت إسرائيل بإصدار الأمر رقم (١٤٤٣) المتعلق بمصادرة الأراضى والمبانى داخل أسوار القدس القديمة ، حيث تمتد المساحة المصادرة بين السور الجنوبى الغربى للحرم القدسى الشريف والحى الأرمنى داخل أسوار المدينة ، وتقدر مساحتها بحوالى ١١٦ دونما ، تشمل ٦٠٠ منزلا عربياً وخمسة مساجد و ٤ مدارس وسوقين ومركزين إسلاميين ، وأصبح ساكنوها والبالغ عددهم ٧٠,٠٠٠ نسمة دون مأوى .

كما صدر إعلان لوزير المالية الإسرائيلى فى ٣٠ أغسطس ١٩٧٠ بمصادرة أراضٍ أخرى فى القدس تقع فى منطقة النبى يعقوب ، وتبلغ مساحتها ٤٧٠ دونما ، وأراضٍ عربية أخرى تقع شمال غربى القدس مساحتها ٤٨٤٠ دونما ، وتقدر مساحة الأراضى العربية المصادرة بموجب هذا القرار بحوالى ١١٦٨٠ دونما فى منطقة القدس وحدها.

وقد وصل عدد اليهود الذين أصبحوا يقطنون القدس العربية حتى نهاية ١٩٦٩ ، ثلاثة آلاف نسمة ، وخططت إسرائيل لكى يصل عددهم فى نهاية ١٩٧٣ ، فى القدس العربية ، إلى ٤٢,٠٠٠ نسمة ، واستمرت الزيادة حتى وصلت إلى تغيير جذرى فى النسبة بين اليهود إلى الفلسطينيين فى المدينة ، بحيث أصبح اليهود أكثر من ٥٠٪.

ولقد تعرضت مدينة القدس ووضعيتها حتى خلال مفاوضات السلام فى الشرق الأوسط ، منذ أن بدأت مسيرة مدريد ١٩٩١ وحتى الآن ، إلى العديد من الانتهاكات . وفى العام الماضى وحده يمكننا أن نسجل على سبيل المثال لا الحصر انتهاكين معارضين:

الأول : من جانب إسرائيل التى أعلنت عن مصادرة ٥٣ هكتارا من أراضى القدس الشرقية المحتلة ، لإنشاء حى يهودى جديد يضم ٢٥٠٠ وحدة سكنية ، كمرحلة أولى من خطة تهدف إلى مصادرة ٥٠٠ هكتار إضافية.

الثانى : من جانب الكونجرس الأمريكى ، عندما أعلن روبرت دول زعيم الأغلبية الجمهورية فى مجلس الشيوخ الأمريكى والمرشح للرئاسة الأمريكية القادمة ، عن تقديم مشروع لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس.

وسواء كان هذا الهجوم أو ذاك هو الأشرس ، فإن كليهما يصيب عملية السلام فى مقتل ، وينسف جهودا كثيرة سابقة لإقرار الاستقرار أو التعاون فى المنطقة ويضع البذور للصراع بل للحرب . وباختصار شديد ، فإن كلا من إسرائيل ، إذا ما استمرت فى سياستها الحالية لفرض الأمر الواقع الاستيطانى فى القدس الشرقية - والولايات المتحدة ، إذا استمرت فى اتخاذ قرار بنقل السفارة ، سوف تنسفان عملية السلام بأسرها وتعود فى تقديرى ، أوضاع المنطقة إلى ما كانت عليه ، من حدة وتوتر ، فى أكثر فترات الصراع العربى - الاسرائيلى احتداماً .

ولست فى حاجة إلى الإشارة إلى مدى الجرم المرتكب بحادث إتمام حفر النفق إلى ما تحت قبة الصخرة الذى وقع منذ أسابيع ، فأثار انتفاضة فلسطينية وعربية وسخطاً إقليمياً وعالمياً ضد هذا العدوان.

رابعاً : الأمم المتحدة وموقفها من قضية القدس ومبدأ عدم الاعتراف بالأوضاع الإقليمية غير المشروعة

يقر ميثاق الأمم المتحدة حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، واحترام حقوق الإنسان ، وعدم التفرقة العنصرية ، ومن ناحية أخرى تنص المادة ٢/٤ ، وأيضا يؤكد الميثاق ، على أن يمتنع أعضاء الهيئة جميعاً فى علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضى أو الاستقلال السياسى.

وبناء عليه ، لو أن دولة ما انتهكت حكم المادة ٢/٤ من الميثاق ، والتى تفرض على كافة الدول الامتناع عن استخدام القوة ، فإن كافة الدول تلتزم بموجب الميثاق ، بأن تتخذ من التدابير الجماعية ، ما يحول دون المساس بالسيادة الإقليمية والاستقلال السياسى للدولة المعنية وأن تقمع العدوان الواقع عليها . وهذا الالتزام "الإيجابى" على كل دول العالم ، يفترض بداهة أن يقترن بالتزام "سلبى" مفاده "عدم الاعتراف" بأى تصرف يأتى

مخالفا للمبادئ المذكورة ، ولا بأى أثر من الآثار الناجمة عنه ، والقول بغير هذا يجعل من هذه التدابير غير ذات معنى .

وقد شهدت الأجهزة المختلفة للأمم المتحدة – بعد إنشائها – محاولات لتقنين الالتزام بفكرة عدم الاعتراف بالأوضاع الإقليمية غير المشروعة . من ذلك مثلا: المشروع الذى تقدمت به لجنة القانون الدولى سنة ١٩٤٩ والذى يقرر أن تلتزم كل دولة بالامتناع عن الاعتراف بأى مكاسب إقليمية تحصل عليها دولة أخرى انتهاكاً لأحكام المادة التاسعة ، وهذه المادة التاسعة تؤكد القواعد العامة للقانون الدولى التى تضمن السلامة الإقليمية لكافة الدول.

وقد اعتنقت الجمعية العامة هذا المبدأ ، مبدأ عدم الاعتراف ، وأكدته فى الإعلان الصادر عنها ، والمتعلق بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول الصادر فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٧٠ ، والذى جاء فيه : "إن أية مكاسب إقليمية تم الحصول عليها عن طريق استخدام القوة أو التهديد باستخدامها لا يمكن الاعتراف بشرعيتها".

وعليه طبقاً لهذا المبدأ المسلم به فقهياً ، وفى أجهزة الأمم المتحدة ، نعلم أنه فى أعقاب العدوان الاسرائيلى على كل من مصر وسوريا والأردن ، أصدر مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، قراره الشهير تحت رقم ٢٤٢ ، مقرراً فى ديباجته "عدم قبول الاستيلاء على أقاليم الغير عن طريق الحرب" ، وأن إرساء السلام العادل فى الشرق الأوسط يقتضى "سحب القوات الإسرائيلية من الأقاليم المحتلة إبان النزاع الأخير".

كذلك فى أعقاب توصيات عديدة متعلقة بهذا الهدف ، كان قد صدر قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٤ يوليو ١٩٦٧ يدين كل الإجراءات التى قامت بها إسرائيل لتغيير الوضع القانونى للقدس.

قد يقال إن الجمعية العامة تصدر توصيات غير ملزمة ، وأن ما هو ملزم يصدر عن مجلس الأمن ، لذا انتقل إلى مجلس الأمن . وهنا أذكر بعض القرارات:

١. القرار رقم ٢٥٠ لعام ١٩٦٨ : والذى يدعو إسرائيل إلى الامتناع عن إقامة العرض العسكرى فى القدس بتاريخ الثانى من مايو ١٩٦٨ وطلب من الأمين العام للأمم المتحدة تقديم تقرير للمجلس فى هذا الشأن.

٢. القرار رقم ٢٥١ لعام ١٩٦٨ : وفيه يبدى مجلس الأمن أسفه لإقامة العرض العسكرى الاسرائيلى فى القدس.

٣. القرار رقم ٢٥٣ لعام ١٩٦٨ : والذى يعتبر جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية التى قامت بها إسرائيل بما فى ذلك مصادرة الأراضى والأملاك ، التى من شأنها أن تؤدى إلى تغيير فى الوضع القانونى للقدس، إجراءات باطلة ، ولا يمكنها تغيير الوضع فيها ، ودعا القرار إسرائيل بإلحاح إلى أن تبطل هذه الإجراءات ، وأن تمتنع عن القيام بأى عمل آخر من شأنه تغيير الوضع فى القدس.

٤. القرار رقم ٢٦٧ لعام ١٩٦٩ : يعبر مجلس الأمن فيه عن أسفه لفشل إسرائيل فى إظهار الاحترام لقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة المتعلقة بالقدس . ويؤكد هذا القرار على أن جميع الإجراءات التشريعية والإدارية التى اتخذتها إسرائيل ومن بينها مصادرة الأراضى والممتلكات ، أعمال باطلة ، ويدعو إسرائيل بإلحاح إلى الاعتراف بأن أى تدمير أو تدنيس للأماكن المقدسة أو المبانى أو المواقع الدينية أو أى تشجيع على ذلك ، يهدد بشدة الأمن والسلم الدوليين ، كما يقرر أن العمل المقيت لتدنيس المسجد الأقصى يؤكد الحاجة الملحة لامتناع إسرائيل ، عن خرق القرارات الصادرة عن المجلس ، كما طالبها بإبطال جميع الإجراءات والأعمال التى اتخذتها لتغيير وضع القدس ، أضف إلى ذلك أن المجلس دعا إسرائيل إلى التقيد بدقة بنصوص اتفاقية جنيف الرابعة ، وبالقانون الدولى ، الذى ينظم سلطات دولة الاحتلال ، هذه السلطات التى تقتصر على حق الإدارة اليومية للإقليم المحتل ، دون القيام بأى عمل يؤدى إلى التغيير الجغرافى أو القانونى أو الإدارى للإقليم المحتل . ويدعو هذا القرار إلى الامتناع عن إعاقة المجلس الإسلامى الأعلى للقدس عن القيام بمهماته ، بما فى ذلك أى تعاون يطلبه المجلس.

٥. القرار رقم ٢٩٨ لعام ١٩٧١ : والذى يعتبر ، بعبارات واضحة للغاية ، أن جميع الأعمال الإدارية والتشريعية التى قامت بها إسرائيل لتغيير وضع مدينة القدس ، ومن ضمنها مصادرة الأراضى والممتلكات ونقل السكان والتشريع الهادف إلى ضم القطاع المحتل ، لاغيةً تماما ، ولا يمكن أن تغير ذلك الوضع ، ودعا المجلس الاسرائيلى بإلحاح إلى إلغاء جميع الإجراءات والأعمال السابقة ، وإلى عدم اتخاذ خطوات أخرى فى القطاع المحتل من القدس ، والذى قد يفهم منه تغيير وضع المدينة ، أو قد يجحف بحقوق السكان ، وبمصالح المجموعة الدولية والسلام العادل والدائم.

٦. القرار رقم ٤٦٥ لعام ١٩٨٠ : والذى يدعو إلى إزالة المستوطنات الإسرائيلية القائمة فى الأراضى المحتلة ، وهذا القرار لم يذكر القدس تحديداً ، وإنما قال الأراضى المحتلة . لكن كل قرارات مجلس الأمن ، بلا استثناء ، صريحة بالنص على أن المقصود بذلك كل الأراضى المحتلة بما فيها القدس الشرقية . ومن هنا لا يمكن لإسرائيل أن تتعلل بأى حال بأن الأراضى المحتلة لفظ عام لا ينطبق على القدس الشرقية . إن القدس الشرقية بحكم القانون الدولى وبحكم قرارات مجلس الأمن جزء من الأراضى المحتلة ، تنطبق عليها نفس الأحكام.

٧. القرار رقم ٤٧٨ لعام ١٩٨٠ : والذى دعا جميع الدول إلى عدم نقل بعثاتها الدبلوماسية إلى مدينة القدس مع اعتبار جميع التدابير والإجراءات التشريعية والاستيطانية الرامية إلى تغيير الوضع القانونى للمدينة لاغية ومخالفة للقانون الدولى.

٨. القرار رقم ٦٧٢ لعام ١٩٩٠ : والذى أدان إسرائيل لارتكابها أعمال عنف ضد الفلسطينيين ، وذلك بمناسبة المذبحة التى شهدتها ساحة المسجد الأقصى فى أكتوبر عام ١٩٩٠ ، وطالب إسرائيل بصفتها قوة احتلال ، بالوفاء بمسئولياتها القانونية المقررة بموجب اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩.

٩. القرار رقم ٦٧٣ لعام ١٩٩٠ : والذى جاء رداً على رفض إسرائيل للقرار رقم ٦٧٢ يؤكد فيه مجلس الأمن إصراره على ضرورة امتثال إسرائيل لقرار المجلس السابق ، وأن تسمح لبعثة تقصى الحقائق بأداء مهمتها المقررة بموجب القرار السابق صدوره عن المجلس.

١٠.القرار رقم ٩٠٤ لعام ١٩٩٤ : وقد أدان بقوة المذبحة التى ارتكبت فى مدينة الخليل، وطلب من إسرائيل اتخاذ اجراءات من بينها مصادرة الأسلحة ، بهدف منع أعمال العنف غير المشروعة من جانب المستوطنين الإسرائيليين . وفى الفقرة التمهيدية لهذا القرار يصف القدس من جديد بأنها محتلة ، وفى فقرة أخرى يصف القرار الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى حرب ١٩٦٧ ، بأنها أراضى فلسطينية محتلة.

يستفاد مما سبق ، أن الأمم المتحدة إذ تقرر عدم شرعية التغيرات الإقليمية الناجمة عن العدوان الاسرائيلى على الدول العربية الثلاث ، وتقرر بطلان التصرفات التى اتخذتها إسرائيل بمناسبة احتلالها لأقاليم هذه الدول ، فإنها تعتنق بذلك نظرية بطلان التصرفات التى تصدر بالمخالفة لقواعد القانون الدولى. وتسعى الأمم المتحدة ، من خلال الجمعية العامة ومجلس الأمن ، إلى تأكيد مبدأ الشرعية القائم على فكرة سيادة القانون الدولى ، لكى يحل محل مبدأ آخر هو مبدأ الفاعلية ، القائم على أن الأمر الواقع يصحح التصرفات الباطلة . والفقه والقضاء الدوليان يلتزمان بعدم الاعتراف بأى أوضاع إقليمية غير مشروعة استناداً إلى مبدأ مسلم به فى القانون ، وهو أن الخطأ لا يولد الحق ، على اعتبار أن ذلك المبدأ يعد من المبادئ العامة للقانون الدولى . فإذا كان نوع الخطأ المرتكب ، بسبب التغير الإقليمى أو بمناسبته ، نصبح أمام انتهاك إحدى القواعد القانونية الدولية المتعلقة بالنظام الدولى العام ، وهى ليست قاعدة عادية ، إنما هى قاعدة من القواعد الآمرة التى تشكل صلب النظام الدولى العام ، نصت عليها المواد العديدة فى ميثاق الأمم المتحدة.

ونود الإشارة إلى أن اتفاقية أوسلو فى سبتمبر ١٩٩٣ ، تتضمن نصاً صريحاً ، إذ تتحدث فى المادة الخامسة عن إجراءات التفاوض ، والفترة الانتقالية ، والانتخابات وغير ذلك . وقد تم الاتفاق بين الإسرائيليين والفلسطينيين على أن تتضمن هذه القضايا المتعلقة بموضوعات القدس، واللاجئين ، والمستوطنات ، الترتيبات الأمنية ، والحدود ، الأمر الذى يعنى ، أنه وفقا لأحكام هذه الاتفاقية تكون قضية القدس مؤجلة إلى مرحلة لاحقة من التفاوض . وهذا يعنى ، من وجهة نظر القانون ، بأن هناك تعهداً من إسرائيل ، ينتج أثراً مانعاً نحو إسرائيل ، أن تقوم بأى إجراء منفرد ، منذ لحظة توقيع هذا الاتفاق ، ويطلق على هذا الأثر فى القانون "الأثر الواقف" أى أن هناك فترة لتجميد وضع القدس على ما

كانت عليه منذ لحظة توقيع الاتفاق حتى الانتهاء إلى الوضع النهائى الذى يتم الاتفاق عليه فى التفاوض . إذن فأى تغير فى هذا الوضع ، بالمصادرة أو غيرها يعتبر ، فضلا عن مخالفته للقرارات الشرعية الدولية ، مخالفاً أيضا لالتزام إسرائيل نفسها وفقا لهذا الاتفاق "اتفاق أوسلو" ويكون فى كل الأحوال باطلاً ، ولا يترتب عليه أى أثر قانونى.

الفيتو الأمريكى فى القرار الخاص بالقدس

جاء استخدام الولايات المتحدة الأمريكية للفيتو ضد مشروع القرار الذى كان مقدماً لمجلس الأمن لمطالبة إسرائيل بإلغاء مصادرة الأراضى فى القدس الشرقية مخيباً للآمال ومستفزاً لمشاعر العرب والمسلمين ، فضلا عن مخالفته الصريحة لإدارة المجتمع الدولى، ومخالفته لأحكام القانون الدولى.

ثم يأتى تعقيب " مادلين أولبريت" مندوبة أمريكا فى الأمم المتحدة على التصويت ليضاعف من هذا الاستفزاز ، ويؤكد مدى الابتزاز الاسرائيلى لبلادها ، حين تقول ، إن التصويت كان على مبدأ يتمثل فى أن الطريق الوحيد لتحقيق سلام عادل ودائم وشامل فى الشرق الأوسط هو إجراء محادثات مباشرة بين الأطراف المعنية، وأن مجلس الأمن ليس هو المكان المناسب لذلك . ولقد كان وزير خارجيتنا على حق عندما تساءل ، إذا لم يكن مجلس الأمن هو المكان المناسب ، فأين المكان المناسب إذن ؟

ولعله من المناسب هنا أن نفند هذه المبررات التى جاءت بها مندوبة أمريكا ، وسنقتصر هنا على النواحى القانونية:

١. إن مجلس الأمن هو المحفل الدولى الأساسى لعرض مصادرة إسرائيل لأراضى القدس الشرقية ، لأنه هو الجهاز المختص بالأمور التى تتعلق بحفظ السلم والأمن الدوليين ، وفقا للفصل السادس والفصل السابع من الميثاق ، وأن ما حدث يهدد السلم والأمن الدوليين ، وذلك هو الاختصاص الأول والأساسى لمجلس الأمن.

٢. إن الولايات المتحدة الأمريكية ، التى اتخذت هذا الفيتو ، حتى لا يصدر القرار ، قد شاركت فى إصدار العديد من القرارات المماثلة التى تبناها مجلس الأمن بشأن قضية

القدس . لقد أقرت الولايات المتحدة فى كل القرارات السابقة ، بأن القدس الشرقية جزء من الأراضى المحتلة وأى تغير فيها يخالف القانون الدولى ، ويخالف اتفاقية جنيف ، وأنها لا توافق أبداً على انتقال البعثات الدولية إليها.

٣. إن الأمر الذى كان مطروحا على المجلس يتعلق بانتهاك قاعدة من قواعد القانون الدولى الآمرة المتعلقة بالمصلحة العليا والأساسية للمجتمع الدولى ، مما لا يجوز مخالفتها ، أو الاتفاق على ما يخالف أحكامها. وكان طبيعياً أمام قاعدة آمرة أن يتصدى مجلس الأمن لاتخاذ قرار بشأنها.

وهكذا يتبين لنا مدى انتهاك إسرائيل لعديد من قرارات مجلس الأمن السابقة والمتعلقة بموضوع القدس ، والتى تقضى فى مجموعها ببطلان جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية التى قامت بها إسرائيل بما فى ذلك مصادرة الأراضى والأملاك التى من شأنها أن تؤدى إلى تغيير فى الوضع القانونى لمدينة القدس.

ويتبين لنا كذلك أن مصادرة إسرائيل للأراضى الفلسطينية فى القدس الشرقية – التى هى جزء من الأراضى المحتلة – هو انتهاك صريح لاتفاقية جنيف الرابعة ، الصادرة فى ١٣ أغسطس عام ١٩٤٩ ، والتى تنظم بدقة صلاحيات سلطة الاحتلال العسكرى وتقصرها على الإدارة اليومية ، دون الإخلال بالوضع الجغرافى والسكانى للأراضى المحتلة.

هذا ، وأود التنويه على أننى قد حرصت هنا على الالتزام بالجانب القانونى وحده ، التزاما بما ذكرته فى البداية ، وذلك أننى ما زلت أؤمن أن الالتزام بأحكام القانون والتمسك بها والدفاع عنها أمر يساعدنا كثيراً على استرجاع الحقوق ، طالما أننا لا نكتفى بالقانون فقط ، ولا نكتفى بالحديث فقط ، ولا نكتفى بالندوات فقط وإنما نتسلح بالحق والإرادة والقوة ، ونستعد للتحديات سواء كانت تحديات حرب أو تحديات سلام ، عسكرياً وسياسيا واقتصادياً، تكنولوجياً وعلمياً.

الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

القدس في القانون الدولي[1]

دكتور صالح بكر الطيار

مستشار قانوني ورئيس مركز الدراسات العربي - الأوروبي

مقدمة

احتلت قضية القدس واجهة الأحداث العالمية هذه الأيام بسبب ما طرأ عليها من مستجدات تجلت في إقدام السلطات الإسرائيلية على افتتاح نفق أثري يمتد حتى حائط المبكى ، خارقة بذلك ما تم التصريح عنه في اتفاقات أوسلو من عدم المساس بوضعية القدس ريثما يتم إقفال الملفات الأخرى التي تعتبر أقل تعقيداً .

وإذا كانت سياسة تيار الصقور الذي يتزعمه بنيامين نيتانياهو هي التي أدت إلى حصول المصادمات التي وقعت أخيراً ، وإلى إدخال عملية السلام برمتها ، وعلى سائر الجبهات في نفق مظلم ، وإلى السعي الجدي لتهويد القدس باعتبارها من وجهة نظر تل أبيب العاصمة الأبدية لإسرائيل ، فإن تيار الحمائم الذي يتزعمه شيمون بيريز لم يكن أقل مرونة بشأن ملف القدس بدليل أن هذا التيار هو الذي أقر الاحتفالات بمناسبة (كما يدعي) مرور ٣٠٠٠ عام على اتخاذ الملك داود القدس عاصمة له الأمر الذي أثار سخط العالم العربي والإسلامي نظراً لما تمثله هذه المدينة من قيم روحية وقدسية عند المسلمين .

---

[1] أعدت هذه الدراسة بالتعاون مع الأستاذ الدكتور مفيد شهاب رئيس جامعة القاهرة والمشرف على مركز الدراسات العربي - الأوروبي.

وقد عبر مجلس الجامعة العربية فى قراره الذى يحمل رقم ٥٣٣٨ عن حجم هذا السخط إذ أدان بشكل واضح وصريح الخلفية السياسية والأيديولوجية لقرار الحكومة الإسرائيلية السابقة معتبراً أنها تتعارض مع بديهيات المسيرة السلمية فى المنطقة .

وكعادتها فقد ضربت إسرائيل بعرض الحائط كل الانتقادات والإدانات التى وجهت إليها ولم تعرها أدنى اهتمام. ومع وصول نيتانياهو إلى رئاسة الحكومة فقد صعدت تل أبيب من مواقفها إذ عمدت كما أسلفنا الذكر إلى فتح النفق الذى مضى عشر سنوات على المباشرة بفتحه ، كما وضعت خطة استيطانية جديدة منطلقة فى ذلك من عدة اعتبارات تخدم توجهاتها وأطماعها :

١. الاعتبار الأمنى ويتمثل فى استمرار الحفاظ على أمن المستوطنين من أى ترتيب مستقبلى لوضع المدينة من جهة ، ووجود ترتيبات أمنية على حدود نهر الأردن والخط الأخضر من جهة أخرى .

٢. الاعتبار الدينى – القومى وتشكل المستوطنات فيه بعداً محورياً ، فهو أحد الأعمدة الثلاثة للأيديولوجية الصهيونية (الاستيطان ، الدفاع ، الهجرة) على أرض إسرائيل التوراتية كما يصرح نيتانياهو فى أحاديثه الرسمية والصحفية.

٣. الاعتبار الجيوسياسى إذ ترغب إسرائيل فى ضمان استمرار استحواذها على نصيب الأسد من المياه الجوفية المستخرجة من الضفة بأكملها والبالغة نحو ٦٠٠ مليون م٣ سنوياً ، حتى تستفيد المستوطنات فى القدس ومناطق الحكم الذاتى.

وكانت القدس فى جوهر الاهتمامات الإسرائيلية بعد حرب ١٩٦٧ ، فبعد يومين فقط من العدوان وقف موشى ديان وزير الدفاع (حينذاك) عند الحائط الغربى للمسجد الأقصى ليخطب فى مجموعة من اليهود قائلاً "صباح هذا اليوم حرر جيش إسرائيل القدس ، لقد أعدنا توحيد المدينة وعدنا إلى أقدس الأماكن عندنا ولن نتركها ، ستصبح القدس بشطريها مدينة واحدة وسيكون بإمكان اليهود الوصول إلى بعضهم البعض" . وهكذا قص ديان شريط افتتاح مسلسل المحاولات الإسرائيلية الرامية إلى تهويد القدس.

أما عن بداية الاستيطان ، ففى إبريل /نيسان ١٩٦٨ صادرت سلطات الاحتلال ٣٣٦٠ دونماً ضمت إلى مبانى الجامعة العبرية فى جبل سكوبس "كل المشارف" مع حزام عريض يربطها بغربى القدس ، وكانت هذه الخطة تستهدف إيجاد الجامعة العبرية ومستشفى هداساه ، وتمثل الهدف الثانى فى إيجاد طوق من الفواصل البشرية والسكنية ما بين مراكز القدس وشمالها والسيطرة على الطريق الرئيسى القدس - رام الله من خلال سبع مناطق سكنية من مجمعين رئيسيين فى الجبل والتلة الفرنسية ويضم ثلاث وحدات هى : الجامعة ، جعفات شابيرا شمالاً وجعفات شابيرا جنوباً .

ومنذ ذلك التاريخ والعملية الاستيطانية متواصلة فى القدس وستبقى على هذه الحال لأن اتفاق أوسلو يحمل العديد من الثغرات التى يمكن أن تنفذ إسرائيل من خلالها للسيطرة على القدس . ولعل مقولة حنان عشراوى النائبة المقدسية ووزيرة التعليم العالى فى السلطة الوطنية ، تؤكد خطورة إشكالية الاستيطان فى اتفاق أوسلو ، فقد أعلنت أن الإسرائيليين يحاولون فرض أمر واقع على الأرض قبل المفاوضات النهائية التى ستبحث أيضاً فى موضوع مستقبل القدس ، وإجراء تهويد السكان خطير لأنهم فى المفاوضات سيأتون بقوائم تظهر وجود أقلية عربية فى المدينة مقابل غالبية يهودية .

موقف الولايات المتحدة من القدس

لم يكن من الممكن أن تبدى إسرائيل هذا التعنت والتصلب بشأن هوية القدس ومصيرها المستقبلى لولا التهاون الذى تلقاه من بعض القوى العربية والإسلامية ، ولولا التأييد الذى تتلقاه من عدة دول غربية وتحديداً من الولايات المتحدة الأمريكية التى نصبت نفسها درعاً واقيا لكل الأطماع الإسرائيلية وصوتاً معبراً عن توجهاتها وتطلعاتها.

وتكفى على سبيل المثال الإشارة إلى موقفين صدرا عن الإدارة الأمريكية بشأن القدس للدلالة على مدى تورط واشنطن فى معاداة حقوق العرب والمسلمين :

المرة الأولى : باستخدام الولايات المتحدة للفيتو ضد مشروع القرار المقدم لمجلس الأمن لمطالبة إسرائيل بإلغاء مصادرة ٥٣ هكتاراً من أراضى القدس الشرقية المحتلة لإنشاء حى يهودى جديد يضم ٢٥٠٠ وحدة سكنية كمرحلة أولى من خطة تهدف إلى مصادرة

٥٠٠ هكتار إضافية . وقد جاء تبرير السفيرة "مادلين أولبريت" مندوبة الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة للموقف الأمريكي بأنه قد بنى على مبدأ يتمثل فى أن الطريق الوحيد لتحقيق سلام عادل ودائم وشامل فى الشرق الأوسط هو إجراء محادثات مباشرة بين الأطراف المعنية بشأن وضع مدينة القدس ، وأن مجلس الأمن ليس هو المكان المناسب لذلك . وقد تم احتواء هذا الموقف والتغلب على الأزمة بصدور قرار من رئيس الوزراء الإسرائيلى "بتعليق" القرار الخاص بمصادرة الأراضى فى القدس .

المرة الثانية : وهى موافقة الكونجرس الأمريكى بمجلسيه (الشيوخ والنواب) بأغلبية كبيرة على مشروع القرار الذى يقضى بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس باعتبارها عاصمة لإسرائيل مع حلول نهاية شهر أيار (مايو) من عام ١٩٩٩ بعد أن تتم إجراءات البناء وتجهيز المبنى الجديد ، مع إرسال المشروع إلى الرئيس "بيل كلينتون" بعد تعديل صيغته على نحو يعطى للرئيس الحق فى تأجيل نقل السفارة لمدة ستة أشهر قابلة للتجديد إذا ما وجد فى النقل ما يسبب ضرراً للمصالح الأمريكية فى المنطقة.

ولقد أثار هذا القرار المفاجئ الدهشة والاستغراب وطرح التساؤل حول الأسباب الحقيقية التى دفعت إليه ومدى مشروعيته من الناحية القانونية .

وإذا كان مجلس الأمن - وفقاً للتبرير الأمريكى فى الحالة الأولى - لم يكن هو المكان المناسب لمناقشة وضع مدينة القدس ، وعلى الرغم من تعارض ذلك مع كافة أحكام القانون الدولى وقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة ، فمن حقنا أن نتساءل - فى ضوء موقف الولايات المتحدة فى الحالة الثانية - هل الكونجرس الأمريكى هو المكان المناسب لتحديد وضع مدينة القدس ؟ وما سبب هذا التعارض الصارخ فى مواقف الولايات المتحدة من قضية القدس ؟ وما هو موقف القانون الدولى من القرار الأمريكى الأخير ؟ وسواء كان هذا الهجوم أو ذاك هو الأشرس ، فإن كليهما يصيب عملية السلام فى مقتل ، وينسف جهوداً كثيرة تم بذلها لإقرار الأمن والاستقرار والتعاون فى المنطقة، ويضع بذور الصراع المستمر ، بل من الممكن أن يؤدى إلى نشوب الحرب .

القدس فى القانون الدولى

لعله من المناسب أن نتناول هنا الوضع الخاص بمدينة القدس ، لنتبين عدم شرعية تغيير وضعها القانونى ، ثم نعرض قرارات مجلس الأمن التى تدين ضم القدس الشرقية ولا تعترف بها عاصمة لإسرائيل.

أولا : الوضع الخاص لمدينة القدس :

بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١ الصادر فى ٢٩ نوفمبر / تشرين الثانى ١٩٤٧ بالموافقة على مشروع تقسيم فلسطين ، والقرار رقم ١٩٤ الصادر بتاريخ ١١ ديسمبر / كانون الأول ١٩٤٨ الذى يقضى بتدويل منطقة القدس ، تم وضع نظام للإدارة الدولية لمدينة القدس نظراً لاحتوائها على الأماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين واليهود.

ويشمل النظام الدولى بلدية القدس ، أى مدينة القدس بأكملها بما فيها من أحياء قديمة وحديثة والقرى المحيطة بها والتى تشكل معها وحدة واحدة ، تم تحديد مشتملاتها فى خريطة ألحقت بقرار التقسيم . إلا أن النظام الدولى للقدس لم ير النور نتيجة لمعارضة كل من البلاد العربية وإسرائيل لتدويل القدس ، فبقى التدويل حبراً على ورق. وخلال الخمسينات كانت القوات الإسرائيلية قد احتلت مدينة القدس الجديدة بأحيائها العربية ، وسيطرت القوات الأردنية على مدينة القدس الشرقية بما فيها الأماكن المقدسة كلها . وفى ٧ حزيران / يونيو ١٩٦٧ احتلت إسرائيل مدينة القدس بأكملها عقب عدوانها الذى بدأ فى ٥ يونيو / حزيران من نفس العام . وفى أغسطس /آب عام ١٩٨٠ أقدمت إسرائيل على ضم القدس المحتلة واعتبرتها عاصمتها الموحدة . وكان هذا العمل من جانب إسرائيل تحدياً للمجتمع الدولى بأسره ، وانتهاكاً لمبادئ القانون الدولى التى أخذت جميع دول العالم على عاتقها احترامها والالتزام بها ، ومن ضمنها إسرائيل نفسها وكان الهدف من لجوء إسرائيل إلى هذه الإجراءات تثبيت أقدامها تدريجياً فى الأراضى العربية المحتلة متبعة فى ذلك سياسة إقامة المستوطنات الإسرائيلية لتكون فى المستقبل بمثابة أمر واقع تفرضه إسرائيل على الدول العربية ، كما فعلت فى عام ١٩٤٨ . ولم

يكن أمام دول العالم إلا أن تفرض نقل سفاراتها إلى ما اعتبرته إسرائيل عاصمتها الأبدية ، وإن كان بعضها قد أبقى بعثات قنصلية هناك.

ثانياً : عدم شرعية تغيير الوضع القانونى فى القدس

عكست مواقف دول العالم من احتلال القدس الشرقية فى عام ١٩٦٧ الوضع الخاص للمدينة . وفى هذا الصدد ، أعلنت الولايات المتحدة فى ١٤ يوليو / تموز ١٩٦٧ على لسان ممثلها فى الجمعية العامة "آرثر جولدبرج" أنها تعتبر القدس واحدة من أقدس مدن العالم ، والولايات المتحدة ترى أن القدس الشرقية التى احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ هى منطقة محتلة تخضع لقانون الاحتلال الحربى ، ولا يجوز لإسرائيل أن تدخل عليها تغييرات ، ولذلك فإن التغييرات التى أدخلتها إسرائيل على المدينة تعتبر باطلة ولا تمثل حكماً مسبقاً على الوضع النهائى والدائم للمدينة.

وفى ١٤ تموز (يوليو) ١٩٦٧ أصدرت الجمعية العامة قراراً استنكرت فيه فشل إسرائيل فى تنفيذ قراراها رقم ٢٢٥٣ ، التى كانت قد أكدت فيه عدم شرعية الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل لتغيير وضع المدينة ، وكررت دعوتها إسرائيل إلى إلغاء جميع الإجراءات التى اتخذت والامتناع عن اتخاذ أى عمل من شأنه تغيير وضع القدس.

وفى الأول من يوليو / تموز ١٩٦٩ أكدت الولايات المتحدة أمام مجلس الأمن - مرة أخرى - على لسان السفير " شالز يوست" مندوبها الدائم لدى الأمم المتحدة " أن القدس التى وقعت تحت سيطرة إسرائيل فى حرب ١٩٦٧ مثلها مثل مناطق أخرى احتلتها إسرائيل - تعتبر منطقة محتلة تخضع لنصوص القانون الدولى الذى ينظم حقوق والتزامات دول الاحتلال التى تقضى بأن دولة الاحتلال لا يحق لها أن تحدث تغييرات فى القوانين أو الإدارة" . وفى إطار الخطابات المتبادلة الملحقة بوثائق كامب ديفيد حول القدس ، ورد برسالة الرئيس جيمى كارتر إلى الرئيس أنور السادات ، بتاريخ ٢٢ أيلول / سبتمبر ١٩٧٨ " أن موقف الولايات المتحدة بشأن القدس يظل هو نفس الموقف الذى أعلنه السفير جولدبرج أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٤ يوليو / تموز عام ١٩٦٧ وهو ما أكده من بعده السفير يوست أمام مجلس الأمن فى أول يوليو / تموز

١٩٩١ " ، وكذلك جاء فى رسالة التطمينات الأمريكية إلى الفلسطينيين بتاريخ ١٨ أكتوبر / تشرين الأول ١٩٩١ ، أن الولايات المتحدة تفهم الأهمية التى يعلقها الفلسطينيون على مسألة القدس الشرقية ، ولهذا نريد أن نطمئنكم إلى أن لا شئ - مما سيقوم به الفلسطينيون لاختيار أعضاء وفدهم فى هذه المرحلة من العملية "سيؤثر على مطالبتهم بالقدس الشرقية أو يشكل حكماً مسبقاً أو سابقة لما سينتج عن المفاوضات" ويبقى الموقف الثابت للولايات المتحدة متمثلاً فى أنه : لا يجب أن تعود مدينة القدس مقسمة مرة أخرى وأن وضعها النهائى يجب أن يتم تحديده بالمفاوضات ، ولهذا لا نعترف بضم إسرائيل للقدس الشرقية أو توسيع حدودها البلدية ، ونشجع كل الأطراف على تجنب الإجراءات من جانب واحد ، والتى قد تزيد من حدة التوتر المحلى أو تصعب من المفاوضات أو تستبق تقرير نتائجها النهائية ... وبالإضافة لذلك، فإن موقف الولايات المتحدة يتمثل أيضاً فى أنه بإمكان فلسطينيى القدس الشرقية المشاركة بالتصويت فى انتخابات سلطة حكم ذاتى انتقالية ... وتساند الولايات المتحدة حق الفلسطينيين فى طرح أية مسألة بما فى ذلك مسألة القدس الشرقية ، على مائدة المفاوضات " . وفى وضوح شديد أكد إعلان المبادئ الفلسطينى - الإسرائيلى الموقع فى واشنطن فى ١٣ أيلول / سبتمبر ١٩٩٣ فى المادة ٣/٥ الخاصة "بالفترة الانتقالية ومفاوضات الوضع الدائم" أنه "من المفهوم أن هذه المفاوضات سوف تغطى القضايا المتبقية ، بما فيها القدس واللاجئون والمستوطنات ، الترتيبات الأمنية ، الحدود ، العلاقات والتعاون مع جيران آخرين ، والمسائل الأخرى ذات الاهتمام المشترك " . كما نصت الفقرة الرابعة من نفس المادة على اتفاق الطرفين على أن " لا تجحف أو تخل اتفاقيات المرحلة الانتقالية بنتيجة مفاوضات الوضع الدائم" .

ثالثا : قرارات مجلس الأمن تدين ضم القدس الشرقية ولا تعترف بها عاصمة لإسرائيل!

يمثل قرار إسرائيل باتخاذ القدس عاصمة أبدية تحدياً صارخاً للشرعية الدولية ويتعارض مع أحكام القانون الدولى وجميع القرارات الصادرة عن مجلس الأمن ، وفى مقدمتها القرار رقم ٢٥٠ لعام ١٩٦٨ ، والقرار رقم ٢٥٣ لعام ١٩٦٨ الذى اعتبر جميع

الإجراءات الإدارية والتشريعية التـي قـامت بهـا إسـرائيل - بمـا فـى ذلـك مـن مصـادرة الأراضى والأملاك - التى من شأنها أن تؤدى إلى تغيير فى الوضـع القـانونى للقدس ، إجراءات باطلة ولا يمكنها تغيير الوضع فيها ، والقرار ٢٦٧ لعام ١٩٦٩ الذى أكـد فيـه المجلس - بأوضح العبارات الممكنة - أن جميع الأعمال الإدارية والتشريعية التى قامت بها إسرائيل لتغيير وضع مدينة القدس ، لاغية تماماً ، ولا يمكن أن تغير ذلـك الوضـع ، والقـرار ٤٦٥ لعـام ١٩٨٠ الـذى دعـا إلـى إزالـة المستوطنات الإسـرائيلية القائمـة فـى الأراضى المحتلة ومن بينها القدس الشرقية ، والقرار ٤٧٨ لعام ١٩٨٠ الذى دعا جميـع الدول إلى عدم نقل بعثاتها الدبلوماسية إلـى مدينـة القـدس ، ومـع اعتبـار جميـع التدابـير والإجراءات التشريعية والاستيطانية الرامية إلـى تغيير الوضـع القـانونى للمدينـة لاغيـة ومخالفة للقانون الدولى، والقرارات ٦٧٢ لعام ١٩٩٠ ، ٦٧٣ لعـام ١٩٩٠ ، ٩٠٤ لعـام ١٩٩٤ التى أدانت إسرائيل لارتكابها أعمـال عنـف ضـد الفلسـطينيين فـى المذبحـة التـى شهدتها ساحة المسجد الأقصى فى أكتوبر / تشرين الأول عام ١٩٩٠ ، ووصفت القـدس فيها بأنها أرض محتلة.

وكل هذه القرارات وافق عليهـا المجتمـع الدولـى ، وهـى تؤكـد أن القدس الشـرقية أرض عربية محتلة ولا يجوز تغيير الأوضاع الديموغرافية أو السياسـية فيهـا ، وأن أى تغيير يعتبر باطلاً ولا يعتد به . فالأمم المتحدة إذ تقرر عدم شرعية التغيـيرات الإقليميـة الناجمة عن العدوان الإسرائيلى على الدول العربية وتقرر عدم شرعية الإجـراءات التـى اتخذتها إسرائيل نتيجة احتلالها لأقاليم هذه الـدول ، فإنهـا تؤكـد بطـلان التصرفـات التـى تصدر بالمخالفة لقواعد القانون الدولى وتدعيـم مبـدأ الشـرعية "Legality" القـائم علـى فكرة سيادة القانون الدولى لكى يحل محل مبدأ الفاعليـة "Effectiveness" القـائم علـى أن الأمر الواقع يصحح التصرفات الباطلة . ولمـا كـانت هـذه القواعـد تتعلـق بالمصلحـة العليا والأساسية للمجتمع الدولى ، فإن المخاطبين بها لا يملكون إلا الانصياع لأحكامها ، ولا يجوز الاتفاق على ما يخالفها بالإرادة المنفردة لأى دولة مـن الـدول ، لأنهـا قواعـد مضمونة بجزاء حاسم يتمثل فى بطلان كل تصرف يحدث انتهاكاً لها بطلاناً مطلقاً.

إن الحق لا يبنى على خطأ . وحين يكون هذا الخطأ متعلقاً بمحاولة التغير الإقليمي بين الدول ، فإننا نصبح أمام حالة من حالات انتهاك القواعد القانونية في النظام الدولي العام ، وهو ما ينبغي أن تتكاتف جميع الجهود لوقفه ، والتحذير من مخاطره.

إن الشهداء الفلسطينيين الذين سقطوا أثناء المواجهة مع قوات الاحتلال الإسرائيلي قبل أسابيع قليلة قد فتحوا الطريق أمام غيرهم للسير على دربهم إذا ما واصلت إسرائيل تعنتها وتصلبها. وعلى تل أبيب أن تفهم أن شهادة هؤلاء البراعم لم تكن فقط ردة فعل عفوية على محاولاتها لتهويد القدس بل نابعة أيضاً من قناعة مفادها التصدي لكافة مشاريع تمييع الهوية الحقيقية للقدس الشريف.

الندوة الدولية " القدس: التاريخ والمستقبل " (٢٩-٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

القدس فى القرارات الدولية والسياسات الإسرائيلية : بين عهد الانتداب ومسيرة التسوية السلمية

السيد هانى الحورانى
مدير مركز الأردن الجديد للدراسات

مقدمة

تتمتع القدس بمكانة دينية خاصة لدى المسلمين بوصفها أولى القبلتين وثالث الحرمين فى الجانب الدينى العبادى، كما تعتبر مقدساتها محجاً للمسلمين وفق النصوص الدينية. والقدس فى التقليد المسيحى هى "أم الكنائس" وهى المدينة التى شهدت الأحداث المثيرة فى موت السيد المسيح والنقطة التى انطلقت منها المسيحية إلى أرجاء العالم.

وبالنسبة لليهود فإن القدس تحتل - أيضاً - أهمية بارزة فى عقيدتهم ، إلا أن هذه المكانة الدينية الرفيعة للقدس لدى أتباع الديانات السماوية الثلاث لا تتناقض مع عروبتها أسوة بأى مدينة أخرى فى فلسطين، فالناحية الروحية للمدينة شئ والناحية القومية شئ آخر. ولقد نجحت الدبلوماسية الصهيونية فى استغلال هذا البعد الدينى لمدينة القدس لخدمة هدفها المتمثل فى اغتصاب القدس وحرمان الفلسطينيين العرب من حقوقهم السيادية عليها.

من هنا فإننا ننظر فى دراستنا هذه إلى موضوع القدس على أنه ليس موضوع نزاع دينى على الأماكن المقدسة أو الوصول إليها، وإنما هو نزاع على السيادة على الإقليم، وبالتالى فإن قضية القدس هى قضية سياسية قومية فى المحل الأول لا يمكن بحثها بمعزل عن القضية الأم، القضية الفلسطينية.

سنحاول معالجة موقع القدس فى القرارات الدولية والسياسات الإسرائيلية ضمن الإطار التاريخى للقضية الفلسطينية، ذلك أن قضية القدس تطورت مع تطورها وتعقدت مع تعقدها، وإن أخذت خصوصية معينة. لذلك فإن هذه الدراسة ستتناول قضية القدس إبان عهد الانتداب كنقطة بداية، باعتبار أن الانتداب يشكل الحلقة الأولى فى تطور القضية الفلسطينية، مروراً بأبرز محطات القرارات الدولية والسياسات الإسرائيلية المتعلقة بالقدس، وصولاً إلى "القدس" فى مسيرة التسوية السلمية الحالية.

القدس فى إطار القضية الفلسطينية

عهد الانتداب البريطانى

بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، كانت الأمانى القومية فى العالم العربى، بما فى ذلك فلسطين، متصاعدة ، وكان من بين المسائل التى تواجه الدول الأوروبية المنتصرة مسألة المركز السياسى للأقاليم والشعوب التى كانت واقعة فى السابق تحت الحكم العثمانى. وقد قررت دول الحلفاء فى مؤتمر الصلح المنعقد فى باريس عام ١٩١٩ وضع هذه الأقاليم تحت نظام الانتداب.

إن مفهوم الانتدابات، والذى يمثل ابتكاراً فى النظام الدولى، كان الهدف منه التوفيق بين مطالب العصر الاستعمارى والضرورة الأخلاقية والسياسية المتمثلة فى الاعتراف بحقوق المستعمرين. وقد أرست المادة ٢٢ من مواد عهد الانتداب، القائم على أساس مفهوم أن النهوض بالأقاليم الواقعة تحت "وصاية الأمم المتقدمة يعتبر وديعة مقدسة فى عنق المدنية" . وكان المفروض أن تتوقف درجة الوصاية على مدى النضج السياسى للإقليم المعنى ، بحيث يصنف الإقليم الأكثر تقدماً فى فئة الانتداب (أ)، ويصنف الإقليم الأقل تقدماً فى الفئة (ب)، بينما يصنف أقل الأقاليم تقدماً فى الفئة (ج). وقد عوملت جميع الانتدابات على البلدان العربية، بما فيها فلسطين، على أنها انتدابات من الفئة (أ) التى تسرى على الأقاليم التى اعترف مؤقتاً باستقلالها فى عهد عصبة الأمم.

لقد قسمت تلك الأقاليم التركية السابقة في مؤتمر سان ريمو يوم ٢٥ (أبريل) نيسان ١٩٢٠، وقد منحت إدارة سوريا ولبنان لفرنسا ومنحت إدارة فلسطين وشرق الأردن وبلاد ما بين النهرين (العراق) لبريطانيا العظمى ، وقد أدرجت فلسطين وشرق الأردن في صك انتداب واحد ولكنهما عوملا بوصفهما إقليمين منفصلين. وقد خولت المادة ٢٥ من النص المتعلق بالانتداب على فلسطين لبريطانيا العظمى منع تنفيذ أى حكم من أحكام الانتداب في شرق الأردن إلا بموافقة عصبة الأمم.

وبناء على طلب الحكومة البريطانية أصدر مجلس عصبة الأمم في ١٦ (سبتمبر) أيلول ١٩٢٢، قراراً يوافق بالفعل على وجود إدارة مستقلة لشرق الأردن، وقد استمرت هذه الإدارة المستقلة إلى أن نال الإقليم الاستقلال بوصفه المملكة الأردنية الهاشمية في ٢٢ مارس ١٩٤٦. وكان العراق قد نال استقلاله الرسمي في ٣ أكتوبر ١٩٣٢، ونال لبنان الاستقلال الكامل في ٢٢ نوفمبر ١٩٤٣، وسوريا في ١٩٤٤.

وفي حالة فلسطين لم يؤد صك الانتداب إلى الاستقلال المعترف به بصفة مؤقتة في العهد، بل أدى إلى صراع قدر له أن يستمر إلى الآن.

تحليل صك الانتداب على فلسطين

لقد كان للحركة الصهيونية اليد الطولى في وضع وصياغة صك الانتداب على فلسطين، حيث نجحت في إدخال تصريح بلفور ضمن صك الانتداب الذى أصدرته الحكومة البريطانية في عام ١٩١٧ والذى يتضمن تأييد الحكومة البريطانية لـ "إنشاء وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودى". وهكذا تكون الحكومة البريطانية قد شكلت خرقاً وتحريفاً للمادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم نتيجة لاحتواء صك الانتداب على نصوص متعارضة ليس من السهل التوفيق بينها ، فهو من ناحية قد وضع فلسطين تحت الانتداب (أ) وهذا يفترض أن الشعب الفلسطيني قد وصل إلى درجة من التقدم يعترف له معها بوجوده " كأمة مستقلة " وأن تقوم الدولة المنتدبة بتقديم النصح له، نجده من ناحية أخرى قد تضمن إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وأن تقوم بريطانيا بوضع البلاد في أحوال سياسية واقتصادية لتحقيق هذا الهدف.

إن السند القانونى لنظام الانتداب هو المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم، ويبدو واضحاً من نصوص الصك أنه يتعارض مع أحكام عهد عصبة الأمم، بالإضافة إلى أن صك الانتداب شابه عدة عيوب قانونية تجعله باطلاً ، وأهم تلك العيوب القانونية:

١. أن الشعب الفلسطينى لم يختر بريطانيا كدولة منتدبة، بل رفض الانتداب وطالب بالاستقلال التام.

٢. تصريح بلفور الذى تضمنه يعتبر باطلاً شكلاً وموضوعاً.

٣. لم يتضمن الصك أى نص على إقامة حكومة وطنية فى فلسطين.

٤. اعتراف الصك بالوكالة اليهودية كهيئة رسمية لتمثيل مصالح اليهود يمثل تناقضاً مع عهد العصبة ومع مواد الصك الأخرى.

آثار الانتداب على السيادة الفلسطينية على القدس

وهنا لابد من البحث فى الآثار التى نجمت عن الانتداب هل كان لها تأثير على مركز القدس؟ أى البحث فى آثار الانتداب بالنسبة للسيادة الفلسطينية على القدس. فى هذا الصدد يبرز السؤال أين السيادة فى نظام الانتداب؟

اختلفت الآراء حول هذا الموضوع، ولكن الرأى الراجع أن السيادة تبقى موقوفة للشعب الواقع تحت الانتداب وأن السيادةَ لا تنتقل إلى الدولة صاحبة الانتداب. إن الانتداب على فلسطين لم يغير من المركز القانونى لمدينة القدس، وبالتالى لم يخرج القدس من سيادة شعب فلسطين صاحب الحق فى وطنه، وإذا كانت السلطة الفعلية تمارسها الدولة صاحبة الانتداب، فالسيادة القانونية شئ وممارسة هذه السيادة بصورة فعلية شئ آخر. فبريطانيا كدولة منتدبة مارست السلطة الفعلية فى إقليم فلسطين، وتمتعت بمظاهر السيادة، إلا أن السيادة القانونية لم تنتقل إليها، وبقيت موقوفة للشعب الفلسطينى ، والقدس كمدينة فى إقليم فلسطينى تخضع لما يخضع له الإقليم من أوضاع قانونية وتتأثر بما يتأثر به.

تطور الأحداث خلال فترة الانتداب

خلال الأعوام الثلاثين من وجود بريطانيا فى فلسطين - من عام ١٩١٧ إلى عام ١٩٤٨ - جرت هجرة يهودية واسعة النطاق من الخارج، وخاصة من شرق أوربا، وارتفع أعداد المهاجرين بشكل كبير فى الثلاثينيات نتيجة الاضطهاد النازى لليهود. وخلال هذه الفترة ارتفعت نسبة سكان فلسطين من اليهود الذين كانوا أساساً من المهاجرين، من أقل من ١٠٪ فى عام ١٩١٧ إلى أكثر من ٣٠٪ فى ١٩٤٧. وأدت المطالبات الفلسطينية بالاستقلال ومقاومة الهجرة اليهودية إلى اندلاع ثورة ١٩٣٦، أعقبتها أعمال عنف مستمرة من كلا الجانبين خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها مباشرة. وحاولت بريطانيا العظمى بوصفها الدولة المنتدبة تنفيذ صيغ مختلفة للوصول ببلد تمزقه أعمال العنف إلى الاستقلال ، فجرى النظر فى مشروع للتقسيم وفى صيغة للحكم الذاتى الإقليمى، وفى مشروع مؤداه قيام فلسطين مستقلة، ثم أهملت جميعها. وفى (فبراير) شباط من عام ١٩٤٧ أحالت بريطانيا العظمى المشكلة إلى هيئة الأمم المتحدة.

تقسيم فلسطين وتدويل القدس

إن انتقال القضية الفلسطينية إلى هيئة الأمم المتحدة قد أدى إلى دخول القدس مرحلة جديدة ، وبدأت القدس تأخذ خصوصية معينة فى الصراع العربى الإسرائيلى كنتيجة مباشرة لقرار تقسيم فلسطين الذى أصدرته الجمعية العامة برقم ١٨١ بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩ ، وهو أول قرار دولى يصدر عن هيئة الأمم يتناول القضية الفلسطينية. ويشكل هذا القرار فى واقع الأمر توصية موجهة "للمملكة المتحدة"، بوصفها الدولة المنتدبة ولجميع الدول الأخرى الأعضاء فى هيئة الأمم المتحدة بالقيام - فيما يتصل بنظام الحكم المقبل فى فلسطين - باعتماد وتنفيذ مشروع التقسيم مع الوحدة الاقتصادية، مع مطالبة مجلس الأمن بأن "يتخذ الإجراءات اللازمة المنصوص عليها فى المشروع من أجل تنفيذه ...".

وقد تقرر تقسيم فلسطين إلى "دولة يهودية" غير مسماة و "دولة عربية" غير مسماة ، كما تقرر أن تسحب بريطانيا العظمى وجودها بحلول عام ١٩٤٨، تاركة للدولة اليهودية،

بحلول الأول من فبراير ١٩٤٨، منطقة تتضمن ميناء بحرياً لتيسير قدوم "هجرة كبيرة". وفى أثناء الفترة الانتقالية التى تبدأ فى تشرين الثانى/ نوفمبر ١٩٤٧، تتولى هيئة الأمم تدريجياً دفة الإدارة فى الإقليم كله، على أن تمارس هذه الإدارة عن طريق لجنة، وأن يتم تسليم السلطة إلى الدولتين يوم الاستقلال الذى ينبغى ألا يتجاوز الأول من أكتوبر ١٩٤٨، وقد تقرر أن ترتبط الدولتان فى وحدة اقتصادية.

وقد تم تقسيم فلسطين إلى ثمانية أجزاء، خصص ثلاثة منها للدولة اليهودية وثلاثة للدولة العربية، وتقرر أن يشكل الجزء السابع، وهو يافا، جيباً عربياً فى الإقليم اليهودى، أما الجزء الثامن فقد تقرر أن يكون مدينة القدس بوصفها كياناً مستقلاً يخضع لنظام دولى خاص، على أن يرتبط بوحدة اقتصادية مع الدولتين العربية واليهودية. وتقرر أن يتولى مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة إدارة القدس لفترة أولية تبلغ عشر سنوات، يعيد المجلس فى نهايتها دراسة المشروع، ويصبح سكان المدينة عندئذ أحراراً فى أن يعبروا بواسطة استفتاء عن رغباتهم فيما يتعلق بإمكانية تعديل نظام حكم المدينة. وقد وردت ضمانات موقع القدس فى القرار ١٨١ بالعبارات التالية:

" لا يجوز إنكار أو الإخلال بالحقوق القائمة فيما يتعلق بالأماكن المقدسة والأبنية أو المواقع الدينية" .

" فيما يتعلق بالأماكن المقدسة، تضمن حرية الوصول والزيارة والعبور طبقاً للحقوق القائمة، لجميع سكان ومواطنى الدولة الأخرى ومدينة القدس، وكذلك للأجانب، دون تميز بسبب الجنسية، شريطة الحفاظ على النظام العام واللياقة العامة".

" تصان الأماكن المقدسة والأبنية أو المواقع الدينية ، ولا يسمح بأى فعل قد يخل على أى نحو بطابعها المقدس ....".

إذن يمكن القول بأن أول معالجة قانونية للقدس تقدم بها المجتمع الدولى هى ما تضمنه القسم الثالث من القرار ١٨١ بشأن تقسيم فلسطين، والذى اعتبر أن تدويل القدس هى أفضل وسيلة لحماية جميع المصالح الدينية فى المدينة المقدسة.

ومن الجدير بالذكر أن قرار التقسيم نص على جعل منطقة القدس، لا مدينة القدس وحدها، منطقة قائمة بذاتها "Corpus Separaturm " وجعلها تضم بلدية القدس مضافاً إليها القرى المحيطة بها بحيث تكون قرية أبو ديس أقصاها فى الشرق وبيت لحم أقصاها فى الجنوب وعين كارم أقصاها فى الغرب وشعفاط أقصاها فى الشمال.

تدويل مدينة القدس : الانعكاسات والمواقف

قبل أن نستعرض انعكاسات التدويل على مدينة القدس لابد لنا أولاً من إلقاء الضوء على معنى التدويل وخصائصه :

يعتبر التدويل فكرة حديثة لم تتطور من الناحية العملية إلا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ومن الناحية النظرية فهو نظام جديد على الفقه الدولى أساسه الاتفاق على ممارسة السيادة بصورة دائمة من قبل السلطة الدولية المعهود إليها الإشراف والإدارة بهدف رعاية مصالح الأسرة الدولية واستقرار الأمن والنظام فى المنطقة موضوع النزاع.

ويختلف نظام التدويل فى أغراضه وطبيعته عن سائر أنواع التقسيمات التقليدية لأشخاص القانون الدولى الناقصة السيادة، كالبلاد التابعة أو المستعمرات والمحميات والأقاليم الخاضعة لحقوق الاتفاق ونظام السيادة المشتركة أو الانتداب والوصاية.

وقد بين د. فودة فى كتابه " قضية القدس فى محيط العلاقات الدولية " أوجه الفرق بين التدويل وبين كافة أنواع هذه التقسيمات من خلال الاعتبارات التالية:

١-يختلف التدويل فى أغراضه من حيث إنه فكرة لا تهدف إلى الاستقلال وتقرير المصير حسب رغبات أبناء المنطقة "المدولة"، وأنها تهدف إلى رعاية المصالح المشتركة بالنسبة إلى الوضع الإستراتيجى أو الأهمية الدولية ذات الطابع الإنسانى أو الاقتصادى للمنطقة المدولة.

٢-يكمن الأساس القانونى فى نظامه الاتفاقى المتعدد الأطراف والمفتوح لانضمام جميع أعضاء الأسرة الدولية ذات المصالح المشتركة. وهو فى هذا يختلف عن الأنظمة

الأخرى - فيما عدا الانتداب والوصاية بالنسبة إلى أساسها الاتفاقى الثنائى أو الجماعى المحدود الأطراف، كما فى حالة السيادة المشتركة أحياناً.

٣-يختلف التدويل عن الانتداب والوصاية فى أغراضه التى لا تقتصر على رعاية أو رفاهية سكان المنطقة المدولة أو تحقيق مصلحة إستراتيجية للدول الكبرى المسند إليها أعمال إدارة الانتداب أو الوصاية. كذلك يختلف التدويل عن هذين النظامين من حيث السلطة التى تقوم بالإشراف والإدارة، فهى ليست واحدة منتدبة من قبل الهيئة أو المجموعة الدولية، ولكنها هيئة دولية ذات كيان قانونى مستقل عن كيان هذه الدول.

٤-لا يعنى نظام التدويل تذليل سيادة دولة أخرى غاصبة أو استعمارية كما هو شأن جميع الأنظمة المشار إليها أو الاشتراك على قدم المساواة فى حقوق السيادة، كما هو الحال فى نظام السيادة المشتركة، وإنما التدويل نظام مستحدث له صفته الخاصة ويمارس حقوق السيادة فيه شخص دولى جديد ذو إرادة مستقلة وكيان قانونى مستقل ينبثق عن كيان وإرادة الدول المتعاقبة مجتمعة.

٥-إن أهم ما يميز نظام التدويل بصفة عامة هو أنه نظام دائم لا يجوز إنهاؤه أو تحديد مدته بفترة معينة أو أسباب ينقضى بانتهائها. وهذا على خلاف الأنظمة السابقة التى تأخذ وضعاً مؤقتاً ينتهى بانتهاء الأسباب أو المدة المعينة له فى الاتفاق.

ومن الواضح أن توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٩٤٧/١١/٢٩، بشأن تدويل القدس جاءت خلافاً للصفة الدائمة لنظام التدويل حيث تضمنت أن يعاد النظر فى نظام التدويل بعد عشر سنوات، وهذا يعنى بأن نظام تدويل القدس ليس نظاماً دائماً وإنما نظاماً مؤقتاً محدداً بمدة معينة يعاد النظر فيه بعد مرورها، مما يفقد نظام تدويل القدس أهم خاصة من خصائصه وهى صفة الدوام.

انطلق قرار تدويل القدس هذا من كون القدس مدينة دينية، وذات مكانة قدسية خاصة لدى أصحاب الديانات الثلاث: الإسلامية والمسيحية واليهودية. وقد ينظر إلى هذا التدويل بوصفه، من الناحية الظاهرية، مخرجاً من هذه الأزمة، إلا أنه، فى حقيقة الأمر، ينطوى على غبن كبير للعرب، تجاه أرضهم ووطنهم، لأنه يتضمن مصادرة هذا الحق تحت لافتة " التدويل " الذى هو فى حقيقته، انصياع إلى حد ما للإرادة والادعاءات الصهيونية. ومن

هنا رفض العرب تدويل القدس برفضهم القرار ١٨١ من أساسه، بينما قابل اليهود مشروع التقسيم بالترحيب باعتباره نصراً مؤزراً لجهود الحركة الصهيونية فى إنشاء إسرائيل. على أن أقساماً كثيرة من اليهود فى فلسطين قد قابلت توصية الأمم المتحدة بعدم الرضا التام، حيث إن مشروع التقسيم قد أخرج أجزاء كبيرة من البلاد، ومنها القدس، من نطاق الدولة اليهودية المقترحة.

ولقد ساد الموقف اليهودى بصدد القدس غموض متعمد، وقيل بأن الرأى قد تفرق بينهم حول موضوع التدويل، فبينما عارضته جماعات الإرهابيين وزعامات لها أهميتها، قبلته قيادة الوكالة اليهودية مؤقتاً باعتباره ثمناً لوجود إسرائيل. ولم يفت الوكالة اليهودية أن تدرك الأمر من زاويته تلك فى سبيل تحقيق المطامع الكبرى. فتدويل منطقة القدس من ناحية، قد أصبح جزءاً من مشروع التقسيم الذى من شأنه إنشاء دولة يهودية مستقلة كانت حلم الصهيونية منذ أجيال عديدة، وهو فى حد ذاته سبباً يستحق ألا يرفض معه مشروع التقسيم.

ومن ناحية أخرى، لا تزيد مدة نظام التدويل حسب ما تقرره توصية الأمم المتحدة عن عشر سنوات يصبح بعدها محلاً لإعادة البحث والنظر من قِبَل مجلس الوصاية على ضوء التجارب المكتسبة خلال تلك الفترة من العمل به، وأن يكون لسكان المدينة الحرية فى الإعلان بطريق الاستفتاء عن رغباتهم فى تعديل هذا النظام. وكانت الوكالة اليهودية تتوقع زيادة عدد سكان المدينة اليهود أكثر مما كان عليه بعد عشر سنوات حتى تصبح إعادة النظر فى صالح اليهود.

السيادة على القدس ما بين ١٩٤٨-١٩٦٧

لقد أدى قرار التقسيم إلى انفجار الوضع فى فلسطين، ودعت الهيئة العربية العليا لفلسطين إلى إضراب عام احتجاجاً على تقسيم وطنها. وكَـثُرت الاشتباكات بين الفلسطينيين واليهود بعد أن أخذت القوات اليهودية شبه العسكرية تعمل بمزيد من الحرية، بينما بدأت القوات البريطانية انسحابها. وصار التخريب والهجمات على المنشآت العسكرية والاستيلاء على الأسلحة البريطانية من جانب هذه الجماعات من المعالم

الرئيسية للساحة الفلسطينية، بالإضافة إلى كثرة الاشتباكات اليهودية - العربية. وعندما بدأت الأحداث تتحول إلى مواجهة مسلحة كبرى، أعلنت بريطانيا العظمى أنها سوف تنهى الانتداب فى ١٥ أيار/ مايو ١٩٤٨، أى قبل عدة شهور من الموعد المقرر فى مشروع الأمم المتحدة.

وفى آذار/ مارس ١٩٤٨ فشل مشروع اقتراح قدمته الولايات الأمريكية المتحدة لتمكين مجلس الأمن من اتخاذ إجراء ما بشأن قرار التقسيم، فاكتفى المجلس بالدعوة إلى إنهاء العنف فى فلسطين. وتحت وطأة سرعة التطورات ، لم يبلغ قرار التقسيم حتى مرحلة الإحالة الروتينية إلى اللجنة السادسة لدراسة ما يترتب عليه من آثار ومدلولات قانونية. ولم تستطع لجنة الأمم المتحدة لفلسطين التى أنشئت بموجب القرار ١٨١ الانتقال إلى القدس، بل بالكاد تمكنت من إجراء مشاورات فى نيويورك، وأصبح تشكيل الحرس الشعبى المسلح (الميلشيا) بهدف مساعدة اللجنة فى أداء وظائفها فى فلسطين متعذراً عملياً إزاء تسارع الانسحاب البريطانى وسط حالة متدهورة بلغت فيها الإصابات خلال الأشهر الثلاثة الأولى التى تلت إقرار مشروع التقسيم ٨٦٩ قتيلاً و١٩٠٩ من الجرحى.

ومع إطراد انسحاب الحكومة البريطانية من فلسطين وعجز الأمم المتحدة عن أن تحل مكانها كسلطة حاكمة فعالة، بادرت الحركة الصهيونية إلى العمل على فرض سيطرتها على إقليم الدولة اليهودية الناشئة، وفى الوقت ذاته أوضحت الدول العربية المتاخمة لفلسطين أنها سوف تتدخل. وفى ١٥ أيار ١٩٤٨ دخلت سبعة جيوش عربية إلى فلسطين، وكانت بمثابة حرب عربية إسرائيلية أولى، احتل خلالها الإسرائيليون قسماً كبيراً من "الدولة العربية" وكافة الأراضى المقتطعة "للدولة اليهودية" بموجب قرار التقسيم.

فى خريف ١٩٤٨ ، كانت القوات الإسرائيلية قد احتلت مدينة القدس الجديدة بكل أحيائها العربية، كما احتلت القوات الأردنية القدس القديمة وفيها الأماكن المقدسة كلها، وتمركزت قوات الفريقين المتقاتلين فى مناطقهما. وحين انتهت الحرب العربية الإسرائيلية، كانت القوات الإسرائيلية قد تمكنت من احتلال ٦٦ر٢٪ من المساحة الكلية لمدينة القدس، وبهذا فإن القوات اليهودية احتلت الجزء الأكبر من القدس التى تقرر تدويلها حسب مشروع التقسيم.

واتبعت السياسة الإسرائيلية احتلالها هذا للقدس بفرض سياسة الأمر الواقع de facto على المدينة المقدسة، ففى ١٩٤٩/١٢/٥ أعلن الكنيست ضم القدس الجديدة، وفى ١٩٤٩/١٢/٢٦ أخذ الكنيست الإسرائيلى يعقد اجتماعاته فى القدس، وفى ١٩٥٠/١/٢٣ أصدر قراراً بنقل عاصمة إسرائيل من تل أبيب إلى القدس الغربية، وقد تم نقل كل الوزارات إليها ما عدا وزارة الخارجية التى تم نقلها فى تموز ١٩٥٠. وقد دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة، فى قرارها رقم ١١٤، الصادر فى ١٩٤٩/١٢/٢٠ إلى إبطال نقل هذه الدوائر والوزارات، إلا أن إسرائيل تجاهلته ولم تأخذ به.

أما بالنسبة للجزء المتبقى من القدس، القدس القديمة التى احتلتها قوات الجيش الأردنى فى حرب ١٩٤٨، فقد ضمت بالإضافة إلى الضفة الغربية إلى الأردن فى عام ١٩٥٠. وهذا أيضاً خلق واقعاً جديداً بالنسبة للمدينة المقدسة ، حيث إن الأردن التى أصبحت القدس الشرقية جزءاً منه، لم يوافق على تدويل المدينة المقدسة، وفى الوقت نفسه، لم تعترف سوى بريطانيا والباكستان بالدولة الأردنية الجديدة. واستثنت بريطانيا مدينة القدس القديمة من الاعتراف القانونى بالمملكة الأردنية الهاشمية حيث اعترفت بأن الأردن يمارس سلطة فعلية فى الجزء الذى يحتله من القدس، ولكنها لم تعترف بسيادة الأردن على أى جزء منها "رهناً بالبت نهائياً فى وضع هذه المنطقة". وكذلك الأمر بالنسبة لاعترافها بإسرائيل، فقد اعترفت المملكة المتحدة اعترافاً قانونياً بدولة إسرائيل ولكنها لم تعترف بسيادة إسرائيل الإقليمية على ذلك الجزء الذى تحتله إسرائيل من القدس (القدس الغربية) بل اعترفت بأن إسرائيل تمارس سلطة فعلية فى ذلك الجزء من القدس. وكانت الباكستان الدولة الوحيدة التى اعترفت بسيادة الأردن على مدينة القدس القديمة (الشرقية)، وأما إسرائيل فلم تعترف بسيادتها على القدس الغربية أية دولة قبل حرب حزيران ١٩٦٧.

وبذلك يظهر أنه لا إسرائيل ولا الأردن اكتسبتا السيادة على أى جزء من القدس فى نظر المجتمع الدولى. وكانت الدولتان تحتل كل منهما منطقة من القدس احتلالاً عسكرياً وتمارس فيه إشرافاً فعلياً إلى أن كانت حرب ١٩٦٧.

السياسات الإسرائيلية لتهويد القدس

فى أعقاب احتلال إسرائيل للجزء المتبقى - الشرقى - من المدينة المقدسة بعد حرب ١٩٦٧ أعلنت الحكومة الإسرائيلية عن ضم القدس رسمياً، وعن توحيد شطريها الغربى والشرقى "لتشكيل مدينة القدس الموحدة عاصمة إسرائيل الأبدية" وجاء ذلك عبر سلسلة من قرارات ضم القدس إدارياً وسياسياً لإسرائيل:

ففى تاريخ ١٩٦٧/٦/٢٧، وخلال اليومين التاليين، أصدرت السلطات الإسرائيلية من خلال برلمانها وحكومتها، ثلاثة قرارات استهدفت تهويد القدس العربية:

١-فى ١٩٦٧/٦/٢٧ أصدر الكنيست قراراً (بموجب الأمر رقم ٢٠٦٤) على شكل إضافة فقرة إلى قانون إسرائيلى اسمه (قانون الإدارة والنظام لسنة ١٩٤٨)، خولت حكومة إسرائيل تطبيق ذلك القانون على أية مساحة من الأرض ترى الحكومة ضمها إلى أرض إسرائيل.

٢-بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٨ أصدر سكرتير حكومة إسرائيل أمراً أطلق عليه (أمر القانون والنظام رقم واحد لسنة ١٩٦٧) أعلن فيه أن مساحة أرض إسرائيل المشمولة فى الجدول الملحق بالأمر، خاضعة لقانون قضاء وإدارة الدولة الإسرائيلية، ويضم هذا الجدول منطقة تنظيم أمانة القدس، أى بلدية القدس التى كانت تقع تحت الحكم الأردنى، وحددت تلك المنطقة ما بين مطار وقرية قلنديا شمالاً، وبين حيفا غرباً وقرية صورباهر وبيت صفافا جنوباً وقرى الطور والعيزرية والرام شرقاً والتى يقطنها حوالى مائة ألف من السكان العرب.

٣-وبتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٩ أصدر الجيش الإسرائيلى أمراً يقضى "بحل مجلس أمانة القدس، المنتخب من قِبَل سكان القدس، وبطرد أمين القدس (أى رئيس بلديتها) من عمله، وبإلحاق موظفى وعمال أمانة القدس ببلدية القسم الغربى من المدينة". وأيضاً قامت الحكومة الإسرائيلية بإلغاء القوانين الأردنية واستبدالها بالتشريعات والقوانين الإسرائيلية، وإغلاق المحاكم النظامية الأردنية وإرغام عرب القدس على مراجعة المحاكم الإسرائيلية فيها، وتجميد أحكام المحاكم الشرعية الإسلامية والضغط على

مسلمى القدس لمراجعة محكمة يافا الشرعية الإسلامية والتى تطبق القوانين الإسرائيلية من الأحوال الشخصية خلافاً للعقيدة الإسلامية.

ومنذ ذلك التاريخ تلاحقت ممارسات التهويد الإسرائيلية فى مدينة القدس بوتيرة عالية شملت كافة مجالات وقطاعات الحياة فى المدينة، من أجل طمس معالم المدينة المقدسة، عاملة على تطبيق سياسة الأمر الواقع للاحتلال. ومن أبرز إجراءات التهويد تلك ما يلى:

أ- تغيير الميزان الديمجرافى للسكان

كان من نتائج استيلاء إسرائيل على القدس فى جزئيها، الجديد عام ١٩٤٨، والقديم عام ١٩٦٧ ، تغيير البنية السكانية تغييراً جذرياً. ففى عام ١٩٤٧ كان عدد سكان "الكيان المنفصل" فى القدس حسب إحصاءات الأمم المتحدة (٥٤٠ر١٠٥) عربياً من جهة و(٦٩٠ر٩٩) يهودياً من جهة أخرى. أصبح عدد السكان العرب فى الكيان المنفصل نفسه (٠٠٠ر١٣٥) عربياً أى بزيادة قدرها ٢٨٪ وارتفع عدد اليهود فيه إلى (٠٠٠ر٣٤٠) يهودياً أى بزيادة قدرها ٢٤١٪ فى حين ارتفع عدد السكان العرب عام ١٩٩٠ إلى (٠٠٠ر١٤٠) مقابل (٠٠٠ر٣٦١) يهودياً فى قطاعى القدس. وخلاصة ذلك أن سلطات الاحتلال تمكنت من توطين ما مجموعه (١٢٤) ألف يهودى فى المستعمرات اليهودية التى أقامتها فى القدس الشرقية خلال سنوات ١٩٦٧-١٩٩٠ يقابلهم ما مجموعه (١٤٠) ألف عربى. وقد بلغ عدد سكان القدس عام ١٩٩٥ حوالى (٥٨٣٦٠٠) نسمة منهم(٠٠٠ر١٧٠) فلسطينى ما نسبته ١ر٢٩٪ واليهود (٧٠٠ر٤١٣) نسمة يشكلون ٩ر٧٠٪.

ب- مصادرة الأراضى وإقامة المستوطنات

قام اليهود فى عام ١٩٤٨ باحتلال ما مجموعه (١٩٣٣١) دونماً من أراضى القدس الواحدة المبنية كما كانت عليه قبل ٥ آيار ١٩٤٨، وتشكل هذه المساحة حوالى ٨٠٪ من مساحة القدس بقسميها، فى حين احتفظ الأردن بالبقية الباقية من القدس الشرقية والتى بلغت مساحتها آنذاك (٤٨٣٣) دونماً منها (٨٠٠) دونم تشكل القدس القديمة (داخل الأسوار). وبناء على النسب المئوية الدقيقة فى المنطقة المبنية من القدس عام ١٩٤٨

والتى وردت فى كتاب السيد سامى هداوى، وهو موظف حكومى سابق فى دائرة تسوية الأراضى، بناء على خرائط مسح وسجلات ضريبية، كانت النسب المئوية الدقيقة لملكية العرب واليهود على النحو التالى: فى المدينة القديمة (داخل الأسوار) والتى تبلغ مساحتها (٨٠٠) دونم تقل ملكية اليهود عن خمسة دونمات، وفى القدس الجديدة والتى تبلغ مساحتها (١٩٣٣١) دونماً فإن ملكية الأرض المبنية، بناء على نفس المصدر هى كما يلى:

ملك للعرب ٤٠٪، ملك لليهود ١٢ر٢٦٪، ملك للآخرين (طوائف مسيحية) ٨٦ر١٣٪، ملك للحكومة والبلدية ٩ر٢٪، طرق وسكك حديدية ١٢ر١٧٪.

بعد حرب ١٩٦٧ قامت إسرائيل بإجراء إحصاء لسكان القدس بعد الاحتلال وأصدرت تعليماتها بتطبيق قانون أحوال الغائبين على جميع الغائبين العرب من القسم المحتل. كذلك قامت إسرائيل بتوسيع حدود بلدية القدس والتى كانت تبلغ (٣٨٠٠٠) دونم قبل الاحتلال حيث أصبحت تشمل (١١٠) آلاف دونم هى مساحة القدس الشرقية، وما أضيف إليها من أراضٍ مجاورة حسب حدود البلدية الموسعة التى رسمت عام ١٩٦٧ وقامت السلطات الإسرائيلية بالاستيلاء على ما مجموعه (٥٦) ألف دونم لأغراض إقامة المستوطنات. ويبلغ عدد المستعمرات الإسرائيلية التى أقامتها إسرائيل فى القدس وحولها (٢٨) مستعمرة بالإضافة إلى توسيع الحى اليهودى فى القدس القديمة (داخل الأسوار). ومن الجدير بالذكر أن هذه السلطات تعمد فى كل عملية نهب للأراضى العربية على اختيار المواقع التى تخدم إستراتيجيتهم بحيث جاءت مواقع الأراضى المصادرة والمستوطنات مطوقة لمن تبقى من عرب القدس وقراها غرباً وشمالاً وشرقاً وجنوباً، وجعلهم محصورين ضمن رقعة صغيرة يطوقها السكان الإسرائيليون بثلاثة أطواق: الأول يطوق منطقة الحرم الشريف، والثانى يطوق من تبقى من عرب القدس، والثالث يطوق القرى العربية فى القدس، الأمر الذى يهدد الوجود العربى فى القدس بالتقلص والتصفية.

ج- قرار الكنيست

أقر الكنيست الإسرائيلى فى ١٩٨٠/٧/٣٠، ما سمى بالقانون الأساسى للقدس الموحدة، الذى نص على اعتبار مدينة القدس بشطريها عاصمة موحدة (لإسرائيل) ومقراً

لرئاسة الدولة والحكومة والكنيست والمحكمة العليا. ويدعو القانون إلى اتخاذ الإجراءات التى من شأنها تنفيذ نصوص هذا القانون. ولقد أصبحت المواقف الإسرائيلية الرسمية بخصوص القدس محكومة بهذا القانون.

د- مشروع القدس الكبرى

كشفت جريدة الرأى الأردنية فى عددها الصادر فى ١٥ كانون الثانى ١٩٩٣ - نقلاً عن صحيفة هآرتس الإسرائيلية - النقاب عن مخطط مشروع القدس الكبرى، والذى يشمل أراضى من الضفة الغربية فى المنطقة الممتدة من رام الله والبيرة شمالاً حتى غوش عتصيون جنوباً ومن مستوطنة معالية أودميم شرقاً حتى بيت شيمس غرباً. أى أن هذا المشروع يضم مدن القدس، رام الله، البيرة، بيت ساحور، بيت جالا، بيت لحم إضافة إلى (٦٠) قرية عربية. وتحددت الفترة الزمنية لتنفيذ هذا المشروع ما بين عامى ١٩٨٢ و٢٠٠٢ ويبلغ طول المشروع حوالى (٤٥) كم من الشمال إلى الجنوب و(١٥) كم من الشرق إلى الغرب، وتبلغ المساحة الكاملة نحو (٢٧٩ر٤٤٦) دونم يخصص منها ١٣٪ للإسكان العربى، ١٧٪ للإسكان اليهودى، ٥ر٦٪ للحدائق العامة، ٤٪ للطرق، و٥ر٥٩٪ للأراضى الزراعية. يضم هذا عدداً من المستعمرات الإسرائيلية القائمة منذ عام ١٩٦٧ والموزعة على ثلاثة أطواق بحيث يهدف الطوق الأول إلى محاصرة التجمع العربى داخل أسوار القدس القديمة ويطلق عليه اسم "الحزام الأخضر" حول سور المدينة، ويهدف الطوق الثانى إلى عزل القدس الغربية عن التجمعات السكانية العربية الواقعة فى الجهتين الشمالية والجنوبية منها، ويهدف الطوق الثالث إلى محاصرة القرى العربية المحيطة بالقدس.

ويشير أحد الافتراضات الرئيسية للطاقم المشرف على المشروع من وزراء الإسكان والداخلية، كما جاء فى خطة العمل المقترحة، أنه بوجود حدود سياسية أو غيرها بين القدس والمناطق المحيطة بها، فلن يشكل ذلك حاجزاً أمام وجود "خيار وحيد" لكل السكان الذين تضمهم المدينة الكبرى. ومن أجل ذلك فإن أساس خطة العمل يفترض أنه فى حالة أى حل سلمى أو تنظيمى لبعض أجزاء المدينة الكبرى المختلفة، ومهما كان ذلك فإن

الخطة وتحت كل الظروف ستحافظ على ممر حر للسكان والعمل ورأس المال داخل كل المنطقة المخطط لها.

ولقد افترض المشروع أن عدد السكان العرب فى منطقة القدس الكبرى سيصبح بحلول عام ٢٠٠٢ حوالى (٣٥٣) ألف نسمة بينما سيبلغ عدد اليهود زهاء المليون نسمة.

هـ- انتهاك حرمة المقدسات الإسلامية والمسيحية فى المدينة المقدسة

تهدف إسرائيل من وراء ذلك إلى تهويد الأماكن المقدسة وطمس معالمها الثقافية والحضارية والديمجرافية، وإلغاء طابعها العربى والإسلامى وكذلك طابعها المسيحى. وفيما يتعلق بالمسجد الأقصى شرعت الحركة الصهيونية فى التحضير الجاد لإقامة "الهيكل الثالث" على أنقاض المسجد الأقصى وفرض الأمر الواقع على أرض الإسراء والمعراج. ومن أمثلة ذلك جريمة إحراق المسجد الأقصى فى ٢١ آب ١٩٦٩، تصدع الأبنية الملاصقة للحرم بسبب الحفريات فى ٣١/ آب ١٩٨١ نتيجة نفق أسفل الحرم قامت بحفره السلطات الإسرائيلية، اقتحام الصهيونى هارى جولدمان بتاريخ ١١ نيسان ١٩٨٢ مسجد الصخرة وإطلاقه النار عشوائياً مما أدى إلى استشهاد مواطنين وجرح أكثر من ٦٠ فلسطينياً، مذبحة الاثنين (مذبحة الحرم) فى ٨ تشرين الأول ١٩٩٠ حيث اقتحم الجنود والمخابرات والمستوطنون الحرم واستعملوا كافة الأسلحة مما أدى إلى استشهاد ٢٣ مواطناً عربياً وجرح ٨٥ آخرين، وآخر هذه الجرائم تمثل فى قرار الحكومة الإسرائيلية، فى اجتماع خاص يوم الجمعة ١٩٩٦/٩/٢٠، بفتح النفق الجديد عشية عيد الغفران اليهودى مساء الاثنين ١٩٩٦/٩/٢٤ تحت الحرم القدسى الشريف، والذى يمتد مسافة ٤٠٠م تحت الحى العربى والإسرائيلى فى المدينة، ويسير على طول حائط أساسات المسجد الأقصى، ويبدأ من حائط البراق أسفل الحرم حتى يصل إلى شمال الحى الإسلامى.

وفيما يتعلق بالأماكن المسيحية المقدسة، فقد تعرضت كنيسة القيامة إلى عدة حوادث من قبل إسرائيليين منها سرقة تاج العذراء فى أواخر عام ١٩٦٧، الاعتداء على قناديل الزيت والشموع فوق القبر المقدس فى ١٩٧١/٢/٢٤، إحراق المركز الدولى للكتاب

المقدس فى ١٩٧٣/٢/٦ وهدم كنيسة "الجلاليا" لطائفة الروم الأرثوذكس على جبل الزيتون فى القدس فى ١٩٩٢/٧/٢٣.

وكذلك الضغوط الشديدة على رجالات الطوائف المسيحية لإجبارها على التنازل عن مساحات كبيرة من أراضيها وعقاراتها فى القدس سواء بالبيع المباشر أو الإيجار الطويل (٩٩ سنة) الأمر الذى أدى إلى انخفاض فى عدد سكان القدس من العرب المسيحيين الذين يشكلون أول وأقدم مجتمع مسيحى فى العالم حيث هبط عددهم من (١٨) ألفا عام ١٩٦٧ إلى (١١) ألفا عام ١٩٩٠ وإلى حوالى (٤) آلاف عام ١٩٩٥.

و- عمليات التهويد الأخرى فى المدينة المقدسة

وتشمل نهب ومصادرة أملاك المقيمين وخاصة داخل أسوار المدينة القديمة ومنها "حى المغاربة" المحاذى لحائط المبكى وإجلاء السكان العرب من الأراضى المصادرة بالقوة وتهويد الاقتصاد العربى من خلال منع التجارة إلا بالبضائع الإسرائيلية، وتهويد القضاء النظامى والإسلامى وتهويد التعليم العربى داخل المدينة. وفى ٢٣ آب ١٩٦٨ بدأت السلطات الإسرائيلية بتهويد الإنسان العربى حيث أصدرت قانوناً جديداً لتطبيقه على عرب القدس أسمته "قانون التنظيمات القانونية والإدارية لسنة ١٩٦٨" وينص على وجوب حصول كل عربى صاحب عمل أو مهنة على رخصة جديدة بموجب القوانين الإسرائيلية وعلى أن تعمل كل شركة وجمعية تعاونية عربية على إعادة تسجيل نفسها لدى المحاكم الإسرائيلية.

وكذلك عملت سلطات الاحتلال على تغيير أسماء الشوارع والطرق والساحات العامة العربية والتاريخية واستبدالها بأخرى يهودية.

وباختصار قام الإسرائيليون بتهويد المدينة بأقصى ما يمكن من السرعة، متحدين بذلك جميع المواثيق الإنسانية، غير عابئين بالشكاوى العربية أو بالقرارات الدولية. وفى هذا الصدد تقول الباحثة الكندية "آن لاتندريس" فى دراسة ميدانية لها عن المقاومة الفلسطينية والتغيير المدنى فى القدس ١٩٦٧-١٩٩٤، إن الدولة الإسرائيلية بعد أن ضمت إليها القدس الشرقية بالقوة فى أعقاب حرب ١٩٦٧ هدفت إلى توحيد القدس تحت السيادة

الإسرائيلية باعتبارها " العاصمة الأبدية" لإسرائيل، وبأن السلطات الإسرائيلية بادرت إلى عملية "أسْرلة"* تتفق مع المشروع السياسى والأيديولوجى المتعلق بخلق "أرض إسرائيل" أو "إسرائيل الكبرى".

وتحدد آن لاتندريس مشروع "الأسرلة" بعنصرين أساسيين، الأول يتمثل فى الدمج الجغرافى للقدس الشرقية فى المنطقة الإسرائيلية المقامة سنة ١٩٤٨، أما الثانى فهو خلق أغلبية سكانية يهودية فى القدس الشرقية ليكون من المستحيل إعادة تقسيم المدينة.

أما من حيث تنفيذ مشروع "الأسرلة" على أرض الواقع، فقد ترجم من خلال ضم (٢٨) قرية فلسطينية فى الضفة الغربية، وإقامة مستوطنات حول القدس الشرقية فصلت القرى المجاورة عن المدينة، وهدم حى المغاربة فى البلدة القديمة ليتسنى بناء الحى اليهودى، وكذلك إقامة مبان وإحياء سكنية للإسرائيليين فقط، وإنشاء شبكة من الطرق التى تخدم المستوطنات وتوحد الأجزاء الغربية والشرقية من المدينة.

القرارات الدولية بشأن القدس ١٩٦٧-١٩٩٦

صدرت عشرات القرارات الدولية بعد ضم إسرائيل القدس الشرقية وتوحيد المدينة تحت السيادة الإسرائيلية، طالبت فيها إسرائيل التراجع عن إجراءاتها ووقف أعمالها غير الشرعية، الأمر الذى أهملته إسرائيل حيث لم تعر وزناً لكل القرارات الدولية بشأن القدس بل واستمرت فى تنفيذ سياسات التهويد وفرض الأمر الواقع. وفى هذا المجال سنتطرق إلى أهم القرارات التى صدرت عن الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى والتى لها علاقة بالقدس فقط، ومن هذه القرارات:

- **قرار الجمعية العامة رقم ٢٢٥٣:** أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة هذا القرار فى ١٩٦٧/٧/٤، والذى اعتبر التدابير التى اتخذتها إسرائيل لتغيير وضع القدس الشرقية باطلة، ودعاها إلى إلغاء جميع الإجراءات التى اتخذتها فى المدينة، والعدول عن اتخاذ أى عمل فى المستقبل من شأنه أن يغير معالمها، ولم تعترض على القرار أية دولة، حيث

* استخدام مصطلح "الأسرلة" بدل "التهويد" لتأكيد الأهداف السياسية والأيديولوجية لدولة إسرائيل التى تشمل النواحى الدينية والعرقية ولكنها لا تقتصر عليها.

وافقت عليه ٩٠ دولة، وامتنعت ٢٠ عن التصويت، ولم تشترك إسرائيل في المناقشة، ويعتبر هذا القرار أول القرارات الدولية التى تنتقد التصرفات الإسرائيلية فى القدس.

- **قرار الجمعية العامة رقم ٢٥٤:** أصدرت الجمعية هذا القرار في ١٩٦٧/٧/١٤، وقد ندد بفشل إسرائيل في تنفيذ قرار الجمعية العامة السابق، ووجه نداء جديداً لإسرائيل دعاها فيه إلى إلغاء جميع التدابير التى اتخذتها القدس الشرقية، والعدول عن اتخاذ أى عمل من شأنه تغيير معالم المدينة.

- **قرار مجلس الأمن رقم ٢٥٠:** اتخذه مجلس الأمن الدولى في ١٩٦٨/٤/٢٧، ودعا فيه إسرائيل إلى الامتناع عن إقامة العرض العسكرى فى القدس.

- **قرار مجلس الأمن رقم ٢٥١:** اتخذ هذا القرار في ١٩٦٨/٥/٢، أبدى فيه الأسف العميق لإقامة العرض العسكرى فى القدس.

- **قرار مجلس الأمن رقم ٢٥٢:** صدر في ١٩٦٨/٥/٢١، ودعا إسرائيل إلى إلغاء جميع إجراءاتها فى تغيير وضع القدس. وعلى رفض الحصول على أراضٍ عن طريق الغزو المسلح، واعتبر جميع التدابير والأعمال الإدارية والتشريعية الإسرائيلية باطلة، بما فى ذلك نزع ملكية الأراضى والممتلكات القائمة عليها. وطالب إسرائيل بإلغاء جميع الإجراءات التى قامت بها فى القدس الشرقية، والعدول فوراً عن اتخاذ أى عمل آخر يرمى إلى تغيير وضع القدس.

- **قرار مجلس الأمن رقم ٢٦٧:** صدر في ١٩٦٩/٧/٣، وأكد على عدم جواز ضم الأراضى بالغزو العسكرى، وانتقد جميع الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل لتغيير معالم القدس، وطالبها بإلغاء جميع تلك الإجراءات.

- **قرار مجلس الأمن رقم ٢٧١:** صدر في ١٩٦٩/٥/١٥، ودعا إسرائيل إلى عدم تدنيس مسجد الأقصى، وإلغاء جميع الإجراءات التى من شأنها تغيير وضع القدس.

- **قرار مجلس الأمن رقم ٢٩٨:** صدر في ١٩٧١/٩/٢٥، وأبدى أسفه لعدم احترام إسرائيل للقرارات الدولية السابقة، الخاصة بإجراءاتها لتغيير وضع القدس، وأكد القرار على أن جميع الأعمال التشريعية والإدارية التى اتخذتها إسرائيل بما فى ذلك مصادرة

الأراضى والممتلكات ونقل السكان، ووضع تشريعات تهدف إلى ضم القدس الشرقية، كلها أعمال باطلة ولا يمكن أن تغير الوضع. ويدعو إلى إلغاء جميع الإجراءات والأعمال السابقة وعدم اتخاذ خطوات أخرى فى القطاع المحتل من القدس من شأنها أن تؤدى إلى تغيير وضع المدينة أو تجحف بحقوق السكان ومصالح الأسرة الدولية.

ومن القرارات الأخرى التى صدرت عن مجلس الأمن الدولى المتعلقة بالقدس، القرارات التالية:

- قرار رقم ٢٩٨ الصادر فى ١٩٧٤/٩/٢٥.
- قرار رقم ٤٤٦ الصادر فى ١٩٧٩/٣/٢٢.
- قرار رقم ٤٥٢ الصادر فى ١٩٧٩/٧/٢٠.
- قرار رقم ٤٦٥ الصادر فى ١٩٨٠/٣/١.
- قرار رقم ٤٧١ الصادر فى ١٩٨٠/٦/٥.
- قرار رقم ٤٧٦ الصادر فى ١٩٨٠/٦/٣٠.
- قرار رقم ٤٧٨ الصادر فى ١٩٨٠/٨/٢٠.
- قرار رقم ٥٩٢ الصادر فى ١٩٨٦/٩/٨.
- قرار رقم ٦٠٥ الصادر فى ١٩٨٦/١٢/٢٢.

وأكدت تلك القرارات على اعتبار القدس الشرقية بأنها تحت الاحتلال، وعلى عدم جواز احتلال أراض بالقوة. وبطلان ضم القدس لإسرائيل وتحذير إسرائيل من إجراء أى تغيير فى معالم المدينة المقدسة، سياسياً أو قانونياً أو جغرافياً أو سكانياً. كما أشارت بعض القرارات إلى اعتبار الإجراءات التى نفذتها إسرائيل فى القدس الشرقية، بأنها أعمال عدوانية وتعرض السلام فى الشرق الأوسط للخطر.

وفى الواقع فإن معظم تلك القرارات تنطبق عليها المادة (١٠٣) من الباب السابع من ميثاق الأمم المتحدة الذى ينص على أنه "إذا تعرضت الالتزامات التى يرتبط بها أعضاء الأمم المتحدة وفقاً لأحكام هذا الميثاق مع أى التزام دولى آخر يرتبطون به، فالعبرة تكون

لالتزاماتهم المترتبة على هذا الميثاق". وهذا يعنى أن قرارات مجلس الأمن تكون ملزمة لجميع الأعضاء، وتكون التزاماتها أهم من التزامات الدولة الخاصة. وبالنسبة لوضع القدس الشرقية، فإن التزامات إسرائيل تجاه ميثاق الأمم المتحدة من المفروض أن تحترم وتطبق أكثر من التزاماتها المحلية.

عندما أصدرت إسرائيل قانون (Basic Law) فى ١٩٨٠/٧/٣٠ ، بجعل القدس "الموحدة جزءاً من دولة إسرائيل وعاصمتها"، والذى كان مخالفاً لجميع القرارات الدولية السابقة التى دعت إلى عدم تغيير معالم القدس الشرقية، اتخذ مجلس الأمن الدولى قراراً رقم (٤٧٨) فى ١٩٨٠/٨/٢٠، رداً على القرار الإسرائيلى الذى اعتبره قراراً باطلا ودعا فيه الدول التى لها بعثات دبلوماسية فى القدس إلى سحب تلك البعثات من القدس كما اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً رقم ١٦٩/٣٥ فى ١٩٨٠/١٢/١٥، انتقد بشدة قرار إسرائيل، واعتبر التصرف الإسرائيلى بأنه يخالف القرارات الدولية السابقة واتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩.

وفى أكتوبر ١٩٩٠ اتخذ مجلس الأمن قراراً رقم (٦٧٢) أدان فيه إسرائيل بالإجماع بسبب ارتكابها لأعمال العنف ضد الفلسطينيين فى ساحة الأقصى فى الثامن من أكتوبر ١٩٩٠، وألزمها بوصفها "قوة احتلال" تنفيذ مسئولياتها المحددة باتفاقية جنيف إزاء المدنيين الواقعين تحت ظروف الاحتلال (الاتفاقية الرابعة).

وفى ١٩٩٠/١٠/٢٤ أصدر مجلس الأمن القرار رقم (٦٧٣) والذى أكد فيه المجلس بالإجماع على وجوب امتثال إسرائيل للقرار السابق للمجلس رقم (٦٧٢).

وفى شهر آذار/ مارس ١٩٩٤ اتخذ مجلس الأمن الدولى قراراً رقم (٩٠٤) بعد مجزرة الخليل جاء فيه "وإذ يؤكد مجدداً قراراته ذات الصلة التى تؤكد انطباق اتفاقية جنيف الرابعة المؤرخة فى ١٢ آب ١٩٤٩ على الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى حزيران/ يونيو ١٩٦٧ بما فى ذلك القدس والمسئوليات التى تقع على عاتق إسرائيل بموجبها".

القدس فى مسيرة التسوية السلمية

تشكل القدس أحد العوائق الكبرى فى مسيرة التسوية العربية - الإسرائيلية، وذلك نتيجة تمسك أطراف النزاع بوجهات نظر متناقضة إزاء مستقبل هذه المدينة، فوجهة النظر الإسرائيلية كما سبق وأوضحنا تتلخص فى أن المدينة يجب أن تكون موحدة وتحت السيادة الإسرائيلية مبررة ذلك بأفكار ونظريات لا سند لها فى القانون الدولى المعاصر، لأنها تقوم على تسويغ الضم الفعلى واستمرار الاحتلال، بينما يتمسك الطرف الفلسطينى بأن السيادة على مدينة القدس تعود للشعب الفلسطينى، وبأن الاحتلال الإسرائيلى لها لا يترتب عليه نقل للسيادة، كما أن إجراءات الضم الفعلى للمدينة التى قامت بها إسرائيل تفتقر إلى الشروط القانونية للضم وتتعارض مع أحكام القانون الدولى مستنداً فى ذلك إلى التأييد الدولى.

والآن يبرز السؤال: ماذا قدمت الاتفاقات التى تمخضت عنها مسيرة التسوية السلمية من أجل حل قضية القدس؟ سنحاول الإجابة عن هذا التساؤل من خلال تحليل بنود المعاهدات المتعلقة بقضية القدس.

وثيقة إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكومة الذاتية الانتقالية "أوسلو" الموقعة فى واشنطن يوم ١٣ أيلول ١٩٩٣ :

المادة الأولى من هذه الوثيقة، وتحت عنوان "هدف المفاوضات" تنص على أن :

"هدف المفاوضات الإسرائيلية - الفلسطينية ضمن عملية السلام الحالية فى الشرق الأوسط هو من بين أمور أخرى، إقامة سلطة حكومة ذاتية انتقالية فلسطينية، المجلس المنتخب ("المجلس") للشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة، لفترة انتقالية لا تتجاوز الخمس سنوات وتؤدى إلى تسوية دائمة تقوم على أساس قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ . من المفهوم أن الترتيبات الانتقالية هى جزء لا يتجزأ من عملية السلام بمجملها وأن المفاوضات حول الوضع الدائم ستؤدى إلى تطبيق قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨".

وتنص المادة الخامسة من نفس الوثيقة على ما يلى:

١- تبدأ فترة السنوات الخمس الانتقالية عند الانسحاب من قطاع غزة ومنطقة أريحا.

٢- سوف تبدأ مفاوضات الوضع الدائم بين حكومة إسرائيل وممثلى الشعب الفلسطينى فى أقرب وقت ممكن،

ولكن بما لا يتعدى بداية السنة الثالثة من الفترة الانتقالية.

٣- من المفهوم أن هذه المفاوضات سوف تغطى القضايا المتبقية، بما فيها القدس، اللاجئون، المستوطنات، الترتيبات الأمنية، الحدود، العلاقات والتعاون مع جيران آخرين، ومسائل أخرى ذات الاهتمام المشترك.

٤- الاتفاقات التى تم التوصل لها للمرحلة الانتقالية لا تجحف أو تخل بمفاوضات الوضع الدائم".

إذن حددت المادة الأولى من وثيقة أوسلو المرجعية القانونية لمفاوضات الوضع الدائم - والتى من ضمنها القدس - بقرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ فقط، وأن استثناء القرار ١٨١ وعدم اعتباره قراراً مرجعياً للمفاوضات المستقبلية بشأن القدس سيمكن إسرائيل من اغتصابها للقدس الغربية التى احتلتها عام ١٩٤٨م.

فقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وعلى الرغم من اعتباره من أهم قرارات مجلس الأمن المتعلقة بالصراع العربى الإسرائيلى إلا أنه ليس كذلك بالنسبة لقضية القدس، حيث إنه لم يتحدث عن قضية القدس بشكل مباشر، بل دعا إسرائيل إلى الانسحاب من الأراضي العربية التى احتلتها فى حرب ١٩٦٧، وهذا يشمل القدس الشرقية بطبيعة الحال. ولكن الجانب الآخر من القرار، اعترف ضمناً بسيادة إسرائيل على الأراضى التى استولت عليها بعد عام ١٩٤٨ والتى كانت خارج إطار التقسيم عندما نص على سحب القوات المسلحة الإسرائيلية من الأراضى المحتلة "النص الفرنسى" أو أراضٍ احتلتها "النص الإنجليزى" فى النزاع الأخير، واقتصر القرار بالمطالبة بالانسحاب الإسرائيلى من الأراضى الفلسطينية والعربية منذ حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ أما الأراضى التى احتلتها إسرائيل بعد التقسيم والتى لم تكن داخلة ضمن الدولة اليهودية، فقد أصبح الوجود

الإسرائيلى فيها قانونياً، بعد صدور قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ، وهذا ينطبق على السيادة الإسرائيلية على القدس الغربية الذى لم يكن قانونياً لأنها كانت من ضمن القدس المدولة حسب القرار (١٨١) ، وأصبح الوجود الإسرائيلى فيها معترفاً به دولياً بعد صدور القرار. وجاء قرار مجلس الأمن الدولى رقم ٣٣٨ والذى يمثل القرار المرجعى الثانى لعملية التسوية السلمية الحالية لكى يدعم القرار الأول حيث طالب إسرائيل بالانسحاب إلى حدود ما قبل حزيران ١٩٦٧.

وهكذا فإن القرار (٢٤٢) يتنكر لعدوان إسرائيل على جزء من القدس ويتغاضى عنه فى جزء آخر. وبالتالى يكون هدف المفاوضات بين الفلسطينيين والإسرائيليين حول القدس المدرجة ضمن قضايا الوضع الدائم تطبيق قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ ، وهذا يسفر بأنه بمثابة اعتراف بضم إسرائيل للقدس الجديدة عام ١٩٤٨.

بالنسبة لإرجاء بحث موضوع القدس إلى المرحلة الأخيرة من المفاوضات (كما نصت المادة الخامسة من وثيقة أوسلو) فإن من شأنه أن يخضع القدس لظروف تسمح لإسرائيل بمواصلة تغيير معالم المدينة المختلفة ومكوناتها الديمجرافية والتاريخية إلى أن تتغير وقائع وحقائق كثيرة على الأرض تجعل من حلها حتى حسب القرار (٢٤٢) حلاً صعباً ، الأمر الذى يعنى ، بالضرورة ، أن حل قضية القدس حسب القرار ١٩٤ القاضى بتدويل القدس ، والذى ترفضه إسرائيل ولم يدرج كقرار مرجعى للمفاوضات أمرٌ فى غاية الصعوبة ، آخذين فى الاعتبار أنه نتيجة للتغييرات الديمجرافية التى أحدثتها إسرائيل فى القدس فإن نسبة العرب إلى اليهود فى القدس هى ١:٣.

يضاف على ذلك أن إسرائيل فى معاهدة السلام بينها وبين الأردن (١٩٩٤) وحسب المادة التاسعة أعطت الأردن دوراً خاصاً بالنسبة للأماكن الإسلامية المقدسة فى القدس فى مفاوضات الوضع النهائى، الأمر الذى سيزيد من ضعف وتشتت الموقف العربى حيال قضية القدس فى الوقت الذى تعتبر فيه مسألة السيادة على القدس وأنها عاصمة موحدة وأبدية لدولة إسرائيل وضرورة استمرار العمل لترجمة ذلك على أرض الواقع مسألة محط إجماع فى التركيبة السياسية فى إسرائيل.

خاتمة

بعد هذا الاستعراض لقضية القدس من خلال القرارات الدولية والممارسات الإسرائيلية منذ عهد الانتداب البريطاني وحتى مسيرة التسوية السلمية الحالية، يلاحظ نجاح الدبلوماسية الصهيونية الإسرائيلية في تحقيق حلمها المتمثل في الاستيلاء على القدس، وقد أثبتت في هذا الصدد خبرة في المناورة خدمت هدفها النهائي، إذ قدرت منذ البداية الظروف والأوضاع التي استدعت حاجتها إلى العطف الدولي، وحسبت إمكاناتها وإمكانات خصومها حساباً دقيقاً استطاعت في ضوئه أن تكسب معركة الدعاية قبل أن تخوض معركة الجيوش.

ونتيجة لذلك نجحت في السيطرة على القدس على مراحل وبوسائل متعددة. في صك الانتداب البريطاني على فلسطين كان لها اليد الطولى في صياغته بحيث جاء متضمناً لوعد بلفور، وفي قرار تقسيم فلسطين استطاعت خلق "قضية" القدس والخروج بقرار تدويلها. ثم بعد ذلك ، ونتيجة لتغيير المعطيات لجأت إلى أسلوب العنف فاحتلت الجزء الغربي من القدس عام ١٩٤٨ وأكملت احتلالها للجزء الشرقي منها على إثر حرب ١٩٦٧ ، وبعدها مارست سياسات الضم والتهويد والأمر الواقع ، ضاربة عرض الحائط بقرارات الأمم المتحدة التي طالبتها بالتراجع عن إجراءاتها غير الشرعية بشأن القدس، وصولاً إلى مسيرة التسوية السلمية والتي تمكنت فيها إسرائيل من جعل المرجعية القانونية لها لكافة المفاوضات – بما فيها المفاوضات حول قضية القدس ممثلة بقراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ فقط دون قرار التدويل، من ناحية، ومن ناحية أخرى نجحت في تأجيل البت في القضية حتى تستكمل خلق واقع يصعب معه إيجاد حل لا يتماشى مع مخططاتها كل هذا لم يقابله على الجانب العربي مجرد إجماع أو تصور محدد لمعالجة قضية القدس.

المراجع

١- الأمم المتحدة، منشأ القضية الفلسطينية وتطورها ١٩٧١-١٩٨٨ ، نيويورك، ١٩٩٠.

٢- سالم الكسواني، المركز القانوني لمدينة القدس، محاضرة ألقيت في مقر رابطة الكتاب الأردنيين، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين بالتعاون مع أمانة القدس، عمان، حزيران ١٩٧٨ .

٣- المقدم المهندس نصري رشيد نوار ، أبعاد تدويل القدس، سلاح الجو الملكي بكلية القيادة والأركان الجوية ، عمان ١٩٩٣.

٤- الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثالث، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٨٤

٥- عز الدين فودة، قضية القدس في محيط العلاقات الدولية، مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت ، كانون الثاني (يناير)١٩٦٩.

٦- ماجد كيالي، القدس في القرارات والمشاريع الدولية، مجلة صامد الاقتصادية، العدد ٨٥ ، تموز- آب- أيلول ١٩٩١.

٧- جلنار النمس، القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة (١٩٤٧-١٩٧٣): قرارات ومواقف، مجلة شؤون فلسطينية، العدد ٩٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩.

٨- أحمد سعيد نوفل، الصراع على القدس بين القرارات الدولية ومشاريع الحلول السياسية،، بحث مقدم إلى ندوة الحقوق العربية الثابتة في القدس، عمان ، ٥-٨ تشرين أول ١٩٩٦.

٩- نواف الزرو، القدس في السياسة الرسمية الإسرائيلية"، مجلة صامد الاقتصادي، العدد ٨٥، تموز- آب - أيلول ١٩٩١.

١٠- أمين القدس/ روحي الخطيب، القدس في ظل الاحتلال العسكري الإسرائيلي، مجلة القدس الشريف، العدد الأول نيسان ١٩٨٥.

١١- لجنة يوم القدس الندوة السابعة ٥-٨ تشرين أول ١٩٩٦ عمان القدس أمانة في عنق كل عربي ومسلم :حقائق ومعلومات.

١٢- مركز دراسات الشرق الأوسط، إسرائيل تستولي على بيت المقدس وفق مخطط إستراتيجي، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، أكتوبر ١٩٩٦.

١٣- آن لاتندريس، المقاومة الفلسطينية والتغيير المدني في القدس ١٩٦٧-١٩٩٤، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية-مطبوعات PASSIA، القدس، نيسان (إبريل) ١٩٩٥.

١٤- مصطفى محمود عفيفى، الحقوق العربية فى مدينة القدس: رؤية تاريخية وقانونيـة فـى ضـوء قرارات منظمة الأمم المتحدة، ورقة بحثية مقدمـة إلـى أعمـال النـدوة السـابعة ليوم القدس الحقوق الثابتـة فـى القدس، ٥-٨ تشرين الأول ١٩٩٦، عمان.

١٥- وثيقة إعلان المبادئ (أوسلو) حول ترتيبات الحكومة الذاتية الانتقالية، واشنطن، ١٣ أيلول ١٩٩٣.

١٦- الاتفاقية الإسرائيلية - الفلسطينية المرحلية حول الضفة الغربيـة وقطـاع غزة. واشـنطن ٢٨ أيلـول ١٩٩٥.

١٧- معاهدة السلام بين الأردن وإسرائيل، ٢٦ تشرين أول ١٩٩٤.

الندوة الدولية "القدس: التاريخ والمستقبل" (٢٩-٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

موقف الأحزاب الإسرائيلية من قضية القدس

دكتور عبد العليم محمد عبد العليم
رئيس برنامج الدراسات الإسرائيلية بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام
ورئيس تحرير مجلة "مختارات إسرائيلية"

مقدمة

تشغل قضية القدس حيزاً هاماً وكبيراً، فى الصراع العربى الإسرائيلى وفى عملية التسوية الجارية منذ مؤتمر مدريد، ففضلاً عن الأهمية الرمزية للمدينة المقدسة، ومكانتها الروحية لدى المسلمين والمسيحيين، فإنها تبدو الآن كمفتاح لفهم العقلية الإسرائيلية، ونمط التفكير الأسطورى اليهودى والصهيونى الذى يحكم المواقف الإسرائيلية إزاء القدس وغيرها من القضايا التى يجرى التفاوض بشأنها.

كما أن القدس كانت - ولاتزال - عاملاً مهماً فى استراتيجية إسرائيل التفاوضية، منذ البداية، حيث كانت خطة رابين للسلام مع العرب تعتمد على عناصر ثلاثة أساسية، أولها تفتيت الجبهة العربية عبر التفاوض الثنائى، فمن خلال هذه المفاوضات الثنائية يمكن لرابين تحييد الأطراف العربية وضمان عدم تشكل جبهة تفاوضية جماعية فى مواجهة إسرائيل، وذلك عن طريق تقديم هذا المسار أو ذاك على غيره من بقية المسارات، والتلاعب بالحساسيات الناجمة عن ذلك وهو ما نفذه فعلاً مع الفلسطينيين أولاً والأردن بعد ذلك.

أما العنصر الثانى فى استراتيجية رابين التفاوضية فقد تمثل فى إحداث اختراق واسع على الجبهة الفلسطينية باعتبارها عصب الصراع العربى الإسرائيلى، من خلال اتفاق إعلان المبادئ على أن يفسح ذلك المجال واسعاً أمام رابين لتحقيق أطماعه فى القدس.

ذلك أن رابين عندما كان قائداً لقوات البالماخ فشل فى السيطرة على القدس فى حرب عام ١٩٤٨، ولكنه نجح فى ذلك فى عام ١٩٦٧ عندما كان رئيساً للأركان، وانضم رابين إلى دعاة الحد الأقصى فى القدس والذين كانوا يريدون ضم ٢٠٠ ألف دونم (الدونم = ١٠٠٠ متر[٢]) فى حين أن دعاة الحد الأدنى كانوا ينادون بضم القدس الشرقية، وانتهى الأمر بحل وسط بين دعاة هذين الجدين تمثل فى ضم ٧٠ ألف دونم فى القدس والمنطقة المحيطة بها.

أما العنصر الثالث فى إستراتيجية رابين فتمثل فى الإسراع "بتطبيع" العلاقات بين الدول العربية والإسلامية، وهذا الأمر سيكفل أولاً تحجيم المعارضة العربية والفلسطينية للطموح الإسرائيلى فى القدس، وثانيا سيكفل تهميش القدرة الفلسطينية على إحداث حالة تعبئة عربية وإسلامية حول القدس، عندما يحين موعد المفاوضات بشأنها فى مرحلة الوضع الدائم، وساعتها ستهتم الدول العربية والإسلامية بعلاقاتها مع إسرائيل، بأكثر مما تهتم بقضية القدس. وتدرك إسرائيل اهمية قضية القدس من الزاوية الجغرافية والدينية والرمزية على حد سواء، فالقدس تربط شمال الضفة الغربية بجنوبها ، ويتواجد الإسرائيليون على محور شرق غرب بالنسبة للقدس، بينما يتواجد الفلسطينيون على محور شمال جنوب القدس، وهكذا فإن القدس هى المركز الجغرافى والروحى للضفة الغربية ولفلسطين تحت الانتداب، كما أنها حجر الزاوية فى الفكر اليهودى الصهيونى وأداة إعلامية ودعائية للتعبئة السياسية لليهود داخل وخارج إسرائيل، كما أنها فوق ذلك أداة استدعاء الماضى والحق التاريخى المزعوم لليهود فى المدينة المقدسة.

موقف الأحزاب الإسرائيلية من القدس

شغلت قضية القدس مكانة بارزة فى برامج الأحزاب الإسرائيلية فى انتخابات الكنيست الرابعة عشر، والتى جرت فى مايو ١٩٩٦، حيث حرصت جميع الأحزاب على إدراج بند خاص بالقدس يؤكد أنها موحدة ولن تقسم، وستكون عاصمة إسرائيل الأبدية.

اليمين الديني والقومى

الليكود وهو التكتل الذى يضم أحزاب "جسروتوميت" ذكر فى برنامجه أن القدس عاصمة إسرائيل الأبدية. وأكد المفدال وهو الحزب الدينى القومى أن القدس عاصمة إسرائيل الأبدية وغير قابلة للتفاوض.

العمل واليسار

حرص حزب العمل على تأكيد أن القدس الموحدة عاصمة إسرائيل وتحت السيادة الإسرائيلية.

أما الطريق الثالث: وهو حزب انشق عن العمل بزعامة مجموعة من الجنرالات، الذين يرفضون الانسحاب من الجولان، ودخل الائتلاف الحكومى الحالى، فإن برنامجه يذكر أيضاً أن القدس الموحدة وغير المجزأة عاصمة إسرائيل، ومركز الشعب اليهودى وستبقى تحت السيادة الإسرائيلية إلى الأبد.

أما حركة ميريتس فقد ذكر برنامجها أن القدس عاصمة إسرائيل، ولن تقسم بعد الآن، لدى تحديد الوضع الدائم للمدينة فى الاتفاقات المقبلة، وستؤخذ بعين الاعتبار الروابط الخاصة والمتصلة بالمدينة سواء دينية أو قومية.

أما حزب المهاجرين الروس والمسمى "إسرائيل بعالياه" فقد ذكر فى برنامجه أن القدس الموحدة غير قابلة للتفاوض بصفتها عاصمةِ الدولة اليهودية.

أما حركات السلام وبصفة خاصة حركة السلام الآن وميرتس فإنها تحرص على ألا تخرج عن هذا الإجماع، إذ تحرص أيضاً على تأكيد أن القدس عاصمة إسرائيل الأبدية والموحدة.

وفيما يتعلق بالأحزاب العربية فى إسرائيل ، فإنها تتبنى موقفاً يتطابق مع وجهة النظر العربية فى السلام من حيث دعوتها لانسحاب إسرائيل من جميع الأراضى التى احتلتها فى عام ١٩٦٧، وإقامة الدولة الفلسطينية فى الضفة الغربية وغزة وتكون عاصمتها القدس الشرقية، ويتبنى هذا الموقف الجبهة الديمقراطية والمساواة وهى تجمع بين اليهود والعرب والقائمة العربية الموحدة وغيرها من الأحزاب العربية.

ويمكننا أن نرصد فيما يتعلق بالإجماع الإسرائيلي الظاهر حول قضية القدس عدداً من الملاحظات الضرورية لتفهم طبيعة هذا الإجماع وحدوده.

فى مقدمة هذه الملاحظات ، أن هذا الإجماع هو فى حقيقته إجماع المؤسسة السياسية الإسرائيلية، وذلك يفترض أن هذا الإجماع لا يقوم بالضرورة بين كافة الإسرائيليين، وإن كان يتطابق مع الغالبية منهم، حيث تشير استطلاعات الرأى - وهى ذات مصداقية محدودة ومتقلبة - إلى أن عدداً كبيراً من الإسرائيليين مع حل تفاوضى مع العرب حول قضية القدس.

وثانى هذه الملاحظات ، أن هذا الإجماع الظاهر لا يعنى أن الإسرائيليين يتجاهلون المطالب العربية فى القدس وبالذات الفلسطينية، فهم يدركون أن ثمة مطالب واضحة للعرب والفلسطينيين فى القدس ، وتستند هذه المطالب لمرجعية قانونية واضحة، وأيضاً مرجعية تاريخية ودينية تعززها، ولكن إسرائيل تعول من خلال استراتيجيتها التفاوضية وعبر الخلل التاريخى فى ميزان القوى بينها وبين العرب على تكريس الأمر الواقع وتطويع العرب والفلسطينيين لقبوله، وعدم الاحتجاج عليه، بل وربما كان فى مقدورنا أن نقول أن تأكيد هذا الإجماع الظاهر وتكراره على هذا النحو، يعكس ضعف الثقة الإسرائيلية فى إمكانية تحقيق هذا المطلب نظراً لقوة وشرعية وقانونية المطالب العربية بشأن القدس. ومن ناحية أخرى فإن إسرائيل تعمل على تفتيت الإجماع العربى والإسلامى حول القدس، وإزكاء ميراث التنافس القبلى والروحى والقطرى لدى العرب إزاء قضية القدس والاستفادة من ثماره فى تدعيم الموقف الإسرائيلى.

أما ثالث هذه الملاحظات فإن هذا الإجماع الإسرائيلى حول قضية القدس لم يحل دون تفاهمات تحتية وسرية حول قضية القدس بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وتبادل التصورات والمواقف بشأن مصير المدينة المقدسة فى مباحثات الوضع الدائم، سواء تم ذلك فى إطار اللقاءات الأكاديمية أو السياسية بشأن ملامح الوضع الدائم، وذلك بصرف النظر عن طبيعة وحدود هذه التصورات وعدم توافقها مع الحد الأدنى من المطالب العربية والفلسطينية بشأن القدس.

السياسة الإسرائيلية إزاء المدينة المقدسة

تحظى السياسة الإسرائيلية إزاء القدس بتوافق أخلاقى ودينى وسياسى بين الحكومات الإسرائيلية والرأى العام، وتعتمد هذه السياسة على توجه سياسى وقومى لتحقيق هدفين أولهما جغرافى وثانيهما ديموجرافى، يستهدف الأول تشكيل منطقة القدس الكبرى من القدس وضواحيها، من القرى العربية والتلال والهضاب المحيطة بالمدينة، أما الثانى فيسعى إلى تدعيم وتكثيف الوجود اليهودى والتغلب على معدل المواليد الطبيعى لدى السكان الفلسطينيين ، ويضاف إلى ذلك بعد أمنى من وجهة النظر الإسرائيلية.

وتتمثل وسائل تحقيق هذه السياسة ، فى الاستيطان ومصادرة الأراضى، فمنذ عام ١٩٦٧ تم بناء ٥٠٠ر٣٨ وحدة سكنية لليهود معظمها من الممتلكات العربية، وتم بناء ٨٧٠ر٦٤ شقة لليهود بتمويل رسمى بينما كان نصيب العرب ٨٩٠ر٨ شقة عن طريق الاستثمار الخاص. كما قامت الحكومة الإسرائيلية بضم ٧٠ ألف دونم من القدس الشرقية والقرى المجاورة والمحيطة إلى بلدية القدس الغربية. وقد بلغ نصيب اليهود من الوحدات السكنية التى أنشئت ٨٨٪ بينما بلغ نصيب العرب ١٢٪ فقط.

أما من حيث الكثافة السكانية ، ففى عام ١٩٧٢ كانت ٤ أسر فلسطينية تعيش بكثافة ٣ أشخاص فى الغرفة الواحدة مقابل أسرة يهودية واحدة تعيش فى نفس الظروف. وفى عام ١٩٩٣ زادت هذه النسبة لتصل إلى ٥ر١٣ أسرة عربية تعيش بكثافة ٣ أشخاص فى الغرفة الواحدة أو أكثر، وذلك مقابل أسرة واحدة يهودية تعيش بهذه الكثافة.

ولم تكتف إسرائيل بالاستيلاء على الجزء الشرقى من المدينة الذى يضم البلدة القديمة حيث يوجد حائط المبكى، بل مدت سيطرتها للقرى المجاورة فى الضفة الغربية من رام الله فى الشمال وبيت لحم فى الجنوب ويمثل كل ذلك حوالى ٠٠٠ر٦٤ ألف دونم. وبعد عدوان ١٩٦٧ وفى ٢٧ يونيو من نفس العام فرضت إسرائيل قانون الدولة والولاية القضائية والإدارية على المدينة.

ولدى موافقة الكنيست على إعلان واشنطن فى ٣ أغسطس عام ١٩٩٤ والخاص بالسلام مع المملكة الأردنية الهاشمية، وافق الكنيست أيضاً على بيان من حزب الليكود يكرر أن القدس الموحدة تحت السيادة الإسرائيلية، ستبقى عاصمة إسرائيل الأبدية

وعاصمتها وحدها، وقد وافق على هذا البيان ٧٧ عضواً مقابل ٩ أصوات وأيده جميع الوزراء فى حكومة رابين بما فيهم الوزراء من حزب ميريتس.

ولم تحظ الإجراءات الإسرائيلية فى القدس والخاصة بضم المدينة العربية والاستيطان بالاعتراف والشرعية من قبل الجماعة الدولية! ، ذلك أن وضع القدس الشرقية ينطبق عليه وضعية الأراضى المحتلة فى عام ١٩٦٧، هذا فى حين أن القدس الغربية ذاتها والتى تسيطر إسرائيل عليها منذ حرب ١٩٤٨ تحظى فى الأمم المتحدة بوضعية خاصة حددها القرار ١٨١ لسنة ١٩٤٧ وهو المعروف بقرار التقسيم، فلهذه المدينة - وفقا للقرار - وضع دولى وكيان منفصل. إلا أن بعض الأطراف وبصفة خاصة الولايات المتحدة الأمريكية وإن لم تؤيد علانية المطالب الإسرائيلية فى القدس، فإنها فى المقابل لم تعارض جهود إسرائيل الرامية لضم المدينة وتوحيدها فى الأمر الواقع.

الحلول المطروحة لقضية القدس وموقف إسرائيل منها

(١) الحل الجغرافى

يقوم هذا الحل على تجزئة للسيادة تضع القدس الشرقية العربية بما فيها البلدة القديمة تحت الحكم العربى الفلسطينى، حتى لو سمح لليهود بحرية الوصول إلى حائط المبكى، والذى هو ملك إسلامى يقع ضمن منطقة الحرم الشريف.

ودعاة هذا الحل من الإسرائيليين يفكرون فى انسحاب جزئى من القدس الشرقية من أطراف المدينة حتى يمكن إقامة عاصمة فلسطينية مع احتفاظ إسرائيل بوسط المدينة و البلدة القديمة. وهذا الحل سيحدث آثاراً خطيرة فى إسرائيل لأن القدس ليست سيناء أو حتى الضفة الغربية ، بالذات وسط المدينة ومركزها فى البلدة القديمة ، وهو مرفوض من وجهة النظر الرسمية الإسرائيلية ويعارضه كل من الليكود والعمل.

من ناحية أخرى فإن هذا الحل مرفوض أيضاً من وجهة النظر الفلسطينية لأن شمال القدس، لم يكن أصلاً جزءاً من المدينة، بل جزء من الضفة الغربية التى ضمتها إسرائيل إليها عام ١٩٦٧، فضلاً عن كونه قلب القدس والحرم الشريف.

(٢) الحل الدينى

يقوم هذا الحل على ضمان المصالح الدينية للفئات المختلفة فى القدس، وهو الحل المفضل لدى الحكومات الإسرائيلية منذ عام ١٩٦٧، وفى إطار هذا الحل يمكن للحكومة الإسرائيلية الاتفاق مع ممثلى الكنائس ذات المصالح فى المدينة والاتفاق مع هيئة إسلامية معينة لضمان مصالح المسلمين.

وهناك أطراف عربية تقبل بهذا الحل ، لكن الفلسطينيين يركزون على ضرورة أن تكون لهم السيادة على القدس وليس فقط ضمان مصالحهم الدينية.

وهذا الحل مفضل لإسرائيل لأنها لم تعارض يوماً المصالح الدينية والروحية للمسلمين والمسيحيين فى القدس ، بل تضمن حق "المرور البرئ" للأماكن المقدسة. وقد تضمن إعلان واشنطن بنداً يتعلق بدور الأردن فى الأماكن المقدسة ، ويعول الإسرائيليون على تطوير هذا البند بحيث يكون مدخلاً لحل من هذا القبيل لا يثير لها قضية الأرض ولا قضية السيادة.

(٣) الحل البلدى

يقوم هذا الحل على تكوين شبكة مكونة من بلديات أحياء صغيرة داخل المدينة تتمتع بحكم ذاتى محلى على غرار بلديات لندن ، وكل بلدة تتمتع بميزانية خاصة، والهدف من هذا الحل هو إظهار السيادة الإسرائيلية على القدس وكأنها مصدر لطمأنة العرب وليس لتهديد حياتهم أو تغييرها.

ورغم أن هذا الحل لا يستجيب للمطالب الفلسطينية – ومن ثم فهو مرفوض من جانب الفلسطينيين، إلا أنه يفتح المجال لإمكانية تطور الحكم الذاتى البلدى إلى حل جغرافى وفقاً لصيغة استراتيجية السيادة الزاحفة . ومن دعاة هذا الحل تيدى كوليك العمدة السابق للمدينة ، وهذا الحل من وجهة النظر الإسرائيلية يتلاءم مع التوزيع الجغرافى للسكان فى المدينة.

هذا وتخطط إسرائيل لتفادى سلبيات هذه الحلول بما يلى :

– تجنب إقامة دولة فلسطينية فى الضفة فى الوضع النهائى.

- تعزيز الدور الأردنى فى الوضع النهائى ، لتقليل طموح ومطلب الفلسطينيين بعاصمة فى القدس الشرقية.
- اقتصار الدولة الفلسطينية على قطاع غزة وترتيبات مختلطة فى الضفة الغربية سيحد من تطلع الفلسطينيين إلى المطالبة بالقدس عاصمة لدولتهم.
- تعزيز الدور الأردنى فى الوضع النهائى سيضع على الفلسطينيين قيوداً فى مطالبهم إزاء القدس كعاصمة لهم.

تخطيط إسرائيل لمرحلة الوضع الدائم

تعتبر هذه المرحلة هامة من وجهة النظر الإسرائيلية ، إذ أنها ستعالج قضايا ذات طبيعة حاسمة وحساسة كالقدس واللاجئين والمستوطنات والحدود والوضع الدائم للأراضى الفلسطينية المحتلة. ولن نستطيع هنا معالجة الموقف الإسرائيلى والتصورات الإسرائيلية المطروحة حول كافة هذه القضايا، بل سنكتفى فقط بإبراز الملامح الرئيسية للموقف الإسرائيلى من القدس فى مباحثات الوضع الدائم، والتى كان من المفترض أن تجرى وفقاً للجدول الزمنى الذى وافق اتفاق إعلان المبادئ فى ٤ مايو ١٩٩٦م.

ويرتكز الموقف الإسرائيلى ، بادئ ذى بدء ، على ضرورة التطبيع مع الدول العربية والإسلامية، لأن ذلك سيحد من هامشية المناورة السياسية أمام السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية، إزاء القدس، إذ ستقل قدراتها التعبيرية فى هذا المجال، وفاعليتها فى تعبئة الرأى العام العربى والإسلامى، حول قضية القدس لأن ارتباط الدول العربية والإسلامية بعلاقات دبلوماسية واقتصادية مع إسرائيل سيفرض - إلى حد ما - قيوداً على تعامل هذه الدول مع قضية القدس، فمن المحتمل أن يخلق هذا التعامل مصالح من نوع ما تساهم فى تغيير أولويات هذه الدول وسياساتها، كما أن الفلسطينيين سيجدون أنفسهم فرادى ووحيدين أمام إسرائيل لدى بحث هذه القضية، ومن هنا حرصت إسرائيل بمناسبة ودون مناسبة على تأكيد ضرورة التطبيع الرسمى وغير الرسمى والدعوة للقاءات ثقافية وأكاديمية بين مثقفين عرب وإسرائيليين.

ومن ناحية أخرى يستند الموقف الإسرائيلى على ضرورة التفرقة بين المظهر الدينى لقضية القدس والمظهر السياسى لها، وتصدير فهم مغلوط للدوائر العربية بأن قضية

القدس هى قضية دينية، وحيث أن الأمر كذلك فليس لدى إسرائيل مشكلة من نوع ما فى السماح لغير اليهود من المسلمين والمسيحيين فى حق المرور البرئ لأصحاب هذه الديانات إلى الأماكن المقدسة وإقامة شعائرهم.

وفى هذا الإطار فإن إسرائيل تسعى من خلال هذه الرؤية لإثارة النوازع القبلية والتنافسية بين بعض النظم العربية من أجل إضعاف وتفتيت الوجه السياسى للقضية.

وقضية القدس هى قضية سياسية فى المقام الأول ذات بعد دينى وروحى شديد الأهمية ، وهى أيضاً قضية سيادة وليس بمقدور إسرائيل التنكر لذلك.

وتستند إسرائيل فى تغليب المظهر الدينى لقضية القدس على البند الوارد فى إعلان واشنطن حول دور الأردن فى الأماكن المقدسة، وتحرص مستقبلاً على تأكيد هذا الخيط فى الاتفاقيات المقبلة حتى تحول دون المطالبة العربية والفلسطينية فى السيادة على الأرض.

باختصار ، فإن السياسة الإسرائيلية تهدف إلى تحجيم الإجماع العربى والإسلامى حول قضية القدس عبر إزكاء التنافس بين السلطة الفلسطينية والأردن وغيرها من البلدان العربية الإسلامية.

وعلى صعيد ثالث ترى إسرائيل ضرورة تقوية مركز الأردن فى الوضع النهائى وبصدد قضية القدس، وذلك لتحجيم المطالب الفلسطينية ، لأن السياسة الإسرائيلية ترى فى الأردن ممثل العرب الدينى فى القدس، بينما يمثل الفلسطينيون الممثل الجغرافى لهم فى قضية القدس ، أى المتعلق بالأرض والسيادة.

وفى مواجهة هذا الموقف الإسرائيلى ، فإن الموقف العربى من القدس ينبغى أن يعى وأن يستوعب جيداً التخطيط الإسرائيلى إزاء هذه القضية فى مفاوضات الوضع الدائم، وأن يستعيد الموقف العربى القدرة على صياغة استراتيجية عربية تتعلق بالعلاقات مع إسرائيل تعلى من شأن القضايا ذات الطابع العربى والقومى على المصالح القطرية الضيقة، وأن تربط بين هذه العلاقات وبين انسحاب إسرائيل واستجابتها لتنفيذ القرارات التى تمثل مرجعية المفاوضات وبالذات القرارات ٢٤٢، ٣٣٨، ٤٢٥، وألا تحصل

إسرائيل على مزايا مجانية من جراء تبادل العلاقات والتمثيل الدبلوماسي والقنصلي ، وأن يرتهن مصير العلاقات مع إسرائيل بمصير التسوية السلمية.

من ناحية أخرى ، فإن الموقف العربي إزاء القدس ينبغي أن يتأسس على رؤية سياسية واضحة، تجعل من قضية القدس قضية سيادة في المقام الأول ، وأن يحول دون تسرب الرؤية الإسرائيلية التي تجعل من المدينة المقدسة قضية مرور إلى الأماكن وتأدية الشعارات الدينية.

ويتأسس الموقف العربي على ضرورة دعم الفلسطينيين في مفاوضات الوضع النهائي دعماً مالياً ومعنويا للصمود في وجه المطامع الإسرائيلية في المدينة المقدسة، ذلك أن معالجة القضايا الثنائية بين إسرائيل وأي من الدول العربية لا تعني نهاية الصراع معها أو الانسحاب من دائرة المواجهة، إذ ستظل المواجهة قائمة لأسباب شتى بعضها يتعلق بطبيعة هذا السلام ذاته، كسلام جزئي مجحف ومفروض يتم في ظل خلل واضح لموازين القوى، وبعضها الآخر يتعلق بترسانة إسرائيل النووية ورفضها التوقيع على معاهدة حظر انتشار السلاح النووي وإعلان منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من السلاح النووي وبقاء إسرائيل كمصدر لتهديد أمن المنطقة.

ويبقى في النهاية القَسَم الذي يردده السياسيون الإسرائيليون والقادة "فلتقطع يميني لو نسيتك يا أورشليم" والذي ردده بيريز قبل رحيله في بعض المناسبات، ونحن العرب قد يكون من الضروري أن نقسم فلتقطع أيدينا وألسنتنا لو نسيناك يا قدس ، وهو قسم يضعنا أمام مهمات نوعيَة سياسية ونضالية وفكرية لن يستطيع الضمير العربي أن يفلت منها مهما كانت الأعباء والمبررات.

الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

موقف الكونجرس الأمريكي من مسألة القدس

دكتور محمد محمد حسين مصطفى

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة

مقدمة:

أصدر الكونجرس الأمريكي في يوم ١٩٩٥/١٠/٢٤ قرارا بنقل السفارة الأمريكية فى إسرائيل من تل أبيب (العاصمة الرسمية لدولة إسرائيل) إلى مدينة القدس العاصمة المزعومة للدولة الصهيونية . ويعد هذا القرار هاما وخطيرا للغاية بالنسبة للصراع العربى الاسرائيلى ، إذ ينطوى على اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية رسميا بضم القدس المحتلة إلى إسرائيل ، الأمر الذى يعد مخالفة صريحة لقواعد القانون الدولى والشرعية الدولية.

إن القرار يخالف كل القرارات الصادرة عن الجمعية العامة ومجلس الأمن بخصوص الأرض المحتلة ومنها القدس ويخالف أيضا اتفاقات أوسلو المبرمة بين الجانبين العربى والإسرائيلى لتحقيق السلام فى منطقة الشرق الأوسط.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة القرار الصادر عن الكونجرس الأمريكى من حيث الأسباب والدوافع التى أدت إلى إصداره ومدى تأثير القرار على دور الولايات المتحدة فى تسوية الصراع العربى الإسرائيلى بصفة عامة وهو الدور الذى عادة ما يوصف بأنه دور الوسيط المحايد الأمين The role of the honest broker ومن ثم فإن البحث يتعرض لأهمية الكونجرس ودوره فى النظام السياسى الأمريكى.

وتسعى هذه الدراسة إلى التحقق من افتراضين أساسيين يدوران حول النظام السياسى الأمريكى والكونجرس الأمريكى .

أول هذين الافتراضين يتعلق بتساؤل حول ما إذا كانت الطبيعة الديمقراطية والدستورية للنظام السياسى الأمريكى ، تسمح للكونجرس بأن يلعب دورا هاما فى الحياة السياسية الأمريكية وتسمح أيضا للجماعات المختلفة أن تتصل بالكونجرس فى محاولة للتأثير عليه . إن الإجابة على هذا التساؤل لا تفسر لنا فقط موقف الكونجرس من قضية القدس وقراره الخاص بالسفارة الأمريكية ، وإنما يبين لنا مدى إمكانية قيام جماعة ضغط عربية داخل النظام الأمريكى . وللتحقق من هذا الافتراض فإن البحث يقدم صورة وصفية للكونجرس الأمريكى واختصاصاته وأهميته فى الحياة السياسية.

وثانى الافتراضين يتعلق بالقوى التى ساندت القرار ، هل جاء قرار الكونجرس استجابة لضغوط اللوبى الصهيونى على الكونجرس بصفة خاصة وعلى النظام السياسى الامريكى بصفة عامة ، أم أنه جاء نتيجة لموقف أمريكى ثابت تجاه الصراع العربى الإسرائيلى ؟

ولمحاولة الإجابة عن هذا التساؤل فإن البحث يتعرض للمواقف الأمريكية السابقة من الصراع ومن قضية القدس بصفة خاصة وكذلك يتعرض لبعض أنماط التصويت فى الكونجرس ومعرفة القوى التى ساندت القرار المذكور.

وتقوم هذه الدراسة على الاستفادة من أكثر من منهاج واحد من مناهج دراسة العلوم السياسية . وبديهى ألا يستطيع البحث الابتعاد كثيرا عن المنهاج التقليدى القانونى الوصفى، فى محاولته لدراسة الكونجرس ، تكوينه وسلطاته واختصاصاته وعلاقاته برئيس الدولة . ويظهر استخدام هذا المنهاج جليا فى المبحث الأول من الدراسة.

كذلك يستفيد المبحث الثانى من منهاج اتخاذ القرار The Decision Making Approach فى محاولة لتحليل القرار من حيث القوى التى ساندته والقوى التى عارضته . ويستفيد ذلك المبحث أيضا من المنهاج الوظيفى البنائى - The Structural Functionalist Approach فى محاولة معرفة مدى تأثير جماعات المصالح -

خاصة جماعات المصالح الموالية لإسرائيل والتى تعرف باسم "اللوبى الصهيونى" فى الولايات المتحدة – على الكونجرس الأمريكى بمجلسيه : مجلس النواب ومجلس الشيوخ.

المبحث الأول

طبيعة النظام السياسى الأمريكى

يتعرض هذا الجزء من الدراسة إلى معرفة طبيعة النظام السياسى الأمريكى وخصائصه وكيف أن هذه الخصائص وتلك الطبيعة تسمح للقوى المختلفة أن تؤثر فى النظام وأدائه على كافة المستويات . ويهدف هذا الجزء من الدراسة إلى التأكد من صدق أو عدم صدق الفرضيتين الأولى والثانية المتعلقتين بكون النظام الأمريكى نظاما مفتوحا ونظاما دستوريا فى آن واحد ، وهو الأمر الذى سمح لقوى معينة مثل اللوبى الصهيونى بالتأثير على القرار السياسى. ولذلك فإن هذا المبحث ينقسم إلى : طبيعة وخصائص النظام السياسى الأمريكى ، الكونجرس الأمريكى : تكوينه وسلطاته وأهميته.

أولا : طبيعة النظام السياسى الأمريكى وخصائصه

للنظام الأمريكى عدة خصائص تميزه عن غيره من النظم السياسية الأخرى ، وهذه الخصائص ذات صلة وثيقة بموضوع الدراسة ، وهو قرار الكونجرس بنقل السفارة الأمريكية إلى مدينة القدس ، إذ لا يمكن فهم القوى المؤثرة فى ذلك القرار وفى غيره من القرارات ذات الصلة بموضوع الصراع فى الشرق الأوسط بدون فهم واستيعاب النظام السياسى الأمريكى الذى يترك دورا كبيرا للكونجرس ، من هذه الخصائص :

١- الفيدرالية Federalism

٢- الدستورية Constitutionalism

٣- الفصل بين السلطات Separation of Powers

١- الفيدرالية

الفيدرالية هى إحدى طرق تنظيم العلاقة بين الحكومة المركزية وحكومات الولايات أو الحكومات المحلية فى الدول الاتحادية ، فيوجد فى النظام الفيدرالى دستور مكتوب يوزع الاختصاصات بين الحكومة المزكزية وحكومات الولايات المكونة للاتحاد . وعادة ما يكون الدستور الاتحادى جامدا وغير مرن فلا يتم تعديله إلا بإجراءات خاصة ومعقدة جدا كما هو الحال فى النظام السياسى الأمريكى حيث لا يعدل الدستور إلا بعد أن توافق على التعديل أغلبية خاصة واستثنائية (٣/٤ الأعضاء) فى كل الهيئة التشريعية المركزية (الكونجرس) والهيئات التشريعية للولايات الخمسين المكونة للاتحاد الفيدرالى الأمريكى.

وفى ظل النظام الفيدرالى نجد أن كلا من الحكومة المركزية وحكومات الولايات تصدر قوانين ولوائح وتشريعات قابلة للتطبيق مباشرة على المواطنين . وهو ما يعنى من جهة احتمال وجود تعارض بين هذه القوانين يتم تسويته أمام المحاكم ومن جهة أخرى أن كلا من الولايات والحكومة المركزية لها اختصاص أصيل وفقا للدستور. وتتبع الولايات المتحدة الأمريكية النظام الفيدرالى منذ عام ١٧٨٧ حتى الآن وهو نظام يعتمد على ثلاث قواعد هى:

أ- تفتيت السلطة **Fragmentation of Power**

ب- تفويض السلطات **Delegation of Power**

ج- انتشار السلطة **Diffusion of Power**

وفيما يخص العلاقات بين الولايات وهو ما يسمى بالفيدرالية الأفقية ، فإن هذه العلاقات تحكمها ثلاث قواعد رئيسية هى : قاعدة الثقة ، قاعدة الامتيازات والحصانات ، وقاعدة تسليم المجرمين . ووفقا لهذه القواعد تثق كل ولاية فى الإجراءات القانونية والتصرفات الإدارية والسجلات الرسمية لكل ولاية من الولايات الأخرى وأن تمد امتيازاتها وحصاناتها لكل مواطنى الولايات الأخرى كما تمدها لمواطنيها وأن تقوم بتسليم أى مجرم يطلب منها تسليمه ويكون هارباً إليها من ولاية أخرى . وتلعب المحكمة العليا الدور الرئيسى فى الفصل فى المنازعات التى تنشأ بين الولايات بخصوص هذه المسائل.

٢ - الدستورية

يقصد بالنظام الدستورى ليس فقط أن الدستور الأمريكى (والتعديلات الطارئـة عليـه) هو وحده مصدر السلطات فى النظام السياسى ، بـل أيضـا سمو ذلـك الدسـتور فـى حالـة التنازع مع أية قواعد أخرى فى النظام. ولقد نصت الفقرة الثانية مـن المـادة السادسـة من الدستور الأمريكى على "سمو" الدستور الأمريكى على كافة القوانين والقواعد والإجراءات الأخرى ، فقد جاء فى تلك الفقرة أن "الولايات لا يمكنها أن تستخدم سلطاتها فى إجهـاض السياسات القومية" [١] ، ومعنـى ذلـك فـى حقيقـة الأمـر أن الولايـات لا يمكـن أن تفسـر أى اختصاص مفوض إليها على أنه يمكنها مـن معارضـة وتعطيـل السياسـات والتدابـير التـى تتخذها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية .

ولقد تأكد مبدأ سمو الدستور الأمريكى مـن خـلال ممارسـات النظـام الأمريكـى عـبر السنوات الطوال التى عمل فيها النظام الفيدرالى منذ ١٧٨٧ حتى الآن [٢] .

٣ - الفصل بين السلطات

لعل أهم ما يميز النظـام الأمريكـى عـن غـيره مـن النظـم السياسـية هـو أخـذه بنظـام الفصل بين السلطات . وليس المقصود بنظام الفصـل بيـن السـلطات أن تعمـل كـل سـلطة بمنأى عن السلطتين الأخريين وإنما المقصود من الفصل تساوى السلطات والتوازن بينهما فلا تطغى سلطة على اختصاصات سلطة أخرى من جهة وفـى نفـس الوقـت لا تسـلم مـن رقابتها من جهة أخرى وهذا هو ما يسـمى بمفهـوم التـوازن والرقابـة . فكـل سـلطة تقـوم بدور الرقابة والقيد على السلطتين الأخريين فيتم التوازن بين السلطات نتيجة لذلك . ولعل هذا هو ما أراده الفيلسوف الفرنسى مونتسكيو عندما تعرض لجوهر الفصل بين السـلطات فقال "يجب أن تحد السلطة السلطة"[٣].

---

[١] الفقرة الثانية المادة السادسة من الدستور الأمريكى.

[٢] يمكن النظر إلى قضايا هامة مثل قضية "هاكولخ ضد ميرلاند" ، وقضية جيبسون ضد أوجدين ، وإلى الحرب الأهلية الأمريكية كعلامات هامة على هذا الطريق.

[3] Il fant que le ponuoir avrete le ponuoir.

ويعمل مبدأ الرقابة والتوازن بين السلطات فى الولايات المتحدة الأمريكية بكفاءة عالية ، فالكونجرس يختص بالحق فى إعلان الحرب وإعداد القوات المسلحة وله سلطة التصديق على المعاهدات والموافقة علي ترشيحات الرئيس للوظائف القيادية وسلطة اعتماد الأموال لتمويل برامج السياسة الخارجية والدفاع . كذلك يملك الكونجرس الحق التقليدى فى التشريع فى مجال السياسة الخارجية كما هو الحال فى قرار نقل السفارة إلى القدس مما أدى إلى تعاظم دور الكونجرس فى صنع السياسة الخارجية الأمريكية خاصة فى الوقت الحاضر، بالرغم من أن الدستور قد أعطى الرئيس الأمريكى اختصاصات أساسية فى مجال صنع وتنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية [4] .

ولقد أدى تزايد سلطات الكونجرس وتدخلاته فى السياسة الخارجية إلى مزيد من الصراع بين الرئيس والكونجرس حول صنع السياسة الخارجية وكانت دائما شخصية الرئيس هى العامل الحاسم فى الحد من سلطات الكونجرس وتدخلاته [5] ، ولكن هناك حالات لا يقدر الرئيس الأمريكى فيها على احتواء دور الكونجرس وتدخلاته فى السياسة الخارجية ، ولعل أهم هذه الحالات هى الحالة التى نحن بصددها وهى قرار الكونجرس بنقل السفارة ، حيث الأغلبية فى الكونجرس من الحزب الجمهورى بينما الرئيس ينتمى إلى الحزب الديمقراطى.

ثانيا : الكونجرس الأمريكى

١ - التكوين

كما هو معروف فإن الكونجرس يتكون وفقا للدستور من مجلسين هما مجلس النواب ومجلس الشيوخ .

---

[4] فى هذا يقول Mark P. Lagon :

"With regard to foreign policy, the post-cold war era has been characterized by the ascendant power of Congress". Mark P. Lagon, "Are Influentials less Influential?: US Foreign policy in the post-Cold War Information Age". World Affairs (Winter 1996): PP. 122-135, P. 123.

[5] د. محمد السيد سليم : تحليل السياسة الخارجية .

فى الكونجرس الحالى ١٠٤ . يتكون مجلس النواب من ٤٣٨ عضوا (٣ يمثلون منطقة كولومبيا + ٤٣٥ يمثلون الولايات الخمسين).

ا - مجلس النواب The House of Representatives

يتكون مجلس النواب من عدد من الأعضاء يمثلون الولايات حسب تعداد كل ولاية من الولايات الخمسين ، ويواجه هؤلاء النواب الهيئة الناخبة كل عامين .

ب - مجلس الشيوخ The Senate

يتكون مجلس الشيوخ من مائة عضو بواقع ممثلين اثنين عن كل ولاية من الولايات الخمسين . ويتم انتخاب الشيوخ من الشعب مباشرة لمدة ست سنوات ويتم تجديد ثلثهم كل عامين[٦] وواضح أن مجلس الشيوخ يمثل الولايات ويحافظ على مصالحها إذ أن كل ولاية بغض النظر عن حجمها وحجم سكانها تُمَثّل على قدم المساواة مع الولايات الأخرى فى حين أن مجلس النواب يمثل الشعب الأمريكى.

٢- سلطات الكونجرس واختصاصاته

يتمتع الكونجرس بسلطات واسعة جدا فى المجالين الداخلى والخارجى أتى ذكرها فى القسم الثامن من المادة الأولى من الدستور وكثير من التعديلات التى طرأت على الدستور. ويكمن السر فى إعطاء الكونجرس سلطات واسعة فى أن مؤسسى الجمهورية الأمريكية أرادوا أن يكون الكونجرس أداة تحول دون الديكتاتورية وحكم الطغاة [٧] .

ولقد لعب الكونجرس - ومازال - دورا بارزا فى النظام السياسى الأمريكى ويمارس اختصاصاته وسلطاته على الوجه المبين فى الدستور والتعديلات الطارئة عليه بفاعلية وكفاءة . ولعل أهم ما يشير إلى دور الكونجرس وسلطاته هو ما سبق ذكره فى الدستور قبل المؤسسات الدستورية الأخرى مثل الرئاسة أو المحكمة العليا . ففى حين عالجت مواد متأخرة من الدستور هاتين المؤسستين ، فقد عنيت المادة الأولى بالكونجرس

---

[٦] قبل التعديل السابع عشر (١٩١٣) كان أعضاء مجلس الشيوخ يتم اختيارهم بواسطة المجلس التشريعى لكل ولاية ولم يكن يتم انتخابهم مباشرة من الشعب.

[7] to be a guarantee against tyranny and unchecked rulers.

تكوينه واختصاصاته وسلطاته وطريقة عمله وهو ما يدل على نظرة المؤسسين الأوائل بالكونجرس ودوره المقصود فى الحياة السياسية الأمريكية.

ولقد كان الدستور الأمريكى ذاته محددا للغاية وفى نفس الوقت فى أشد الغموض فيما يتعلق بسلطات الكونجرس . فإلى جانب السلطات المنصوص عليها صراحة فى الدستور والتى تسمى بالسلطات الصريحة ، هناك سلطات ضمنية تسمى Inherent Powers يمارسها الكونجرس استنادا إلى القسم الثامن من المادة الأولى من الدستور والتى تعطى الكونجرس الحق فى أن "يضع كل القوانين التى تكون ملائمة وضرورية لتنفيذ السلطات المنصوص عليها فى المادة الأولى ولتنفيذ كل السلطات المحولة لحكومة الولايات المتحدة أو لأى إدارة من إداراتها أو موظف من موظفيها" [٨] . وهذا النص الذى يسمى بالشرط المرن قد أدى إلى اتساع دور الحكومة الفيدرالية بصفة عامة فى مواجهة حكومات الولايات وإلى اتساع سلطات الكونجرس بصفة خاصة فى مواجهة سلطات الرئيس الأمريكى وسلطات المحكمة العليا .

ولا يقلل من سلطات الكونجرس ما درج عليه من تفويض لبعض سلطاته فى المجالين الداخلى والخارجى إلى رئيس الولايات المتحدة . إن مثل هذا التفويض لا يصح أن يفسر بأنه يحد من سلطات الكونجرس المتسعة ، ذلك أنه فى نهاية الأمر "تفويض" ليس إلا يجوز الرجوع فيه وهو الأمر الذى يؤكد القاعدة القائلة باتساع سلطات الكونجرس ولا ينفيها.

كذلك فإن كثيرا من التعديلات الدستورية قد أعطى الكونجرس مزيدا من الاختصاصات فى مواجهة بقية الأجهزة الدستورية الأخرى ، خاصة فى مواجهة الرئيس، وهو ما أدى إلى اتساع سلطات الكونجرس كثيرا عما أراده واضعو الدستور الأمريكى أنفسهم.

---

[٨] القسم الثامن من المادة الأولى من الدستور.

ويمارس الكونجرس اختصاصات كثيرة ومن أهم هذه الاختصاصات ما يلى:

أ – التصديق على ترشيحات الوظائف العليا Confirmation

لا يعين الرئيس الأمريكى كبار الموظفين وإنما يقوم فقط بترشيحهم أو تسميتهم فقط للوظائف وفقا لما قررته المادة الثانية من الدستور الأمريكى ، ويكون من حق مجلس الشيوخ الموافقة أو عدم الموافقة على تعيينهم فى المناصب العليا التى رشحوا لها . ومن هذه المناصب ، منصب وزير الخارجية ومستشار الرئيس للأمن القومى ورئيس وكالة المخابرات المركزية CIA ووزير الدفاع وغيرها من المناصب ذات الصلة بالسياسة الخارجية مثل السفراء ومندوبى أمريكا لدى المنظمات الدولية . إن هذا الحق الذى يمارسه الكونجرس بكفاءة يخضع أى مرشح لمنصب هام ذى صلة بالسياسة الخارجية فى حقيقة الأمر لسيطرة الكونجرس وبخاصة لسيطرة لجنة الشئون الخارجية.

ويهمنا هنا التنويه إلى أنه إذا كان الكونجرس متعاطفا مع إسرائيل – كما هو الحال دائما – فإن شاغلى مثل هذه المناصب العليا الهامة لا يتوقع أن يكونوا غير متعاطفين مع إسرائيل .

ب – التصديق على المعاهدات الدولية Ratification of Treaties

لمجلس الشيوخ كذلك الحق فى أن يقدم النصح فى (وأن يوافق على) التصديق على المعاهدات الدولية التى تدخل الولايات المتحدة طرفاً فيها [٩] . وهذه السلطة التى يعطيها الدستور للكونجرس خاصة ذلك الجزء الخاص بإسداء النصح فيما يتعلق بالمعاهدات إنما يجعل للكونجرس دوراً قوياً بارزاً فى مجال العلاقات الدولية التى تكون الولايات المتحدة طرفاً فيها.

وجدير بالذكر هنا الإشارة إلى الموقف الذى وقفه الكونجرس من معاهدة فرساى عام ١٩١٩ عندما رفض مجلس الشيوخ التصديق على المعاهدة فلم تنضم بذلك الولايات المتحدة إلى عصبة الأمم حيث كان عهد العصبة جزءاً من معاهدة فرساى.

---

[٩] القسم الثانى من المادة الثانية من الدستور.

الحق فى إعلان الحرب The Right to Declare War

ربما كانت أهم سلطة يمتلكها الكونجرس فى المجال الخارجى هى حقه فى إعلان الحرب. صحيح أن الرئيس الأمريكى هو القائد الأعلى للقوات المسلحة الأمريكية والأسطول والطيران والقائد الأعلى لكل "ميليشيات" الولايات التى تستدعى لأداء دور فيدرالى ، ولكن من يملك الحق الشرعى فى إعلان الحرب هو الكونجرس وليس الرئيس.

وفى الحقيقة فإن الواقع العملى قد أثبت أن الرئيس الأمريكى باستطاعته إرسال قوات فى مواقف هى بالتأكيد لا تختلف كثيراً عن إعلان الحرب.

- فالرئيس ترومان ألقى قنبلتين نوويتين على هيروشيما وناجازاكى فى عام ١٩٤٥ ، وأرسل قوات إلى كوريا فى عام ١٩٥٠ ،
- وقصف الرئيس جونسون فيتنام بالقنابل طيلة الستينيات ،
- وقرر الرئيس نيكسون غزو كمبوديا عام ١٩٧٠ ،
- وأرسل الرئيس ريجان قوات أمريكية إلى لبنان وإلى جرينادا عام ١٩٨٣ ،
- وأمر الرئيس ريجان قوات الطيران الأمريكى بمهاجمة ليبيا عام ١٩٨٦،
- وأرسل الرئيس جورج بوش قواته إلى بنما فى ١٩٨٩ وإلى الخليج عام ١٩٩٠.

ولم يعلن الكونجرس الأمريكى الحرب فى أى من هذه المواقف على الإطلاق.

ولقد حاول الكونجرس السيطرة على مثل هذه الأنشطة العسكرية التى يقوم بها الرئيس ، فأصدر فى عام ١٩٧٣ قانون سلطات الحرب War Powers Act والذى بمقتضاه ألزم الرئيس بالتشاور مع الكونجرس قبل إرسال أية قوات لمواقف يحتمل فيها القتال ، وبضرورة إبلاغ الكونجرس بعد إرسال هذه القوات بثمان وأربعين ساعة على الأكثر . وإذا لم يعلن الكونجرس الحرب فى خلال ستين يوماً أو يقوم بإطالة هذه المدة (إلى أكثر من ٦٠ يوماً) فإن هذه القوات يجب أن تنسحب [١٠] .

ولقد كان هذا القانون محلا للاختبار عام ١٩٨٣ ، عندما طلب الرئيس ريجان إبقاء القوات الأمريكية فى لبنان ووافق الكونجرس على إبقائها هناك لمدة ثمانية عشر شهراً ،

---

[١٠] قانون سلطات الحرب عام ١٩٧٣.

إلا أن مقتل ما يربو على مائتين وأربعين من قوات البحرية فى عمل انتحارى قد عجل من عودة تلك القوات قبل انقضاء المدة . وما زالت سلطات الرئيس الفعلية واسعة فى هذا المجال كما كانت من قبل ، بغض النظر عن قانون سلطات الحرب وحق الكونجرس الدستورى فى إعلان الحرب.

د- الرقابة على الجهاز البيروقراطى Oversight

يملك الكونجرس الحق فى الرقابة والمتابعة لضمان تنفيذ القرارات والقوانين التى يصدرها ولضمان أن التنفيذ يتم وفقاً لرؤية الكونجرس والرقابة على الجهاز البيروقراطى Oversight of the Bureaucracy ضرورية جداً إذا أريد لقرارات الكونجرس أن يكون لها أية فاعلية . وتتم الرقابة على الجهاز البيروقراطى من خلال:

- عقد جلسات استماع أو لجان تقصى حقائق .
- التدخل من قِبَل الكونجرس لتغيير حجم الميزانية الخاصة بإحدى الوكالات.
- استجواب Cross- examination كبار المرشحين من قِبل الرئيس لرئاسة الوكالات والإدارات المختلفة

ومن خلال هذه الرقابة يؤثر الكونجرس تأثيراً بالغاً فى نشاط الإدارة أو الجهاز التنفيذى للولايات المتحدة وعلى رأسه رئيس الولايات المتحدة ذاته . ويرى أعضاء الكونجرس هذه الرقابة أداةً هامة جداً وسلاحاً فى يد الكونجرس فى مواجهة السلطة التنفيذية [11] .

٣- أهمية الكونجرس Relevance

الكونجرس الأمريكى هو أعلى هيئة تشريعية منتخبة فى الولايات المتحدة مسئولة عن صنع القوانين والقواعد الملزمة لكل أفراد الشعب الأمريكى.

---

[11] وقد كان الكونجرس يستخدم قبل عام ١٩٨٣ ما يسمى بالفيتو التشريعى legislative veto كأداة للرقابة حتى أعلنته المحكمة العليا غير دستورى . وكان الفيتو التشريعى يسمح لأى من المجلسين أوهما معا أحياناً بعدم الموافقة على قرار تنفيذى ما خلال فترة زمنية محددة بأغلبية بسيطة فيوقف التنفيذ.

وتبدو أهمية الكونجرس ليس فقط من خلال السلطات المخولة له دستورياً ولكن من خلال أسلوبه فى أداء رسالته . إن الكونجرس يملك العديد من الأساليب "والتكتيكات" التى تزيد من فاعليته فى ممارسته لاختصاصاته الدستورية فى مواجهة الأجهزة الحكومية الأخرى مثل الرئاسة والمحكمة العليا. من هذه الأساليب ذات الصلة بموضوع هذه الدراسة ما يلى :

أ - الاعتراض على اعتراض الرئيس **Overriding Presidential Veto**

إن الرئيس الأمريكى وأعضاء الكونجرس فى الواقع يقترحون العديد من القوانين التى يوافق عليها الكونجرس ، بعض هذه القواعد والقوانين خاص بالميزانية والبعض الآخر يتعلق بتخصيص الموارد ، وهى قوانين وقواعد لا بد من إصدارها حتى يتسنى للحكومة أن تمارس مهامها وتؤدى عملها.

وهناك قوانين تصدر عن الكونجرس بدون خلافات بين الأعضاء ، وهناك قوانين تصدر بعد خلافات حادة ، وهناك نوع آخر يؤدى إلى انقسام شديد بين الأعضاء مثل قانون الحقوق المدنية الذى صدر عام ١٩٩١ واستغرق إصداره عامين كاملين وشهد انقساما وصراعا بين الرئيس والكونجرس.

وتصدر التشريعات من الكونجرس بمجلسيه ، ثم تذهب إلى الرئيس للتوقيع عليها وتصبح بعد ذلك سارية المفعول . ولكن الرئيس قد يعترض على تشريع ما ويسمى اعتراضه "Veto" إلا أن الكونجرس يستطيع أن يعترض على اعتراض الرئيس بموافقة أغلبية الثلثين.

هذه الصلاحية للكونجرس فى التغلب على اعتراض الرئيس ، وإن ندر استخدام الكونجرس لها ، فإنها تعتبر سلاحاً فى يد السلطة التشريعية فى مواجهة السلطة التنفيذية . ولعل هذا هو ما أراده مونتسكيو من نظريته القائلة بالفصل بين السلطات حيث إن " السلطة يجب أن تحد السلطة"

ب- النقاش الممتد Extended Debate and Filibustering

يعد النقاش الممتد أو غير المحدود unlimited or extended debate أحد أسلحة وأساليب الكونجرس فى ممارسته لاختصاصاته وصلاحياته. ولقد كان النقاش الممتد سلاحاً فى يد مجلس النواب حتى ١٨١١ ، والآن يعد سلاحاً فعالاً فى يد مجلس الشيوخ. وهذا الأسلوب يعنى أن يمتد النقاش حول موضوع ما بصورة تساعد على تشكيل الرأى العام وتكتيله حول ذلك الرأى . وهذا الإجراء عادة ما يعرقل جهود السلطة التنفيذية إذ أنه يشرك الرأى العام مع الكونجرس عن طريق ذلك النقاش الممتد المذاع على الهواء للشعب الأمريكى.

ووفقاً للقواعد الداخلية لمجلس الشيوخ ، لا يمكن إغلاق باب النقاش حول مسالة ما ، مالم يطلب ذلك كتابة ستة عشر عضواً على الأقل ، وتسمى هذه مرحلة الالتماس ، وبعد مرور ثمان وأربعين ساعة من تقديم الالتماس يدعى للمجلس للتصويت عليه ولا بد من حصوله على موافقة ستين عضواً على الأقل للموافقة عليه وتسمى هذه مرحلة التصويت على الالتماس. وإذا تمت الموافقة على إغلاق باب المناقشة ، يعطى كل عضو من أعضاء المجلس ساعة كاملة للتعليق ولشرح وجهة نظره ولا يغلق الباب إلا بعد مرور مائة ساعة عمل كاملة منذ لحظة التصويت على الإغلاق .

وترجع أهمية الكونجرس وقراراته إلى أن سلطاته آخذة فى التزايد ، وإلى أن أى قرار أو قانون يصدر عنه يصبح قانوناً واجب النفاذ فى كل أمريكا وملزما للسلطة التنفيذية وعلى رأسها الرئيس ، بما فى ذلك قرار نقل السفارة الأمريكية إلى القدس [١٢] .

المبحث الثانى

لن يتتبع هذا المبحث مواقف الكونجرس السابقة على القرار من قضية القدس . إن ذلك الاستقصاء التاريخى ، رغم أهميته ، قد لا يفيد كثيراً فى هذا البحث ولن يخدم أهدافه كثيراً ، وقد تقوم أبحاث أخرى مما يقدم إلى نفس الندوة بتغطية ذلك البعد التاريخى.

---

[12] Mark P. Lagon , op. cit., P. 126.

وينصب اهتمامنا هنا على قرار الكونجرس الصادر فى ١٩٩٥/١٠/٢٤ والخاص بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى مدينة القدس المحتلة . وعليه فإن هذا المبحث ينقسم إلى قسمين :

١- قرار الكونجرس : المعنى والخطورة.

٢- قرار الكونجرس : ردود الأفعال .

ولعله من البديهى أن نذكر أن هذا القرار يشبه وعد بلفور عام ١٩١٧ الخاص بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، إن كلا من القرار والوعد قد أعطى فيه من لا يملك حقاً لمن لا يستحق.

أولا : قرار الكونجرس : المعنى والخطورة

وافق مجلس الشيوخ بتاريخ ١٩٩٥/١٠/٢٤ بأغلبية ساحقة على قرار خطير لم يسبق له مثيل فى تاريخ الكونجرس على نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب (عاصمة إسرائيل) إلى مدينة القدس ، على أن يتم النقل فى موعد أقصاه يوم ١٩٩٩/٥/٣١ ، وقد اعتمد الكونجرس المخصصات المالية اللازمة للتنفيذ.

وقد أعطى مجلس الشيوخ الرئيس كلينتون الحق فى تأجيل تنفيذ القرار لمدة ستة أشهر كاملة قابلة للتجديد إذا رأى الرئيس الأمريكى مصلحة فى ذلك بشرط أن يعلن الرئيس فى كل مرة يطلب فيها التأجيل أن طلبه يتفق مع دواعى الأمن القومى الأمريكى. وسوف نحلل القرار على ضوء : القرار وقوة القانون ، والقرار ومخالفته للقانون.

١- القرار القانون Law of the land

إن خطورة قرار الكونجرس الأمريكى بنقل السفارة إلى مدينة القدس تكمن فى أنه قد أصبح قانوناً واجب التنفيذ من قبل السلطة التنفيذية (الرئيس) فى الولايات المتحدة . وقد أكد البيان الصادر عن البيت الأبيض أن الرئيس الأمريكى لن يستخدم حق الاعتراض على القرار ولكنه "لن يوقعه وأكد البيان أن عدم التوقيع لا ينفى أن يصبح القرار قانوناً ملزماً". ومن المعروف وفقاً للقواعد الدستورية فى أمريكا أن قرارات الكونجرس تكتسب

قوة القانون إذا لم يوقعها الرئيس خلال عشرة أيام من تاريخ إرسالها إليه للتوقيع مالم يردها مشفوعة بما يدل على ممارسته حقه في الاعتراض على التشريع. ولنا عدة ملاحظات أولية حول القرار:

أ - عدم توقيع الرئيس على القرار معناه شئ واحد ، هو أن الرئيس أراد أن يكتسب القرار قوة القانون بانقضاء العشرة أيام بدون توقيع ، حتى يبدو الرئيس في نظر العرب وأصدقائهم كأنه غير موافق على القرار بل معترض عليه . ولن يؤثر على هذه النقطة الفنية كون أن الرئيس الأمريكي قد أعطى الحق في تأجيل التنفيذ لمدة ستة أشهر قابلة للتجديد. إن الرئيس لم يُعط هذه المكانة في رأيي إلا لتفادي وقوع مشاكل مع العرب وللحفاظ على عملية السلام من التدهور خاصة فيما يتعلق بالمفاوضات الجارية بين الفلسطينيين والإسرائيليين . وطالما أن القرار قد اكتسب قوة القانون فإن تأجيل التنفيذ لا يؤثر في ذلك ، وسواء قام الرئيس كلينتون أو قام غيره من بعده بالتنفيذ وسواء أجل التنفيذ أم لم يؤجله ، فإن الرئيس ملزم بتنفيذه ومسئول عنه أمام الشعب الأمريكي كجزء من قانون البلاد .

ب - إن القرار خطير بحق ، إذ أنه يفتح الباب أمام حكومات أخرى موالية لإسرائيل أن تتخذ قرارات مماثلة . صحيح إن القرار الأمريكي - الذي أصبح قانوناً أمريكياً - لا يلزم إلا حكومة الولايات المتحدة ولا يتعداها إلى غيرها من الحكومات ، ولكن خطورته تكمن في أن أمريكا دولة عظمى ولها دور كبير في السلام والحرب في المنطقة ، وقد تحذو دول أخرى حذوها في هذا الشأن ، وقد يأتي ذلك بتحريض من الولايات المتحدة نفسها . ألم تكن الولايات المتحدة هي أولى الدول التي اعترفت بإسرائيل عام ١٩٤٨ عند إنشائها.

ويرى بعض الملاحظين أن النص في القرار على حق الرئيس الأمريكي في تأجيل التنفيذ ستة أشهر قابلة للتجديد إنما جاء كي يحول دون استخدام الرئيس حقه في الاعتراض على القرار[١٣] . وفي رأيي أن هذا الكلام غير صحيح بالمرة . فالحقيقة هي

---

[١٣] إن رئيس أمريكا في تعاملاته مع المنطقة ومع غيرها من الدول بخصوص عملية السلام سوف يكون ملزماً بالدفاع عن الموقف الأمريكي الذي لن يستطيع أن يتجاوز قانون البلاد.

أن الرئيس الأمريكى عادة ما يعترض على بعض التشريعات التى لا يتفق معها من جهة والتى يكون التصويت عليها قريباً إلى حد ما . أما القرار الذى نحن بصدده فقد كان التصويت عليه على النحو التالى :

المجلس/ التصويت	موافقون	معارضون	غائبون أو ممتنعون	إجمالى الأصوات
مجلس النواب	٣٧٤	٣٧	٢٧	٤٣٨
مجلس الشيوخ	٩٣	٥	٢	١٠٠

وواضح من التصويت على القرار أن الموافقين عليه يشكلون أغلبية ساحقة فى كلا المجلسين . وفى تقديرى أن الرئيس الأمريكى لم يكن يقدر ، مهما كانت قوته ، أن يعترض على تشريع تسانده أغلبية ساحقة مثل هذه ، وذلك لسهولة حصول القرار على أغلبية الثلثين المطلوبة لإنفاذه فى حالة اعتراض الرئيس وإرجاعه إلى الكونجرس ، ناهيك عن سيطرة الحزب الجمهورى المحافظ والأكثر تأييدا لإسرائيل من حزب الرئيس على الكونجرس بمجلسيه. وإنما الرأى عندنا أن الرئيس الأمريكى قد أعطى هذه المكانة والقدرة على التأجيل نصاً فى القرار لكيلا يكون مضطراً لتأييد القرار علانية ويتجنب سخط العرب عليه فى الوقت الذى تجرى فيه مفاوضات بينهم وبين إسرائيل لإقرار السلام فى المنطقة.

ج- إن هذا القرار يحمل فى طياته اعترافاً من حكومة واشنطن بأن القدس هى عاصمة دولة إسرائيل أو هى العاصمة الموحدة لدولة إسرائيل كما جاء فى ديباجة القرار . ومهما تجملت حكومة الولايات المتحدة فى خطابها السياسى مع العرب فإن القرار ليس له معنى غير ذلك.

د- إن القرار قد جاء بسبب الضغوط التى مارسها "اللوبى الصهيونى" على الكونجرس واستجابة لمطالب "أصدقاء إسرائيل" فى مجلس النواب والشيوخ.

هـ - إن القرار يعد بحق مخيباً لآمال المسلمين فى كل أنحاء العالم الذين يرون فى القدس مدينة ذات صلة بدينهم وعقيدتهم ويرون فى الاحتلال الإسرائيلى لها أمراً مؤقتا. كذلك أتى القرار مخيباً لآمال العرب - مسلمين ومسيحيين - الذين رأوا فى الولايات المتحدة راعياً لعملية السلام ووسيطاً أميناً فى المفاوضات التى تجرى بين الطرفين لتسوية النزاع القديم .

٢- القرار ومخالفة القانون Breach of Low

لئن كان قرار الكونجرس قد أصبح قانونا واجب التنفيذ والاحترام داخل الولايات المتحدة الأمريكية ، إلا أنه أتى مخالفا للقانون الدولى العام وللمواثيق الدولية التى تحرم ضم الأراضى المحتلة ولا تعترف بالآثار الناتجة عن احتلال أراضى الغير بالقوة . ولقد جاء القرار مخالفا أيضا للقرارات الصادرة بهذا الخصوص عن مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة . بل وجاء القرار مخالفا لاتفاقات أوسلو بين العرب وإسرائيل ومخالفا لما كانت إسرائيل تعلنه من قبل من أن "كل شئ قابل للتفاوض" فى تعاملها مع العرب.

أ- القرار مخالف لميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولى

يحرم القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة احتلال أراضى الغير بالقوة بل ويحرم ميثاق الأمم المتحدة مجرد التهديد باستخدام القوة فى العلاقات الدولية [١٤] .

وما القدس إلا أرض عربية جرى احتلالها مع غيرها من الأرض العربية الأخرى عام ١٩٦٧ من قِبل دولة إسرائيل ، ولقد حاولت إسرائيل ضمها وتهويدها مرارا وتكرارا قبل ذلك مخالفة بذلك القانون الدولى والمواثيق الدولية.

[١٤] المادة الثانية الفقرة الرابعة من الميثاق .

ب- مخالفة القرار لقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة

إن قيام دولة الاحتلال بضم أى جزء من الأراضى المحتلة هو أمر مخالف ليس فقط للقانون الدولى ولميثاق الأمم المتحدة ، وإنما للقرارات العديدة الصادرة عن مجلس الأمن والجمعية العامة التابعين للأمم المتحدة فى هذا الشأن . وهناك العديد من القرارات التى تخص بصفة خاصة وبالتحديد "القدس" كأرض عربية محتلة وتنص على تحريم وإبطال الإجراءات التى تتخذها دولة إسرائيل تجاه المدينة . ولقد جاءت هذه القرارات منذ احتلال إسرائيل للقدس ولم تتوقف هذه القرارات ، ومنها :

- قرار الجمعية العامة الذى أعلن "بطلان ما تقوم به إسرائيل من إجراءات فى القدس" ودعا إسرائيل إلى "إيقاف كل ما تقوم به من إجراءات مخالفة للقانون الدولى فى الإقليم المحتل وأن تكف عن كل إجراء تحاول من خلاله تغيير الوضع القانونى لمدينة القدس"[١٥] .
- القرار الذى شجبت فيه الجمعية العامة "فشل إسرائيل فى تنفيذ القرار السابق" ورددت بنوده وأكدت على أهميتها [١٦] .

كذلك قرارات مجلس الأمن التى شجب فيها مجلس الأمن "فشل إسرائيل فى إظهار أى احترام أو تقدير لقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة" ، وأعلن "بطلان الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل لضم وتهويد القدس أو لتغيير وضعها القانونى" ، ودعا إسرائيل إلى "إيقاف تلك الإجراءات والى الكف عن اتخاذ أية إجراءات يكون من شأنها تغيير الوضع القانونى للمدينة " [١٧] .

---

[١٥] وهو القرار رقم ES- V2253 الصادر فى ٤ يوليو ١٩٦٧.

[١٦] وهو القرار رقم ES-V الصادر عن الجمعية العامة فى ١٤ يوليو ١٩٦٧.

[١٧] وهى قرارات مجلس الأمن :

- ٢٥٢ الصادر فى ٢١/ ٥/ ١٩٦٨.
- ٢٦٧ الصادر فى ٣ / ٧ / ١٩٦٩ .
- ٢٧١ الصادر فى ١٥ / ٩ / ١٩٦٩ .
- ٢٩٨ الصادر فى ٢٥ / ٩ / ١٩٧١ .

لمزيد من التفاصيل حول الإجراءات غير القانونية التى اتخذتها إسرائيل لتهويد مدينة القدس وتغيير وضعها القانونى بعد احتلالها فى عام ١٩٦٧ انظر وثائق الأمم المتحدة رقم A/٢٧٩٨ ، ٨١٤٦/ S ، ٨١٥٨/ S ، وكذلك انظر بيان

ونبسط هذا القرار الصادر عن مجلس الأمن فى ١٩٧١/٩/٢٥ لأهمية ما جاء فيه :

"يؤكد المجلس فى أبسط وأوضح صورة ممكنة أن كل الإجراءات التشريعية والدستورية التى تتخذها إسرائيل لتغيير معالم المدينة بما فى ذلك مصادرة الأراضى ونقل السكان وإصدار التشريعات التى تؤدى إلى ضم الجزء المحتل من المدينة إلى إسرائيل ، كل ذلك باطل ولا أثر له ولا يمكن أن يغير وضع المدينة" .

ثم عادت الجمعية العامة فى ١٥ ديسمبر ١٩٧٢ فأكدت بقرارها رقم ٣٠٠٥ بطلان كل تلك الإجراءات التى قامت بها إسرائيل فى القدس.

ولكن إسرائيل لم تكف عنها ولم تلغ أيا من تلك الإجراءات غير القانونية فى المدينة، وتعتبر أن القدس عاصمة موحدة وأبدية لها ، وأنها كانت كذلك منذ ثلاثين قرنا (منذ عهد سليمان وداود عليهما السلام) ويجب أن تظل كذلك (يهودية – عاصمة موحدة وأبدية) . لذلك دأبت إسرائيل (متحدية بذلك كل القرارات الدولية) على إخراج سكان القدس العرب وإدخال أكبر عدد ممكن من اليهود إليها.

وجاء قرار الكونجرس ليضفى صفة القانونية على هذه التصرفات كلها بما فيها من تحدٍ للقرارات الدولية السابق الإشارة إليها.

ج – القرار مخالف لمعاهدات السلام

لا يخالف قرار الكونجرس ميثاق وقرارات الأمم المتحدة والقانون الدولى فحسب بل ويخالف أيضا معاهدات السلام التى دخلت إسرائيل طرفاً فيها. فلقد حددت اتفاقية أوسلو الثانية مثلاً أن القدس سوف تكون من المسائل التى يتم بحثها والتفاوض بشأنها فى آخر المباحثات بين الجانبين العربى (الفلسطينى) والإسرائيلى وذلك فى المرحلة الثالثة من

روحى الخطيب أمام مجلس الأمن فى ١٩٦٨/٥/٣ وأيضا مقالته "تهويد القدس" (بيروت : مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية) ، ١٩٧٠ .

كذلك انظر تحليلاً قانونياً رائعاً فى:

Henry Cattan . Palestine and International law: The legal aspects of the Arab-Israeli conflict . (London: Longman, 1973), P. 139.

المباحثات[18] ، ولقد كان شعار إسرائيل منها أن كل شئ قابل للتفاوض ، وهو شعار طالما ردده مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل كثيراً ، وكذلك ردده شامير ورابين وبيريز وغيرهم من قادة إسرائيل.

إن قرار الكونجرس بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل وضمها ، إنما يخالف الاتفاقات والتصريحات الإسرائيلية ذاتها.

ثانيا – ردود الفعل على القرار

تباينت ردود الفعل على قرار الكونجرس بنقل السفارة إلى القدس :

١- رد الفعل العربى

رفض العرب ، كالعادة ، القرار الظالم الصادر عن الكونجرس الأمريكى تماما ، كما رفضوا كل قرار ظالم آخر من قبل . ولكن رفضهم ، كالعادة أيضا ، لم يكن قوياً ولا فعالا إذ لم يتجاوز عبارات الشجب والتعبير عن الدهشة والحيرة.

فمن جهة استبعد الأمين العام لجامعة الدول العربية الدكتورعصمت عبد المجيد دعوة قمة عربية استثنائية لبحث القرار وملابساته ، وهو ما يعد مؤشراً على مقدار الغضب فى الدوائر العربية الرسمية تجاه قرار الكونجرس وبسببه.

ولقد وصف السيد عمرو موسى وزير خارجية مصر القرار بأنه "غير ضرورى ولا لزوم له" ، إذ أنه "لن يؤثر فى موقف الدول المختلفة القائم على أن مدينة القدس سيتم التفاوض على وضعها النهائى بين الفلسطينيين والإسرائيليين".

وأكد السيد عمرو موسى أيضاً أن " التفاوض هو السبيل الوحيد الذى يؤدى إلى نتائج يتفق عليها جميع الأطراف" ، كما أعرب عن أمله فى "ألا تصبح القدس مسألة من مسائل الانتخابات فى الولايات المتحدة الأمريكية" . وهكذا يمكن إجمال موقف مصر كما حدده وزير خارجيتها فيما يلى :

---

[18] فهمى هويدى ، الأهرام ١٩٩٥/١٠/٣١

- القرار غير ضرورى .

- نحن لا نوافق على القرار .

- القرار لا أثر قانونى له وغير فعال .

- أن القرار قد جاء بسبب الانتخابات فى الولايات المتحدة .

أما السيد ياسر عرفات فقد حدد موقف فلسطين تجاه القرار عندما رفضه رفضاً مطلقاً ورأى فيه مؤشراً سلبياً على عملية السلام[١٩].

٢- رد الفعل الإسرائيلى

رحبت إسرائيل بالقرار الذى يعد بحق نصراً لدبلوماسيتها ولضغوط أنصارها فى الولايات المتحدة ، فلقد قال بيريز - وزير الخارجية آنذاك - "القدس عاصمتنا الأبدية وسوف تظل كذلك على الدوام وأنا أرحب بالقرار" [٢٠] ، كذلك أعرب بيريز عن تقديره للخطوات التى يتخذها الكونجرس فيما يتعلق بمشروع نقل السفارة وقال : "إن الذى يجمع عليه الكل فى إسرائيل هو بقاء القدس عاصمة أبدية لإسرائيل" [٢١] .

موقف الدول الأوربية

عارضت دول كبرى كثيرة القرار الصادر عن الكونجرس بنقل سفارة أمريكا إلى القدس ، فلقد أعربت روسيا "عن قلقها من قرار يدل على التحيز لصالح إسرائيل" .

وعارضت كذلك بريطانيا وفرنسا القرار ، ولكن موقف فرنسا جدير بالإشارة ، فقد بينت جريدة الفيجارو الفرنسية موقف فرنسا النهائى من مسألة القدس بمناسبة زيارة الرئيس شيراك فى ١٩٩٦/١٠/٢٣ إلى إسرائيل : "إن الموقف الذى جرى فى مدينة

---

[١٩] كما رفض القرار كل من سوريا والسعودية.

[٢٠] الأهرام ، ١٩٩٥/١٠/٢٥.

[٢١] وكان الكونجرس قد اعتمد ٢٥ مليون دولار للبدء فى إقامة المبنى مقر السفارة على أن يتم تخصيص مبلغ ٧٥ مليون دولار عام ١٩٩٧ لذات الغرض.

القدس بين الرئيس الفرنسى شيراك ورجال الأمن الإسرائيليين لم يحدث بمحض الصدفة ، وخلفيته هى أن فرنسا لا تعترف بالسيادة الإسرائيلية على القدس الشرقية ، وبالتالى فقد حرص الرئيس شيراك على أن تكون زيارته زيارة خاصة ، وعليه فقد كان قبوله للحراسة الإسرائيلية دون " النبس ببنت شفة " سيكون بمثابة اعتراف منه بضم إسرائيل للقدس الشرقية .. إن شيراك يعى تماماً أن الصورة تساوى ألف كلمة وبالتالى فإن إظهار غضبه يكتسب فى المقام الأول قيمة رمزية وهى شئ هام فى العالم العربى وعليه فقد أراد شيراك توضيح موقفه من القدس كما فعل بالنسبة لغيرها من قضايا النزاع".

ترى الجريدة أن الرئيس شيراك كان فى الوقت المناسب فى المكان المناسب فى ضوء أن المفاوضات حول مستقبل القدس فى إطار مفاوضات الوضع النهائى كان من المفروض أن تبدأ فى المرحلة المقبلة ، كذلك لفتت الافتتاحية النظر إلى الجانب الرمزى من زيارة شيراك إلى كنيسة سان آن وطريق الآلام وذلك لتثبيت حقيقة تبعية الكنيسة لفرنسا منذ أن أهداها إليها السلطان العثمانى فى ١٨٥٦ نظير مناصرتها فى حرب القرم وللتذكير بأن فرنسا هى أحد حماة الأماكن المقدسة.

كذلك فإن جريدة "العالم" الألمانية أشارت يوم ١٩٩٦/١٠/٢٣ بأن رفض شيراك اصطحاب عمدة القدس الإسرائيلى أثناء زيارته للمدينة صاحبه تعليل بأن "المجتمع الدولى يرفض احتلال إسرائيل للقدس الشرقية منذ عام ١٩٦٧ ولا يعترف بضمها إلى إسرائيل"[٢٢].

وواضح من ردود الأفعال هذه أن دول أوربا ، وعلى رأسها فرنسا ، لا تعترف بإجراءات تهويد القدس وجعلها عاصمة موحدة أبدية لإسرائيل ، كما يريدها قرار الكونجرس الأمريكى.

[22] Die Welt, Oct. 23, 1996.

مقادس الأقباط وحقوقهم المشروعة
فى دير السلطان بالقدس الشريف

دكتور مكارى أرمانيوس سرور
أستاذ بمعهد الدراسات القبطية - القاهرة

مدخل تاريخى

للمصريين الأقباط منذ القرن الأول الميلادى، موضع قدم دائم وثابت فى مدينة القدس، حيث استمر تدفقهم إليها أفراداً وجماعات طوال القرون الأولى وحتى أوائل القرن السابع الميلادى، عندما احتل الفرس مدينة القدس ، وقاموا بذبح الآلاف من سكانها ودمروا كنيسة القيامة عام ٦١٤م وأخذوا معهم إلى بلادهم خشبة الصليب، التى لم تسترد وترجع إلى موضعها إلا بعد معركة شرسة بينهم وبين هرقل الذى انتصر فيها عليهم.

ولما قام العرب بفتح بيت المقدس عام ٦٣٧م، سلم الخليفة عمر بن الخطاب كتاب الأمان "العهد العمرى" للأنبا صفرونيوس البطريرك مقابل مفتاح المدينة المقدسة، حيث ذكر فيه أن الأقباط ضمن الطوائف الممثلة فى كنيسة القيامة. وقد جاء فى كتاب "سقوط الإمبراطورية الرومانية" للمؤرخ الإنجليزى جيبون فى الفترة من عام ٦٣٧م تاريخ الفتح العربى وحتى عام ١٠٩٩م تاريخ دخول الصليبيين إلى القدس ، أن : الروم واللاتين والأقباط والأحباش والأرمن واليعاقبة والنساطرة والكرج احتفلوا بهياكلهم فى القبر المقدس وكان لهم رجال دين وشعب بأعداد متفاوتة (Gibbon, “Rise and Fall of The Roman Empire” IV, 184).

أما كنيسة المجدلانية التى ذكرها المؤرخون الأقباط ومنهم ساويرس بن المقفع وأبو المكارم، فقد قام ببنائها المعلم/ النبراوى مقاره المصرى بأورشليم القدس فى عهد البابا يعقوب (البطريرك الخمسون) (٨٠٩-٨٢٩م)، ثم استمر تردد الأقباط على الأماكن المقدسة خلال القرنين العاشر والحادى عشر، اللهم إلا فى فترات الحروب والاضطهادات والمجاعات والأوبئة.

ولما أعيد فتح مدينة القدس بواسطة صلاح الدين الأيوبى عام ١١٨٧م، حيث هزم صلاح الدين الصليبيين فى موقعة حطين واستولى على القدس وغيرها من البلاد التى كانت معقلا لهم - فيما عدا مدينة صور - وتم الاتفاق فى صلح الرملة عام ١١٩٢م على ترك القدس تحت حكم المسلمين، بشرط أن يسمح للمسيحيين بالزيارة والحج واستعادة الروم لبعض أملاكهم التى اغتصبها اللاتين، استأنف الحجاج الأقباط الزيارة للأماكن المقدسة، وكافأهم صلاح الدين على إخلاصهم ووطنيتهم برد الأماكن التى سلبت منهم، كما أهداهم دير السلطان (وهو مبنى بناه أحد السلاطين السابقين لصلاح الدين ليكون بمثابة نزل أو استراحة لرسله وعماله فى طريقهم من مصر إلى الشام وغيرها أو العكس)، تقديراً منه لدورهم الوطنى والتاريخى فى هذه الحروب، وما قاموا به من مساندة ومناصرة لجيش المسلمين بقيادته ضد أولئك الذين يتمسحون فى اسم الصليب ظلماً وعدواناً.

مقادس الأقباط الخاصة بكنيسة القيامة

فيما يلى بيان بممتلكات الأقباط الخاصة بكنيسة القيامة والتى ظلوا محافظين عليها حتى اليوم:

١- كنيسة السيدة العذراء، التى تمتاز بموقعها الفريد على رأس القبر المقدس.

٢- مبنى فى مواجهة الكنيسة المذكورة، بين أعمدة القبة الكبرى أرقام ٩،١٠،١١ وله بابان ومكون من طابقين، تبلغ مساحتهما نحو ٨٠م٢، مخصص لسكنى الرهبان الأقباط.

٣- باب فى مواجهة الكنيسة المذكورة وعمودان عليهما قناديلهم وأيقوناتهم.

٤- ثلاثة بوابك Arches مقابلة للكنيسة وعليها ١٤ قنديلاً، يتولى الأقباط وحدهم تنظيفها وتعميرها وإنارتها.

٥- مبنى يقع غرب الباب الرئيسى لكنيسة القيامة، مكون من طابقين تبلغ مساحتهما نحو ٣٠م٢.

٦- جرس – من ثلاثة نواقيس – يدق قبل باب القيامة الرئيسى بنفس الطريقة والتوقيت الذى تدق فيه أجراس الروم واللاتين والأرمن. وهذه الطوائف الأربع هى وحدها التى لها أجراس بالكنيسة.

٧- ستة قناديل داخل بناء القبر المقدس، أربعة منها داخل غرفة القبر وواحد فى غرفة الملاك والأخير فوق حجر المغتسل.

هذا علاوة على أن للأقباط الحق فى فتح كنيسة القيامة يوم الجمعة الحزينة فيما بين الساعة الخامسة والساعة السابعة مساءً وتكرس لهم وحدهم، حيث يطوفون بموكبهم فى جميع أرجائها، وأيضا الاشتراك رسمياً فى احتفالات الشعانين والنور المقدس وقراءة السواعى الكنسية النهارية والليلية، كما لهم حق البخور داخل القبر المقدس.

مما تقدم يتضح أن ما فى حيازة الأقباط حالياً بكنيسة القيامة لا يقل فى أهميته على الأقل عما فى حيازة طوائف اللاتين والروم والأرمن، الأمر الذى اعترفت به الحكومة العثمانية فى أكثر من مناسبة صراحة أو ضمناً مثل كتاب جواد بك متصرف لواء القدس إلى نظارة العدلية فى عام ١٣١٧هـ تحت رقم ٣٢٨ حيث يذكر فيه: "أن مطران أفندى طائفة القبط من الرؤساء الروحانيين الذين هم هنا من أول درجة ولملته موضع مهم فى أماكن الزيارات ". كما أن مطران الأقباط كان يعين بفرمان من الباب العالى.

ممتلكات الأقباط وحقوقهم عدا كنيسة القيامة

للأقباط خارج كنيسة القيامة بالقدس الشريف ممتلكات، بعضها ملاصق لها أو واقع فى منطقتها، وبعضها يقع فوق أجزاء من كنيسة القيامة ، وفيما يلى أهم هذه الممتلكات:

١- دير مارأنطونيوس أو الدير الكبير : ويقع فى شمال كنيسة القديسة هيلانة بالقيامة، وعمر وأضيف إليه مبان جديدة بتبرعات من أثرياء الأقباط عام ١٩٠٧ ، وفى عام ١٩١٢ أصبح لائقاً لأن يكون مقراً رسمياً للمطران القبطى (الكرسى الأورشليمى) بعد تجديد كنيسته وأساساته القديمة، وقد تحدث عنه Luck & Roach (١٩٢٢م) وإيلستون Elston (١٩٢٩م).

(Luck & Roach, Handbook of Palestine, 45),
(Elston, The Travelers Handbook for Palestine and Syria, 142).

٢- دير مارجرجس : وقد أنشئ فى القرن السابع عشر. ولكنيسة الدير هيكل واحد، وبها أيقونات بديعة. وقد أشار إلى هذا الديز الهر(السيد) أولريش سيتزن، الذى زار الأماكن المقدسة فى عام ١٨٠٦م مثبتاً أن دير مارجرجس ودير السلطان ملك للأقباط.

(Ulrich Seetzen, Reisen durch Syrien, Palestina ... II, 20-21).

ويوجد بالدير الآن مدرسة القديسة دميانة للبنات، شأنها شأن الكلية الانطونية للبنين بدير مارأنطونيوس.

٣ - كنيسة الجثمانية أو كنيسة قبر العذراء مريم: وتقع عبر وادى قدرون، وللأقباط مذبح يصلون عليه غرب قبر السيدة العذراء، يومى الأربعاء والجمعة من كل أسبوع، أما فى صوم العذراء الذى يقع ما بين ٧-٢٢ أغسطس فتقام فيه الصلوات يومياً.

٤- كنيسة المهد ببيت لحم: للأقباط، فى هذه الكنيسة، حق إقامة القداس الإلهى فى ٥ يناير وعشية عيد الميلاد ٦ يناير وصبيحة العيد ٧ يناير .. وهذا الحق ثابت للأقباط على الأقل من القرن الرابع عشر الميلادى.

٥- كنيسة الصعود: وكانت قد شيدتها الملكة هيلانة عام ٣٢٥م فوق جبل الزيتون فى الموضع الذى صعد منه المسيح إلى السماء . ويُصلى الأقباط على مذبحتهم بالكنيسة

عشية عيد الصعود، وفى صباح العيد يقيمون القداس وتنتهى الصلاة بدورة حول قبة الكنيسة.

٦- **استراحة الأقباط:** بنيت عام ١٨٣٧م لراحة الحجاج الأقباط الوافدين من مصر فى عهد المطران إبرام (١٨٢٠-١٨٥٤م).

٧- **دير السلطان:** نظراً لأهمية هذا الدير وما أثير بشأنه من منازعات طال أمرها، أفردنا له هذه الدراسة المفصلة.

موقع الدير

يقع دير السلطان بجوار كنيسة القيامة داخل نطاق موضع الصلب والقبر المقدس، وهو يعتبر من الأماكن المسيحية المقدسة التى يسرى عليها حكم الوضع الراهن (ستاتيكيو Statusquo) وتشمل الآتى:

١- القبر المقدس وملحقاته.

٢- دير السلطان.

٣- قبر السيدة العذراء (الجثمانية).

٤- كنيسة المهد.

ولدير السلطان أهمية خاصة لدى الأقباط، لأنه طريقهم من دير القديس أنطونيوس (وبه مقر البطريركية القبطية) إلى كنيسة القيامة . وتبلغ مساحة دير السلطان نحو ١٨٠٠م٢ ويتصل شمالاً بدير القديس أنطونيوس وغرباً بمبانى كنيسة القيامة التى تقع ساحته فوقها وبالتحديد فوق كنيسة القديسة هيلانة، ويمر الأقباط عبرها إلى الممر الموصل إلى باب القيامة، وفى الزاوية الجنوبية الغربية لهذه الساحة كنيستان تاريخيتان على الطراز القبطى، إحداهما علوية وهى كنيسة الأربعة كائنات (حيوانات) غير المتجسدين مساحتها نحو ٤٢م٢ ولها هيكل واحد حجابه مُطعم بالعاج حسب النسق القبطى القديم وقد نقش فى أعلاه تاريخ عام ١١٠٣ للشهداء، وعليه وعلى الجدار الجنوبى منه عُلقت ثمانى لوحات(أيقونات) قبطية، ويحيط بالكنيسة من ناحيتها الشمالية والغربية سياج

حديدى يفصلها عن الممر، حيث يوجد باب يؤدى إلى هيكل مغارة الصلب. أما الكنيسة الثانية فهى باسم رئيس الملائكة ميخائيل وتقع فى الطابق الأرضى وتبلغ مساحتها نحو ٣٥م٢ ولها هيكل واحد فى أعلاه تاريخ مدون برموز مشتقة من الحروف القبطية وعلى الحجاب والجدار الجنوبى للكنيسة سبع أيقونات قبطية قديمة، وحول الكنيسة من الناحيتين الشمالية والغربية سياج حديدى يفصلها عن الممر المؤدى إلى ساحة القيامة، وفى وسط ساحة دير السلطان تقريباً تبرز قبة كنيسة القديسة هيلانة.

وقد على الأقباط طوال تاريخهم فى الأرض المقدسة بالمحافظة على هذا الدير، فلم ينتزع منهم إلا عندما احتله الرهبان الأوغسطينيون إبان مملكة القدس اللاتينية.

(Cust, The Statusquo in The Holy Places).

وقد نهبت مدينة القدس وأشعلت النيران فى كنيسة القيامة ودير السلطان خلال المعارك الطاحنة بين الملك الناصر داود ملك الشام والملك الصالح نجم الدين عام ١٢٤٥م إلا أن القدس عادت بعد ذلك إلى الملك الصالح نجم الدين الذى أمر بإعادة بناء سورها وإعادة دير السلطان إلى أصحابه الأقباط، وكان ذلك فى عهد الأنبا باسيليوس الأول - وهو أول مطران قبطى يُسام على الكرسى الأورشليمى (١٢٣٦م-١٢٦٠م) بيد البابا كيرلس الثالث (البطريرك الخامس والسبعون) الشهير بابن لقلق . وقد كانت مصالح الأقباط فى الأراضى المقدسة موكولة إلى الكنيسة السريانية قبل تلك الرسامة، إلا أن هذه الرسامة أثارت غضب مار أغناطيوس بطريرك الكرسى الأنطاكى، الذى كان مقيماً وقتئذ بأورشليم، فقام بسيامة مطران من قبله لكنيسة الحبشة.

حقوق الأقباط فى دير السلطان

كان لإخوتنا الأحباش حتى منتصف القرن السابع عشر مقادس ومزارات بمدينة القدس، حددها بعض الشخصيات الهامة الذين زاروا القدس وكتبوا عنها نذكر منهم:

١- دى بريفا سفير فرنسا بالأستانة، الذى قام برحلة إلى الأراضى المقدسة عام ١٦٠٤م وقال فى وصفها "إن للأحباش أو الإثيوبيين، تحت المذبح الذى يحتوى على عمود الجلد، هيكلاً محاطاً بمشبكات من الخشب".

(Relation des voyages de M. Breves, Paris 1627, p. 202).

٢- نبار الفرنسي، الذى زار فلسطين عام ١٦١٦م حيث ذكر عن عمود السخرية ما يلى:

"تكريماً لهذا العمود يوجد بالقرب منه قنديل مضاء دائماً يتعهده الأحباش، حيث يوجد ذلك الهيكل فى حوزتهم ويقيمون فيه القداسات حسب طقسهم".

(Le voyage de Hierusalem par Benard, Paris 1621, p. 216).

٣- جان دوبدان: الذى زار الأراضى المقدسة فى نوفمبر عام ١٦٥١م وأكد على أن هيكل الجلد فى سلطة الأحباش.

(Doubdan, Le voyage de La terre Sainte, Paris 1666, p. 56).

٤- جان دى تيفينو: الذى قام برحلة لزيارة فلسطين فى إبريل عام ١٦٥٧م حيث قال: "وبعد صعود الثلاثين درجة اتجهنا إلى اليسار وواجهنا هيكل الجلد وهو محاط بقضبان من الخشب، وفيه مذبح يوجد تحت عمود الجلد، والهيكل للإثيوبيين وبه خمسة قناديل".

(Jean de Thevenot, Relation d'un voyage fait au levant, Paris 1664, p. 380).

٥- فرنسوا أرمان، حيث ذكر فى مخطوط به وصف رحلاته فى الأستانة وأثينا والقدس (١٦٠٢م-١٦٠٥م) محفوظ بالمكتبة الأهلية بباريس وطبع عام ١٩٠٦م ما يلى:

" ... وبعد ذلك صعدنا إلى المكان الذى أراد إبراهيم أن يقدم فيه ذبيحة ابنه إسحق حيث يوجد هيكل جميل للغاية فى حوزة الأحباش ..." .

(H.Omot, voyages ´a Athenes Constationopli et Jerusalem de Francois Armand "1602-1605", Paris, 1909, p. 427).

٦- جورج ساندز، الذى كان مقيماً بفلسطين عام ١٦١٦م كتب يقول: " وفى الحائط الذى بامتداد الساحة (ساحة القيامة) إلى الجانب الشرقى منه، يوجد سلمان يوصلان إلى حيث يقع مبنى هيكل يقولون أنه المكان الذى كان إبراهيم مزمعاً أن يقدم فيه ابنه إسحق ذبيحة وهو بيد كهنة الأحباش .." .

(Georges Sandys, Relation of Turkish Empire, of Egypt, of The Holy Land etc , 3rd, London 1637, p.61).

٧- الأب يوجين روجيه الفرنسيسكاني، الذى كان حارساً للأماكن المقدسة عام ١٦٣٢م ، فقد ذكر أن: "من بين جميع الشعوب التى تقيم فى الأرض المقدسة لا يوجد من هم أقل عددا من الأحباش إذ لا يوجد منهم عادة أكثر من ثلاثة أو أربعة من الكهنة الرهبان ومثلهم من العلمانيين، ولهم دير صغير خارج كنيسة القبر المقدس وباتصال جبل الجلجثة، ويوجد به هيكلان أحدهما بنى فى المكان الذى قدم فيه إبراهيم كبشاً كذبيحة عوضاً عن ابنه إسحق، وفى الثانى يحتفظ بالحجر الذى قدم عليه ملكيصادق إلى الله ذبيحة الخبز والخمر، ويقوم رهبان الأحباش بالإنفاق على هذين الهيكلين من إيراد ثمانية أوعشرة بيوت فى القدس اقتنوها من العطاءات التى يقدمها لهم الحجاج" .

(Pere Engene Roger, Recolect Missionnaire en Barbarie La Terre Saint .. Avec un traite de Quatorze nations de differentes Religions Qui L'habitat, Paris 1664,p.400).

٨- شحاتة خورى ونقولا خورى ، وقد ذكرا فى كتابهما المشترك (خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية) المطبوع بالقدس عام ١٩٢٥م صفحة ١٥٠ ما يلى:

"كان الأحباش فى عهد دولة المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧م) فى عز ورفعة شأن بسبب مجاورة بلادهم لمصر واستيلائهم على منابع النيل ، وكان لهم فى كنيسة القيامة مائدة إكليل الشوك والمزار الذى بقرب الجلجثة حيث قصد إبراهيم أن يقدم إسحق ابنه ذبيحة، وكان كهنتهم يحضرون حفل النور المقدس مع الأرمن والقبط، وبعد ما استولى الأتراك على مصر وسوريا، ضعفت وارداتهم وقل اعتبارهم، فالتصقوا بالأرمن، وكان هؤلاء يعولونهم، فاستولوا على جميع مزاراتهم فى عام ١٦٥٤م كما استولوا على دير اليعاقبة فى بيت لحم وعلى دير ماريعقوب فى القدس.

٩- المطران إستفاذا دور الأرمنى، ذكر فى كتابه (تاريخ أورشليم) ما يلى:

"أما بالنسبة للروم فقد احتلوا أديرة وأملاك الأحباش ومازالت بأيديهم وهى - بكنيسة القبر المقدس: مذبح صغير فى الجلجثة وكنيسة مظلمة بداخلها غرفة لها أرضية من الخشب، ومذبح تاج الشوك والمحل المسمى تخت سركيس، وتحت الطابق العلوى للأرمن ست غرف من طابقين ، فى الجهة اليسرى من البئر- قنديل فى مكان القبر بين قناديل القبط،

كنيسة مريم المصرية، دير أبونا إبراهيم مع الكنائس التى بداخله، دير القديسة كاترين فـى نهاية سوق الحدادين، وفى كنيسة الجثمانية وفى كنيسة بيت لحم ..." .

(Bishop Astvasadour, History of Jerusalem, translation, p. 350,1).

١٠- ريتشموند، مدير دائرة الآثار الفلسطينية عام ١٩٣٥م، حيث ذكـر فـى المقدمـة التـى وضعها لكتاب السيد/هارفى عن ترميم كنيسة القيامة والذى نشرته حكومـة فلسـطين عـام ١٩٣٥م مـا يلـى: وفـى عـام ١٦٦٤م نزعـت مـن الكـرج أملاكهـم لعدم اسـتطاعتهم دفـع الأموال المفروضة عليهم، وكان قد لقى الأحباش نفس المصير من قبل ، أى أخـذت منهـم أملاكهم سالفة الذكر..." .

(Hervey, The Church of the Holy Sepulche etc. p .xii.).

١١- الأسقف الإثيوبى بالقدس، وضع الأنبا فيلبس الأسقف الإثيوبى بـالقدس كتابـاً بعنـوان "حقـوق الكنيسـة الحبشـية الأرثوذوكسية فـى الأمـاكن المقدسـة" ، وكـان ضمـن الوثـائق المنشورة فى هذا الكتاب، صورة رسمية استخرجها من سجلات محكمـة القـدس الشـرعية بتاريخ ١٩٥١/١٢/١٣ عن مضبطة صادرة من المحكمة المذكـورة فـى شـهر ذى الحجـة عام ١٠٦٥هـ (١٦٥٤م) تنفيذاً لأمر سلطانى فصل فى الخلاف الناشئ بين الروم والأرمن بشـأن أمـلاك الأحبـاش فـى القـدس .. واسـتهلت المضبطـة المذكـورة ببيــان عـن الأمـر السلطانى الذى قدمته طائفة الروم جاء فيه ما يلى:

وأن كنيسة القيامة المذكورة أعلاه وسائر الكنائس والديارات التى لـلروم ومـا يتبعهـم من وقف الحبش والكرج يكون فى ضبط بطريق طائفة الروم بموجب كتاب العهد الصادر له من سيدنا عمر رضى الله عنه والأوامر السلطانية الشريفة التـى بيدهـم مـن السـلاطين الماضية، وبطريق الروم يكون التصـرف فـى جميـع الأوقـاف التـى هـى للكـرج والحبـش بنفسه وبمن يعينه من طرفه وأن لا تداخله فى ذلك ملة من الملل ..." وقابل الأرمن الأمر الشـريف بالسـمع والطاعـة ودفعوا لطائفـة الـروم مـا أمـروا بدفعـه مـن مواضـع القنـاديل المذكورة والأروقة والهياكل ومواضـع الزيـارة بموجـب الدفتر المـؤرخ فـى ١٠ مـن ذى الحجة عام ١٠٦٥هـ (١٦٥٤م) بمعرفة المعينين من قبل الشرع الشـريف السـلطانى، ولـم

يوجد لطائفة الحبش بداخل كنيسة القيامة شئ خارج عما ذكر بالدفتر - ويتضح من هذه المضبطة ما يلى:

أ- إن أماكن الأحباش ومزاراتهم بكنيسة القيامة وخارجها - وكان الأرمن قد استولوا عليها قبلاً - قد استعادها الروم بموجب أمر سلطانى نفذته المحكمة الشرعية واستلموها بموجب دفتر (قائمة) محررة فى نفس تاريخ المضبطة الصادرة فى هذا الشأن، ولم ترد فى كليهما أية إشارة لاسم دير السلطان.

ب- لو كان دير السلطان من أملاك الحبش، لكان أجدر بالروم الإصرار على استلامه نظراً لاتساعه وموقعه الإستراتيجى، ذلك لأن المضبطة طبقت قاعدة عامة وضعها السلطان وهى أن الحبش تابعون للروم وأملاكهم خاضعة لتصرف بطريرك الروم وهو الذى له الحق فى استلامها، وقد استلمها فعلاً دون استثناء.

ج- إن الأشخاص الذين سبق ذكرهم على اختلاف مذاهبهم وجنسياتهم لم يذكروا من أملاك الأحباش السابقة فى منطقة القيامة سوى دير واحد (المعروف الآن بدير مار إبراهيم) ومن أمثلة هؤلاء: الأب يوجين الفرنسيسكانى، حارس الأماكن المقدسة عام ١٦٣٢م وميشيل ناو عام ١٦٦٨م الذى زاد الأمر وضوحاً بقوله: إن أقرب الأبواب إلى كنيسة الجلجثة باب يؤدى إلى كنيسة الأقباط (فى كنيسة الملاك ميخائيل بدير السلطان) والباب الذى بعده يؤدى لكنيسة الأرمن، ثم يليه الباب المؤدى لمكان ذبيحة إبراهيم والذى كان سابقاً للأحباش .. ولكن منذ أن أعوزهم المال اللازم لإشباع الجشع التركى، مما أضطرهم للانسحاب، استولى عليه الروم .

بصمات الأقباط على دير السلطان

لم يكد يمضى وقت طويل على حادثة طرد الأحباش من ممتلكاتهم بما فيها دير إبراهيم عام ١٦٥٤ وحلول الأرمن ثم الروم محلهم بأمر من الباب العالى نفذته المحكمة الشرعية طبقاً لما جاء فى مضبطتها التى نشرها الأنبا فيلبس الأسقف الإثيوبى فى كتابه تحت عنوان (الوثيقة رقم ٣) واستضافتهم من الأقباط فى دير السلطان، حتى شرع المعلم/ سالم البنانى فى ترميم هذا الدير بناءً على إذن صادر من القاضى الشرعى بوصفه

المشرف على أوقاف نصارى القبط بالقدس .. وبعد أن تم الترميم اللازم أعيد الكشف على الدير بواسطة معمار باش القدس .. ولما جاء الترميم مطابقاً للإذن الشرعى، أصدرت محكمة القدس حجة بذلك لإثبات الواقع وكان ذلك بتاريخ ١٦٨٦/٨/٢٢م. (المرجع: مجموعة الوثائق والحجج الشرعية المؤيدة لحقوق الأقباط فى دير السلطان وأماكن أخرى بالقدس الشريف للأنبا تيموثاوس).

وبعد انقضاء نحو مائة عام على هذا الترميم، اشترى المعلم/ إبراهيم الجوهرى (وكان يشغل منصب رئيس الدواوين بمصر، بما يماثل منصب رئيس الوزراء الآن، وذلك فى المدة من عام ١٧٧٤م وحتى عام ١٧٩٥م) من الحاج/ عبد الله أفندى نقيب القدس وشيخ الحرم الشريف، حاكورة (أى قطعة أرض بما عليها من مبان) بغرض توسيع دير السلطان وذلك بمقتضى حجة شرعية مؤرخة فى ١٧٨٢/٢/٤م . وبتاريخ ١٨٢٠/١٠/١٧م فى عهد البابا بطرس السابع الشهير بالجاولى (١٨٠٩م-١٨٥٤م) كلف المعلم/ يوحنا أبو ميخائيل الطويل (وهو من الأراخنة الأفاضل المقربين لغبطة البابا) المعلم/ حبيب حنا الدقدوس (وهو وكيل كاتب سنجق - بمعنى لواء -القدس ووكيل الأقباط بالقدس الشريف) بالسفر إلى الشام ومقابلة الوالى للحصول على الإذن المطلوب لتعمير وترميم مقادس الأقباط بالقدس ومنها دير السلطان، فسافر المعلم/ حبيب إلى الشام وقابل الوالى وحصل منه على أمر للكشف على الأديرة لتحديد الأماكن التى تقتضى الضرورة ترميمها (المرجع: سلسلة تاريخ البابوات بطاركة الإسكندرية - الحلقة الخامسة - للشماس كامل صالح نخلة).

وكانت عملية الترميم تقتضى إخلاء مكان الضيافة الذى كان يشغله الراهبان الحبشيان وهما القس/ عبد المسيح والقس/ عبد الثالوث .. ولما رفضا مغادرة الدير ريثما يتم الترميم، اعتبر الأقباط هذا التصرف دليلاً على سوء نيتهما ولجأوا إلى السلطات المختصة، فأخرجتهما من الدير وسلمت إليهما كل أمتعتهما بموجب كشف محرر بيد القاضى الشرعى وبحضور المفتى والمشايخ والمحضرباش بتاريخ ٩ محرم عام ١٣٣٦هـ (١٨٢٠/١٠/١٧م) (المرجع: مجموعة الوثائق المؤيدة لحقوق الأقباط ... للأنبا تيموثاوس) .

ثم فى تاريخ ١٨٢٠/١٢/٢١م أصدر والى الشام بيولوردى (أى مرسوم يصدره الوالى تنفيذاً لأوامر السلطان) إلى ملا أفندى كبير القضاة والمفتى ونقيب الأشراف ومتسلم القدس(الحاكم المحلى) لاتخاذ الإجراءات اللازمة لعلمية الترميم .. ثم فى اليوم التالى مباشرة ١٨٢٠/١٢/٢٢م كتب والى الشام إخطاراً إلى وكيل دير الأقباط يخطره فيه بأنه أصدر أوامره بإجراء الترميم المطلوب بموجب الإعلام الشرعى . وبعد ذلك بنحو خمسة أيام صدر أمر الموليخلافة (قاضى القضاة) إلى معمارباش القدس لإجراء الترميم وكشف الأماكن المصرح بترميمها بدير السلطان والدار الملاصقة له (الحاكورة التى كان قد اشتراها المعلم/ إبراهيم الجوهرى) ودير الحضر (دير مارجرجس)..

وبتاريخ ١٨٢١/٣/١٦م أصدر قاضى القدس حجة شرعية - بناءً على طلب المعلم/ حبيب الدقدوس-مبيناً بها كل ما عُمر بالديرين المذكورين والحاكورة ، ليكون بيده سند مهم عند الاحتياج وفى وقت الضرورة.. ويتضح من هذه الوثيقة الهامة أن دير السلطان حق ثابت لأقباط مصر، وطالما يدفعون الخراج فلهم الحق فى الإصلاح والتعمير، ولو كان دير السلطان من أملاك الأحباش لنزع منهم أسوة بسائر أملاكهم التى نزعت منهم لعجزهم عن دفع الخراج.

وامتثالاً للتعاليم المسيحية السامية، وبدافع المحبة الأخوية، أشفق الأقباط على إخوانهم الأحباش واستضافوهم فى عقر دارهم - دير السلطان - بعد ترميمه واستمرت استضافتهم إلى أن اجتاحت الكوليرا مدينة القدس عام ١٨٣٨م فلم ينج من الأحباش سوى راهب واحد.

(Platt, Journal of a Tour Through Egypt II, 331).

وكانت جميع الشواهد تؤكد لكل من زار القدس حتى عام ١٨٥٠م بأن دير السلطان ملك خاص للأقباط دون منازع، ويؤكد هذه الشواهد كل من توبلر Tobler عام ١٨٤٦م بأن أرض ومبانى دير السلطان ملك للأقباط وأيضاً ويلز Willis حيث ذكر أن ساحة دير الأقباط تقع فوق كنيسة القديسة هيلانة.

(Tobler, Descriptiones Terrae Samtae etc. p.371). & (Willis, The Architural History of The Church of the Holy Sepulchre, p. 69).

وكان الأحباش رغم السماح لهم من الأقباط بالعودة إلى الدير واستضافتهم فيه بعد إخراجهم منه عام ١٨٢٠م يتوجسون خيفة من الأقباط ويخشون طردهم منه في يوم من الأيام، لذا فقد بدأوا يفكرون في الوسيلة التي يمكن بها تحاشي هذا الأمر واهتدوا - ربما بمشورة أهل السوء - إلى أن الضمان الوحيد لدوام بقائهم في الدير هو الادعاء بملكيتهم له !!.

ولعل من أهم المواضع التي تظهر فيها بصمات الأقباط - بوضوح وجلاء - على دير السلطان، بخلاف ما سبق ذكره من عمليات التعمير والترميم، هي تلك التي على حجاب كنيستي الأربعة كائنات (حيوانات) غير المتجسدة ورئيس الملائكة ميخائيل، حيث يوجد من الأدلة المادية - بما لا يدع مجالاً للشك - بأن دير السلطان ملك خالص وثابت للأقباط ... حيث يوجد بحجاب كنيسة الأربعة كائنات في أعلى باب الهيكل، كتابة باللغتين العربية والقبطية محفورة ومطعمة بالعاج نصها "السلام لهيكل الله الأب سنه ١١٠٣ش" (أي سنة ١٣٨٧م) لأن التقويم القبطي يبدأ من عام ٢٨٤م وهي أول سنوات حكم الإمبراطور الروماني دقلديانوس الذي راح ضحية اضطهاداته مئات الألوف من شهداء الأقباط .. كما يوجد بأعلى باب هيكل كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل العبارة المنقوشة التالية: "عمل برسم الملاك ميخائيل بالقدس الشريف، عوض يا رب كل من له تعب" ويليها تاريخ صنع هذا الحجاب مدوناً بالعلامات التي كان يستعملها الأقباط قديماً بدلاً من الأعداد وترجمتها كالآتي:

العلامة الأولى، وتشبه الحرف (ط) وتعني رقم ٨ .

العلامة الثانية، وتشبه الحرف(لا) وتعني رقم ٥٠ .

العلامة الثالثة، وتشبه العدد (٢٠) وتعني رقم ٤٠٠ .

العلامة الرابعة، وتشبه الحرف (د) وتعني رقم ١٠٠٠ .

العلامة الخامسة، وهي حرف (M) باللغة القبطية وهو أول حرف من كلمة (مارتيروس) القبطية وتعني (الشهداء)، فيكون بذلك تاريخ صنع الحجاب هو عام ١٤٥٨ للشهداء الموافق لعام ١٧٤٢م.. وكما هو معروف فإن الأحباش - في ذلك الزمان - كانوا

يجهلون اللغتين القبطية والعربية ولا يعلمون شيئاً عن الطريقة التى اتبعت فى كتابة التواريخ المنقوشة على حجاب الكنيستين التى اختص بصنعهما الأقباط دون غيرهم تاركين عليهما بصماتهم المميزة (المرجع: الدرة النفيسة فى حسابات الكنيسة للقمص عبد المسيح المسعودى البراموسى طبعة عام ١٩٢٦م) .

جهود الكنيسة القبطية لاسترداد دير السلطان

تعرض دير السلطان أكثر من مرة للاغتصاب من قبل إخوتنا الأحباش على مر العصور، وفى كل مرة كانت الكنيسة القبطية تبذل جهودها ومساعيها المؤيدة بالوثائق الرسمية والمستندات القانونية وتستعيد ملكية الدير. وبإلقاء نظرة سريعة وموجزة على محاولات الأحباش المتكررة للسيطرة على الدير، نجد أنهم فى أوائل عام ١٨٥٠ قاموا بخطف مفاتيح كنيسة الملاك ميخائيل بدير السلطان عقب أحد القداسات بها، الأمر الذى جعل الأقباط يلجأون إلى باباهم بمصر (البابا بطرس الجاولى) ١٨٠٩-١٨٥٤م وإلى الوالى الذى أصدر فى أواخر نفس العام ١٨٥٠م أمراً بتسليم المفاتيح لمن كانت بأيديهم من قبل وهم الأقباط، وبناءً عليه تم عمل محضر بحضور الشرع الشريف والخواجة قسطة غرغور ترجمان المطران الإنجليزى ووكيل الأقباط والأرمن والسيد/ ميخائيل وكيل الأحباش، وقد تم التصديق على المحضر من نظارة الخارجية بالأستانة فى أول ربيع الثانى عام ١٢٦٧هـ (المرجع: بيان بملكية الأقباط الأرثوذكس لدير السلطان للأنبا باسيليوس مطران الأقباط بالقدس عام ١٩٦١م) .

وتكرر موقف خطف مفاتيح كنيسة الملاك ميخائيل بدير السلطان من قِبَل الأحباش عام ١٨٥٩م، مما اضطر الأنبا باسيليوس الكبير من رفع الأمر لغبطة البابا كيرلس الرابع الشهير بأبى الإصلاح والصدارة العظمى التى قامت باتخاذ اللازم، فأصدرت الإدارة السنية أمرها المقيد برقم ١٩٢ بالديوان الهمايونى السلطانى بتاريخ ١٢ جمادى الآخرة عام ١٢٨٠هـ بعمل مفاتيح جديدة للكنيسة المذكورة وتسليمها لمطران الأقباط .

عاد الأحباش بعد ذلك إلى المطالبة بملكية دير السلطان، فقام الأنبا باسيليوس برفع شكواه برقياً لجلالة السلطان عبد الحميد خان "الخليفة وقتئذ" ولجانب الصدارة العظمى

ولنظارة العدلية (وزارة العدل) ولسعادة متصرف القدس الشريف، وأناب عن نيافته رسمياً الأرض الفاضل / أرمانيوس بك حنا - وكيل دوائر الخديوى / إسماعيل باشا - فى رفع معضلات القضية للمقامات العالية، ثم عزز هذه المساعى بإرسال خطاب لسعادة الفاضل / بطرس باشا غالى ناظر الخارجية المصرية ... ونتيجة لهذه الجهود الجبارة، صدر الأمر السامى من جانب الصدارة العظمى إلى متصرف مدينة القدس برقم ٣٠ وتاريخ كانون الثانى عام ١٣٠٩هـ مؤيداً ومثبتاً أحقية ملكية الأقباط لدير السلطان.

معاهدة الستاتيكو الدولية Statusquo

بالرغم من توقيع معاهدة الستاتيكو (أى إبقاء الوضع على ما هو عليه) فى ١٨٧٨/٧/١٣م ببرلين، وفيها اتفقت الحكومات (جميع الحكومات) على عدم المساس بالوضع الراهن فى الأماكن المقدسة، كما نصت على التزام السلطات المحلية بالمحافظة على الأوضاع الراهنة للأماكن المقدسة بالقدس الشريف والتى بينها دير السلطان للأقباط وحائط المبكى لليهود والمسجد الأقصى للمسلمين، إلا أن رهبان الأحباش سعوا إلى المطالبة لدى الحكومة لتسليمهم مفتاح الباب الذى يصل بين دير السلطان وساحة القيامة (باب الملاك) أو تسليمه إلى بطريرك الروم (الذى كان يحابيهم ويجاملهم) ليتوصلوا بذلك إلى الاستيلاء على الدير... لهذا رأى البابا كيرلس الخامس (١٨٧٤م - ١٩٢٧) والمجلس الملى العام إيفاد وفد إلى القدس مؤلف من السادة: مرقس حنا، إلياس عوض، سيداروس بشارة وتكليفهم بالنظر فى أمر الأوقاف القبطية بالقدس، وعلى وجه الخصوص مسألة استبقاء المفتاح المذكور مع الأقباط وعدم تسليمه لبطريرك الروم كما طلب الأحباش، وقد أبدى الوفد القبطى من المرونة بما فيه الكفاية، إلا أن الأحباش ومعهم الجنرال مشاشا الحبشى المرسل من قبل ملك الحبشة رفضوا كل تسوية ودية، وهكذا عاد الوفد القبطى إلى مصر دون الوصول إلى حل مع الأحباش (المرجع: أملاك القبط فى القدس الشريف للمرحوم جرجس فيلوثاؤس عوض).

بتاريخ ١٩١٠/٩/١٨م قام الأقباط باستخراج رخصة من بلدية القدس تحت رقم ١٣٧ لتعمير بعض قلالى الرهبان، ورخصة أخرى بتاريخ ١٩١٩/١٢/١٣م لترميم بعض الغرف بدير السلطان، وقد أقرت هاتان الرخصتان بملكية الأقباط لهذا الدير ..

فى عام ١٩٢٠م طلبت الإمبراطورة الحبشية زاودتيو من البابا كيرلس الخامس التدخل لحل المشكلة، فرد عليها البابا بخطاب مؤرخ فى ١٩٢١/١٠/٢١م جاء فيه :

"وحيث إنه مع ملكية الدير للأقباط ومع وجود مفتاح هذا الدير بيدهم، إلا أننا لا نمانع فى أن يفتح باب هذا الدير للشعبين القبطى والحبشى لأنهم أبناء كنيسة واحدة ". ولكن هذا الحل أيضاً لم يُرض الأحباش.

بتاريخ ١٩٢٤/٨/٣م قررت الجمعية العامة للمجلس الملى العام التمسك بحق الأقباط الأرثوذكس الثابت فى ملكية دير السلطان، وفى عام ١٩٣٩م قامت حكومة فلسطين بترميم قبة كنيسة القديسة هيلانة التى تتوسط ساحة دير السلطان، وبعد أن تم الترميم سلمت المفاتيح الجديدة للأقباط.

فى فبراير عام ١٩٥٩م انتهز الأسقف الحبشى الأنبا فيلبس فرصة خلو الكرسى البابوى بنياحة البابا الأنبا يوساب الثانى وخلو الكرسى الأورشليمى بالشرق الأدنى بنياحة المطران الأنبا ياكوبوس، وتقدم بطلب إلى متصرف القدس لاسترجاع حقوق الأحباش التى كانوا يتمتعون بها عندما أعلنت معاهدة الستاتيكو الدولية، على حد زعمه ، وبناءً عليه تلقى الأنبا باسيليوس مطران الكرسى الأورشليمى والشرق الأدنى - عقب سيامته مباشرة بيد غبطة البابا كيرلس السادس (١٩٥٩-١٩٧١م) كتاباً بتاريخ ١٩٥٩/٨/٢٦م من محافظ القدس، يطلب فيه تزويده بملخص لوثائق ومستندات الأقباط الخاصة بدير السلطان، لعرضه على اللجنة المشكلة للفصل فى هذا الموضوع.. فرد عليه الأنبا سيليوس فى اليوم التالى مباشرة ١٩٥٩/٨/٢٧م بكتاب ذكر فيه أن ملكية الأقباط لدير السلطان ليست محل نقاش، فقد سبق الفصل فيها نهائياً بأحكام عدة صادرة من المحاكم الشرعية ومجلس متصرفية القدس وأقرتها الصدارة العظمى، كما أن معاهدة الستاتيكو الدولية Statusquo ببرلين تقضى بضرورة المحافظة على الوضع الراهن فى الأماكن المقدسة، وأنه ليس هنالك مبرر قانونى لطلب إعادة النظر فى ملكية الدير بعد الأحكام

النهائية التى صدرت لصالح الأقباط إلا إذا ارتضى الطرفان بحث الموضوع فيما بينهما للوصول إلى تسوية ودية وقال نيافته فى ختام كتابه " إنه لما كان بابا الإسكندرية هو الرئيس الروحى الأعلى لجميع أقطار الكرازة المرقسية ومنها الحبشة، فإنه سيبادر لرفع الأمر لغبطته عندما يتكرم سعادة المحافظ بموافاته ببيان عن الأسس التى يستند إليها فى تشكيل اللجنة التى ستنظر فى مسألة دير السلطان وهل اختصاصها قاصر على هذه المسألة بالذات أم أن لها اختصاصاً عاماً يشمل جميع المنازعات المتعلقة بمعاهدة الإستاتيكو الدولية بين مختلف الطوائف، وهل تعتبر قرارات اللجنة نهائية أم أنها قابلة للاستئناف وفى الحالة الأخيرة ما هى جهة الاستئناف؟

من جهة أخرى فقد أرسل غبطة البابا كيرلس السادس بتاريخ ١٩٦٠/٩/١٨م إلى دولة رئيس مجلس الوزراء بالحكومة الأردنية البرقية التالية: " الوضع الراهن بدير السلطان كغيره من الأماكن المقدسة كفلته معاهدة برلين الدولية (الستاتيكو) والتزمت الحكومات المتعاقبة بفلسطين ومنها حكومتكم بالمحافظة عليه كما هو، ولذا فالموضوع لا يمكن أن يكون محل نظر أية سلطة محلية وأى قرار فيه يكون باطلاً، نرجو إصدار تعليماتكم لسيادة محافظ القدس باحترام الحقوق التاريخية للكنيسة القبطية منعاً لشبهة تدخل التأثيرات السياسية فى المسائل الدينية."

فى ١٩٦١/٢/١٢م صدر قرار إدارى من مجلس الوزراء الأردنى يقضى بتسليم دير السلطان للأحباش وفى حالة عدم انصياع الأقباط لهذا الأمر، يجرى تبديل الأقفال وتسليم مفاتيحها للأحباش، ولما رفض الأنبا باسيليوس تنفيذ هذا القرار، قامت الشرطة الأردنية بتحطيم الأبواب وتغيير الأقفال ووضع حراسة على المكان .. مما اضطر معه الأنبا باسيليوس من تقديم مظلمة لجلالة الملك حسين بن طلال عاهل الأردن، سلمها بتاريخ ١٩٦١/٣/٤م ثم انعقد المجمع المقدس بالقاهرة يومى ٦١/٣/٧، ١٩٦١/٣/٨م على التوالى، وقرر عدم سفر الحجاج الأقباط لزيارة الأماكن المقدسة فى موسم الفصح احتجاجاً على قرار مجلس الوزراء الأردنى والاستيلاء على دير السلطان بالقوة، كما قرر تأليف لجنة توفد إلى الأردن للتشرف بمقابلة جلالة الملك حسين تتكون من: الأنبا يؤانس مطران الجيزة والقليوبية ومركز قويسنا والأنبا بنيامين مطران المنوفية والأنبا أنطونيوس مطران سوهاج والمستشار/ إسكندرحنا دميان والسفير/ ديمترى رزق والأستاذ إسطفان

باسيلي وكيل نقابة المحامين .. وقد تشرف الوفد بمقابلة جلالة الملك حسين ظهر يوم السبت الموافق ١٩٦١/٣/٢٥م، كما التقى برئيس مجلس الوزراء في مساء نفس اليوم .. ونتيجة لجهود الوفد القبطي ونيافة مطران القدس وما قدموه من وثائق ومستندات دامغة، قررت الحكومة الأردنية تجميد قرار مجلس الوزراء الصادر في ١٩٦١/٢/١٢م وإعادة الوضع في الدير إلى ما كان عليه قبلاً، وأخذ مفاتيح الدير من الأحباش وتسليمها للأقباط مع إزالة كل تغيير حدث في الدير خلال الفترة التي كان فيها بيد الأحباش ريثما يتسنى بحث هذا الموضوع، وكان ذلك بتاريخ الثلاثاء ١٩٦١/٤/٤م.

عاد الأحباش لإثارة موضوع دير السلطان مرة أخرى، فتقدموا بطلب لإعادة فحص الموضوع، واستجابت له الحكومة الأردنية، وشكلت لجنة في صيف عام ١٩٦٢م لهذا الغرض مؤلفة من: محافظ القدس ومستشار بمحكمة التمييز والمستشار القانوني لرئاسة مجلس الوزراء ، وعليه فقد أوفد غبطة البابا كيرلس السادس كلاً من السفير ديمتري رزق والأستاذ/ إسطفان باسيلي للقدس لمعاونة مطرانها الأنبا باسيليوس في الدفاع عن حقوق الأقباط، وقد وصلا إلى هناك صباح الاثنين ١٩٦٢/٧/١٦م والتقيا بمعالي وزير الخارجية الأردني وأمين عام الجامعة العربية صباح الخميس ١٩٦٢/٧/٦م .. وبناءً عليه صدر قرار الحكومة الأردنية بالتقيد بنصوص المعاهدة الدولية ببرلين (الستاتيكو) وإبقاء الوضع على ما هو عليه، وتم إبلاغ ذلك بتاريخ ١٩٦٣/١/٨م لكل من: المطران القبطي والأسقف الحبشي ومحافظ القدس(السيد/ أنور نسيبه) وقائد منطقة القدس وضابط الأديان وذلك للعلم والعمل بموجبه ...

استمر الوضع على ما هو عليه حتى نكسة يونيو ١٩٦٧م، فاستغل الأحباش فرصة الاحتلال الإسرائيلي وتلاقت مصالحهم مع الظروف السائدة، فاستعانوا بالشرطة الإسرائيلية في إخراج أقباط مصر من دير السلطان بالقوة، وكان ذلك عشية ليلة الفصح في ١٩٧٠/٤/٢٤م وحتى يومنا هذا.

قام نيافة الأنبا باسيليوس برفع دعوى قضائية أمام المحكمة الدستورية الإسرائيلية العليا لاسترداد الدير المغتصب، فأصدرت المحكمة الإسرائيلية حكمها رقم ١٠٩ لسنه ١٩٧١م بتاريخ ١٩٧١/٣/١٦م برد دير السلطان لأقباط مصر، وجاء في حيثيات الحكم

ما يلى: " إن التصرف الإسرائيلى يمثل خطأ من الشرطة وعلى وزير الشرطة الإسرائيلى إعادة هذه المقدسات للأقباط المصريين قبل يوم ١٩/٤/١٩٧١م" .

ولكن الحكومة الإسرائيلية رفضت تنفيذ حكم محاكمها - لأسباب لا تخفى على أحد - لعل من أهمها يهود الفلاشا، وفى عام ١٩٧٧م أعاد مطران القدس الأنبا باسيليوس رفع الدعوى أمام المحاكم الإسرائيلية، التى أكدت أحقية أقباط مصر فى استعادة دير السلطان .. لكن الحكومة الإسرائيلية رفضت التنفيذ مؤكدة أن القضية لها أبعاد سياسية ...

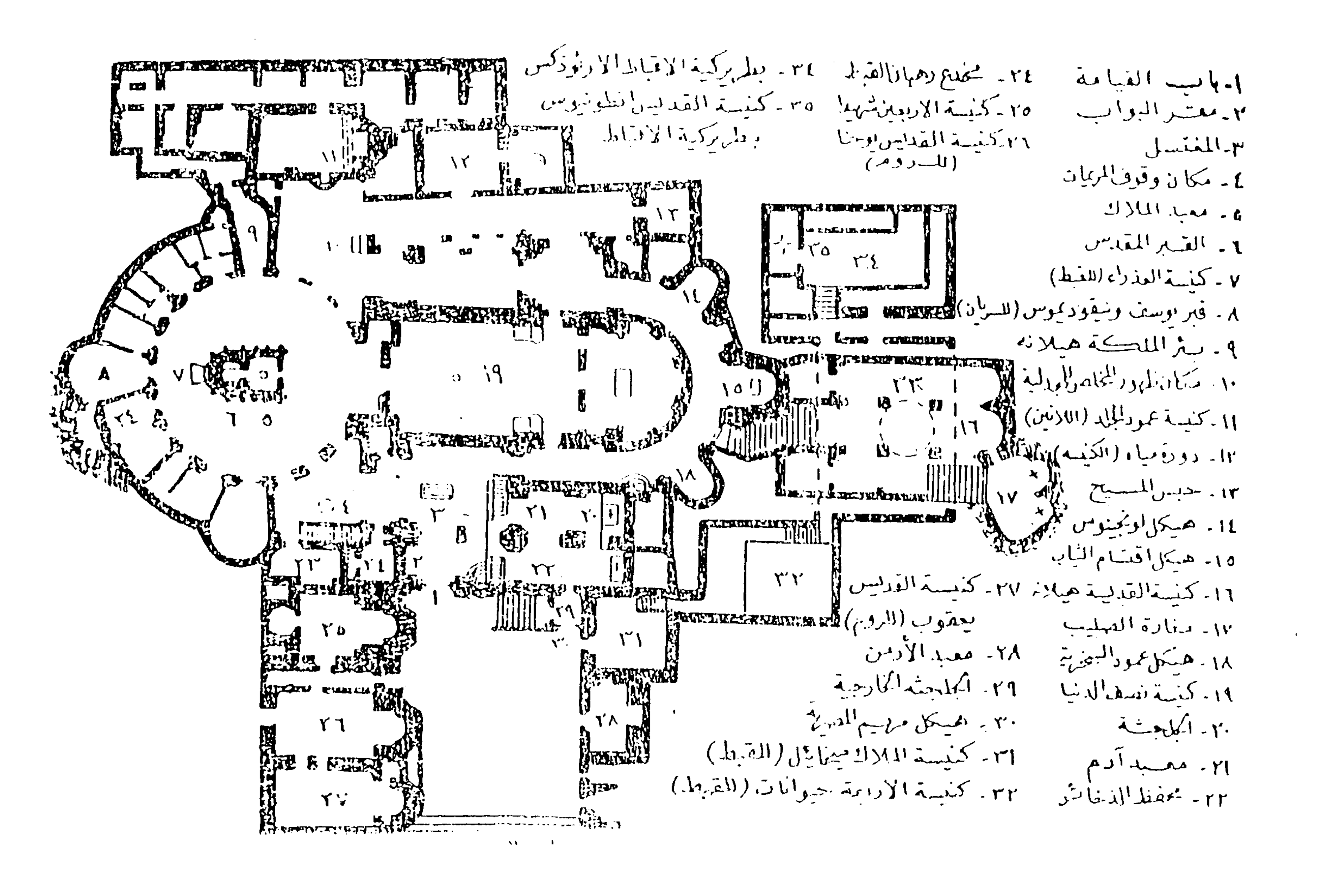
ومازالت الكنيسة القبطية وعلى رأسها قداسة البابا شنودة الثالث، ونيافة الأنبا إبراهام مطران القدس والشرق الأدنى الحالى، تبذل الجهود تلو الجهود لاسترداد دير السلطان من أيدى مغتصبيه بكافة الطرق والوسائل، والأمل كبير فى سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك والحكومة المصرية فى بذل مساعيهم الحميدة للوصول إلى حل سريع لهذه المشكلة المزمنة .. خاصة وأن دير السلطان يعتبر تراثاً قومياً يجب الحفاظ عليه بعد استرداده من أيدى مغتصبيه فى أقرب وقت ممكن ..

ولا يسعنا فى هذا المجال إلا أن نذكر بكل الفخر والإعزاز والتقدير الموقف المشرف والمساعى الحميدة التى بذلها كل من: الأستاذ الدكتور عصمت عبد المجيد أمين عام الجامعة العربية، والأستاذ الدكتور بطرس غالى الأمين العام للأمم المتحدة، والسيد الوزير عمرو موسى وزير الخارجية ودينامو السياسة المصرية، إزاء هذه المشكلة.

لقد بدأت المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية بمدريد ثم أوسلو، وها هى تدخل الآن أدق مراحلها عقب اغتيال إسحق رابين وانفجارات القدس وتل أبيب وعسقلان، وفى ٢٩ مايو الماضى أجريت الانتخابات الإسرائيلية، وأطل علينا نيتانياهو بسياسته المتغطرسة .. لذا فمن واجبنا تذكير المفاوض الفلسطينى بقرارات القمم العربية والإسلامية حول مدينة القدس العربية، لأن فى رجوع القدس للعرب، الحل السريع لمشكلة دير السلطان.

لكل ما تقدم، فقد لاقى قرار قداسة البابا شنودة الثالث بعدم زيارة القدس - وكان قد سبقه فى هذا القرار مثلث الرحمات البابا كيرلس السادس عام ١٩٦١م - تأييداً كبيراً داخل مصر وخارجها، لأنه نابع من الشعور الوطنى العام، برفض الاندفاع نحو إقامة علاقات طبيعية مع إسرائيل، فى ذات الوقت الذى تتخذ فيه الحكومة الإسرائيلية موقفاً

مغايراً لتحقيق السلام الشامل والعادل فى المنطقة .. وسوف يذكر التاريخ بكل فخر وإعزاز المقولة الشهيرة لقداسة البابا شنودة الثالث فى هذا الصدد: "لن ندخل القدس إلا مع إخواننا العرب والمسلمين".


١- باب القيامة
٢- مقر البواب
٣- المغتسل
٤- مكان وقوف المريمات
٥- معبد الملاك
٦- القبر المقدس
٧- كنيسة العذراء (للقبط)
٨- قبر يوسف ونيقوديموس (للسريان)
٩- بئر الملكة هيلانه
١٠- مكان ظهور المخلص للمجدلية
١١- كنيسة عمود الجلد (للارمن)
١٢- دورة مياه (الكنيسة)
١٣- حبس المسيح
١٤- هيكل لونجينوس
١٥- هيكل اقتسام الثياب
١٦- كنيسة القديسة هيلانة
١٧- مغارة الصليب
١٨- هيكل عمود التعيير
١٩- كنيسة نصف الدنيا
٢٠- الجلجثة
٢١- معبد آدم
٢٢- محفظ الذخائر
٢٤- مخدع رهبان القبط
٢٥- كنيسة الاربعين شهيدا
٢٦- كنيسة القديس يوحنا (للروم)
٢٧- كنيسة القديس يعقوب (الروم)
٢٨- معبد الأرمن
٢٩- الجلجثة الخارجية
٣٠- هيكل مريم المصرية
٣١- كنيسة الملاك ميخائيل (القبط)
٣٢- كنيسة الاربعة حيوانات (القبط)
٣٤- بطريركية الاقباط الارثوذكس
٣٥- كنيسة القديس انطونيوس بطريركية الاقباط

الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل" (٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

القانون الدولى وقرارات الأمم المتحدة بشأن القدس ١٩٦٧ - ١٩٩٦م

دكتور صموئيل لبيب مسيحة
دكتوراه فى التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة أسيوط

مقدمة

قضية القدس من الركائز الأساسية فى القضية الفلسطينية ، ومن هنا جاءت مساهمتى فى هذه الندوة ، نابعة فى المقام الأول من رسالتى للدكتوراه التى أجيزت بجامعة أسيوط عام ١٩٩٢ ، عن "السياسة المصرية تجاه المشكلة الفلسطينية (١٩٤٨ - ١٩٥٦)" . وجدير بالذكر أننى قد نوهت فى رسالتى المشار إليها عن قضية تدويل القدس فى الأمم المتحدة ، إلى جانب الجهود التى بذلتها جامعة الدول العربية للدفاع عن عروبة القدس ، والتوصل إلى حل عادل ودائم للمشكلة الفلسطينية ، وفى ثنايا الرسالة ، طالبت بحماية القدس من أى اعتداء عليها ، والحفاظ على المقدسات الإسلامية والمسيحية بها ، والتصدى للمخططات الصهيونية وفضح مزاعم إسرائيل تجنبا من أن تصبح القدس نقطة انطلاق ، أو هدفا من الأهداف العسكرية فى النزاع العربى الإسرائيلى .

ومن هذا المنطلق ، أتقدم بهذا العرض الموجز ، وبتركيز شديد ، مع الالتزام بالتقسيم الزمنى وتوخى الموضوعية والأمانة العلمية عند التأريخ لهذه القضية الهامة على المستويين المحلى والدولى ، وفيما يلى تقسيم لمحاور هذه الدراسة :

١- قضية القدس عشية حرب يونيو ١٩٦٧ .
٢- موقف القانون الدولى والأمم المتحدة من القدس بنشوب حرب يونيو ١٩٦٧ .
٣- الأمم المتحدة والقدس فى السبعينيات .

٤- موقف الأمم المتحدة من قضية القدس فى الثمانينيات .

٥- قضية القدس فى التسعينيات وحتى الآن .

أولا : قضية القدس عشية حرب يونيو ١٩٦٧

تعود إرهاصات قضية القدس فى التاريخ الحديث والمعاصر إلى عام ١٩٤٨ ، بقيام دولة إسرائيل ، ومن ثم نجحت فى احتلال باقى فلسطين ، وتوحيد القدس تحت الراية الإسرائيلية .. محدثة فى ذلك تغييرات جذرية فى بنية المدينة المقدسة ، بغية سلخها عن تاريخها بصفة نهائية (١) .

ومن الأهمية بمكان أن إسرائيل قد استندت فى ذلك إلى قرار ١٨١ الصادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، والمعروف بتوصية تقسيم فلسطين ، عن هيئة الأمم المتحدة ، ويقضى ذلك القرار بإقامة كيان منفصل للقدس بوضعها تحت نظام حكم دولى تديره الأمم المتحدة من خلال مجلس وصاية ، مع ضمان حرية دخول المدينة والإقامة فيها ، وعدم المساس بالحقوق القائمة المتعلقة بالأماكن المقدسة .

ومن ناحية أخرى أعيد طرح مسألة تدويل القدس ، حيث صدر آنذاك قرار رقم ١٩٤ فى ديسمبر ١٩٤٨ وقبلت الدول العربية القرار الذى ينص على وضع القدس تحت إدارة دولية ، فى حين رفضته إسرائيل ، واستثنت من القرار الأماكن المقدسة بالبلدة القديمة ، وهو جزء لم يكن تحت سيطرتها آنذاك (٢).

والملاحظ بصفة عامة ، أن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد اتخذت القرار تلو القرار ، ثم أصدرت قرارها فى ٩ ديسمبر ١٩٤٩ مع التأكيد على وضع القدس تحت إشراف نظام دولى ، ضمانا لحماية الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية داخل القدس وخارجها ، وعهد القرار إلى مجلس وصاية ، ليتولى المسئوليات التى تتطلبها السلطة القائمة بالإدارة (٣) .

وحول الفكرة ذاتها تم إقرار النظام الجديد فى القدس من جانب مجلس الوصاية كما سبقت الإشارة ، ولم تلبث إسرائيل آنذاك أن نقلت عاصمتها إلى القدس رسميا فى ١١ ديسمبر ١٩٤٩ ، وأخفقت الأمم المتحدة فى تدويل القدس (٤) .

واللافت للنظر ، أن هيئة الأمم المتحدة ، لم تقف مكتوفة الأيدى إزاء ما حدث فى القدس ، فقد بذلت جهد طاقتها إزاء ما تقوم الوفود العربية والدول الصديقة فى مطالبتها المنظمة الدولية بالتصدى للمخططات الإسرائيلية حينما أعلنت أن القدس عاصمة لإسرائيل، وهذا يشكل تحديا صارخا للمنظمة وقراراتها ، من خلال دورتها عام ١٩٦٦ .

ثانياً : موقف القانون الدولى والأمم المتحدة من القدس بنشوب حرب يونيو ١٩٦٧

قامت إسرائيل فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، بحرب خاطفة غادرة على مصر والأردن وسوريا ، وتمخض عنها فى نهاية الأمر احتلال الضفة الغربية للأردن بما فيها القدس ، إلى جانب احتلالها سيناء المصرية ، والجولان السورية . ومن ثم اتجهت الأنظار صوب الأمم المتحدة ، لكونها العون الوحيد للسلم ، وتعد يدا قوية لحفظ دعائمه ، ولكى تضع حداً لعدوان إسرائيل السافر ، والذى يمثل تحدياً صارخاً وأثيماً لميثاق المنظمة، وخرقا فاضحاً لاتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩ . ويبدو أن نظرة القانون الدولى لتلك الحرب جاءت مخالفة تماما لما حدث فى عام ١٩٥٦ حينما وقع العدوان الثلاثى على مصر (٥) .

ومن هذا المنطلق بدأت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى عقد دورة خاصة على الفور فى ١٩ يونيو ١٩٦٧ ، حشدت لها بعض الدول شخصيات سياسية مرموقة ، كان من بينهم الملك حسين (ملك الأردن) والدكتور نور الدين الأتاسى (رئيس سوريا) ، وتسع وأربعون من وزراء الخارجية .

وشارك فى الدورة المذكورة اليكس كوسيجين (رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى آنذاك) ، ودارت مناقشات صافية فى نفس الوقت ، لفضح المؤامرات الإسرائيلية ، وطالبت بعض الدول بضرورة أن تمتثل إسرائيل لقرارات الأمم المتحدة وتسحب قواتها

من الأراضى التى احتلتها فى يونيو ١٩٦٧ بما فيها القدس . والغريب أن أمريكا تصدت للتيار الزاحف ضد إسرائيل ، وأوعزت إلى أمريكا اللاتينية فى ٣٠ يونيو ١٩٦٧ بتقديم مشروع تسحب بمقتضاه إسرائيل قواتها من جميع الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧، ووضع حد نهائى للنزاع بين الأطراف المعنية لإقامة حوار سلمى قائم على حسن الجوار ، وعدم الاعتراف بشرعية الاحتلال واغتصاب الأرض بالقوة ، والرغبة فى إقامة حكم دولى لمدينة القدس (٦) .

والطريف أن " يوثانت " السكرتير العام للأمم المتحدة آنذاك ، دافع عن قراره الخاص بسحب قوات الطوارئ الدولية من الشرق الأوسط ، وكشف النقاب لأول مرة ، عن رفض إسرائيل لاقتراحه بنقل القوات المذكورة إلى الجانب الاسرائيلى من الحدود ، مؤكدا فى هذا الصدد حق القاهرة آنذاك فى طلب سحب تلك القوات (٧) . وهكذا طالب مندوب السويد بسحب القوات الإسرائيلية ، مع حرية المرور فى الأماكن المقدسة لأبناء الأديان جميعها (٨) .

ومن ناحية أخرى أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، مشروع باكستان الخاص بعدم شرعية ضم القدس العربية إلى القدس المحتلة ، ولا جدال إذن فى أن القرار الباكستانى المذكور ، هو القرار الوحيد الذى تم فيه تكليف وفد باكستان فى ٢ يوليو ١٩٦٧ لتبنى المشروع الذى يندرج تحت النقاط الأربع التالية :

(١) استنكار الجمعية العامة للأمم المتحدة لفشل إسرائيل فى تنفيذ القرار الصادر فى ٤ يوليو ١٩٦٧.

(٢) تؤكد المنظمة الدولية على مطالبة إسرائيل بإلغاء جميع التدابير التى اتخذتها لتبديل وضع القدس.

(٣) مطالبة الأمين العام للأمم المتحدة بتقديم تقرير إلى كل من مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن الوضع فى القدس .

(٤) مطالبة مجلس الأمن باتخاذ كافة الإجراءات ، والتدابير اللازمة لتنفيذ القرار المشار إليه (٩) .

وتأسيساً على ذلك بدأت الجمعية العامة فى مناقشة مشروع القرار الباكستانى ، الذى أشرنا إليه ، وذلك فى يوم ١٢ يوليو ١٩٦٧ . وثمة بعض دول امتنعت عن التصويت ، خاصة بالنسبة للبند الرابع من المشروع فى حين أفصح البعض أن الفقرة الثالثة تعبر ضمناً عن الفقرة الرابعة ، ورأى مندوب فرنسا ضرورة إعادة صياغة الفقرة الرابعة ، ولم يلبث الوفد الباكستانى أن تقدم باسم الدول المشاركة معه ، بمشروع قرار يتم بموجبه التعديل المطلوب على النحو التالى :

" إن الجمعية العامة إذ تشعر بقلق عميق إزاء الموقف فى القدس ، نتيجة للإجراءات التى اتخذتها إسرائيل ، والتى تستهدف تغيير الوضع فى المدينة تعلن أن تلك الإجراءات غير مشروعة ، وتدعو إسرائيل إلى إلغاء كافة الإجراءات التى اتخذتها بالفعل ، وأن تمتنـ ـن الآن فصاعدا عن القيام بأية إجراءات أو أعمال يكون من شأنها تغيير وضع القدس .

وطالبت المنظمة سكرتيرها العام " يوثانت " ، أن يقدم تقريرا إلى مجلس الأمن حول طبيعة الموقف ، وما تم تنفيذه من القرار المشار إليه فى غضون أسبوع واحد على أكثر تقدير (١٠) .

وعندما تم عرض المشروع فى صياغته الجديدة ، قبل التصويت عليه ، وافقت عليه تسع وأربعون دولة وامتنعت ثمانى عشرة عن التصويت ، فى حين أعلنت إسرائيل عدم مشاركتها فى التصويت .

والثابت تاريخيا أن القدس العربية التى قامت إسرائيل باحتلالها إبان حرب يونيو ١٩٦٧ ، لم تكن وليدة تلك الحرب فحسب ، إنما ترجع إرهاصاتها إلى عام ١٩٤٨ ، عندما شرعت فى تأسيس دولتها وكان لديها الإصرار على ضم القدس نهائيا إلى تلك الدولة ، هذا إلى جانب دمج القدس الشرقية ، والقدس الغربية ، فى مدينة موحدة ، وجعلها عاصمة أبدية لإسرائيل (١١) .

وليس من المنطق إذن أن يقبل أى طرف عربى ما قامت به إسرائيل فى هذا الصدد، لأن العرب جميعا ، معهم الحق التاريخى ، والقانون الدولى يؤازرهم ويقف إلى جانبهم بصفة عامة ، ويرفض ضم إسرائيل للشطر الشرقى من القدس .

وإذا نظرنا إلى ذلك الحدث نظرة موضوعية ، نجد بما يوضحه أن مسألة عودة القدس الشرقية للعرب، على ضوء تلك الظروف ، ربما تكون مثار جدل طويل وعنيف، لأن إسرائيل أعلنتها صريحة وهى ضم القدس الشرقية والقدس الغربية وجعلها عاصمة أبدية موحدة لها ، ناهيك عما قامت به من إجراء تغييرات جذرية فى معالم المدينة ، والاستيلاء على نحو ٧٥٪ من ممتلكات العرب هناك ، بل وتشريد نحو خمسين ألف فلسطينى منها فيما بين عامى ١٩٤٨ ، ١٩٨٣ ، وأحدثت بذلك خللاً ديموجرافيا واسع المدى فى القدس.

ومن هنا صارت نسبة العرب فى المدينة المقدسة لا تتجاوز ٢٠٪ ، بعد أن كانت إبان صدور قرار تقسيم فلسطين فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ نحو ٧٠٪ ، ولعل ذلك راجع إلى التوسع الاسرائيلى فى إنشاء المستوطنات ، واستحداث أحياء يهودية ، فى القدس الشرقية (١٢) .

وفى ظل تلك الظروف التى مرت بها قضية القدس ، ما جعل المدينة مطمعا للغزو الاسرائيلى ، ولعل ذلك مشهد من المشاهد الدراماتيكية التى مرت بها تلك القضية الخطيرة منذ تكوين الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ . والحقيقة أن تلك المدينة يجب وضعها فى الاعتبار بما يتناسب وقرارات الجمعية العام ة للأمم المتحدة ، والاعتراف بالحق التاريخى للديانات السماوية فى تلك الأماكن المقدسة (١٣) .

وهكذا نجد أن توصيات وقرارات الأمم المتحدة جاءت متباينة ، وغالبية أعضائها كانوا أميل إلى قبول وجهة النظر العربية ، مع الأخذ فى الاعتبار أن سياسة الأمر الواقع التى انتهجتها إسرائيل منذ عام ١٩٦٧ ، لا تخدم بأى حال قضية السلام ، بل تلحق بها أضرارا بالغة وظلماً فادحاً بعرب فلسطين . ومن هذا المنطلق نجد أن سياسة إسرائيل تنطوى على كثير من انتهاك المواثيق والقانون الدولى .

والملاحظ بصفة عامة أن بعض مشروعات القرارات الخاصة بالقدس لم تصدر عن طريق حق النقض "الفيتو" من الجانب الأمريكى عند الاقتراع عليها ، وهذا لم يؤثر بشكل أو بآخر على اقتناع الدول الأعضاء – معظمهم – فى الجمعية العامة أو مجلس الأمن بمبرراتها وعدالتها (١٤) .

وحول الفكرة ذاتها ، صدر قرار من مجلس الأمن رقم ٣٥٢ فى ٢١ مايو ١٩٦٨ طالب فيه إسرائيل أن تلغى كافة الإجراءات ، وما استحدثته من تغيرات ومخالفات غير قانونية فى وضع القدس ، ومن ثم كانت موافقة المجلس بأكثر من ١٣ عضوا من أعضاء المجلس البالغ عددهم ١٥ عضوا ولم تجرؤ أمريكا ، آنذاك على استخدام الفيتو لإبطال ذلك القرار (١٥) .

ومن الأهمية بمكان ، إصدار الجمعية العامة للأمم المتحدة أربعة قرارات أخرى تدين سياسة إسرائيل فى الأراضى المحتلة ، بما فيها القدس ، كان القرار الرابع منها يدين إسرائيل إدانة كاملة لما اتخذته من إجراءات لتغيير الأوضاع السياسية والشعائر الدينية فى القدس ، وإسرائيل بذلك تكون قد انتهكت المواثيق الدولية ، وطالب القرار بالكف فوراً عن تلك الممارسات ، ومن ثم حصل القرار على ٨٢ صوتا ضد خمسة أصوات فقط . وتزامن صدور القرارات الأربعة سالفة الذكر ، مع قرار الجمعية العامة الذى اعتبر الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية ، وتلك أول مرة يصدر فيها قرار بهذا الشكل فى تاريخ النزاع العربى الإسرائيلى ، وهنا جاء رد الفعل الفورى من جانب إسرائيل بالاستخفاف بقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة !! (١٦) .

ثالثاً : الأمم المتحدة والقدس فى السبعينيات

شهدت حقبة السبعينيات نشاطا ملحوظا للأمم المتحدة تجاه مسألة القدس ، حيث قدم " يوثانت " السكرتير العام تقريرا لمجلس الأمن فى ٢٣ نوفمبر ١٩٧٢ ، أوضح فيه تحديات إسرائيل للمنظمة الدولية ، وعدم التزامها بقرارات مجلس الأمن الخاصة بالوضع فى القدس ، وإقامة المنشآت بها ، مستهدفة فى ذلك تصفية الأحياء التى كان يقطنها عرب فلسطين ، ولا شك أن مجلس الأمن قد استنكر بالتالى تلك الأعمال من جانب إسرائيل فى قرار سابق له فى ٢٥ سبتمبر ١٩٧١ (١٧) .

وحول الفكرة ذاتها ، وفى إطار الجهود المبذولة آنذاك ، لإحلال السلام فى الشرق الأوسط والقدس ، جاءت فكرة عقد مؤتمر دولى للسلام فى جنيف عام ١٩٧٣ ، وتقدمت مصر حينذاك باقتراح فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ بالدعوة إلى إجراء مفاوضات فورية

وعاجلة ، لعقد مؤتمر السلام تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة ، بغية إقامة سلام مؤسس على احترام الحقوق المشروعة للشعوب التى تعيش فى المنطقة ، وإقامة سلام دائم وعادل فى منطقة الشرق الأوسط .

وتجدر الإشارة إلى أن المؤتمر الدولى تناول كذلك مسألة القدس ، والعمل على إيجاد حل فوري لها. ولكن مما يؤسف له أن مؤتمر جنيف المذكور مُنى بالفشل ، ومن هنا وصلت المفاوضات بين العرب وإسرائيل إلى طريق مسدود ، مما جعل كلا من مصر وإسرائيل تدخلان مرة ثانية فى مفاوضات السلام برعاية الولايات المتحدة (١٨) .

وهكذا أدرج موضوع القدس فى جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة حيث صدر قرار رقم ٢٩ لعام ١٩٧٣ ، وهو يدين إسرائيل وممارستها القمعية ضد الشعب الفلسطينى فى الأراضى المحتلة ، وانتهاك حرمة الأراضى المقدسة ، فى القدس ، وأعمال الحفر والتنقيب بها ، والتأكيد على أن إسرائيل دولة عنصرية ، ولا تريد السلام، ولا تفى بالتزاماتها بموجب قرار المنظمة الدولية ٣/٢٧٣ ، كذلك القرارات الخاصة بالانتفاضة وانتقاد تعامل إسرائيل معها (١٩) .

وجدير بالذكر أن الأمم المتحدة قد أصدرت قرارا فى أكتوبر ١٩٧٧ ، بشأن الوضع السائد آنذاك فى القدس ، وحظى بأغلبية ساحقة ، مشروع القرار المصرى الذى تقدمت به ٧٦ دولة ، وفيه إدانة صريحة لإسرائيل ، ولكافة الإجراءات التى قامت بها فى الأراضى الفلسطينية منذ حرب يونيو ١٩٦٧ ، بما فيها القدس . ولقد أكد القرار على عروبة القدس ، وطالب إسرائيل بالالتزام بواجباتها الدولية ، بما يتفق وأحكام القانون الدولى ، واتفاقية جنيف ، وأن توقف إسرائيل أية إجراءات تغير من الوضع القانونى للقدس ، وتطالب فى نفس الوقت كافة الدول الأعضاء فى اتفاقية جنيف ١٩٤٩ بضمان احترام تطبيقها ، ويسرى هذا على كافة الأراضى المحتلة منذ ١٩٦٧ (٢٠) .

وشهد عام ١٩٧٩ مفاوضات السلام التى تمخضت عن توقيع اتفاقيات " كامب ديفيد " ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية ، ومنذ ذلك التاريخ ، وإسرائيل تحكم قبضتها على القدس (٢١) .

رابعاً : موقف الأمم المتحدة من قضية القدس (فى الثمانينيات)

شهدت حقبة الثمانينيات مرحلة تحول خطيرة فى تاريخ القدس ، حينما قرر الكنيست الإسرائيلى فى ٣٠ يوليو ١٩٨٠ ، اعتبار القدس عاصمة موحدة لإسرائيل ، ومقرا للكنيست (البرلمان الإسرائيلى) ، ولرئيس الدولة والحكومة والمحكمة العليا .

ولقد هيأت إسرائيل آنذاك الخطوات المبدئية ، سواء الإجرائية منها أو القانونية ، أن تقوم سلطات الاحتلال بسلسلة خطوات وإجراءات تستهدف تهويد المدينة وتغيير بنيتها العامة ، وتحولها من مدينة عربية إلى مدينة إسرائيلية (٢٢) . والحقيقة التى لا يمكن إغفالها أن إجراءات تهويد القدس ، قد أضفى على المدينة أهمية خاصة ومتميزة فى سياسات الحكومة الإسرائيلية المتعاقبة ، كذلك فى موقف وسياسات كافة الهيئات والمنظمات الصهيونية (٢٣) .

ومن هذا المنطلق نجد أن ممارسات إسرائيل التعسفية إزاء القدس فى الثمانينيات كانت تدور حول محورين : أولهما : أن إسرائيل حاولت تدمير البنية الحضارية والثقافية للمدينة ، باتباعها الوسائل والأساليب القمعية العنيفة ، وأحيانا الدموية ، وثانيهما : الاتجاه إلى غزو ثقافى واسع النطاق تمثل فى الاجتياح الواسع والمعلن (٢٤) .

وحول الفكرة ذاتها ، تم طرح عدة مقترحات ، بشأن قضية القدس ، وذلك لأن الفلسطينيين والإسرائيليين وأطرافاً أخرى عديدة أولت اهتماما بالغا بتلك المسألة وإيجاد الحل المناسب لها ، وكان الموقف الدولى آنذاك لا يزال متمسكا بما جاء فى قرار ١٨١ لسنة ١٩٤٧ الذى أصدرته الأمم المتحدة ، ومن هنا جاء رفض المجتمع الدولى الاعتراف بما قامت به إسرائيل من ضم " القدس الشرقية " وإعلان المدينة الموحدة عاصمة أبدية لها ، كما سبقت الإشارة ، مما يهدد سلام وأمن تلك المدينة العربية أساسا(٢٥) .

والواقع أن الاهتمام الدولى بمسألة القدس ، تمثل أساساً فى كل من هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، ذلك لأن المدينة القديمة كانت بالضرورة تضم الأماكن المقدسة للأديان السماوية الثلاثة وكان يؤازرها فى هذا الصدد ، الدول العربية والإسلامية والكنائس

المسيحية ، ورفض الجميع بشكل قاطع أى نوع من الاستيطان، يجعل المدينة المقدسة تحت السيادة الإسرائيلية (٢٦) .

وعلى أية حال فإن مسألة القدس تعد من الأمور الهامة بالغة الحساسية خاصة بالنسبة لجميع المؤمنين فى العالم أجمع ، والحقيقة التى لا يتطرق إليها الشك أن (الفاتيكان) انطلاقا من تاريخه الطويل ، الذى يتسم بالموضوعية والعدالة إزاء قضية القدس ، وضع فى الحسبان كل ما يؤدى إلى عودة السلام والاستقرار فى تلك المدينة المقدسة (مدينة السلام) ، لكى تظل رمزا مشرفا لمبادئ التسامح بين الأديان السماوية والتعايش معها(٢٧) .

واللافت للنظر أن الانتفاضة الفلسطينية فى حقبة الثمانينيات ، أحدثت جرحا فاغرا وعميقا فى جسم دولة إسرائيل ، وبتصاعد الانتفاضة اشتد ساعد المقاومة الفلسطينية ، ومن ثم عاد القسم الشرقى من القدس إلى وجهه الفلسطينى ثانية ، وتلك حقيقة لم تستطع إسرائيل إخفاءها أو تجاهلها ، أو تجد مهربا منها ، ولعل ذلك هو أحد الإنجازات التى حققتها الانتفاضة ، ولم يدركها أحد من قبل (٢٨) .

وهكذا جاءت الانتفاضة ردا حقيقيا على العجز العربى ، ومحاولات تهميش قضية القدس ، فى قمة (عمان) عام ١٩٨٧ ، بغية دفع التوجه الفلسطينى نحو السلام ، وممارسة الضغط السياسى والإعلامى المكثف ضد إسرائيل (٢٩) ، وقامت المقاومة الفلسطينية فى الأراضى المحتلة ، بما فيها القدس بدور نشط وفعال ومتزايد ، وأقضت بذلك مَضاجع إسرائيل .

وهناك حقيقة لا يمكن إغفالها ، ولا ينكرها أحد ، أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . كان قد قرر دمج حركات – فصائل – المقاومة الفلسطينية فى منظمة التحرير الفلسطينية ، ومن ثم تعيين ياسرعرفات ، زعيم حركة فتح – كبرى فصائل المقاومة الفلسطينية – رئيسا لها ، بعد إبعاد أحمد الشقيرى ، واستقالة يحيى حمودة ، الرئيس بالنيابة .

والحق أن قرار "عبد الناصر" سالف الذكر ، كان له أبعد الأثر فى تعزيز المنظمة وجعلها الممثل الوحيد للشعب الفلسطينى ، والاعتراف بها على نطاق عالمى (٣٠) .

لا جدال إذن فى أن قرار الرئيس المصرى ، ينم بوضوح على سياسة بعيدة النظر ورؤية موضوعية مستقبلية للقضية الفلسطينية بصفة عامة ، ولمسألة القدس بوجه خاص، وكان هذا القرار قد اختمر فى ذهنه إبان اشتراكه فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨، واستمراره فى الدفاع عن القضية الفلسطينية ، التى عاش ومات من أجلها .

ومن عجب أنه فى ١٥ أكتوبر ١٩٨٥ ، بعثت خمسون دولة بخطاب للسكرتير العام للأمم المتحدة ، تعترض فيه على أوراق تفويض الوفد الاسرائيلى على أساس أن تلك الأوراق صادرة فى مدينة القدس بصفتها عاصمة لدولة إسرائيل ، وأن هذا مخالف لقرارات المنظمة الدولية .

خامسا : قضية القدس فى التسعينيات حتى ١٩٩٦

شهدت حقبة التسعينيات من هذا القرن ، أحداثا تاريخية هامة ، لها انعكاساتها وأصداؤها على القضية الفلسطينية بوجه عام ، وقضية القدس بصفة خاصة ، ففى مستهل هذه الحقبة انعقد مؤتمر مدريد للسلام ، بمبادرة أمريكية روسية مشتركة ، فيما بين ٣٠ أكتوبر ١٩٩١ والأول من نوفمبر ١٩٩١ (٣١) .

وبإيجاز شديد نعرض لأهم الأحداث البارزة فى ذلك المؤتمر ، وهى رئاسة "حيدر عبد الشافى" ، الذى أشار علانية إلى منظمة التحرير الفلسطينية ، وأثار بذلك سخط الولايات المتحدة ، وانسحب على إثره الوفد الإسرائيلى من قاعة المؤتمر ، الذى كان يرأسه آنذاك "إسحق شامير" ، ولعل فى إشارة " عبد الشافى " تلك ما يوحى بالوحدة الهيكلية للقيادة الفلسطينية ووحدة أهدافها .

وإذا كان اختيار المندوبين الفلسطينيين جميعهم من الضفة الغربية وغزة باستثناء القدس ، فإن ذلك لم يكن سوى أمر مؤقت ، كانت القيادة الفلسطينية قد رأت التسليم به ، لتيسير المفاوضات ، وروعى هذا عندما استقبل وزير الخارجية الأمريكية رسميا أعضاء لجنة التوجيه المؤلفة من الفلسطينيين من القدس ، فى "مدريد"(٣٢) .

ومن نافلة القول ، شهدت التسعينيات مؤتمر أوسلو للسلام حيث تمت فيه مناقشة قضية القدس ، إلى جانب مسائل أخرى تختص بالمشكلة الفلسطينية ، واعتبرت إسرائيل المؤتمر "اتفاقا تاريخيا" !! ونعنى فى هذا أنها تنتزع من الذاكرة ماهية فلسطين والقدس من الذاكرة العربية ، وهنا قال اسحق رابين وشيمون بيريز ، الآن انتصرت الصهيونية !! . والحقيقة أن ذلك الاتفاق قد أعطى إسرائيل صك براءة من دم أبناء القدس وتشريد الفلسطينيين ، وأسقط حق الشعب الفلسطينى فى استعادة أراضيه المحتلة بما فيها "القدس" التى لم يتطرق إليها المؤتمر سالف الذكر من قريب أو بعيد . ولاشك فى أن المستقبل كفيل بفضح دعاوى إسرائيل التى تزيف الواقع والتاريخ فى المدينة المقدسة (٣٣) .

وحول مشكلة القدس ، جاء قرار الفلسطينيين تأجيل المناقشة بشأنها فى مقابل تعامل إسرائيل مباشرة مع الرئيس الفلسطينى ياسرعرفات ، وليحول ذلك دون انهيار محادثات السلام الإسرائيلية الفلسطينية فى أغسطس ١٩٩٣ . وفى الوقت الذى لا يطالب الفلسطينيون إلا بالقسم الشرقى من المدينة ، باعتبار أنه سيكون عاصمة لدولتهم ، ومركز الحياة السياسية والثقافية والتجارية للضفة الغربية ، عقدت إسرائيل العزم على صيانة وحدة المدينة كعاصمة يهودية تخضع لسيادتها قهرا (٣٤) .

وهكذا كانت السيادة على القدس ووحدة المدينة عنصرين غير قابلين للانفصام من وجهة النظر الإسرائيلية ، كما تدل على ذلك استطلاعات الرأى فيها وما صرحت به الدوائر الرسمية لجميع الأحزاب هناك ، أن مبدأ السيادة ، لا تزال إسرائيل تتمسك به ، فى حين أن وحدة المدينة لم ترد الإشارة الرسمية إليه إلا قليلا على الجانب الفلسطينى(٣٥) .

وحول الفكرة ذاتها ، لم تتجه النية لدى إسرائيل والفلسطينيين إلى العودة إلى تقسيم المدينة ، كما كانت عليه الحال فيما بين عامى ١٩٤٩ ، ١٩٦٧ ، ويبدو أن ثمة توافقا قد تم بين الطرفين آنذاك. وأما عن المطالبة بمبدأ السيادة على القسم الشرقى منها ، حيث يعيش العرب هناك واليهود جنبا إلى جنب ، فإن الوضعية التاريخية للمدينة ، والأماكن الدينية والرموز بها تمثل إحدى الإشكاليات الرئيسية آنذاك . وأما بالنسبة للرموز والمشاعر فى القدس ، فهى فى كثير من الأحيان أقوى من الوجهة القانونية والتقنية .

وأما فيما يخص مسألة السيادة ، فقد طرحت مقترحات حلول كثيرة منها السيادة الوحيدة مع بلدية مشتركة ، والسيادة المشتركة بين بلدتين ، والسيادة المقسمة بين بلدتين منفصلتين ، هذا إلى جانب نظام الأحياء والضواحى ذات الحكم الذاتى مع السيادة ، أو بدونها ، أو (مع سيادة يلفها الغموض والضباب) . ولاشك أن قبول أى نسق من تلك المقترحات ، يتطلب بادئ ذى بدء ، من الفرقاء المعنيين بحل قضية القدس ، التخلى بعض الشيء عن الاعتبارات العاطفية والدينية والرمزية التى تفرضها الظروف عليهم ، ليس من قِبَل كوادرهم السياسية فحسب وإنما من قوى خارجية ذات نفوذ قوى ، سواء كانت يهودية أو إسلامية والتى تضطلع بشأن التفاوض على مستقبل القدس .

ويتعين على كلا الطرفين الإسرائيلى والفلسطينى ، بمضى الوقت حتمية التوصل إلى حل تلك القضية الشائكة ، والتى تعد العقبة الأخيرة فى مسار السلام الإسرائيلى الفلسطينى (٣٦) .

وفى سياق المفاوضات التى تتسم بالصعوبة بشأن قضية القدس ، نجد أن بعض الغرب ساورتهم الشكوك حول قرار مجلس الأمن رقم ٩٠٤ فى عام ١٩٩٤ ، والذى صدر خصيصا لإدانة مجزرة الحرم الإبراهيمى فى الخليل ، لما يتضمنه ذلك القرار الملزم لجميع أعضاء الأسرة الدولية ، من شمولية منطق القرارعلى مدينة القدس ، باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الأراضى الفلسطينية التى إحتلتها إسرائيل فى حرب يونيو ١٩٦٧ (٣٧) .

ومن هنا جاءت التباسات أولئك العرب . وحول هذه الفقرة من القرار وفى مواجهة إيضاحات الحكومة الأمريكية بشأنها ، قامت المجموعتان العربية والإسلامية بالتحرك فى كل من نيويورك وواشنطون لمتابعة سريعة مع الإدارة الأمريكية التى أوضحت موقفها أخيرا . ورغم محاولات اللوبى الصهيونى المحمومة فى أمريكا ، إلا أن مسألة الالتباس الذى كان يكتنف موضوع القدس ، سيتم بحثها فى غضون عامين من تاريخه (٣٨) .

وليس غريبا أن الولايات المتحدة ساندت ولا تزال تساند إسرائيل التى أمعنت فى تعنتها المتزايد ، وتزييفها للحقائق التاريخية وبصفة خاصة بالنسبة لقضية القدس ، وجاءت مساندة الكونجرس الأمريكى لإسرائيل فى الآونة الأخيرة دليلا دامغا على التعنت

الزائد للدولة اليهودية تجاه القدس ، حينما صدر قرار الكونجرس بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس ، ويعد هذا تحديا صارخا لعروبة المدينة المقدسة وتجاهلا واستخفافا بالحق العربى فيها والمؤسس على الحضارة والتاريخ (٣٩) .

وفى خضم الأحداث التاريخية التى سادت الشرق الأوسط ، مما جعل منها بؤرة ساخنة بدءا باغتيال إسحق رابين ، مرورا بشيمون بيريز ، وانتهاءً بوصول بنيامين نيتانياهو إلى رئاسة الوزراء الإسرائيلية ، دخلت منطقة الشرق الأوسط فى فصل دراماتيكى تاريخى جديد ، حيث ثبت بما لا يدع مجالا للشك ، أنه بمرور الزمن على أول عمل ميدانى لإيجاد تسوية سياسية بين العرب وإسرائيل ، يبدو وكأن الطرفين يسيران فى طريق مجهول مملوء بالأشواك وعوامل الشك ، والتى ينطوى عليها الخط السياسى العام للسلام فى المنطقة (٤٠) .

وتأسيسا على ذلك ، رأى نيتانياهو ، أنه لا مناص من الشموخ بنفسه ، لملء الفراغ الهائل الذى تركته الشخصيات التاريخية الكاريزمية السابقة ويزعم أنه يؤهل نفسه كى يصبح الشخصية الأولى فى الحركة الصهيونية الراهنة ، وفى دولة إسرائيل بالذات .

ويخلص نيتانياهو إلى إمكان التوصل إلى سلام مع إسرائيل شريطة عدم الارتباط من جانب دولته بتقديم تنازلات خطيرة للعرب ، ويبدو واضحا تشدده عندما يقول : " إن الحل الوحيد هو إجبار العرب والمؤيدين لهم ، للإذعان لمطالب إسرائيل وأحلامها والنظر إليها على أنها قوة لا تقهر والإقلاع عن أوهام ابتلاعها وإزالتها من الوجود ".

تلك هى أحلام من سبقه من رؤساء إسرائيل ، وفى تقديرنا أن نيتانياهو لا يزال يعيش أوهام الماضى التى بنيت على مقولة "أن الجيش الاسرائيلى قوة لا تقهر .."!! وهو منطق غريب وحاد يحمله فكر نيتانياهو ، الذى جاء إلى رئاسة الوزارة الإسرائيلية على أنقاض حقبة كاملة من زعامة إسرائيل ، شهدت مقتل اسحق رابين ومصرع بيريز سياسياً ، واعتزال شامير وأرنس ، ووفاة بيجين ، وتراجع زعامة شارون وديفيد ليفى .. الخ. ذلك ما يسوغ له ملء فراغات كانت جبهتا اليمين (الليكود) والعمل ، تتناوبان على ملئها قرابة نصف قرن .

وعلى أية حال ، فإن نيتانياهو تأثر إلى حد بعيد بالحركة الصهيونية الإصلاحية التى تبناها والده سلفاً ، الذى كان صديقاً حميماً لجابوتنسكى ، زعيم الحركة الشوفينية المتطرفة، والرئيس الروحى لزعماء الليكود السابقين من أمثال مناحم بيجين ، واسحق شامير وغيرهما !!.

ومن هنا جاءت فلسفة نيتانياهو المتشددة ، والتى تنبنى أساساً على " أن أحلام الصهيونية ترتكز بصفة خاصة على الحذر الأيديولوجى ، الذى يقوم على مشروعية قيام إسرائيل كحق إلهى ، وحق تاريخى ، وحقيقة موضوعية فرضها اضطرار اليهود للحصول على ملتجأ يقيهم حرب الإبادة ..!!

وفى إطار الظروف التى ترأس فيها نيتانياهو الوزارة الحالية فى إسرائيل وتنفيذه فلسفة حزب "الليكود " المتشددة ، تصبح إسرائيل بعيدة عن الحرب ، وتظهر تفوقها وسيطرتها على العرب ، وبات واضحا ذلك فى معارضة الرئيس الاسرائيلى لجهود مصر تجاه القضية الفلسطينية وإيجاد الحل العادل والدائم لها ، بما فى ذلك قضية القدس ، وبهذا يكون قد نسف جهود السلام فى منطقة الشرق الأوسط ..

ويبدو والحال هكذا ، أن ما تنتهجه إسرائيل الآن ، والمفارقات التى ينطوى عليها الخط السياسى العام للسلام فى المنطقة سوف تؤدى بالضرورة إلى تجديد روح الانتفاضة الفلسطينية ، ولكن بشكل آخر يختلف تماماً عما سبق وذى نوعية وصبغة أعلى ، لأن السلام الحالى من وجهة نظر حكام إسرائيل ، لم يعد سوى تكريس لنتائج هزائم العرب المتكررة فى حروبهم السابقة مع اليهود ، وباتت القدس ، وسائر الأراضى المحتلة فى حالة غليان ، وتموج بثورة عارمة قوامها الجهاد والمقاومة . ولعل الظروف الآن تكون مواتية ومهيأة لوقوع انفجار عنيف داخل الأراضى الفلسطينية ، بما فيها القدس ، ويشمل المنطقة برمتها .

وفى هذا السياق ، سيعود العمل الفلسطينى المسلح بصورة مكثفة ومتطورة وستعود الانتفاضة فى جميع الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، ولكن بشكل أشد ضراوة ، انتقاما للحقوق العربية المغتصبة .. وفى مقدمتها القدس ، وينذر هذا فى نهاية المطاف بوقوع كارثة حقيقية قد تودى بالمنطقة بأسرها ، ودليل ذلك ما حدث فى

القدس مؤخراً من تفجيرات إبان وجود شيمون بيريز فى الحكم ، ولعل ذلك مثال واضح لحدود سياسة السلام الإسرائيلية ، رغم ما أسفرت عنه تلك السياسة من نجاح مبدئى فى أول الأمر . وهنا يحق لنا أن نتساءل فى أى اتجاه ستقود مراجعة حكام إسرائيل الحاليين لسياساتهم ومواقفهم ؟ .

ومهما يكن من أمر ، فإن الأيام المقبلة سوف تحمل فى ثناياها الإجابة عن ذلك ، والآن يجب على إسرائيل إعادة حساباتها تجاه سياستها الراهنة ، والأخطار المستقبلية التى ستحيق بالمنطقة ، وتقودها إلى كارثة محققة ، حيث إن منطقة الشرق الأوسط قد دخلت فى فصل تاريخى جديد ، يتسم بالخطورة إزاء ممارسات إسرائيل التعسفية التى تعد خرقا لما تم من اتفاقات سلفاً .

وبهذا النهج الذى تتبعه الحكومة الإسرائيلية الراهنة قد تطمس الحقائق التاريخية الثابتة للقدس ، ولسائر الأراضى العربية المحتلة منذ يونيو ١٩٦٧. وفى هذا السياق تصبح المفاوضات بشأن القدس غاية فى الصعوبة حتى لو وافقت إسرائيل على حل إدارى مشترك للمدينة المقدسة ، لأنها ستستمر فى اختلاق العديد من الوقائع خلال عامين بغية تهميش أى وجود آخر هناك ، وينسحب الموقف ذاته على القدس الشرقية . ومن ناحية أخرى حتى لا تصاب المفاوضات النهائية فى مقتل ، أو يعتريها حالة من الإحباط أو يصيبها الجمود ، يتعين على حكومة إسرائيل الحالية تبنى إجراءات محددة لبناء جسور الثقة خلال تلك الفترة المحددة ، وخلق المناخ الملائم لإجراء المفاوضات النهائية مع الأخذ فى الاعتبار وقف إسرائيل إقامة المستوطنات الجديدة فى القدس الشرقية ، ومنح الفلسطينيين الحق فى توطينهم فى القدس الغربية ، ومراعاة الوضعية القانونية للمدينة المقدسة فى المقام الأول .

والجدير بالذكر فى هذا المجال ، أن المتغيرات الإقليمية والدولية تركت آثارها وانعكاساتها على الوضع العربى ومنطقة الشرق الأوسط ، لكن بالنسبة للقضية الفلسطينية ومسألة القدس التى نحن بصددها ، كانت أشد وقعا ، وجاء تأثيرها بشكل مباشر ..

وإذا ألقينا نظرة على الفترة الواقعة بين حرب يونيو ١٩٦٧ ، وحرب الخليج الثانية ، نجد أن كلا من القضية الفلسطينية ومسألة القدس قد تأثرتا بشكل مباشر وحاد بكل من

حرب يونيو ١٩٦٧ ، وحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، واتفاق كامب ديفيد ، وأخيراً انهيار المعسكر الاشتراكى وانتهاء الحرب الباردة بين القوتين العظميين وأخيراً حرب الخليج .

وخلاصة القول ، لنا تساؤل ، هل ستقبض إسرائيل على مصير القدس ، ومستقبل المدينة ؟؟ ، وهل سينال الفلسطينيون حقوقهم المشروعة الثابتة فى نهاية المطاف ؟؟

الحقيقة أنهم محاصرون الآن ، وكثير منهم صاروا هدفاً لرصاص الإسرائيليين ، ناهيك عما تقوم به إسرائيل من حفائر تحت الحرم القدسى الشريف ، مخالفة بذلك المواثيق والقوانين الدولية !! .

ورغم ما يحدث هنا وهناك ، فإن الفلسطينيين ينشدون السلام ، ويطالبون فقط بحقوقهم المشروعة سواء إقامة دولتهم على ترابهم الوطنى أو لإيجاد حل نهائى لمسألة القدس ، والسلام حقيقة حتمية تاريخية لا مناص عنها .

وفى ظل الظروف الموضوعية التى تمر بها الآن منطقة الشرق الأوسط عامة ، والقضية الفلسطينية والقدس خاصة ، لا نستطيع أن نقول كلمة أخيرة فى هذا السياق ، سوى أن نعتبر أن عام ١٩٩٦ هو بحق عام "القدس" ، تلك المدينة المقدسة ، ستظل دوماً خط الدفاع الأول فى الصراع العربى الاسرائيلى الدائر الآن من أجل تقرير مصير الشعب الفلسطينى الذى يؤكده القانون الدولى وقرارات الأمم المتحدة العديدة ، كذلك مستقبل المدينة المقدسة فى خضم التداعيات الأخيرة للتسوية السلمية ، وآلياتها الجديدة ، والمتغيرات التى طرأت على مسيرة السلام الآن .

وتجدر الإشارة إلى أن الأهمية الإستراتيجية للقدس بالنسبة لعرب فلسطين ، مسألة تتعلق بالوجود الوطنى، والطريق إلى السلام فى تلك المدينة محفوف بأخطار شتى ، يصعب التغلب عليها ، سوى من خلال سلام دائم وعادل ، يتحقق بإرادة طيبة ونية مخلصة ، وهذا السلام المنشود لا يتأتى إلا بإيجاد تسوية شاملة قائمة على إنصاف الفلسطينيين ، وتستند فى هذا الصدد إلى قرارات الأمم المتحدة ، والشرعية الدولية ورفض السيادة الإسرائيلية على القدس ، وعدم المساس بوضعيتها التاريخية والحضارية والدينية .

خاتمة

آثرت فى هذه الخاتمة ، أن أوجز مشكلة القدس ، وجذور الاحتلال الإسرائيلى لها ، وفضح النوايا الإسرائيلية العدوانية تجاه المدينة المقدسة ، وإماطة اللثام عن التحدى الصهيونى ، وواجب العرب نحوه ، وحقاً أنها لمعركة مصير !! .

فإما الوجود العربى الكامل أو الوجود الصهيونى الكامل . وعلى أية حال ، فإن إسرائيل لم تمتثل لقرارات الأمم المتحدة ، ولمجلس الأمن منذ تأسيس دولتها عام ١٩٤٨ ، ويبدو الآن أنه لا مفر إذن ، من القتال والاستبسال لاستعادة القدس وباقى الأراضى المحتلة فى يونيو ١٩٦٧ .

ويظهر لنا فى ثنايا هذا البحث ، كيف أن الشخصية الفلسطينية برزت إلى الوجود ، ممثلة فى الانتفاضة وفى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات ، وهنا تضافرت الجهود ، والوقوف جبهة واحدة لمواجهة إسرائيل ، وإحباط مساعيها لتهويد القدس ، وتفنيد مزاعمها فى المدينة المقدسة ، ودحض افتراءاتها أن القدس عاصمة أبدية لها .

وتأسيساً على ذلك كان موقف إسرائيل من قرارات الأمم المتحدة بشأن قضية القدس يتأرجح بين الرفض والتجاهل والاستنكار ، بل لقد ارتبط بشكل متوازن إلى الحد الذى وصل إلى توجيه الدولة اليهودية الاتهامات إلى المنظمة الدولية بانحيازها للعرب .

والملاحظ بصفة عامة أنه صدرت قرارات متعددة من الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٩ ديسمبر ١٩٤٦ يؤكد على وضع القدس ، تحت إشراف نظام دولى ، لحماية المقدسات الدينية بها إسلامية ومسيحية ، سواء داخل القدس أو خارجها ، ولم تلبث إسرائيل أن نقلت عاصمتها رسمياً إلى القدس فى ١١ ديسمبر ١٩٤٩ ، ومن ثم أخفقت الأمم المتحدة فى تدويل القدس .

وكانت الجمعية العامة قد اعتمدت فى دورتها العادية الثالثة فى ١١ ديسمبر ١٩٤٨ القرار ١٩٤ (د ٣) ، والذى دعا إلى جعل مدينة القدس منزوعة السلاح ، وإلى تدويلها ، وحماية الأماكن المقدسة وضمان حرية الوصول إليها (انظر : ملحق البحث باللغتين العربية والإنجليزية) .

وفى ظل تلك الظروف ، طرحت مشكلة القدس فى المحافل الدولية منذ نشوب حرب يونيو ١٩٦٧ التى احتلت فيها إسرائيل المدينة المقدسة ، وبادرت على الفور الأمم المتحدة فى عقد دورة خاصة فى ١٩ يونيو ١٩٦٧ حشدت لها شخصيات سياسية مرموقة عربية وأجنبية ، ثم توالت بعد ذلك القرارات الصادرة عن المنظمة الدولية فى عامى ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ .

وفى حقبتى السبعينيات والثمانينيات ، شهدت أروقة المنظمة الدولية نشاطاً ملحوظاً للدفاع عن قضية القدس ، وعقد إبان تلك الفترة مؤتمرات دولية هامة ، منها مؤتمر جنيف عام ١٩٧٣ . وشهدت حقبة التسعينيات انعقاد مؤتمرين هامين ، أحدهما فى مدريد ، فى الفترة ما بين ٣٠ أكتوبر ١٩٩١ والأول من نوفمبر ١٩٩١ ، وكان المؤتمر الثانى فى أوسلو ١٩٩٣ ، ثم اتفاق إعلان المبادئ الفلسطينى الإسرائيلى ، وفى جميع الحالات لم تتمخض تلك المؤتمرات عن نتائج إيجابية إنما كشفت النقاب على غطرسة إسرائيل ، وتماديها فى مخططاتها لتهويد القدس ، وتجاهلها الحقوق التاريخية الثابتة فى المدينة .

وازدادت الإشكاليات تعقيداً ، حيث وصلت مسألة القدس إلى طريق مسدود . ونحن الآن أمام موقف يتطلب تكثيف الجهود ، لمواجهة التعنت الإسرائيلى وكسر الجمود فى مباحثات السلام الحالية ، لأنها ستصل بالمنطقة إلى مرحلة تؤدى إلى تفجر الموقف فى أى لحظة .

والخلاصة ، أننا أمام عدة ثوابت إستراتيجية لحزب الليكود الإسرائيلى ستشكل مستقبل أرضية التحرك السياسى فى المفاوضات القادمة بين العرب وإسرائيل ، وما يعنينا هنا أن يكون موضوع القدس هو أهم تلك الثوابت للتصدى لزعم إسرائيل ، أن القدس الكبرى عاصمة أبدية لها .

ومن الطبيعى ، لم تنطفئ جذوة الجدل حول الصعود الدراماتيكى لليمين الإسرائيلى (الليكود) إلى السلطة بزعامة نيتانياهو الذى يعود إلى مرجعيات أيديولوجية صهيونية لصوغ مفاهيمه الأمنية والسياسية ، أسوة بمن سبقه من زعامات إسرائيلية متشددة .

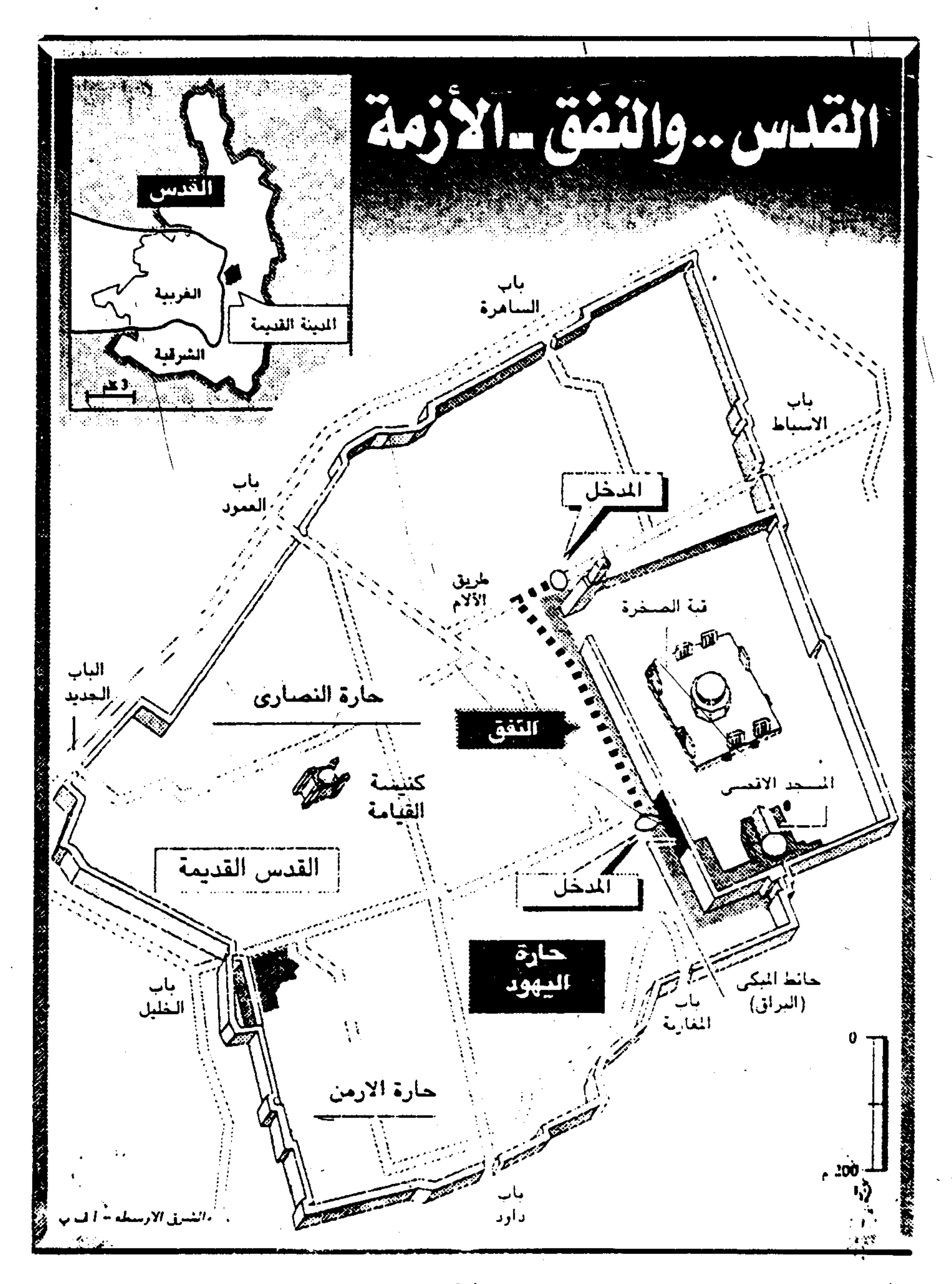
وفى ظل هذه الظروف الموضوعية ، يجب أن يتصدى رجال الدين الإسلامى والمسيحى لمخططات تهويد القدس ، تساندهم فى هذا الصدد الجامعة العربية ، والحق أن

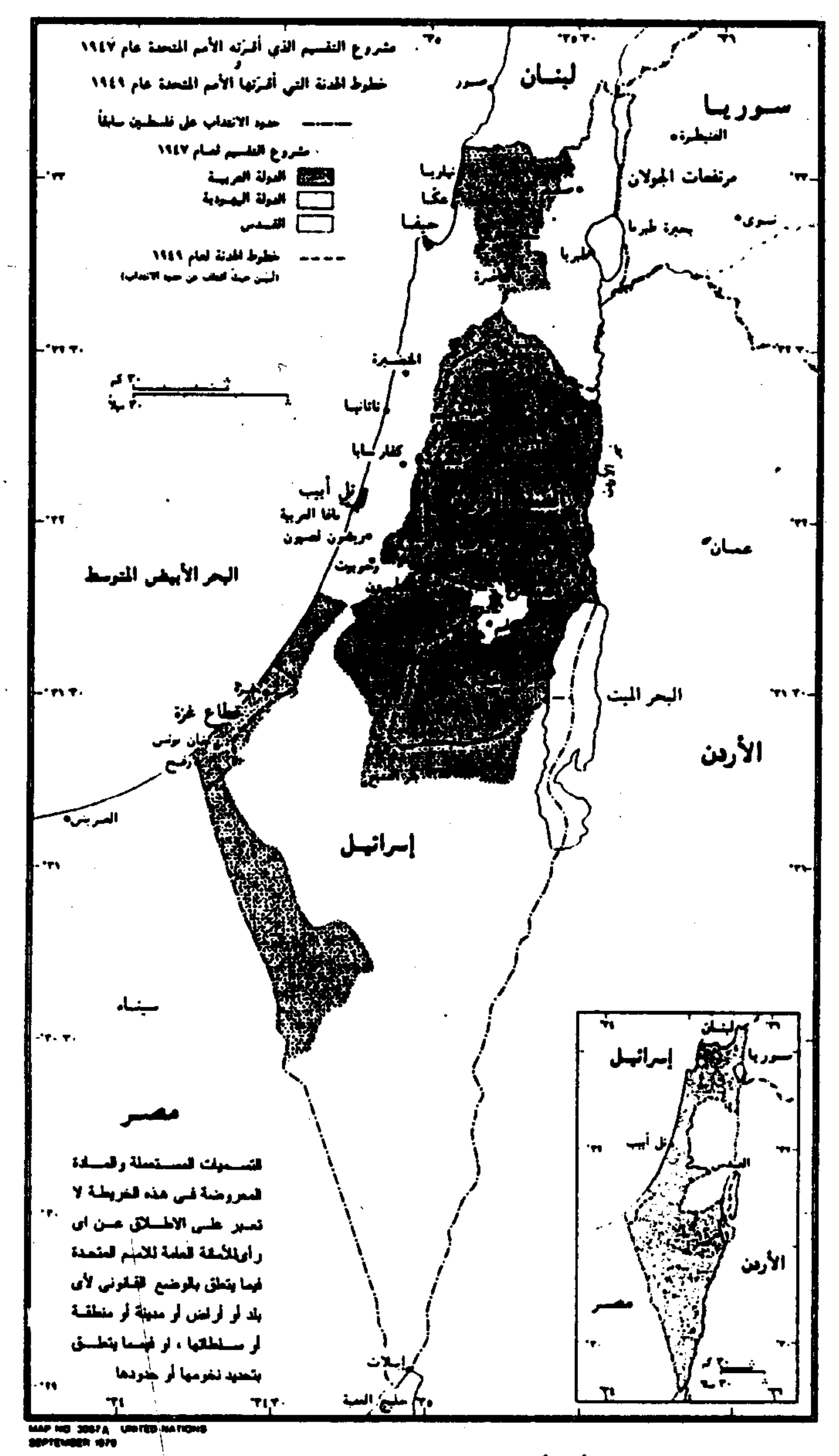
جهود الجامعة كانت مكثفة ، ولعبت دوراً بارزاً لإيجاد حل عادل ونهائي لقضية القدس على المستويين المحلة والدولى ، ويحسب لها دوما هذا العمل الجليل عبر التاريخ .

ومهما يكن من أمر ، فإن الشعب العربى الفلسطينى بقيادته المخلصة سيناضل بكل ما أوتى من قوة ، وبشتى الوسائل لاستعادة أراضيه المحتلة مؤكداً على عروبة القدس وتحريرها من نير الاغتصاب الصهيونى ، مصداقاً لقوله تعالى :

" لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون " .

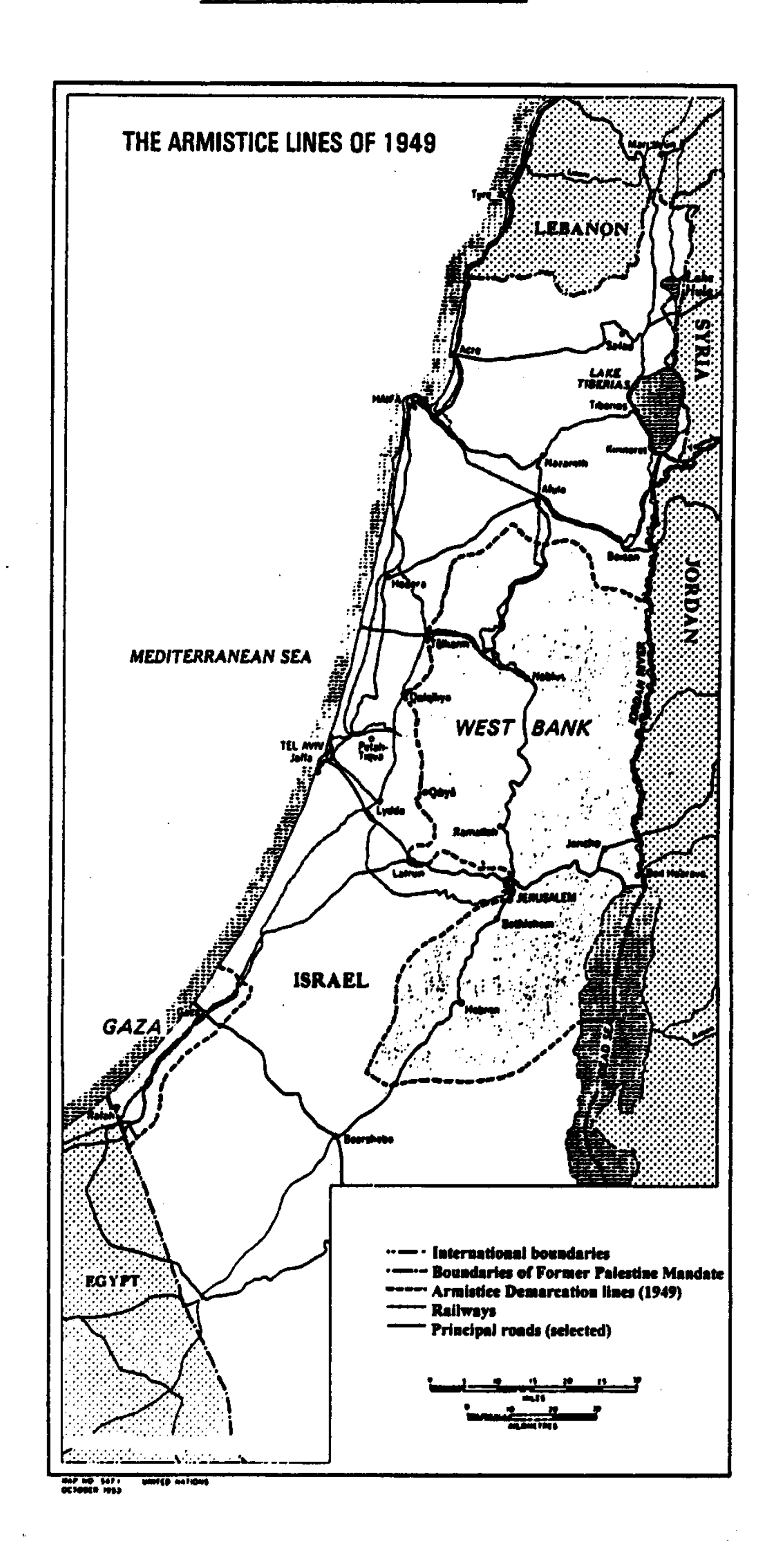
هذه الآية الكريمة جامعة للمعانى السامية ، وتكشف فى ثناياها عن عدوان إسرائيل السافر على الحرم القدسى الشريف ، والأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية ، وعلينا إزاء ذلك أن نفرغ غاية الجهد لتحرير القدس من نير الاغتصاب الصهيونى ، لما لتلك المدينة من وضعية تاريخية وحضارية ، ودينية فى المقام الأول .


القدس.. والنفق ـ الأزمة
القدس
الغربية
المدينة القديمة
الشرقية
3 كم
باب الساهرة
باب الأسباط
المدخل
باب العمود
طريق الآلام
قبة الصخرة
الباب الجديد
حارة النصارى
النفق
كنيسة القيامة
المسجد الاقصى
القدس القديمة
المدخل
حارة اليهود
باب الخليل
باب المغاربة
حائط المبكى (البراق)
حارة الارمن
0
200 م
باب داود
الشرق الاوسط - أ ف ب

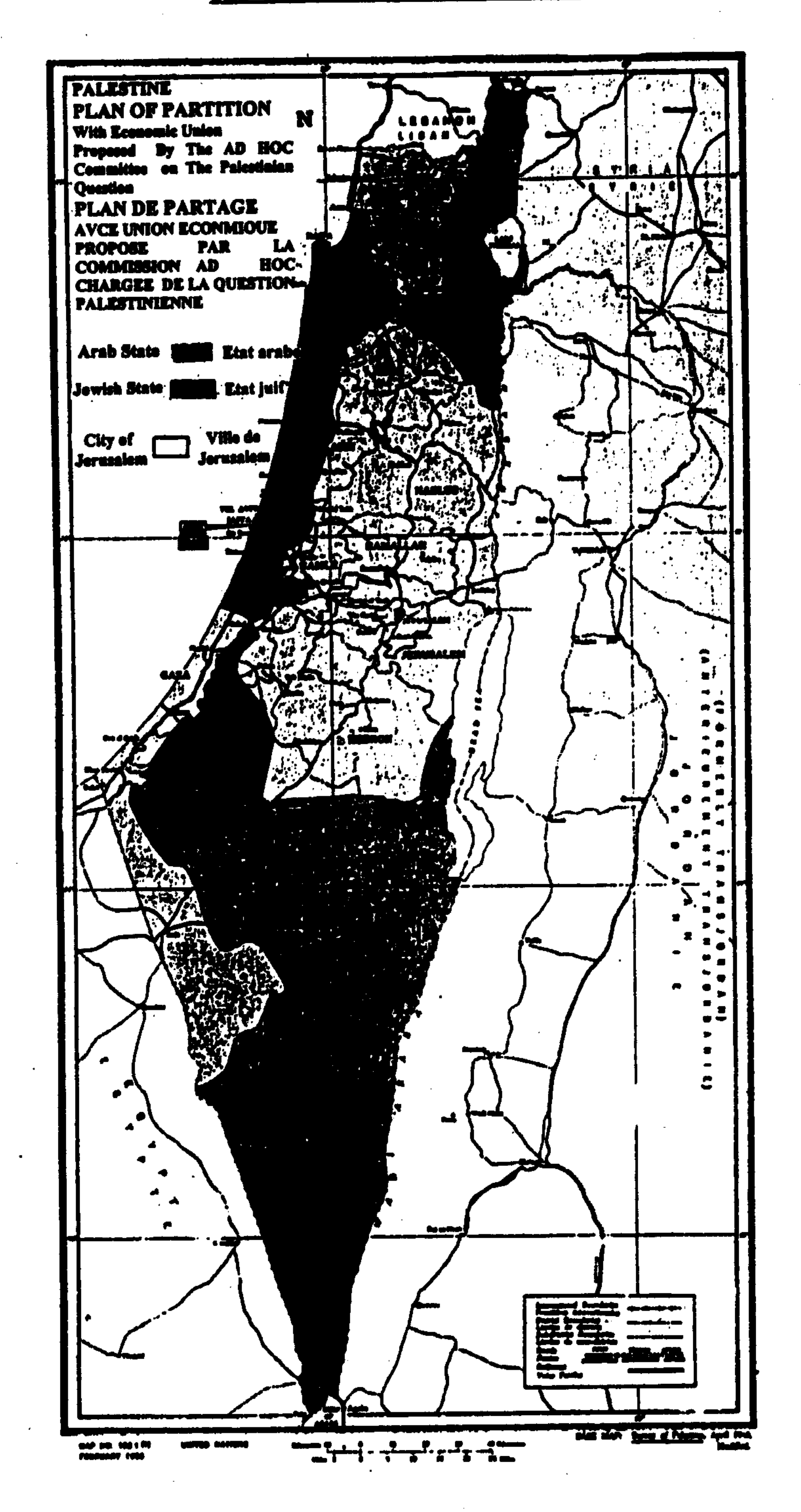


لو نفذ مشروع التقسيم تنفيذاً تاماً لكان قد أنشا دولة عربية وأخرى يهودية فى فلسطين مقسمة ، مع وجود نظام دولى لمدينة القدس . وفى الوقت الذى توقف فيه القتال فى تموز / يوليه ١٩٤٨ كانت اسرائيل تسيطر على جزء كبير من الأرض المخصصة للدولة العربية ، بينما كانت مصر والأردن يديران ما تبقى منها .

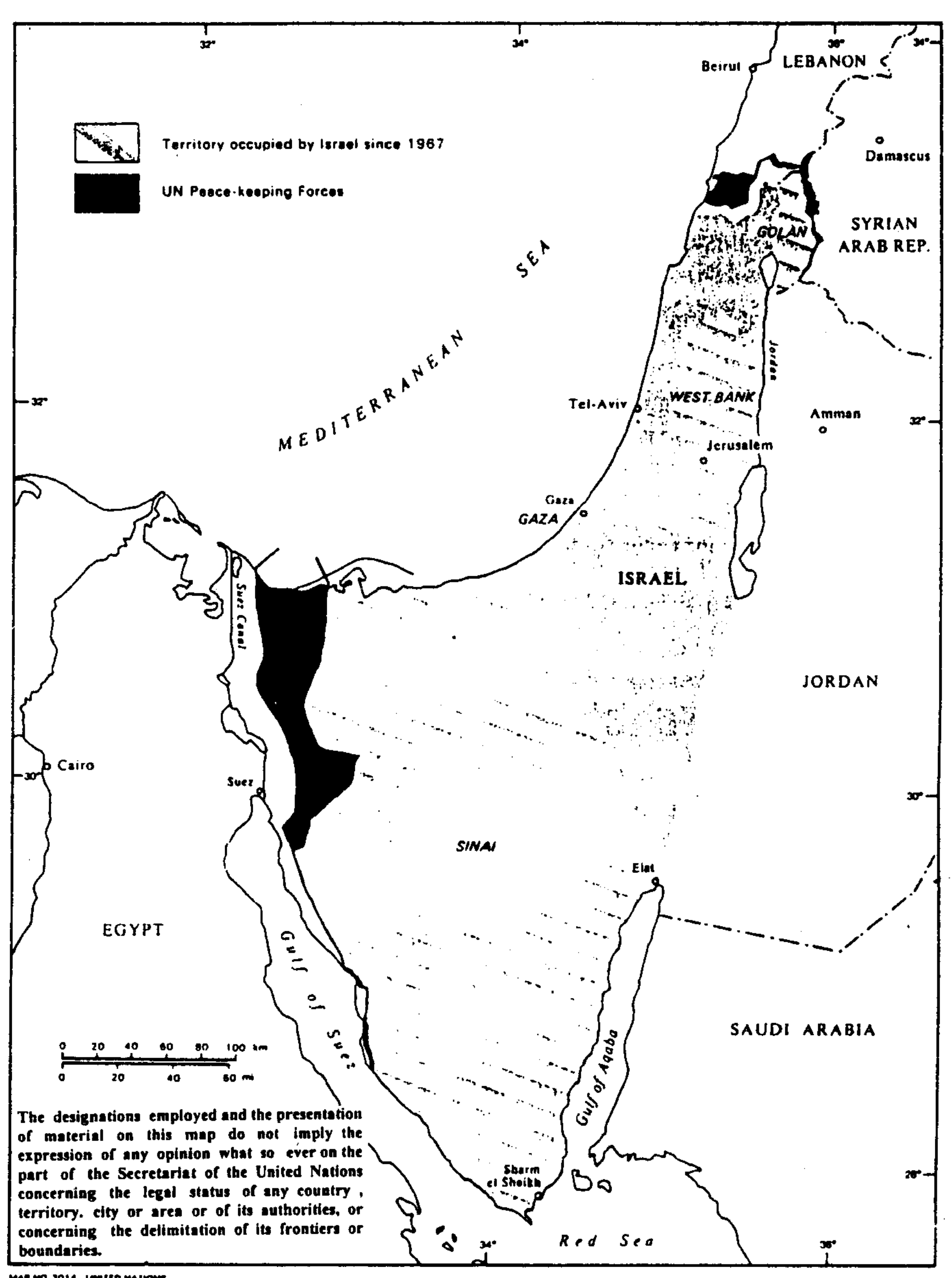
The Partition Plan, 1947



The Armistice Lines of 1949



Territories occupied by Israel, June 1967



The designations employed and the presentation of material on this map do not imply the expression of any opinion what so ever on the part of the Secretariat of the United Nations concerning the legal status of any country, territory, city or area or of its authorities, or concerning the delimitation of its frontiers or boundaries.

MAP NO 3014 UNITED NATIONS
NOVEMBER 1978

الهوامش والمراجع

١- مجلة الشاهد ، عدد ٧٥ ، نوفمبر ١٩٩١ .

٢- مجلة الشاهد ، مقال عبد الرءوف سليم ، عدد ٤٣ ، يناير ١٩٩٦ .

٣- شئون عربية ، عدد ٨١ ، مارس ١٩٩٥ .

٤- المرجع السابق .

٥- سامى حكيم ، طريق النكبة ، ط١ ، ١٩٦٩ ، القاهرة ، ص ٢٧٣ .

٦- المرجع نفسه ، ص ٢٨٠ .

٧- المرجع نفسه ، ص ٢٨١ .

٨- المرجع نفسه ، ص ٢٨٤ .

٩- المرجع نفسه ، ص ٢٩٢ .

١٠- المرجع نفسه ، ص٢٩٣ .

١١- السياسة الدولية ، عدد ٩٠ ، أكتوبر ١٩٨٧ .

١٢- المرجع نفسه ، ص٧٧ .

١٣- محمد عبد البارى ، التيارات السياسية فى الشرق العربى ، دار المعارف (١٩٥٧) ص ١٧٦-١٧٧.

وانظر ، أيضا ، الوحدة ، السنة التاسعة ، عدد ٩٩ ، ديسمبر ١٩٩٢ .

١٤- على الدين هلال (دكتور) ، وآخرون ، المستوطنات الإسرائيلية ، الهيئة العامة للكتاب ، (١٩٧٨) ، ص ٤٦ .

١٥- عبد الرءوف سليم (دكتور) ، الشاهد ، مرجع سابق .

١٦- على الدين هلال ، المرجع السابق ، ص٥١ .

١٧- نفس المرجع ، ص ٥١-٥٣ .

وانظر أيضا ، قضايا فكرية ، الكتاب السادس ، إبريل ١٩٨٨.

١٨- الكسندر شولش ، وآخرون ، الفلسطينيون عبر الخط الأخضر ، ترجمة محمد هشام ، كتاب الفكر ، ص ٢٧٢- ٢٧٣ .

١٩- الموقف العربى ، السنة التاسعة ، العدد ٦١ .

٢٠- على الدين هلال ، المرجع السابق ، ص ٩٦ .

٢١- عالم الفكر ، المجلد ٢٤ ، العدد الثالث ، يناير - مارس ١٩٩٦ ، (الكويت) .

وأيضا ، شئون عربية ، العدد ٧٢ ، ديسمبر ١٩٩٢ .

٢٢- اليقظة العربية ، السنة السادسة ، العدد الثانى ، فبراير ١٩٩٠ ، القاهرة .

٢٣- دراسات فلسطينية ، العدد ١٨ ، ربيع ، ١٩٩٤ .

وانظر أيضا ، المجلة العربية للدراسات الدولية ، السنة الثالثة ، ١٩٩٢.

٢٤- مجلة العلوم الاجتماعية ، المجلد ١٨ ، العدد الثانى ، صيف ١٩٩٠ ، (الكويت) .

٢٥- مجلة الفكر ، عدد ١٢، شهر إبريل ، مايو ، يونيو ١٩٨٨ ، القاهرة .

٢٦- المستقبل العربى ، العدد ، ١٢٣ ، مايو ١٩٨٩ .

٢٧- عبد الوهاب المسيرى (الدكتور)، وآخرون ، الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة ، كتاب العربى ، (الكويت) ، ص٦٣ - ٧٦ .

٢٨- الهلال ، فبراير ١٩٩٦ ، عدد خاص عن القدس ، حافل بمقالات قيمة ، لكن لم يتطرق التاريخ الحديث إلى مسألة عروبة القدس فى هذا العدد باستثناء افتتاحية رئيس التحرير .

٢٩- مجلة أكتوبر القاهرية ، العدد ١٠٤٢ ، أكتوبر ١٩٩٦ .

٣٠- مجلة إبداع ، العدد ١١ ، نوفمبر ١٩٩٥ ، الهيئة العامة للكتاب .

٣١- المجال ، مجلة تصدر عن وكالة الأعلام الأمريكية ، العدد ٢٧٠ ، سبتمبر ١٩٩٣ ، وتحوى وثيقة عبارة عن شهادة "إدوارد جيريجيان" ، مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأدنى ، أدلى بها أمام الكونجرس فى ٢٧ يوليو ١٩٩٣ .

٣٢- الطليعة ، العدد السادس ، يونيو ١٩٧٠ .

٣٣- الوسط ، العدد ٩٤، نوفمبر ١٩٩٣ .

٣٤- الشاهد ، عدد ٧٥ ، نوفمبر ١٩٩١، عدد خاص عن القدس ، تحت عنوان ، لكل التسويات سلامها .. وللقدس سلام ، (قبرص).

٣٥- المرجع السابق .

٣٦- الكاتب ، السنة السابعة ، العدد ٧٧ ، أغسطس ١٩٦٧ ، مقال جمال حمدان ، (الدكتور) أهداف ثابتة ووسائل متغيرة ، الهيئة العامة للتأليف والنشر .

٣٧- المرجع نفسه ، عبد المغنى سعيد ، ثورة ٢٣ يوليو وقضية فلسطين .

٣٨- المرجع نفسه ، أديب ديمترى ، المسألة اليهودية والاشتراكية العلمية .

٣٩- المرجع نفسه ، مكسيم رودنسون ، ترجمة ، أميمة أبو النصر ، .. إسرائيل .. حقيقة استعمارية !.

٤٠- المرجع السابق ، الكاتب ، عبد الجليل حسن ، الصهيونية والعداء للسامية .

٤١- المرجع السابق ، حسن سليمان ، ولم تبق سوى معركة واحدة .

٤٢- رشاد عبد الله الشامى (دكتور) ، القوى الدينية فى إسرائيل .. بين تكفير الدولة ولعبة السياسة ، عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ١٨٦ ، يونيو ١٩٩٤ ، ص ٢١٥ - ٢٣٨ .

انظر أيضا ، رسالتنا للدكتوراه ، السياسة المصرية تجاه المشكلة الفلسطينية ١٩٤٨ ـ ١٩٥٦ .

٤٣- الوسط ، العدد ٩٤ ، نوفمبر ١٩٩٣ ، وبه تحقيق من داخل إسرائيل تحت عنوان (عرب إسرائيل : أبناء الأمة العربية ... رعايا الدولة العبرية ، تحرير ، جيفرى أورنسون ..) .

٤٤- المرجع السابق ، تحقيق آخر ، بقلم فيصل حلول ، شارك فيه : إبراهيم حميدى (دمشق) ، وعبد اللطيف الفراتى (تونس) ، ورضا الأعرجى (الرباط) .

٤٥- منبر الإسلام ، العدد ٦ ، أكتوبر - نوفمبر ١٩٩٦ ، عدد حافل بمقالات قيمة ، بدأها عبد الحميد زقزوق (دكتور) ، وزير الأوقاف ، ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، بحث الشهر تحت عنوان : "عروبة القدس" ، إلى جانب ملف كامل اندرج تحت عنوان : "ملف بيت المقدس" .. عروبة وعقيدة ، إعداد : فؤاد هيبة .. وهو دفاع شامل عن عروبة القدس ، وشجب واستنفار واستنكار المزاعم الإسرائيلية لطمس هوية القدس العربية .

(46) Toynbee Arnold , Reflections on the Middle East Crisis, Paris , 1970 , PP . I93 - I97.

(47) Ibid , P . I97

(48) Ibid , P. I99

انظر أيضا ، الملاحق فى نهاية هذا البحث، عن وثائق الأمم المتحدة نيويورك، ١٩٩٠ وأيضا ، الوعى الإسلامى العدد ٣٧٠ ، أكتوبر ١٩٩٦ ، نفق الظلم اعتداء يهودى جديد .

٤٩- المشاهد ، مجلة تحررها هيئة الإذاعة البريطانية ، وتحوى المقالات :

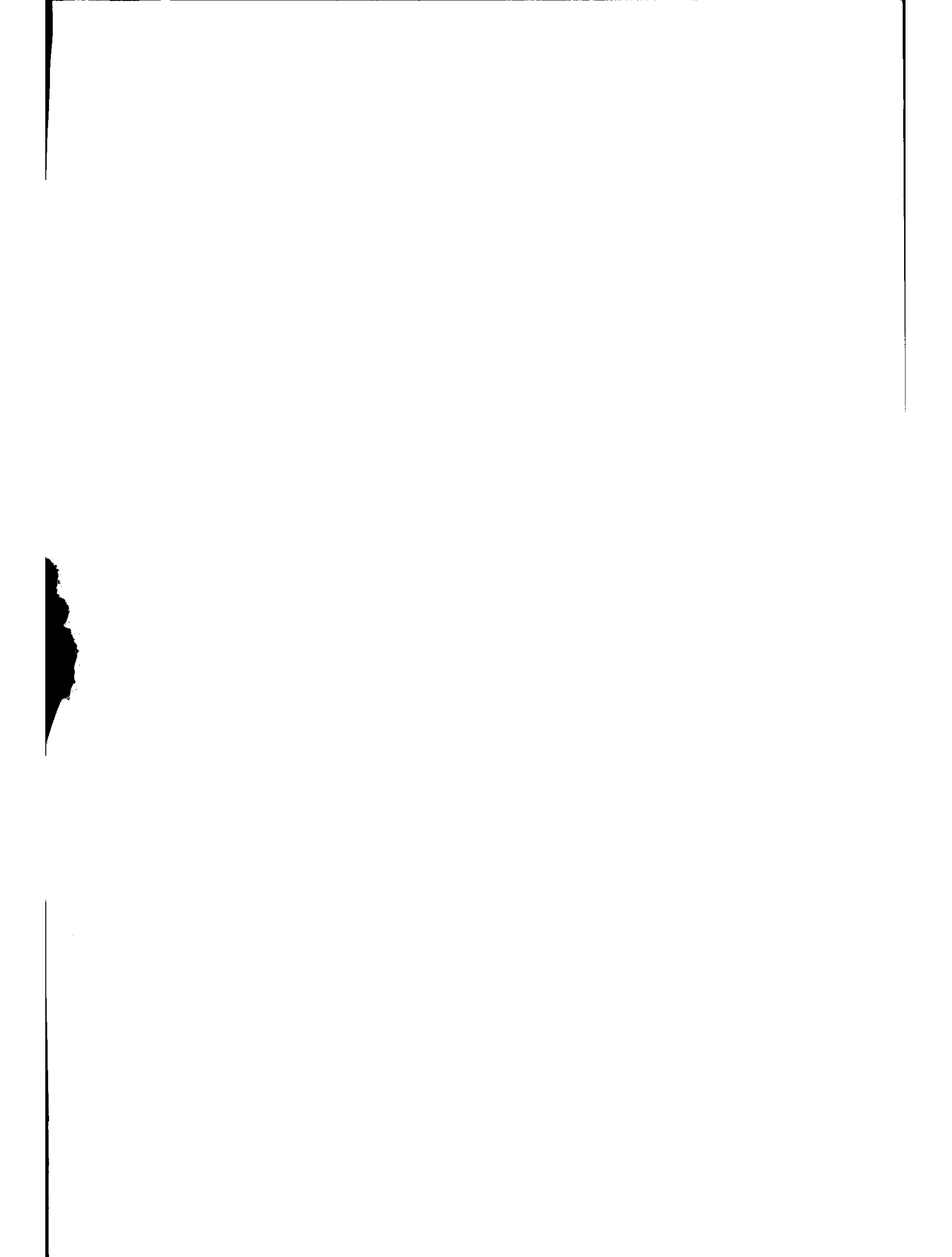
أ - إحسان بكر ، القدس فى مزاد الانتخابات الأمريكية .

ب- فيصل الحسينى ، نريد أن ندخل القدس مواطنين ، وإسرائيل تريد أن ندخلها كحجاج .

جـ- المتحدث باسم الحكومة الإسرائيلية ، (القدس الكبرى) أكبر من أيديولوجية (العناد) .

د - حديث فى القاهرة أجرته ، عزه محى الديـن ، مـع البابـا شنودة الثـالث وقـال :(هـذا هـو تـاريخ القدس .. ولن نذهب إليها مادامت تحت الاحتلال الإسرائيلى) . وكان قداسة البابا قد أصدر سلفا ، قرارا يقضى بعدم جواز سفر الأقباط إلى القدس .. ورغم مرور سنوات عديدة فإن القرار ما يزال ساريا .. انظر المجلة سالفة الذكر ، العدد ٤٣ ، السنة الأولى ، ٧-١٣ يناير ١٩٩٦ .

القدس : خيارات المستقبل



الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل ـ جامعة أسيوط

القدس غداً

دكتور هيثم الكيلانى

باحث سورى فى الشؤون الاستراتيجية - رئيس تحرير مجلة شئون عربية

بدأت إسرائيل فى شهر سبتمبر / أيلول ١٩٩٥ ، احتفالية الألف الثالثة لإعلان القدس عاصمة لمملكة يهوذا ، منذ العام ٩٩٦ ق.م. وستستمر الاحتفالية حتى نهاية عام ١٩٩٦ . وتهدف إسرائيل من وراء هذه المظاهرة إلى ترسيخ ادعاءاتها بحقوق الشعب اليهودى التاريخية والدينية فى مدينة القدس ملكاً خالصاً له وعاصمة أبدية لدولته . ومن يتتبع مظاهر هذه الاحتفالية يجد أن التعبئة التاريخية والدينية والسياسية بلغت أقصى طاقاتها ، إسرائيلياً ويهودياً وصهيونياً وعالمياً . وللصهيونية العالمية قدرات وطاقات واسعة ومشهودة فى هذا المجال . وتقصد إسرائيل من احتفاليتها هذه ، أن تثبت تزويرها للحقيقة والتاريخ ، وأن تستقطب الاعتراف الواقعى بمركزية القدس ومكانتها فى التاريخ اليهودى وفى دولة إسرائيل ، تمهيداً لمحو عروبة القدس والقدس العربية من ذاكرة التاريخ محواً كاملاً.

ولم تنقطع السيادة العربية الإسلامية على القدس منذ القرن السابع الميلادى حتى اليوم . وقد ترسخت تلك السيادة وأخذت أبعادها الحضارية طوال أكثر من خمسة عشر قرناً ، حتى إذا بدأت الغزوة الصهيونية لفلسطين ، تركزت على مدينة القدس ، وأنشأت قدساً جديدة ملاصقة للقدس العربية ، وفى إثر الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى (١٩٤٨) ارتسمت خطوط الهدنة الفاصلة بين شرقى القدس وغربيها .

وحينما شنت إسرائيل حربها الشاملة فى صيف ١٩٦٧ ، احتلت القدس العربية . بدأت ، منذ ذلك الوقت فى تغيير معالم المدينة العربية ، فى جميع المجالات ، معلما وراء

معلم ، ومجالاً إثر مجال ، حتـى إذا حـان وقـت إنجـاز أَسْرَلَة المدينـة ، أعلنـت إسـرائيل "القدس الموحدة" عاصمة أبدية لها ، ودعت الـدول إلـى نقل سـفاراتها مـن تـل أبيـب إلـى العاصمة الجديدة .

ويستمد الموقف العربى تجاه قضية القدس شرعيته مـن الحقـوق التاريخيـة والواقعيـة والقانونية للعرب والمسلمين فى فلسطين عامـة ، وفـى مدينـة القـدس خاصـة . أمـا علـى الصعيـد الدولـى فـإن الموقـف العربـى يسـتند إلـى قـرارات الأمـم المتحـدة (مجلـس الأمـن والجمعية العامة) ، وهى قرارات كثـيرة ، بـدأت بقـرار الجمعيـة العامـة بتقسـيم فلسـطين (١٨١ - ١٩٤٧/١١/٢٩) ثم قراراهـا (١٩٤ - ١٩٤٨/١٢/١١) القـاضى بتدويـل مدينـة القدس ، وانتهاء بقرارات آخر دورة للجمعية العامة ، ومروراً بقرار مجلـس الأمـن ٢٤٢ (١٩٦٧) الذى يعتبر القدس العربية أرضاً محتلة ، وقـراره ٢٥٢ (١٩٦٨) ، الـذى طلـب من إسـرائيل إلغـاء جميـع إجراءاتهـا الراميـة إلـى تغيـير وضـع القـدس ، وقـراره ٤٥٦ (١٩٨٠) الذى دعا إسرائيل إلى تفكيك المستوطنات القائمة والتوقف عن بنائهـا وبخاصـة فى القدس ، ثم قراره ٤٧٨ (١٩٨٠) الذى رفض ادعاء إسرائيل بان القدس عاصمة أبدية لها ، وأكد على عدم الاعتراف بذلك ، ودعا القرار دول العالم إلى عدم التعامل مع القدس كعاصمة لإسرائيل.

وقد استمر وضع القدس من وجهة نظر القـانون الدولـى وتمسـك العـرب والمسـلمين ومعهـم المجتمـع الدولـى علـى هـذه الحـال ، حتـى جـاء "إعـلان المبـادئ الفلسـطينى - الإسرائيلى" (اتفاق أوسلو ١٩٩٣/٩/١٣) . فقد نص هذا الإعلان فى مادته الخامسة علـى أن مفاوضـات "الوضـع الدائـم" ، التـى يحيـن موعدهـا فـى بدايـة السـنة الثالثـة مـن الفـترة الانتقالية ، ستغطى قضايا محددة ، جاءت فـى متـن الإعـلان بـالترتيب التـالى : القـدس ، اللاجئين ، المستوطنات ، الترتيبات الأمنية ، العلاقات والتعاون مع جيران آخريـن ، كمـا نصت المادة نفسها على أن الطرفين متفقان "على أن لا تجحف أو تخل اتفاقيـات المرحلـة الانتقالية بنتيجة مفاوضات الوضع الدائم " .

وإذا ما عدنا إلى ملف قرارات الأمم المتحدة بشأن القدس ، وإلى إعلان أوسلو ، فإننا نلاحظ ما يلى :

١-تبنت القرارات وضعية خاصة للقدس ، وأنزلتها فى مكانة متميزة خاصة ، تكاد تكون مستقلة .

٢-رفضت إسرائيل جميع هذه القرارات ، بل تحدتها ، حين أعلنت أن القدس الموحدة هى عاصمتها الأبدية وواصلت أسرلة المدينة فى جميع المجالات . ولا تزال إسرائيل على رفضها لتلك القرارات ، وعلى تمسكها بعاصمتها الأبدية .

٣-وحينما وقعت إسرائيل إعلان أوسلو ، التزمت بصورة معلنة ورسمية ، بأن قضية القدس تشكل موضوعا للتفاوض . وهو موقف اعتبره بعض سياسى قضية فلسطين - من الناحية المبدئية على الأقل - أنه يشكل تراجعا عن الموقف الاسرائيلى المكرر ، ومضمونه أن قضية القدس غير قابلة للتفاوض .

وتكمن أهمية ما تضمنه إعلان المبادئ بشأن القدس فى أنه الوثيقة الوحيدة التى وقعت عليها إسرائيل منذ نشوء القضية الفلسطينية حتى اليوم ، وفيها نص محدد يخص القدس . ولأن السلطة الوطنية الفلسطينية وقعت على الوثيقة نفسها ، فقد ذهبت الولايات المتحدة فى تفسير اتفاق الطرفين ، الفلسطينى والاسرائيلى على اعتبار قضية القدس من القضايا المتبقية التى تبحث فى "مفاوضات الوضع الدائم" - ذهبت إلى أن هذا الاتفاق يجب ما قبله ، ويطوى ما سبقه . وعلى هذا فإن قرارات الأمم المتحدة ، ومنها قرارات مجلس الأمن ، والموقف التقليدى للولايات المتحدة تجاه قضية القدس ، أصبحت جميعها صفحات من التاريخ ، رسمت تطور السياسات والمواقف ، وانتهت إلى اتفاق تدعمه الولايات المتحدة ، وهى الداعية لمؤتمر مدريد ولعملية السلام ومساراتها .

وهذا التفسير الأمريكى ، الجديد فى ظاهره ، القديم فى جوهره ، يلقى الضوء على الموقف الذى اتخذته واشنطن فى مجلس الأمن فى شهر مايو / آيار ١٩٩٥ ، حين استخدمت حق النقض لإسقاط مشروع قرار تبناه مجلس الأمن بأكثريته ، يطلب من إسرائيل إلغاء مصادرتها أراضى فى القدس .

نتوقف هنا قليلا ، لنقارن بين "التراجع" الظاهرى الذى بدا فى نص إعلان أوسلو بشأن القدس ، وبين الموقف الأمريكى الجديد ، وهو ما يؤدى بنا إلى القول بأنه يصعب أن نفسر نص إعلان أوسلو على أنه "تراجع" إسرائيلى ، أو أنه يتضمن ، حكما وحتما ،

تعديلا فى سياسة إسرائيل تجاه قضية القدس ، أو يشكل منحنى فيها . ذلك أن قبول مبدأ التفاوض بشأن القدس يفتح السبيل أمام ثلاث ملاحظات :

١-قد لا يعدو أن يكون قبول مبدأ التفاوض سوى مناسبة لكى تؤكد إسرائيل قرارها بجعلها القدس عاصمة أبدية لها ، مع اعترافها بالمكانة الدينية للأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية ، وتحديد ترتيبات تسهل على المسلمين والمسيحيين ممارسة شعائرهم الدينية ، وإدارة تلك الأماكن وصيانتها ، وما إلى ذلك من شئون .

٢-ليس تأجيل بحث قضية القدس إلى مرحلة "مفاوضات الوضع الدائم" سوى مناورة إسرائيلية واضحة ، تتيح من خلالها ، لأحكام الفترة الانتقالية واتفاقياتها التنفيذية أن تترسخ ، كما تنزع من الساحة أشكال المقاومة والمعارضة ومظاهرها ، الواحد تلو الآخر ، بحيث لا يبقى أمام الطرف الفلسطينى سوى وسيلة التفاوض سبيلا وحيداً لابد من سلكه .

٣-وفى مثل هذه الحال ، فإن القول الفصل والنهاية الحاسمة يكونان مرتبطين ارتباطا عضويا وحاكما بميزان القوى ، وليس بأى عامل آخر .

وحتى تعد إسرائيل المدينة الموحدة لتكون "عاصمة أبدية" لها ، وحتى تتم أسرلتها ، فقد فعلت الكثير والكثير لتغيير معالم المدينة العربية ، وبخاصة لطمس طابعها العربى الإسلامى . فما أن أكملت إسرائيل احتلال القدس فى عام ١٩٦٧ ، حتى أزالت أحياء عربية بكاملها ، وظلت تفعل ذلك حتى يومنا هذا ، ومنعت العرب من بناء البيوت أو ترميم مساكنهم ، وصادرت أراضى كثيرة ظلما وعنوة ، ووسعت النطاق الإدارى للمدينة حتى توسع حدود الأسرلة ، ثم كرست ذلك بضم المدينة إليها وإعلانها عاصمة أبدية لها . وحتى تأخذ المدينة معالمها هذه ، كان لابد من غزوها باليهود المهاجرين ، وبخاصة المتدينون المتعصبون ، وطرد العرب من أحيائهم وبيوتهم بوسائل مختلفة . وثمة مراجع جد كثيرة لما فعلته إسرائيل لأسرلة القدس (نذكر مثالا واحدا فقط ، ذلك التقرير الذى نشرته مجلة الدراسات الفلسطينية فى العدد ٢٤ ، ربيع ١٩٩٥ ، بعنوان : تهويد القدس ، حقائق وأرقام) . هذا ، دون أن نذكر بالتفصيل خطط ذلك التيار الدينى المتشنج الذى يضم

جماعات إرهابية ، كحركة كاخ وهتحيا وغوش ايمونيم وجبل المعبد وغيرهم ، ممن ينادون جهارا بتدمير المقدسات الإسلامية فى القدس ، وفى مقدمتها المسجد الأقصى .

وقد صعدت إسرائيل خطتها نحو عروبة القدس وإلغاء القدس العربية ، بعد إعلان أوسلو . ومنذ سبتمبر ١٩٩٣ حتى اليوم تمكنت الحكومات الإسرائيلية المتتابعة من إحداث تغيير جذرى فى طابع المدينة الجغرافى والديموغرافى بحيث أصبح من الصعب معه البحث فى مستقبلها وفق التصورات القديمة أو قرارات الأمم المتحدة الصادرة فى الستينيات والسبعينيات . وعمليات الأسرلة هذه غير مرتبطة بحزب معين فى التركيبة السياسية الإسرائيلية ، إذ يستوى فى ذلك الليكود والعمل وأى طرف سياسى آخر .

ومن حق أى مواطن عربى أو مسلم أن يبدى تخوفا ملحوظا من أن الإهمال والتجاهل والتسويف المحيط بمشكلة القدس ستؤدى - إن لم تكن قد أدت سلفا - إلى تحقيق أمر واقع عملت سلطات الاحتلال الصهيونية على تكريسه طوال العقود الثلاثة الماضية . وبالرغم من أن القانون الدولى (وبالتالى قرارات الأمم المتحدة) شديدة الوضوح فى هذه المسألة ، إلا أن إرادة المجتمع العالمى يمكن أن تتراخى طالما أن إسرائيل مستمرة فى استكمال إحكام قبضتها على القدس ، وأن الطرف الفلسطينى (والعربى) لا يملك خطة واضحة إقليمية ودولية لمواجهة الابتلاع الصهيونى للمدينة المقدسة .

إن الهدف الصهيونى المتمثل فى أن الصهيونيين يريدون فلسطين أرضا بلا سكان ، هو فى القدس أكثر تطبيقا من أية بقعة فلسطينية . وحينما أعلنت إسرائيل فى عام ١٩٨٠ أن القدس الموحدة هى العاصمة الأبدية لها ، لم تكن تطرح شعارا ، وإنما رسمت خطة لعمل يومى سياسى وشعبى وعمرانى متواصل .

وفى مقابل هذه الخطة ، تمثلت مواقف العرب ، مسلمين ومسيحيين ، فى شعارات ، أكدت دائما أن القدس هى عاصمة فلسطين ، وأنها مدينة الأقصى المبارك ومسرى الرسول الأمين ، وأنها مدينة قيامة السيد المسيح وأن لها قدسيتها الدينية المتميزة ، إسلاميا ومسيحيا ، وأن لها مكانة خاصة فى التاريخ العربى الاسلامى . لقد ظلت

شعارات نرددها صباح مساء ، وما زلنا نرددها حتى اليـوم ، دون أن ندعمها بأية خطة لعمل جاد يومى.

وإذا ما أنزلنا قضية القدس منزلتها فى سياق عملية السلام ، فإن مرجعيتنا الأساسية فى ذلك ستكون مؤتمر مدريد (١٩٩١/١٠/٣٠) . ويوم عقد هذا المؤتمر ، دخلت الأطراف المشاركة فيه وقد غابت القدس عن الوثائق الداعية . ولم يرد لها ذكر فى كلمات راعى المؤتمر . ويعد هذا الأمر من أبرز التنازلات العربية فى مستهل عملية التسوية فى التسعينات ، وذلك بفعل الإصرار الاسرائيلى التقليدى بأن مستقبل المدينة ليس موضوعا للتفاوض ، لكونها العاصمة الأبدية الموحدة تحت السيادة الإسرائيلية . أكثر من ذلك ، أصرت إسرائيل على رفض مشاركة ممثلين عن القدس فى إطار الوفد الأردنى الفلسطينى وفى أية ترتيبات محتملة لتسوية القضية الفلسطينية وذلك بهدف نزع الصفة الفلسطينية وشرعية التمثيل الفلسطينى عن المدينة . أما بالنسبة إلى رسالة التطمينات الأمريكية إلى الفلسطينيين فقد خلت من أية مرجعية لقضية القدس عند التفاوض فى مرحلة الحل الدائم والنهائى ، فقد تغاضت الولايات المتحدة عن ذكر أية مرجعية ، وهى فى الحد الأدنى قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة التى وافقت عليها الولايات المتحدة ذاتها.

ومنذ نحو ثلاثين عاماً ، لا تزال الحكومات الإسرائيلية والقوى الصهيونية تغذى السير نحو أسرلة المدينة العربية ، حتى جاء عهد الليكود الجديد ، لينجز نهائياً على الأرض وفى حيز الواقع المادى ، عملية الأسرلة ، وليبدأ عملية جعل المدينة خالصة لليهودية وحدها ، من خلال تدمير المقدسات الإسلامية والإبقاء المؤقت على بعض الشعائر التى يمكن أن تؤول إلى الزوال بفعل الضغط الصهيونى والصمت العالمى والهزال العربى والإسلامى.

وحتى توفر إسرائيل لخطتها ذات المراحل المتعددة الخاصة بالقدس عوامل التنفيذ ، ربطتها بالقضية الفلسطينية ربطاً محكماً لا فكاك له ، كما ربطتها بمصير الشعب الفلسطينى ووطنه ومستقبله . فما أن أشعلت إسرائيل فتيل تفجير قضية القدس من خلال النفق الذى أنشأته تحت المسجد الأقصى ، وما أن وقعت انتفاضة البراق فى أواخر شهر

سبتمبر ١٩٩٦ بين الفلسطينيين والجيش الإسرائيلى حيث استشهد أكثر من ٨٠ فلسطينياً ، وجرح أكثر من ١٦٠٠ ، حتى بدأت إسرائيل عملية عسكرية كبيرة حملت اسم "حقل الشوك" ، وهى تتضمن ثلاث مراحل ، نفذت إسرائيل مرحلتين منها ، هما نشر الدبابات والمصفحات والمدافع على طول الخط الأخضر بين فلسطين ١٩٤٨ والأراضى المحتلة منها ، وعلى مداخل المدن الكبيرة مثل نابلس ورام الله والخليل . أما المرحلة الثالثة من عملية "حقل الشوك" التى لم يحن أوانها بعد ، فهى احتلال مناطق الحكم الذاتى الفلسطينى من جديد ، والعودة إلى وضع الاحتلال الشامل لكامل الضفة والقطاع . وهكذا دمجت قضية القدس دمجاً عضوياً فى قضية فلسطين وفى حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره ودولته المستقلة. أكثر من ذلك ، وأبعد عمقاً وأشد اتساعا ، أصبحت قضية القدس مرتبطة بهوية القيادة الموجودة حالياً على رأس الدولة الإسرائيلية . فعلى الرغم من التأكيد الشفوى اليومى الذى يصدر عن رئيس وزراء إسرائيل بالتزامه السلام ، ووفائه بمتطلباته ، إلا أن أفكاره الأصلية ، وخطابه السياسى أثناء الحملة الانتخابية وما بعدها ، وممارساته الفعلية طوال الأشهر الماضية منذ توليه السلطة ، تقطع بأن المشكلة أعمق بكثير من أن تكون خلافات حول تفاصيل تحقيق السلام ، إنها فى الحقيقة خلافات حول مبدأ السلام . وحتى إذا حاول رئيس وزراء إسرائيل أن يتجاوز بعض أفكاره ، أو أن يدور حول بعض شعاراته ، فإن القوى التى أوصلته للسلطة ، وتشكل سنده الأساسى ، تضع حدوداً صارمة على قدرته على الخروج عن الخط الذى ينتهجه ، والذى رسمته له تلك القوى .

ومن حسن الحظ أن أفكار رئيس الحكومة الإسرائيلية نيتانياهو السياسية واضحة ومحددة بلا أى لبس خاصة فى كتابه "مكان بين الأمم : إسرائيل والعالم " ، المنشور عام ١٩٩٣ ، والذى ينطوى على معتقدات وتوجهات تهدم عملية السلام العربى الإسرائيلى الراهنة من أساسها.

وفى مقابل ذلك ، ومنذ أن عقد مؤتمر مدريد (١٩٩١/١٠/٣٠) ، ركز الفكر السياسى العربى الرسمى على خيار وحيد ، هو خيار التسوية السلمية للصراع العربى - الإسرائيلى ، وجعله خياراً استراتيجياً لا شريك له ، فى حين أن الطرف الآخر لعملية السلام ، وهو إسرائيل ، أبقى الخيارات الأخرى جاهزة جنباً إلى جنب مع خيار التسوية .

ومن خلال سياسته الواضحة هذه ، استطاع ، فى عهد حزب العمل ، أن يشن اعتداءات مسلحة كان أبرزها "عملية عناقيد الغضب" ضد الشعب اللبنانى فى ربيع ١٩٩٦.

هذا فى عهد حزب العمل ، أما فى عهد حزب ليكود ، فقد تغيرت الحال ، بدءاً من المعركة الانتخابية التى جرت فى إسرائيل فى مايو ١٩٩٦ ، حتى يومنا هذا ، مروراً بتصريحات زعيم الحزب بنيامين نيتانياهو وتفسيراته ولاءاته وخطبه . وأبرز ما تتصف به السياسة الإسرائيلية الجديدة ، كونها تحيى مبادئ الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية الإحلالية التوسعية ، وتطوى ، عملياً خيارات السلم والتسوية ، وتبقى على خيار العنف المسلح ، وتراكم العوامل ، الواحد بعد الآخر ، من أجل دفع المنطقة إلى حافة الحرب ، بحيث لا يبقى أمام العرب سوى خيارين لا ثالث لهما : الاستسلام بلا حرب أو الاستسلام بحرب.

إن ما يولد فى النفس والفكر التشاؤم والتحسب ، هو أن العامل الحاسم الذى سيحكم مفاوضات الوضع النهائى بشأن القدس سيكون ميزان القوى الراهن ، وهو ميزان معروف كل المعرفة مكوناته وعناصره والغالب والمغلوب فيه ، إلا إذا استطاع العرب إضافة مكونات وعناصر جديدة إلى الكفة العربية ، جوهرها العامل الشعبى ، العربى عامة ، والفلسطينى خاصة . وحينذاك يمكن القول إن ميزان القوى لن يكون ، بالضرورة والحتم ، راجحاً لمصلحة إسرائيل.

لقد مرت عملية السلام منذ مؤتمر مدريد فى خريف ١٩٩١ حتى صيف ١٩٩٦ ، وبلغت ما بلغته من نتائج بسبب أنها ، أى العملية ، عاشت وتحركت فى بيئة تسيطر عليها الحكومات والقوى العالمية الكبرى . وطوال خمس سنوات طوى العنصر الشعبى العربى عند رسم خرائط المنطقة . ولكن هذا العنصر عاود تحركه فى الأرض الفلسطينية دون غيرها من الأرض العربية . ولا يعنى هذا موات هذا العنصر ، وإنما قد يعنى أن تحركه، بشكل ما من الأشكال ، ولأغراض استعادة الحقوق العربية ، أمر وارد فى الحسبان مستقبلاً.

إضافة إلى ذلك ، أوضحت الهزة التى أصابت عملية السلام فى الشرق الأوسط ، منذ أن تولى ليكود الحكم فى إسرائيل فى يوليو ١٩٩٦ حتى انتفاضة البراق وقمة

واشنطن الرباعية فى أواخر سبتمبر وأوائل أكتوبر ١٩٩٦ ، ومروراً بتنصل الحكومة الإسرائيلية مما اتفقت عليه مع سوريا فى حضور الولايات المتحدة بشأن الانسحاب الشامل من الجولان ، أوضحت الهزة التى نعيش ملامحها اليوم ، أن عملية السلام قابلة للارتداد والرجوع عنها ، وتنويع الخيارات فى الجانب الإسرائيلى ، وفى ذلك نقض واضح للنظرية التى تقول إن عملية السلام قد رسمت مستقبل المنطقة وخرائطها ، ولا رجعة عنها ولا نكوص فيها .

صحيح أن فكرة الصراع المسلح قد طويت نهائياً من الفكر السياسى العربى ، لكنها واردة فى فكر الحكم الليكودى الإسرائيلى ، بل إنه يخلق البيئة المناسبة لها ، ويراكم العوامل اللازمة لها . ذلك أن إستراتيجيته السلمية مختلفة كل الاختلاف عن الإستراتيجية العربية السلمية ، فالجولان سيبقى تحت السيادة الإسرائيلية ، ولا انسحاب منه ، ولا دولة فلسطينية . ويرى الحكم الليكودى أن الفلسطينيين أخذوا حتى الآن ما يكفيهم للحكم الذاتى الذى هو أقصى الأمل ، وأن أى تنازل إسرائيلى يعنى تهديداً لأمن إسرائيل ومواطنيها . ولهذا الحكم مفهومه الخاص عن الأمن والسلام ، ولا جدوى قط من محاولة تغيير هذا المفهوم.

لقد نجح ليكود فى تنفيذ برنامجه الخاص بأسرلة القدس ، تاريخاً ومعالم وسكاناً ومؤسسات وعاصمة أبدية لإسرائيل ، قبل أن تبدأ مرحلة التفاوض النهائى بشأن مستقبل القدس ، حتى إذا جاء المفاوض العربى ليبحث فى مستقبل المدينة ، كما نصت عليه اتفاقية أوسلو ، لم يجد ما يتحدث عنه ، لأن الصهيونية العالمية عملت لطى المدينة كلها ، بتاريخها العربى والإسلامى ، وبمعالمها العربية والإسلامية ، وبمقدساتها الإسلامية والمسيحية ، طياً كاملاً بماضيها وحاضرها ومستقبلها .

يمكن القول إن مستقبل القدس هو الذى سيحدد نجاح الاتفاقات المعقودة ، أو التى سيتم التوصل إليها ، بين بعض الدول العربية والدولة العبرية ، فإذا كان باستطاعة أى طرف من أطراف النزاع أن يناور ويقدم التنازلات فى نقاط التماس الأخرى ، فإن مثل هذه الوسطية صعبة للغاية فيما يتعلق بالقدس ، وبخاصة أن الطرف العربى والاسلامى محكوم باعتبارات وحقائق وحقوق تاريخية ودينية وقانونية مرتبطة بالمدينة المقدسة مما

يجعل التنازل أو التراجع أمراً مستحيلاً ، في حين يرتبط الطرف الإسرائيلي بأوهام وأساطير تفرضها كفة جد ثقيلة في ميزان القوى.

نحن إذن أمام دعوة ملحة وعاجلة للتفكير والتدبير ، فالقدس على حافة الضياع ، أو هي في سبيلها إلى ذلك . وليس هناك ما يمنع العرب والمسلمين من العمل ، إن هم أرادوا ذلك . وفي تصورنا أن وسائل العمل لإنقاذ القدس ، متعددة ومتوافرة . وحينما نشير إلى بعض الأفكار في هذا المجال ، فلا نقصد إلى الحصر والتعداد ، وبخاصة أنها أفكار معروفة ومطروقة ، ولكنها تذكر في مكانها وزمانها :

١-إن أول خاطرة هي ضرورة ابتداع أساليب جديدة لإنقاذ القدس ، تنبثق من مقتضيات عملية الإنقاذ ، وتستند إلى قدراتنا ، وتتلاءم مع المتغيرات المحلية والإقليمية والدولية. وإذا كان مطلوباً تجنب الشعارات البراقة التي تلهب المشاعر ، فإن القصد هو صياغة اقتراحات عقلانية عملية وممكنة ومؤثرة .

٢-العمل من أجل القدس واجب ، لكل مواطن فيه نصيب ، ويشمل هذا القول القيادات السياسية والدينية والشعبية ، حكومية وغير حكومية ، مؤيدة ومعارضة ، طالماً إن هناك اتفاقاً جماعياً على قضية القدس في حدها الأدنى ، وهو تحرير ما احتلته إسرائيل من القدس في حرب ١٩٦٧ ، والحفاظ على القدس المحررة بهويتها العربية الإسلامية.

٣-تشكيل لجان شعبية لإنقاذ القدس في كل مدينة عربية وإسلامية ، وفي كل تجمع عربي وإسلامي في كل مكان من العالم ، والقصد من هذه اللجان هو إبراز العنصر الشعبي وتأثيره في مسيرة قضية القدس ، لأن الرهان على نقلة نوعية حاسمة في المواقف العربية الرسمية رهان ضعيف . ويبقى الرهان على العنصر الشعبي هو الأكثر أصالة والأقدر على الفعل والتأثير ، ولكنه في الوقت نفسه عنصر معرض للكبح والقهر حينما تتصدى له قوى طاغية متنوعة .

٤-إن تأكيدنا أن السلام خيارنا الاستراتيجي يجب أن يعني ، حكماً ، استعدادنا وتوفيرنا القدرة للدفاع عن هذا الخيار ، وبخاصة حينما يكون الطرف الآخر قاصداً تدمير

السلام ، ومسلحاً بترسانة نووية وبجيش جد قوى ، ويتحدى عملية السلام بخلق الحقائق على أرض الواقع .

٥-تنويع وسائل المقاومة العربية ، فلسطينياً وعربياً وإسلامياً ، مع توكيد أن هذه المقاومة ليست نضالاً عارضاً أو مؤقتاً ، وإنما هى متواصلة بمختلف الوسائل والأساليب المتاحة وعلى مختلف المستويات وفى جميع الساحات ، حتى يتحقق هدف تحرير الأرض العربية وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

إن إنقاذ القدس من أن يبتلعها المشروع الصهيونى لم يعد ممكناً أبداً بالأساليب التى اتبعها العرب والمسلمون منذ ثورة ١٩٣٩ حتى انتفاضة التسعينات وانتفاضة البراق فى أواخر سبتمبر ١٩٩٦ . ثمة خطط صهيونية جديدة بقوى إسرائيلية وصهيونية عالمية تعمل لتنفيذ تلك الخطط ، وهو ما يتطلب عقلية عربية وإسلامية جديدة ترقى إلى مستوى المشروع المعادى بمشروع مساو له بالقوة والفاعلية والتأثير . وما لم يكن الأمر كذلك ، فلن ينفعنا البكاء مع أبى عبد الله الصغير ، حينما تنضم القدس غداً إلى غرناطة لتصبح ذكرى نحتفل بها فى كل عام.

الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩-٣٠ أكتوبر ١٩٩٦)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

القدس: الخيارات الإقليمية والدولية

لواء أ.ح.د. محمد نبيل محمد فؤاد طه
خبير إستراتيجى ومدير سابق لمركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالقوات المسلحة

مقدمة

تعد الموضوعات المستقبلية من الأمور المعقدة التى يحتاج تناولها إلى دراسات تحليلية متعمقة ، تبدأ بالتاريخ وتتواصل مع الحاضر بكل جوانبهما الشاملة ، حتى يمكن استشراف المستقبل الذى سيشكل فى غالب الأحيان امتدادا وانعكاسا لهما مع الأخذ فىالاعتبار المعطيات المنتظرة فى كل من البيئة الدولية والإقليمية والمحلية . إن "خيارات المستقبل فى قضية القدس" موضوع يتميز بتداخل مفرداته الأمر الذى يؤدى إلى تعقيد آلياته ، ومن ثم فهو ملئ بالخيارات التى يبدو أنها تناسب جزئيا أو كليا طرفا على حساب الآخر ، أو أنها لا تناسب الطرفين المعنيين ، ومن ثم فقد تخرج تصورات المستقبل عن إمكانية حلها فى سياق معادلات صفرية، فلا بد أن يحقق كل طرف بعض المكاسب فى مقابل بعض الخسائر أو التنازلات فى المقابل ، وذلك لأننا بالإضافة للحقوق التاريخية والقانونية وقرارات الشرعية والمجتمع الدوليين ، مع أمر واقع فرضته إسرائيل على الأرض والسكان بشكل وحجم لا يمكن تجاهله ، ما يزيد من صعوبة استشراف حل مناسب للمشكلة . من هذا المنطلق قد نجد أنفسنا أمام ثلاثة تساؤلات ملحة :

التساؤل الأول : هل يمكن أن يتم التوصل إلى "مصالحة تاريخية " ، أى مصالحة بين الشعوب والديانات فى المنطقة (عربية إسلامية مسيحية فى جانب مع اليهود على الجانب الآخر) فى ظل احتلال إسرائيل للقدس بشطريها ، والإصرار على اعتبارها العاصمة

الأبدية لإسرائيل ، ضاربة بذلك عرض الحائط بكل المواثيق الدولية والإقليمية ، وما لذلك من انعكاسات من المنظورين الديني والقومي ؟

التساؤل الثاني : وهو في نفس السياق ، هل يمكن أن نصل إلى حل نهائي للقضية الفلسطينية في ظل التعنت والغطرسة الرافضين لأي نوع من السيادة الفلسطينية على القدس الشرقية ؟

التساؤل الثالث : يترتب على ما سبق ، وهو هل يمكن التوصل لحل نهائي يمكن أن يؤدي إلى دخول إسرائيل ضمن نسيج المنطقة ، وما يترتب على ذلك من تطبيع وتفاعلات ثقافية واجتماعية واقتصادية ، دون أن تحل القضية الفلسطينية نفسها – لب الصراع العربي الإسرائيلي ، بالإضافة لما تشهده باقي الأراضي العربية المحتلة .

إن الإجابة عن هذه التساؤلات يمكن تلخيصها في أن المشكلة ليست بين العرب واليهود ، وليست بين المسلمين والمسيحيين في المنطقة ، فطالما عاش اليهود فيها وهم يتمتعون بحق المواطنة الكاملة ، إن المشكلة ليست دينية أو قومية كما يحاولون تصويرها، إنما المشكلة هي بين العرب مسلمين ومسيحيين ، وبين الصهيونية – ذلك الفكر العنصري الاستيطاني التوسعي الذي يرتدي عباءة الدين اليهودي بل ويسخره لصالح أهدافه .

إن ما تقوم به كل من الولايات المتحدة وإسرائيل من محاولات لخداع دول المنطقة بل والعالم ، بأن السلام قد تحقق أو أنه قريب ، يعد أمرا عارياً من الصحة ، لان الصراع لم يحسم بعد ، ومن غير المنتظر حسمه في المَدَيين القريب والمتوسط ، فمن الخطأ تجاهل أنه ما زالت هناك أراض عربية مازالت تحت الاحتلال في لبنان والجولان وفلسطين ، وأن الأفكار الإسرائيلية للهيمنة سواء العسكرية منها أو الاقتصادية مازالت قائمة بل وتشتد يوما بعد يوم .

إن موضوع القدس لا يمكن فصله عن باقي القضية الفلسطينية التي لا يمكن فصلها هي الأخرى عن القضية العربية ، ومن ناحية أخرى كيف يمكن أن نتوصل إلى سلام نهائي في ظل هذا الخلل في التوازنات الاستراتيجية والعسكرية الذي تحاول إسرائيل

والولايات المتحدة أن تكرساه لمصلحة الأولى فى نظم الأسلحة التقليدية ناهيك عن الأسلحة النووية .

إن طريق التوصل لحل نهائى لكل مشاكل الصراع العربى الإسرائيلى بكل جوانبه خاصة القدس ، هو طريق طويل وشاق ، يخطئ من يتصور أننا على أعتاب بلوغ نهايته، فمن المعتقد أننا مازلنا نتوقف فى مرحلة فى منتصف هذا الطريق ، فالحرب الباردة العربية الإسرائيلية التى كانت قد توارت ، ها هى ذى تعود مرة أخرى ، وها هو ذا مخاض لانتفاضة فلسطينية بل وعربية تبدو الآن فى الأفق ، ولعل نفق البراق هو الشرارة لذلك. ماذا بقى إذن ليتحول الموقف برمته إلى صراع ساخن ؟ .

لقد أُثير تساؤل فى ندوة " دفاعا عن عروبة القدس " التى عقدتها منظمة تضامن الشعوب الأفريقية والآسيوية فى العام الماضى : هو هل توجد حقيقة عملية اسمها عملية السلام؟ .

إن الذى يجرى على الساحتين الإقليمية والدولية فى الوقت الراهن هو إتاحة مساحة وفرصة كبيرة للعرب والفلسطينيين للكلام الذى يجيدونه ، بينما تتاح الفرصة فى الوقت ذاته لإسرائيل لعمليات الاستيطان والتهويد والضم . ثم أن هناك عاملا آخر فى تقديرى هو أن إسرائيل تشعر أن هذه المرحلة الانتقالية التى يمر بها العالم بين نظام ثنائى القطبية قد انتهى ، وبين نظام قادم لم تتحدد معالمه بعد تحاول فيه الولايات المتحدة تأجيل مخاضه لاستمرار تفردها بقمة النظام لأطول فترة ممكنة ، مما يهيئ لإسرائيل فرصة تاريخية ضخمة تعمل على استقلالها إلى الحد الأقصى الممكن ، لأنها قد لا تتهيأ لها مرة أخرى إلا بعد حقبة زمنية كبيرة ، ومن ثم فهى تسعى لتصفية القضية وفقا للترتيبات الإسرائيلية والأمريكية ، يساعدها على ذلك إرادة عربية ودولية شبه غائبة أو مُغَيَّبَة أحيانا أخرى .

ورغم نجاح إسرائيل فى تجزئة الصراع العربى الإسرائيلى باتفاقات السلام التى تمت بينها وبين بعض الأطراف العربية ، فالفرصة مازالت متاحة لترميم هذا الاختراق أو هذا الصدع ، إن ذلك لا يعنى إلغاء ما سبق من اتفاقات ، ولكن هناك الكثير من الوسائل والأدوات التى يمكن بواسطتها استعادة الجانب العربى للمبادأة خاصة فيما يتعلق بمستقبل القدس ، ومن ثم فسيتم تناول موضوعنا هذا من خلال المباحث الثلاثة التالية :

القدس والخيارات الدولية ، القدس والخيارات الإقليمية ، القدس: خيارات للمستقبل – رؤية شخصية .

المبحث الأول

القدس والخيارات الدولية

تتباين المواقف والتوجهات الدولية بالنسبة لقضية القدس لما لها من حساسية شديدة من المنظورين التاريخي والديني ، كما تتباين أيضا مواقف بعض الدول والأطراف وذلك بين ما تعلنه من مواقف ، وبين ما تقوم به من إجراءات ، الأمر الذى يزيد من تشعب القضية وغموضها ، مما يزيد الأمر تعقيدا ، ومن ثم فإن أى محاولة لاستشراف آفاق المستقبل بالنسبة للقضية لابد لها أن تتناول كلتا الرؤيتين الظاهرة أو غير الظاهرة لجميع الأطراف بغية استكشاف نقاط الالتقاء وتثبيتها ، ونقاط الخلاف ومحاولة تضييق هوتها دون الالتفاف حولها ، وصولا إلى تحقيق الحد الأدنى من مطالب كل من الفلسطينيين والإسرائيليين . وسيقتصر تناولنا فى سياق ذلك على المواقف المحورية الآتية : الأمم المتحدة – الولايات المتحدة – الاتحاد الأوربى والعالم المسيحى.

الأمم المتحدة والمجتمع الدولى

إن وجهة نظر المنظمة الدولية تُبنى فى إطارها العام على قرار تقسيم فلسطين رقم ١٨١ فى ١٩٤٧/١١/٢٩ ، الذى نص على : " إن تدويل القدس هو أنسب وسيلة لحماية جميع المصالح الدينية فى المدينة المقدسة" ، وقد اعتبرتها منطقة قائمة بذاتها Corpus Separatum أن تضم بلدية القدس (إداريا فى هذا الوقت) مضافا إليها القرى المحيطة بها (أبوديس فى الشرق – بيت لحم فى الشمال) على أن ترتبط بوحدة اقتصادية مع الدولتين بعد التقسيم (إسرائيل – فلسطين) .

وقد تأرجحت قرارات المنظمة الدولية بعد ذلك نتيجة لتأثرها بمدى تطور القتال بين العرب وإسرائيل ، إلا أنها حسمت الموضوع فى النهاية بالقرار رقم ١٩٤ فى ١٩٤٨/١٢/١١ الذى يقضى بتدويل القدس .

لقد أدت تداعيات حرب عام ١٩٤٨ إلى تقسيم القدس ، الأمر الذى دفع " لجنة التوفيق " التى شكلت بناء على القرار ١٩٤ إلى التقدم بمشروع لتقسيم القدس إلى قسمين يدير كل منهما إدارة خاصة به ، إلا ما كان له صفة دولية يقوم بتصريف أمورها مفوض يمثل الأمم المتحدة ، ولكن أطراف النزاع رفضوا مقترحات اللجنة .

وتجئ حرب عام ١٩٦٧ لتستكمل إسرائيل احتلال القدس وما تبع ذلك من تداعيات لتغيير معالمها الجغرافية والديموجرافية بغية تهويدها بل واعتبارها عاصمة أبدية لإسرائيل ، ومن ثم فقد دخلت قضية القدس فى دوامة المشروعات ، والمشروعات المضادة ، وبذلك بدأت سلسة جديدة من قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة تشكل فى معظمها رفض المجتمع الدولى للإجراءات الإسرائيلية.

ورغم عدم اعتراف الأمم المتحدة بالإجراءات الإسرائيلية ، إلا أنها فى الوقت نفسه لم تعد تطالب بتطبيق الحل القديم ، واستمر الحال على هذا المنوال إلى أن تم الاتفاق بين الجانبين المعنيين ، السلطة الفلسطينية وإسرائيل ، من خلال إعلان المبادئ واتفاقيتى أوسلو على إرجاء بحث القضية إلى المرحلة النهائية من مباحثات السلام بينهما ، الأمر الذى أدى إلى إبعاد القضية إلى حد كبير عن المنظمة الدولية .

هذا ويميل معظم المجتمع الدولى إلى اعتبار أن حل مشكلة الأراضى العربية المحتلة، وعودة القدس الشرقية إلى العرب (دون تقسيم القدس) قد يكون هو الحل الأنسب ، وذلك باستثناء الولايات المتحدة التى تتحفظ أحيانا وتعارض أحيانا أخرى بغية إبقاء الباب مفتوحا ، الأمر الذى يدعونا إلى ضرورة تناول الموقف الأمريكى بالتفصيل .

الولايات المتحدة الأمريكية

رغم إعلان الولايات المتحدة أنها تتخذ موقفا محايدا فى الصراع العربى الاسرائيلى، إلا أن الحقيقة تخالف ذلك ، فهى تنحاز إلى إسرائيل بشكل مباشر ، وتعلن فى كل مناسبة ضمانها ليس فقط لأمن إسرائيل، بل لتفوقها النوعى والكمى على العرب ، وتعمل على عرقلة أى قرارات للشرعية الدولية وتحاول التصدى لها وآخرها موقفها من أحداث نفق البراق . إن التحليل الدقيق للموقف الأمريكى يشير إلى أن ما يميز موقفها الرسمى من قضية القدس هو العمل على تغليب العوامل الإستراتيجية والسياسية على العوامل

التاريخية والقانونية وذلك للحد الذى قامت فيه باستخدام حق الفيتو عدة مرات لعرقلة إدانة الإجراءات الإسرائيلية فى القدس ، ثم كانت موافقة الكونجرس على نقل السفارة الأمريكية للقدس ، الأمر الذى يتعارض مع قرارات الشرعية الدولية . ونظرا لمحورية الدور الأمريكى فى المنطقة ، فقد يكون من المناسب تناول هذا الدور بشكل أكثر تفصيلا .

١- الرؤية الأمريكية فى المرحلة من عام ١٩٤٧ حتى ١٩٦٧

أيدت الولايات المتحدة فى ١٩٤٧/١١/٢٩ قرار التقسيم رقم ١٨١ الذى ينص فى أحد بنوده على إنشاء نظام خاص للقدس (تدويلها) واعتبارها كيانا منفصلا يخضع لنظام دولى خاص ، تتولى الأمم المتحدة إدارتها ، ويعين مجلس وصاية يقوم بأعمال السلطة الإدارية نيابة عن الأمم المتحدة . وعندما تشكلت لجنة التوثيق السابق الإشارة إليها - والتى كانت الولايات المتحدة عضوا بها - أيدت فى البداية القرار ١٨١، إلا أنه استجابة للضغوط الأمريكية فقد بدأت اللجنة فى التخلى عن فكرة التدويل والمطالبة بتقسيم المدينة إلى قسمين (القسم الغربى الذى احتلته إسرائيل ، والقسم الشرقى الذى بقى من القدس فى يد العرب) مع المطالبة بتدويل الأماكن المقدسة فقط ، حيث يشكل مجلس أعلى من ممثلين عن العرب والإسرائيليين يرأسه مفوض تابع للأمم المتحدة يكون مسئولا عن الأماكن المقدسة ، وحماية حقوق الإنسان ، بالإضافة لصفته الإشارة للمجالس البلدية التى تنشأ فى كل من القسمين الشرقى والغربى (يعين الأعضاء فى المجلس المركزى من هذين المجلسين) ، إلا أنها رغم ذلك رفضت الاعتراف بالقدس الغربية عاصمة لإسرائيل ، ورفضت كذلك الاعتراف بالقدس الشرقية عاصمة ثانية للأردن .

٢- الرؤية الأمريكية فى المرحلة من عام ١٩٦٧ حتى عام ١٩٩٦

أ- تبدأ هذه المرحلة عقب حرب عام ١٩٦٧ واحتلال إسرائيل للقدس الشرقية وإعلانها عاصمة موحدة لها ، حيث تحدد الموقف الأمريكى ببيان السفير " آرثر جولدبرج " الذى أعلنه فى المنظمة الدولية فى ١٩٦٧/٧/١٤ والذى يعد حتى الآن المرجعية الرسمية للموقف الأمريكى رغم بعض الطروحات الأخرى المتناثرة هنا وهناك ، وقد احتوى البيان على أبرز العناصر التالية :

- أن تقرير المستقبل النهائى للقدس ككل يتم عبر الحل العام لمشكلة الشرق الأوسط.
- الدعوة لفرض رقابة دولية على الأماكن المقدسة .
- رفض الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل أو نقل السفارة إليها .
- تعتبر القدس الشرقية منطقة محتلة تخضع لقانون الاحتلال الحربى ، ولا يجوز لإسرائيل أن تدخل عليها أية تغييرات ، وأن التغييرات التى قامت بها تعد باطلة ولا تمثل حكما مسبقا على الوضع النهائى والدائم للمدينة .

ب- أدخلت مبادرة روجرز فى أواخر عام ١٩٦٩ تغييرات جديدة فيما يتعلق بالقدس :
- حصر الحل فى إطار مفاوضات عربية إسرائيلية .
- عدم الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل وعدم نقل السفارة إليها .
- عدم الإشارة إلى العناصر الواردة فى بيان "جولدبرج " .

وفى نفس الفترة أكد السفير" شارلز يوست" مندوب الولايات المتحدة فى مجلس الأمن نفس الموقف فى ١٩٦٩/٧/١ وأعلن : "أن القدس التى وقعت تحت سيطرة إسرائيل فى حرب عام ١٩٦٧ ، مثلها مثل مناطق أخرى احتلتها إسرائيل ، تعتبر مناطق محتلة تخضع لنصوص القانون الدولى الذى ينظم حقوق والتزامات دولة الاحتلال ، القائلة بأن دولة الاحتلال لا يحق لها أن تحدث تغييرات فى القوانين أو الإدارة" .

ج- تمسكت بعد ذلك إدارة "الرئيس كارتر" ببيان "جولدبرج" بالإضافة للعناصر الواردة فى مبادرة روجرز غير أنها أضافت العناصر التالية :
- عدم إدراج قضية القدس فى متن اتفاقيات "كامب ديفيد" وحصر ذلك فى خطابات متبادلة تلحق بالاتفاقية (خطاب الرئيس "جيمى كارتر" الموجه "للرئيس السادات" ، الذى حدد فيه الموقف الأمريكى من القدس بأنه نفس الموقف الذى أعلنه السفير "جولدبرج" فى مجلس الأمن فى ١٤/ ٧/ ١٩٦٧ .
- اعتبار أن للقدس وضعا يختلف عن بقية الأراضى المحتلة وتعامل على نحو منفصل.
- تأييد اشتراك سكان القدس فى أعمال سلطة الحكم الذاتى ، دون مد سلطة هذا الحكم على القدس .

د- تتولى إدارة الرئيس "ريجان" تمسكها بنفس المبادئ العامة السابقة مع بعض الإضافات هى الأخرى كما يلى :

- بقاء المدينة موحدة وتقرير وضعها النهائى فى المفاوضات .
- عدم الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل أو نقل السفارة إليها .
- مشاركة سكان القدس فى الانتخابات وليس الترشيح خلال الفترة الانتقالية .
- إدراج القدس كمدينة إسرائيلية فى سجلات وزارة الخارجية .
- شراء أراض عربية من إسرائيل لبناء السفارة عليها .

(وقع الجانبان فى هذا الصدد اتفاقية فى ١٩٨٩/١/١٨ على أن يتم بناء ونقل السفارة عام ١٩٩٦) .

هـ- جاءت بعد ذلك إدارة "بوش" لتؤكد تمسكها بالمبادئ السابقة مع بعض التعديلات كذلك:

- التأكيد مجددا على أن القدس الشرقية أرض محتلة مع إدخال بعض التغييرات على أرض الواقع .
- التغاضى عن عملية الاستيطان فى القدس الشرقية .

و- فى النهاية جاءت إدارة الرئيس الحالى "كلينتون" لتحدث نوعا من التغيير النوعى بالنسبة للقضية :

- اعتبار القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل .
- صدور قرار الكونجرس بمجلسيه بنقل السفارة إلى القدس .
- الامتناع عن نقل السفارة إليها إلى أن يتم التوصل إلى حل لها عبر المفاوضات النهائية .

٣- كما يلاحظ منذ عام ١٩٦٩ حرص الولايات المتحدة على تقليص دور الأمم المتحدة فى قضية فلسطين والنزاع العربى الاسرائيلى ، وتدخلها المباشر فى ذلك ، ومن ثم لم تصدر بعد عام ١٩٧١ أية قرارات لمجلس الأمن بشأن القدس حتى كان عام ١٩٨٠ الذى صدر فيه قرارا مجلس الأمن رقما ٤٧٦ ، ٤٧ فى النصف الثانى من عام ١٩٨٠ انتقد فيه تشريع الكنيست الاسرائيلى للقانون الأساسى للقدس ، واعتباره باطلا ، حيث امتنعت عن التصويت على القرارين ، إلا أنها عادت إلى استخدام حق الفيتو لإسقاط مشروع قرار "باعتبار المستوطنات فى الأراضى المحتلة بما فيها القدس غير شرعية" .

٤- عادت الولايات المتحدة حاليا لنهجها القديم الذى يهدف إلى عرقلة مناقشة القضية فى المنظمة بعد الاتفاق الفلسطينى الإسرائيلى ، وتأجيل مناقشتها للمرحلة النهائية ، بإعلان مندوبتها فى الأمم المتحدة "مادلين أولبريت" أن : " المنظمة الدولية ليست هى المكان المناسب لمناقشة حل هذه القضية ، وأن مكانها المناسب هو المفاوضات الثنائية بين الجانبيين ".

٥- هكذا يبدو التراجع المستمر فى المواقف الأمريكية حيال القدس ، والذى يمكن تلخيص جوهره الحالى فى الآتى : ما يزال الموقف الأمريكى دبلوماسيا وتشريعيا يبدو ظاهريا كما هو ، بمعنى أنها ترفض الموقف الاسرائيلى ولا تعترف به ، لكنها فى الوقت ذاته تتغافل وتوافق على كل ما تفعله إسرائيل من عمليات لفرض الأمر الواقع ، وهى تسعى فى هذا السياق لحث الأطراف المعنية للتوصل إلى حل للقضية دون الضغط على إسرائيل ، الأمر الذى يؤدى لأن تكون كل الخيارات الممكنة المطروحة فى صالح إسرائيل (ضم المدينة إداريا وتشريعيا - تغيير هويتها الديموجرافية - شراء أو مصادرة الأراضى العربية - محاصرة المدينة بالمستوطنات ...) ، كما يبدو أن مسألة الاعتراف بالقدس الموحدة عاصمة لإسرائيل قد حسمت ، وأن نقل السفارة إليها ما هى إلا مسألة وقت ، أما موضوع السيادة والترتيبات الإدارية فهى تهدف إلى تفرد إسرائيل بالفلسطينيين من مركز القوة فى غياب أى رادع أمريكى .

موقف العالم المسيحى

١- رغم الخلافات الدينية بين المسيحية واليهودية بالإضافة لكون القدس هى "المدينة المقدسة الأولى" للمسيحيين ، والتى اتخذ الفاتيكان من منطلقيهما سياسة عدم الاعتراف بإسرائيل ، إلا أنه فى إطار المتغيرات الدولية الأخيرة نجحت إسرائيل فى إيجاد صيغة للتفاهم بين المسيحية واليهودية ، الأمر الذى أدى إلى اعتراف الفاتيكان عام ١٩٩٤ بإسرائيل ، إلا أنه لم يغير موقفه الداعى إلى تدويل القدس ، ويعد ذلك مكسبا كبيرا لإسرائيل ، وأن ما فى موضوع القدس ما هو إلا مسألة وقت .

٢- عقد بالقاهرة فى ١٩٧٥/١/١٦ لقاء إسلامى مسيحى من أجل إنقاذ القدس كانت أبرز قراراته : إدانة الإجراءات الإسرائيلية لتغيير الطابع المميز للقدس ودعوة مجلس

الأمن للانعقاد من أجل فرض العقوبات المناسبة على إسرائيل تطبيقا للفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة ، نظرا لعدم إذعان إسرائيل وتحديها لقرارات الأمم المتحدة ، إلا أن شيئا من ذلك لم يتحقق .

٣- طرح أحد المطارنة (نعمه السمعان) بعمان فى ٢٣/ ١٩٧٧/٩ مشروعا مبدئيا غير متكامل لمستقبل القدس :

- أن تعود القدس العربية (الشرقية) كاملة إلى أهلها الشرعيين كما كانت قبل حرب عام ١٩٦٧.

- أن تضع الأمم المتحدة دستورا يشمل القدس الشرقية ، والقدس الغربية دون تفرقة أو تمييز ، ويحفظ الوحدة لمدينة القدس بجزئيها العربى واليهودى .

- يضمن هذا الدستور بالإضافة إلى وحدة القدس النقاط التالية

* أن تكون القدس مدينة مفتوحة ، أى لا حرب فيها وذلك ضمانا وحفاظا على مقدساتها من الدمار .

* أن يضمن دستور المدينة حرية الوصول للعبادة لجميع الأديان "Free Access" بدون عائق أو صعوبة .

* تقوم السلطة العربية بتنفيذ هذا الدستور فى القدس الشرقية ، كما تقوم السلطة الإسرائيلية بتنفيذ هذا الدستور فى القدس الغربية ، مع ضمان الوحدة بينهما .

* تشرف الأمم المتحدة على تنفيذ هذا الدستور .

٤- مازال البابا شنودة فى مصر يتخذ موقفا متشددا بالنسبة لمنع المسيحيين الشرقيين من الحج إلى القدس إلا بعد التوصل لحل لمشكلتها .

٥- وهكذا نجد أن العالم المسيحى الغربى لم يعد متشددا بالنسبة لموضوع القدس كما كان من ذى قبل ، وأن المستقبل ينبئ بأن مسألة السيادة على القدس الشرقية ككل قد يكون مرنا فيها فى مقابل وضع وترتيبات خاصة للمناطق المقدسة فقط .

المبحث الثانى

القدس والخيارات الإقليمية

تطور الفكر الفلسطينى والعربى والإسلامى

رفض العرب والفلسطينيون – من موقف مبدئى منذ البداية – قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ لسنة ١٩٤٧ الخاص بتقسيم فلسطين وتدويل القدس ، كما رفض العرب أيضا مقترحات لجنة التوفيق المنبثقة عنها ، وظل ذلك هو الموقف الرسمى للعرب حتى قامت حرب عام ١٩٦٧ واحتلال إسرائيل لما تبقى من القدس (القدس الشرقية) ، وما تلى ذلك من تداعيات الضم والتوحيد ثم التهويد ، الأمر الذى أدى إلى تحول العرب إلى أرض الواقع ، ومن ثم فقد انحصرت جهودهم فى استعادة الأراضى المحتلة بعد عام ١٩٦٧ وفى مقدمتها القدس الشرقية (فقط).

١- **الموقف العربى حتى الآن :** فى هذا الإطار رفض الفلسطينيون والعرب عمليات الاستيطان والتغييرات الجغرافية للمدينة ، وتوحيدها واعتبارها عاصمة لإسرائيل ، وذلك من خلال استصدار العديد من القرارات التى تبطل أى أعمال تقوم بها إسرائيل لتغيير الوضع الجغرافى والديموجرافى للمدينة ، وانحصرت جهودهم فى المنظمة الدولية وفى مؤتمرات القمة العربية لعدم قدرتهم على استعادتها بالطرق العسكرية أو أعمال المقاومة ، وعلى سبيل المثال أكد مؤتمر القمة العربى الذى عقد ببغداد عام ١٩٧٨ على تحرير مدينة القدس العربية حيث شملت قراراته : تحرير مدينة القدس العربية وعدم القبول بأى وضع من شأنه المساس بسيادة العرب الكاملة على المدينة المقدسة ، كما جاء فى قرارات مؤتمر القمة العاشر الذى عقد بتونس عام ١٩٧٩ ما يؤكد الاستمرار فى العمل على تنفيذ قرارات مؤتمر بغداد فيما يتعلق بمدينة القدس .

المنعطف التالى فى تناول قضية القدس كان اتفاقية كامب ديفيد التى أشير فى الخطابات المرفقة بها إلى القدس الشرقية ووضعها ، وكان قد تم الاتفاق على تبادل هذه الخطابات بين الرئيسين " جيمى كارتر ، وأنور السادات " (لم يتم تبادلها مع مناحم بيجين)

ثم إلحاقها بالاتفاقية ، "وقد سبق الإشارة إلى مضمون خطاب الرئيس "جيمى كارتر" فى المبحث الأول ، أما خطاب "الرئيس السادات" فى١٩٧٨/٩/١٧ فقد اشتمل على :

- تعتبر القدس العربية جزءا من الضفة الغربية ويجب احترام وإعادة الحقوق العربية الشرعية والتاريخية فى المدينة .
- أن القدس العربية يجب أن تكون تحت السيادة العربية .
- أن من حق السكان الفلسطينيين أن يمارسوا جميع حقوقهم الوطنية المشروعة بوصفهم جزءا من الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية .
- أن القرارات الصادرة من مجلس الأمن وخاصة القرارين رقمى ٢٤٢ ، ٢٦٧ يجب أن يطبقا على القدس ، وتعتبر كافة الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل لتغيير وضع المدينة لاغية وغير قائمة ويجب إبطال آثارها .
- يجب أن تتوافر لجميع الشعوب حرية الوصول إلى القدس وممارسة الشعائر الدينية وحق زيارة الأماكن المقدسة دون أى تمييز أو تفرقة .
- يجوز وضع الأماكن المقدسة لكل دين من الأديان الثلاثة تحت إدارة وإشراف ممثل لهذا الدين .
- ينبغى ألا تقسم الوظائف الضرورية فى المدينة ، ويمكن إقامة مجلس بلدى من كل من العرب والإسرائيليين للإشراف على تنفيذ هذه الوظائف ، وبهذه الطريقة فإنه لا يتم تقسيم المدينة .

يعد هذا الخطاب موافقة مبكرة من مصر على "عدم تقسيم المدينة وبأن تظل موحدة ".

- لم يكن هناك أى نشاط عربى إيجابى اللهم إلا أعمال المقاومة الفلسطينية وأعمال الانتفاضة فى محاولة ليس لاسترجاع فلسطين والقدس ، لأن ذلك خارج القدرات الفلسطينية ، وإنما للتأكيد لإسرائيل وللعرب وللعالم أن هناك شعبا مازالت دماؤه تنبض ، ومن ثم يجب أن تظل القضية حية .
- وهكذا استمر هذا النمط العربى والفلسطينى غير المجدى فى محاولة مواجهة تهويد المدينة واستكمال تغيير معالمها من خلال فرض أمر واقع جديد عليها . وقد توقف العرب فى هذا الصدد رسميا عن تقديم أية تصورات لحلول مستقبلية للمدينة ووضعها، مكتفين بما قررته منظمة التحرير الفلسطينية والقمم العربية التى وافقت على موقف

منظمة التحرير ، وقرارات منظمة المؤتمر الإسلامى التى ساندت هذا الموقف والذى يتلخص فى :

" أن القدس الشرقية هى عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة بعد إنهاء احتلالها " إن خلاصة الموقف العربى تتركز فى أنه ليس لديه ، ولا يناقش ، أية أفكار جديدة علنية أو رسمية ، والثبات عند موقفه القديم وهو :" ضرورة انسحاب إسرائيل من القدس الشرقية وتفكيك المستوطنات التى أقيمت فيها ، واعتبارها عاصمة لدولة فلسطين حين استقلالها " وذلك دون تفاصيل وآليات لتحقيق هذه الأهداف .

نصل بذلك إلى أن الموقف العربى فى مجموعه قد اتسم بالسلبية رغم امتلاكه من الأدوات والآليات التى تمكنه من ممارسة دور فعال على المستويين الدولى والإقليمى ، كما أن الموقف العربى فى عمومه يمكن القول بأنه لم يعارض توحيد القدس وإن كان ذلك بشكل غير مباشر .

٢- **الدور الإسلامى :** كانت القضية الفلسطينية هى المحور الذى توحدت حوله اهتمامات الدول الإسلامية ، حيث أجمعت على تبنى الموقف العربى المتعلق بقضية القدس وبقية الأراضى العربية المحتلة ودعمه فى المحافل الدولية ، ومن ثم فقد اتخذت منظمة المؤتمر الإسلامى التى تشكلت عام ١٩٦٩ فى أعقاب حريق المسجد الأقصى موقفا موحدا تبلور فى تشكيل "لجنة القدس" من "١٤" دولة إسلامية يرأسها ملك المغرب تهدف إلى تحرير المدينة المقدسة ، إلا أن واقع الأمر هو أنه لا منظمة المؤتمر الإسلامى ، ولا لجنة القدس تمكنت من القيام بأى دور إيجابى يهدف إلى التحرير الحقيقى لمدينة القدس رغم أن الأخيرة أصدرت فى ١٩٨٠/٣/١٢ فى المغرب ضمن توصياتها : " أن اللجنة تؤكد مناشدتها لملوك ورؤساء الدول الإسلامية اتخاذ مواقف حازمة بما فيها قطع العلاقات الدبلوماسية و الاقتصادية مع الدول التى تقرر نقل سفاراتها إلى القدس أو تعترف بضم القدس إلى الكيان الصهيونى " . ويمكننا فى النهاية تلخيص الموقف الإسلامى فى عمومه أيضا بالسلبية ليتساوى فى ذلك مع الموقف العربى .

٣ - **أما الموقف الفلسطينى :** فهو ما تم إقراره بواسطة المجلس الوطنى الفلسطينى عام ١٩٨٨ " والقاضى بإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشرقية " وهو موقفها المعلن

حتى الآن ، إلا أن هناك اتجاهات قوية داخل السلطة الفلسطينية تشير إلى إمكانية الموافقة على إقامة العاصمة الفلسطينية فى القدس الشرقية فى إطار القدس الموحدة ، على أن تكون عاصمة لدولتى إسرائيل وفلسطين من خلال ترتيبات يتفق عليها ، وفى هذا السياق تشير الرؤية الحالية للسلطة الفلسطينية إلى إبراز الثوابت التالية : رفض تدويل القدس - رفض إقامة مدينة جديدة يطلق عليها القدس لتكون عاصمة لفلسطين - رغم عدم الموافقة على وضع الأماكن المقدسة تحت الإشراف الأردنى ، إلا أنها قامت بتجميد هذا الخلاف فى الوقت الحالى ، حتى لا تحقق لإسرائيل هدفها المتمثل فى شق الصف الفلسطينى الأردنى .

كان ذلك عن الموقف المعلن وغير المعلن للسلطة الفلسطينية ، غير أن هناك أفكارا أخري غير رسمية لبعض المفكرين والمسئولين الفلسطينيين ، نعرض لأبرز أفكارهم فيما يلى :

رؤية السيد فيصل الحسينى

" إذا كنا نسعى لحل مشكلة القدس علينا إلغاء التقسيم والبدء فى البحث عن حل ، والحل الصحيح هو مدينة مفتوحة يشعر كل من الجانبين الإسرائيلى والفلسطينى أنها عاصمة له ، عاصمة تعاون بدلا من أن تكون عاصمة إسرائيلية معزولة " . ويكتسب رأى السيد فيصل الحسينى أهميته من كونه أحد العناصر الفلسطينية النشطة التى تتمتع بالمصداقية ولكونه يشغل منصب المسئول عن ملف القدس فى السلطة الفلسطينية ، ويعد رأيه هذا رأيا جريئا ربما يلتقى مع آراء بعض المفكرين على الطرف الآخر ، إلا أن هذا الرأى رغم رجاحته للوهلة الأولى ينقصه الكثير من التفاصيل والآليات حتى يمكن إكسابه قوة دفع مناسبة فى مواجهة المشروعات والأفكار المتعددة المطروحة على الساحة .

رؤية د. أحمد صدقى الدجانى

وتتميز بأنها رؤية شاملة تتناول القدس فى إطار القضية الفلسطينية من خلال ما يشير إليه من حل "ديموقراطى بديلا عن الحل العنصرى" .

" إن القدس عاصمة فلسطين التى هى وطن لشعبها العربى الفلسطينى أحد شعوب الأمة العربية ، وأن ما يهددها يهدد الوطن العربى كله ، وهى قضية وطن وأرض وقضية

تحرير ، وفلسطين وطن واحد لشعب واحد فيه مسلمون ونصارى ويهود ، ولم تكن قط وطناً لشعبين ، فاليهودية دين وليست قومية ، بينما الصهيونية مركز استعمار استيطانى عنصرى . فإذا كان الغزو الصهيونى الاستعمارى قد بدأ بالتسلل فالتغلغل فالاحتلال فالضم فالاغتصاب وصولا للتهويد ، فإن التحرير يبدأ بصمود الشعب الفلسطينى فممارسة مقاومة الاحتلال فتصعيد هذه المقاومة بروح الفداء ، وصولا إلى الحل الديمقراطى الذى هو بديل الحل العنصرى الصهيونى ، ومن ثم فإن علينا أن نستذكر آلية التحرير كما استذكرنا آلية التهويد "

ويكتسب هذا الرأى أهميته لشغل د. الدجانى منصب رئيس المجلس الأعلى للتربية والثقافة والعلوم الفلسطينى . وفى مجال تحليل هذه الرؤية تبدو لنا أنها رؤية شاملة بعيدة المدى ذات بريق ، إلا أنها تفتقد الآليات الواقعية رغم تناوله لبعض الآليات العامة ، ومن ثم فإنه يقدم طرحا غير قابل للتطبيق .

رؤية السيدة سميرة أبو غزالة ، رئيسة اتحاد المرأة الفلسطينى

تتشابه رؤيتها مع رؤية د. الدجانى إلى حد كبير فى مسألة النفس الطويل فى إطار تخطيط بعيد المدى مثل تخطيط مؤتمر بازل ، إلا أنها لا توضح تصورها لآليات التنفيذ كما أوضحها د. الدجانى .

٤ – الرؤية الأردنية

– تتميز العلاقات الأردنية الفلسطينية بالخصوصية ، نظرا لطبيعة النشاطات والامتدادات التاريخية والديموجرافية والاقتصادية والسياسية بين ضفتى نهر الأردن ، لذا فقد مر التاريخ المعاصر للشعبين بمنعطفات شهدت خلافات حادة وصلت إلى حد اللجوء إلى السلاح ، ومنعطفات أخرى شهدت أشكالا مختلفة من التعاون والتنسيق ، وقد دخلت هذه العلاقات على ضوء توجهات السلام الحالية بالمنطقة فى مرحلة جديدة بالغة الأهمية والتأثير على مستقبل كل منهما .

– فقد تضمن إعلان المبادئ بين المنظمة وإسرائيل ضرورة اضطلاع المنظمة بمهام التنسيق والتعاون الإقليميين مع الأردن فيما يتعلق بالضفة الغربية ، وفى القضايا ذات الاهتمام الإقليمى المشترك . وقد اتجهت المنظمة فى البداية إلى تأجيل هذا التنسيق

لصالح دفع اتفاقها مع إسرائيل إلى الأمام ، وخصوصا فى مسألتى الانسحاب الاسرائيلى وتطبيق الحكم الذاتى بدءا بمنطقتى غزة وأريحا ، وانتهاءً بكامل الضفة الغربية .

– ومن ناحيته سعى الأردن للتأكيد على أن التنسيق معه يجب أن يسبق أو يتزامن مع مثيله بين المنظمة وإسرائيل ، نظرا لأن أى اتفاق فلسطينى – إسرائيلى لابد أن تكون له انعكاساته عليه ، وعندما لم تتوافق المنظمة معه فى هذا التوجه ، بدأ الأردن يعيد ترتيب أولوياته تجاه الإسراع بالتفاوض مع إسرائيل .

– فى ظل هذه المتغيرات قام الجانبان بالتوقيع على اتفاقيتين متتاليتين فى أواخر عام ١٩٩٣ وأوائل عام ١٩٩٤ يتضمنان مجالات أوسع للتنسيق والتعاون السياسى والاقتصادى ، ومن ثم فقد كان مفترضا أن تبدأ صفحة جديدة فى العلاقات بين الجانبين، إلا أن قوة الدفع نحو التنسيق فقدت قوتها بسرعة من خلال سلسلة الاتفاقيات التى عقدها الجانبان مع إسرائيل والتى كان آخرها إعلان واشنطن بين الأردن وإسرائيل فى أغسطس ١٩٩٤ ثم التوقيع على معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية فى أكتوبر من نفس العام ، الأمر الذى أثار العديد من الهواجس الفلسطينية التى كان أبرزها الاعتراف الاسرائيلى بدور خاص للأردن فى حماية المقدسات الإسلامية فى القدس ، وكان قد سبق ذلك قرار مجلس الوزراء الأردنى فى ١٩٩٤/٩/٢٨ بقطع الروابط الإدارية والقانونية المتعلقة بالإشراف على الشئون الدينية فى الضفة الغربية فيما عدا القدس الشرقية وعلى الجانب الآخر كان لدى الأردن نفس الهواجس حينما انفردت المنظمة بتوقيع إعلان المبادئ مع إسرائيل .

– لقد زاد من هواجس الأردن أن طبيعة الخلافات بين المنظمة وبين إسرائيل اقتصرت على الشق الخارجى لقضايا الحدود والأمن والمعابر بين منطقتى الحكم الذاتى فى غزة وأريحا مع كل من الأردن ومصر بما يمكن أن نفهم منه أن المنظمة تسعى إلى ترسيم حدود الكيان الفلسطينى مع الخارج ، بينما لا تفعل نفس الشئ بتحديد حدودها مع إسرائيل ، ومن ثم بدأت التساؤلات فى الأردن حول مغزى ذلك : هل يجرى الإعداد لكونفيدرالية إسرائيلية / فلسطينية ، وأن الحديث عن كونفيدرالية أردنية / فلسطينية ليس أكثر من غطاء للتمويه ؟

- لقد انعكس ذلك على الموقف من مدينة القدس الشرقية ، حيث تعمق الخلاف وعدم الثقة بين الأردن والسلطة الفلسطينية بعد توقيع معاهدة السلام الإسرائيلية / الأردنية ، وهو ما هدفت إليه إسرائيل . لقد استند الأردن فى موضوع الإشراف على المناطق المقدسة (موضوع الخلاف) إلى أن الإشراف كان قائما قبل وبعد حرب عام ١٩٦٧ ، وأن قرار ترك الارتباط القانونى والإدارى بالضفة كان قد استثنى القدس ومؤسساتها الدينية ، وقام الجانب الأردنى من جانبه بتقديم إيضاحات حول جواز التمييز بين ولايته الدينية ، وبين السيادة السياسية ، وأن الجانب الأخير متروك للسلطة الفلسطينية لتسويته بشكل كامل مع إسرائيل .

أما الموقف الفلسطينى فقد استند على عدة محاور

* أن اعتراف إسرائيل بدور محورى للأردن فى رعاية الأماكن المقدسة سيعنى تسليم الأردن بسيادة إسرائيل على القدس الشرقية ، الأمر الذى سيؤدى إلى إضعاف الموقف التفاوضى الفلسطينى بالنسبة للمدينة .
* رفض مبدأ تقسيم القدس إلى شقين : سياسى ودينى ، وهو التقسيم الذى أشار إليه رابين فى يوليو ١٩٩٤ حين قال : هناك فصل فى اتفاق واشنطن بين المشكلة السياسية والمشكلة الدينية الخاصة بالأماكن المقدسة وأن الإقرار للأردن بالولاية الدينية فيه تدعيم لاستراتيجية الفصل الإسرائيلية " .
* التأكيد على أن القدس الشرقية هى جزء من الضفة الغربية ، وهى عاصمة الدولة الفلسطينية فى المستقبل، وهى تخضع للقرار ٢٤٢ باعتبارها أرضاً محتلة .
* استحدثت السلطة الفلسطينية فى ١٤ أغسطس ١٩٩٤ وزارة فلسطينية تعنى بشئون الأوقاف والمقدسات الإسلامية فى أراضى الحكم الذاتى بما فيها القدس ، كما تم تعيين الشيخ " عكرمة صبرى " مفتياً للقدس بدلا من الراحل الشيخ "سليمان الجعفرى" ، وكان الأردن هو الذى يتولى التعيين فى هذا المنصب .
* وأخيرا أجرت مؤسسة الأبحاث والدراسات الفلسطينية استطلاعا للرأى فى الضفة الغربية انقسم فيه الفلسطينيون ما بين مؤيد للارتباط بالأردن ، وما بين مؤيد لقيام دولة مستقلة عن الأردن ، وكانت الغالبية فى جانب مؤيدى الارتباط بالأردن خاصة داخل مدينتى نابلس والخليل :

مؤيد لقيام دولة مستقلة عن الأردن	٤٠٪
مؤيد لوحدة كاملة بين ضفتي الأردن	٣٠٪
	٥٩٪
مؤيد لكونفيدرالية مع الأردن	٢٩٪

تطور الفكر الإسرائيلى بالنسبة لقضية القدس

منذ إعلان إسرائيل الضم الرسمى للقدس فى الأيام الأولى لاحتلالها عام ١٩٦٧ وإصدارها "أمر القانون الأساسى والنظام رقم (١) لسنة ١٩٦٧ فى ١٩٦٧/٦/٢٧" ، ورفضها الانصياع لقرار مجلس الأمن رقم ٢٢٥٣ فى ١٩٦٧/٧/٤ ، تحدد الموقف الرسمى للحكومة الإسرائيلية ، بل ولغالبية القوى والأحزاب السياسية الإسرائيلية " بأن القدس عادت من جديد مدينة موحدة بعد أن ظلت مجزأة منذ عام ١٩٤٨ ، وأنه لا يمكن القبول بإعادة تجزئتها من جديد فى أية تسوية سياسية " وهكذا حتى كان عام ١٩٦٨ حيث تم وضع أول مخطط إسرائيلى لتنظيم مدينة القدس على أساس موسع باعتبارها المدينة المركزية الكبرى ، ليس هذا فحسب بل إن الموقف الرسمى لإسرائيل اتجه نحو اعتبار القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل ، يستوى فى ذلك مواقف الحكومات المختلفة ، غير أن الحكومات العمالية المختلفة لم تتخذ قانونا دستوريا فى هذا الصدد بعكس حكومة الليكود (بيجين) التى اتخذت الإجراءات التشريعية واستصدرت قانونا لتكريس وفرض الأمر الواقع ، ثم الحكومة الحالية برئاسة نيتانياهو التى تسير على نفس نهج "بيجين" وربما أكثر تشددا منه .

وبالإضافة للمواقف الرسمية الإسرائيلية فإنه يمكن رصد بعض الإرهاصات والأفكار الإسرائيلية فيما يتعلق بمستقبل القدس ، وأبرزها ما أعلنه "ليفى اشكول" رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق حيث قال : " لا الملك حسين ولا ليفى اشكول يستطيعان التنازل عن القدس ، ولذلك يجب أولا توسيعها ثم تقسيمها من جديد (لم ينشر هذا فى حينه) ، وفى عام ١٩٧١ قامت وزارة الخارجية الإسرائيلية بإعداد تصورها فى شكل مشروع عرف باسم صاحبه "د. ميرون بنفنستى" ، وهكذا تتوالى الأفكار والطروحات متمثلة فى طروحات شخصية وحزبية وحكومية غير رسمية ، وهو ما سنلقى الضوء على أبرزها فيما يلى :

١- رؤية د. افلر بنكلر

نشر مشروع د. بنكلر فـى جريـدة " عـل همشـمار " الناطقـة باسـم المابـام فـى ١٩٧٤/٢/٨ ، وقد اعتمد المشروع على ثلاث ركائز هـى : يجب أن تبقى مدينـة القدس موحدة – يجب إعطاء حكم ذاتى جزئـى للشعبين المقيميـن فيهـا – يجب إيجـاد حـل علـى أساس وجود " قوميتين أو سيادتين " فى المدينة ، وهو هنا يطرح إشكالية هى : " يجب أن نعرف كيف نقسم المدينة مع المحافظة على وحدتها " ، وكان أبرز مـا طرحـه هـو اعتبـار القدس الكبرى عاصمة للدولتين الإسرائيلية والعربية ، وتقـوم بهـا جميـع المؤسسـات العليـا لهاتين الدولتين (رئاسة – سلطة تشريعية – مجلس وزراء – دوائر الحكومـة) ، علـى أن تكـون القدس " مدينـة حـرة " مفتوحـة أمـام سكان الدولتيـن المنفصلتيـن ، وتكـون القـدس منزوعة السلاح ، وتقوم الشرطة بالمحافظة علـى النظـام والأمـن العـام ، علـى أن يحتفـظ سكان القدس كلّ بجنسيته الأصلية ، وينشأ فى هذا السياق عدد مـن البلديـات يرأسـها بلديـة مركزية ، على أن تدار المناطق الدينية بواسطة مجالس دينية ، مع وضع سياسـة مشـتركة لتطوير وتنمية المدينة اقتصاديـا ، كمـا اقـترح أن يكـون ذلـك فـى إطـار نـوع مـن الوحـدة الاقتصادية بين الدولتين الإسرائيلية والعربية (كما نـص مشـروع ١٨١ لسـنة ١٩٤٧) أو ما يسمى " بالسوق المشتركة " .

كما قام " تيدى كوليك " بعد ذلك (كـان يشـغل عمـدة مدينـة القـدس لفـترة طويلـة) بطـرح أفكاره التى لا تختلف كثيرا عما طرحه د. بنكلر .

٢ – رؤية حزب المابام

كُشف الستار عن هذا المشروع فى ١٩٧٥/٢/٢٨ حيث بُنى فى مجموعه على أسـاس أن تظل القدس موحدة وعاصمة لدولة إسرائيل ، على أن يتـم تقسيم بلديـة القـدس الكـبرى إلى بلديـات فرعيـة علـى ضـوء الوضـع الديموجرافـى للعـرب واليهـود ، يتمتـع كـل منهـا باستقلال ذاتى واسع النطاق فى المجالات الاجتماعيـة والثقافيـة والتربويـة وفـى أى مجـال آخر بشرط إلا يتعارض ذلك مع المخطط العام للقدس الكبرى .أما بالنسبة للجنسية فيكون " للسكان العرب فى القدس حق الاختيار بيـن الجنسـية الإسرائيلية وبيـن الجنسـية العربيـة ، على أن يتمتع من يختارون الجنسية العربية بكافة الحقوق المدنيـة فـى إسـرائيل عـدا حـق الاشتراك فى انتخابات الكنيست .

تُعلَن القدس القديمة (الشرقية) مدينة سلام للأديان الثلاثة يقوم بها مجلس دينى للأديان الثلاثة يكون مسئولا عن كل ما يتعلق بطابعها الدينى والثقافى ، على أن تظل إسرائيل مسئولة عن تطبيق القانون والنظام العام فيها باعتبارها جزءا لا يتجزأ من مدينة القدس الكبرى ، بما فى ذلك الأماكن المقدسة ، ولكن لا يكون لإسرائيل أى اختصاص أو صلاحية من ناحية إدارة هذه الأماكن وتنظيمها الداخلى . إلا أن أبرز ما جاء به "فكر المابام" هو أنه أشار إلى مشكلة اسماها "منطقة الحرم" والمعنِى بها من وجُهة نظر المسلمين المسجد الأقصى ، ومن وجهة نظر الإسرائيليين " هيكل سليمان " والذى يسعى الإسرائيليون لإقامته مقام الأول ، فقد أشار "المابام" إلى ما يأتى :
" أنه من المفترض دينيا أن يتم بناء هذا المكان ويقوم بعودة المسيح فقط " أى لا يتم العمل على بنائه الآن وأشار فى هذا السياق إلى فقرة من التوراة (إذا لم يبن الله بيتا فعبثا يكون بناء البنائين له) . ويمكن فى هذا الإطار بناء عريشة خاصة تتناسب وقدسية المكان يؤدى فيها اليهود صلواتهم وعلى أن يسن قانون خاص يسمى قانون القدس ، يكون جزءا من القانون الأساسى للدولة (الدستور) ويحدد هذا القانون المكانة الخاصة للقدس كعاصمة لدولة إسرائيل (وهو ما قام به حزب الليكود بعد ذلك فى عام ١٩٨٠).

إلا أن "المابام " عرض تصورا آخر بنى على فريضة أخرى وهى : إقامة اتحاد كونفيدرالى إسرائيلى عربى بين إسرائيل وبين الدولة العربية فى الجهة الشرقية (لم يحددها من هى !!) ، فى هذه الحالة تخرج القدس من تحت السيطرة الإسرائيلية وتدخل تحت سيطرة الاتحاد الكونفيدرالى ، ويحدد على ضوء ذلك منطقة مناسبة داخل مدينة القدس الكبرى لإقامة المؤسسات المركزية لهذا الاتحاد تسمى القدس الكبرى بالمدينة الكونفيدرالية ، على أن يتم ضمان النظام فيها بواسطة شرطة مشتركة إسرائيلية / عربية تخضع للمؤسسات الكونفيدرالية .

٣- وفى عام ١٩٨٤ تم تسريب مشروع يشير إلى إعطاء نوع من الاستقلالية والإشراف العربى الإسلامى على الأماكن المقدسة الإسلامية ، بترتيب وضع مشابه " لحاضرة الفاتيكان " وذلك بالنسبة " للمسجد الأقصى وقبة الصخرة " وفى إطار القدس الموحدة حيث يمكن رفع العلم العربى عليها ، إلا أن "بيجين" اشترط عدم رفع علم أى دولة عربية فى القدس إلا على أبنية سفاراتها بعد الاعتراف بإسرائيل وبالقدس عاصمتها .

٤- رؤية د. عاموس لموتر (أستاذ علوم سياسية يهودى الديانة أمريكى الجنسية - مناصر لإسرائيل) ،

نشرت جريدة " الواشنطن تايمز" فى ٣١ / ٥/ ١٩٩٥ هذه الدراسة التى بدأها بتساؤل : هل تبدأ مفاوضات السلام الفلسطينية الإسرائيلية بالقدس أم تنتهى بها ؟ ، ثم تناول المشكلة من خلال ثلاثة محاور :

المحور الأول : قضية السيادة الإسرائيلية على القدس .

المحور الثانى : قضية السيادة العربية على القدس الشرقية .

المحور الثالث : السيطرة الإسلامية على المناطق الإسلامية المقدسة .

وقد خلص د . لموتر من دراسته إلى اقتراح قيام إسرائيل بتعديل قصورها لسيادتها على القدس من خلال مفهوم المشاركة فى المسئوليات الإدارية مع العرب ، ويرى أن الخطوة الأولى لمشاركة العرب إداريا يمكن أن يتم بإعطائهم " منفذا " (حق) للسيطرة على المناطق الإسلامية المقدسة ، ويقترح أن تتولى ذلك حكومة الأردن ، أو تشكيلة من الدول العربية ، أو منظمة المؤتمر الإسلامى . ويرى كذلك إمكانية تطبيق نفس الأسلوب على المشاركة الإدارية فى مسئوليات القدس الشرقية ، حيث يرى أن تلك الخطوة الأخيرة يجب ألا تسبق المرحلة النهائية من مفاوضات السلام .

ويضيف د. ر لموتر أنه بنهاية محادثات المرحلة النهائية وأيا كانت الهوية السياسية التى ستبرز أو التى يفترض أنها إما أن تكون سلطة للحكم الذاتى أو مجلساً إدارياً (لم يتعرض لاحتمال قيام دولة فلسطينية) فإن هذا الكيان يمكنه إعلان القدس الشرقية عاصمته الإدارية ، وقد ربط كل ذلك بالمرحلة النهائية فقط .

٥- وهكذا دأبت إسرائيل على تسريب مشاريع مختلفة لتسوية مشكلة القدس من منظور فصل الولاية الدينية عن السيادة ، والذى اعتبروه من الثوابت من وجهة نظرهم ، الأمر الذى يعنى قفل باب التسوية مع العرب قبل أن تبدأ ، وهو أسلوب للمناورة وكسب الوقت والتأثير النفسى على العرب .

وعموما فإن الموقف الرسمى الحالى للحكومة الإسرائيلية يحكمه القانون الأساسى (الذى يعد دستورا) الذى أصدره "بيجن" عام ١٩٨٠ والذى يشمل :

- القدس الكاملة والموحدة هى عاصمة إسرائيل .
- القدس هى مقر رئيس الدولة والكنيست والحكومة والمحكمة العليا .
- الأماكن المقدسة ستصان من التدنيس ، وكل إساءة أخرى ، ومن أى شئ قد يضر بحرية وصول أبناء الأديان إلى الأماكن المقدسة ، أو بمشاعرهم نحو تلك الأماكن .
- تشدد الحكومة على تطوير وازدهار القدس ، وتخصص طاقات خاصة بما فى ذلك منحة سنوية لبلدية القدس (منحة العاصمة) ، مع منحها أفضلية خاصة فى نشاطات سلطات الدولة لتطويرها فى المجالات الاقتصادية والمجالات الأخرى .

الاختلافات فى وجهتى النظر الفلسطينية والإسرائيلية

تتضارب الرؤى الفلسطينية والعربية من جانب مع الإسرائيلية على الجانب الآخر ، بشأن الجوهر العام لعملية التسوية انطلاقا من عناصر مبدئية هى : " الأرض مقابل السلام " الذى يطرحه العرب ، "والسلام مقابل السلام" "والأمن مقابل السلام " اللذان تطرحهما إسرائيل ، بالإضافة للطرح الاسرائيلى الجديد الذى تتنصل فيه من تنفيذ ما سبق أن التزمت به إسرائيل ، ناهيك عن التصرفات غير المتفق عليها والتى تتم من جانب واحد بهدف سرعة إقامة أمر واقع جديد على الأرض يفرض نفسه فى المرحلة النهائية من المفاوضات ، والتى تتمثل فى سرعة عملية بناء المستوطنات وشق الطرق وعملية تهويد القدس ، الأمر الذى يصعب معه تقسيم القدس مرة ثانية ، كما يفرض عليها غلبة إسرائيلية كبيرة عند أى تخطيط للإدارة المشتركة لها فى المستقبل ، وهكذا كانت وستظل مشكلة القدس هى أبرز الموضوعات الخلافية بين الجانبين وهو ما سنحاول إلقاء الضوء على أبرزها بشئ من التفصيل .

مسألة الأراضى والولاية الجغرافية

وهى تعنى بالإطار الإقليمى والجغرافى الذى ستمارس عليه سلطة الحكم الذاتى ولايتها ومسئولياتها ، وتعد هذه المسألة إلى جانب موضوع القدس من أهم القضايا الخلافية وأكثرها حساسية :

١- **يتلخص الموقف الإسرائيلي** : فى أنها بعد أن كانت ترفض تكتيكيا الاعتراف بالمناطق التى سيتم إدارتها كوحدة جغرافية ، فإنه طرأ على موقفها التحول بعد ذلك ، واعترفت بأنها تشكل "وحدة جغرافية واحدة "، إلا أن ذلك كان مشروطا بأن يتم تحديد مصير هذه المناطق خلال مفاوضات المرحلة النهائية ، وأن تطبق السلطة الفلسطينية داخل هذه الأراضى طبقا للسلطات التى يتفق عليها فى إطار المفاوضات ، ويتم رغم ذلك استثناء أراضى المستوطنات ، والقدس ، والأراضى المخصصة لأغراض الأمن (الطرق الرئيسية – معسكرات الجيش – مناطق التدريب) من هذه الوحدة الجغرافية . كما لا تزال إسرائيل ترفض رسم خرائط لسلطة الحكم الذاتى طوال الفترة الانتقالية ، حتى لا يعد ذلك تحديدا مسبقا يمكن أن يشكل إلزاما لها فى المستقبل . وترى إسرائيل أن يتم بحث الموضوع من منظور :" السيادة – الملكية – إدارة الأراضى " مع الوضع فى الاعتبار أن مسألة السيادة مؤجلة إلى المرحلة النهائية ، أما مسألتا الملكية والإدارة فإنها تقترح فى هذا المجال ما نسميه بالنموذج المختلط ، وهى تطرحه فى هذا السياق كالآتى :

- أراضى المدن والقرى الفلسطينية : وهى تمثل ٦١,٢٪ من مساحة الأراضى وتكون تحت الإدارة الفلسطينية .
- أراضى المستوطنات : وهى تمثل ٨٪ من إجمالى الأراضى وتكون تحت الإدارة الإسرائيلية .
- أراضى الملكية العامة : وتمثل ٣٠,٨٪ وتكون تحت الإدارة المشتركة .

٢- **أما الموقف الفلسطينى** : فيتلخص فى أن الأراضى الفلسطينية فى يونيو ١٩٦٧ بما فيها القدس تشكل كُلاً لا يتجزأ ووحدة جغرافية واحدة تخضع لنظام قانونى واحد ، وأن تحديد الولاية الجغرافية التى ستمارس عليها سلطة الحكم الذاتى صلاحياتها خلال الفترة الانتقالية ، لا تعنى بحث مسألة السيادة التى هى خارج نطاق مباحثات الفترة الانتقالية ، وأن ذلك لن يؤثر بأى حال من الأحوال على نتائج مباحثات المرحلة النهائية ، ومن ثم فإن القدس الشرقية والمستوطنات يجب أن تكونا ضمن الولاية الجغرافية لسلطة الحكم الذاتى . هذا وترفض إسرائيل هذا الطرح الفلسطينى ، كما أن الفلسطينيين يرفضون الطرح الإسرائيلى فيما يتعلق بالنموذج المختلط لإدارة الأراضى باعتباره موافقة غير مباشرة على ازدواجية السلطة ، وإلى تفتيت الأراضى المحتلة ، الأمر الذى يتعارض مع مسألة الوحدة

الجغرافية لمناطق الحكم الذاتــى ، وفـى هـذا السياق يـرى الفلسـطينيون أن يتولـوا وحدهـم مسئولية إدارة الأراضى ورفض الإدارة المشتركة لها مع إسرائيل بشكل عـام ، مـع عدم استبعاد وجود اتفاقيات لترتيب الأوضاع المتعلقة بالمستوطنين .

كما يرى الفلسطينيون (طبقا للوثيقة التى قدموها إلـى وزيـر الخارجيـة الأمريكـى فـى ١٩٩٣/٨/٥) أن جدول أعمال مفاوضات الوضع النهائى سيمثل الوضـع النهـائى للقـدس ، الذى سيتم خلاله مناقشة مسألة السيادة على القدس الشرقية ، وأن هـذا الأمـر يعد ملزمـا لإسرائيل ، كمـا يـرون أن خطـاب التطبيقـات الأمريكـى الـذى يتعلـق بمشـاركة فلسـطينيى الخارج والقدس فى الحل النهائى يؤيد وجهة نظرهم بطريق غير مباشر .

٣- هكذا يبدو أن الجانبين يؤجلان الصدام الحقيقى بينهما لحين مناقشة مسألة السيادة علـى القدس الشرقية وعدم الفصل بين الولاية الدينية والسيادة السياسـية عليهـا ، وهـو موضـوع تبـدو خياراتـه محـدودة فـى إطـار تشبث كـل طـرف بموقفـه سـواء كـان علـى حـق مثـل الفلسطينيين ، أو على باطل مثل الإسرائيليين الذين يدعم موقفهم احتلالهـم لهـا ، وهـو مـا سنحاول سبر غوره فى المبحث الثالث .

المبحث الثالث

القدس : خيارات للمستقبل – رؤية شخصية

فى البدء يخطئ من يتصور أن لديه حلا أو تصورا جاهزا لحل مشكلة القـدس بشـكل يرضـى جميـع الأطـراف الضالعـة فيـه ، فالقضيـة ليسـت قضيـة حـق تـاريخى أو قـانونى راسخين وواضحين لكل ذى عينيـن ، القضيـة إذن هـى أن جوهـر العلاقـة بيـن الأطـراف الإسرائيلية والفلسطينية ، والعربية كذلك ، تقوم على أسـاس مبدئـى القـوة والإكـراه ، إنهـا قضية علاقات قوى وتوازنات إستراتيجية مختلفة فى غير صـالح العرب تحـاول إسـرائيل استغلالها لفرض مسـار الأحـداث وفـرض الحلـول مـن وجهـة نظرهـا . إن القضيـة بالغـة التعقيد ، ومن ثم من غير المستطاع تناولها بحلول بسيطة ، فالقضيـة المعقـدة تحتـاج إلـى حلول معقدة أو حلول مركبة هى الأخرى ، لأن هناك فارقاً شاسعاً بين ما يجب أن يكون ، وبين ما يجرى العمل به على أرض الواقع . إننا يجب ألا ننسى أن الصراع لم يحسم بعد، فمن الخطأ تغافل أنه ما زالت هناك أراض عربية أخـرى تحـت الاحتـلال ، وأنـه مـازالت

هناك أفكار للهيمنة سواء كانت عسكرية أو اقتصادية كما يبدو حاليا . إن جوهر القضية هو الأرض والسيادة ، لا مشكلة كيفية الوصول إلى الأماكن المقدسة ، لأن الفصل بين الدين والسياسة فى شأن قضية القدس بالذات يعد خلطا يعود علينا بالوبال ، فالصهيونية العالمية تحاول منذ إبرام اتفاقات أوسلو – واشنطن عام ١٩٩٣ أن تنزع صفة الوطن عن قضية القدس ، وتقديمها للعالم على أنها قضية أماكن مقدسة يقوم النزاع فيها حول كيفية إدارتها ، ومن المؤسف أن البعض ينساق خلف هذه المحاولة بقصد أو بدون قصد .

إن الأمر يبدو فى ظاهره شديد الوعورة ، نظرا للتغيرات التى أفرزها الأمر الواقع على الطبيعة ، إلا أن هناك تجارب تاريخية معاصرة فى منطقتنا تشير إلى إمكانية تفكيك كل ذلك ، فقد قامت فرنسا عقب اعترافها باستقلال الجزائر بنقل مليون فرنسى ، وربع مليون جزائرى من الجزائر إلى فرنسا حتى يمكنها أن تفك هذا التشابك الديموجرافى ، إن ذلك ينطبق ليس على القدس الشرقية فقط ، بل على كل سرطانات المستوطنات الإسرائيلية فى الضفة الغربية وقطاع غزة . ومما يؤسف له أن الأفكار الإسرائيلية التى يتم تسريبها بصفة منتظمة طغت على عقل وفكر الكثير من مؤسساتنا ومفكرينا ، ومن ثم اقترنت الأفكار العربية عن غير قصد بالأفكار الإسرائيلية غير العادلة ، والنتيجة أن خياراتنا النهائية يبدو مع الأسف أنها أصبحت أقل من الحد الأدنى لطموحاتنا فيما يتعلق باستعادة السيادة على القدس الشرقية .

إن ما سيتم طرحه فى هذا المبحث هو رؤية شخصية يمكن اعتبارها امتدادا لكل الأفكار التى تم تناولها فى المبحثين السابقين ، ومن ثم فهى تشكل لبنة على طريق البحث عن حل لهذه المعضلة ، وفى الوقت ذاته لا يمكن الادعاء بأن هذه الرؤية يمكن أن ترضى الجميع ، إن ما سيتم طرحه هو اجتهادات ستأخذ صورة عدد من السيناريوهات يعرض من خلالها التصورات المستقبلية للقضية .

وقد يكون من المناسب قبل البدء فى تناولها ، أن نعرض أولا المحددات ، وعناصر الثبات والتغيير التى سيتم فى إطارها طرح هذه السيناريوهات ، كما أن هذه السيناريوهات تحتاج لحشد كل الجهود والطاقات والأدوات الفلسطينية والعربية من خلال التحرك على عدة محاور وذلك بغية تقوية ودعم المفاوض الفلسطينى والعربى ، وهو ما سنلقى عليه الضوء أيضاً .

محددات الحلول المستقبلية للقدس

١- الحقوق التاريخية والقانونية من وجهة النظر الفلسطينية.

٢- ادعاءات الحقوق التاريخية والدينية من وجهة النظر الإسرائيلية ، والواقع الفعلى الذى نجحت إسرائيل فى تخليقه على أرض الواقع ، من استيطان وتهويد وتغيير ديموجرافى لصالحها.

٣- قرارات الشرعية الدولية شبه المجمدة والتى تقضى بتدويل القدس.

٤- الاتفاق الإسرائيلى الأردنى القاضى بوضع الأماكن الإسلامية تحت الإشراف الأردنى.

٥- الموقف الأمريكى ومدى رؤية الولايات المتحدة لحل القضية.

٦- مدى تماسك الفلسطينيين وإصرارهم على استعادة القدس الشرقية وما هى الحدود القصوى والدنيا لوجهة نظهرهم.

٧- مدى تماسك العرب وتوفر إرادة عربية ترمى إلى الاستعادة الحقيقية للقدس.

عناصر الثبات فى تناول المشكلة

١- الحقوق التاريخية للعرب فى فلسطين .

٢- الحقوق الدينية للمسلمين والمسيحيين التى تزيد كثيراً عن الحقوق اليهودية .

٣- الشرعية الدولية المتمثلة فى قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن .

٤- انتماء القدس الشرقية الجغرافى للضفة الغربية .

٥- الأكثرية العددية للإسرائيليين فى المدينة ، التى نجحت إسرائيل فى تكريسها .

٦- ثبات موقف الغالبية العظمى من دول العالم مع قرارات الشرعية الدولية . خاصة الاتحاد الأوروبى وفرنسا وروسيا الاتحادية والصين واليابان .

عناصر التغيير

١- التغيرات الجغرافية المستمرة الهادفة لحصار القدس الشرقية بوساطة عدة أطواق من المستعمرات حولها وشق طرق جديدة بها وحولها ، بالإضافة لهدم ونزع ملكية الكثير من الأراضى والمساكن والأماكن العربية .

٢- التغيرات البلدية بتوسيع مساحة المدينة بالتخطيط التوسعى بهدف ابتلاع القدس الشرقية وذلك بالإضافة لربطها اقتصادياً .

٣- التغيرات القانونية من خلال إصدار إسرائيل لسيل من القرارات الخاصة بتغيير الوضع القانونى للقدس وأبرزها القانون رقم ٦٧ الخاص بتوحيد القدس ، وقرار الكنيست عام ١٩٨٠ القاضى باعتبار القدس عاصمة أبدية لإسرائيل .

٤- التغيرات الديموجرافية المستمرة الهادفة لتكريس الواقع الجديد الذى يشكل فيه الإسرائيليون أكثرية عددية.

٥- تراوح الموقف الأمريكى بين الموافقة على قرارات الشرعية الدولية ، وبين تغافله عن الإجراءات غير الشرعية التى تقوم بها إسرائيل ، ويؤكد ذلك قرار الكونجرس بنقل السفارة الأمريكية إليها وإن كانت الإدارة الأمريكية قد قامت بتجميده .

محاور التحرك العربى الفلسطينى المساند

١- المحور الأول : من المنظور الإستراتيجى

المعروف أن الحرب هى امتداد للسياسة ولكن بوسائل أخرى ، كما أن السياسة أيضاً هى امتداد للحرب بنفس القدر ، ومن ثم فإن الإجراءات السياسية التى تعقب أى صراع لابد أن تكون انعكاساً لما ما هو واقع على الأرض . وفى حالتنا هذه فإن إسرائيل تشكل الطرف الأقوى إستراتيجياً لسبب بسيط هو أنها تحتل الأرض محل النزاع أو محل المفاوضات والمَعْنِى بها القدس . وتطبيقاً لهذه القاعدة فإن إسرائيل تعمل على فرض إرادتها لأن الغلبة لها ، الأمر الذى يتطلب ضرورة تعديل الخلل فى التوازن الإستراتيجى العربى الإسرائيلى إلى حالة تعادل على الأقل ، حتى تتوازن كفتا الطرفين فى المفاوضات، ومن المعتقد أن تلك الفرضية ليست مستحيلة التطبيق ، لأنه ليس صحيحاً أن الفلسطينيين والعرب محاصرون ، أو أنهم لا يملكون قدرات وأدوات المقاومة ، فالعرب من المنظور الإستراتيجى الشامل يملكون القدرات الضخمة متعددة المجالات (جغرافية - بشرية - ثقافية - عسكرية) التى تمكنهم من التعامل مع الآخرين من مستوى "الند للند"، وهنا يطرح تساؤلان : هل يعلم العرب مكامن قوتهم؟ وإذا كانوا يعرفونها لماذا إذن يتغافلون عن استخدامها لصالح أمنهم القومى ؟ . والإجابة هنا واضحة

بالنسبة للتساؤل الأول ، فالعرب يعلمون قدراتهم حق المعرفة ، ويعملون مدى ضخامتها ، بل ويعلمون كذلك مدى تأثير ما يملكونه من أدوات لو استخدمت ، إلا أن المشكلة تبرز عند الإجابة عن التساؤل الثانى ، لأن هناك إشكاليتين فى هذا الصدد :

الإشكالية الأولى : هى انعدام الثقة بالنفس سواء على المستوى الفردى لكل دولة عربية على حدة أو على المستوى الجماعى لكل الدول العربية ، **أما الإشكالية الثانية :** فهى عدم توفر الرؤية والبعد الإستراتيجى الجماعى العربى ، ومن ثم فقد تشكل النقاط التالية خطوة على طريق تحديد رؤية إستراتيجية عربية تجاه المشكلة :

– ضرورة لم الشمل العربى والتجاوز عما تبقى من رواسب حرب الخليج ، لأنه ليس من المنطقى أن نتصالح مع إسرائيل ويظل العراق – هذه القوة العربية الكبيرة – مستبعداً لأكثر من ٦ سنوات .

– ضرورة توحيد الإرادة العربية تجاه المشكلة ما دامت لا تمس أو تحقق الحد الأدنى للأمن القومى القطرى والقومى ، ومن المعتقد أن ذلك لن يتحقق إلا من خلال مؤسسة للقمة العربية تجتمع بصفة دورية مهما كانت الخلافات ، وذلك حفاظا على الأمن القومى العربى ، بهدف التخطيط وتحديد الإستراتيجيات العليا " Grand Strategy " المستقبلية. إننا لا نريد مؤتمرات للقمة كإجراءات لإبراء الذمة ، فهى ليست هدفاً فى حد ذاتها ، وإنما نريدها أداة لجمع وتوحيد الإرادة العربية ، والتعبير عن قدرتها على اتخاذ القرارات وتنفيذها ومتابعتها حماية للمصالح العربية ، ولعل مؤتمر القمة العربية الأخير فى القاهرة فى يونيو الماضى فاتحة خير فى هذا الصدد .

– من الضرورة بمكان أن يتوصل العرب والفلسطينيون فى البداية إلى فكر محدد ونهائى عن ما هو المطلوب من القدس ، وللقدس ؟ . فإذا كان المطلوب هو استعادة القدس الشرقية بشكل عاجل قبل استكمال تهويدها ، ورفض مبدأ القدس الموحدة ، فإن الوسيلة الوحيدة لذلك هى استعادتها بالقوة . ولما كانت البيئة الدولية وأيضاً الإقليمية بالإضافة لعوامل الضعف الإستراتيجى والعسكرى التى يمر بها العرب فى مواجهة إسرائيل والولايات المتحدة ، تشير إلى استحالة هذا الحل العسكرى من المنظور الواقعى ، وذلك فى المستقبلين القريب والمتوسط على الأقل ، لذلك قد يكون من الخطأ الانتظار كل هذه المدة ، ومن ثم فقد يكون الخيار الإستراتيجى المتاح هو الاقتراب من مشكلة القدس سلمياً،

بما لا يعنى الاستسلام ، وإنما هى إستراتيجية عدم ضياع الفرص ، إلا أن ذلك يحتاج إلى إستراتيجية شاملة تستخدم كل الإمكانيات والأدوات العربية لمظاهرة الحل السلمى فى إطار حالة من تعادل التوازن بين الأطراف المختلفة ، كما أن ذلك لا يعنى استبعاد الحل العسكرى ، بل يمكن تأجيله لحين الوصول إلى نقطة التعادل ، ومن ثم عدم الجمود والسير فى كل المسارات، ويمكن لحين ذلك مواجهة المواقف عند الضرورة بما يسمى " العمل العسكرى منخفض الشدة " المتمثل فى : الانتفاضة بين الحين والحين – أعمال المقاومة المسلحة المؤثرة عند الضرورة .

– بتحديد ما هو المطلوب للقدس ، يتم التخطيط الإستراتيجى الشامل لهذا التصور ، ثم يتم تخطيط إستراتيجيات تنفيذية آنية ومستقبلية :

* إستراتيجية آنية / منظورة : تتعامل مع الوضع الراهن ومع ما هو منتظر خلال خمسة أعوام مقبلة .

* إستراتيجية متوسطة المدى : لتغطى من ٥ : ١٠ أعوام مقبلة بعد ذلك .

* استراتيجية بعيدة المدى : لتغطى من ١٠ : ٢٠ عاما بعد ذلك .

وقد يرى البعض أن التخطيط لربع القرن القادم وما بعده يدخل فى إطار الخيال العلمى ، إلا أن الحقيقة قد تكون خلاف ذلك إذا بنيت على دراسات علمية تفصيلية متخصصة فى إطار ما يعرف بعلوم المستقبليات . ولعل لنا عبرة فيما خططه مؤتمر بازل فى عام ١٨٩٠ لمئة عام مقبلة ، قسمها إلى مراحل ، لكل مرحلة هدف ، ثم استراتيجية تنفيذية لكل مرحلة ، مع وضع مساحة من المرونة للحركة فى إطارها بما يتواءم مع المتغيرات الدولية فى حينه . ليتنا امتلكنا مثل هذه الرؤية ، إنه لن يجدى البكاء على اللبن المسكوب ، شرط أن نبدأ فليس هناك مستحيل .

– ولتحقيق هذا التخطيط الإستراتيجى فإن الأمر يفرض نفسه حتى يمكن مواجهة التحديات الحضارية والثقافية والاقتصادية والعسكرية كقوة إقليمية متكاملة (وليست دولاً عربية فرادى) قادرة على التنافس من مركز القوة. – ضرورة العودة إلى التنسيق العربى فيما تبقى من محادثات السلام ، علما بأنه ليس صحيحا أن كل الأوراق مازالت فى يد إسرائيل والولايات المتحدة ، الحقيقة الساطعة أن هناك أوراقاً كثيرة فى يد العرب :

* التطبيع وتجميده ، أو التحكم فى سرعته .

* المقاطعة العربية ، وإعاده تنشيطها .

* العلاقات الاقتصادية الثنائية والمتعددة والجماعية ، المؤتمر الاقتصادى بالقاهرة فى نوفمبر القادم ، وكل ماله علاقة بدمج إسرائيل ضمن نسيج المنطقة من خلال الترتيبات الشرق أوسطية .

* الترتيبات الأمنية ، التسهيلات ، التحالفات العسكرية ، ضبط التسلح فى المنطقة .

- تثبيت وتجديد موقف جامعة الدول العربية من مسألة القدس بشكل حازم وحاسم لا لبس فيه أو تحفظ باعتباره من موضوعات الأمن القومى العربى .

- العمل على تنشيط منظمة المؤتمر الإسلامى فيما يتعلق بقضية القدس .

- استمرار العمل بكل الوسائل على تحييد الدور الأمريكى ، مع العمل فى الوقت ذاته على تعظيم الدور الأوربى المهيأ لذلك (لعل زيارة الرئيس شيراك الأخيرة خير دليل على ذلك) ، مع استمرار اتخاذ مواقف متشددة من مسألة نقل سفارات الدول إلى القدس قبل الحل النهائى للقضية .

٢ - المحور الثانى : وهو الفلسطينيون

إن التوصل إلى الشكل النهائى للقدس من المنتظر أن يتم بين الفلسطينيين والإسرائيليين ، ولذلك فإن معطيات جميع المحاور الأخرى ، لابد أن يكون هدفها الوقوف خلفهم وشد أزرهم . إن العمل الجماعى العربى متعدد الاتجاهات والمستويات رغم أهميته الكبيرة فى حل القضية ، إلا أن العبء الكبير يقع فى النهاية على عاتق الفلسطينيين ، لأنهم ببساطة أصحاب القضية الأصليين ، ثم أنهم هم الذين يعيشون المواجهة مع إسرائيل سواء فى المفاوضات أو فى المعايشة اليومية . وفيما يلى محاولة لاستشراف ما هو مطلوب منهم لصالح قضيتهم :

- الصمود بمفهومه الواسع حتى لا تنساب من أيديهم التنازلات الواحد تلو الآخر . والمقصود بالصمود هنا الصمود السياسى فى المباحثات حتى وإن توقفت ، الصمود المعنوى والاقتصادى فى مواجهة عمليات التهويد وذلك من منظور أنه لا يضيع حق وراءه مطالب .

- العمل على الاستفادة القصوى من المناخ الدولى العام والمساعدات المتعددة للسلطة الفلسطينية ، بالإضافة لأغنياء الفلسطينيين بالخارج فى تنمية مناطق الحكم الذاتى وتطويرها خاصة القدس الشرقية حفاظا على عروبتها .
- لابد من استمرار الجناح العسكرى الفلسطينى بالخارج ، مع ضرورة استخدامه ودعمه وتطويره ليشكل ورقة ضغط فى يد المفاوض الفلسطينى .
- لم الشمل الفلسطينى بين جميع المنظمات الفلسطينية على الساحة وعدم استئثار البعض بالسلطة .
- مقاومة عمليات الاستقطاب حفاظا على علاقات متميزة مع الجميع ، مع العمل على تنمية العلاقات الفلسطينية الأوربية ، ومع الفاتيكان لضمان التأييد السياسى والدعم الاقتصادى .
- سياسة النفس الطويل للتغيير الديموجرافى للقدس من خلال زيادة معدلات الإنجاب ، بالإضافة لمحاولة تهيئة الظروف المناسبة لهذا التغيير بواسطة عرب إسرائيل (بالإقامة فى القدس) وذلك فى ظل إستراتيجية مخططة بعيدة المدى .

سيناريوهات الحلول المستقبلية لقضية القدس

إن التوصل إلى حل عادل لهذه المشكلة بالغة التعقيد ، يحتاج إلى تضافر كل الجهود السابق الإشارة إليها حتى يمكن تحقيق الحد الأدنى على الأقل لكل الأطراف . فى هذا السياق يتم طرح الخطوط الرئيسية التالية التى يمكن أن تشكل تصوراً مبدئياً وسطاً ، ولا غرابة فإن ما تعلنه إسرائيل من المعتقد أنه السقف الأعلى الذى ستبدأ منه المفاوضات ، حيث تحاول من خلاله أن توهن عزيمة المفاوض الفلسطينى قبل الجلوس على مائدة المفاوضات .

١- السيناريو رقم "١" : وهو السيناريو الرئيسى فى حالة الاتفاق (فى المرحلة النهائية)على إقامة دولة / كيان فلسطينى مستقل .

- فيما يتعلق بمسألة السيادة

يمكن اعتبار مدينة القدس الموحدة فى هذه الحالة "منطقة محايدة" أو "منطقة حـرة" أو "منطقة تكامل" بين الدولتين الفلسطينية والإسرائيلية ، على أن يتم تعيين حدودها بدقـة مـع إنشاء نظام للسيطرة (جمارك - أمن) على جميـع مداخلهـا ومخارجهـا ، وتكـون السـيادة مشتركة على المدينة ، من خلال ترتيبات إدارية وبلدية .

وفى هذه الحالة هناك أمران :

- إما أن يتواجد بها كل من الحكومة والأجهزة التشريعية لكل من فلسطين وإسرائيل .
- أو أن يتواجد بها رئاسة الدولة لكل منهما كتمثيل سيادى رمزى ، بينما تتواجد الأجهـزة التنفيذية والتشريعية لكل منهما فى العاصمة الإدارية (تل أبيب ، غزة أو أريحا) .

- فيما يتعلق بمسألة الولاية والأمن

- تُنشأ بلدية مركزية لمدينة القدس الموحـدة مـن عـدد متسـاوٍ مـن الجـانبين ، علـى أن تكون رئاسة هذا المجلس بالتناوب بينهما ، مع إنشاء بلديات فرعيـة للقـرى والأحيـاء تراعى خصوصية كل منها ، وذلك لإدارة شئونها المحلية ، علـى أن ينشـأ فـى هـذا الإطار جهاز خاص للشرطة والأمن ، مكون من رئاسة مشتركة واحتياطى مركـزى مشترك للمدينة ، على أن تتولى البلديات الإشراف على أقسـام الشـرطة مـع التنسـيق فى الوقت ذاته مع الرئاسة المشتركة للشرطة .
- القدس مدينة " محايدة / حرة / تكامل " منزوعة السلاح ، لا يسمح بتواجد أى قـوات للدولتين بها ، أو على مسافة معينة تقل عما يتفق عليه الطرفان .

- فيما يتعلق بالجنسية والنظام العام

- يحتفظ كل المقيمين فى القدس بجنسياتهم الأصلية ، وطبقاً لما يرغبون .
- تنشأ محاكم مختلطة لمدينة القدس فقط يمثل أمامها جميع سكان القدس من الجنسيتين

- فيما يتعلق بالنواحى الاقتصادية

- ينشأ جهاز مشترك لتنمية وتطوير المدينة ، يتم توفير موارده من خلال مخصصـات يتفق عليها من ميزانية الدولتين ، بالإضافة لنظام خاص بالضرائب والرسوم السيادية لصالح المدينة (لا تدخل الميزانية العامة) .

- يسمح بالتداول الطبيعى الحر للعملتين الإسرائيلية والفلسطينية ، مع ترك سعر الصرف لآليات السوق .

٢- السيناريو رقم "٢" : وهو احتمال تال فى الأسبقية فى حالة الاتفاق على اتحاد كونفيدرالى فلسطينى / أردنى .

- فيما يتعلق بمسألة السيادة

إن الحل المناسب والوسط فى الوقت ذاته هو أيضاً فى إطار " القدس الموحدة " بأن تعتبر المدينة مثل السيناريو رقم "١" : مدينة حرة / محايدة / تكامل ، تخضع للسيادة المشتركة الإسرائيلية / الدولة الكونفيدرالية:

- تعتبر القدس الموحدة العاصمة الثانية لإسرائيل ، وتعتبر فى الوقت ذاته العاصمة الثانية أو العاصمة الإدارية للدولة الكونفيدرالية ، بينما تكون العاصمة الأولى لإسرائيل فى تل أبيب ، العاصمة الأولى للدولة الكونفيدرالية فى عمان.
- يتواجد بها رئاسة الدولة الإسرائيلية كتمثيل رمزى سيادى ، بينما يتواجد بها من الجانب الآخر نائب رئيس الاتحاد الكونفيدرالى أو رئيس الجهاز التنفيذى المنوط به إدارة الإقليم الفلسطينى .
- فيما يتعلق بباقى المسائل (الولاية والأمن - الجنسية والنظام العام - الناحية الاقتصادية) هى نفس ما تم طرحه فى السيناريو الأول .

٣- السيناريو رقم "٣" : فى حالة الاتفاق على اتحاد كونفيدرالى فلسطينى / إسرائيلى

إن هذا الطرح رغم أنه يبدو من الوهلة الأولى غير مقبول من البعض، وقد يستهجنه البعض الآخر، إلا أنه من المعقول أن إسرائيل تسعى إليه نظراً للتداخل الجغرافى والديموجرافى والاقتصادى الكبير الذى قامت به على مدى ٣٠ عاماً من احتلالها للضفة الغربية وغزة والقدس ، الأمر الذى يجعل عملية فض الاشتباك بين المستوطنات الكثيفة فى المناطق الفلسطينية المحتلة عملية غاية فى الصعوبة ، إن لم تكن مستحيلة ، كما أنه على الجانب الآخر الفلسطينى فقد نادى العديد من مفكريهم ومسئوليهم بدولة واحدة

علمانية يعيش فيها الفلسطينيون والإسرائيليون (مسلمون - مسيحيون - يهود) ومن ثم فلا بأس من مناقشة هذا الطرح.

فيما يتعلق بمسألة السيادة

يتم فى هذه الحالة قيام اتحاد كونفيدرالى بين شطرى المدينة (القدس الشرقية والغربية) حتى تظل مدينة القدس موحدة ، ولتصبح فى هذه الحالة مدينة كونفيدرالية لا تخضع لأى من الإقليمين الإسرائيلى والفلسطينى، وتكون السيادة عليها مشتركة مثل السيناريو الأول ، غير أنها تصبح مدينة مفتوحة لكل سكان فلسطين وإسرائيل (ليست حرة) وإنما مدينة محايدة مفتوحة.

- تعتبر فى الوقت ذاته عاصمة لكل من فلسطين وإسرائيل طرفى الاتحاد.
- تعتبر القدس الموحدة فى هذه الحالة عاصمة للأجهزة الكونفيدرالية أساسا.
- يتواجد بها فى هذه الحالة تمثيل سيادى رمزى.
- تظل تل أبيب العاصمة الإدارية ويتواجد بها جميع الأجهزة التشريعية والتنفيذية الإسرائيلية.
- يختار الفلسطينيون عاصمة إدارية لهم بنفس الأسلوب السابق.

بالنسبة لمسألة الولاية والأمن والجنسية والنظام العام

- تعتبر القدس الموحدة أرضاً كونفيدرالية محايدة مفتوحة لا تخضع لأى من الإقليمين الإسرائيلى والفلسطينى
- الجنسية هنا كما فى السابق ، يحتفظ كل بجنسيته أو ما يرغب فيه (إلا إذا اتفق الطرفان على جنسية واحدة لدولة الاتحاد) .
- ينشأ بها محاكم مختلطة وأجهزة شرطة وبلديات مركزية وفرعية كما فى السيناريو الأول.

فيما يتعلق بالنواحى الاقتصادية

- ينشأ جهاز مشترك لتنمية المدينة كما ورد فى السيناريو الأول.
- يتم تداول عملة موحدة إتحادية جديدة .

السيناريو رقم "٤" : هناك العديد من التصورات من المعتقد أنها تقترب أو تبتعد قليلا عن السيناريوهات السابقة ، ولكنها تدور فى فلكها فى غالب الأحوال ، إلا أنه يعتقد أن أى تصور آخر أو سيناريو غير ذلك لا يمكن أن يعد فى إطار الحلول السلمية ، وإنما فى إطار قبول الأمر الواقع ، خاصة أن أى حل لا يحقق "مبدأ السيادة السياسية على القدس الشرقية" ويكتفى بالولاية الدينية لا يحقق الحد الأدنى من المطالب الفلسطينية والعربية والإسلامية والمسيحية أيضا وهنا يطرح سؤال نفسه بإلحاح ، ما هو الموقف إذن ؟ . الحل فى هذه الحالة هو العودة إلى مسلسل الصراع العربى الإسرائيلى مرة ثانية.

فالحرب الباردة العربية الإسرائيلية بدأت عودتها من جديد منذ عودة الليكود للحكم بزعامة " نيتانياهو " ونقضه للاتفاقات، وتحديه للمشاعر العربية والإسلامية ، بل وتهديده لسوريا بين الحين والآخر، الأمر الذى أدى إلى تصعيد التوتر بالمنطقة والاقتراب من حالة الحرب أحياناً ، إن ما يحدث من تصعيد ليس للعرب يد فيه.

إن هذا الحل رغم استبعاده كما سبق أن أسلفنا ، إلا أننا قد نُجبَر عليه ، ومن ثم فلا بديل بالإضافة للسير على جميع محاور الحل السلمى ، من الصمود السياسى وعدم التنازل عن الحد الأدنى ، إلى الاستعداد الجدى العربى لحل المشكلة على المدى المتوسط بالوسائل الأخرى إذا أجبرنا عليها ، إن ذلك لا يدخل فى إطار المستحيل ، كما أنه ليس دعوة إلى الحرب ، إنما فقط علينا أن نتأمل مرة ثانية حرب أكتوبر المجيدة التى نعيش فى رحاب ذكراها الثالثة والعشرين ، وكيف قهرت المستحيل عندما توفرت الإرادة.

وختاما يمكن القول أن قضية القدس لم تنته بعد ، ولم يسدل عليها الستار كما تحاول إسرائيل أن توهمنا من خلال الأمر الواقع . إن الخطوة الأولى على طريق الحل هى أن نواجه أنفسنا .. ماذا نريد ؟ وكيف ، وما هى آليات ذلك؟ ، وهل نحن على استعداد لحشد الإرادة العربية لتنفيذ ذلك؟ . هى جملة تساؤلات تحتاج إلى لحظة صدق عربية مع النفس.

القدس : خيارات إستراتيجية

محمد سيد أحمد
مفكر وكاتب بالأهرام

مقدمة

لقد أتيح لي أن أحضر - في مدة لا تتجاوز العامين أو العام ونصف - ندوتين في الخارج عن القدس، أحدهما بدعوة من جهات عربية في لندن والأخرى في إطار اليونسكو في باريس ، مما يعني أن المجتمع الدولي يرى في قضية القدس ما يقلقه . والأمر الذي لفت الأنظار أن ما يؤخذ على العرب دائما هو مقاطعة أية ندوة يشارك فيها إسرائيليون . ولكن في هاتين الندوتين كان الإسرائيليون هم من قاطعوها ، لأنهم لا يريدون مناقشة قضية القدس ، ولا يريدون السماح للآراء المعارضة داخل إسرائيل أن تناقش تلك القضية ، والتي يجب أن تبقى لنهاية عملية التفاوض ، ولا ينبغي إعطاء أوراق للأطراف العربية تقول بأن أطرافاً داخل إسرائيل قد تكون ذات آراء مخالفة فيما يتعلق بالقدس . وقد حضر بعض الإسرائيليين الهامشيين جدا ، الذين ليس لهم تأثير ملحوظ في الرأي العام. ولكن الشئ اللافت للنظر أن إسرائيل لا تريد أن تناقش قضية القدس.

وهناك قضايا أخرى -في نظر إسرائيل- لا تناقش في عملية التفاوض ، وعلى رأسها بالطبع قضية حيازة إسرائيل للسلاح النووي. فإلى اليوم إسرائيل لا تعترف بأن هناك حقا لأحد أن يناقش البعد النووي . والمطروح لدى إسرائيل أنها تعتقد أن العالم العربي (وأعتقد أنها محقة في ذلك) يبارك إبقاء بعد نووي لإسرائيل ، ومن هذا الوجه فهي خارج عملية التفاوض ولا تناقش . قضية القدس مماثلة ، وهي من القضايا التي لا

تناقش ، فهى تعتبر البعد الروحى للصراع تماما كما أن أسلحة إسرائيل النووية هى البعد العسكرى المطلق ، وهذه قضايا لا تناقش . وحتى المناقشة حول الجولان قضية لن تأتى بأية نتائج (حتى فى ظل حكومة بيريز ورابين) . هذه قضايا فى ظل كل الحكومات الإسرائيلية لا تناقش . والمقصود بإرجاء قضية القدس لنهاية التفاوض هو محاولة تليين المواقف العربية حول القضايا الأخرى فيما يتعلق بالنزاع ، بحيث ترد قضية القدس إلى مجرد إجراء شكلى ، ليستعان فى ذلك مثلا بالاتحاد الأوربى وبنوعيات جديدة من صيغ السيادة لدول متعددة تتجمع فى كيان واحد لاكتشاف صيغ شكلية لإعطاء الانطباع بأنهم - بشكل أو بآخر - قد لبوا شيئا - إن لبوا - فى قضية القدس ولكن على أن يحتفظوا هم بالقضية للنهاية فى أيديهم . والموضوع بالغ الخطورة ويجب أن نعترف أن هذه القضايا لن تحل بمجرد أن نخاطب أنفسنا بخطب قوية بينما لا تكون لنا آليات من أجل مواجهة هذه المشاكل .

أريد أن أقول إن قضية القدس ليست فقط قضية أديان . إنهم على استعداد أن يقولوا إننا سوف نحترم حق المسلمين - وكذلك حق المسيحيين - فى أن يصلوا إلى الأماكن المقدسة فى القدس ، ولكن نحتفظ نحن بالسيادة . وحينما ننظر إلى قرار ما جرى فى النفق - وقد كان ذلك قرارا سياسيا ، فإن نيتانياهو لم يستشر أحدا ، وعندما أخذ هذا القرار اعتبر ذلك قرارا سياسيا سياديا ، وعلى هذا الأساس استباح لنفسه أن يأخذ قرارا بالغ الحساسية والأهمية بالنسبة للمسلمين والمسيحيين فى العالم كله باسم القرار السياسى . فالقرار السياسى السيادى شئ لا يمكن بحال من الأحوال التنازل بشأنه ، وألا يجب أن نتخذ ما جرى فيما يتعلق بفتح النفق كدليل وحجة فى المستقبل ، بأن الاعتراف بالحقوق الدينية للمسلمين والمسيحيين فى القدس ليس كافيا إطلاقا وأن يكون هناك اعتراف بالحق السياسى الفلسطينى بما يكفل الحقوق الدينية ، وأيضا إجهاض أى محاولة من قبل إسرائيل تستهدف بها عملية استخدام انفرادها بالقرار السياسى لانتهاك أى حق دينى سواء للمسيحيين أو للمسلمين.

نقطة أخرى بالغة الأهمية بالنسبة للقدس ، وهى أن هناك على سبيل المثال صيغاً تستحدث أو تبتدع أو تخترع ، المقصود بها توزيع الصلاحيات البلدية ، وهناك وثيقة لمحامٍ إنجليزى كبير ، أعتقد أنه عرض هذه الوثيقة على الجامعة العربية ، وجوهر

الوثيقة أنه يمكن إيجاد سيادة مشتركة ، من الناحية البلدية بحيث إن قطاعات من القدس يعترف بها للفلسطينيين ربما فى المستقبل ، فهو يتحدث بصفته صديقاً للعرب ، وأن هذا هو الحل . وحقيقة الأمر ليست أن نجد حلولا للمشاكل التى لا تثير مشاكل ، وإنما المشكلة أن نجد حلولا تكفل للجانب الفلسطينى حماية حقوقه فى حالة وجود خلاف سياسى، فى حالة تحدى إسرائيل ، فى حالة لجوء إسرائيل لتفوقها العسكرى من أجل فرض قرارها ، إذا ما فرض أن كان هناك بصورة أو بأخرى فى المستقبل حديث عن سيادة مشتركة .

أريد القول ، ما هى القضايا التى علينا من الآن أن نفكر فيها فى سبيل أن نتجنب استخدام إسرائيل للمرحلة الأخيرة فى المفاوضات لكى تملى شروطها فيما يتعلق بالقدس بالكامل . ليس معقولا ولا مقبولا أنه لا يوجد لدينا تصورٌ عن الغد إلى الآن ، وليس لدينا آلية إلى الآن لمواجهة استراتيجية هذه المشكلة عندما تطرح على مائدة المفاوضات . وأريد أن أقول إن القدس جزء من فلسطين وجزء من الأراضى المحتلة ، ولكن هناك خصوصية للقدس ، بمعنى أنها ليست قضية فلسطينية فقط ولا هى قضية عربية فقط ، إنما هى أيضا قضية إسلاميّة ومسيحية وقضية تمس قطاعاً هاماً من العالم الآن ، وبهذه الصفة فهى قضية لا يجوز التصور أن إسرائيل وحدها كفيلة بأن يكون لها الكلمة الفصل فيها . وأريد أن أذكر أيضا ظاهرة أخرى ، وهى أن القدس من نوعية القضايا التى يصعب إيجاد حل أو آلية لها . ونود التحدث عن الآلية لكونها مربط الفرس ، والآلية التى نتحدث عنها الآن ليست آلية الغير وإنما هى ماذا صنعنا ، وماذا فعلنا نحن كعرب ؟

السلام فى الشرق الأوسط

أريد بداية تعريف موضوع صعب ؟ ما معنى السلام فى الشرق الأوسط؟ ما معنى السلام فى الصراع العربى الاسرائيلى ؟ هذا ليس موضوعاً سهلا وتفسيره ليس سهلا ، لأن هناك خصوصية فى هذا الصراع فهو ليس كأى صراع ، الصراعات المعروفة هى صراعات بين دول متجاورة لخلافات تتعلق بالحدود أو بالمركز النسبى لهذه الدول فى النظام الإقليمى أو فى النظام الدولى . وليس مألوفا أن يكون هناك صراع بينما هناك

أسباب مبررة وشرعية للتساؤل فى شرعية الطرف الآخر . هذا الطرف الآخر يقول أنه كان هنا منذ ألفى سنة ، وانظروا فى الحفريات ، وفى التوراة ، لقد كنت موجودا لكنى غبت وطردونى إلى الخارج ، ثم رجعت ، ولكن ما هى الشرعية ؟ ما الذى يلزمنى بتحمل مسئولية وآثار هذا الذى حدث لكم ؟ ما الذى تعطوه لى فى المقابل فرضا فى سبيل أن يكون أساساً للسلام ؟ فأى قواعد للسلام فى هذا ؟ . عندما تكون القواعد ملتبسة على هذا النحو وهى قضية ليست مقررة وليست هناك شرعية تقررها . عندما تكون العملية ملتبسة بهذا الشكل لابد أن يكون داخل إسرائيل مدرستان للتفكير ، مدرسة تقول السلام مستحيل ومدرسة تقول فلنجرب . الذى يقول السلام مستحيل يقول لكى استمر لا يوجد غير الردع ، لا يوجد غير الحرب ، لا يوجد غير التهديد بالحرب ، وهذه هى مدرسة نيتانياهو ، أنا أتواجد بالردع ، لأنه لا يوجد سلام ولا يمكن أن يكون هناك سلام لأنهم لن يعترفوا به حتى لو تظاهروا بذلك . هذا تكتيك أو موازين قوى لكن لا يوجد سلام . والمدرسة الأخرى تقول لا أضمن هذا حتى بالتفوق العسكرى ، فالعالم قد تغير فى عشر سنين ، فلا أدرى ما الذى سيحدث بعد ذلك ، لابد أن اتخذ الحيطة وأقدم شروطاً إضافية إلى الروادع . هذه الشروط الإضافية يسميها حوافز الشرق الأوسط ، تعاون إقليمى وسوق شرق أوسطية مثلا ، ماذا يقصد بذلك ؟ . أن تكون علاقة التاجر العربى مع التاجر الإسرائيلى عمليات تعامل بين طرفين لهما مصلحة أقوى من العداء التقليدى الذى على الأرض . فهذه هى فكرة إيجاد روابط وزرع قواعد داخل الأرض العربية لحماية السلام .

فإذن نحن بصدد مدرستين ، ولابد أن تكون هناك مدرستان ، وهذا ناتج من صميم القضية ، من صميم المعادلة ، صميم معادلة خلق إسرائيل . ومشكلة إسرائيل تفرز بالضرورة مدرستين ، مدرسة نسميها السلام تحاول إعمال حوافز مع الروادع ، ومدرسة أخرى تقول ليس هناك داع للحوافز ، لا يوجد غير الردع . يترتب على ذلك عناصر التباس وغموض وهشاشة بالقرار ٢٤٢ وصيغة مبادلة الأرض بالسلام لأن علينا أن نسأل أى أرض وأى سلام . كنا نسمع عن شرعية الأرض طبقا للأمم المتحدة وعن قرار التقسيم الذى استمر حتى بعد سنة ١٩٤٨ ، ثم قلنا المرجع هو القرار ٢٤٢ بعد ١٩٦٧ الذى يقول الأراضى أو بعض الأراضى ، واليوم يقبول القدس بالكامل داخله . إذن أى

أرض وأى سلام . أول سلام بدأ بهدنة ثم قلنا إزالة آثار العدوان أى أن ما قبل عدوان ١٩٦٧ مشروع ، لذلك كان سلاما بدون علاقات دبلوماسية ، واليوم نقول علاقات دبلوماسية وتطبيع كامل ، أى سلام ، والكلمتان غامضتان ، كيف أقول إن السلام يساوى أرضا ، هذه أيضا مشكلة . ثم إنه حتى لو تساويا ، فأى أرض وأى سلام ؟ .

فإذا أردت أن أزيل هذا اللبس ، لابد من توضيح ، ولابد من تحديد ، لابد أن نعرف أى أرض وأى سلام إذا كنا نتحدث عن السلام ، ويأتى نيتانياهو ويقول إنه لا يعرف ، وهذا حقه فى ضوء هذا الغموض ، يقول نيتانياهو أن - بيريز فرط ولكن أنا أستطيع أن آخذ السلام ولا أفرط فى الأرض . وهذا يضارب على شئ ويقول السلام مقابل السلام . ما معنى هذا ؟ هذا ليس كلاما إنشائيا فهو يقصد هذا ، الأمن مقابل الأمن ، وأمنهم هو أمن الأنظمة التى ليست بالضرورة أمن الشعوب.

إذن القضية هى ما السلام ؟ لقد لجأنا إلى المجتمع الدولى من أجل السلام ، لأنه نوع من السلام المستحيل. يستحيل السلام اعتماداً على الأطراف فقط ، فليس من الصدفة أن وجدت آلية مدريد أو ، أوسلو .. الخ ، وأن يتدخل العالم كله حتى وأن كان إلى الآن لم ينجز أى سلام . إن تدخل العالم كله والدول العظمى وأمريكا شرط ضرورى ، وليس شرطا كافيا . ليس هناك سلام فى هذه العملية تماما بدون تدخل العالم . والسؤال ما الذى ترتب على تدخل العالم؟ . ترتب عليه تجميد تناقض واحد ، تجميد وليس إلغاء ، فهذا التناقض بين دولة إسرائيل والدول العربية ، جمد ولم يسو ، فقد رُحّل فى اتجاهين ، رُحّل داخل إسرائيل ، ورُحّل داخل العالم العربى ، لكن إسرائيل خلافا للعرب لديها آلية تحل بها مشاكلها.

رُحل داخل إسرائيل ، بدليل قتل رئيس الوزراء على يد يهودى ، وبدليل أن الوزارة التى كانت موجودة سقطت وجاءت وزارة ثانية . ليس ذلك فقط ، وإنما شن وزير إسرائيلى سابق فى حكومة العمل حملة يقول فيها إن الديمقراطية الخاصة بنا ديمقراطية غريبة للغاية ، حيث أغلبية الناخبين ، يكافئون القاتل ويعاقبون أنصار الضحية . وهذه نقطة مهمة . وعلى أى الأحوال ، التناقضات داخل صفوفهم ، ولكنهم يخفونها وينجحون بفضلنا . ونحن من جانبنا ، دول الطوق لا نتكلم مع بعضنا البعض ، وأى اتفاق يعقد مع

إسرائيل يعقد على حدة ويخفى عن باقى الدول . أى أنهم يرحلون التناقضات إلينا ويحلون التناقضات عندهم ، لكنهم يعرفون كيف يسوون التناقضات فيما بينهم فترحل الينا. والسلام يعني ترحيل التناقض من مواجهة بين إسرائيل والعرب إلى تناقض داخل العرب . وإذا كان الموضوع بهذا الشكل ، أن السلام عبارة عن ترحيل التناقض إلى العرب ، فهل من حقنا أن نحجم عن إعمال التناقض لديهم ؟

جدير بالذكر أن المقال الذى نشر "بهيرالد تربيون" كتبه ويزمان . منذ بضعة أيام كان مقررا أن يلقى خطبة بمناسبة مرور عام على وفاة رابين ، فألقى الخطبة ولكن لم يعط رابين حقه . فاتصلت زوجة رابين به تليفونيا وقالت له " إننى اليوم فقط قد فهمت – من خلال حديثك كلامك المكتوب بالأمس فى "هيرالد تربيون" وفى "نيوتايمز" – لماذا جئت ليلتها إلى المستشفى لكى ترى ماذا حدث يوم قتله ؟ كنت تريد أن تطمئن بنفسك على أنه قد مات" . هذه هى نوعية العلاقات فيما بينهم .

هل نحن نحجم عن استغلال ذلك ، سمعنا فيصل الحسينى الآن ، سمعنا المعاناة والصرخة من الداخل . سمعناه بلغة خاصة ، يستنجد بنا ، ويقول سوف تدفعون الثمن ، عندما استنجد بكم سوف تدفعون الثمن . هذه القضايا مفروض أن نفكر فيها ، لأننا حينما نتكلم عن الآليات لا نتكلم لنخاطب أنفسنا ، لأنه عندما يخاطب شخص نفسه لا محاسبة ، ولكن عندما ندخل فى هذه العمليات فهناك محاسبة . إننى أعتقد وأتصور أن هذا الموضوع لابد أن يناقش قوميا ، وبصراحة أقول إن أضعف حلقة فى إسرائيل الآن هى الحلقة الداخلية . نيتانياهو قوى فى الخارج فهو يفرض شروطه على الرئيس الأمريكى الذى كان يعتقد أن نيتانياهو رهينة له قبل الانتخابات ولذلك صوت من أجل بيريز ، وجعلنا جميعاً كعرب نصوت من أجله فى شرم الشيخ كعرب ضد نيتانياهو ، وهو يعلم ذلك . واليوم نيتانياهو يقول لكلينتون أنت رهينتى لأننى فى السلطة لمدة خمس سنوات وأنت سوف تخوض الانتخابات ، ولدى اللوبى اليهودى أتحكم فيه . أى أنه حتى أمريكا ليس لها صوت ، وفى ضوء هذا نحن أمام مشكلة . أننا نريد أن نكافئ ونعاقب داخل إسرائيل . أريد أن أقول ، من يحدد معنا قرار ٢٤٢ ويزيل عنه الإبهام ويتفق معنا على أن الأرض ، هى القدس لنا .ونتنياهو قادر علي أن يقول : هؤلاء ليسوا أهل سلام وأنه

يستبيح لنفسه أن يصنع ما يريد ولا يتمسك بالقرارات الدولية لأن العرب أنفسهم سيفعلون ذلك .

لذلك نريد أن نمنع عنه هذه الفرصة ، نريد أن نقول له إنه من المحتمل أن قاعدة السلام واردة ، ولكن بشروطنا ، ويكون هذا باسم الآلية ، وبطريق الترغيب والتهديد ، وبدلا من مخاطبة أنفسنا نخاطبه هو ، ونستغل حقيقة أن الحلقة الداخلية لديه هي أضعف حلقة بدليل أن هذا الرجل منتخب بأقل من ٥١٪ من أصوات الناخبين الإسرائيليين . وللنظر لهذا الموضوع بجدية من المتوقع بالطبع دفع الثمن وهو أيضا سيدفع الثمن . نحن سوف ندفع ثمنا لأن كثيراً من المقاطعين لو رفعت المقاطعة سوف يهرولون ، وهذه أول نقطة . وثانيا هناك دوائر مال و أصحاب أموال يتحدون الدولة ويرحبون بالمؤتمر الاقتصادى وهم يبحثون عن مبررات ليهرولوا الآن . واليوم من المقررات فى العالم العربى أن من يريد الوصول إلى واشنطن فطريقه هو تل أبيب وليس السعودية أو غيرها، وهؤلاء هم الأهم ونرى كل يوم مثل هذا الأمر.

النقطة الثانية التى أذكرها هى المكاسب ، إنه من السهل للغاية اتخاذ مواقف إجماعية، فنحن نأخذ الإجماع وننغلق جماعيا . ومن الصعب اتخاذ قرارات بها أخذ ورد، ولكن ليس بها ديمقراطية ؟ . وإذا كنا سوف نستطيع مواجهة مناورات الديمقراطية الإسرائيلية ، فلابد أن نتربى ديمقراطيا قليلا ، وإلا لن نستطيع مواجهتهم وسوف يكسبون الجولة ، وهم سوف يستفيدون من الآليات الخاصة بهم لكى يتحكموا فينا ويوظفونا وليس نحن الذين سوف نوظفهم .

النقطة الثالثة من الإيجابيات أيضا ، أن التطبيع مستمر ، فلابد أن أكسبه ضوابط ، ولابد أن أظهره بدلا من أن يعمل تحت الأرض ، وكل منا يلعب لعبته بطريقته الخاصة ، وكل شخص يجد نفسه بشكل أو بآخر قد تورط فيزداد تورطا خوفا من أن يعلن عما يفعله، لذلك فهناك مكسب وخسارة وأنا هنا أطرح فكرى الذى هو فى طور التكوين . هذا الفكر لن يتكامل ولن يتحق تماما إلا بمشاركة جماعية لذلك لابد أن نعتاد ألا يكون القرار المصرى قراراً سلطوياً فقط ، وإنما يكون قرارا شعبيا ، يكون قرارا مصريا بكل

قطاعات المجتمع المصرى وآن الأوان أن يتحمل كل شخص المسئولية ، ولا يحمل البعض هذه المسئولية ويقول إنه غير مسئول .

فى الختام أريد أن أقول؛ القدس من الصعب أن تضيع لأن هناك شيئاً اسمه أكثر من بليون مسلم . والسؤال هو أن البليون مسلم ليس كلهم من العرب ، هناك المسلمون العرب، وهناك المسلمون غير العرب ، ولو فرط المسلمون غير العرب سوف يتولون هم المسئولية. وأفضل لنا أن لا نفرط ، هذه الكلمة قالها جميل مطر فى مقال له ، وهذا صحيح مائة فى المائة . إنه لا يوجد مفر ، فنحن مثل طارق بن زياد لا يوجد أمامنا سوى التقدم وليس هناك رجوع إلى الخلف ، والتقدم أمامنا ، أن نتولى مسئوليتنا ، ونتولى ما واجبنا من مخاطر ، ونكون أهلاً لها ، قبل أن يشعرنا غيرنا أننا لم نقم بدورنا .

الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

قضية القدس : الحاضر والمستقبل

دكتور محجوب عمر
كاتب وباحث فى الشئون الفلسطينية

إن القدس مدينة قديمة معروفة لجموع المسلمين والمسيحيين واليهود أيضاً ، ولا يختلف اثنان فى العالم على مكانتها الدينية ، وعندما يختلف المتصارعون حولها فإن اختلافهم يدور حول أوضاعها السياسية . وباستثناء عدد قليل جداً من المؤرخين من كل المجموعات الدينية المرتبطة بالقدس فإن الجميع يسلمون لها بالمكانة الدينية والتاريخية. وكل المحاولات التى يقوم بها مؤرخو الصهاينة لتزييف هوية المدينة لا تنفى أبداً مكانتها دينياً عند المسلمين والمسيحيين وإنما هى محاولات تستهدف تبرير استيلاء الصهاينة على هذه المدينة المقدسة بادعاء وجود رموز دينية مادية أكثر مما هو موجود . كما يهدف الإسرائيليون الصهاينة من هذا الأمر إلى تحويل المعركة حول القدس من معركة سياسية حول السيادة إلى معركة دينية عقيدية لتصل فى نهايتها إلى منزلق خطير هو التصارع بين أصحاب الأديان بما يثيره ذلك من حروب ومشاعر تعصبية هوجاء بين البشر.

ومنذ دخل الصراع العربى الإسرائيلى مرحلته المعاصرة وخاصة بعد الاستيلاء على القدس العربية عام ١٩٦٧ وعلى بقية أراضى فلسطين ، يحاول الصهاينة استدراج العرب والعالم إلى هذه المعركة الخبيثة التى تضع الديانات السماوية فى مواجهة بعضها البعض وتغرق الحوار ومن ثم الصراع فى مستنقعات التعصب والعنصرية ويظل كل طرف على موقفه وقناعته ، ولا يعنى ذلك أنه ليس للخطاب الدينى دور فى تحريض الجماهير لحماية المقدسات والحفاظ على الرموز الدينية الحضارية.

الأمثلة على ذلك كثيرة ، أبرزها فى هذه الأيام هو موقف بنيامين نيتانياهو وحزب الليكود اليمينى المتطرف الذى يعد بالمقاييس السياسية والدينية ملحداً لا يؤمن بإله ومع ذلك فهو يلعب بقضية القدس ويزعم أنها مقدسة لديه لدرجة لا تسمح من وجهة نظره بطرح مستقبلها للنقاش . ومع تعصب نيتانياهو الشديد لمدينة القدس سياسياً فإن قسماً كبيراً من اليهود المقيمين فى هذه المدينة يكشفون نفاقه، فهم (مؤمنون) بأن القدس هى مقر هيكل سليمان الذى يبحثون عنه ويرون أن أعمال العبادات اليهودية هى واجب دينى من وجهة نظرهم ويشتبكون مع الفريق العلمانى كل يوم سبت ، ولكن نيتانياهو وفريقه اليمينى المتطرف العلمانى الملحد يستعمل نفس الادعاء لكى يغطى أهدافاً سياسية للدولة الصهيونية أهمها الاستيلاء على الأرض واستيطانها وطرد أصحابها العرب منها.

فإذا كان هذا هو الموقف داخل المعسكر اليهودى فإن موقف العرب والمسلمين يختلف تماماً ، فلا أحد ينكر فى العالم أن المسجد الأقصى المبارك هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين المقدس عند المسلمين والعرب كما أن العالم كله يعرف أن المسيحيين فى كل مكان مقتنعون ومؤمنون بقدسية كنيسة القيامة ومدينة القدس ذاتها التى تقدست بمواطئ أقدام المسيح عليه السلام .

أما بالنسبة لليهود فقد كانوا مطرودين من المدينة على يد الرومان والفرس وسمح لهم العرب المسلمون بالعودة إليها والصلاة فيها ، حتى بعد أن طردتهم قوات "الفرنجة" (الصليبية) ليعودوا بعد أن حررها صلاح الدين القائد المسلم .

على العرب أن يدرسوا تاريخهم ولكن الخطر أن ينزلقوا فى مصيدة اعتباره الحكم الأول والأخير فى الصراع الدائر الآن ، فليس للتاريخ محكمة تلزم المتفاوضين أمامها بما تقرره والصهانية الإسرائيليون يحولون الصراع إلى صراع حول وقائع تاريخية فى الماضى ، فلا ينتهى الجدل إلا إلى معركة بين أصحاب العقائد والأديان ليصرف الأنظار عن تفاصيل الحرب الدائرة بالفعل ومنها حرب تزييف التاريخ . وإذا كان الحفاظ على الذاكرة التاريخية من المهام المستمرة فيما يتعلق بفلسطين وأرضها وشعبها ، لإفشال كل المخططات الصهيونية العنصرية التى تعمل على تغييبها ، فإن التوقف عند التاريخ وحده بل والانشغال بالصراع مع الذين يقدمونه يوفر للصهاينة العنصريين فرصاً كثيرة لخلق

وقائع مادية على الأرض (الاستيطان وتغييب الهوية وضخ المستوطنين) تثبت الاحتلال الإسرائيلي للمدينة المقدسة وما حولها.

ويلاحظ أن نيتانياهو قد استعمل في أزمة نفق البراق الأخيرة سلاحاً خطراً يكشف استعداده البراجماتي لاستعمال كل الأسلحة القذرة وأقلها الكذب إذ ادعى أن عملية فتح النفق هي مجرد عملية لتنشيط السياحة وليس فيها ما يهدد الرموز الإسلامية ولا المسيحية، وعندما انفجر الغضب العربي والعالمي ادعى نيتانياهو أمام المؤتمر الصحفي الذي عقده في واشنطن أن العرب يتهمون إسرائيل (أي حكومة نيتانياهو) ليس بأنها ضد السلام ولكن بأنها ضد الإسلام في محاولة خبيثة لتحويل المعركة إلى حرب دينية . والواقع أن أزمة النفق وإن أثارت غضباً عربياً وإسلامياً لكون هذه العملية تكشف النوايا الإسرائيلية المتواصلة لهدم رموز القدس (المسجد الأقصى المبارك وكنيسة القيامة) فإن هذا الغضب جاء على قمة انتهاكات نيتانياهو المستمرة للاتفاقات المعقودة مع السلطة الوطنية الفلسطينية وبخاصة فيما يتعلق بالانسحاب من مدينة الخليل وقد اعترف قادته الأمنيون بأن الغضب قد انفجر نتيجة الاحتقان السياسي ، ولم يلتفت الكثيرون إلى هذا الاعتراف ولا إلى محاولة نيتانياهو الخبيثة لتحويل المعركة إلى معركة دينية .

هذا مثل آخر على خطورة التوقف عند التاريخ والانزلاق في مصيدة الحوار حوله. فالقدس بالنسبة للعرب مدينة مباركة بمقتضى تاريخها وبمقتضى مكانتها في العقائد السماوية ولكنها في الوقت نفسه مدينة عربية إسلامية منذ أربعة عشر قرناً مع تبدل وتنوع أشكال الحكم فيها وحولها . ولقد كانت دائماً بحكم موقعها الجغرافي الإستراتيجي في شرقي البحر المتوسط وبين مصر جنوباً والشام شمالاً حلقة الوصل التجارية والسياسية والعقيدية أيضاً .

ثم أن التاريخ يبين أن العرب لم يدخلوا القدس أبداً بالحرب العنيفة على أرضها وإنما دخلوها في كل مرة إما برضى أهلها كما حدث مع الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي فتحها بالدعوة الإسلامية ودخلها زاهداً على قدميه أو بالتفاوض بعد تحقيق النصر على الأعداء خارجها كما حدث مع صلاح الدين الأيوبي الذي انتصر على الفرنجة في حطين فسلموا له القدس بعد أشهر ليعيد بناء ما تهدم منها وكانوا أي الفرنجة

قد دخلوها تحت شعار الصليب كذباً فأغرقوها فى دماء أهلها ذبحاً وتقتيلاً وهو "ما لم يفعله العرب والمسلمون أبداً".

أولاً : الوضع الحالى للقدس

(أ) القانون .. والمواقف الدولية (رؤية جديدة)

تنص المادة الخامسة من " إعلان المبادئ الفلسطينى الإسرائيلى" (١٣ سبتمبر ١٩٩٣) والخاص بالفترة الانتقالية ومفاوضات الوضع الدائم على :

١- تبدأ فترة السنوات الخمس الانتقالية فور الانسحاب من قطاع غزة ومنطقة أريحا.

٢- سوف تبدأ مفاوضات الوضع الدائم بين حكومة إسرائيل وممثلى الشعب الفلسطينى فى أقرب وقت ممكن ولكن بما لا يتعدى بداية السنة الثالثة من الفترة الانتقالية.

٣- من المفهوم أن هذه المفاوضات ستغطى القضايا المتبقية ، بما فيها القدس ، اللاجئون ، المستوطنات ، الترتيبات الأمنية ، الحدود ، العلاقات والتعاون مع جيران آخرين ، ووسائل أخرى ذات الاهتمام المشترك.

٤- يتفق الطرفان على أن لا تجحف أو تخل اتفاقيات المرحلة الانتقالية بنتيجة مفاوضات الوضع الدائم .

كما تنص الفقرة الأولى رقم ١ من الملحق الأول وعنوانه " بروتوكول حول صيغة الانتخابات وشروطها " على أن فلسطينيي القدس الذين يعيشون فيها سيكون لهم الحق فى المشاركة فى العملية الانتخابية ، وفقاً لاتفاق بين الطرفين.

وفى ملف قضية القدس الخاص بالقرارات الدولية التى صدرت بشأن فلسطين وكافة قرارات الأمم المتحدة الأخرى وأجهزتها ، يتبين أمران : الأول أن كافة القرارات تذكر القدس على نحو التخصيص ، حتى وإن ورد اسمها فى متن قرارات أخرى ، فضلا عن القرارات التى صدرت بشأن وضع المدينة المقدسة . والأمر الثانى الذى لا يتضح مباشرة وفى حاجة مستمرة إلى تنبيه وتذكير هو أنه لم يحدث فى أى وقت من الأوقات أن أعلنت دولة إسرائيل موافقتها أو التزامها بأى من هذه القرارات ، كما لم يحدث فى أى وقت من الأوقات منذ قيام دولة اسرائيل أن وضعت توقيعها على أى اتفاق يتعارض مع ما تدعيه

بأن القدس عاصمتها . وقد تأكد ذلك بوضوح (أى بدون استعمال عبارات غامضة) بعد احتلال القسم الشرقى من المدينة المقدسة فى يونيو ١٩٦٧ ، وذلك على خلاف الموقف العربى الذى رفض القرارات الدولية الخاصة بالقدس حتى عام ١٩٦٧ ويوافق عليها منذ ذلك التاريخ .

ذلك يجعل "إعلان المبادئ" الموقع من كل من محمود عباس عن الوفد الفلسطينى الذى هو كما جاء فى ديباجة إعلان المبادئ "ممثل للشعب الفلسطينى" وشيمون بيريز عن حكومة إسرائيل وبتوقيع شاهدين هما وارن كريستوفر عن الولايات المتحدة الأمريكية وأندريه كوزيريف عن الفيدرالية الروسية ، هو الوثيقة الأولى حتى الآن التى وقعتها إسرائيل وأعلنت التزامها بها ، التزاماً بما جاء فى باقى نصوص إعلان المبادئ وملحقاته.

مما سبق نلاحظ الأمور التالية:

١. أن لمدينة القدس وضعية خاصة فى عملية الصراع العربى الإسرائيلى منذ بدايتها . وقد اعترفت كافة القرارات الدولية بهذه الوضعية وإن لم تنفذ .

٢. أن دولة إسرائيل التى كانت وما تزال تعلن أن القدس عاصمتها الأبدية الموحدة ، لم تعترف بأية قرارات أو اتفاقات دولية أو ثنائية تعرضت لوضع مدينة القدس ولا هى التزمت بها عملياً.

٣. أن ما جاء عن المدينة فى بيان إعلان المبادئ الذى وقعته إسرائيل ، هو أول التزام إسرائيلى معلن ورسمى بأن ثمة مشكلة بشأن المدينة ووضعيتها ينبغى التفاوض حولها.

٤. أن إرجاء مناقشة وضع المدينة إلى المرحلة الثانية من المفاوضات ، التى تبدأ بعد انسحاب القوات الإسرائيلية من قطاع غزة وأريحا ، قد تكر القدس باعتبارها القضية المؤجلة الأولى ، قبل اللاجئين والمستوطنات .. الخ .

وبذلك – ولكون دولة إسرائيل كانت قد أعلنت قبل صدور إعلان المبادئ أن قضية القدس غير قابلة للتفاوض وأنها تعد بحكم القانون الإسرائيلى عاصمة إسرائيل الموحدة

الأبدية – فإن النص فى اتفاق إعلان المبادئ على التفاوض بشأن القدس مع الوفد الفلسطينى يمكن اعتباره تراجعاً إسرائيلياً ، وإن كان ما يزال مجرد أوراق مكتوبة ولكنها على أى حال تحمل توقيع إسرائيل.

ومع أن دولة إسرائيل عادت ووقعت على اتفاقية أخرى مع طرف عربى آخر هو المملكة الأردنية الهاشمية جاء فى المادة التاسعة منها ذكر القدس ، إلا أن الصياغة الرسمية جاءت على النحو التالى : الفقرة ٢ من المادة ٩ بعنوان "الأماكن ذات الأهمية التاريخية والدينية" تقول "وبهذا الخصوص وبما يتماشى مع إعلان واشنطن تحترم إسرائيل الدور الحالى والخاص للمملكة الأردنية الهاشمية فى الأماكن الإسلامية المقدسة فى القدس وعند انعقاد مفاوضات الوضع النهائى ستولى إسرائيل أهمية كبرى للدور الأردنى التاريخى فى هذه الأماكن" .

وفى هذه الفقرة التى أثارت خلافاً واسعاً بين منظمة التحرير الفلسطينية والأردن ، فإن مجرد توقيع إسرائيل على اتفاق يتضمن الموقف من قضايا داخل القدس ، هو فى ذاته تغير للموقف الإسرائيلى الرسمى ، خاصة وأن الفقرة قد نصت على أنه "عند انعقاد مفاوضات الوضع النهائى ستولى إسرائيل أولوية كبرى للدور الأردنى التاريخى فى هذه الأماكن (والمقصود الأماكن المقدسة الإسلامية فى القدس كما ورد فى أول الفقرة) . وربما كانت إسرائيل تهدف من وراء هذا النص إثارة خلاف أردنى فلسطينى ، ولكنها فى كل الأحوال تقر بأن مفاوضات الوضع النهائى ستتناول هذه القضية باعتبارها قضية خاصة.

خصوصية مدينة القدس ومترتباتها

من وجهة النظر العربية ، وبالإجماع ، وكذلك من وجهة نظر الدول الإسلامية طبقاً لقرارات مؤتمر منظمة دول المؤتمر الإسلامى ، تعد مدينة القدس عاصمة دولة فلسطين (المستقلة أو الكاملة) ، وقد صدر فى ذلك عشرات القرارات والبيانات والتصريحات . أما من وجهة النظر الدولية بشكل عام فإن الموقف من المدينة ، فهو وإن كان لا يوافق على اعتبار القدس عاصمة إسرائيل رسمياً إلا أنه يختلف ويتنوع بشأن مستقبلها.

ففى نطاق قرارات الأمم المتحدة ، نشأت القضية كنتيجة مباشرة لقرار تقسيم فلسطين الذى أصدرته الجمعية العامة برقم ١٨١ فى ١٩٤٧/١١/٢٩ الذى نص على "تدويل القدس هو أفضل وسيلة لحماية جميع المصالح الدينية فى المدينة المقدسة" . وقد جعل للقدس منطقة سماها منطقة القدس واعتبرها "منطقة قائمة بذاتها Corpus Separatum " وتضم بلدية القدس (إدارياً فىَ ذلك الوقت) مضافاً إليها القرى المحيطة بها بحيث تكون قرية أبو ديس أقصاها فى الشرق وبيت لحم أقصاها فى الشمال. وعهدت الجمعية العامة إلى مجلس الوصاية بوضع نظام خاص لمنطقة القدس على أن ترتبط بوحدة اقتصادية مع الدولتين العربية واليهودية . وفى ١٩٤٨/٤/٢١ قدم مجلس الوصاية فى الأمم المتحدة نظاماً دولياً لمنطقة القدس تنفيذاً لقرار التقسيم ، وكان من أدق النواحى التى جابهها مجلس الوصاية مشكلة انتخاب المجلس التشريعى . وجاء فى قرار الجمعية العامة أن نظام الحكم فى القدس يجب أن يكون على أساس الاقتراع العام والسرى والتمثيل النسبى للسكان ، ونظراً لرفض الطرفين العربى والإسرائيلى لذلك ، طلب مجلس الوصاية تعليمات جديدة من الجمعية العامة التى عينت شخصاً حيادياً لمركز محافظ المدينة لم يتعاون معه أحد من الطرفين فعاد . ثم قررت الجمعية العامة (القرار ١٦٨ دورة خاصة – ٢) فى ١٩٤٨/٥/١٤ إرسال وسيط دولى هو الكونت فولك برنادوت الذى ذهب وعاد ليقدم حلوله السياسية لمشكلة فلسطين بكاملها . وقد أوصى بضم منطقة القدس إلى الدولة العربية المقترح قيامها ، على أن تكون لليهود لامركزية إدارية ضمنها . وفى ١٩٤٨/٨/١٩ صوت مجلس الأمن على قرار خاص بوضع القدس بالذات هو رقم ٥٦ تضمن تحذير الفريقين المتحاربين من مسئولية ما يقع من أضرار على أيدى القوى النظامية وغير النظامية وطلب من الوسيط الدولى تجريد القدس من السلاح لحمايتها من الدمار ، " وأنه لا يحق لأى فريق أن يجنى ربحاً مهما كان نوعه من جراء خرق الهدنة " ، وفيما بعد تراجع الوسيط الدولى عن رأيه السابق بضم القدس إلى الدولة العربية ، بسبب تطور الموقف العسكرى لمصلحة اليهود الصهاينة . وقدم آخر تقرير له وقعه قبل مقتله على أيدى الإرهابيين الإسرائيليين الصهاينة ، إلى الجمعية العامة فى ١٩٤٨/٩/١٦ أوصى فيه " بأن ينظر إلى القدس بصورة مستقلة وأنها يجب أن توضع تحت رقابة الأمم المتحدة

مباشرة مع إعطاء سكانها من اليهود والعرب لامركزية إدارية وضمان حماية الأماكن المقدسة وسهولة الوصول إليها ".

في ذلك الوقت كانت القوات الإسرائيلية قد احتلت مدينة القدس الجديدة بأحيائها العربية ، كما احتلت القوات الأردنية مدينة القدس بما فيها الأماكن المقدسة كلها. ولكن ذلك لم يمنع إصرار الجمعية العامة على إصدار قرار يقضي بتدويل منطقة القدس (قرار ١٩٤ "د٣" ١٩٤٨/١٢/١١) ، وشكلت لجنة سميت بلجنة التوفيق لتقديم اقتراحات مفصلة لإقامة نظام دولي دائم في المدينة ، وعادت في عام ١٩٤٩ وقدمت مشروعاً خاصاً بالقدس يقسمها إلى منطقتين تدير كل منهما إدارة خاصة بها إلا ما كان ذا صفة دولية فيصرفها مفوض يمثل الأمم المتحدة بما في ذلك حرية زيارة الأماكن المقدسة والأمور ذات العلاقات الدولية . ودخلت قضية القدس في دوامة المشاريع والمشاريع المبدلة ، إلا أن الجمعية العامة للأمم المتحدة استمرت ترفض إجراءات إسرائيل بنقل وزاراتها ودوائرها الحكومية إلى المدينة الجديدة ومحاولتها فرض الأمر الواقع ، ولكن إسرائيل استمرت إلى أن استكملت احتلال القدس خلال حرب عام ١٩٦٧ ، وبدأت سلسلة جديدة من القرارات الخاصة بمدينة القدس تصدر غالباً عن الجمعية العامة للأمم المتحدة وأحياناً من مجلس الأمن ، وكلها برفض الإجراءات الإسرائيلية وكلها أيضاً ترفض إسرائيل الالتزام به وتستمر في إجراءاتها إلى أن أعلنت في أغسطس عام ١٩٨٠ ضم القدس المحتلة نهائياً وجعلها عاصمتها الأبدية ، ولم يكن أمام دول المجتمع الدولي إلا أن ترفض نقل سفاراتها إلى ما اعتبرته إسرائيل عاصمتها الأبدية وإن كانت قد أبقت بعثات قنصلية هناك*.

وإذا كانت الأمم المتحدة وقراراتها هي انعكاس لمواقف الدول في العالم ، فإن قراءة هذه القرارات مجتمعة ستبين أن الموقف من قضية القدس كان " خاصاً " حتى في فترة الحرب الباردة التي تمايزت فيها مواقف الدول وقراراتها من الصراع العربي الإسرائيلي. لقد كان الموقف من القدس متميزاً حتى بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية التي كثيراً ما

---

* أهمية ذكر هذه التواريخ هو لفت النظر لضرورة الحصول على تفاصيل مداولات وبحوث ودراسات الوسطاء الدوليين ولجان التوفيق ومداولات الجمعية العامة حول مدينة القدس ، لما ورد فيها من معلومات واقتراحات يمكن الاستفادة منها بتحديثها في مرحلة المفاوضات النهائية .

استعملت حق الفيتو لتعطيل صدور قرار من مجلس الأمن متعلق بإجراءات إسرائيلية ما داخل مدينة القدس ووضعها . فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية تستعمل حق الفيتو اعتراضاً على ما تضمنه هذا القرار من قرارات عملية أو من إدانات تجدها الدبلوماسية الأمريكية ضارة بحليفتها إسرائيل أو من صياغات منحازة إلى الرؤية العربية الفلسطينية، ولكنها فى كل الأحوال لم تنكر الوضعية الخاصة للقدس ولم تقف ضد فكرة التدويل.

بل إنها بعد احتلال شرقى القدس أعلنت على لسان ممثلها فى مجلس الأمن آرثر جولدبرج بأنها "تعتبر القدس واحدة من أقدس مدن العالم والولايات المتحدة ترى أن القدس الشرقية التى احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ هى منطقة محتلة تخضع لقانون الاحتلال الحربى ولا يجوز لإسرائيل أن تدخل عليها أية تغييرات . ولذلك فإن التغييرات التى أدخلتها إسرائيل على المدينة باطلة ولا تمثل حكماً مسبقاً على الوضع النهائى والدائم للمدينة" (١٩٦٧/٧/١٤) . كان ذلك قبل صدور قرار ٢٤٢ فى نوفمبر ١٩٦٧ ، وقد كرر الموقف شالزيوست المندوب الأمريكى فى الأمم المتحدة ١٩٦٩/٧/١ وقال " إن القدس التى وقعت تحت سيطرة إسرائيل فى حرب ١٩٦٧ مثلها مثل مناطق أخرى احتلتها إسرائيل تعتبر منطقة محتلة تخضع لنصوص القانون الدولى الذى ينظم حقوق والتزامات دولة الاحتلال القائلة بأن دولة احتلال لا يحق لها أن تحدث تغييرات فى القوانين أو الإدارة " .

أما بعد أن بدأت المفاوضات الإسرائيلية المصرية ومن بعد المفاوضات الإسرائيلية مع الأطراف العربية الأخرى ، فقد وجدت الولايات المتحدة الأمريكية مخرجاً بتأجيل إعلان موقفها من المدينة بحجة عدم تعطيل عمليات التفاوض والاتفاق . وتصلح مداولات مفاوضات كامب ديفيد والاتفاقيات التى أثمرتها "كحالة دراسية" للموقف الأمريكى . فلقد أصر الرئيس الراحل أنور السادات على إعلان الموقف المصرى من قضية القدس ورفض الطرف الإسرائيلى (مناحم بيجين آنذاك) مجرد ذكر كلمة القدس ، لا فى نص الاتفاق ولا فى ملحقاته. ولجأ الرئيس جيمى كارتر بصفته شريكاً وشاهداً فى الاتفاق إلى أسلوب تبادل الخطابات بين الأطراف الثلاثة ، وقدم خطاباً لم يذكر فيه الموقف الأمريكى وإنما أشار إلى الموقف السابق الذى أعلنه السفير آرثر جولدبرج فى مجلس الأمن

(١٩٦٧/٧/١٤) وحدد فيه الموقف الأمريكى من المدينة ، كوسيلة لتخطى عقبة رفض بيجين للتوقيع على أية وثيقة تتعارض مع رؤيته ورؤية إسرائيل للمدينة المقدسة .

وما يزال الموقف الأمريكى دبلوماسياً كما هو ، فعلى الرغم من أن الرئيس بيل كلينتون كان قد استعمل قضية القدس فى أثناء الانتخابات لكسب أصوات اليهود ، فإنه عندما تولى الرئاسة تراجع عن نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس . وقد شجع الأمريكيون على تأجيل قضية القدس إلى المفاوضات النهائية ، كما استثمروا بدء عملية المفاوضات وما تضمنته اتفاقاتها حتى الآن كحجة لوقف بحث هذه القضية فى الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، ولكنهم من الناحية الأخرى استثمروها فى معارضة مشروع قانون نقل السفارة الأمريكية إلى القدس (رقم ٥٧٠ / ١٩٩٥) المقدم إلى مجلس الشيوخ الأمريكى. وجاء فى رسالة وزير الخارجية الأمريكى وارين كريستوفر فى هذا الشأن أنه " لا توجد قضية متصلة بالمفاوضات العربية الإسرائيلية أكثر حساسية من قضية القدس ولهذا السبب بالضبط فإن أى جهد يبذله الكونجرس لوضع هذه القضية فى واجهة الأحداث هو جهد غير حكيم ويحمل إمكانية الإضرار الشديد بنجاح عملية السلام " ، كما جاء فى الرسالة نفسها " حقيقة الأمر أننا استخدمنا فى الآونة الأخيرة حق النقض لهذا السبب تحديداً ، ضد مشروع قرار فى مجلس الأمن الدولى كان يهدف إلى دفع قضية القدس إلى واجهة الأحداث . ولقد علق رئيس الوزراء الإسرائيلى قراراً يتعلق بمصادرة أراض فى القدس مما أدى إلى تقليص التركيز عملياً على قضية القدس " ، واستطرد قائلاً " إن آخر ما نريد أن نفعله هو أن الولايات المتحدة فى هذه اللحظة بالذات بإعادة التركيز على قضية القدس " . وبعد أن يتحدث كريستوفر عن صلاحيات أخرى للرئيس يعلن " إننى أوصى بأن ينقض الرئيس تشريع مجلس الشيوخ رقم ٥٧٠ إذا ما قدم إليه .. ولكن من أجل سلام الشرق الأوسط ومسئوليات الرئيس الدستورية فى السياسة الخارجية فلن يكون أمامى خيار سوى فعل هذا " (من نص رسالة كريستوفر إلى الكونجرس فى تاريخ ٢١ يونيو ١٩٩٥ – عن نشرة الأنباء العربية الصادرة عن وكالة الإعلام الأمريكية فى واشنطن – القاهرة ١٩٩٥/٦/٢١).

وباعتبار أن الموقف الأمريكى من مجمل الصراع العربى الإسرائيلى هو الموقف الذى يجرى وراءه الموقف الغربى بشكل عام ، فإن فى الإمكان تلخيصه كما يلى :

تشريعيا ترفض الولايات المتحدة الامريكيه الموقف الإسرائيلى الراهن ولا تعترف به ، ولكنها فى الوقت نفسه توافق على ما تفعله إسرائيل من عمليات فرض الأمر الواقع ، سواء بضم المدينة إدارياً وتشريعياً أو بتغيير هويتها الديموجرافية أو مصادرة الأراضى من العرب ، وهى تسعى للوصول بأطراف الصراع إلى حل مقبول يجمد ما تثيره قضية القدس من توترات دينية وسياسية .

وبين الولايات المتحدة الأمريكية وبين بقية الدول الغربية فى هذا الشأن اختلاف يرجع إلى أن الدول الأوروبية أساساً تراعى فى تحديد مواقفها أن تكون متماشية مع موقف الفاتيكان الذى يشكل القدس بالنسبة له المدينة المقدسة الأولى (هى ثالث المقدسات عند المسلمين) .

أما موقف الفاتيكان من قضية القدس فقد حكمه منذ البداية هدف توطيد العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية والعالم العربى ليتسنى له حماية مصالح المسيحيين فى الشرق وبناء جبهة واحدة مع المسلمين فى مواجهة التيارات العلمانية من جهة ، ومن الناحية الأخرى محاولة إيجاد صيغة للتفاهم بين المسيحية واليهودية رغم العداء المستحكم بينهما . وقد رفض الاعتراف بدولة إسرائيل إلى عام مضى وطالب بتدويل القدس وأيد المواقف الفلسطينية وخاصة فى قضية اللاجئين الفلسطينيين ، وما يزال موقفه هذا قائما وهو موقف يؤثر على موقف الدول الأوروبية بشكل عام .

(ب) معايير دولية مختلفة للنظر فى قضية القدس

أضافت سلسلة قرارات الهيئات الدولية تعقيداً على تعقيد لمشكلة القدس ، أو بمعنى آخر زادت من خصوصية سماتها عند التعامل معها . فللقدس الآن وضعية خاصة طبقاً لقرار التقسيم وملحقاته سواء فى القرار ١٨١ لعام ١٩٤٧ أو القرار ١٩٤ لعام ١٩٤٩ . ويستند بعض رجال القانون الدولى حتى فى الإدارة الأمريكية على هذه الوضعية القانونية الخاصة لرفض الاعتراف بكل ما تعلنه دولة إسرائيل بشأن مدينة القدس حتى قبل عام ١٩٦٧ ، عندما كانت إسرائيل تعتبر القدس هى المدينة الجديدة التى أقامتها ملاصقة

للمدينة القديمة. وهؤلاء يرفضون طبعاً كافة قرارات الضم والإلحاق وإعلان المدينة موحدة وكل القرارات المشابهة .

في عام ١٩٦٧ عندما احتلت إسرائيل المدينة القديمة ضمن ما احتلته من الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية ، أصبح لمدينة القدس وضعية دولية أخرى وإن لم تكن متناقضة . إذ أن مدينة القدس العربية التي كانت تعد ضمن المنطقة الخاصة وتعامل بالقرارات الصادرة في عام ١٩٤٩/١٩٤٨ كانت قد أصبحت جزءاً من المملكة الأردنية الهاشمية التي احتل الجيش الإسرائيلي الضفة الغربية منها. وهي في إطارها القانوني ، يسري عليها قرار ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ الذي يقضي بانسحاب القوات المحتلة عنها . وقد حاولت إسرائيل بالطبع اللعب على هذا الاختلاف ، ولكنها على أي حال استمرت في أسلوبها في خلق الوقائع داخل مدينة القدس القديمة (الشرقية) ، منكرة أنها جزء من أراض محتلة . وقد أدى ذلك إلى صدور عدة قرارات من مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة تتعامل مع مدينة القدس الشرقية باعتبارها جزءاً من الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ . ورغم الإدانة المستندة دوماً على ميثاق جنيف للتعامل مع الأراضي المحتلة ورفض أي تغيير تقوم به قوة الاحتلال ، فإن هذه القرارات لكونها لم تنفذ أدت إلى القبول الضمني بالتغيرات والمصادرات والتطهيرات التي قامت بها السلطات الإسرائيلية في المدينة العربية ، ومنها هدم مساجد ومصادرة بيوت وممتلكات . ونسي العالم شعبياً ورسمياً أنها إجراءات مرفوضة سواء استناداً على قرارات ١٩٤٨ و ١٩٤٩ أو استناداً على قرارات ١٩٦٧ أو استناداً على ميثاق جنيف ، ولم تعد القرارات الجديدة تشير في مقدمتها إلى القرارات الأولى السابقة على عام ١٩٦٧ .

ثم جاء إعلان المبادئ والوثائق المرفقة بها ليطرح قضية القدس كقضية قابلة للتفاوض ، وهو ما تستند عليه إسرائيل والولايات المتحدة الآن لرفض مناقشة قضية القدس استناداً إلى القرارات الدولية السابقة . وتفسر الولايات المتحدة وإسرائيل ما جاء في إعلان المبادئ بأن ذلك "يَجُبُّ" ما سبقه من قرارات لاتفاق الطرفين ، وهو تفسير يسقط تماماً فكرة الوضعية الخاصة للقدس دولياً وإن كان يطرح مجدداً للتفاوض والنقاش مقولة إسرائيل عن العاصمة الموحدة الأبدية ، وفي الحالتين يتعامل مع المدينة باعتبارها موضوعاً يهم الشعب الفلسطيني .

ومن هنا كان اعتراض القيادة الفلسطينية على ما جاء فى الاتفاقية الأردنية الإسرائيلية بشأن المدينة ، والتى أعطت أولوية للمملكة الأردنية الهاشمية فـى رعايـة الأمـاكن الدينيـة الإسلامية ، وهو أمر يتعـارض مـع القرارات الدوليـة (٤٨/٤٩) الخاصـة بـالقدس ، كمـا يتعارض مع ما جاء فى بيان المبادئ من أن قضية القـدس ستناقش فـى المرحلـة النهائيـة للمفاوضات ، ويفتح الباب أمام اقتراح إسرائيلى غامض بإعطاء الأماكن الدينية فى المدينة وضعية خاصة داخل (العاصمة الإسرائيلية). وقد أمكن التغلب على الأزمة بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية . إذ فضل الطرفان تأجيل الخلاف حول هـذا الموضـوع لكـى لا تستفيد منه إسرائيل .

(جـ) كيف تُنفذ إسرائيل خطة احتواء القدس .. واقعياً؟

تستمد القـدس وضعيـة خاصـة انعكست فيمـا جـاء مـن قـرارات دوليـة بشـأنها وليـس العكس، أى أنها ليست قضية خاصة بسبب ما جـاء عنهـا فـى القـرارات الدوليـة ، ولكنهـا كذلك لأسباب سابقة عن هذه القرارات ولاحقة عليها ومستمرة .

فالمدينة التى يمتد تاريخها لأكثر من أربعة آلاف عام ، والتى كـانت علـى الـدوام فـى قلب الأحداث ، والوقائع التى جرت لهذه المنطقة من العالم ، اكتسبت خصوصية مـن هـذا التاريخ ، وخاصة بسبب ارتباط جميع الأديان السماوية بها وبالرموز التى تحتويها . وفـى التـاريخ كـانت معـايير النصـر أو الهزيمـة والحكم أو اللاحكم تقاس بمـن يفتـح المدينـة ويحكمها حتى ولو كان يسيطر ويحكم على بقية أراضى فلسطين الجغرافية .

والعالم الآن يقر بأن هذه المدينة رمز ولا يختلف أحد على ارتباطها نفسـياً ووجدانيـاً بالمسيحيين والمسلمين فى كافة أرجاء العالم ، كما لا يختلـف أحد أنهـا فـى قلـب المنطقـة الناطقة باللغة العربية أى باختصـار هـى مدينـة عربيـة ، وليس مـن المصادفـة أن تتعمد وسـائل الإعـلام الإسـرائيلية الحديـث عن المدينـة رابطـة باستمرار بيـن كلمتـى أورشليم والقدس فى تعبير واحد . كما أن ذلك هو الدافع الذى جعل إسرائيل ومن قبلهـا المنظمـات الصهيونية تحاول الإحاطة بهذه المدينة جغرافياً وبشرياً وكذلك ثقافياً ، لاحتوائها .

من الناحية الجغرافية حاولت الحركة الصهيونية زيادة عدد اليهود الموجودين فى المدينة بيهود تستقدمهم من الخارج . ولما لم تنجح هذه العملية قبل عام ١٩٤٨ لقلة عدد اليهود المستقدمين وعدم اندماجهم مع اليهود المقيمين من قبل حياتياً ، بدأت فى إقامة مدينة كاملة غربى المدينة القديمة لاستيعاب المستقدمين اليهود الجدد من أوروبا ، وكذلك لتوسيع مجال استعمال "الاسم" بحيث تتهيأ الظروف لاحتواء المدينة القديمة ، ولكن نتائج حرب عام ١٩٤٩/١٩٤٨ أفشلت هذه الخطة أيضاً . فمن ناحية بقيت المدينة القديمة عربية ، وهى التى تضم الأماكن المقدسة المسيحية والمسلمة بل والموقع الوحيد الذى يزعم اليهود أنه بقية حائط هيكل سليمان أى الموقع اليهودى الوحيد ذو الصفة المقدسة . ثم قامت السلطات الإسرائيلية بتهجير العرب الذين كانوا يقيمون فى المدينة الجديدة الغربية ومصادرة أموالهم وأملاكهم فعمقت التمايز بين المدينتين .

بعد عام ١٩٦٧ بدأت إسرائيل من فورها بالعمل على عدة مستويات : المستوى الأول هو إزالة أحياء عربية بكاملها ، والمستوى الثانى هو منع العرب المقيمين فى المدينة من بناء بيوتهم أو ترميمها ، والمستوى الثالث هو مصادرة جميع أراضى الدولة داخل المدينة وحولها (داخل حزامها الإدارى) ، ثم لجأت السلطات الإسرائيلية فيما بعد إلى إجراءات التوسيع الإدارى لنطاق بلدية القدس ، بحيث تم إلحاق عدد من القرى إدارياً بالمدينة وبدأت بالحديث عن القدس الكبرى ، وتوافق كل ذلك مع إعلان ضم المدينة إدارياً لإسرائيل وعرض الجنسية الإسرائيلية على العرب المقيمين فيها .

أما بالنسبة للتغيير البشرى ، فقد عملت إسرائيل على تقليل أعداد العرب بكافة الطرق التى استعملتها لتهجير وطرد السكان العرب من فلسطين ، أى بالضغط الاقتصادى والألاعيب القانونية ، وفى الوقت نفسه بدأت فى تسكين جماعات من اليهود المتدينين المتشددين ، فيما زعم بأنه كان من قِبَل مدارس دينية لليهود ثم فى البيوت المصادرة أو المباعة بالتزييف والتزوير ثم فى البيوت التى جرى بناؤها حديثاً . ولم تمض سنوات الاحتلال إلا وقد حوصرت مدينة القدس بأسوار من المستوطنات المبنية ببنايات شاهقة والمسكنة بالمهاجرين الجدد ، وقامت فى داخل المدينة مؤسسات يهودية ، وتحول العرب القاطنون فى القسم الشرقى من المدينة من غالبية السكان (الجميع تقريباً) إلى ما يقرب من النصف ، وما يزال ٨٥٪ منهم يرفض الهوية الإسرائيلية ويمتنع تماماً عن التعامل مع

المؤسسات الإسرائيلية الحكومية مضحين بالامتيازات العديدة التى يوفرها تجنسهم بالجنسية الإسرائيلية التى تعطيهم حق الانتخاب سواء فى الانتخابات العامة أو فى الانتخابات البلدية إلى جانب تطبيق القانون الإسرائيلى عليهم وعلى ممتلكاتهم ، وهو وضع مثير للجدل ولكن الآراء العربية ترجح حتى الآن الاستمرار فيه.

ثانياً : العرب ومحاولة استعادة القدس

(أ) مداخل العمل من أجل القدس (القوى المشاركة)

تنتشرقضية القدس زمانياً ومكانياً وسياسياً ، وبينما يعدها بعض المراقبين العقبة الأساسية أمام الوصول إلى سلام شامل ودائم ، باعتبار ما تحمله من أبعاد وأعماق تتخطى حدود الصراع الفلسطينى الإسرائيلى بل والعربى الإسرائيلى لتشمل العالم الإسلامى والعالم المسيحى أيضاً ، فإن بعض المحللين والمفكرين يرونها قضية وإن كانت صعبة فإنها قابلة للحل . بينما تعد قضية عودة اللاجئين الفلسطينيين أعقد منها بكثير على الأقل من ناحية التكلفة المادية والبشرية والزمنية .

ومع هذا الانتشار الزمانى والمكانى والسياسى ، تختلف مواقف الأطراف حتى داخل صفوف الشعب الفلسطينى الذى يتوزع الآن (والمقادسة منهم على وجه التحديد) بين خارج فلسطين وبين أراضى الضفة الغربية وغزة وبعضهم فى القدس ذاتها ، ومنهم من يقيم فى المدن المجاورة تحت ظروف إدارية مختلفة . والمدينة مفتوحة لما يقرب من مليون فلسطينى يحملون الجنسية الإسرائيلية (عرب إسرائيل) . فإذا أضفنا إلى هؤلاء التوزع الأكثر تنوعاً لأبناء الشعب الفلسطينى ، وكلهم يتطلعون إلى القدس ومرتبطون بها معنوياً وتاريخياً ، فإن هذا التنوع يؤدى إلى تنوع مشابه وضرورى فى المواقف وخاصة تلك التى تتعلق بالحياة اليومية المباشرة . وفى الحياة على المدى القصير والمتوسط لا خلاف بين الفلسطينيين وبين العرب حول ضرورة استعادة القدس الشرقية منها على الأقل وعودة السيادة العربية إليها . لقد جرى فى الماضى وحتى الآن – رسمياً على الأقل – التعامل مع هذه القضية من نقطة الحد الأقصى دون الالتفات أو الانتباه أو التعامل مع كافة المراحل السابقة . وما يزال حتى الآن من ينصح الشعب الفلسطينى بعدم جواز التقدم

إلى المحكمة العليا الإسرائيلية لإلغاء قرار بمصادرة بيته ، رغم نجاح البعض فى منع ذلك عن هذا الطريق . وما يزال هناك حتى الآن من يرفض من الفلسطينيين زيارة مدينة القدس لكونها تحت الاحتلال الإسرائيلى ، وإن لم يمنع هذا الرأى توجه الفلسطينيين داخل فلسطين المحتلة كل يوم جمعة للمسجد الأقصى للصلاة فى المدينة المحتلة . وما يزال حتى الآن فريق من المحامين الفلسطينيين لا يترافع أمام المحاكم الإسرائيلية المدنية أو العسكرية تاركاً المتقاضين الفلسطينيين للتعامل مع محامين إسرائيليين . ليس فى هذا تقييم لصواب موقف الرافضين أو خطأ موقف غير الرافضين ، وإنما هو إشارة إلى أن انتشار القضية على مدى زمنى طويل وتغير ظروفها المادية قد أدى إلى خلق دوافع ومواقف مختلفة ، لعل أهم توصية بشأنها هو أن لا يؤدى هذا الاختلاف إلى تراشق بالاتهامات ولا بالخيانة ولا بالتفريط ولا بالجمود والمزايدة .

إن تنوع الدوافع والوقائع يوجب أن يتم التحرك على كل مستوى ممكن والاستفادة من كل فرصة ممكنة وتحقيق التقدم بالتراكم نحو الهدف الكلى والشامل ، ألا وهو استعادة القدس . ومن الضرورى تحرير الفكر الفلسطينى والعربى الرسمى منه والشعبى من قيود التوقف عند شعارات الحد الأقصى دون التنازل عنها . ومن الضرورى البحث وتشجيع البحث والمبادرة لتحقيق اختراقات ولخلق وقائع ولتعظيم عوامل القوة وللاستفادة من تنوع المواقف الفلسطينية للهجوم من كافة الاتجاهات .

إن الأبعاد الثلاثة لقضية القدس ، الفلسطينية والإقليمية (القومية) والعالمية توجب التحرك على كل منها بمستويين أو أكثر ، المستوى الرسمى والمستوى الشعبى والمستوى الدينى حيثما يتوفر ذلك ، وكذلك المستويات الخاصة بالقيم العامة حول حرية العقيدة وحقوق الإنسان وخاصة على الساحة الدولية .

فلسطينياً يعد ما تحقق حتى الآن على طريق إقامة السلطة الوطنية الفلسطينية فى الضفة الغربية وغزة ، وكذلك الحصول على توقيع إسرائيل على إعلان المبادئ وما تضمنه من أن قضية القدس قضية قابلة للتفاوض وأن الفلسطينيين فى القدس لهم حق الانتخاب ، وأن الاتفاق (إعلان المبادئ) لا يجب أن يجحف أو يؤدى إلى تغيير حقائق الوضع الراهن بما يتعارض مع مفاوضات المرحلة النهائية . كل ذلك يوفر أمام القيادات

الفلسطينية فرص إبقاء قضية القدس مشتعلة . إذ أن من حقها أن تعترض دولياً على كل خطوة أو إجراء ترى فيه إجحافاً بالوضع النهائى للمدينة ، كما أن مواصلة الحديث باسم القدس وعما يجرى فيها يثبت المطلب الفلسطينى بأن القدس هى عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة .

فى الوقت نفسه فإن مواصلة البناء التنظيمى الرسمى وشبه الرسمى والمعلن وشبه المعلن لمؤسسات فلسطينية داخل المدينة ، هو من قبيل خلق وقائع جديدة فى المدينة أو استعادتها . وبالإضافة إلى ذلك فإن إثارة " قضايا " مثل تلك الخاصة بالمصادرات الإسرائيلية فى مدينة القدس الغربية ، هو من قبيل مواصلة الهجوم الذى يدفع الإسرائيليين إلى موقف الدفاع . وقد صرح مؤخراً السيد فيصل الحسينى المكلف بملف القدس فى السلطة الفلسطينية ، كما صرح المطران هيلاريون كبوشى وغيرهما من القادة والرموز الفلسطينيين ، بإمكان قيام دولتين فى القدس تضمهما عاصمة واحدة ، وهى فكرة يرفضها كثيرون على الجانبين العربى والإسرائيلى ، وإن كانت هى بالنسبة للطرف العربى كسباً إذا تحققت .. أما بالنسبة للطرف الإسرائيلى فإن مجرد الحوار حولها يمزق الإجماع الإسرائيلى حول المدينة .

فى كل حال من الأحوال فإن التحرك الفلسطينى الرسمى والشعبى يحتاج إلى إطلاق المبادرات والاستفادة من كل ما يجرى ويتم ، حتى ولو بدا مخالفاً لما جرى عليه الأمر طوال نصف القرن الماضى . ولربما كان من المفيد مناقشة جدوى ازدواجية الموقف العربى داخل المدينة لكى يمكن الاستفادة من الضمانات القانونية الإسرائيلية لممتلكات الإسرائيليين فى حال حصول أى عربى من القدس على الجنسية الإسرائيلية ، وهى معروضة عليهم منذ عام ١٩٦٧ ، مع ضرورة بقاء كتلة ذات وزن تشكل برفضها الجنسية الإسرائيلية موقفاً مرجعياً رافضاً للاحتلال الإسرائيلى للمدينة ولإسرائيل .

الموضوع متروك للقيادات الفلسطينية للتفصيل والدراسة ، وهى الآن فى وضع يمكنها من التأثير الفعلى عن قرب ، بل وبشكل مباشر ، وهى تعتبر فى الساحات الإقليمية والدولية الناطق الرسمى باسم القدس .

أما فيما يتعلق بالموقف على الساحات الإقليمية (القومية والدينية) والعالمية ، فإن من المفيد الاستفادة من دور العامل الحضارى العقيدى وتأثيره بين الشعوب لإبقاء قضية القدس تحت الأضواء وإبقاء إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية تحت الضغط خوفاً من استفزاز مشاعر الجماهير فى العالم الإسلامى والمسيحى. وفى الوقت نفسه من الضرورى التنبه إلى ما تقوم به المنظمات الصهيونية وإسرائيل الآن فى محاولة لترويج ما يسمى بالحضارة اليهودية المسيحية ، والتحالف مع المنظمات الأصولية المسيحية وخاصةً فى الولايات المتحدة الأمريكية . وفى هذه المعركة فإن موقف الكنيسة الأرثوذوكسية ، كموقف الكنيسة الكاثوليكية ، هام وضرورى لمواجهة ما تفعله القيادات الصهيونية والإسرائيلية ، وبخاصة الإعداد لاحتفال عالمى عام ١٩٩٦ لما يزعمون أنه مرور ثلاثة آلاف عام على بناء مدينة القدس .

ومع أن إثارة الاعتبار الدينى فى مجال مناقشة قضية القدس يغرق الرأى العام فى تفاصيل ووقائع تاريخية يحشد كل طرف تصوراته لها مما يعرقل عمليات الإقناع ويرسيها إلى فرز يميل إلى التعصب ، فإنه لا مفر من استعمال هذا العامل لكى لا تظل القضية مطروحة فى دوائر النخبة المعزولة التى لا تملك فى الوقت الحالى قوة ضغط مادية ، كما أن إبقاء قضية القدس فى ذاكرة الشعوب الإسلامية والمسيحية هو فى ذاته عامل ضغط سياسى ومعنوى على إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية أثناء التفاوض الذى ينبغى أن يدور بالطبع بمعايير العصر أى بمعايير الدولة - الأمة المعاصرة ، أو كما يقال الدولة القومية . فبهذا المعيار يكسب الطرف العربى وتخسر إسرائيل بمعايير المواثيق والقوانين الدولية . والربط بين العاملين السياسى والدينى مشكلة معقدة ، ولكن لا مفر من التعرض لها لكى يمكن الاستفادة من كافة الفرص التى يطرحها مسار الصراع .

(ب) الحلول الرسمية والحلول المقترحة

دولياً لا توجد حلول جديدة فى إطار الأمم المتحدة باستثناء ما سبق ذكره عن تحويل مدينة القدس والمنطقة المحيطة بها إلى منطقة خاصة منفصلة يحكمها مجلس إدارى منتخب بنسبة عدد سكانها ، ليرأسه مفوض عام دولى أى تعينه الأمم المتحدة ، وهو الاقتراح الذى لم ينفذ ولم تقبله الأطراف فى حينه . أما بعد عام ١٩٦٧ واحتلال إسرائيل

لشرقى القدس ، فإن الحل العربى العام كان هو انسحاب إسرائيل من القدس وعودتها إلى السيادة العربية . وفى المقابل كان موقف إسرائيل هو ضم شرقى القدس وإعلان إسرائيل عاصمة موحدة وأبدية . وقد رفضت الأمم المتحدة الموقف الإسرائيلى ولم تعترف به ولكنها فى الوقت نفسه لم تعد تطالب بتطبيق الحل القديم . ومالت أكثر الدول إلى اعتبار أن حل مشكلة الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ وعودة القدس الشرقية إلى الجانب العربى سيحل مشكلة القدس كلها ، باستثناء موقف الولايات المتحدة الأمريكية التى تحفظت دوماً مبقية الباب مفتوحاً للوصول إلى أشكال تسمح ببقاء المدينة موحدة كما تسمح بوجود عربى مؤسسى فيها فى الوقت نفسه .

أما خارج القرارات الدولية فقد توقف العرب رسمياً عن تقديم أى تصورات لحلول مستقبلية متعلقة بالمدينة ووضعها ، مكتفين بما قررته منظمة التحرير الفلسطينية والقمم العربية التى وافقت على موقف المنظمة وقرارات منظمة دول المؤتمر الإسلامى التى ساندت هذا الموقف ، أى بالموقف الذى يرى القدس الشرقية هى عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة بعد دحر الاحتلال عنها .

ذلك هو الوضع من الناحية الرسمية ، أما الوضع من الناحية العملية فإن إسرائيل واصلت تغيير هوية المدينة العربية وحشد المستوطنين اليهود فيها وتوسيع نطاقها الإدارى ومحاصرتها بحزام من المستوطنات وشق الطرق حولها وعبرها ، أى بفرض حقائق واقعية جديدة من شأنها أن تضمن بقاء المدينة بشقيها تحت السيطرة الإسرائيلية ومن شأنها أيضاً فى حال تغير الظروف وإجراء استفتاء حول مستقبل المدينة أن تضمن إسرائيل وقوف الأغلبية مع استمرار الوضع الراهن .

(جـ) مقترحات إسرائيلية غير رسمية

ومع ذلك ورغم إعلان السلطات الإسرائيلية اعتبار القدس العاصمة الموحدة والأبدية لإسرائيل ، ورغم كل عمليات خلق الوقائع الجديدة فإن السلطات الإسرائيلية بل والقوى الإسرائيلية والصهيونية داخل وخارج إسرائيل ، كثيراً ما ناقشت واقترحت أشكالاً من الحلول . اقترح البعض على سبيل المثال (تيدى كوليك رئيس البلدية الإسرائيلى السابق

للقدس) تشكيل مجلس بلدى عربى إسرائيلى للمدينة مع زيادة اختصاصات هذا المجلس الإدارى عن غيره من المجالس البلدية فى إسرائيل وفلسطين . وكان تيدى كوليك يشير باستمرار إلى "مرونة" الحدود الإدارية لبلدية القدس ، مشيراً إلى إمكانية تغييرها بقرارات إدارية لا تتعارض مع القوانين التى أصدرها الكنيست بشأن المدينة . وبالإضافة إلى هذا الرأى هناك فى إسرائيل تيار كبير يوافق بل يدعو إلى وضع الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية تحت إشراف دولى (إدارى فحسب أو سيادى بشكل كامل) ولا يرى مانعاً من رفع أعلام غير إسرائيلية على هذه المناطق ، فيما تشير الاتفاقية الإسرائيلية الأردنية الأخيرة إلى الاستعداد بقبول مثل هذا الاقتراح برفع العلم الأردنى على هذه الأماكن . ويشير آخرون إلى إمكانية أن توضع هذه الأماكن (إما تحت إشراف منظمة دول المؤتمر الإسلامى وحدها أو تحت إشراف مشترك بين هذه المنظمة والفاتيكان) أو تحت إشراف لجنة دولية يشترك فيها الأخيران . وثمة إشارات حديثة إلى تداول القيادات الإسرائيلية واليهودية والصهيونية حول مثل هذا الحل ، عبر عنها عاموس برلموتر وهو أستاذ للعلوم السياسية وعلم الاجتماع فى الجامعة الأمريكية فى واشنطن ورئيس تحرير مجلة الدراسات الإستراتيجية ، معروف بأنه يهودى مناصر لإسرائيل ، وذلك فى مقال له نشرته الواشنطن تايمز فى ٣١ مايو ١٩٩٥ تحدث فيه عن مشكلة القدس متناولاً قضيتين: الأولى هى : أتبدأ المفاوضات بالقدس أم تنتهى بها ؟ والثانية هى : إرجاء القضية حتى نهاية العملية السياسية ، والثالثة هى : مشكلة القدس .. كيف يمكن تقسيمها إلى ثلاث قضايا أولها هى قضية السيادة الإسرائيلية على كل القدس وثانيها هى قضية السيادة العربية على شرقى القدس وثالثها هى السيطرة الإسلامية على المناطق الإسلامية المقدسة!

ويلاحظ فى هذا الرأى أنه على الرغم من كل الحديث عن أن القدس هى العاصمة الموحدة الأبدية لإسرائيل ، فإن العالم يتعامل عملياً مع قضية المدينة المقدسة دون القبول بهذا الإعلان ودون تصور أنه يشكل مستقبل المدينة . كما يلاحظ أن كل الحلول تطلب من إسرائيل اتخاذ خطوات تسمح بتنفيذها (وهو أمر منطقى باعتبار حقيقة الوضع الراهن فى ميزان القوى العربى الإسلامى). كذلك فإن أصحاب الحلول ومنهم برلموتر لا يتوقفون كثيراً عند "المسميات" التى يمكن أن تستمر ، ولكنهم يشيرون إلى ضرورة تغيير

الوقائع – لذلك فإن برلموتر مثلاً يقترح على إسرائيل " تعديل تصورها لسيادتها على القدس من خلال مفهوم المشاركة فى المسئوليات الإدارية مع العرب " ، وهو يرى أن الخطوة الأولى لمشاركة العرب إدارياً يمكن أن تتم بإعطاء العرب منفذاً للسيطرة على المناطق الإسلامية المقدسة ، وهو يقترح لذلك حكومة الأردن أو تشكيله من الدول العربية أو حتى المجلس الإسلامى العالمى ، ثم يرى أن فى الإمكان تطبيق حل مماثل على مشكلة التشارك الإدارى فى مسئوليات شرقى القدس ، وهذه الخطوة يراها معلقة على نهاية ناجحة لمفاوضات الحكم الذاتى للضفة الغربية ، إذ يرى أنه أيا كانت الهوية السياسية التى ستبرز من هذه المفاوضات كسلطة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة مثلاً أو المجلس الإدارى ، فإن فى إمكان هذا الكيان أن يعلن أن شرقى القدس عاصمته الإدارية ، وهو يرى أن كل هذه الحلول تتحقق فقط فى ختام العملية السياسية السليمة التى قد تعرقلها عودة ظهور قضية القدس بين الحين والآخر .

وهناك قراءات أكثر تفاؤلاً تجاه حل مشكلة القدس وموقف إسرائيل ، ترى أن الحديث عن القدس سواء ما يجرى فيها أو الإعلان عنها أو حتى ترديد أن القدس ستظل هى العاصمة الموحدة الأبدية يلعب دوره فى ترويض الرأى العام الإسرائيلى تجاه المدينة. إذ أن مجرد الحديث عن أن القدس ستبقى موحدة عاصمة أبدية يعنى التذكير بأن القدس ليست كذلك حتى الآن . وأصحاب هذه الرؤية يرون أن الطرق التى اتبعتها إسرائيل للسيطرة على المدينة وخلق الوقائع فيها ، يمكن أن تكون هى ذات الطرق التى تحقق التراجع الإسرائيلى إذا ما تغيرت الظروف وفرضت الوقائع السياسية والعربية والفلسطينية – الإسرائيلية انسحاباً إسرائيلياً من بعض أجزاء المدينة وبخاصة من شرقى المدينة المحتل عام ١٩٦٧ . فكما جرى ويجرى توسيع الزمام الإدارى للمدينة ، وكما جرى ويجرى حشد المستوطنين اليهود داخل شرقى المدينة فإن ذلك يمكن أن ينعكس ، إما بتضييق الأحوال المعيشية وارتفاع الأسعار ، وإما بتسهيل الانتقال إلى مناطق أخرى أو بالسبيلين معاً . كما أنه يمكن من وجهة نظر هؤلاء توسيع دائرة الأماكن المقدسة فى شرقى المدينة إدارياً ، وعندئذ يمكن لأية قيادة إسرائيلية أن تعلن للناخبين الإسرائيليين أنها لم تنسحب من المدينة ولم تتخل عن العاصمة الأبدية ولكنها فقط أعطت المسلمين والإسرائيليين والمسيحيين حق إدارة أماكنهم المقدسة . ويمكن أن يتم ذلك بترتيبات

واتفاقات تعتبر المنطقة العربية وقفاً أو أملاكاً للجوامع والكنائس هناك . المهم فى كل تلك الاقتراحات أنها تنطلق من أن قضية القدس ليست مستحيلة الحل وإن كان من المطلوب بالطبع توفير الظروف لترجيح القبول الإسرائيلى بأى حال .

(د) ماذا لدى المعسكر العربى؟

إذا كانت هذه هى بعض الأفكار التى تدور فى المعسكر الإسرائيلى ، فإن المعسكر العربى بشكل عام لا يناقش أية أفكار بشكل علنى باستثناء ضرورة انسحاب إسرائيل من شرقى القدس وتفكيك المستوطنات التى أقيمت فيها واعتبارها عاصمة دولة فلسطين المستقلة ، وإن شهدت الأشهر الأخيرة بعض الحوار العلنى أعلن فيه قادة ومسئولون فلسطينيون بعض الاقتراحات فى أثناء العملية للحل النهائى للمدينة . ومن الملاحظ أن القيادة الفلسطينية التى اعتبرت موافقة إسرائيل على وضع قضية القدس قضية من قضايا مفاوضات المرحلة النهائية مكسباً لها ، لم تتوقف عن الحديث والتحرك فى إطار هذه القضية بشكل أثار الإسرائيليين من ناحية وبخاصة اليمين وبتكتيكات تبشر بالتحول إلى اتخاذ إجراءات عملية بخلق وقائع أو فرضها العملية السياسية للتسوية ، ولتوسيع كل خرق ممكن ولو بدون إعلان ، وللاستفادة من كل ما يجرى للمدينة وفيها وما يتعلق بها لإثارة قضيتها على المستويين الدولى والإقليمى .

بذلك نكون أمام إجابة عن السؤال الخاص فيما إذا كانت القدس تأتى أولاً أم أخيراً؟ وتتشكل إجابة واقعية هى " القدس دائماً وباستمرار" ، وهى الإجابة الأكثر علمية وعقلانية، فلا شئ يتجمد ويقف والطبيعة تكره الفراغ والجمود ، والمسارات إما إلى تقدم وإما إلى تراجع ، والصراع مستمر .

ثالثاً : مقترحات للتحرك العربى الشعبى والرسمى

فى قضية مثل قضية القدس ، لا يمكن استبعاد أى عربى مسلم أو مسيحى من معسكر المطالبين باستعادتها من قبضة إسرائيل ، مهما كان رأيه فى الطريقة التى يتبعها أو فى الشكل المرجو تحقيقه . بل إن هناك مكاناً لبعض أفراد من اليهود العلمانيين والمتدينين يمكن أن ينضموا للتيار المعارض للاستيلاء الصهيونى على المدينة المقدسة ، الأولون

بدافع إعلاء السلام على ما عداه والأخيرون بدوافع دينية ترفض في الأساس فكرة قيام دولة إسرائيل .

وذلك معناه أنه على الطيف المنتشر والممتد لواقع المدينة ومستقبلها ستوجد أفعال عفوية ومنظمة ، فردية وجماعية ، ويمكن توظيفها لتحقيق الهدف النهائى وهو تحرير المدينة المقدسة واستعادة وجهها العربى الإسلامى . والأرجح أن ذلك لن يحدث كله مرة واحدة ولن يحدث كله بشكل منظم ومخطط ولكنه سيتراكم ، وسيكون على القوى المنظمة الأكثر وعياً تجميع هذا التراكم ليس فقط بشكل حسابى وإنما أيضاً بشكل تفاعلى، حيث تخدم كل خطوة الأخرى وتفرز خطوات أرقى . والهدف الأول هو إبقاء مدينة القدس العربية الإسلامية فى الوعى والذاكرة الشعبية العربية وفى حياة المؤسسات الدولية والإقليمية . والهدف الثانى هو خلق حقائق على الأرض وتثبيت ما هو موجود بكل الوسائل . ومن المهم تطبيق مقياس أن من هو على الأرض يفيدها حتى ولو كان متعاملاً مع المحتل . فهو مهما فعل سيظل يعامل كعربى من جانب الصهاينة ، وهو سيتزوج وسينجب أطفالاً سَيُعَدُّون ضمن العرب ومنهم بالتأكيد من سيدين موقف أبيه فى التعامل مع العدو المغتصب .

من هذا الحد الأدنى يبدأ التراكم ويتم التنظيم أو يبدأ على الأقل من مستوى الذين يقبلون بالقدس الصغيرة الدينية ، باعتبار أن ذلك هو الحد الأدنى الذى لا يمكن أن يتنازل عنه أى عربى مسلماً كان أو مسيحياً ، إلى الذين يطالبون بالقدس كلها شرقية وغربية باعتبار أن كل أرض فلسطين هى للشعب العربى الفلسطينى .

المطالبون بالحد الأقصى لهم مكان ولهم أدوار ، والمطالبون بالحد الأدنى لهم مكان ولهم أدوار . الأقصويون يوفرون المرجعية التاريخية والمفاهيمية والسياسية العامة ، وهم يستطيعون تشكيل أطر دولية وإقليمية والقيام بحملات إعلامية ودعائية وكذلك تنظيم حملات دعم مادى ، وهم فى كل الأحوال يمكنهم التأثير على برامج التثقيف والتعليم الرسمية وغير الرسمية بالإضافة إلى التركيز على جمع الأموال الضرورية لتثبيت الوضع الراهن البشرى والممتلكاتى فى المدينة بالتنسيق مع المجموعة الداخلية والتى سيكون معظمها أقرب إلى الأدنويين منهم إلى الأقصويين .

والقابلون بالحد الأدنى فى إمكانهم أن يفعلوا الكثير ، وهم بحكم انطلاقهم من الحد الأدنى سيتوجهون لا إرادياً أو بالقصد نحو الأهداف القصوى خطوة خطوة ، وكل ما سيفعلونه يمكن توظيفه . لنضرب مثلاً على ذلك : أن من بين من يمكن اعتبارهم أدنويين عرباً فلسطينيين مقادسة يُقدّرون أن من مصالحهم الاستفادة من عرض التجنس بالجنسية الإسرائيلية والبقاء فى المدينة والاستفادة من الفرص القانونية الممنوحة للإسرائيليين. هؤلاء لا يجوز ولا يجب " استبعادهم " والهجوم عليهم طالما أن الأمر لم يصل بهم إلى درجة بيع الأراضى والممتلكات لليهود أو الإبلاغ عن المجاهدين والمناضلين ، بل من الممكن توظيف مواقفهم لتسهيل الأمور الحياتية للأفراد وللتجمعات المحلية فى الشئون البلدية والعامة ، كما أنه من الممكن توظيف أعدادهم فى التأثير على العمليات الانتخابية والعامة ، ومن يتم التوثق من مواقفه يقدم له الدعم بالمال لتوسيع دائرة الملكية العربية (بالمعنى العرقى والقومى) فى المدينة .

ولو افترضنا على سبيل المثال أنه على مسار التسوية سقطت الحواجز الرسمية أمام سفر العرب والمسلمين إلى القدس فى زيارات دينية ، فإن مثل هذا الحدث يمكن توظيفه فى حشد أكبر عدد ممكن من الحجيج إلى درجة ترهق أجهزة الأمن الإسرائيلية وتوفر مناخاً دينياً إسلامياً ومسيحياً لسكان المدينة العرب وللمدينة نفسها ، وسيغرى ذلك كثيراً من اليهود القاطنين هناك على تشكيل مجموعات مصالح ضاغطة لعدم استفزاز العرب أو الدول العربية ، بل وقد يغرى بعضهم على تأجير شققه المفروشة كفنادق للحجاج وهكذا . والأمر يتوقف على الظروف العربية والإسلامية عامة وعلى ذكاء القوى "الأقصوية" التى يمكن أن توظف مثل هذا الحدث دون أن تفقد مصداقيتها .

وتتوزع مواقف وواجبات الحكومات العربية على المحور الممتد بين الحد الأدنى والحد الأقصى ، حسب شكل العلاقة الرسمية مع دولة إسرائيل والولايات المتحدة وإلى حد ما الدول الأوربية . ولذلك فإنه لا يوجد موقف هين واحد يمكن أن تكتفى به الحكومات العربية على نحو منفرد أو بشكل جماعى. وقد يختلف الموقف حسب الإطار الإقليمى أو الدولى الذى تقوم فيه العلاقات بين هذه الدولة - أو الدول العربية . فعلى سبيل المثال من الضرورى تثبيت وتجديد موقف جامعة الدول العربية من قضية القدس ، وهو موقف يقترب من برنامج الحد الأقصى ، وأن يستفاد دائما من هذا الإطار الإقليمى

فى عقد ندوات دولية حول القدس كما حدث مؤخراً بالتنسيق مع منظمة دول المؤتمر الإسلامى . ومن المفيد دائماً أن تعلن جامعة الدول العربية موقفها من قضية القدس عامة ومن قضاياها التفصيلية والاتصال بجميع الدول فى هذا الشأن باعتبارها المنظمة الإقليمية التى تعبر عن البعد العربى فى هذه المشكلة . والأمر نفسه ينطبق على العلاقات مع الدول الأخرى فى العالم وخاصة ذات العلاقة بالقدس (دينية أو دبلوماسية أو اقتصادية) ، ومواصلة التذكير بالموقف العربى، موظفين كل حدثٍ يتم ومذكرين بكل مناسبة تاريخية.

الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل" (٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

القدس .. بين مخاطر التهويد والمسئوليات العربية والإسلامية

لواء أركان حرب حسام سويلم
كاتب بالأهرام

مقدمــة

لم يعد خافياً على أحد أبعاد المخطط الإسرائيلى لاستكمال تهويد مدينة القدس ، وإزالة ما تبقى من هويتها العربية والإسلامية ، فقد كشفت حكومة نيتانياهو عن أبعاد هذا المخطط الذى يحظى بإجماع إسرائيلى لا يتوافر لأى قضية أخرى ، ويسعى لتحقيق هدف إسرائيل القديم والحديث والمتمثل فى " القدس الكبرى الموسعة ، عاصمة إسرائيل الموحدة والأبدية ، يهودية نقية ، وكتلة استيطانية ضخمة ، ، تمزق مرة وإلى الأبد الوحدة الجغرافية للضفة الغربية " .

ومن أجل تحقيق هذا الهدف ، أقدم الإسرائيليون على ارتكاب سلسلة من الجرائم والاعتداءات ، كان أخطرها ولا زال تلك المتعلقة بالمسجد الأقصى ، الذى يعتبر واحدا من أهم ثلاثة مقدسات إسلامية أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بشد الرحال إليها ، بدءا بمحاولة إحراقه فى ٢١ أغسطس ١٩٦٩، ثم مئات الاعتداءات التى تجرى ضده وضد المصلين فيه يوميا طوال تسعة وعشرين عاما منذ احتلال القدس فى يونيو ١٩٦٧ وحتى الاعتداء الأخير والمتمثل فى افتتاح نفق (حتشمونائيم) ، فقد ارتكبوا هذه الجرائم - ولازالوا - وهم يحملون حلمهم المزيف ببناء ما يسمى بهيكل سليمان مكان المسجد الأقصى ، فى حين أكدت كل الحفريات والآثار التى وجدت حول الحرم وتحت أساساته عدم وجود أية آثار يهودية ، إنما حفلت الأرض بكل ما يؤكد على عروبة القدس

وإسلامها ، ويؤكد عمق صلتها بالعرب والإسلام ، وأن الذين بنوا مدينة القدس منذ أكثر من ستين قرنا ، والذين عمروها طوال تلك القرون كانوا من العرب ، وأن الغزوات التي طرأت على القدس والحملات التي استهدفتها لم تدم كثيرا على أرضها ، أكثر مما دامت الحملة الصليبية (مائة عام) ، وأن تاريخ هذه المدينة يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ المنطقة والشعوب التي عمرتها ، وقد أصبحت بعد الفتح الاسلامي ثالث المدن المقدسة في العالم الاسلامي بعد مكة والمدينة المنورة .

إن المتتبع للممارسات والنوايا الإسرائيلية تجاه القدس ، والتي تستهدف تهويدها ، يستطيع أن يفهم أن إسرائيل بحكومتها العمالية والليكودية ، تريد أن تُفهم العرب جميعا أن القدس التي احتلتها إسرائيل في عام ١٩٦٧ قد (استعيدت) ولا مجال للتفاوض بشأنها ، رغم كل القرارات الدولية العديدة التي اتخذت في هذا الصدد ، والمواقف المعلنة للدول الكبرى . لذلك فإن تفجر الموقف في الضفة الغربية وغزة على النحو المأساوي الذي شهده العالم في شهر سبتمبر الماضي ، لم يكن فقط بسبب افتتاح ذلك النفق – وهو نفق تم شقه منذ أربع سنوات في عهد حكومتي رابين وبيريز ، إلا أنه لم يفتتح تجنبا لإثارة مشاكل لم تكن إسرائيل مستعدة لها آنذاك ، خصوصا في وقت كان كل منهما حريصا على الترويج لفكرة الشرق أوسطية ، وما يتطلبه ذلك من التأكيد على إظهار رغبة إسرائيل في استكمال عملية السلام حتى تحقق أهدافها النهائية المتمثلة في اختراق المجتمعات العربية سياسيا وأمنيا واقتصاديا واجتماعيا – بل كان تفجر الموقف الأخير بسبب مجموعة من الممارسات العنيفة والمتشددة حرص ناتنياهو على إظهارها للعالم أجمع والعرب خاصة ، باعتبارها سمة حكمه لإسرائيل في تعامله المستقبلي مع الدول الأخرى في المحيطين الإقليمي والدولي خلال السنوات القادمة وحتى مطلع القرن الحادي والعشرين ، لذلك جاءت عملية الإعلان عن افتتاح النفق وسط مظاهرة سياسية وإعلامية متعمدة من جانب الحكومة الإسرائيلية ، لتمثل تحديا صارخا وسافراً ليس فقط لمشاعر الفلسطينيين ، ولكن لمشاعر جميع العرب والمسلمين ، وبمثابة سؤال استفزازي يطرحه نيتانياهو في وجه كل العرب والمسلمين يقول فيه: "هانحن نفعل ما نريد ، أرونا ماذا تقدرون أنتم على فعله في مواجهتنا"؟!

ولقد تأكد هذا المعنى غداة إعلان النتائج الرسمية للانتخابات الإسرائيلية وفوز نيتانياهو برئاسة الوزراة ، وعلى وجه التحديد فى ٤ يونيو الماضى عندما نشرت صحيفة (يديعوت أحرونوت) حديثا مع (دورى جولد) المستشار السياسى لنيتانياهو ، والذى يوصف بأنه (كيسنجر إسرائيل) . فى هذا الحديث طرحت الصحيفة عليه السؤال التالى : " لقد قال ناتيناهو أن القدس ستبقى موحدة وتحت السيادة الإسرائيلية ، فما الذى يمكن للفلسطينيين أن يأملوا بالحصول عليه ؟ " فأجاب جولد : "إن من يظن أن الحكومة الجديدة ستتنازل فى موضوع السيادة على القدس ، عليه أن ينسى ذلك " . أما (إيهودا اولمرت) عمدة القدس الليكودى فقد أجاب على هذا السؤال بأسلوب أكثر صراحة ووضوحا حين قال : "هذه مدينة يهودية ، انسوا الحديث عن أية تسوية ، أنا لست على استعداد لتطوير المدينة لكى يتدفق عليها الآلاف من العرب ، لا أريدهم أن يأتوا إلى هنا .. والاختلاط بهم ليس فى صالح المدينة ، إن نسبة اليهود حاليا فى المدينة تبلغ ٧٢٪ ولابد من زيادتها .. سأقوم بتوسيع القدس باتجاه الشرق وليس باتجاه الغرب ، وأستطيع أن أصنع الأحداث على الأرض كى أتأكد أن المدينة ستبقى تحت سيطرة إسرائيل إلى الأبد " .

لذلك فإنه إزاء قضية القدس ، لا يختلف نيتانياهو كثيرا عن أسلافه منذ ١٩٦٧ ، وإن كان أكثرهم تحديا لمشاعر العرب والمسلمين ، فقد كان هذا هو موقف كل من ليفى أشكول ، وجولدا مائير ، ومناحم بيجين ، ورابين ، وشامير ، وبيريز ، إلا أن الأخطر فى موقف نيتانياهو أنه يريد أن يعبر بإسرائيل إلى القرن الحادى والعشرين بإعادة بناء ما يسمى بهيكل سليمان ، وذلك على أنقاض المسجد الأقصى ، وإذا استقرأنا تصريحاته جيدا، وحللنا ممارساته ، سنجدها جميعا تقود نحو هذا الهدف ، حيث ينتقل الصراع من تهويد القدس إلى تهويد المقدسات الإسلامية فيها ، من خلال بسط السيطرة الإسرائيلية عليها ، وهو تحول خطير فى مسار الصراع العربى - الاسرائيلى لن تقتصر نتائجه على ساحته التقليدية فى أرض فلسطين والمناطق الأخرى المحتلة ، بل سيمتد على رقعة العالم العربى والاسلامى كله ، وما يمكن أن يترتب على ذلك من تعديات على المصالح الدولية والأمن والسلام العالميين .

ماذا تعنى القدس الكبرى ؟

يستهدف المخطط الإسرائيلى المصنوع للقدس بمعرفة مهندس الاستيطان (أرئيل شارون) منذ حكومة بيجين ، أن تكون القدس فى عام ٢٠٠٠ بمثابة مدينة كبرى (متروبوليتان) تمتد غربا باتجاه تل أبيب ، وجنوبا باتجاه حلحول والخليل ، وشمالا إلى ما وراء رام الله ، وشرقا حتى حدود أريحا ، وهو ما يعنى الضم الكامل للقدس القديمة التى تحولت بالفعل إلى مستعمرة يهودية ، وبذلك تبلغ مساحة القدس الكبرى ٢١٪ من مساحة الضفة الغربية ، مما أدى إلى تقسيم الضفة إلى قسمين تبتلع القدس الكبرى حوالى ربعها ، وفى ذلك كتب (وان يهب) فى صحيفة (عل همشار) فى ١٩٩٥/٢/١ عن القدس الكبرى :" إن مساحة القدس وصلت إلى ذروتها فى عهد الهيكل الثانى ، وامتدت المدينة فى العهدين القديم والحديث إلى أن تم توحيدها بعد حرب يونيو ١٩٦٧ على مساحة بلغت حوالى ١٨٠٠ دونم (٢ كم٢) ، ووصل عدد سكانها إلى حوالى ٢٠٠ ألف نسمة ". ويضيف (يهب) قائلا : " منذ عام ١٩٦٧ ، تعمل إسرائيل على توسيع حدود القدس بدون توقف ، فتشيد الأحياء الكبيرة التى تعتبر من الناحية العملية (مدنا تابعة) حول (القدس الكبرى) ، لذلك يتم اليوم تشييد ٦٠٠٠ وحدة سكنية جديدة ابتداءً من مستوطنات (جفعات اوديم) فى الشرق ، و(بيتار) و(هاأردر) فى الغرب حيث تشكل هذه المنطقة الطوق الخارجى لضواحى القدس ، وسيؤدى هذا الامتداد الهائل ـ حوالى ٣٠ كم طولا و٢٥ كم عرضا ـ إلى وجود إحدى أكبر المدن الكبرى فى العالم ، إذ ستبلغ مساحتها حوالى ٨٤٠ كم٢، كما سيؤدى إلى ضم عشرات المدن والقرى إلى مجال نفوذ بلدية القدس " . ويوضح (يهب) أن المخططات الهيكلية للقدس الكبرى بدأت فور احتلال قسمها الشرقى ، وكان طاقم خبراء قد أعد فى عام ١٩٨٣ الخريطة التى توضح تنظيم مناطق المدينة ، وباستلام حزب العمل السلطة ، لم يتوقف هذا الطاقم عن التخطيط وفقا للأهداف السابقة ، كما أن الوزير (شيس) قد تبنى مخططات القدس الكبرى ، ومثله فى ذلك وزارات البناء والإسكان ، والتطوير ، ووزارات أخرى تقدم الخدمات والأموال للمستوطنات وسكانها فى القدس الكبرى .

ومن الواضح أن مخططات القدس الكبرى تستهدف الضم العملي للمناطق الخالية حول القدس لإسرائيل ، حتى وإن تم تمويه ذلك بهذه الصورة أو تلك ، وأما التطلعات الخفية فتشير إلى أنه يجب أن تبقى مناطق خاصة ذات ارتباط عملي واضح بالقدس ، هذا إذا لم يتم فرض القانون الإسرائيلي نفسه . ويقول (نداب شرجاى) فى صحيفة هاآرتس في ١٩٩٥/١/٢٠ :" يرتكز أحد الخيارات التى عرضتها لجنة الخبراء ، على التعامل مع حدود المدينة من حيث تقسيمها إلى سبعة ألوية هى : القدس بحدودها الحالية، محطة يهودا وتشمل مستوطنة جوش عتسيون ، منطقة بنيامين ، منطقة رام الله والبيره مع تعديلات حدودية ، ومجلس محلى من حدود بلدية القدس حتى شارع آلون رميشور ادوميم، لواء بيت لحم مع تعديلات مختلفة ، ومجلس لوائى ماعيلون . ووفقا لهذا الاقتراح سيكون هناك ثلاثة ألوية بأغلبية يهودية كبيرة : القدس ، ومعالية أدوميم ومُنطقة بنيامين ، وسيتم تزويد المدينة باحتياطى الأراضى فى المستقبل من خارجها " . هذه هى إستراتيجية إسرائيل لضم مناطق عربية حول القدس تحوى مدناً صغيرة وقرى فى إطار الضم والقضم .

وسيترتب على مضاعفة مساحة القدس ثلاث مرات ، وإحاطتها بتسع وثلاثين مستوطنة من الخارج وخمس عشرة مستوطنة داخل القدس الشرقية لتصبح إسرائيل الكبرى ، وهو المشروع الذى تندفع السلطات الإسرائيلية فى تنفيذه بكل قوة ، وإتمام معالمه قبل حلول مفاوضات الوضع النهائى هذا العام ، أن تبسط إسرائيل هيمنتها على مدن بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحورجنوب القدس وقراها ، وذلك بغية إحداث فصل كامل بين شمال الضفة وجنوبها ، وهو ما يشكل خطرا على الضفة برمتها ، لأن توسيع القدس يعنى إنشاء عدد من الأنفاق بين المستوطنات التى تقع داخل القدس والمستوطنات الجنوبية ، كذلك شبكة ضخمة من الطرق السريعة حول المدينة وشبكة أخرى من الطرق فى أراضى الضفة لتيسير نقل الإسرائيليين بين القدس والمستوطنات دون المرور بالمدن والقرى الفلسطينية . ويسعى شارون حاليا إلى إنجاز طريقين ، يربط الطريق الأول جنوب رام الله بالضفة الغربية بشمال القدس مرورا بمطار يجرى بناؤه في حى (اتاروت وبيجات زيف) بالقدس (تبلغ تكلفته ٣٣ مليون دولار) وينتهى العمل فيه عام ١٩٩٨ ، أما الطريق الثانى فهو بين السهل الساحلى ومجموعة المستوطنات حول القدس ، وتتكلف

خطة الطرق ١٦٦ مليون دولار . وهكذا فإنه على الطبيعة لن تكون هناك عمليا ضفة غربية يمكن أن يقوم فيها حكم ذاتى ، بل هناك (جزر مدينية) أشبه بمعازل السود فى جنوب إفريقيا إبان الحكم العنصرى ، ولن تصلح تلك الجزر إلا لبلديات فى أحسن الأحوال ، وليست كياناً يحكم ذاتيا ، خصوصا وأن مشروع شارون يستهدف - بجانب دمج شرق وغرب القدس وتطويق القدس بحزامين من المستوطنات - تحويل الأحياء العربية فى مدينة القدس إلى (جيتوات) فقيرة معزولة ، ثم تفتيتها إلى وحدات سكنية صغيرة جدا ، يسهل بعد ذلك استئصالها أو نزعها أو تصفيتها ذاتيا .

تهويد القدس

نشرت صحيفة الأوبزرفر فى ١٢ يونيو ١٩٩٦ وثيقة إسرائيلية سرية ، تظهر أن حكومة نيتانياهو أعدت خططا لالتهام القسم الشرقى العربى من القدس ، وتخفيض عدد سكانه بدرجة كبيرة يصبحون معها مجرد أقلية بسيطة جدا لا أهمية لها على الإطلاق ، وبذا يتم القضاء على كل آمال الفلسطينيين باسترداد مدينتهم أو حتى مشاركة الإسرائيليين فى اعتبار المدينة عاصمة مشتركة .

وإذا استعرضنا الممارسات الإسرائيلية فى القدس منذ احتلالها فى يونيو ١٩٦٧ ، فسوف نجدها تتجه كلها فى اتجاه تهويد المدينة بكاملها. فبعد أن ضمت قسميها الشرقى والغربى بالقوة بزعم توحيد المدينة ، أعلنت السلطات الإسرائيلية فى ٢٨ يونيو ١٩٦٧ عن تطبيق القانون الإسرائيلى والإدارة على القدس الشرقية، وأقرنت ذلك بعدة إجراءات تضمنت إبعاد أشخاص وتدمير منازل عربية ومصادرة واستملاك أراض عربية بموجب دعاوى أمنية . كلها إجراءات غير شرعية أثارت غضب الكثير من دول العالم ، لكونها استهدفت تغيير ملامح القدس ، مما أدى بالجمعية العامة للأمم المتحدة إلى إعلان قرارها رقم ٢٣٥٣ فى ٤ يوليو ١٩٦٧ ببطلان هذه الإجراءات الإسرائيلية وإلغائها والامتناع عن القيام بأى عمل من شأنه التأثير على معالم القدس ، وقد انتقدت الجمعية العامة هذا الموقف فى قرارها رقم ٢٣٥٤ بتاريخ ١٤ يوليو ١٩٦٧ ، كما أصدر مجلس الأمن عدة قرارات دعا فيها إسرائيل لوقف إجراءاتها لتهويد المدينة ، كان القرار الأول رقم ٢٥٢

في ٢١ مايو ١٩٦٨ ، والثانى رقم ٢٦٧ فى ٣ يوليو ١٩٦٩ ، والثالث رقم ٢٧١ فى ١٥ سبتمبر ١٩٦٩ ، والرابع رقم ٢٩٨ فى ٢٥ سبتمبر ١٩٧١ ، حيث أدان مجلس الأمن فـى هذه القرارات إسرائيل وأعلن أن الإجراءات المتخذة من قبلها لتغيير معـالم القـدس باطلـة وتتعارض مع مبادئ الأمم المتحدة ، وطالبها بالامتناع عن اتخاذ إجراءات لاحقة يمكن أن تغير من معالم المدينة المقدسة . كذلك تبنت الجمعية العامة أيضا قرارها رقم ٣٠٠٥ فـى ١٥ ديسمبر ١٩٧٢ الذى أكد على بطـلان جميـع الإجـراءات المتخـذة مـن قِبَل إسـرائيل بالاستيطان فى الأراضى العربية المحتلة بما فيها مدينة القدس .

إلا أن إسـرائيل ضربـت بهـذه القـرارات الدوليـة عـرض الحــائط ، واسـتمرت فـى إجراءاتها لتهويد المدينة وتدنيس الأماكن المقدسة ، ففـى تصريـح رسـمى لوزيـر الشـئون الدينية الإسرائيلى فى ١٢ أغسطس ١٩٦٧ أعلن بأن حكومته تنظر إلى موقع مسجد عمـر على أنه ملك لهم ، كما أكد أيضا على أنه فيما يتعلق بالحرم الإبراهيمى الشريف فهو ملك لهم أيضا منذ زمن داود ، وبالإضافة لمحاولاتها حرق وتدمير الأماكن المقدسة فى المدينة ، فقد قامت بحفريات فى شرقى القدس ، حيث تم تدمير حى المغاربة التاريخى الذى شيد عام ١٣٢٠م ، وتحويله إلى ساحة انتظار سيارات أمام مـا يسـمى بحـائط المبكـى ، كذلـك تفجير وجرف مئـات المنـازل العربيـة وطـرد آلاف العـرب مـن مسـاكنهم ، وقـد أعربـت منظمة اليونسكو عن قلقها إزاء المحاولات الإسرائيلية لتدمير الأماكن التاريخية والمقدسـة فى القدس فى أكثر من مرة ، وطالبت إسرائيل بإيقاف إجراءاتهـا ، وأنـذرت فـى توصيـة لها فـى ٢٠ نوفمبر ١٩٧٤ " أن التغيرات التى حدثت منـذ عـام ١٩٦٧ فـى المدينـة تعتبر خطيرة جدا ، وإذا كان لهذه التطورات أن تستمر ، فإن شـخصية المدينـة وطابعهـا الفريـد وتقدمها الروحى المدهش سيقضى عليه فى وقت قصير".

وفى الفترة من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٠ صادرت الحكومة الإسرائيلية ٢٥ ألـف دونـم مـن الأراضـى العربيـة ، وهـو مـا يزيـد عـن ٤٠٪ مـن القـدس الشـرقية . وفـى عـام ١٩٨٠ صادرت الحكومة أيضا ما يزيـد عـن ٦٠٠٠ دونـم ، وفـى سـنه ١٩٩٠ صـادرت البلديـة والحكومة ٨٠٠ دونم إضافى من الأراضى العربية ، وبالطبع كانت كل حلقـة مـن حلقـات المصادرة تعنى تقليصا للأراض العربية مـن ناحيـة ، وحشـدا للمسـتوطنات والمسـتوطنين من ناحية ثانية . وفى سنه ١٩٨٠ عقب إصدار الكنيست قانونا أساسيا نـص علـى توحيـد

القدس وجعلها عاصمة لإسرائيل ، بدأت الحكومة باتخاذ مجموعة من الإجراءات لتحقيق هذا الهدف ، مثل نقل مكتب رئيس الوزراء ومقار الوزارات إلى المدينة ، ومطالبة السفارات بنقل مقارها من تل أبيب إلى القدس ، وقد قوبل هذا القرار بمعارضة دولية تمثلت في صدور قرار مجلس الأمن رقم ٨٤٧ عام ١٩٨٠ باعتبار ذلك الإجراء باطلا ، وعدم الاعتراف بأية إجراءات أخرى تتخذها إسرائيل في القدس العربية .

إلا أن إسرائيل ـ كعاداتها ـ لم تعبأ بهذا القرار واستمرت في تنفيذ سياستها لاستكمال تهويد المدينة ، حيث جرى تكديسها باليهود الوافدين ، حتى أصبحت القدس تضم ٧٠٪ من المستوطنين ، وتم ذلك عبر خطوات عدة نشطت منذ عام ١٩٦٧ . للإحصاءات الرسمية ، فقد تم بناء ٦٠ ألف وحدة سكنية بالقدس منذ سنه ١٩٦٧ ، وهناك الآن عشرة آلاف وحدة أخرى قيد البناء ، والتخطيطات المستقبلية تشمل أكثر من ٤٠ ألف وحدة سكنية . وفي مقابل الكم الضخم من المساكن التي تبنى لليهود ، يلقى الفلسطينيون عنتا كبيراً في الحصول على رخص البناء في أحيائهم ، ولا يسمح لهم بأي حال بالحصول على أكثر من ١٢٪ من مجموع الرخص المعطاة للمدينة كلها ، وهو تقدير وضع بمعرفة الحكومة الإسرائيلية لتحجيم عدد السكان العرب في القدس ، بحيث لا تتجاوز نسبتهم في العقد الحالي ٢٨٪ من إجمالي السكان . ففي مقابل ٧٠ ألف وحدة سكنية خصصت لليهود منذ عام ٦٧ ، لم يسمح للفلسطينيين ببناء أكثر من ٣٥٠٠ وحدة فقط في القدس الكبرى منها ٤٣٥ وحدة في القدس الشرقية . ولأجل التضييق على الفلسطينيين ، فإن التعليمات الإسرائيلية تقضي بقصر البناء على المناطق الواقعة بين الأحياء السكنية ، وتعتبر معظم المناطق العربية مفتوحة لا يسمح بالبناء فيها ، في ذات الوقت يتم تفتيت المناطق العربية الصالحة للبناء ، سواء بشق الأراضي من أجل بناء الطرق ، أو إقامة مساحات خضراء ، أو بتقليل مساحة الأراضي المسموح بالبناء فيها ، بحيث لا تتجاوز ٢٥٪ فقط . وفي هذا الصدد يضرب المثل في التضييق على الفلسطينيين في البناء بما جرى لأهالي منطقتي (بيت حنينا) و (شعفاط) التابعتين لبلدية القدس ، فقد جمدت البلدية في أوائل السبعينات رخص البناء القليلة التي كانت تعطيها للعرب في البلدتين ، ووعدت بعد أن صادرت أراضٍ واسعة منهما معاً ، بأن تضع خطة شاملة لبناء ١٨ ألف وحدة سكنية خاصة للفلسطينيين ، ومضت عدة سنوات لم تف فيها الحكومة الإسرائيلية بالتزاماتها ، وانتهت

المماطلات بالموافقة على بناء ٧٥٠ وحدة فقط يدخل فيها الوحدات المقامة فعلاً ، وعندما أخذ أهالى البلدتين فى مباشرة البناء فوجئوا بقيود أخرى تتمثل فى ضرورة ترك مساحات خضراء وأماكن للمرافق العامة ، كذلك ضرورة الحصول على موافقات أصحاب الأراضى ، ومعظمهم مقيم فى الخارج أو مهجرون ، ومن المستحيل جمعهم جميعاً لأخذ موافقتهم على مشروع البلدة. وبذلك توصل سكان البلدتين إلى خلاصة مفادها أنه لا أمل لهم فى إضافة أية وحدات سكنية جديدة ، وعليهم أن يختاروا بين أمرين : إما الاستمرار فى الحياة اليائسة التى يعيشونها، أو النزوح إلى مكان آخر ، وهذا بالطبع ما يتمناه الإسرائيليون ويضغطون بشدة لأجل تحقيقه .

وأول ما شرعت فيه حكومة نيتانياهو ، هو استكمال مشروع شارون القديم الذى وضعه أمام حكومة شامير ، والمعروف بـ (شارون ٢٦ بوابة حول القدس) ، والذى يهدف إلى سد الفجوات فى الطوق الاستيطانى داخل الأحياء الفلسطينية ، بمجموعات سكنية . وتقوم طريقة شارون فى العمل الاستيطانى على ثنائية (الأحزمة والبؤر) لتطويق التجمعات العربية بالمستوطنات ، ثم الاندفاع داخلها عبر تركيز البؤر الاستيطانية والأحياء اليهودية (كإسفين) ما تلبث أن تتوسع حتى تفتت ما تبقى من مجتمعات عربية توطئة لتصفيتها بعد تحويل حياة العرب فيها إلى جحيم . وخلال الشهور القادمة ستتركز خطة شارون على استكمال أهداف الاستيطان فى مناطق الشيخ جراح ، والصوانة على جبل الزيتون ، منطقة رأس العمود ، ووادى حلوة فى سلوان ، وحى الصلعة فى جبل المكبر. وفى خطة الإسكان الجديدة سيتم بناء ١٠٠٠٠ شقة لليهود المتدينين فى القدس ، منها ٦٥٠٠ شقة بالقرب من المدخل الرئيسى للمدينة ، وذلك حتى نهاية ١٩٩٨ وذلك كالآتى : ٧٠٠٠ شقة فى منطقة العاد (مازور) وهى مدينة دينية جديدة مخطط لها فى منطقة (موديعين) ، و١٠٠٠ شقة فى منطقة (روس هاعين) ، وعلى أرض مستوطنة (زنوح) القريبة من بيت شمس ثم التخطيط لبناء ٢٣٠٠ شقة . كذلك تضم الخطة بناء ٣٠٠٠ شقة فى القدس بدون تفاصيل . حيث تتجه النية إلى إقامة حى سكنى جديد فى دائرة (شندلر) عند المدخل إلى (ناطا يعقوب) وإقامة حيين سكنيين دينيين بالقرب من المدخل الرئيسى لمدينة القدس ، الحى الأول فى هضبة (ألوانا) ٢٥٠٠ شقة ، وسيكون استمراراً طبيعياً لحى (زموت) فى شمال المدينة الذى أصبح دينياً فى أغلبه ، أما الحى

الثاني فمخطط له فى (وادى الأرز) القريب من حى (نفتوح) حيث سيتم بناء ٤٠٠٠ شقة أما فى المدينة الدينية (بيتار) جنوب القدس فيخطط لبناء ٩٠٠ شقة وهناك ٥٥٠٠ شقة إضافية فى مرحلة التخطيط كما يدرس المتدينون فى الفترة الأخيرة إمكانية إنشاء حى سكنى فى مستوطنة (معالية أدوميم) شرقى القدس وتخطط إسرائيل حالياً لمصادرة ٤٤٠٠ دونم من الأراضى العربية لتوسيع الإسكان اليهودى فى ضواحى القدس ، وأصبح الفلسطينيون اليوم يملكون ١٠٪ من أراضى القدس الشرقية ، ويوجد ٤٪ من الأراضى متنازع عليها ، والباقى هو حوالى ٨٥٪ .

ومن الواضح أن الهدف من وراء هذا التخطيط ، هو إحداث تغيرات ديموجرافية فى القدس ، وتحقيق أكبر قدر ممكن من الكثافة السكانية اليهودية .. سواء عن طريق نقل مجموعات من المستوطنين أو جلب عشرات الآلاف من المهاجرين الجدد لتوطينهم فى المستوطنات ، وهو ما يساعد ضمنياً على تخفيف ضائقة السكن فى إسرائيل وخلق مراكز جذب جديدة فى القدس ينقل إليها شباب المستوطنين حديثى الزواج مما يشجع على الزواج والإنجاب ويصلح الخلل الديموجرافى الذى تعانى منه إسرائيل ، وتتواجد هذه الكتل السكانية الاستيطانية حول وداخل القدس بجوار مناطق تجمع السكان العرب . ومع الاهتمام بتطوير البنية الزراعية والصناعية فى هذه المستوطنات وما يعنيه ذلك من منافسة للإنتاج الزراعى العربى ، يجرى امتصاص الأيدى العاملة العربية ودمجها فى سياسة العمل الإسرائيلى نظراً لعدم قدرة المزارعين العرب على منافسة الإسرائيليين بسبب ما يستخدمونه من أساليب تكنولوجية حديثة فى الزراعة غير المتوفرة للعرب.

وفى القدس المطوقة والمخترقة والمخنوقة بالحصار ، يشتد التضييق على سكانها العرب بأشكال مختلفة تبدأ بمصادرة الأراضى لأغراض أمنية وشراء الأراضى التى يملكها العرب بأسعار مغرية ، وذلك من خلال وسطاء وشركات أجنبية وهمية فى قبرص والبرازيل والولايات المتحدة ، وتقديم إغراءات مادية لترك المدينة ومنع إصدار تراخيص البناء أو الترميم ، ومنع الذين يعملون فى خارج القدس من الإقامة داخلها بدعوة أن مراكز حياتهم خارجها ، وسحب بطاقات الهوية من فلسطينيى القدس وهو إجراء غير قانونى حتى بموجب القانون الإسرائيلى نفسه (تم سحب ١٠٠٠ بطاقة حتى الآن) . ومن وسائل الحكومة الإسرائيلية للقضاء على المواطنة الفلسطينية لعرب القدس ، إغراؤهم

على التجنس بالجنسية الإسرائيلية التى يمكن أن تمنحهم مزايا عديدة خصوصاً في مجال حرية السفر والتنقل الداخلي والالتحاق بالمدارس (ارتفع عدد المتجنسين بالجنسية الإسرائيلية من ٧٠٠ إلى ٢٧٠٠ فلسطيني) ، هذا بالطبع إلى جانب مطالبة حكومة نيتانياهو بإزالة جميع الرموز الفلسطينية الرسمية الباقية في القدس الشرقية وعددها ١٥ مركزاً في مقدمتها بيت الشرق. كما لم يتورع الإسرائيليون عن نبش مقابر المسلمين في باب الأسباط بدعوة توسعة الشارع المؤدى إلى باب المغاربة وسلوان ، كذلك فرض مجموعة من الضرائب المتنوعة على سكان القدس العرب ، هذا إلى جانب السعي إلى إضعاف البنية الاجتماعية لعرب القدس من خلال تشجيع الشباب الفلسطيني لسلوك طريق الانحراف ، خصوصاً بواسطة المخدرات .

وهكذا .. من خلال تفريغ القدس من سكانها العرب بشتى الوسائل التى تتفاوت في شدتها من انتزاع المواطن الفلسطيني من حقه في الإقامة في القدس ، إلى الاستيلاء على المنازل العربية ، وتوسيع عمليات الاستيطان داخل البلدة القديمة ... إلى غير ذلك من إجراءات القهر المعروفة ، انخفض عدد الفلسطينيين في القدس الشرقية إلى ١٥٤ ألفاً بينما عددهم في القدس الغربية لا يكاد يذكر. أما عدد اليهود الذين زُرِعوا في القدس العربية كمستوطنين بعد تقطيع أوصالها ، فقد أصبح ١٦٨ ألفاً. أما مجموع سكان القدس بقسميها الغربي والشرقي فقد أصبح ٥٥٥ ألفاً بينهم ١٥٥ ألفاً من العرب بنسبة ٢٨٪ بينما نسبة الإسرائيليين ٧٢٪ وعددهم ٤٠٠ ألف ، وهم الذى كانوا نصف هذا العدد في عام ١٩٦٧ .

وإمعانا في تهويد القدس لجأت الحكومة الإسرائيلية إلى إغلاقها أمام مواطني الضفة وغزة، وعمدت إلى فصلها عن باقي الأراضي العربية المحتلة ، غير عابئة بمعاناة سكان تلك الأراضي الذين يرتبطون بالقدس ارتباطاً وثيقاً في المجالات الدينية والثقافية والاجتماعية ، فكانت النتيجة أن تقطعت الأواصر بين الأسر ، ولم يعد المرضى قادرين على العلاج بمستشفياتها ، كما لم يعد معلمو الضفة وهم كثيرون قادرين على دخول القدس ، حيث يتم الحصول على تصاريح إسرائيلية لدخول المدينة . ولم تكتف الحكومة الإسرائيلية بذلك ، بل أصدرت قانوناً خاصاً بالمدينة يعاقب بالسجن لمدة ثلاث سنوات وغرامة قدرها ١٠٠ ألف دولار لأى شخص ينشىء مؤسسة فلسطينية في القدس ، وذلك

بهدف إجهاض حلم الفلسطينيين فى أن تكون القدس الشرقية عاصمة لهم فى يوم من الأيام، كما رفضت فى ذات الوقت السماح بإقامة أى مكاتب للدول الأخرى التى تريد أن تقدم مساعدات للفلسطينيين فى القدس الشرقية وألزمتها بفتح تلك المكاتب فى غزة أو أريحا ، هذا فى ذات الوقت الذى طالبت فيه إسرائيل كثيراً من الدول بنقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس .

وتعتبر حكومة إسرائيل نفسها فى سباق مع الزمن من أجل استكمال تهويد المدينة وحصارها بالمستوطنات وعزلها عن باقى أراضى الضفة الغربية ، وتفريغها من سكانها العرب ، وذلك قبل التفاوض حولها حتى لا يكون هناك أصلاً موضوع للتفاوض ، وكأنهم يريدون وضع الفلسطينيين والعالم كله أمام أمر واقع مرفوض ، وإعطاء الإيحاء بأن قضية القدس قد انتهت بعد أن أصبحت مدينة موحدة تحت السيادة الكاملة لإسرائيل . أما فيما يتعلق بأمور العبادة لأصحاب الديانات غير اليهودية ، فإن حكومة إسرائيل تسمح لهم بالوصول إلى الأماكن التى يريدون أن يتعبدوا فيها بما يتفق مع القوانين الإسرائيلية .

التآمر على المسجد الأقصى

يوجد فى القدس ٢٦٠ أثراً دينياً أبرزها بالطبع المسجد الأقصى ومسجد الصخرة ، ويعتبر أخطر أهداف خطة تهويد القدس هو ما يتعلق بالمسجد الأقصى ، حيث تستهدف الخطة تقويضه بزعم إقامة ما يسمى بهيكل سليمان على أنقاضه . وقد استخدمت إسرائيل لتحقيق هذا الهدف أساليب مختلفة ، كان آخرها النفق الذى تم شقه بطول ٤٨٨ متراً بمحاذاة السور الغربى للحرم وفى المسافة الممتدة بين حائط البراق إلى باب الحرم المعروف بباب الناظر ، وهم فى ذلك يبحثون عن نفق مزعوم يربط بين العمرية وقبة الصخرة ، وصولاً إلى ما يسمى بالمذبح اليهودى الذى أشار إليه أحد العلماء الإنجليز تحت منطقة الصخرة المشرفة فى عام ١٨٦٧ ويريدون فى نفس الوقت الوصول من النفق إلى صحن المسجد للسيطرة عليه عندما يتم لهم ذلك ، كذلك الوصول من خلاله إلى بيت لحم بمحاذاة السور الجنوبى للمسجد . وبدلاً من أن يجدوا فى هذه الحفريات قواعد الهيكل الذى يحلمون بوجودها ، وجدوا الآثار الأموية والمملوكية فى الأرض أسفل

المسجد والمحيطة به . وعلى عكس ما يتبع فى البحث عن الآثار فى كل دول العالم حيث تستخدم أساليب الحفر اليدوى ، فإن إسرائيل استخدمت آليات ضخمة بهدف مكشوف وهو تقويض دعائم المسجد والأعمدة والأسوار والجدران التى مضى على بنائها مئات السنين . ومن أجل إنشاء السباطة الكبرى أمام ما يسمى بحائط المبكى لتمكين الإسرائيليين من أداء صلواتهم ، فقد تم تدمير أحياء عريقة بأكملها ، مثل حى الشرق وحى الباشور وحى المغاربة ، بجانب مئات المنازل الأخرى ، هذا إلى جانب مصادرة متحف الآثار الإسلامية . وقد نجحت إسرائيل فى تهويد المنطقة المحيطة بالحرم الشريف بعد أن استولت على ٧٠٪ من الأراضى المحيطة به من الجهات الأربع ، وهى فى سبيلها إلى استكمال تهويد هذه المنطقة وعزلها عن باقى المناطق التى يسكنها المسلمون فى القدس الشرقية ، وتسعى حالياً إلى هدم الأبنية والقباب والمساكن المتواجدة فيها .

لذلك فإن مشكلة النفق ليس فى كونه يمر فحسب بمحاذاة السور الغربى للحرم القدسى ويهدد بتقويضه ولكنه يهدد أيضاً مئات المنازل والقصور والمدارس والزوايا الإسلامية التى تعود إلى العصر الأيوبى وعصر المماليك منذ القرن الثانى عشر ، وهى العمارات التى مازال أهل القدس يستخدمونها كمنازل لهم ، فإذا انهارت أصبح سكانها بلا مأوى . ومن ثم فإن النفق من ناحية يهدد سلامة العمارات الإسلامية ، ومن ناحية أخرى يؤدى إلى طمس معالم القدس الإسلامية . أما الأخطر من ذلك فإن استعمال النفق ، وهو فى الأصل شارع قديم تتفرع منه مجموعة شوارع أسفل العمارات المملوكية ، يهدد نظام (الاستاتيكو) الذى تتحدد بموجبه أحياء القدس السكنية والأماكن المقدسة لدى مختلف الطوائف منذ القرن الثالث عشر ، والذى كان البطل صلاح الدين الأيوبى قد أقامه بصورته هذه متبعاً تقسيم القدس ، كما كان قد رسم خطاها سيدنا عمر بن الخطاب فى العهدة العمرية وبقيت حتى العصور الحديثة ، وعاد البريطانيون إبان الانتداب فثبتوه ، ومازال سارياً بموجب قرارات الأمم المتحدة . لذلك يعتبر شق هذا النفق اعتداءً صارخاً على الحى الإسلامى وعلى نظام الاستاتيكو التاريخى وخطوة خطيرة فى الخطة الإسرائيلية لتهويد القدس ، لكونه يمر بمنتصف الحى الإسلامى ، وأصبح من غير المستبعد أن يستيقظ المسلمون يوماً فيجدوا أسفل منازلهم حياً يهودياً جديداً بكنيس يهودى مقام فجأة !!.

وقد اتضح أن خطة إسرائيل لم تقتصر فقط على شق هذا النفق بل تشمل أيضاً شق أنفاق أخرى أسفل المسجد الأقصى والحى الإسلامى تزيد أطوالها عن ٢٠٠٠ متر فقد حددت الخطة ٢٩ نقطة للانطلاق منها وهو ما يهدد جميع المبانى المقامة فوقها ، ذلك لأن تفريغ الأنفاق أثناء حفرها بالإضافة لتفريغ الهواء الذى يحدث نتيجة لذلك ، سيؤثر بالسلب على ثبات وقدرة تحمل المبانى فوقها . هذا بجانب ما كشفت عنه مجلة تدعى (جروزاليم ريبورت) من أن منظمات صهيونية طالبت نيتانياهو بإقامة مركز سياحى يطل على المسجد الأقصى ، يتم من خلاله شرح أهمية المكان الذى يقع فيه المسجد بالنسبة لليهود ، وأن النفق دليل على الحضارة اليهودية القديمة التى كانت موجودة فى هذه المنطقة كما يزعمون ، حيث ينسبون هذا النفق إلى الحشمانيين ، وبالتالى إضفاء صبغة تاريخية عليه. كذلك تحويل جزء من المدرسة التنكزية إلى كنيس يهودى، وإنهاء سيطرة الأوقاف الإسلامية على المسجد الأقصى بشكل تدريجى ، مع السماح للطلبة اليهود بدخول المسجد والصلاة فيه طبقاً لطقوسهم وذلك تنفيذاً لما وعد به نيتانياهو فى حملته الانتخابية عندما قال : "ضمان حق اليهود فى الصلاة فى جميع الأماكن الدينية التى تعتبر مقدسات يهودية". لذلك فإن نيتانياهو ينوى طرح موضوع صلاة اليهود فى المسجد الأقصى فى مفاوضات الحل النهائى مع السلطة الفلسطينية. وكانت محكمة العدل العليا الإسرائيلية قد سمحت لمجموعات من اليهود بالدخول إلى المسجد الأقصى بغرض الزيارة ، كما سمحت الشرطة الإسرائيلية لحاخامات اليهود بالصلاة داخل المدرسة التنكزية قرب باب السلسلة ، إلا أنهم انتقلوا فيما بعد إلى سطح المدرسة ، وهو المكان المرجح لإقامة المركز الدينى والسياحى المقترح. وهناك مدارس دينية عديدة فى بلدة القدس القديمة ، وبالذات فى حى باب الواد ، تقوم على تعليم يهود متطرفين التلمود وتجهزهم لبناء الهيكل المزعوم. وقد شهدت هذه المدارس خلال الأشهر الأخيرة رواجاً كبيراً ، إذ التحق بها عشرات الآلاف من اليهود الأورثوذكس ، الذين تنظم لهم محاضرات بواسطة (معهد الهيكل) فى (الاد) لتعريفهم بأن المسجد الأقصى مقام على أنقاض الهيكل الذى ينبغى استعادته فى يوم قريب.

وعلى الصعيد ذاته ، فقد أنهت سلطة الآثار الإسرائيلية مؤخراً ترتيب أحجار على شكل ساحة تخللها بعض الأقواس فى الجهة الجنوبية الغربية للمسجد الأقصى بدعوى أنها

ساحة كانت تتبع الهيكل المزعوم ، واستخدمت لهذا الغرض أحجاراً كبيرة جداً تتراوح أوزانها بين ٤٠-٥٠ طناً تم اقتلاعها من ساحات الجهة الجنوبية الغربية للمسجد ، للإظهار وكأنه اكتشاف أثرى ، وأن الساحة كانت موجودة بالفعل. وقد تم إظهار الساحة وكأنها مرتبطة بأحد الأحجار الضخمة فى حائط المسجد الأقصى ، وتدعى (شركة تطوير القدس) الإسرائيلية بأن هذه الساحة كانت إحدى أربع بوابات تؤدى إلى الهيكل المزعوم . وكانت إسرائيل قد أعلنت مؤخراً عن نيتها لترميم الحائط بدعوى أنه آيل للسقوط ، إلا أن الأوقاف الإسلامية رفضت تدخل إسرائيل فى الترميم ، ويعتقد بأن إسرائيل أرادت تزييف الحائط وكأنه فعلا أحد جدران الهيكل .. وهكذا يتحقق الطرح السياسى الذى لم يخفيه المستشار السياسى لنيتانياهو (دورى جولد) ، الذى ذكر فى دراسة منشورة له عن القدس فى مركز جافى للدراسات الإستراتيجية التابع لجامعة تل أبيب ، والذى يقول فيه "إن المدينة المقدسة أصبحت مركزاً للتطلعات القومية والدينية لليهود لإنشاء (بيت هاميكاديس) - أى الهيكل - على جبل مورياه" .

والغريب فى هذا الأمر ما هو معروف من أن تعاليم الديانة اليهودية تعتبر أن المقابر والمدافن أماكن غير طاهرة ، ومن الممنوع على طبقة رجال الدين اليهودى دخولها ، ولكن الذى حدث فجأة هو أن هذه الأماكن أصبحت لها هيبتها وقدسيتها عند حاخامات إسرائيل ، بل ألحقت بها قاعات للصلوات والدراسة ، مثل مقبرة يوسف فى نابلس ، وكهف البطارقة فى الخليل ، ومقبرة راشيل فى بيت لحم ، كما أن حائط المبكى نفسه هو فى حد ذاته مجرد أثر لأحد الجدران الخارجية لمعبد (هيرود) - هذا مع افتراض صحة زعم اليهود أنفسهم - وفى هذه الأماكن وحولها يحاول الإسرائيليون تنظيم شعائر وأدعية، وما ذلك إلا لمجرد اغتصابها من أصحابها العرب المسلمين ، حتى وإن خالف ذلك تعاليم ديانتهم. ويتضح التناقض الصارخ فى مواقف الحكومة الإسرائيلية ، عندما نقارن موقفها بالنسبة للقدس مع موقفها بالنسبة للخليل ، فبينما تطالب باسم الأغلبية اليهودية بعدم تقسيم القدس ، وإبقائها مدينة موحدة تخضع للسيادة الإسرائيلية رغم وجود شعبين فيها أحدهما عربى والآخر إسرائيلى ، نجدها على العكس من ذلك تطالب بتقسيم الخليل إلى قسمين وذلك من أجل ٤٠٠ يهودى فى مقابل ١٢٠ ألف عربى ، ومازال نيتانياهو يرفض باستمرار التفاوض حول القدس وتقسيمها مدعياً أنه يحتاج إلى مزيد من الوقت لدراسة

مسألة تقسيمها ، وهو فى هذا يبدو أنه لا يفكر فى الانسحاب من الأحياء الخاصة بالعرب فى القدس ، ولكنه يخطط عن عملية ضخمة ومفاجئة يغزو بها القدس بحشود من اليهود المستوطنين تساوى فى ضخامتها وأهميتها عملية إنزال الحلفاء فى نورماندى عام ١٩٤٤!!! .

وإذا ما أردنا أن ندرس عملية افتتاح النفق فى إطار أسلوب نيتانياهو فى إثارة وإدارة الأزمات ، فسوف نجد أنه يأتى فى إطار أسلوب معروف بإطلاق بالونات الاختبار لاستكشاف ردود الأفعال العربية والدولية ، وذلك للتحسب لها جيداً عندما يتخذ خطوة مماثلة أو أكبر وأخطر منها ، مثل الإقدام على هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل مكانه. حيث أدرك نيتانياهو فى ضوء ردود الفعل التى أعقبت افتتاحه للنفق ، أن ردود الفعل لن تتجاوز مظاهرات تقوم بها عدة آلاف من الفلسطينيين المسلحين بالحجارة ، تقوم الشرطة الإسرائيلية بالرد عليهم بعنف ، مما يؤدى إلى تفريقهم وإنهاء فعالياتهم خلال بضعة أيام، مع حملة من الإدانات والاستنكارات والشجب فى الدول العربية والإسلامية ومجلس الأمن، ثم دعوة لقمة فى واشنطن ، مع بعض العتاب واللوم من الجانب الأمريكى يقابل بإصرار إسرائيلى ، وينتهى الأمر إلى عقد مفاوضات بدعوى المحافظة على السلام ، وحتى مع سقوط بضع مئات أو آلاف من الضحايا الفلسطينيين ، وبضع عشرات من الإسرائيليين ، فإن المقابل الذى ستحصل عليه إسرائيل بتحقيق هدفها سيكون – فى ميزان المكاسب والخسائر – فى صالح إسرائيل. ثم تبدأ مرحلة أخرى جديدة من السلام المبنى على معادلة إسرائيل التى تملك الأرض بقوة الاحتلال، هى التى ستقدم السلام للمقهورين العرب بالتقسيط المريح والممل. هذا هو مغزى افتتاح نيتانياهو للنفق فى هذا الوقت بالذات .

وحقيقة الأمر فى هذه التجربة ، أن النفق الحقيقى هو نفق التنازلات المجانية الذى وضعنا أنفسنا فيه ، فمما لاشك فيه أن نجاح الإسرائيليين فى تقسيم الحرم الإبراهيمى بين المسلمين واليهود ، وتحويل جزء منه إلى كنيس يهودى ، وهو ما يعد سابقة خطيرة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً ، وتحدياً سافراً لمشاعر المسلمين فى كل العالم ، وانتهاكاً صارخاً لكل القرارات الدولية التى تمنع إسرائيل من التعدى على المقدسات الإسلامية فى فلسطين أو تغيير هويتها أو طمسها .. نقول لقد شجع السكوت ، على جريمة تقسيم الحرم

الإبراهيمى ، الإسرائيليين ، وأعطاهم دافعاً قوياً لمحاولة تطبيق نفس المبدأ على المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وأغراهم على افتتاح النفق تحدياً لمشاعر المسلمين واختباراً لردود أفعالهم التى جاءت للأسف سلبية على طول الخط. فلقد توسمنا وظننا العدل فى الإدارةْ الأمريكية فلجأنا إليها ، رغم إدراكنا جيداً أنها مرتهنة أمس واليوم وغداً للوبى الصهيونى. لذلك كان من الطبيعى أن تعيد المعطيات التى وفرتها عملية افتتاح النفق وقمة واشنطن ومفاوضات الخليل ، أن تعيد الصراع إلى المربع رقم واحد .

ولقد ظهر جلياً للدول العربية أن رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق شيمون بيريز ، والذى حفر النفق فى عهده دون إعلان عن ذلك ، كان أشد مكراً وخبثاً ودهاءً من خلفه المتغطرس نيتانياهو ، لذلك لم يكن غريباً أن نجد بيريز أخيراً يصرخ بأعلى صوته منددا بسياسة نيتانياهو ، لأنه أفشل سياسته التى كانت تستهدف تحقيق جميع الأهداف الإسرائيلية بهدوء دون صخب حتى تتجنب إسرائيل ردود الأفعال العنيفة ، وتخسر مسيرة التطبيع والمكاسب الاقتصادية والسياسية التى كانت على وشك أن تجنيها من الدول العربية فى نهاية فترة حكم حزب العمل. هذا إلى جانب ما سببته سياسة نيتانياهو من توحيد صف العرب إلى حد ما. والتأمل فى كلام بيريز يجده اعترافاً منه بأنه هو الذى نجح فى تفريق العرب ودق الإسفين بينهم ، وأسقى العرب من العسل المسموم كؤوساً ، وهو الذى صال وجال فى بلادنا يتحدث عن السلام ويعطى تصريحات متناقضة ومتضاربة ، حتى ظن البعض أنه مصاب بانفصام فى الشخصية ، فى حين أنها كانت سياسة مرسومة جيداً ومحسوباً مداها ، ومعروفاً صداها ، ومرصودة نتائجها ، وفى المقابل كنا نحن من السذاجة بحيث صدقناه ، وأخذنا كلامه على عواهنه دون تحليل أو تقييم ، حتى وصل بنا الأمر إلى تأييده فى حملته الانتخابية باعتباره رجل السلام ، ونسينا ما اقترفته يداه من مذابح فى حق شعب لبنان قبل الانتخابات الإسرائيلية بأيام .

ولقد تكرر نفس الموقف من جانبنا مع نيتانياهو ، الذى ما أن نجح فى الانتخابات حتى أعلن "لاءاته" المشهورة ، وتهديداته المكشوفة ، وعندما استشعرنا الخطر عقدنا قمة القاهرة فى يونيو ، والتى جاءت قراراتها متواضعة تعكس حقيقة ضعف الموقف العربى ، ولا تزيد عن إعلان التمسك بعملية السلام التى حكم عليها نيتانياهو بالموت فور توليه السلطة فى إسرائيل ، فسخر نيتانياهو من هذه القرارات ، وزعم أنها فى النهاية ستسكن

أحد أدراج الجامعة العربية بعد أن تأخذ دورتها فى التنقل بين اللجان ، واستمر فى نهجه العدائى ، وقام بزيارة الولايات المتحدة ، وعاد يهدد بأن علاقته بها لم تمكن أحداً من العرب على أن يدق بينه وبينها إسفيناً. ولكى يخفف من غلواء تصريحاته قام بزيارة القاهرة وأعلن تمسكه بعملية السلام ، وانخدع البعض منا ظاناً أنه بدأ يتراجع فى سياسته، وطالبوا بإعطائه فسحة من الوقت لكى يتمكن من تقدير موقفه فى ضوء معطيات الموقف الذى واجهه ، ولكن سرعان ما تبين لنا مدى الخديعة التى وقعنا فيها عندما كشف نيتانياهو عن وجهه الحقيقى أخيراً ، وقام بتصعيد الموقف وتوتيره ليس فقط مع الفلسطينيين فى المناطق المحتلة ، بل وعلى باقى الجهات فى وقت واحد ، سواء فى لبنان عندما استخدم سياسة قصف قرى الجنوب مهدداً بتوسيع عملياته العسكرية خارج الشريط الأمنى وأن تطول القوات السورية فى لبنان ، كما حشد قواته على حدود سوريا، وأدار حرباً كلامية ضد مصر ، ووصل التبجح مداه عندما افتتح النفق وأصر على استمرار بقائه مفتوحاً ، ورافضاً الانسحاب من الخليل ولازال حتى اليوم. وللأسف لازلنا حتى اليوم نحاول خداع أنفسنا ظانين أنه من الممكن لهذا الرجل أن يتراجع عن سياسته الهتلرية دون ضغوط عربية ودولية فعالة ، وأن هناك أملاً فى أن نقيم مع إسرائيل سلاماً فى ظله أو فى ظل غيره من زعماء إسرائيل .

استراتيجية المواجهة

إن ما تتعرض له القدس اليوم من محنة ، ما هو إلا امتحان للأمة العربية والإسلامية لوقت قصير لا يساوى شيئاً فى عمر الزمن. وإذا كانت الصورة محبطة للوهلة الأولى ، وحافلة بعناصر اليأس والقنوط ، فإننا رغم ذلك نؤكد على أن القدس اغتصبتها جيوش الصليبيين طيلة مائة عام ، ثم أعادها صلاح الدين على رأس جيوش عربية موحدة إلى أصحابها الشرعيين ، لذلك فإن الاغتصاب الثانى على يد الإسرائيليين منذ ١٩٤٨ وحتى اليوم والذى رغم شراسته لم يتجاوز خمسين عاماً ، يجب ألا يثنينا عن الاعتقاد الجازم بأنه ما من شك له نهاية ، وأن الأمة العربية التى أنجبت صلاح الدين بطل حطين ، وقطز بطل عين جالوت الذى ألحق أول هزيمة بالتتار ، لقادرة على أن تنجب أمثالهم ليحققوا أملها فى استعادة القدس من المغتصبين اليهود. إن هذا الأمل ينبغى

ألا يفتر ، بل يجب أن يكون يقيناً فى نفوسنا ، يعتمد على إرادة حديدية قادرة على ترجمته إلى أفعال على أرض الواقع ، تسعى الأمة العربية لتحقيقها عبر عدة إستراتيجيات متكاملة هذا مع الوضع فى الاعتبار أن هناك ثلاثة أنواع من الإستراتيجيات الهامة :

أ- إستراتيجية وقائية

تهدف إلى منع إسرائيل من استثمار إجراءاتها ومحاولة إضفائها شرعية على احتلال المدينة ، من خلال المحافظة على استمرار القوة الدافعة للقرارات الدولية ضد إسرائيل بشأن عدم تغيير وضع القدس وبأنها مدينة تحت الاحتلال وجزء من الأراضى العربية التى استولت عليها إسرائيل عام ١٩٦٧م ، وفى نفس الوقت الضغط على الدول الصديقة للالتزام بقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة بشأن القدس ، والسعى لدعم العرب المقيمين بالمدينة بطرق مباشرة وغير مباشرة .

ب- إستراتيجية دفاعية

تهدف إلى الدفاع عن هوية مدينة القدس العربية والإسلامية ، من خلال حملات إعلامية دولية لإظهار الصلف الإسرائيلى ، وامتناعها عن الإذعان للإرادة الدولية ، ومخالفتها الدائمة لها. فى ذات الوقت الذى ينبغى فيه السعى لإحياء التراث الإسلامى بالمدينة ، واعتبار يوم ٣٠ يوليو - الذى صدر فيه قرار الأمم المتحدة الخاص بالقدس - يوم القدس ، يُحتفل به عربياً وإسلامياً على المستوى العالمى ، لتستمر قضية القدس حاضرة فى أذهان شعوب العالم جميعاً ، باعتبارها مدينة مقدسة فى عقائد هذه الشعو .

جـ- إستراتيجية تعرضية

تستهدف العمل لاستعادة مدينة القدس ، وتعتمد على عدة محاور للعمل تشمل وضع مشروع متكامل للتفاوض حول الوضع النهائى ، مع ضرورة الحصول على إجماع عربى وإسلامى حوله ، مع السعى للحصول أيضاً على المساندة والتأييد الدولى له ، ويبنى على حرية العقيدة وحرية الإقامة والأمن والاستقرار لكل المقيمين بها فى ظل سيادة فلسطينية

على المدينة. كذلك مقاومة أعمال الحفريات التى تقوم بها إسرائيل حالياً فى المناطق الإسلامية والعربية بالمدينة باستخدام كافة الوسائل الدبلوماسية والاقتصادية المتيسرة ، وإيقاف عمليات الاستيطان . أما المحور الثانى للعمل ، ويتم اللجوء إليه فى حالة رفض إسرائيل لكل الجهود السياسية التى تبذل من أجل رفع يدها عن القدس ، ويتمثل هذا المحور فى إحياء الانتفاضة الفلسطينية بصورة شاملة ومنهجية، تدعمها الدول العربية بكل احتياجاتها المادية لكى تبقى مشتعلة لأطول فترة ممكنة ، شاملة كل الأراضى المحتلة، حتى تخضع إسرائيل للمطالب العربية ، وتكون الدول العربية على استعداد لفتح باب التطوع للانضمام للانتفاضة .

ولقد أدرك نيتانياهو خطورة عودة الانتفاضة مرة أخرى إلى المناطق المحتلة ، وهو ما دفعه إلى قطع زيارته الأخيرة لألمانيا والعودة بسرعة إلى إسرائيل ، وإجرائه اتصالات فورية مع رؤساء أمريكا ومصر طالباً التوسط لوقف أعمال العنف ، ودافعه لذلك ليس الخوف من تفاقم الخسائر البشرية والاقتصادية التى تتكبدها إسرائيل بفعل المواجهة مع الفلسطينيين ، بقدر خوفه من انقسام المجتمع الإسرائيلى حول سياسته بين معارضين ومؤيدين ، والتى انعكست فى اندلاع المظاهرات من قِبَل الجماعات المؤيدة للسلام وبلغ حجمها ٥٠٠٠٠ إسرائيلى معارضين لسياسته ، خصوصاً وأن نتائج الانتخابات الأخيرة تؤكد هذا الانقسام ، حيث كان فوزه بنسبة ضئيلة لا تتعدى ١٪ ، وقد زادت نسبة الانقسام خلال الأشهر القليلة الماضية خصوصاً فى داخل المؤسسة العسكرية التى تعارض سياسته التى تتسم باتخاذ قرارات عفوية دون استشارة وإخطار رئاسة الأركان العامة ، كما حدث فى مسألة النفق ، وقراره بتشكيل مجلس أمن قومى. كما تلقى سياسته معارضة شديدة من جانب الاقتصاديين ورجال الأعمال بسبب الانتكاسة التى يواجهها الاقتصاد الإسرائيلى بسبب ما أصاب عملية السلام من جمود ، فقد أدى هذا الجمود إلى عرقلة تنفيذ سياسة الخصخصة التى كان من المقرر أن تجنى مليار دولار خلال عام ١٩٩٦ ، إلا أن هذا العام قارب على نهايته ولم تُنجز سياسة الخصخصة سوى عُشر هذا المبلغ ، كما انخفض حجم التعامل فى البورصة بنسبة ٦٪ ، وبلغت خسائر قطاع السياحة ٨٠٠ مليون دولار ، بعد أن انخفضت السياحة بنسبة ٢٢٪ . وبدلا من الشعار الذى كان يرفعه حزب العمل بأن عملية السلام ستقود إسرائيل لتصبح يابانا أخرى

فى المنطقة ، أصبحت الهواجس فى عهد نيتانياهو توحى بأن إسرائيل تتجه إلى بوسنة أخرى فى الشرق الأوسط ، خصوصاً مع التهديد بانتقال الانتفاضة الفلسطينية إلى داخل المدن الإسرائيلية التى كثيراً ما عانت من الهجمات الانتحارية ، وكلها عوامل تهدد بالإطاحة بوزارة الليكود ، وهذا هو أخطر ما يخشاه نيتانياهو ويسعى لتجنبه. ومن ثم ينبغى أن يكون محور التحرك السياسى والإستراتيجى العربى فى المرحلة القادمة ، هو تصدير كل عوامل الانقسام والتفسخ والتفكك إلى المجتمع الإسرائيلى بفئاته المختلفة ، بإشعار الشعب الإسرائيلى بالهوة السحيقة التى يقوده إليها نيتانياهو ، حيث لا أمن ولا سلام ولا استقرار ولا رفاهية ، بل حروب ودماء وأشلاء وخسائر مادية ومعنوية لا نهاية لها ، خصوصا وأن إسرائيل بدأت تصاب بالتخمة ، وهنا ينبغى أن نتذكر قول نابليون "إن كل الإمبراطوريات الكبرى إنما تموت بالتخمة" ، هذا مع الوضع فى الاعتبار أن القدرة العربية على مقاومة نيتانياهو أكبر من قدرتهم على مقاومة بيريز المخادع والمناور الماهر.

وعلى الساحة السياسية ينبغى على الدول العربية ذات العلاقات مع إسرائيل - ونعنى بها مصر والأردن تحديداً - أن يقيدا إلى أدنى حد مجالات التعاون معها ، مع التهديد بقطع هذه العلاقات إذا لم توقف إسرائيل كل عمليات تهويد الأراضى الفلسطينية ، خصوصاً فى القدس ، وتنفذ قرارات مجلس الأمن بشأن المناطق المحتلة، وأن توقف باقى الدول العربية التى كانت على وشك إقامة علاقات مع إسرائيل ، إجراءاتها فى هذا الشأن ، وذلك حتى يشعر الإسرائيليون بفداحة الخسارة الناجمة عن توقف عملية السلام بسبب سياسة حكومتهم. وفى رأينا أنه لا بديل عن ذلك ، بدءاً بمقاطعة حكومة نيتانياهو وعدم إجراء أية اتصالات معه ، لأنه ثبت من المفاوضات التى جرت معه حتى الآن أنه يستهدف إضاعة الوقت فقط ، وإبقاء آلية المفاوضات تعمل فقط دون إنجازات على أرض الواقع ، بمعنى المفاوضات من أجل المفاوضات. ومن ثم فإنه ينبغى تفويت فرصة زعمه أمام العالم بأن عملية السلام مستمرة ، وأنه حريص عليها ، وكشفه أمام العالم بأن العربدة الإسرائيلية ستقود المنطقة إلى كارثة ، وبسببها ستكون المعادلة الصفرية هى فيصل الصراع فى الحاضر والمستقبل .

ولقد ثبت أن شعار (غزة أريحا أولاً) ، وإرجاء القدس إلى آخر مراحل التفاوض ، قد أتاح الفرصة للتوسع الإسرائيلى فى القدس على النحو الذى أوضحناه آنفاً ، وخلق وضعاً لن يكون من السهل تغييره ، لذلك فإن المرحلة القادمة تتطلب تعديلاً جوهرياً فى الرؤية العربية لعملية السلام وفى الخطاب السياسى العربى . ففى مواجهة شعارات نيتانياهو (الأمن فى مقابل السلام) و (السلام عبر القوة) ينبغى أن يتغير المفهوم العربى من (الحرص على السلام) ـ وهو ما يكرره الزعماء العرب ليل نهار دون ملل ـ إلى (استعادة الحقوق العربية كاملة كشرط للسلام) . وإذا كان نيتانياهو ما برح يردد شعاره الممجوج (لا حديث ولا مفاوضات حول القدس) ، فإن الرد العربى على ذلك ينبغى أن يكون (استعادة القدس كاملة قبل أى أراض عربية). إن التمسك بأقصى المطالب والحقوق العربية ـ وهى حقوق لا يجادل فيها محايد ـ دون تنازلات ، هو الذى سيجبر نيتانياهو على تقديم تنازلات ، أما قبول الدول العربية بالحد الأدنى من حقوقها ، فإنه سيفتح باب التنازلات إلى ما لانهاية. هذا مع ضرورة رفض أى حديث حول تدويل القدس ، حيث تعد هذه الفكرة بمثابة لغم خطير ، لأنها تعنى ضياع القدس من أيدينا إلى الأبد وبموافقة دولية موثقة ، وهو وضع أخطر بكثير من الإجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس التى لا تحظى بأية موافقة دولية. فإذا كانت مقاومتنا لعملية التهويد اليوم ليست فى المستوى المطلوب ، فإنها من الممكن أن تتغير غدا ، أما استعادة حقوقنا فى القدس بعد تدويلها ، فسيكون أمراً شبه مستحيل . هذا مع ضرورة حفز الإدراك لدى نيتانياهو بأنه إذا كان قادراً اليوم على التصدى بقواته للانتفاضة الفلسطينية ، فإنه عندما تشتعل معركة القدس عربياً وإسلامياً ، لن يكون قادراً على تحدى إرادة ٢٥٠ مليون عربى ، وأكثر من مليار مسلم فى العالم ، وهذا الانطباع ينبغى ترسيخه ليس فقط لدى الإسرائيليين ، بل أيضاً لدى الأمريكيين أصحاب المصالح الحيوية فى العالم العربى ، والتى بالقطع ستكون مهددة إذا ما اشتعلت معركة القدس على الساحتين العربية والإسلامية. وأن كلا من إسرائيل والولايات المتحدة سترى تأججا رهيبا لنيران العنف بدلا من الأمل فى رؤية النور فى نهاية النفق الذى حفره نيتانياهو. والذى عليه أن يدرك أيضاً أن اللحم العربى لن يكون طرياً فى أى مواجهة قادمة كما يتصور ، وأنه لن يستطيع أبداً أن يجمع بين الأرض والسلام والأمن والعلاقات الطبيعية مع شعوب المنطقة والازدهار الاقتصادى الناتج عن

التعاون الإقليمى. خصوصاً وأن إرهاصات بدأت تظهر توحى بتحولات كثيرة فى طريقها للمنطقة ، من ذلك التحول الواضح فى الموقف الأوروبى الذى انعكس فى الزيارة الأخيرة التى قام بها الرئيس الفرنسى جاك شيراك للمنطقة ، وأدان فيها كل الممارسات والسياسات الإسرائيلية ، كذلك فى موقف تركيا ، والتى رغم توقيعها اتفاقية تعاون دفاعى مع إسرائيل ، ورغم انشغالها بالنمط الأوروبى ، فقد خرجت فيها مظاهرات حاشدة غاضبة تمزق الأعلام الإسرائيلية ، مدفوعة بالدفاع عن المقدسات الإسلامية فى خطوة تشكل هزة لمجمل العلاقات التركية ـ الإسرائيلية التى كانت إسرائيل والولايات المتحدة يُعَوّلان عليها الكثير فى صياغة الاستراتيجية الكونية الأمريكية حيال منطقة الشرق الأوسط. هذه التحولات فى موقف الدول ينبغى أن تستثمر جيداً بواسطة الدول العربية لزيادة الأجواء الدولية الضاغطة على إسرائيل ، وهو ما يتطلب أن تضع الدول العربية والإسلامية قضية القدس كأولوية على رأس جدول أعمال كل محادثات سياسية أو مفاوضات أو اجتماعات أو لقاءات ، سواء على المستوى الإقليمى أو الدولى ، وأن يكون منهج الحديث واحداً باعتبارها قضية مقدسة لكل العرب والمسلمين ، ولا مجال لحلول وسط بشأنها ، فنحن نريد كل القدس وليس القدس الشرقية فقط ، فهى ليست قضية فلسطينية ، بل قضية عربية وإسلامية ، ومن ثم فإن السيادة العربية ينبغى أن تكون كاملة عليها ، ولن نقبل أبداً بأن تكون قضية القدس دينية فقط ، تتحدد فى السماح لنا بأداء شعائرنا الدينية فيها فى ظل السيادة الإسرائيلية ، بل هى قضية سياسية فى الأساس ، تتعلق بسيادة السلطة الفلسطينية عليها بعد أن تسحب إسرائيل كل وجود سياسى وعسكرى لها فيها ، طبقاً لقرارات مجلس الأمن .

أما على الصعيد الإعلامى والتربوى ، فالمطلوب أن يعيش كل عربى ومسلم قضية القدس ، وأن تكون دائماً حاضرة فى وجدانه ، وألا يُترك رجل الشارع نهباً لوسائل الإعلام الإسرائيلية والأجنبية ، والتى تعطى صورة مشوهة وغير صحيحة لما يجرى فى القدس ، وهذا لن يتحقق إلا إذا كرست وسائل الإعلام العربية والإسلامية قدراً مناسباً من ساعاتها وصفحاتها لشرح قضية القدس ، وشحن الجماهير العربية معنوياً بها، وكانت درساً رئيساً فى المناهج المدرسية. وعلى الصعيد المادى ، ينبغى تقديم الدعم المالى للمؤسسات الفلسطينية التى تناضل بصعوبة من أجل البقاء فى وجه الحصار والرفض

الإسرائيليين ، خصوصاً وأن هذه المؤسسات ممنوعة من فرض الضرائب على الفلسطينيين فى القدس ، حيث تقوم إسرائيل بتحصيلها. وأن توجه الأموال العربية بشكل رئيسى لحل مشكلة الإسكان لمساعدة أهالى القدس على البقاء فيها وعدم مغادرتها، ثم إلى دعم المدارس والمستشفيات والمؤسسات الاجتماعية التى تكاد تتوقف عن العمل ، خاصة وأن السلطات الإسرائيلية تمنع وصول الأموال من السلطات الفلسطينية والبنك الدولى والدول المانحة إلى المؤسسات الفلسطينية فى القدس ، وهو ما يتطلب بالتالى أن يكون هناك اتصالات مستمرة بين هذه المؤسسات ونظائرها فى الدول العربية والإسلامية .

وفى مواجهة الإجراءات الإسرائيلية لإغلاق المكاتب التابعة لبيت الشرق (أغلقت ثلاثة مكاتب حتى الآن) فإنه ينبغى استصدار قرار من مجلس الأمن بوقف هذه الإجراءات، وإذا كانت إسرائيل تضغط على الدول الأخرى لمنع قيام وفودها الرسمية بزيارة بيت الشرق فى القدس ، فإنه ينبغى أن تواجه هذه الضغوط الإسرائيلية بإلغاء زيارة إسرائيل كلها ، كما فعل وفد الترويكا الأوروبى عندما ضغطت عليه إسرائيل لمنعه من زيارة بيت الشرق فى القدس ، فما كان منه إلا أن ألغى زيارته لإسرائيل. وهو ما يعنى أنه إذا أرادت إسرائيل أن تعزل عرب القدس ، فعلى العالم أن يعزل إسرائيل أيضاً.

أما على صعيد عرب القدس ، فإن مسئولياتهم كبيرة ، حيث ينبغى مقاومة كل الضغوط الإسرائيلية لدفعهم بوسائل الترغيب والترهيب لترك المدينة ، والإصرار على البقاء فيها والتمسك بها ، ورفض التجنس بالجنسية الإسرائيلية مهما كانت المغريات ، والامتناع عن بيع أراضيهم مهما كان الثمن المقابل مرتفعاً ، والكشف عن شبكة سماسرة الأراضى الذين يعملون لحساب إسرائيل. هذا مع السعى لإبقاء الأوقاف الإسلامية بمسئولياتها عن الأماكن الدينية ، إلى جانب استمرار عمل المحاكم الشرعية والمدارس ونظام التعليم والمستشفيات والجمعيات الاجتماعية والثقافية والتجارية تحت السيطرة الفلسطينية ، وذلك من أجل المحافظة على الطابع والهوية العربية للمدينة ، وهو ما يتطلب أيضاً استخدام كل الأساليب لجعل حياة المستوطنين فى المستوطنات مستحيلة ، وهذا هو السبيل الوحيد لإيقاف عمليات الاستيطان فى القدس .

وإذا كانت إسرائيل تسعى إلى جلب مستوطنين ومهاجرين يهود لشغل المستوطنات التى تقيمها فى القدس ، فإن الرهان العربى فى المقابل ينبغى أن يكون على التفوق البشرى العربى ، فكما يقول البروفيسير الإسرائيلى (يوسف كلتسمان) فى صحيفة هاآرتس فى ١٩٩٦/٧/٢١ وطبقاً لما جاء فى كتابه الأخير (الانفجار السكانى ، تهويد أم أسطورة) أنه فى عام ٢٠٢٥ سيكون العرب فى فلسطين ٨ ملايين نسمة بينما اليهود ٦ر٥ مليون فقط ، وستكون هذه الأغلبية العربية هى التهديد الأخطر ليس فقط للأمن الإسرائيلى ، بل أيضاً للكيان الإسرائيلى ذاته ، ومع الوضع فى الاعتبار أن وتيرة النمو السكانى بين عرب فلسطين ٤ر٥٪ سنوياً وهى من أعلى معدلات النمو السكانى فى العالم، ومعنى ذلك أن عرب القدس من الممكن أن يصلوا فى عام ٢٠٠٠ إلى حوالى ١٩٠ ألف بينما لن يتعدى عدد اليهود فيها فى أحسن الظروف هذا الرقم ، وعند ذلك ستكون قدرتهم على فرض إرادتهم من أجل المحافظة على حقوقهم أقوى من الآن ، خصوصاً إذا ما تحسنت الظروف السياسية فى البيئات المحلية والإقليمية والدولية لصالحهم ، كما تشير التوقعات المستقبلية .

وختاماً يمكن القول أنه من المؤكد أن القدس ستعود ، شأنها فى ذلك شأن العديد من الأراضى العربية المحتلة التى عادت ، وإسرائيل تعلم ذلك جيداً والدليل على ذلك أنها مازالت تضع العراقيل ضد هذه العودة التى تعلم يقيناً أنها واقعة ، وكلما زادت هذه العراقيل فهى تؤكد أن القدس عربية وتخشى عودتها ، ولكن يبقى الإيمان العربى والإسلامى بذلك ، وأن يسعى الجميع لتحقيقه .. حتى لا يطول الانتظار .

القدس فى العملية السلمية

دكتور صبحى غوشة
رئيس لجنة يوم القدس

ما من مدينة فى العالم حظيت بالتقديس والاهتمام مثل مدينة القدس ، دينياً وحضارياً وإستراتيجياً ، فقد كانت ولازالت مفتاح السلام أو الحرب فى المنطقة ، إذا استتب السلام فى القدس استتب فى المنطقة وعكس ذلك صحيح . ودعونى أقدم لكم نماذج موجزة عن وقائع تحدث يوميا فى القدس تنشرها بعض الصحف العربية ولكن وسائل الإعلام العربية والدولية لا تعطيها الأهمية اللازمة:

* توفى المواطن مصطفى عبد الواحد مصطفى ثابت ٥٤ عاماً من قرية شقبا غرب رام الله إثر إصابته بنوبة قلبية حادة على الحاجز العسكرى على إثر رفض الجنود الإسرائيليين السماح بنقله إلى المستشفى لإسعافه (الدستور ١٩٩٦/٣/١٧).

* علم أمس من مصادر فلسطينية وعسكرية إسرائيلية أن رضيعا فلسطينياً مريضاً توفى على الحاجز بسبب رفض الجنود الإسرائيليين السماح لأهله بمغادرة مدينتهم لنقله إلى مستشفى إسرائيلى - الطفل اسمه صخر باسم شواهنة (الرأى ١٩٩٦/١٢).

* هناك أمثلة أخرى عديدة وأسماء عدة - وردت فى نشرة إحصائية صادرة عن وزارة الصحة الفلسطينية والتى ذكرت أن ١٦ فلسطينياً توفوا بسبب الحصار والتدابير القاسية على الحواجز الإسرائيلية.

* وفى مجال آخر هو مجال التعليم ، نشرت الصحف المحلية فى ١٩٩٦/٤/٩ هذا الخبر:

اعتصم معلمو وطلاب مدارس دار الأيتام الإسلامية وكلية الأمة ومدارس أخرى فى القدس على حاجز ضاحية البريد وبيت لحم احتجاجاً على استمرار الإغلاق الذى أدى إلى شل الحركة التعليمية ورفعوا لافتات تطالب برفع الحصار والسماح لمعلميهم بالدخول إلى المدينة المقدسة – وقال الأستاذ حسنى الأشهب أن الإغلاق أدى إلى شل حركة أكثر من ٧٠٠٠ طالب وطالبة يدرسون فى ١٦ مدرسة ومنع أكثر من ٨٠٪ من المدرسين من الدخول إلى القدس.

* مثال آخر – أعلن البطريرك ميشيل الصباح عن إلغاء احتفالات عيد الفصح المجيد فى القدس بسبب عرقلة السلطة الإسرائيلية المصلين المسلمين من دخول القدس لأداء صلاة الجمعة والشعائر الدينية الأخرى.

* ومثال آخر تقرأه كل يوم تقريباً فى الصحف المحلية – عن احتجاج تقدمه الهيئات العاملة فى مجال حقوق الإنسان ضد سحب هوية طالب مقدسى عاد من أمريكا أو غيرها لأنه خالف قانوناً إسرائيلياً جائراً – أو غير ذلك من الذرائع لسحب هويات الزوجات أو الأولاد.

هذا غيض من فيض ، ولو أردنا الاستمرار لملأنا المجلدات عن مثل هذه الإجراءات والمخالفات التى تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلى ضد أبناء شعبنا الفلسطينى وبخاصة فى مدينة القدس والتى تخالف وتستخف بالأعراف الدولية ، مثل مؤتمر جنيف الرابع ، وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن واليونسكو وغيرها ، فهل هذه الإجراءات وغيرها توحى بأن الطرف الإسرائيلى يعمل من أجل السلام فى القدس ؟.

لقد كانت القدس وفلسطين دوماً مطمع ومطمح كل الغزاة لموقعها الإستراتيجى الذى يسيطر على ملتقى القارات الثلاث ولمكانتها الروحية والدينية ، إلا أن كل الغزاة اندحروا وخرجوا أو طردوا منها لأنهم غرباء عنها فهى لا تقبل الغرباء أبداً ، والاستقرار الذى تم والأمن الذى استتب بعد الفتح العمرى والتحرير الصلاحى كان لأن الذى فتحها وحررها لم يكن غريباً عنها لأنها كانت جزءاً منه وهو جزء منها.

هذا الدرس التاريخى المهم لم يستوعبه الاستعمار الغربى ولا الحركة الصهيونية واعتقدوا أن هذه المدينة المقدسة سوف تكون سهلة الانقياد لهم قابلة للخضوع لسيطرتهم ،

وبذلك يعيدون مملكة ريتشارد قلب الأسد أو يزورون تاريخاً مبنياً على الأساطير والخرافات ليجددوا مملكة لم يثبت صحة وجودها سوى ما يقدمونه هم ولا يثبت أمام حقائق التاريخ الدامغة أو أمام علم الآثار أو الأبحاث العلمية الجديدة.

وهكذا ومنذ وطئت الأقدام الأجنبية الدخيلة أرض القدس لم يستتب الأمن والاستقرار والسلام لهؤلاء الغرباء المحتلين ، فما هو السبب ؟

منذ وعد بلفور واتفاقية سايكس بيكو ومؤتمر الصلح بعد الحرب العالمية الأولى ومشاريع التقسيم التى وضعتها اللجان البريطانية المختلفة وصولاً إلى قرارات هيئة الأمم المتحدة وما جاء بعدها ، كانت القدس مميزة عن باقى مدن فلسطين التى احتلتها القوات الصهيونية قبل عام ١٩٤٨ وبعد ذلك ، ومع هذا لم يتم حل مشكلة القدس وإقرار السلام فيها .

منذ قرار ١٨١ للجمعية العامة للأمم المتحدة – الذى لم يتم تنفيذه ، وقرار ٢٤٢ الذى اعتبر القدس أرضاً محتلة ، ومروراً بالعشرات من القرارات التى اتخذها مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة واليونسكو وغير ذلك من المؤتمرات الدولية المختلفة – العمالية ، النسائية ، الثقافية وغيرها . كل هذه القرارات شجبت الاحتلال الإسرائيلى للقدس خاصة ولفلسطين عامة ، ومن ثم شجبت تطبيق القوانين الإسرائيلية على القدس وكذلك قرار الضم وتوحيد القدس واعتبارها عاصمة موحدة لإسرائيل ، وكذلك شجبت كل التغيرات العمرانية ، والدينية ، والتعليمية، والصحية وغيرها ، وطالبت بإلغائها ووقفها ، ولكن السلطات الإسرائيلية لم تستجب لمثل هذه القرارات وضربت بها عرض الحائط واستمرت سادرة فى إجراءاتها التهويدية بهدف طمس الهوية العربية والإسلامية للقدس.

ومنذ عام ١٩٤٨ بدأ الكونت فولك برنادوث – الوسيط الدولى الذى عينته هيئة الأمم المتحدة والذى اغتالته العصابات الصهيونية فى القدس ، بدأ الكونت برنادوث سلسلة مبادرات لحل قضية القدس خاصة وقضية فلسطين عامة ، وجاءت بعدها مبادرات ، يارنبغ – والمبادرات الأمريكية المتعددة – جونسون روجرز ، ولا مجال لحصرها هنا ، ولم تنجح ولم تستطع الوصول إلى مدخل أو حل إلا بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ودخول كيسنجر اللعبة وإدخال السادات فى حلبة المفاوضات وإعلان المبادئ واتفاقية الصلح بين

الكيان الصهيونى ومصر . ومن المفروض أن تساهم معاهدة الصلح هذه فى إحلال السلام فى المنطقة والتمهيد لحل القضية الفلسطينية بأكملها وبخاصة قضية القدس – ولكن يبدو أن الخطط كانت مبيتة لعدم الوصول إلى هذا السلام .

يقول محمد إبراهيم كامل فى مذكراته " السلام الضائع فى اتفاقيات كامب ديفيد " : كادت هذه المفاوضات أن تفشل فى بداياتها لأن رئيس الوزراء الإسرائيلى مناحم بيجين قال فى حفل الافتتاح فى تل أبيب فى ١٧ كانون ثانى ١٩٧٨ " إننى أقولها صريحة عالية – لا لتقسيم القدس – لا للانسحاب إلى حدود ١٩٦٧ – لا لحق تقرير المصير للإرهابيين (يعنى الفلسطينيين) . هذه الجملة سببت أزمة كادت تفشل كل المعاهدة .

وحتى فى محادثات كامب ديفيد فقد وردت فى الملحق رقم ٣ مادة ثانية تنص على ما يلى :

يوافق الطرفان على إقامة سلام عادل ودائم بينهما يستلزم الوفاء بما يلى :

أولاً – انسحاب إسرائيل من الأراضى المحتلة طبقاً لمبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأرض عن طريق الحروب ... ويتم الإنسحاب من الضفة الغربية إلى خطوط الهدنة الواردة فى الهدنة بين إسرائيل والأردن ١٩٤٩ ...

ثانياً – تنسحب إسرائيل من القدس إلى خط الهدنة المبين فى اتفاقية الهدنة ... ويتعهد الأطراف بضمان حرية العبادة وحرية الوصول إلى الأماكن المقدسة وزيارتها والمرور إليها دون أى تفرقة أو تمييز .

وبعد مرور ١٨ عاماً على توقيع هذه المعاهدة لم يتم السلام لأن إسرائيل لم تف بالتزاماتها ووعودها وتنفذ البنود المشار إليها – وهذا يدل دلالة واضحة على عدم رغبة إسرائيل فى تحقيق سلام لا ترغب فيه وللتأكيد على المبدأ أن معاهدة صلح يمكن أن تنهى حرباً أو حروباً ، ولكنها لن تستطيع فرض السلام – فالسلام يعنى الاستقرار والتمتع بالحرية السياسية والاقتصادية والثقافية وحرية العبادة والتنقل – وهذه المعاهدة لم تؤمن لا للفلسطينيين ولا للمصريين كذلك هذا السلام أو الشعور بأن هناك سلاماً قادماً ، وأكبر دليل على ذلك الشعور الشعبى العام فى مصر فى مقاومة التطبيع بكافة أشكاله ، وبخاصة

لما يلمسونه من أن حكام إسرائيل يتمرسون وراء أسلحتهم النووية وتفوقهم التكنولوجى فى ميدان الأسلحة ويصرخون ويولولون إذا اشترت مصر صاروخاً واحداً ، فهل هذا تصرف دولة تريد السلام ؟ أم دولة تريد استسلام الآخرين لإرادتها.

وننتقل إلى مؤتمر مدريد وما صاحبه من استعلاء وعنجهية إسرائيلية ومحاولة تثبيت معاناة اليهود فى العالم على أيدى مجتمع غير عربى وفلسطينى دون أن يتم التطرق إلى معاناة الشعب الفلسطينى التى تمت بسبب الاحتلال الإسرائيلى لأرضه ومقدساته وكبت حريته وفرض إرهاب دولة الاحتلال عليه بشكل لم يشهد التاريخ له مثيلاً . وفى هذا المؤتمر وردت إشارات متعددة لتعنت إسرائيل حول قضية القدس خاصة – وجاءت بعد مدريد المفاوضات الصعبة بين منظمة التحرير الفلسطينية والإسرائيليين ووصل التشدد والتعنت الإسرائيلى حدوداً أوقفت المفاوضات وذلك لإصرار الإسرائيليين على وضع القدس واللاجئين والمستوطنات والمياه فى آخر سلم المفاوضات وتأجيلها للمرحلة النهائية وهى المواضيع الأهم فى كل القضية الفلسطينية ، ولم تنجح الوساطات الدولية فى زحزحة إسرائيل عن موقفها ولكن فوجئت معظم الأطراف الفلسطينية والعربية والدولية بالإعلان عن اتفاق أوسلو الذى عارضناه وعارضه كثير من الفلسطينيين والعرب المفكرين لأنه كان رضوخاً للضغوط والشروط الإسرائيلية بوضع قضية القدس واللاجئين والمستوطنات للمرحلة النهائية ، بدلاً من أن تكون فى أوله ، لأن قضية القدس هى جوهر القضية ولب الصراع العربى الصهيونى منذ بداية هذا القرن . وقد أعطت هذه الاتفاقية الغطاء لإسرائيل لتستمر فى عمليات تهويد القدس بحيث لا يبقى فى القدس شئ يتم التفاوض عليه ، وفعلاً تسارعت عمليات الاستيطان والتهويد بدون ردود فعل فلسطينية ملموسة وفعالة لأن الاتفاقية تنص على ذلك " ابعدوا عن القدس الآن فأنتم لا علاقة لكم بها " ، وقد تأكد ذلك تماماً بعد لقاء عرفات – نيتانياهو حيث لم يورد البيان الذى صدر عن الاجتماع أى ذكر لقضية القدس .

ولابد من ذكر بعض المعلومات حول الخطوات المتسارعة لتهويد القدس :

– عدد اليهود فى القدس عام ١١٧٣م ٤ أفراد فقط وعام ١٢٦٧م عائلتان فقط .

- بدأ الاستيطان الصهيونى عام ١٨٥٥م فى حى مونتيفـورى قرب بركـة السلطان علـى أرض اشتراها لورد مونتيغورى البريطانى ، ومنذ ذلك الحين بدأت أعدادهم ومستوطناتهم تزداد ، وعام ١٩١٨م كان عدد اليهود فى القدس ١٠ آلاف و قرب ٣٠ ألف مواطـن أى بنسبة ٢٥٪ .

- الملكية العقارية فى القدس كانت عام ١٩١٨م :

٩٤٪ للعرب والمسلمين.

٤٪ لليهود.

٢٪ للطوائف الأجنبية.

- خلال أيام الانتداب البريطانى عملت السلطات البريطانية على تنفيذ وعد بلفـور بكافـة الوسائل فسهلت هجرة اليهود ونقل الأملاك الأميرية (الحكومية) إليهم ، ورفعت الضرائب على العرب حيث اضطروا إلى رهنها وبيعها ، وبالرغم عن ذلك بلغت هـذه الملكيـة عـام ١٩٤٨م ما يلى:

مساحة المدينة القديمة	٨٠٠	دونم
ملكية اليهود لم تتجاوز	٥٪	
مساحة المدينة الجديدة	١٩ر٣٣١	دونم
أملاك عربية	٤٠٪	
أملاك يهود	١٢ر٢٦٪	
آخرون (طوائف مسيحية)	٨٦ر١٣٪	
طرق وسكك حديد	١٢ر١٧٪	

- بعد ١٩٤٨م :

ملكية الأراضى الواقعة تحت الاحتلال الإسرائيلى :

ملكية عربية	٦٩ر٣٣٪
ملكية يهودية	٠٤ر٣٠٪

آخرون (طوائف مسيحية)	٢١ر١٥٪
طرق وسكك حديد	٥٩ر١٨٪

أما بالنسبة لعدد السكان فقد أصبح عدد سكان القدس ١٩٤٤م (حسب الإحصائيات الرسمية البريطانية) ٩٤٢ر١٥٥ بعد أن كان ٤٠ ألفاً.

عرب مسلمون	١٢٨ر٣٢	
عرب مسيحيون	١٤٩ر٢٨	
	٢٧٧ر٦٠	أى بزيادة ٣٠ ألف عن عام ١٩١٨ وهى زيادة طبيعية بالتوالد
اليهود	٩٤٢ر٦٤	أى بزيادة ٨٥ ألف عن عام ١٩١٨ وهى زيادة بسبب الهجرة والاستيطان.
آخرون	٩٥	

- أما فى نهاية ١٩٤٥ فقد وصل عدد سكان القدس إلى ٥٠٠ر١٦٤ موزعين كما يلى :

	عرب	يهود
فى البلدة القديمة	٦٠٠ر٣٣	٤٠٠ر٢
فى الجزء الغربى من القدس الجديدة	٠٠٠ر٣٠	٠٠٠ر٩
فى الجزء اليهودى من القدس الجديدة	٥٠٠ر١	٠٠٠ر٨٨
	١٠٠ر٦٥	٤٠٠ر٩٩

هذه الأرقام تشمل سكان القدس داخل حدود بلدية القدس عام ١٩٤٨ - أما عشية حرب حزيران فقد كان عدد السكان العرب - وهى البلدة القديمة والمناطق التى ضمت إليها ٤٧٢ر١٢٩ مواطناً.

مساحة القدس عشية حرب حزيران :

٥٠٠ر٦ كيلومتر مربع مساحة القدس الشرقية أيام الحكم الأردنى.

٠٠٠ر٣٨ مساحة القدس الغربية

٥٠٠ر٤٤ كم مربع.

٧٥٠ر٧٠ كم مربع بعد ضم القدس الشرقية وتوسعتها.

١٢٣ر٠٠٠ كم مربع مساحة القدس الآن بعد مصادرة وضم مساحات جديدة.

- عدد سكان القدس العرب عشية حرب حزيران ١٢٩ر٤٧٢ انخفض إلى ٧٥ ألف بعد حرب حزيران بسبب التهجير القسرى وهدم المنازل وغيرها ، وارتفع عددهم إلى ١٥٥ ألف عام ١٩٩٥ ، بينما ارتفع عدد اليهود فى القدس الشرقية من صفر عام ١٩٦٧ إلى ١٦٧ ألف ، أما فى القدس الغربية فلم يعد العرب إلى أملاكهم وبلغت نسبة السكان العرب إلى السكان اليهود فى القدس حوالى ٢٤٪ وهى نسبة يعتبرها الإسرائيليون عالية وهم يخططون لأن تكون نسبة السكان العرب أقل من ٢٠٪ عام ٢٠٠٠ - أى ٢٠٠ ألف عربى و ٨٠٠ ألف يهودى ، وهم يعملون على تنفيذ ذلك بشتى الوسائل ، منها الاستيلاء على الأراضى والعقارات وتهجير سكانها العرب ، هدم المنازل والمؤسسات الخيرية ، كما حدث فى حارة المغاربة عام ١٩٦٧ وتشريد ٦٥٠٠ مواطن ، سحب الهويات ، رفع الضرائب إلخ ...

وإذا عدنا إلى مساحة الأراضى مرة أخرى فقد صادرت سلطات الاحتلال معظم أراضى القدس وبلغت المساحة الخاضعة للاستيطان الصهيونى ٩٣٪ من مساحتها الكلية . وقد وضعت سلطات الاحتلال يدها على ٢٥٠ دونماً من أراضى البلدة القديمة أى ٢٦٪ من مجمل مساحتها وتهدد بمصادرة ٣٠ دونماً أخرى من الأحياء الإسلامية الملاصقة للمسجد الأقصى.

وما يتبقى للعرب فى القدس لم يعد يتجاوز ٤٪ من مساحتها بعد إخراج ١٠٪ مناطق مأهولة بالسكان العرب ، ٦٪ للشوارع لربط المستوطنات ، ٧٪ خاضعة للمصادرة ، و٧٣٪ مصادرة حالياً. وقد أقامت سلطات الاحتلال فى الفترة ما بين ١٩٦٧ - ١٩٩٠ على الأراضى التى صادرتها فى القدس ٢٩ مستوطنة معظمها سكنية أقامت عليها ٤٠ ألف وحدة سكنية. وقد وضعت السلطات مشروعاً لزيادة عدد المستوطنات فى القدس وتسميتها وذلك بإقامة ٣٠ ألف وحدة سكنية وباشرت فى تنفيذ ذلك بعد فوز حكومة نيتانياهو وكذلك باشرت فى تنفيذ مشروع القدس الكبرى بحيث تصل حدود القدس إلى

شمال رام الله شمالاً وإلى كفار عتصيون (حدود الخليل) جنوباً ، ومن أريحا شرقاً إلى بيت سيمش غرباً ، وقد أقامت الطرق الالتفافية والأنفاق وقام شارون بتدشين أول نفق.

المعدل الشهرى لمصادرة الأراضى قبل مدريد عام ١٩٩١ كان ٢٣٣ دونماً تضاعف بعد المؤتمر ثلاث مرات ليصبح ٦٩٩ دونماً شهرياً.

مصادرة الأراضى بين مؤتمر مدريد واتفاق أوسلو ٥٤٠ ألف دونم.

مصادرة الأراضى بين اتفاق أوسلو واتفاق القاهرة ١٩٩٤ بلغت ٥٣ ألف دونم.

وقد حدث مثل هذا فى جنوب أفريقيا عندما احتلها الأوربيون البيض ونزعوا الملكيات وطردوا السكان ومارسوا التمييز العنصرى كما تفعل إسرائيل مع العرب الآن ، ولم يتوقف الفلسطينيون عن ممارسة حقهم المشروع فى مقاومة الاحتلال ومعارضة كل هذه الإجراءات وتمت المقاومة بالعرائض والاحتجاجات والاجتماعات والمظاهرات والعمليات المسلحة وتوجه الفلسطينيون بانتفاضتهم الباسلة فى ٧ كانون ثانى ١٩٨٧ التى كادت تعطى أكلها بسبب الخسائر المادية والمعنوية التى أوقعتها فى صفوف العدو ، وبسبب التعاطف والدعم العربى والإسلامى والدولى لحقوق شعب مضطهد يعانى من الاحتلال والإرهاب الإسرائيلى والكبت والسجن والتشريد والقتل وغيرها.

إزاء كل هذه المعارضة والمقاومة الفلسطينية لتهويد القدس والتعاطف الدولى حاولت السلطات الإسرائيلية تشكيل لجان وتقديم مشاريع عدة لحل قضية القدس - ابتداء من القدس مدينة الله إلى جعل "أبوديس" عاصمة لفلسطين تسمى القدس. ولكنها كلها جوبهت بالرفض ، وهذا شئ طبيعى فكيف يمكن لإنسان أن يتخلى عن وطنه - هل تتصورون بأن يأتى أوربيون أو بيض من أمريكا ليستوطنوا فى شنغهاى أو نانكين لأن أجدادهم سكنوها قبل مائتى سنة ، هل تتصورون أن سكان مقاطعة شنغهاى التى كان الأجانب بها قبل ٥٠ سنة أقلية وأصبحت الأقلية بالاحتلال هى مالكة المقاطعة وتطرد سكانها الصينيين، إن هذا ما حدث ولازال يحدث فى فلسطين. هكذا كانت القدس وهكذا تطور

الغزو الصهيونى لها ولفلسطين ويريدون التوسع للسيطرة على البلاد العربية اقتصادياً وعسكرياً وثقافياً ... الخ .

والآن نقف فى هذه الندوة ونسأل أنفسنا عن القدس وقضية السلام – هل يمكن أن يستتب السلام فى القدس الآن ، وخاصة بعد استلام نيتانياهو الحكم وتطبيق مفاهيمه الخاصة حول السلام وحول القدس ، وفى كتابه "مكان بين الأمم" A Place Among The Nations يقول نيتانياهو إنه يوافق على تعريف السلام حسبما ورد فى قاموس Colluins المشهور : هناك شكلان له فى ذلك القاموس :

الأول يقول : السلام هو حالة انسجام بين شعوب وجماعات . والثانى يقول : السلام هو الوضع الذى لا تكون فيه دائرة حرب . ويقول نيتانياهو إنه يبحث عن تطبيق التعريف الأول . فهل هذا صحيح !! ويقول إن الطريقة الوحيدة لتحقيق هذا السلام هى زيادة قوة الدول الديمقراطية وإضعاف قوة الدول الديكتاتورية . أما بالنسبة للقدس فإنه مثل سابقيه يؤكد على أن القدس هى عاصمة إسرائيل الأبدية والسيادة عليها لها فقط ، وغير قابلة للتقسيم أو التدويل ويجب أن تحاط (وقد أحيطت) لحمايتها بالمستوطنات من كل الجهات.

ولنعود إلى السؤال ، هل يمكن أن يستتب السلام الآن فى القدس مهما وضعنا من كلمات براقة للوضع القائم؟ هل يمكن لابن القدس بأن يشاهد يهودياً مسلحاً يحتل بيته ، أو أم ترى ابنها يموت على الحاجز العسكرى ، أو امرأة تضع طفلها على الحاجز ، أو ابن يرى والده يلفظ الروح أمام تعنت الجندى الإسرائيلى أو طالب أو مدرس لا يستطيع الالتحاق بمدرسة ، أو مغترب لا يسمح له بالحياة فى أرضه ، أو زوجة تحرم من الالتحاق بزوجها وتسحب هويتها ، إلى آخر ما هنالك من أسئلة حول المعاناة اليومية التى يعيشها أهل القدس ، هل يقبل أحد بهذه المعاناة ، فإذا كان هناك قبول بهذه المعاناة فالجواب نعم ، أما إذا كان هناك رفض ومقاومة لهذه المعاناة فإن الجواب لا ولا ولا ، فلن يستتب السلام ما دامت هناك معاناة لأن حسب رأى Collins لن يكون هناك انسجام بين شعوب وجماعات ، واحدة تضطهد الأخرى وتمارس عليها تمييزاً عنصرياً لئيماً وسوف تبقى بذرة العرب موجودة .

إن إسرائيل تريد السلام ، نعم إسرائيل تريد السلام ، ولكن على الطريقة الأمريكية . فأمريكا هى الحليف الإستراتيجى للحركة الصهيونية منذ الحرب العالمية الأولى أو قبلها وهى التى تزود إسرائيل بالخبرة والمال والسلاح والدعم اللامتناهى وبخاصة فى مجال هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، وكلنا يعرف عدد المرات التى استخدمت فيها أمريكا حق الفيتو للدفاع عن إسرائيل وحمايتها من فرض العقوبات لمخالفتها لقرارات هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن وغيرها.

وأمريكا هى التى عملت للوصول إلى عملية السلام ووضع نظام شرق أوسطى جديد بحيث تؤمن فيه الحياة والترعرع لإسرائيل ولتحمى مصالحها فى الشرق الأوسط ولتسيطر مباشرة على منابع النفط والثروات العربية ، وبدون سلام واستقرار فى المنطقة فسوف تكون مصالح أمريكا معرضة للخطر فالنقمة الشعبية تزداد يومياً على الولايات المتحدة الأمريكية لمواقفها المعادية للأمانى والحقوق العربية ولممارساتها اللاإنسانية ضد الشعوب العربية .

فإذن إسرائيل تريد السلام على الطريقة الأمريكية ، وهو السلام على طريقة "إبادة الشعب المعادى" ، كما طبقه الأمريكيون على الهنود الحمر فى أمريكا ، وما يحاولون تطبيقه على الشعب العراقى ، والسودانى ، بطريقة أو بأخرى .

نعم إسرائيل تتبع نفس الطريقة الأمريكية ، تحتل أراضى فلسطينية وتطرد الفلسطينيين منها وتقيم عليها مستوطناتها وتبدأ بإبادة السكان إما بالمجازر مثل الحرم الإبراهيمى والقدسى وغيرهما ، أو بالسجن والتشريد والتجويع والتعطيش ، ثم فرض الحصار الاقتصادى والطبى على الفلسطينيين ، ثم جمعهم فى مجمعات Reservations تمهيداً لطردهم أو إبادتهم. إن سكان القدس الآن يعيشون فى جيتو محسن أومجمعات حيث يعانون من الطوق الأمنى وغيره . ولكن ما حدث فى أمريكا لا يمكن أن يحدث فى القدس وفلسطين ، فأهل القدس وفلسطين هم جزء من الأمة العربية يعيشون وسط بحر من العرب وليس فى منطقة منعزلة بعيدة عن إخوانهم ، وأهل القدس لهم حضارتهم ، ولهم تاريخهم ، ولهم دينهم وثقافتهم وإنسانيتهم ، وهم متفوقون حضارياً على هذه العصابات التى احتلت بلادهم وكذلك فإنهم لن يستسلموا لهذا المصير وسوف ينقلب السحر على

الساحر ، وسوف يبقى هذا الشعب المنغرس فى أرضه يحـارب ويحـارب ويحـارب حتـى يحقق السلام العادل فى المنطقة والذى لن يستتب إلا برحيل الغربـاء كلهم ، وعند ذلك نقول عاد السلام إلى مدينة السلام - القدس عاصمة فلسطين العربية.

الندوة الدولية "القدس: التاريخ والمستقبل" (٢٩-٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

القدس الشريف :
مواقف عربية ودولية بشأن المستقبل

دكتور محمد على حله
أستاذ التاريخ الإسلامى الحديث والمعاصر - جامعة الأزهر

مقدمة

عروبة القدس الشريف وإسلاميتها، ضرب من حديث معلوم للجميع، بل إنه من الحقائق والمسلمات، التى يجاوز العلم بها المنطقة الجغرافية للأمة الإسلامية، ويتعداها إلى آفاق العالم.

إن عروبة القدس الشريف، تتجاوز ذلك الحيز الزمنى لدعوة الإسلام فى صدر الدولة الإسلامية، إنها تسبقها حقباً ضاربة فى القدم، تتلازم وتتزامن مع أكبر المراحل، التى ظهر فيها العرب عرقاً من الأعراق البشرية، ولذا فإنه من المسلمات التاريخية، بأن شهادة ميلاد القدس الشريف تؤكد، أنها عربية الأصل فى النشأة والتكوين، إسلامية الهوية فى الحضارة والإنسانية.

واليوم، تعيش القدس الشريف إحدى صفحات المأساة فى تاريخها، إنها تعانى منذ ثمانية وعشرين عاماً من وطأة السيطرة الإسرائيلية، التى لم تكتف باحتلالها، بل أخذت تضع الخطط التوسعية لسلخها من واقعها العربى والإسلامى إلى حاضر جديد، هو غريب عنها، تأباه القدس الشريف، ليس لأنه تعدٍ صارخ على الحقائق التاريخية فحسب، بل لأنه أيضاً تشويه للقداسة، وتزييف للحق والحقيقة.

وإذا سلمنا بحق الإسرائيليين، فى العيش بأمن وسلام فى وطن قومى لأسباب متباينة، فهل من العدالة أن يحرم أصحاب الأرض الفلسطينيون العرب من هذا الحق، بل وأن تتنكر له دول كبرى؟!

إن الإسرائيليين يزعمون اليوم، أن القدس لهم بمثابة الرأس للجسم، ونحن بدورنا نتساءل : أين القدس هذه التى يتحدثون عنها؟!، إنها أورشليم التاريخية، التى هدمها الرومان مرتين، وأزالوا اسمها من الوجود.

أورشليم تلك اندثرت بسببهم هم، ثم جاء المسلمون وفتحوا المدينة، ولم يأخذوها من اليهود، بل أخذوها من الرومان أعداء اليهود، وحافظوا على كنائسها ومعابدها، وفى أثناء الحكم الإسلامى وحده شرع اليهود يعودون إليها، ويقيمون فيها المعابد وفق الشروط التى وضعها الإسلام لأهل الذمة.

ثم إن المسلمين إبان الإثنى عشر قرناً، التى حكموا فيها فلسطين، اتخذوا بيت المقدس عاصمة لهم، وتملكوا أرضها بالطرق الشرعية، وأوقفوا أكثرها على الخير والبر والعبادة، ولم تهدم المدينة ولم تحرق، ولم يروع سكانها بمختلف عقائدهم، بل عاشوا فى أمن وأمان طوال الحكم الإسلامى، وأخذ المسلمون فى بناء المساجد والزوايا والتكايا بأموالهم، وظلوا فيها مرابطين صابرين، واختلطت دماؤهم وعظامهم بتربتها.

وفى العهد الإسرائيلى القصير، لم تعرف المدينة المقدسة سلماً ولا أمناً، حيث عارك اليهود الرومان وثنيين ومسيحيين، ولكن فى العهد الإسلامى، عاش المسلمون والمسيحيون واليهود فى أمن وسلام، والأرض التى أنشأ عليها اليهود مساكنهم ومعابدهم ومقابرهم أخذوها من المسلمين..

وفى العهد الإسلامى وحده، حفظت المعابد اليهودية من الدمار، وذهب المسلمون فى حفظها ورعايتها إلى حد أن جعلوها بمثابة مساجدهم، وهذا الموقف موقف إسلامى أصيل فى الزمان والمكان، لأنه مستمد من عقيدتهم التى تؤآخى بين الأنبياء جميعاً دون تفرقة،

فقال تعالى " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير "(*)

والإسرائيليون لا يمكن أن يقفوا هذا الموقف، لأنهم لا يؤمنون برسالة عيسى بن مريم (عليه السلام)، ومحمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم)، وبالتالى فهم لا يفرقون بقدسية الآثار المسيحية والإسلامية، ولا يمكن أن يؤتمنوا عليها، وصفحات التاريخ تسجل عليهم ذلك، ففى المدة القصيرة التى حكموا فيها فلسطين منذ عام ١٩٤٨، صادروا أوقاف وأملاك العرب مسلمين ومسيحيين، واستولوا على نحو ألف مسجد، وهدموا عدداً كبيراً من المساجد والكنائس والأضرحة، واضطهدوا علماء الإسلام ورجال الدين المسيحى، وقتلوا مئات الأبرياء بالغدر حيناً، وباسم قانونهم حيناً آخر.

وماذا عساهم أن يفعلوا لو استقر بهم المقام؟!، إنهم سيواصلون محو الآثار المسيحية قبل الإسلامية، وسيطاردون الرهبان والقساوسة قبل الشيوخ والعلماء، وينتقمون من المسيحية والمسيحيين شر انتقام، وليست هذه نبوءة، إنها استنتاج من مزاعمهم وسياستهم.

ومن ثم، فإذا كان العرب المسلمون، قد رفضوا تدويل القدس الشريف، فمن باب أولى فإنهم يرفضون تخصيصها لدولة إسرائيل.

وإذا كان الأقصى المبارك قد تعرض لحريق، وما يزال يتعرض للكثير من الممارسات العدوانية تحت بصر القوات الإسرائيلية، فكيف يتأتى لنا نحن المسلمين أن نترك هذا المكان الإسلامى المقدس، ورمز وحدتنا الإسلامية، تحت حكم لا يعترف بقدسيته، ولا يصون حرمته. ومن ثم فإننى أرى التأكيد على ما يلى:

(١) إن هذه الدراسة تتجه فى المقام الأول إلى إبراز الحقائق التاريخية فحسب، دون أية محاولة لتكييف الماضى مع الظروف التى تعيشها القدس الشريف اليوم.

(٢) إن المزاعم التى يطلقها الإسرائيليون بين حين وآخر، ليس لها سند من الحقائق التاريخية التى يعرفونها، بل ويعرفها الباحثون الغربيون من غير المسلمين، ومن ثم فإننا فقط لا نقدم هذه الدراسة دفاعاً عن موقفنا، فى التمسك بحقنا العربى والإسلامى

(*) سورة البقرة (آية ٢٨٥).

فى مدينة القدس، بل وتأكيداً لهذا الحـق، الـذى يملـك الدفـاع عنـه والـذود دونـه مليـار مسلم، فى مشارق الأرض ومغاربها.

(٣) وهذه الدراسة الموثقة، هى محاولـة جـادة، فيهـا عـرض لصفحـات المـاضى بإيجـاز، وعـرض للحـاضر بتركيز، واستقراء للمستقبل فـى رؤيـة إسـلامية، أحسبها أصـدق الرؤى.

محاور البحث

(١) القدس الشريف عربية فى النشأة والتكوين

(٢) الهوية الإسلامية للقدس الشريف

(٣) الحركة الاستعمارية والقدس الشريف فى العصر الحديث

(٤) القدس الشريف من التهويد إلى التدويل

(٥) الأوضاع فى القدس الشريف بعد حرب ١٩٤٨

(٦) القدس الشريف بعد عدوان ١٩٦٧

- قرارات دولية لا تنفذ
- القرار ٢٤٢

(٧) القدس العربية تحت الحكم الإسرائيلى ١٩٦٨-١٩٩٥

- الانتهاكات الإسرائيلية للمقدسات الدينية
- زرع المستوطنات الإسرائيلية فى القدس العربية

(٨) موقف الغرب من الاحتلال الإسرائيلى للقدس العربية

- الفاتيكان
- الإدارة الأمريكية بين الاعتدال والاعتداء
- الاعتدال
- الاعتداء

(٩) مستقبل القدس الشريف : رؤى مختلفة

- رؤية القيادة الفلسطينية
- القدس فى جامعة الدول العربية

- القدس فى منظمة المؤتمر الإسلامى
- جهود مصبر فى دعم القضية
- القدس الشريف بعيون الأزهر الشريف

(١٠) خلاصة الدراسة

(١) القدس الشريف عربية فى النشأة والتكوين

إن تاريخ القدس، ينحصر فى أقدم فترة عاشتها مدينة السلام فى مسيرتها الحضارية، وهذه الفترة التى تصل إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، تميزت بأهم ظاهرة فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، ونعنى بها تلك الموجات المتتالية لجماعات مهاجرة من الجزيرة العربية إلى الشام والعراق، وقد استقرت إحداها – وهم الكنعانيون – فى أرض عرفت باسمهم (أرض كنعان)[1] . ثم جاء فريق من الكنعانيين – وهم اليبوس(*) ، وتخيروا مكاناً لا يمتلك كثيراً من الخواص الطبيعية، التى تغرى بالاستقرار(**) ، بيد أن هذا الموقع اختاره اليبوس بعناية، فهو موقع لا يغرى أحداً بالذهاب إليه، أو الطغيان عليه[2] .

ولم يدر بفكرهم الفطرى، حينما أرسوا رحالهم المتواضعة فى ذلك الموقع، وعلى رابية مثلثة الشكل، أنهم بذلك قد وضعوا اللبنة الأولى فى صرح مدينة خالدة، هى مدينة القدس الشريف حالياً.

وبما أن اليبوس فرع من قبيلة عربية، وهى كنعان، والكنعانيون نزحوا من الجزيرة العربية، فإن شهادة ميلاد القدس تؤكد على أنها عربية الأصل فى النشأة والتكوين.

---

[1] د. طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة، جزآن، بغداد، ١٩٥٦/٥٥، جـ٢، ص٢٨٢، وفى أوائل القرن الثانى عشر قبل الميلاد، جاءت جماعة من الأقوام الإيجية (أهل السواحل) وهم الفلسطينيون، الذين كانوا آخر من هاجر إلى أرض كنعان، واختلطوا بأهل البلاد، ومن اسمهم جاء اسم فلسطين.

(*) اليبوس: هو أحد أولاد كنعان.

(**) فلا تقع على مجرى مائى، ولا على بحر، لتصبح ميناء تستقبل الناس، يحملون إليها ويأخذون منها ما يقوم حياتهم، ولا تقع على طريق رئيسى، أو عند ملتقى طرق.

[2] د. أحمد سوسة: العرب واليهود فى التاريخ، ط٢، دمشق، د. ت.، ص٢٣١.

ولأن اليبوسيين اتسموا بالدعة والسلام، فقد أطلقوا على مكان إقامتهم (مدينتهم) – (أورسالم) أو (أورشاليم)، وهى فى اللغة الكنعانية تعنى منشأة الإله سالم، ويبدو أنه الإله الذى يرمز إلى السلم، الذى توجهت عقيدة اليبوسيين إليه، وقد ظل الاسم (أورسالم) شائعاً من ذلك العهد إلى يومنا هذا، وإن كان قد أصابه بعض التغيير، فمنه جاء الاسم الغربى (Jerusalem)، ومن ثم ينكشف لنا أن تسمية (أورسالم)، التى يحاول بعض الباحثين الغربيين عدها من الأسماء العبرية (بمعنى اليهودية)، هى فى الحقيقة كلمة كنعانية، وردت بهذا الاسم فى نصوص كنعانية، وحدث فى مصر قبل ظهورالنبى موسى (عليه السلام) بعدة قرون، لعلنا نؤكد أن موسى (عليه السلام) لم يأت أورسالم أو يدخلها.

ورغم أن موسى (عليه السلام) رسول بنى إسرائيل، لم يأت القدس ولم يدخلها، ومن ثم فلا تربط اليهود بالقدس أى علاقة روحية أو دينية ذات شأن بأبناء الدين اليهودى وحملة رسالته، ولكنهم فى واقع الأمر حاولوا إثبات أهميتها السياسية، من حيث كونها مفتاح الفكرة الصهيونية، ورمزاً لكيان الدولة الموحدة فى عصر ملوك إسرائيل، فداود (عليه السلام) أول من أنشأ مملكة (حوالى عام ١٠١١ ق.م)، وأجرى طقوس المعبد.

وأنهم أقاموا لهم فيها هيكلا للعبادة فى عهد سليمان (عليه السلام)(*) ، وهو قسم من قصره (حوالى عام ٩٦٠ ق.م)، وقد ساعده فى بناء الهيكل الملك (هيرام)، وهو من أشهر الملوك الذين تربعوا على عرش مدينة صور (اللبنانية)، ذات التاريخ العريق(**) .

والواقع أن هذه المملكة الصغيرة، فى عهد داود وابنه سليمان (عليهما السلام)، لم تزد مدة حكمهما لها عن ثلاثة وسبعين عاماً، بل كانت واقعة تحت وصاية ملك مصر من جهة، وملك صور من جهة أخرى، وبعد وفاة سليمان (عليه السلام) تفسخت هذه المملكة وانقسمت على نفسها: إسرائيل فى الشمال (وعاصمتها السامرة)، ويهوذا فى الجنوب

(*) تقع فترة حكمه من سنة ٩٧١ و ٩٣١ ق.م، على وجه التقريب.

(**) وعادة ما يشير اليهود إلى داود وسليمان (عليهما السلام) بأنهم ملوك، ويسمون عصرهم بعصر الملوك، ولا يخلعون عليهم نفس صفات الإيمان بالنبوة، التى يخلعها عليهم المسلمون، وتشير إليها آيات القرآن الكريم، قال تعالى " **ولقد آتينا داود وسليمان علماً، وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين** " (سورة النمل "١٥")، " **يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض، فاحكم بين الناس بالحق، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب**" (سورة ص "٢٦").

(وعاصمتها أورشليم)، ووقع بين الجزأين حروب وسادهما الاضطراب، حتى جاء أخيراً ملك آشور[***] (سرجون)، وذلك فى عام ٧٢١ ق.م.، فقضى على دولة إسرائيل، فانتهت من التاريخ. وفى عام ٥٨٦ ق.م. قضى ملك بابل (نبوخذ نصر) الثانى على يهوذا، وهدم عاصمتها وأحرق هيكلها، ونقل من بقى من الإسرائيليين إلى بابل فى العراق، حيث بقوا فى الأسر فترة طويلة من الزمان، إلى أن سمح لهم الفرس بدخول من بقى منهم إلى فلسطين.

فمن هذا التاريخ الثابت، أى منذ ستة قرون قبل الميلاد، انتهى التاريخ السياسى لبنى إسرائيل أو اليهود فى فلسطين، وظلوا خاضعين لدولة الفرس، ثم اليونان، ومن بعدهم جاء الرومان، ولم يكن اليهود فى عهدهم أحسن حالاً مما كانوا عليه من قبل، حيث عاشوا فى ظروف مضطربة، ناجمة عن صراع الزعماء الرومان فيما بينهم على الحكم، إلى أن تمكن (تيطوس) من البلاد وسيطر عليها، ودخل أورشليم سنة ٧٠م، وأوقع مذبحة مروعة بأهلها، وخرب المدينة وأحرق هيكلها وذبح كهنته، فأزيل الهيكل من الوجود تماماً، بحيث لم يعد يهتدى الناس إلى موضعه، ثم حول الإمبراطور (إيليا هادريان) مدينة أورشليم إلى مستعمرة رومانية (١٣٥م)، وحرم على اليهود سكناها، وقد بدل اسمها إلى (إيلياء) نسبة إليه، وقد أسكِنت جالية رومانية ويونانية فى (إيلياء)، وأقيم فى محل الهيكل معبد للإله اليونانى جوبيتر، وهذه هى الضربة الأخيرة لليهود فى فلسطين، ولم يقم لهم أى كيان سياسى فيها طوال العصور التالية، بل زال كل يهودى، بعد أن تحولت مدينة (إيلياء) من الوثنية إلى اعتناق المسيحية، بعد اعتراف الإمبراطورية الرومانية المشرقية (البيزنطية) بالدين المسيحى فى عام ٣١٣م، واشتدت الوطأة على اليهود، بسبب غدرهم بالسيد المسيح (عليه السلام) سنة ٢٩م، وحرمت المدينة عليهم، ثم أنشئت الكنائس والأديرة فى البلاد، حتى تقرر إقامة بطريرك للكنيسة الأرثوذكسية فى مدينة (إيلياء) فى عام ٤٣١م، ومن ثم كانت لإيلياء (القدس) - فضلاً عن أرومتها العربية - أهمية المعجزة الدينية عند المسيحيين.

[***] دامت الإمبراطورية الآشورية بين سنة ٩١١ و ٦٢٦ ق.م.

وفى عام ٦١٤م، تزعزع الكيان النصرانى، عندما غلب الفرس الروم البيزنطيين، وتطوع اليهود لمساعدة الفرس، وشاركوا معهم فى ذبح النصارى وهدم الكنائس، وبعد خمسة عشر عاماً تمكن الروم من البلاد وهزموا الفرس، وحرموا على اليهود دخول مدينة (إيلياء)(*) ، حتى فتحها المسلمون فى عام ١٧ هـ، فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه).

وقد يكون من الأهمية – قبل أن نبسط الحديث عن الهوية الإسلامية لمدينة القدس – أن نبرز وجهة النظر فى المزاعم الإسرائيلية، فى شأن الحق التاريخى المزعوم، فى نقطتين اثنتين فقط :

أولاً: نشأ خلال إقامة بنى إسرائيل فى التيه أو الشتات البابلى ثم الرومانى، ما يجوز تسميته بالتاريخ السياسى القومى لليهود، وإنشاء قواعد لديانة يهودية، لا تمت بصلة لموسى (عليه السلام)، وفى هذه الحقبة وضع رؤساء اليهود وحاخاماتهم، سلسلة من المبادئ والتقاليد والتعاليم، وكتب عدد منهم بعض أسفار العهد القديم من التوراة، وفيها يزعمون من أنباء الهجرة العبرانية الأولى إليها، والوعد الإلهى المقطوع لإبراهيم (عليه السلام) وأسباطه من بعده، أن تكون فلسطين وطناً أزلياً، وأسموها (أرض الميعاد)، وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه الناحية، حيث قال تعالى "**يا أهل الكتاب، لم تحاجون فى إبراهيم، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده، أفلا تعقلون**"، وقال تعالى "**ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين**"(**) .

ثانياً: ثم إن الوعد الغامض، الذى أوردته أسفارهم(***) ، والمقطوع لأسباط إبراهيم (عليه السلام)، بأن لهم أرض الميعاد الممتدة من نهر مصر (النيل)، إلى النهر الكبير (الفرات)، وهو وعد مقطوع لنسل إبراهيم (عليه السلام) قبل مولد إسماعيل وإسحاق (عليهما السلام)، وعلى ذلك فهو وعد مؤكد للعرب فقط، على اعتبار أن عصر إبراهيم الخليل

(*) وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحروب، قال تعالى " **الم، غلبت الروم فى أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون**" (سورة الروم "١–٤").

(**) سورة آل عمران: الآيتان "٦٥" و "٦٧".

(***) سفر التكوين: ١٥/١٨.

(عليه السلام) عصر عربى بحت قائم بذاته، بلغته وقوميته وديانته، ولا صلة له بعصر موسى (عليه السلام)، الذى يأتى فى وقت لاحق بعد عصر إبراهيم الخليل (عليه السلام) بسبعمائة عام(****) ، ومن ثم لم يقطع لبنى إسرائيل، أولئك الذين لم تعمر لهم وحدهم أرض كنعان (فلسطين)، ولم يقم كيانهم السياسى الموحد فى المنطقة أكثر من سبعين عاماً، على عهد داود وسليمان (عليهما السلام)، هذا بينما ظلت المنطقة دائماً أرضاً عربية عريقة فى عروبتها(*****) .

(٢) الهوية الإسلامية للقدس الشريف

رفع الله شأن القدس بإسراء الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى بيت المقدس(*) ، وذلك قبل الفتح الإسلامى لفلسطين، إذ أنها أضحت محل اهتمام المسلمين، ففيها المسجد الأقصى، أولى القبلتين، وثالث الحرمين، والصخرة المشرفة التى أسرى إليها بالنبى العربى (صلى الله عليه وسلم)، وحائط البراق الذى يشكل جزءاً من الحائط الغربى لساحة الأقصى . وبعد أن فتح المسلمون المدينة فى السنة السابعة عشرة للهجرة (٦٣٦م)، بدأت المدينة صفحة جديدة لا مثيل لها، يقف التاريخ شامخاً يسجل لنا نحن المسلمين صفحة من تراثنا الدينى الزاخر، ينادينا ويدعونا أن نحمى هذا التراث العظيم، الذى تركه لنا كوكبة من أجدادنا الفاتحين.

إن فى خروج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)، ليتسلم بنفسه بيت المقدس فى فلسطين، لخير شاهد على ما قدمه الخليفة عمر للأجيال الإسلامية، عن أصالة حقهم فى هذه المدينة المقدسة، وهو أيضاً أصدق دليل على ارتباط الأصول الدينية لهذه المدينة بالدين الإسلامى، وأن واجب الدفاع عن تلك المقدسات وأصولها، هو دفاع عن الدين الإسلامى نفسه.

(****) د. أحمد سوسة: العرب واليهود فى التاريخ، مرجع سبق ذكره، ص٢٣٢ وما بعدها.

(*****) Guillaume, Alfred, Zionists and the Bible, Israel.

نقلا عن عز الدين فودة: القدس فى محيط العلاقات الدولية ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٣٥.

(*) قال تعالى " سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله، لنريه من آياتنا، إنه هو السميع البصير " (سورة الإسراء "١").

ولقد جاءت وثيقة تسليم المدينة، التى قدمها البطريرك (صفرنيوس) للخليفة عمر، وهى وثيقة محددة البنود واضحة المعالم، وعرفت بالعهدة العمرية، إذ أن عمراً (رضى الله عنه) وافق على مطالب الأرثوذكس، ويأتى فى مقدمتها إصرارهم على ألا يساكنهم فيها أحد من اليهود، وفى هذا تأكيد على خلو المدينة تماماً من اليهود، وقد أضاف عمر بن الخطاب إلى هذه الوثيقة شروطاً، تنص على احترام المقدسات المسيحية، وما يكفل لها السلامة أيضاً من بقايا الروم وعملائهم، وهكذا باتت المقدسات المسيحية موضع الاحترام والتقدير والإجلال، الذى يكنه المسيحيون أنفسهم لتلك المقدسات، وهو موقف طبيعى مستمد من عقيدتنا، التى تؤآخى بين الأنبياء، فتلاحمت فى بيت المقدس العمائر الدينية، مساجد وكنائس، يرتفع فيها اسم الله سبحانه وتعالى، ويعبق جو المدينة بحضارة عربية، تقدس الأديان، وتسوى بين العرب فى بلاد الشام، مسيحيين كانوا أو مسلمين(**).

وهكذا دخلت القدس الشريف - كسائر بلاد الشام - فى نطاق الخلافة الإسلامية الرشيدة، ثم الدولة الأموية(***) والعباسية، ثم الأتراك العثمانيين، وتوالى عليها ولاة الدول العربية المختلفة، واستمرت المدينة المقدسة ترفل فى أرديتها العربية وهويتها الإسلامية، حتى غشيتها الحملات الصليبية (١٠٩٦-١٢٩١م)، التى خاضتها أوربا ظلماً تحت اسم الصليب، وأعطوها رموزاً دينية زائفة، وتعطل دور القدس الشريف الإيمانى والإنسانى، حتى جاء صلاح الدين الأيوبى محرراً للقدس، واتخذ صلاح الدين من الخليفة عمر قدوة له، فى التسامح والتأديب بأدب الإسلام، فأظهر من احترام الأماكن المسيحية ما لا يزال المنصفون من الباحثين الغربيين يرفعون من ذكره، ويعظمون من قدره حتى اليوم(*) .

(**) Montgomery, Watt, Islam and the Integration of Society, London, 1861, pp.91-149.

(***) ليس هنا مجال للإفاضة، ولكن تكفى الإشارة إلى أن رأس الدولة الأموية - معاوية بن أبى سفيان - قد نصب نفسه خليفة للمسلمين فى بيت المقدس، أنظر: فلهوزن، يوليوس: تاريخ الدولة العربية، ترجمة د. محمد أبو ريدة، القاهرة، ١٩٥٨، ص١٢٨.

(*) لأن حرية الاعتقاد حق مكفول للبشر، بموجب قوله تعالى " لا إكراه فى الدين، قد تبين الرشد من الغى " (سورة البقرة، الآية "٢٥٦")، وقد جاء فى عهد محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى بنى نجران "ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمة محمد النبى رسول الله على أموالهم وملتهم وغايتهم، وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته، وليس عليه دية ولا دم جاهلية، ولا يخسرون ولا يعسرون، ولا يطأ أرضهم جيش"، الخراج لأبى يوسف، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٢هـ، ص٧٢.

واللافت للنظر أن مملكة بيت المقدس كانت أطول عمراً من المملكة التى قامت على عهدى داود وابنه سليمان (عليهما السلام).

وعلى عهد الملك الكامل بن صلاح الدين، عقد المسلمون مع الصليبيين الهدنة المشهورة (١٢١٨م) لمدة عشر سنوات، التى اتفق بمقتضاها على أن تبقى القدس فى يد الفرنجة، عدا الحرم القدسى، وما فيه من مساجد فيبقى فى يد المسلمين، وتكون سائر قرى القدس للمسلمين، وبوفاة الكامل استولى ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب على القدس، واستقرت من بعده فى أيدى سلاطين المماليك، حتى دخلها العثمانيون سنة ١٥١٦م، حيث ظلت فى إطار الدولة العثمانية الإسلامية لمدة أربعة قرون، حتى صبيحة يوم ١١ ديسمبر (كانون أول) سنة ١٩١٧م، حين دخلها البريطانيون إبان الحرب العالمية الأولى بقواتهم العسكرية، تحت قيادة اللنبى Allenby (**) ، ورأى حارس كنيسة القيامة - وهو عربى مسلم من بنى شيبة - أن يسلم مفاتيح الكنيسة للقائد الإنجليزى ، غير أن اللنبى رد المفاتيح إلى الذين كانوا يقومون على خدمة كنيسة القيامة ورعايتها منذ عشرات السنين.

وربما كان تصرف هذا القائد، ملاحظاً فيه ما كان قائماً بين الطوائف المسيحية من الاتفاق، على أن يلى مفاتيح الكنيسة مسلم، دفعاً للخلاف بين هذه الطوائف منذ مئات السنين.

(٣) الحركة الاستعمارية والقدس الشريف فى العصر الحديث

قبل أن يودع القرن الثامن عشر سنواته الأخيرة، شهد ميدان الاستعمار تنافساً شديداً، بين بريطانيا وفرنسا فى أنحاء مختلفة من عالمنا الحديث، وكانت فرنسا أول من طرح بشكل جدى فكرة توطين اليهود فى فلسطين، فقد أعدت حكومة الإدارة الفرنسية عام ١٧٩٨م خطة سرية لإقامة "كومنولث يهودى فى فلسطين"(***) ، خلال نجاح الحملة الفرنسية فى احتلال مصر والمشرق العربى (بما فيه فلسطين)، ولذا فإن نابليون بونابرت

(**) ويفل: الحملات الحربية وفلسطين، الترجمة العربية، القاهرة، ١٩٣٨، ص١٥٦، عارف العارف: تاريخ القدس، القاهرة، ١٩٥١، ص١٣٨.

(***) د. خيرية قاسمية: النشاط الصهيونى فى الشرق العربى وصداه ١٩٠٨ - ١٩١٨، بيروت، ١٩٧٣، الفصل الأول.

كان قد أصدر بمجرد وصوله إلى مصر فى نفس العام (١٧٩٨) بياناً، حث فيه جميع يهود آسيا وأفريقيا على الالتفاف حول رايته، من أجل إعادة (مجدهم الغابر)!!، وإعادة بناء القدس القديمة(****) .

ثم كان لظهور الوالى العثمانى محمد على فى مصر، ومحاولاته الرامية آنذاك إلى إقامة إمبراطورية عربية، تحل محل السلطنة العثمانية المتهالكة، جعل بريطانيا تفكر جدياً فى توطين اليهود فى فلسطين، حيث استشعرت أن وجود طائفة(*) غير عربية وغير إسلامية أيضاً تعتمد عليها فى بلاد الشام، يعد أمراً غاية فى الأهمية، لحماية مصالحها فى تلك الديار، ومن ثم قامت بريطانيا فى يوليو من عام ١٨٣٨ بافتتاح أول قنصلية لها فى القدس، برئاسة المستر يانج M.T. Young، وأعلنت أنها استهدفت رعاية مصالحها والتى كان من ضمنها "تقديم الحماية لليهود هناك عامة"(**) .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أن القوانين العثمانية كانت تنص بصراحة ووضوح، على منع بيع الأراضى والعقارات فى القدس وضواحيها لليهود، ولذا فقد مارست بريطانيا ضغطاً شديداً على الدولة العثمانية، لتعديل تلك القوانين، بحيث تصبح القدس مفتوحة لليهود، يحق لهم استملاك الأراضى والعقارات فيها.

ونتيجة لتدخل بريطانيا، تمكن موسى مونتفيورى Moys Montefiori (***) فى عام ١٨٥٥، من الحصول على فرمان من السلطان عبد المجيد، تسنى له بموجبه شراء أول قطعة أرض فى القدس خارج سور المدينة القديمة، وبدلاً من أن يقيم عليها مستشفى كما

(****) FSCO Foundation, Palestine, A Study of Jewish, Arab and British Policies, N.Y., 1970, pp. 10-19.

صادق جلال العظيم، الصهيونية والصراع الطبقى، بيروت، ١٩٧٥، ص٥٧.

(*) تمتعت فرنسا منذ عام ١٥٣٥ بحق حماية الكاثوليك، وفى عام ١٧٧٤ حصلت روسيا على حق حماية الأرثوذكس فى الدولة العثمانية، أما بريطانيا فلم تكن لها طائفة أو جماعة تتحيز لها أو تعتمد عليها فى أى مكان من تلك الدولة، عارف العارف: المسيحية فى القدس، ص ١٥٣-١٥٥، ١٦٨-١٧١.

(**) Parkes, James, A History of Jewish People, London, 1964, p.183.

(***) كان من أوائل أقطاب البرجوازية اليهودية، الذين ساهموا بفاعلية فى إرساء دعائم الاستيطان اليهودى فى فلسطين، وذلك بدعم بريطانى ملحوظ.

ورد فى الفرمان، أقام عليها أول حى سكنى يهودى عرف فيما بعد باسمه (حى مونتفيورى)(****) .

ثم كان اندفاع ألمانيا فى عام ١٨٩٨ صوب الشرق، تدعيما منها لسياستها وحماية لمصالحها الاقتصادية فى الدولة العثمانية، ودشنت هذه السياسة برحلة الإمبراطور وليم الثانى (غليوم) إلى الآستانة، ثم إلى القدس فى خريف نفس العام (١٨٩٨). وما يعنينا من أمر هذه الرحلة، ومن جملة المظاهر الاستعمارية، من علاقة وثيقة بالحركة الصهيونية فى مهدها، فقد أخذ زعماء تلك الحركة يرنون ببصرهم إلى الثقة، التى أصبح السلطان عبد الحميد يوليها ألمانيا.

وفى ١٨ أكتوبر (تشرين أول) سنة ١٨٩٨، تمكن هرتزل - مؤسس الحركة الصهيونية - من مقابلة القيصر فى العاصمة العثمانية (الآستانة)، وعرض علَيه مشروعه الاستيطانى فى فلسطين تحت الحماية الألمانية، وأكد هرتزل على أن الصهيونية مستعدة للقيام بإخراج (عناصر الشغب) من فقراء يهود أوربا، وتوطينهم فى المحمية الفلسطينية، وحذر هرتزل من مغبة فشل ذلك المشروع، حتى لاينضم اليهود إلى الأحزاب الثورية المنتشرة فى أوربا(*****) .

ولعل من المفيد ذكره، أن الوزير المفوض الأمريكى فى الآستانة شتراوس، قام بدور ملحوظ فى تيسير نجاح لقاء هرتزل بالقيصر، وحاول إقناعه بجدوى المشروع الصهيونى، وأهميته للعالم الغربى، بل وراح شتراوس يضغط بشدة على الدولة العثمانية، لانتزاع بعض الامتيازات الخاصة باليهود، وأهمها السماح لليهود الأمريكيين بحرية السفر إلى سوريا وفلسطين، وعدم التمييز بينهم وبين الأمريكيين المسيحيين فى المعاملة(*).

وعلى هذا يمكننا الإشارة، إلى أنه لم يحدث فى تاريخ مدينة القدس، ما يشكك فى أصولها العربية، وهويتها الإسلامية، حتى أصدرت الحكومة البريطانية فى الثانى من

(****) محمد سليمان: قانون التنظيمات العثمانى وتملك اليهود فى أرض فلسطين، مقال فى مجلة (صامد الاقتصادى)، العدد ٣٣، بيروت، نوفمبر ١٩٨١، ص٨٢، وحول مشاريع الاستيطان اليهودى وتتابعها، أنظر: صبرى جريس: تاريخ الصهيونية، جـ١، بيروت، ١٩٧٧، ص ٦٥-٦٨.

(*****) ستيوارت، ديزموند: تودور هرتزل، ترجمة فوزى وفاء وآخر، بيروت، ط١، ١٩٧٤ ، ص ٣١٠ - ٣١١..

(*) فرانك مانويل: بين أمريكا وفلسطين، تعريب يوسف حنا، عمان، ١٩٦٧، ص٣٦.

نوفمبر (تشرين ثان) سنة ١٩١٧ تصريح بلفور Balfour Declaration، والذى تضمن وعداً بريطانياً بتمكين اليهود من إنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين، وكان صدور مثل هذا التصريح فى هذا التاريخ لظروف سياسية اقتضتها الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)، والتى دعت أيضاً - فيما بعد - إلى قيام الانتداب البريطانى على فلسطين منذ عام ١٩٢٠، وفى ظل هذا الانتداب - الذى ظل ما يقرب من ثلاثين عاماً - ركزت الحركة الصهيونية كل جهودها، فى أن تسلب القدس الشريف طابعها العربى وهويتها الإسلامية، وفشلت فى ذلك. وحتى عندما تهيأت الظروف، وانتقل النشاط الصهيونى إلى الولايات المتحدة الأمريكية، خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، أخفقت الصهيونية فى تهويد القدس الشريف، حتى أحالت حكومة الانتداب البريطانية القضية الفلسطينية برمتها إلى هيئة الأمم المتحدة فى ربيع عام ١٩٤٧م.

(٤) القدس الشريف من التهويد إلى التدويل

وفى هيئة الأمم المتحدة طرحت القضية الفلسطينية، ورأت الهيئة الدولية فى دورتها الاستثنائية (١٥ مايو/ آيار سنة ١٩٤٧) تشكيل لجنة خاصة(**) من أعضاء تلك الهيئة، لدراسة القضية، وتقديم مقترحاتها حسبما تراها ملائمة لحل المشكلة(***).

وقد مارست الولايات المتحدة الأمريكية ضغوطاً على اللجنة الخاصة، حتى تأتى مقترحاتها متفقة والمزاعم الصهيونية(****)، وبعد مناقشات استطالت حوالى ستة أشهر، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم "١٨١"، الذى صدر فى التاسع

(**) صدر القرار عن الجمعية العامة برقم ١٠٦ فى ١٥ مايو ١٩٤٧، بتأليف هذه اللجنة تحت اسم United Nations Special Committee on Palestine، وتختصر UNSCOP.

(***) د. جورج طعمة: قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربى الإسرائيلى ١٩٤٧-١٩٧٤، ط٢، بيروت، ١٩٧٥، ص٣.

(****) وعلى سبيل المثال فقد أعلن د. رالف بانش Ralph Bunche العضو الأمريكى الذى رافق اللجنة، أنه يفهم مشكلة اليهود جيداً، لأنه مثلهم ينتمى إلى أقلية مضطهدة، مشيراً بذلك إلى أنه زنجى أمريكى، أنظر: ممدوح عبد العزيز آل سعود: القضية الفلسطينية ومبدأ حق تقرير المصير، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٩٨٣، ص ٢٠٢.

والعشرين من نوفمبر (تشرين ثان) سنة ١٩٤٧، لتقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية وتدويل القدس، وعين قرار التقسيم حدود منطقة القدس، كما يأتى:

أ - بلدية القدس، وتشمل مدينة القدس بكاملها، وما فيها من الأحياء القديمة والحديثة، عربية ويهودية.

ب- القرى والمدن المحيطة بمدينة القدس، والتى تشكل معها منطقة واحدة، حددت بخريطة ألحقت بالقرار(*).

ولما كان الوضع الاقتصادى لهذه المنطقة المزمع تدويلها، لا يسمح لها بالاستقلال بمواردها عن المنطقتين العربية واليهودية المجاورتين لها، فقد قضى القرار بربط هذه المناطق الثلاث فى اتحاد اقتصادى واحد. ومن البديهى أن يرفض العرب قرار التقسيم، لأنه انتهاك لميثاق الأمم المتحدة وللقانون الدولى، ولحق الشعوب فى تقرير مصيرها، أما الصهيونيون فلم يكن ثمة ما يدعوهم إلى رفض قرار التقسيم، الذى أعطاهم السيادة على الأراضى العربية، ومنحهم مبرراً لطرد الفلسطينيين، وهم أصحاب حق فى أرضهم وممتلكاتهم.

وقد شهدت فلسطين فى أعقاب قرار التقسيم إضراباً عاماً، ثم مظاهرات صاخبة، تطورت إلى اشتباكات دامية، وفى تقرير من القنصل الأمريكى فى القدس (كاتى) إلى وزير خارجيته، وصف لتلك الاضطرابات: التى عبر عنها بقوله "إن الرعب قائم فى الفترة الحالية"(**) ، وتعرضت الولايات المتحدة الأمريكية لضغوط صهيونية، رأت استخدام القوة لفرض التقسيم، ولكن الرئيس الأمريكى وقتذاك هارى ترومان Harry Truman صرح فى مؤتمر صحفى فى ١٥ يناير (كانون ثان) سنة ١٩٤٨، أن إدارته لا ترى ذلك(***) ، ولا جدال فى أن الإدارة الأمريكية كانت تخشى - حينذاك - من مواجهة العالم الإسلامى.

(*) وتشمل أبوديس، العيزرية، الطور، العيسوية، سلوان، صور باهر، أم طوبى، نفتا، موتسا، دير ياسين، عين كارم، المالحة، شرفات، بيت صفافا، رامات راحيل، بيت لحم، بيت ساحور، بيت جالا، شعفاط.

(**) وثائق الخارجية الأمريكية (١٩٤٧) FRUS, Vol.V، وكانت رسالة كاتى بتاريخ ٣١ ديسمبر (كانون أول) سنة ١٩٤٧.

(***) المصدر نفسه (١٩٤٨) Ibid., 1867, No.01L1-1548.

وأمام تصاعد تلك الاضطرابات، أوصت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٦ مايو (آيار) سنة ١٩٤٨ حكومة الانتداب البريطانية، بأن تقوم بتعيين محافظ محايد لمنطقة القدس يدير الأمور فيها، حرصاً على الأماكن المقدسة وحمايتها، كتجربة لمدى إمكان تطبيق نظام دولى فيها.

وفى الرابع عشر من مايو (أيار) سنة ١٩٤٨، عهدت الجمعية العامة إلى الوسيط الدولى الكونت فولك برنادوت Fulk Bernadotte، بالعمل على إيجاد تسوية سلمية للموقف فى فلسطين مستقبلاً، وحماية الأماكن المقدسة، والمبانى الدينية، وأماكن العبادة فيها. وقد جدد برنادوت(****) مقترحاته، فى صدد التعديلات الإقليمية، التى يرى إدخالها على مشروع التقسيم، وقدمها إلى هيئة الأمم فى ٢٧ يونيو (حزيران) سنة ١٩٤٨، أى بعد إعلان قيام دولة إسرائيل، وكانت مقترحات برنادوت فيما يختص بالقدس، كالآتى "ضم مدينة القدس إلى الإقليم العربى، مع منح الطائفة اليهودية حق الاستقلال بشئونها البلدية، ووضع تدابير خاصة، لحماية الأماكن المقدسة". ولكن حكومة إسرائيل (المؤقتة) رفضت مقترحات الوسيط الدولى رفضاً مطلقاً، وذلك فى رسالة وزير خارجيتها إلى الوسيط الدولى فى ٥ يوليو (تموز) سنة ١٩٤٨م.(*****)

ولكن برنادوت رد على ذلك فى اليوم التالى مباشرة (٦ يوليو/ تموز)، بقوله "تقع القدس فى قلب ما يجب أن يكون إقليماً عربياً، فى أى مشروع لتقسيم فلسطين، وأية محاولة لعزل هذه المنطقة سياسياً أو بغير ذلك الإقليم المحيط بها، تثير مصاعب جمة".

ثم قال "فإنه يلاحظ أن أحداً لم يفكر فى أى وقت من الأوقات بإدخال القدس فى الدولة اليهودية، ولذلك فإن مركز الدولة اليهودية لا يكون قد مسه شئ، وهذا هو السبب الذى يجعل نظام مدينة القدس مسألة مستقلة عن إنشاء دولة يهودية، وتخطيط تخومها،

(****) واصل برنادوت مفاوضاته غير المباشرة فيما بين ٢٨ مايو (أيار) و ١٥ يوليو (تموز) من عام ١٩٤٨م.

(*****) جامعة الدول العربية ، الإدارة السياسية ، التقرير المؤقت المرفوع إلى السكرتير العام للأمم المتحدة من الوسيط الدولى لفلسطين فى ١٨ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٤٨ ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ١٠.

والاقتراحات التى تقدمت بها، من شأنها المحافظة على المصالح التاريخية، والمصالح الدينية العالمية فى القدس، محافظة تامة"(*) .

وقد لقى الوسيط الدولى مصرعه على يد العصابات الصهيونية فى القدس، جزاء شجاعته فى إبداء الرأى، بوجوب ضم القدس وغيرها إلى الإقليم العربى[٣]، وبانتهاء حياة برنادوت، انتهت جهوده فى إيجاد تسوية أساسية وسلمية فى فلسطين.

(٥) الأوضاع فى القدس الشريف بعد حرب ١٩٤٨

وتجدر الإشارة إلى أن المعارك لم تتوقف، خلال الفترة الأولى من مهمة برنادوت، بل اشتدت، وبخاصة فى الفترة من إبريل (نيسان) وحتى يونيو (حزيران) من عام ١٩٤٨[٤] ، وشنت المنظمات الصهيونية فيها الهجمات الوحشية، على منطقة القدس الجديدة والقرى المخصصة لمنطقة التدويل[٥] .

وكان الجيش العربى (الأردنى) قد تمكن من إخراج اليهود من أحيائها القديمة، بعد قتال مرير فى شوارعها وأزقتها، وأضحت المدينة مقسمة إلى قسمين :القسم الأول داخل الأسوار، وهو ما يعرف بالقدس القديمة، بما فيها من المقدسات الدينية والأحياء العربية فى الشمال والشرق، وباتت بيد العرب ، والقسم الثانى خارج الأسوار، وهو ما يعرف الآن بالقدس الجديدة، بيد الإسرائيليين[٦].

وقد أقرت لجنة التوفيق المشكلة، بقرار الجمعية العامة فى ١١ من ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٤٨، بالاعتراف بالوضع الراهن فى المدينة، من حيث العهد للسلطات العربية واليهودية فيها بإدارة المناطق التابعة لكل منهما، ورفضه العرب والإسرائيليون،

(*) المصدر نفسه: ص ٤٥.

[٣] وكان ذلك فى ١٧ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٤٨، أى عشية تقديم تقريره النهائى إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة، انظر:

McDonald, James, My Mission in Israel, 1961, pp.69-70-88.

وجيمس ماكدونالد هذا كان سفيراً للولايات المتحدة فى إسرائيل.

[٤] د. محمد على حله: فلسطين فى جامعة الدول العربية ١٩٤٥-١٩٥٦، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٢٢٠-٢٢٧.

[5] Ben Gurion, D.: Rebirth and Destiny of Israel, N.Y., 1954, pp.290-296.

[٦] عبد الله التل: كارثة فلسطين، مذكرات عبد الله التل قائد معركة القدس، دار القلم، القاهرة، ١٩٥٩، محمود العابدى: قدسنا، معهد البحوث العربية، القاهرة، ١٩٧٢، ص١٦٩.

كما رفضته الجمعية العامة للأمم المتحدة، لخروجه عن فكرة التدويل الأصلى والشامل لمنطقة القدس بكاملها، واتخذت فى ذلك القرار رقم "٣٠٣/٤" فى ٩ ديسمبر (كانون أول) سنة ١٩٤٩، أكدت فيه عزمها على وضع منطقة القدس تحت نظام دولى دائم، يضمن حماية الأماكن المقدسة داخل مدينة القدس وخارجها، وعهدت بذلك إلى مجلس للوصاية، سرعان ما أعلن عجزه عن تنفيذ جامعة الدول العربية الإدارة السياسية ، التقرير المؤقت المرفوع إلى السكرتير العام للأمم المتحدة من الوسيط العربى لفلسطين فى ١٨ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٤٨ القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ١٠ هذا النظام[٧]. وعندئذ بادرت إسرائيل إلى مفاجأة العالم فى ١١ من نفس الشهر (ديسمبر / كانون أول) - أى بعد يومين فقط - بإعلان القدس عاصمة لها، تمشياً منها مع سياسة الأمر الواقع، التى جعلتها عاصمة فى وضع غير طبيعى على الحدود، تشحذ هِمَمَ يهود العالم، لتدعيمها والالتفاف حول أهميتها الروحية.

إن إعلان إسرائيل القدس عاصمة لها، متحدية فى ذلك المجتمع الدولى، والعالمين المسيحى والإسلامى، كان يشكل فى حد ذاته عبئاً على إسرائيل، فهى من ناحية مدينة مجزأة حسب اتفاقية الهدنة، وهى من ناحية أخرى عاصمة على الحدود، لا يصلها بالسهل الساحلى سوى شريط ضيق من الأرض، ومن ثم يصبح هجوم العرب عليها ميسوراً، كما يصبح الدفاع الإسرائيلى عنها مجهداً وباهظ الثمن[٨].

وعلى كل حال، فقد مضت إسرائيل قدماً فى تنفيذ سياسة الأمر الواقع، فى محاولة منها انتزاع اعتراف الدول بقرارها بضم القدس، وإعلانها عاصمة لها، وعمدت فى هذا الشأن إلى تحسس مواقف الدول الكبرى، من اعتماد ممثليها الدبلوماسيين فى القدس (الجديدة)، وإقامتهم بها لدى نقل وزارة الخارجية الإسرائيلية إليها، وأعلنت عن ذلك فى ٤ مايو (آيار) سنة ١٩٥٢.

---

[٧] د. عز الدين فودة: قضية القدس فى محيط العلاقات الدولية، ص١٨١، وقد قامت الحكومة الأردنية فى اليوم التالى (١٢ ديسمبر/ كانون أول) بإعلان ضمها للأراضى التى تحت سيطرة الجيش العربى (الأردنى)، بما فيها القدس (القديمة).

[8] McDonald, J.: My Mission, op. cit., p.188.

أنشئت وزارة الخارجية الإسرائيلية رسمياً فى تل أبيب، إثر إعلان قيام إسرائيل فى ١٤ مايو (آيار) سنة ١٩٤٨م.

ولكن غالبية الدول التى تتبادل وإسرائيل التمثيل الدبلوماسى، استنكرت نقل وزارة الخارجية إلى القدس، ومن هذا القبيل، أن وزارة الخارجية الأمريكية قدمت إلى السلطات الإسرائيلية مذكرة فى ٩ من يوليو (تموز) سنة ١٩٥٢، تحذر فيها من اعتزام نقل وزارة الخارجية الإسرائيلية إلى القدس، جاء فيها "إن الحكومة الأمريكية ما تزال تتمسك - كما كانت فى الماضى - بوجوب اتباع نظام دولى خاص فى القدس لا يكفل حماية الأماكن المقدسة فحسب، بل وكذلك إرضاء إسرائيل والأردن، فضلاً عن بقية دول العالم، والولايات المتحدة بناء على ذلك لا تنظر بعين الارتياح إلى نقل وزارة الخارجية إلى القدس، وتود الحكومة الأمريكية كذلك أن تبلغ الحكومة الإسرائيلية، أنها لا تنوى - تمشياً مع الموقف الذى ترى اتخاذه بشأن القدس - نقل السفير الأمريكى وموظفى السفارة الأمريكية فى إسرائيل إلى القدس"[٩] .

وقد استثار هذا الموقف السلطات الإسرائيلية، فأعلنت فى ١٦ مارس (آذار) سنة ١٩٥٣، بأنها لن تقبل سفراء أو وزراء مفوضين، لا يقدمون أوراق اعتمادهم فى القدس، وشجعها على ذلك تأييد بعض الدول الغربية، التى سايرت إسرائيل فى التمسك بسياسة الأمر الواقع، ولاسيما بريطانيا، التى صرح ناطقها الرسمى حينئذ "بأن تقديم أوراق الاعتماد إلى السلطات الإسرائيلية فى القدس، ليس معناه حتماً الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل"[١٠].

ومع ذلك حرصت إسرائيل على أن تنقل وزارة خارجيتها إلى القدس فى ١١ من يوليو (تموز) سنة ١٩٥٣، حتى تضطر سفارات الدول إلى الانتقال معها، فيكون ذلك اعترافاً ضمنياً بنقل العاصمة[١١].

---

[٩] جامعة الدول العربية: الأمانة العامة، نشرة بعنوان وثائق فى قضية فلسطين، القاهرة، ١٩٥٥، ص٤٦.

[١٠] المصدر نفسه: ص٥٠، ونذكر على سبيل المثال قصة وزير إيطاليا المفوض الجديد وقتئذ لدى إسرائيل، ورفضه تقديم أوراق اعتماده فى القدس، وكيف تم التحايل على ذلك، بأن قدم أوراق اعتماده لرئيس الدولة فى مكان استجمامه بطبرية، وتفاصيل ذلك فى:

Eytan, Walter, The First Ten Years, N.Y., 1968, pp.191-212..

[١١] د. صلاح العقاد: الشرق العربى المعاصر، القاهرة، ١٩٧٩، ص٤٣٩.

ولكن لم يمر عام وبعض عام على تصريحات الإدارة الأمريكية والحكومة البريطانية، حتى عينت كل منهما سفيراً لها فى إسرائيل فى نوفمبر (تشرين ثان) سنة ١٩٥٤، وصدرت إلى كل من السفيرين بأن يقدما أوراق اعتمادهما إلى رئيس دولة إسرائيل فى القدس، وعلى هذا النحو كان الاتحاد السوفيتى(*) أولاً والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ثانياً، من أسبق دول العالم إلى تقديم أوراق اعتماد سفرائها فى القدس، وبررت الولايات المتحدة وبريطانيا تصرفهما بأنهما قد اتخذتا هذا الموقف من قبيل المجاملة "إذ جرت العادة على أن تقدم أوراق الاعتماد إلى رئيس الدولة أينما وجد"[١٢].

ومع أن إسرائيل أمعنت فى فرض سياسة الأمر الواقع، وأذعنت لها بعض الدول الكبرى، إلا أن المصاعب التى اعترضت وضع القدس عاصمة لإسرائيل، لم تكن لموقف غالبية الدول الأجنبية، التى عارضت هذا الإجراء فحسب، وإنما كانت لأسباب داخلية تتعلق بوضع المدينة المقدسة كمركز روحى ودينى، ووضعها الجغرافى والاقتصادى على حدود الهدنة الشائكة بين العرب وإسرائيل، وقد عالجت الصحافة الإسرائيلية هذا الوضع، وأفصحت عن أسبابه، فهذه صحيفة (لاحاف) الإسرائيلية، تعلق فى ١٩ يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٦ على وضع القدس المحتلة (الجديدة) كعاصمة لإسرائيل، فقالت "فالقدس تجابه ظروفاً جغرافية وطبوغرافية تؤثر على تطورها الاقتصادى، ويلزم بذل الجهد للتغلب على هذه المصاعب، فهى لا تقع اليوم فى منتصف إسرائيل، وما تزال تفتقر إلى الربط السريع والجيد بمراكز إسرائيل الأخرى، كما لا يزال الكثير من المؤسسات والجهات العليا، تعتبر أن القدس هى مدينة على الحدود فى كل شئ، تنقصها القاعدة الاقتصادية الواسعة، كما تنقصها الوفرة فى الأرض"[١٣]. ولعل ما ذكرته الصحيفة الإسرائيلية، كان تعبيراً عن رغبة كامنة لدى الإسرائيليين وساستهم فى ضم المزيد من الأرض، حتى

(*) استؤنفت العلاقات الدبلوماسية الرسمية بين إسرائيل والاتحاد السوفيتى فى الوقت الذى نقلت فيه إسرائيل عاصمتها من تل أبيب إلى القدس.

[١٢] أكرم زعيتر: القضية الفلسطينية، دار المعارف، ١٩٥٥، ص ٢٦٩-٢٧٠.

[١٣] جامعة الدول العربية: منشورات مكتب الجامعة فى القدس، فى ٢ يوليو سنة ١٩٦٦.

يتحقق لهم ما ترنو إليه أبصارهم من جعل القدس بكاملها العاصمة لدولتهم، وهل يعد ذلك أحد الأسباب التى دفعت إسرائيل لشن عدوانها المباغت فى سنة ١٩٦٧؟!.

وعلى كل حال لم تعد قضية القدس كعاصمة لإسرائيل قبل عدوان يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧، أن تكون قضية عاطفية متفق عليها فى السياسة الإسرائيلية، أى أنها اتسمت بالرمزية لا الواقعية.

(٦) القدس الشريف بعد عدوان ١٩٦٧

أخذ الإسرائيليون يتحينون الفرص، للاستيلاء على القدس العربية، وقد تحقق لهم ذلك، فى العدوان الذى شنته القوات الإسرائيلية فى صباح الخامس من يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧، والذى تمكنت على إثره من دخول القدس العربية. ومما يذكر أنه عند وصول وزير الدفاع الإسرائيلى وقتئذ موشى ديان إلى بيت المقدس، بعد يومين فقط من العدوان (أى فى ٧ يونيو/حزيران)، توجه إلى الحائط الغربى، وهو حائط البراق، وهو الذى يزعم الإسرائيليون أنه حائط المبكى، وأعاد الصيحة بقوله "الحائط لنا"[١٤].

وأمام هذا العدوان المفاجئ، دعى مجلس الأمن إلى الانعقاد بعد اندلاع القتال بساعات قلائل، ولسنا بصدد تتبع ما دار فى مجلس الأمن، ولكن ما يهمنا هو فشل المجلس فى أن يتخذ قرارا، لسحب القوات الإسرائيلية من الأراضى العربية، وفى مقدمتها القدس العربية، التى احتلت بعد الخامس من يونيو (حزيران)، ومن ثم دعا الاتحاد السوفيتى لعقد دورة طارئة لتصفية العدوان الإسرائيلى على البلدان العربية[١٥].

---

[١٤] محمود العابدى: قدسنا، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٩، ومما يذكر أن الجماعات الصهيونية كانت قد أثارت هذه المسألة فى عام ١٩٢٨ و١٩٢٩ إبان الانتداب البريطانى على فلسطين، والتى على إثرها قام العرب بطردهم، ووقعت الاشتباكات، وبعثت الحكومة البريطانية بلجنة عرفت باسم لجنة شو Shaw Commission وتبعتها بأخرى، ثم أوفدت عصبة الأمم إلى فلسطين لجنة عرفت باسم لجنة البراق الدولية، مكونة من ثلاثة (سويدى ، سويسرى، هولندى)، لدرس موضوع البراق، وقد باشرت اللجنة عملها فى يونيو (حزيران) سنة ١٩٣٠، وانتهت فى الأول من ديسمبر (كانون أول) من نفس العام، إلى الاعتراف بملكية المسلمين للحائط لكونه جزءاً من الحرم الشريف، وكذلك ملكية الرصيف الذى أمامه، أما زيارة اليهود فيجب أن تقتصر على الوجه الذى كان فى بدء الاحتلال (البريطانى)، من دون أبواق وستائر ومقاعد، وصدر فى إثر ذلك قانون فى مجلس ملك بريطانيا الخاص بوضع توصيات اللجنة موضع التنفيذ، محمد على حله، الثورة الفلسطينية الكبرى، رسالة دكتوراه، أجيزت فى جامعة الأزهر ١٩٨١.

[١٥] جورج أديب: العدوان الإسرائيلى فى الأمم المتحدة، بيروت، ١٩٦٨، ص٧٣.

وقد عقدت هذه الدورة فى السابع عشر من نفس الشهر (يونيو / حزيران)، وبينما القضية الفلسطينية مازالت مطروحة أمام الهيئة الدولية، قامت القوات الإسرائيلية بمهاجمة سكان القدس بوحشية وطردوا من ديارهم، لكى تختلق الأسس والمبررات لإعلان القدس عاصمة لإسرائيل، وفى نفس اليوم (١٧ يونيو / حزيران) الساعة الرابعة صباحاً، أمرت السلطات العسكرية الإسرائيلية سكان الحى اليهودى القديم، وسكان المنازل المحيطة به، بوجوب إخلائها ومغادرة المكان خلال أربع وعشرين ساعة، وقد سوت الجرافات بالأرض القسم القريب من حائط البراق، بما فيه من المساجد أو الجوامع، ويقدر عدد العائلات التى شردت من القدس، وأصبحت بلا مأوى، بأربعمائة عائلة تقريباً[١٦]، وفاجأت إسرائيل العالم فى ٢٨ من نفس الشهر (يونيو / حزيران)، بقرار ضم القدس العربية إلى القدس المحتلة(*) ، تحت شعار إعادة توحيد القدس[١٧].

---

[١٦] د. فيكتوريا والتز، يواخيم شيشا: لقد اغتصبتمونا أرضاً، ترجمة سليم نصار، الرباط، ١٩٩٣، ص٢٠٣، والباحثة الألمانية د. فيكتوريا وزميلها يأتيان فى مقدمة الباحثين الغربيين المدققين والمنصفين للقضية الفلسطينية بصفة عامة، والقدس بصفة خاصة، ولقد وقفت على السياسة الإسرائيلية التى تتبنى المنطق القائل: كلما قل عدد الفلسطينيين الباقين فى البلاد، كلما قلت المطالب فى الأرض الفلسطينية، وكلما قل عدد الفلاحين الفلسطينيين، كلما كان حل مشكلة الأرض أسهل، وتهديد الضفة الغربية أسرع، نفس المرجع: ص٢٠٤.

(*) يعنى بها الأحياء الجديدة خارج سور المدينة القديمة، والتى سيطرت عليها القوات الإسرائيلية فى عام ١٩٤٨م.

[١٧] الأهرام: ٢٩ يونيو ١٩٦٧م.

وإذا كان العالم قد انتابته الدهشة، من الإعلان الإسرائيلي بضم القدس العربية، فإن هيئته الدولية (سواء كانت الجمعية العامة أو مجلس الأمن)، قد أخفقت في ردع الحكومة الإسرائيلية للامتثال لقراراتها.

قرارات دولية لا تنفذ

تقدمت باكستان(*) - عقب عدوان يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ - بمشروع قرار، وافقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة(**)، نص على ما يأتي: إن الجمعية العامة، إذ تعرب عن قلقها العميق على الوضع السائد في القدس، نتيجة الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل، لتغيير وضع هذه المدينة:

١- تعتبر أن هذه الإجراءات باطلة.
٢- تدعو إسرائيل إلى إبطال جميع الإجراءات التي اتخذتها حتى الآن، كما تدعوها أن تكف من الآن فصاعداً، عن القيام بأي عمل من شأنه أن يغير وضع القدس.
٣- تطلب من الأمين العام أن يقدم تقريراً إلى الجمعية العامة وإلى مجلس الأمن عن الوضع ، وعن تنفيذ هذا القرار في مدة أقصاها أسبوع من تاريخ الموافقة على هذا القرار، الذي صدر في ٤ يوليو (تموز سنة ١٩٦٧ [١٨].

وبعد أسبوع واحد (أي في ١٢ يوليو/تموز) عادت الجمعية واستأنفت جلساتها، لتستمع إلى تقرير الأمين العام حول الوضع في القدس، والذي كان خلاصته أن إسرائيل لم تمتثل لتطبيق القرار المذكور (رقم ٢٢٥٣ في ٤ يوليو/تموز سنة ١٩٦٧)، والقاضي بإبطال كل ما من شأنه أن يغير وضع القدس[١٩] ، ولذا قدمت باكستان(***) في نفس اليوم (١٢ يوليو/تموز) مشروع قرار، تضمن تأكيد القرار المتعلق بالقدس، ودعوة الجمعية العامة لمجلس الأمن أن تضمن تنفيذ هذا القرار.

(*) بالاشتراك مع غينيا وإيران ومالي والنيجر وتركيا.

(**) بأغلبية ٩٩ صوتاً ضد لا شيء، واستنكفت عشرون دولة عن التصويت، وتغيبت إسرائيل عن الاجتماع.

[١٨] القرار رقم ٢٢٥٣: الدورة الطارئة الخامسة ، A/2253 (ES-V)
نقلاً عن هنري كتن: Cattan, The Question of Jerusalem, London, 1980, p.76.

[١٩] وثيقة الأمم المتحدة رقم (A/6763-8/8052) ، نقلاً عن، المصدر نفسه: Ibid., Cattan, p.76.

(***) بالاشتراك مع أفغانستان وغينيا وإيران ومالي وماليزيا والصومال وتركيا.

وتمت مناقشة المشروع، وتم التصويت عليه(****) ، وأقرته الجمعية العامة، وصدر تحت رقم ٢٢٥٤، بتاريخ ١٤ يوليو (تموز) سنة ١٩٦٧، وكان نصه كما يلي: إن الجمعية العامة إذ تذكر بقرارها رقم ٢٢٥٣ بتاريخ ٤ يوليو (تموز) سنة ١٩٦٧، واستلامها تقرير الأمين العام، تأخذ علماً بأسف وقلق عميقين، بعدم امتثال إسرائيل للقرار رقم ٢٢٥٣.

١- تستنكر فشل إسرائيل لتنفيذ قرار الجمعية العامة رقم ٢٢٥٣.

٢- تؤكد دعوتها لإسرائيل في ذلك القرار، لإبطال جميع الإجراءات المأخوذة، والامتناع من الآن فصاعداً عن القيام بأي عمل، يؤدي إلى تغيير وضع القدس.

٣- تطلب من الأمين العام أن يرفع تقريراً إلى مجلس الأمن والجمعية العامة، عن الوضع وعن تنفيذ هذا القرار[٢٠].

وفور إعلان هذا القرار (٢٢٥٤)، صرح أبا إيبان Abba Eban وزير خارجية إسرائيل في ١٦ من نفس الشهر (يوليو/ تموز)، أن إسرائيل سوف تمضي قدماً في إجراءات ضم القدس العربية والقرى المحيطة بها، حتى لو صوتت جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ضد هذه الإجراءات[٢١].

ومضت السلطات الإسرائيلية في تأكيد دعواها بشأن الأماكن المقدسة في القدس والخليل، ولذا فقد عين الأمين العام (أوثانت) مبعوثاً شخصياً هو السفير أرنستو تالمان A. Thalman (سويسري)، في مهمة لتقصي الحقائق في مدينة القدس، وتنفيذ قرارات الجمعية العامة (٢٢٥٣ و ٢٢٥٤)(*) ، وقدم تالمان تقريره إلى الأمين العام ، ويلاحظ بعد دراسته ما يلي:

(****) فاز المشروع بأغلبية ٩٩ صوتاً ضد لا شئ، واستنكاف ١٨ عضواً عن التصويت.

[٢٠] المصدر نفسه، هنري كتن: نفس الصفحة.

[٢١] د. جورج أديب: العدوان الإسرائيلي، مرجع سبق ذكره، ص٦٢.

(*) استغرقت مهمة المبعوث الفترة بين ٢١ أغسطس (آب) و٣ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٦٧، وقد التقى فيها بالمسئولين الإسرائيليين، وبعض العرب من سكان القدس العربية.

- أن تصريحات المسئولين الإسرائيليين، ودعاوى الشخصيات اليهودية، والخطط المعدة لمنطقة (الهيكل)، كان لها آثار مقلقة ومفزعة[٢٢].

- أن السكان المسلمين ضعفوا من الممارسات الإسرائيلية التى تنتهك قدسية الحرمات والمزارات الإسلامية، وإن زيارة الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلى مع مرافقيه للحرم الشريف، وقيامهم بالصلاة فى منطقته، هى بمثابة استفزاز لمشاعرهم، كما أن الإسرائيليين يأتون بتصرفات شاذة، لا تتوافق مع التقاليد العربية والإسلامية.

- أن الأماكن المقدسة المسيحية لم تنج من عبث السلطات الإسرائيلية، حيث جرى تدنيس المزارات والممتلكات الدينية والمقابر على جبل صهيون، وشكا المسيحيون العرب من السلوك الشائن وغير المناسب للإسرائيليين أثناء زيارتهم للأماكن المسيحية، وأن منشأ ذلك انفراد إسرائيل بالنظرة الأحادية إلى طبيعة القدس.

- إن إسرائيل تعتبر أن عملية ضم القدس مسألة لا رجوع عنها، أما فيما يتعلق برعاية الحقوق العربية الإسلامية والمسيحية أيضاً فى الأماكن المقدسة، فهى مسألة ترفض إسرائيل المناقشة حول ضمانها فى الوقت الحاضر، وإن قبلت ذلك مستقبلاً[٢٣] .

وقد عرض الأمين العام تقريره على الجمعية العامة(**) ، الذى تضمن أيضاً تقرير مبعوثه (تالمان)، وأكد الأمين العام أن إسرائيل تقوم فعلاً باتخاذ جميع الخطوات لتضع القدس العربية تحت إدارتها، وأن السلطات الإسرائيلية أعلنت بأن ضم القدس عمل لا يمكن الرجوع عنه، وغير قابل للمفاوضة[٢٤] .

ومما يذكر فى هذا المجال، أن موقف السلطات الإسرائيلية هذا، أعطى للأحزاب الدينية وحاخامات إسرائيل وبعض شرائح المجتمع، فرصة للمزايدة والدعاوى، أكثر مما

---

[22] Cattan, The Question, op. cit., p.75.

[٢٣] المصدر نفسه: Ibid, pp.83-97 ، د. عز الدين فودة: قضية القدس، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٨، د. جورج أديب: العدوان الإسرائيلى، مرجع سبق ذكره، ص٧٢، فيكتوريا والتز وآخر: لقد اغتصبتمونا أرضا، مرجع سبق ذكره، ص٢٠٤.

(**) قبيل انتهاء أعمال دورتها الطارئة (الخامسة)، التى بدأت فى السابع عشر من يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧.

[٢٤] وثيقة الأمم المتحدة (A/6793-S/8746) ، نقلاً عن: Cattan, The Question, op. cit., p.75.

كانت عليه من قبل، حتى أن ليفى أشكول(*) أثار غضب هذه الطائفة، عندما أعلن فى ٤ أغسطس (آب) سنة ١٩٦٧، أنه لن يسمح بوضع حواجز بين الرجال والنساء عند حائط (المبكى)، كما يفعل فى المعابد اليهودية التقليدية، وأفصح (أشكول) فى هذا الصدد، عن رأيه "باعتبار حائط (المبكى) موقعاً تاريخياً، وليس مزاراً يهودياً مقدساً"[٢٥] .

وعلى كل حال، فقد راحت السلطات الإسرائيلية تنتهك قدسية الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية، وصارت أعمال الإرهاب تعمل على التقدم فى تغيير سريع للوضع الديموجرافى (السكانى) المنشود، وفى تغيير أوضاع امتلاك الأراضى[٢٦]. ورفضت دائماً القبول ببرنامج اللاجئين نتيجة عدوان سنة ١٩٦٧(**) . ولم تخف إسرائيل خططها، لاجتذاب مئات الألوف من المهاجرين، لتوطينهم فى القدس، فى محاولة منها لتحقيق هدف مزدوج: سياسى لتهويد سكان المدينة كلياً ، وعسكرى لتطويق القدس الشريف بمستوطنات ومبان على شكل الحصون، شحنت فيها أكثر الإسرائيليين تطرفاً.

القرار ٢٤٢

وأمام هذا الموقف المتشدد والعدوانى للسلطات الإسرائيلية، من رفض قرارات الأمم المتحدة (٢٢٥٣ و ٢٢٥٤)، ظهرت اتجاهات قوية فى عالمنا العربى والإسلامى، بضرورة تحرير القدس العربية، واستخدام مختلف الوسائل المتاحة، تبدأ من مناشدة هيئة

(*) رئيس وزراء إسرائيل وقتذاك.

[٢٥] الأهرام: ٥ أغسطس سنة ١٩٦٨، نقلاً عن: وكالة الأسوشيتدبرس.

[٢٦] الخليج: يومية تصدر فى دولة الإمارات العربية المتحدة، العدد ٥٨٥٩، الصادر فى ١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٩٥، لقاء مع خليل التفكجى الخبير الفلسطينى فى شئون الاستيطان (الإسرائيلى)، والذى أشار (أيضاً) إلى أن بلدية القدس قامت بعد حرب ١٩٦٧، بتوسيع حدودها فى مناطق غير مأهولة من أراضى الضفة الغربية وتحديداً فى أراض تتبع قضاء القدس، وأن الذى وضع خريطة توسيع القدس هو (رحبعام زئيفى) وقد كان (جنرالاً) فى الجيش الإسرائيلى عام ١٩٦٧، ويشغل الآن (١٩٩٥) رئيس حركة تسوميت الدينية.

(**) وتحت ضغط المحافل الدولية، سمحت السلطات الإسرائيلية أخيراً بعودة حوالى ٢١٫٠٠٠ فلسطينى إلى المناطق التى احتلت سنة ١٩٦٧، تحت غطاء جمع الشمل، وعلى كل حال ، كان مجموع من تقدموا بطلبات العودة إلى أوطانهم ١٧٠٫٠٠٠ طلب، وهذا لا يعادل حتى نصف جميع الذين هربوا منها، فيكتوريا والتز: لقد اغتصبتموننا أرضاً ، مرجع سبق ذكره، ص٢٠٤، Cattan, H.: The Question, op.cit., p.97.

الأمم المتحدة لإجبار إسرائيل على تنفيذ القرارات الدولية، مروراً بخروج مسيرة إسلامية سلمية إلى القدس(***) ، وانتهاء باستخدام القوة إذا لزم الأمر.

ومن ثم، أعلن الرئيس الأمريكي جونسون ، عن مبادئ خمسة ضرورية لإحلال السلام في المنطقة العربية(*) ، وعندما استؤنفت مناقشات الأمم المتحدة في أواخر أكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٦٧، أيدت الولايات المتحدة الأمريكية مشروعاً يقضي بـ "انسحاب قوات مسلحة من أراض محتلة"، وكان الغموض مقصوداً. وصدر في ٢٢ نوفمبر (تشرين ثان) سنة ١٩٦٧ قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢(**) ، والذي نص على "انسحاب قوات مسلحة إسرائيلية من أراض محتلة في النزاع الأخير (عدوان سنة ١٩٦٧)، وإنهاء كافة دعاوى الحرب، واحترام السيادة والتكافل والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة، وحقها في العيش في سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها، وحرة من التهديدات وأعمال القوة".

ولكن السلطات الإسرائيلية ضربت - كعادتها - بالقرار الدولي عرض الحائط، وأعلنت رئيسة وزراء إسرائيل (جولدا مائير) "أن إسرائيل لا يمكن أن تكرر ما فعلته عام

(***) وكان تصور المسيرة وقتها (عام ١٩٧٥)، يقضي بتجميع مليونين أو أكثر من المسلمين، ليعبروا نهر الأردن في مسيرة شعبية، يواكبها في الوقت نفسه إعلان عشرة أو أكثر من رؤساء الدول الإسلامية عزمهم على دخول القدس براً أو جواً، في يوم محدد تخطر به - قبل المسيرة - كل من الأمم المتحدة وكافة وسائل الإعلام، وعن هذه المسيرة كتب محمد حسن التهامي أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي، قائلاً "لقد رحب الرؤساء الذين تحدثت إليهم بذلك، ويكفي الإشارة إلى علي بوتو، الذي صرح بأن باكستان يمكنها أن تقدم في سبيل الوصول إلى القدس ثلاثة ملايين متطوع، ومليون شهيد إذا اقتضى الأمر". أنظر: مقال التهامي في : الأهرام: ١٣ إبريل ١٩٧٩م.

(*) وهي الاعتراف بالحق في الحياة القومية، والعدالة للاجئين، والمرور البحري والبري، ووضع حدود لسباق التسلح، وأخيراً الاستقلال السياسي والتكامل الإقليمي للجميع.

(**) لأجل كسب قبول الأردن للمشروع، أعطى السفير الأمريكي في الأمم المتحدة آرثر جولدبرج للأردن تأكيدات بأن الولايات المتحدة سوف تعمل على إعادة الضفة الغربية إلى السلطة الأردنية، وعندما زار جورج بول (الذي أصبح سفيراً للولايات المتحدة في الأمم المتحدة في يونيو/ حزيران سنة ١٩٦٨) الشرق الأوسط في منتصف يوليو (تموز)، فوض من قبل الإسرائيليين في إبلاغ الملك حسين، أنهم مستعدون لإعادة الضفة الغربية إلى سلطته، مقابل السلام مع تعديلات طفيفة، وليم كونت: أمريكا والعرب وإسرائيل ١٩٦٧-١٩٧٦، ترجمة عبد العظيم حماد، دار المعارف، ١٩٨٠، ص ٩٥-٩٦.

١٩٥٧(***) ، فلن تتنازل عن شئ، ولن تتحرك خطوة إلى الوراء، لقد دفنت حدود ٤ يونيو (حزيران)، كما دفنت حدود تقسيم سنة ١٩٤٧"[٢٧].

وهكذا بدا واضحاً مع نهاية عام ١٩٦٧، أن الأوضاع فى القدس الشريف دخلت مرحلة جديدة، أخذت أحداثها منحنى خطيراً، ليس فقط لإصرار إسرائيل على ضم القدس العربية وما فيها من أماكن مقدسة إسلامية ومسيحية، بل ومحاولاتها المستمرة لتغيير الوضع السكانى لهذه المدينة المقدسة، وأعمال القمع الذى مارسته تلك السلطات ضد السكان المدنيين، وانتهاكاتها المتعمدة للمقدسات، مما أفسح المجال لقيام المتطرفين الإسرائيليين بمزيد من أعمال التخريب لتلك المقدسات.

(٧) القدس العربية تحت الحكم الإسرائيلى (١٩٦٨-١٩٩٥؟)

نود أن نؤكد، بأننا لسنا بصدد تتبع السياسة الإسرائيلية فى القدس العربية، ولكننا سنعرض فقط لبعض أهم ملامح تلك السياسة، مما يدخل فى إطار هذه الدراسة، ويمكننا أن نوجزها فى اتجاهين اثنين:

أولاً: الانتهاكات الإسرائيلية للمقدسات الدينية

وعندنا أن هذه الانتهاكات تسير وفق مخطط مرسوم بدقة، ولا فرق بين قيام جماعات تزعم السلطات الإسرائيلية أنهم متطرفون، أو أصاب بعض أفرادها خبل أو جنون، أو أن تقوم تلك السلطات نفسها بهذه الانتهاكات، فهى فى النهاية مؤامرة لتهويد تلك الأماكن، والاستحواذ على الحرم القدسى بأكمله، وتشييد هيكل إسرائيلى كبير على أنقاضه، ثم مواجهة العالم فيما بعد بالأمر الواقع، وهذه هى بعض خيوط المؤامرة:

- فى الحادى عشر من أغسطس (آب) سنة ١٩٦٩، أقدم الإسرائيلى (الأسترالى الأصل) مايكل روهن، على حرق المسجد الأقصى(*) ، وإذا كانت السلطات الإسرائيلية قد

(***) مشيرة بذلك إلى انسحابها من سيناء بعد العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ تحت ضغط من الرئيس الأمريكى وقتذاك (أيزنهاور).

[٢٧] الأهرام: ٢٢ إبريل سنة ١٩٦٩، نقلاً عن مراسل وكالة رويتر فى تل أبيب.

(*) وقد أتى الحريق على منبر صلاح الدين، ومحراب زكريا، والقبة، وجزء كبير من الجانب الشرقى للمسجد الأقصى.

اتهمته بالجنون[٢٨]، فإن الحريق كان عملاً مدبراً، يدخل فى إطار المخطط الإسرائيلى الموضوع للتهويد[٢٩].

- فى العشرين من يوليو (تموز) سنة ١٩٧٢، قامت مجموعة من الإسرائيليين باحتلال (معبد الجبل)، وهو جزء من الحرم الشريف، لإقامة احتفال دينى يهودى، تحت رعاية جرشون سلومون (مستشار المجلس البلدى الإسرائيلى)[٣٠] .

- فى النصف الأول من شهر إبريل (نيسان) سنة ١٩٨٢ ، أقدم إسرائيلى (من أصل أمريكى) على اقتحام الحرم الشريف ، ومعه مجموعة من جماعة (جوشيم إمونيم) شديدة التطرف ، وقاموا بإطلاق نيران أسلحتهم الرشاشة على عدد كبير من المصلين ، ثم أطلق الجنود الإسرائيليون وابلاً من الرصاص كغطاء ، هربت من خلاله المجموعة الإسرائيلية المعتدية ، وادعت السلطات الإسرائيلية - كعادتها - أن المعتدى رجل مضطرب ومجنون[٣١].

- فى إبريل (نيسان) سنة ١٩٨٤، وضعت السلطات الإسرائيلية قوات من حرس الحدود داخل المسجد الأقصى بحجة الحراسة، ولكن هذه القوات أخذت تتحرش بالمصلين[٣٢]. ولذا تعرض المسلمون لمعاناة شديدة من مساءلة وتفتيش أثناء تأدية مناسك الصلاة فى المسجد الأقصى، وقد تناست هذه السلطات أن المسجد للعبادة فقط.

---

[٢٨] الأهرام: ٢٤،٢٣،٢٢ أغسطس سنة ١٩٦٩، نقلاً عن وكالات الأنباء.

[٢٩] روحى الخطيب: الإجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس بين ١٩٦٥-١٩٧٥، دراسة نشرت فى مجلة شئون فلسطينية، العددين ٤١ و٤٢، بيروت، ١٩٧٥.

[٣٠] الأهرام: ٢١ يوليو سنة ١٩٧٢، نقلاً عن وكالات الأنباء فى القدس فى ٢٠ يوليو.

[٣١] جريدة مايو: أسبوعية، القاهرة فى ١٩ إبريل سنة ١٩٨٢، من رسالة لمندوبة الصحيفة فى القدس أجرت خلالها بعض الأحاديث مع حرس المسجد وبعض المصابين من عرب فلسطين، ثم مع شمعون بيريز - زعيم حزب العمال وقتذاك - وتيدى كوليك عمدة القدس، وقد نفى شهود العيان تهمة الجنون عن المعتدى، ودليلهم على ذلك أنه فور دخوله ساحة المسجد، طلب إلى جميع الحاضرين من الأجانب واليهود فقط الخروج وليبق العرب، ولولا اختلاطهم بالأجانب لوقعت كارثة محققة، فضلاً عن أن المعتدى كان يحمل قنابل لو انفجرت لأتت على قبة الصخرة المشرفة إلى الأبد.

[٣٢] الأهرام: فى ١٥ يونيو (حزيران) سنة ١٩٨٤، من حديث أجرته مندوبة الأهرام مع الشيخ سعد الله العلمى رئيس الهيئة الإسلامية العليا (التى تشكلت بعد عدوان ١٩٦٧ لإدارة شئون المسلمين)، وقد أشار الشيخ العلمى إلى قيام هؤلاء الجنود بسرقة كل نفيس من المسجد، فضلاً عن ممارسات لهم مع فتيات إسرائيليات، تتنافى وقدسية المسجد الأقصى.

- قيام جماعة شديدة التطرف تسمى (أمناء جبل الهيكل)، بمحاولات شتى لاقتحام المسجد الأقصى والاعتداء على المصلين، كما حدث في بداية عام ١٩٩٠، عندما دخلوا المسجد بالقوة، وعندما تصدى لهم المسلمون، استشهد منهم ١٨ مسلما[٣٣] ، واستمرأت هذه الجماعة هذه الأعمال العدوانية، بل وطالبت في إبريل (نيسان) سنة ١٩٩٥ شمعون شتريت وزير الأديان الإسرائيلي بوضع أنظمة تمكن اليهود من إقامة الشعائر الدينية في المسجد الأقصى، على غرار الحرم الإبراهيمي في الخليل، كما حاولت تلك الجماعة إقامة نصب تذكاري لهيكلهم المزعوم داخل المسجد الأقصى المبارك[٣٤] .

ومن الواضح، أن هذه الجماعة المتطرفة، تعمل بتخطيط من السلطات الإسرائيلية، ففي الثالث من شهر أغسطس (آب) سنة ١٩٩٥، سمحت المحكمة العليا الإسرائيلية لهذه الجماعة (أمناء جبل الهيكل) بالصلاة في ساحة الحرم القدسي الشريف، للاحتفال بما يزعمون أنه ذكرى تدمير الهيكل. وإن كانت المحكمة قد اشترطت ألا يترتب على ذلك أي توتر مع المسلمين[٣٥] ، فإن السلطات الإسرائيلية تدرك بأن التوتر قائم، طالما العدوان الإسرائيلي على القدس العربية مستمر، وأن السماح للإسرائيليين بهذا العمل، لا يرفضه الفلسطينيون المسلمون والمسيحيون فحسب، بل يرفضه مسلمو العالم كله.

ومما يدخل في هذا الإطار أيضاً، ما أعلنه عضو الكنيست الإسرائيلي رحعبام زئيفي(*) في التاسع من أغسطس (آب) سنة ١٩٩٥، حيث دعا الشرطة الإسرائيلية إلى اقتحام المسجد الأقصى، والسماح لليهود بالصلاة فيه، وزعم في مقال له بصحيفة

---

[٣٣] المصدر نفسه: في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٩٤، من حديث للشيخ حسن فطين طهبوب - رئيس الهيئة الإسلامية العليا بالقدس - لمندوب الأهرام في القدس.

[٣٤] المصدر نفسه: في ٨ إبريل (نيسان) سنة ١٩٩٥، القدس، وكالات الأنباء، وقد أشار الشيخ عكرمة صبري مفتي القدس والديار الفلسطينية، أن هذه الجماعة تعمل على وضع مجسم بناء للهيكل الثاني مكان المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة، انظر: حديث المفتي الفلسطيني في أهرام ٤ يونيو (حزيران) سنة ١٩٩٥.

[٣٥] الأهرام: أيام ٥،٧،١٠،٢٠ أغسطس (آب) سنة ١٩٩٥، رسائل من مراسلي الأهرام في القدس، وقد أكد السيد فيصل الحسيني (مسئول شئون القدس في السلطة الفلسطينية) بأن الإسرائيليين لن يزوروا حرم المسجد الأقصى إلى على جثث الفلسطينيين، ثم أوضح المراسل (الأهرام ٥ أغسطس) أن المحكمة الإسرائيلية أعطت للإسرائيليين حقاً قانونياً بزيارة الحرم، وأنه سيعقب ذلك أنهم سيصلون فيه، ثم يدعون إلى تقسيمه مثلما حدث في الحرم الإبراهيمي في الخليل، وأن ذلك قد يمهد إلى إزالة آثار ثالث الحرمين الشريفين لإقامة الهيكل المزعوم.

(*) وهو أيضاً زعيم حركة (موليديت اليمينية) المتطرفة.

(بديعوت أحرونوت) بعنوان "فلنتقدم لاحتلال الأقصى"، أن هناك إمكانية للسيطرة على الأقصى بقوة صغيرة، وذلك طبقاً لمعلوماته كقائد منطقة عسكرية ومستشار سابق لرئيس الوزراء لشئون الإرهاب[٣٦].

وقد ذهبت إحدى الجماعات الإسرائيلية(**) إلى تحذير مسئولى الأوقاف الإسلامية، من استمرار التمسك بالحرم القدسى الشريف، وطلبت منهم الرحيل عنه، كما حذرت من منع أى يهودى من الصلاة بالحرم القدسى، ووزعت تلك الجماعة منشوراً باللغة العربية، وعليه رسم المسجد الأقصى وفوقه الرمز اليهودى الشمعدان[٣٧].

كما قامت حركة (هذه أرضنا) الاستيطانية المتطرفة، بالدعوة إلى توجيه مظاهراتها إلى القدس، وحشدت من ورائها جماعات أخرى للتظاهر أمام مكتب إسحق رابين (رئيس وزراء إسرائيل)، احتجاجاً على اتفاق السلام مع الفلسطينيين، هذا فى الوقت الذى أصدر فيه الحاخام إلياهو بيكش(***) فتوى شرعية يهودية، تحرم على شركات السياحة الإسرائيلية تشجيع زيارة المسلمين للحرم القدسى، بدعوى أن ذلك يمثل مساساً بقدسية هيكل سليمان !!، وأن الزيارة تعزز من صلة المسلمين بالحرم القدسى، وقد تعرض الوجود اليهودى للخطر!![٣٨].

وهكذا، لم تقتصر أعمال الانتهاكات على أفراد مسهم الجنون، أو جماعات متطرفة تطلق مزاعمها من حين لآخر، لكن السلطات الإسرائيلية كانت وراء تلك الانتهاكات، التى بدأت بعد عدوان سنة ١٩٦٧، الذى يعد فى حد ذاته انتهاكاً صارخاً لأمن العالم العربى كله.

كما أن الحرم الأقصى المبارك تعرض لانتهاكات من نوع آخر، أعمق أثراً وأخطر تأثيراً، إذ قامت السلطات الإسرائيلية بأعمال الحفريات، إمعاناً فى تغيير معالم المدينة المقدسة، بدأت منذ عام ١٩٦٩، وحتى عام ١٩٧٤، من خلال أربع مراحل، كان هدفها

---

[٣٦] المصدر نفسه: ١٠ أغسطس (آب) سنة ١٩٩٥، من مراسل الأهرام فى القدس.

(**) وهى حركة (حى وقيام) المتطرفة.

[٣٧] المصدر نفسه: ٢٩ أغسطس (آب) سنة ١٩٩٥.

(***) كبير حاخامات الطائفة اليهودية الشرقية فى إسرائيل.

[٣٨] الأهرام: ١٧ أغسطس (آب) سنة ١٩٩٥، من مراسل صحيفة الأهرام فى غزة.

كما أعلنت السلطات الإسرائيلية البحث عن الهيكل[39]، وقد فشل الإسرائيليون حتى الآن في التوصل إلى أى آثار تدل على وجود يهودى بالقدس، على الرغم من الحفريات المكثفة، وعلى مدى زمن يزيد على ربع قرن[40].

وإذا كنا قد استعرضنا بعض الانتهاكات للمقدسات الدينية (إسلامية ومسيحية)، فإن القرارات المستمرة التى أصدرها الكنيست الإسرائيلى، وكذلك التصريحات التى أطلقتها القيادات الإسرائيلية، كانت فى مجملها تحريضاً على ارتكاب المزيد من الانتهاكات.

ولعلنا نؤكد أن السلطات الإسرائيلية كانت تتربص بالقدس، منذ قيام دولتهم فى مايو (آيار) سنة ١٩٤٨، وحينما تمكنت من اغتصاب أحيائها الغربية فى نفس العام (١٩٤٨)، أنكرت أية نوايا لديها لضم المدينة، أو محاولة تغيير وضعها القانونى(*)، ثم جاء تأكيد ذلك على لسان ممثل دولة إسرائيل أبا إيبان "أن الوضع القانونى للقدس مختلف عن وضع الأراضى التى تقوم فيها سيادة إسرائيل"[41].

ولما حصلت إسرائيل على عضوية المنظمة الدولية، تنكرت لقراراتها، وسارعت إلى ضم الأحياء الغربية من القدس، وعقدت الجلسة الأولى للكنيست فى القدس (١٣ ديسمبر / كانون أول سنة ١٩٤٩)، وبعد عشرة أيام أعلن فى الكنيست أن القدس عاصمة إسرائيل[42].

وفى أعقاب عدوان الخامس من يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧، احتلت إسرائيل فيما احتلت القدس العربية، وقامت بضمها(**)، تحت شعار إعادة توحيد القدس، وضربت إسرائيل – عرض الحائط – بالقرارات الدولية، التى توجب إعادة الأراضى المحتلة بما فيها القدس العربية.

[39] العربى: شهرية، الكويت، العدد ٢٨٢، مايو (آيار) سنة ١٩٨٢.

[40] الأهرام: ٢٣ إبريل سنة ١٩٩٥ و ٣ أغسطس سنة ١٩٩٥، لقاء أجراه مندوبا الصحيفة مع الشيخ عكرمة صبرى، الأحرار: أسبوعية، ٢٠ مارس سنة ١٩٩٥، نقلاً عن صحيفة الإندبندنت.

(*) حدث هذا فى الوقت الذى كانت هيئة الأمم المتحدة تنظر فى طلب العضوية الذى قدمته إسرائيل.

[41] Cattan, H.: The Question, op. cit., p.31.

[42] د. خيرية قاسمية: قضية القدس، بيروت، ١٩٧٩، ص٨٦.

(**) صدر قرار الضم فى ٢٨ من نفس الشهر الذى وقع فيه العدوان.

وتوالت سلسلة من قرارات الكنيست الإسرائيلى، كانت فى مجملها تكريساً للاحتلال، وضم القدس العربية إلى إسرائيل . وفى الثلاثين من شهر يوليو (تموز) سنة ١٩٨٠، صدر قرار الكنيست باعتبار القدس الكاملة والموحدة عاصمة لإسرائيل[٤٣]، وذلك للحيلولة دون إعادة المدينة المقدسة إلى أصحابها عرب فلسطين.

ومنذ هذا التاريخ حتى بداية عام ١٩٩٥، لم تعترف دولة فى العالم بقرار الكنيست (المحلى)، لأنه يتعارض كلياً مع قرارات (دولية) سابقة ولاحقة عليه.

ولكن السلطات الإسرائيلية استمرت فى غيها، وملأت الدنيا ضجيجاً بأن القدس الموحدة هى عاصمة إسرائيل، وكانت القيادة الإسرائيلية تنتهز أية فرصة اتكرار تلك المزاعم، حتى وهى تطلب السلام، وعلى سبيل المثال:

- قال إسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل فى بيان حكومى صدر يوم ٢٤ يونيو (حزيران) سنة ١٩٩٣(*) "القدس قلب الشعب اليهودى وروحه، ومن ثم فإن حكومة إسرائيل لا يمكنها التنازل فى شأن القدس الموحدة، التى ستبقى إلى الأبد تحت السيادة الإسرائيلية وعاصمتها".

- فى حفل توقيع إعلان المبادئ بواشنطن(**) يوم ١٣ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٩٣، "أتينا من القدس العاصمة القديمة والأبدية للشعب اليهودى".

- قال شيمون بيريز لمحطة CNN يوم ٢٨ من نفس الشهر (سبتمبر / أيلول) "ستظل القدس غاصمة إسرائيل، يمكن لعرفات أن يأتى للصلاة فيها، ولكنها ستبقى موحدة وعاصمة لإسرائيل".

وأعتقد بأننا - بعد هذه التصريحات - لسنا فى حاجة إلى تأكيد أن القيادة الإسرائيلية مصممة على اغتيال القدس العربية.

---

[٤٣] الأهرام: ٣١ يوليو سنة ١٩٨٠.

(*) من حديث وجهه لأنصار الصندوق القومى اليهودى، نقله الأهرام فى اليوم التالى (٢٥ يونيو / حزيران).

(**) المصدر نفسه: ١٤ سبتمبر سنة ١٩٩٣.

ثانياً: زرع المستوطنات الإسرائيلية فى القدس العربية

عملت إسرائيل منذ احتلالها للقدس الغربية فى عام ١٩٦٧، على تغيير الوضع الجغرافى والديموجرافى فى تلك المدينة المقدسة، فى محاولة منها لإقناع المجتمع الدولى أن القدس أضحت إسرائيلية الهوية (أرضاً وبشراً) ، حتى إذا حان وقت التفاوض عليها (فى عام ١٩٩٦)، لا يجد العرب ما يتفاوضون عليه.

وفى تقرير عن المكتب المركزى للإحصاء الفلسطينى، تأكيد على "أن إسرائيل أنشأت خلال ثمانية وعشرين عاماً (١٩٦٧-١٩٩٥) ٤٢ مستوطنة فى القدس العربية، يسكنها (١٦٥) ألفاً من المستوطنين الإسرائيليين، وأنها صادرت ٧٩٪ من أراضى القدس، وطردت (٦٠) ألف فلسطينى من سكانها الأصليين"[٤٤].

وهذه الإحصائية تشير إلى أن السلطات الإسرائيلية تعمل بكل نشاط على تغيير وضع القدس العربية، وتفسير ذلك فيما يلى:

- فى ١٥ نوفمبر (تشرين ثان) سنة ١٩٩٣(*) ، صرح إيهود أولمرت رئيس بلدية القدس(**) بأنه "سيعمل على تعزيز الوجود الإسرائيلى فى كل أجزاء القدس، حتى تقل مخاطر تقسيمها"[٤٥] ، بمعنى المضى فى مشروعات تهويد المدينة المقدسة بخطى سريعة، لفرض أمر واقع يصعب تغييره فيما بعد[٤٦].

---

[٤٤] المصدر نفسه: ١٥ مارس (آذار) سنة ١٩٩٥، من مقال للأستاذ صلاح الدين حافظ، ولمزيد من التفصيل، انظر: الدراسة الرصينة التى وضعها الأستاذ فايز جابر الأمين العام للجنة الملكية لشئون القدس فى كتابه الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان فى الأرض المحتلة، ط١، عمان، ١٩٨٧، ص ص ٧٢-١١٦.

(*) أى بعد بضعة أسابيع من الاتفاق الفلسطينى الإسرائيلى.

(**) وعضو حزب الليكود الذى يرفض إعادة القدس العربية لأصحابها عرب فلسطين.

[٤٥] المصدر نفسه: ١٧ نوفمبر ١٩٩٣، من حديث لأولمرت مع مندوبة الصحيفة عقب فوزه بعمودية القدس خلفاً لـ (تيدى كوليك).

[٤٦] وقد أوردت صحيفة الرأى الأردنية فى عددها رقم ٨٦٣١، الصادر فى ٥ إبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤، بعض هذه المشروعات التى بدئ فى تنفيذها، ومنها على سبيل المثال إنشاء بيشيفا - معهد الدراسات الدينية اليهودية - على جبل الزيتون فى القدس، وإقامة حى يهودى جديد فى رأس العامود فى القدس العربية، وأن هناك محاولات لتوسيع حدود المدينة، والمقال المذكور بقلم مايكل باركس من صحيفة (لوس أنجلوس تايمز).

- فى ٢٥ أكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٩٤، أشار ولى عهد الأردن الأمير حسن بن طلال، إلى أن المستوطنات الإسرائيلية أصبحت جزءاً من الاستثمار الاقتصادى والسياحى الإسرائيلى، وأن نسبة الأراضى التى استولت عليها إسرائيل بلغت حتى الآن (نهاية سنة ١٩٩٤) ٥١٪ من المساحة الكلية للضفة الغربية[٤٧] .

وهذه صورة نسجلها بأمانة لشاهد عيان زار القدس العربية فى شهر مايو (آيار) سنة ١٩٩٤(***) ، ونقتطف منها ما يلى:

- أن جميع المناطق الواقعة إلى الشرق من القدس، ما بين القدس وأريحا، قد أصبحت مغطاة تغطية كاملة بسلسلة متصلة من الاستيطان، بحيث أصبحت تلقىَ بظلالها القاتمة على كامل المنطقة، التى لم يكن للإسرائيليين فيها أى وجود على الإطلاق، حتى احتلالها عام ١٩٦٧، أن المعنى الاستراتيجى لذلك هو عزل القدس عن سائر المشرق العربى وأعماق العالم الإسلامى، بحيث لا يمكن الوصول إليها، إلا عبر تواجد مدنى وعسكرى إسرائيلى كثيف.

- هذا فى الوقت الذى أوقفت فيه السلطات الإسرائيلية عبر ربع قرن من الزمان أى عمران أو بناء عربى يستحق الذكر، حتى تفرض حالة من الاختناق والحصار والتطويق على القدس العربية، وأن السياسة الإسرائيلية كانت حريصة على ألا تزيد نسبة السكان العرب فى القدس العربية عن ٢٦٪ من مجموع السكان[٤٨].

وفى تقرير لوزارة الإسكان الإسرائيلية، ورد ما يلى: إنه فى عام ١٩٩٥، ستقام (٣٢٣٠) وحدة سكنية، أغلبها بالمناطق المحيطة بالقدس، وأن بلدية القدس ستبنى (١٠)

---

[٤٧] الأهرام: ١٦ أكتوبر سنة ١٩٩٤، من ندوة نظمها مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، نشرتها الصحيفة فى يومى ٢٦ و ٢٧ أكتوبر.

(***) هو الدكتور حازم نسيبة، من أبناء القدس الشريف، وقد شغل عدة مناصب هامة فى المملكة الأردنية الهاشمية، فقد كان وزيراً للبلاط الملكى، ووزيراً للإنشاء والتعمير، ووزيراً للخارجية، فضلاً عن عمله كمندوب الأردن الدائم لدى الأمم المتحدة لمدة سبع سنوات.

[٤٨] د. حازم نسيبة: القدس فى ضوء الأوضاع الراهنة، دراسة مقدمة إلى الندوة السنوية التى عقدها (المؤتمر الإسلامى العام لبيت المقدس) فى عمان فى شهر يونيو (حزيران) سنة ١٩٩٤.

آلاف مسكن داخل القدس العربية، وأن تمويل تلك المشروعات يتم من قبل صندوق أنشأه المستوطنون الذين يجمعون منذ عامين ملايين الدولارات من الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا[٤٩] .

يحدث هذا فى الوقت الذى يصدر فيه الكنيست الإسرائيلى قانوناً يحظر على منظمة التحرير الفلسطينية ممارسة أى نشاط فى القدس[٥٠] .

وليس قرار مصادرة الأرض فى القدس العربية فى شهر مايو (آيار) من عامنا هذا (١٩٩٥) ببعيد، ثم خطوة السلطات الإسرائيلية المفاجئة، بتعليق ذلك القرار، لأسباب أغلب الظن أنها داخلية، ولكن هذه السلطات لم تذهب إلى حد إلغاء هذا القرار نهائياً، أو تقطع على نفسها عهداً بتجميد الأوضاع فى القدس العربية، مما يؤكد ما ذهبنا إليه أن السلطات الإسرائيلية تتربص بالقدس منذ عام ١٩٤٨، وحتى يومنا هذا.

(٨) موقف الغرب من الاحتلال الإسرائيلى للقدس العربية

ولعل من المستحسن، أن نوجزه فيما يأتى: فى ٢٥ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٨٠، أصدر المؤتمر البرلمانى الدولى قراراً(*) بإدانة إسرائيل، لقرارها بضم القدس العربية، وطالب المؤتمر إسرائيل بالعدول فوراً عن هذا القرار، واحترام قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة الصادرة فى هذا الشأن[٥١].

موقف الفاتيكان

رفضت بريطانيا بادئ ذى بدء رغبة الفاتيكان سنة ١٩١٧، بوضع الأماكن المقدسة (المسيحية بالطبع)[٥٢] تحت إشراف إدارة دولية، وقد هدف الفاتيكان بذلك، إلى عدم وضع مصالح الكاثوليك تحت رعاية دولة بروتستانتية من جانب، وإلى الرغبة فى عدم إخضاع

---

[٤٩] الأهرام: ٣٠ يناير سنة ١٩٩٥، من رسالة مندوب الصحيفة فى غزة.

[٥٠] المصدر نفسه: فى ٥ يناير سنة ١٩٩٥.

(*) وذلك فى نهاية اجتماعه رقم ٦٧، والذى عقد فى برلين الشرقية وقتئذ.

[٥١] أكتوبر: أسبوعية، العدد ٢٠٥، الأحد ٢٨ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٨٠، ص١٤.

[٥٢] د. عز الدين فودة: قضية القدس، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٤.

هذه الأماكن وطرق حجاجها إليها للسيطرة اليهودية، عند إنشاء ما عرف بالوطن القومي وقتذاك من جانب آخر.

وطوال فترة الانتداب (١٩٢٠-١٩٤٨)، أبدى الفاتيكان حذراً شديداً، فهو يرفض فكرة دولة يهودية، ومما زاد ارتباكه أن القوى الكاثوليكية (فرنسا، إيطاليا، أمريكا اللاتينية)، كانت تستجيب لمطالبه، وهكذا وجد الفاتيكان نفسه عاجزاً كلياً إزاء قرار التقسيم، ثم إزاء الحرب التى اندلعت عام ١٩٤٨، فى الوقت الذى كانت نداءات المسيحيين الفلسطينيين فيه تبلغه تطورات الأحداث، وطرد آلاف اللاجئين من منازلهم وبلادهم، ولذا صدر البيان البابوى فى أكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٤٨، يعبر عن حزن البابا إزاء العنف والتدمير الحاصل فى فلسطين، ويدعو إلى السلام والعدل[٥٣] .

ثم جاء عدوان ١٩٦٧، ليعيد طرح قضية الأماكن المقدسة (المسيحية)، حيث إن احتلال إسرائيل للقدس العربية، قد دفع (الكرسى الرسولى) إلى تبنى حماية السكان المسيحيين، وأكد البابا بولس السادس(*) على أن البعد الوطنى القومى فى القدس العربية، يتأتى من وجود شعب حُرم من أرضه، ومن البديهى أن يدعم هذا التأكيد افتراض ضرورة وجود كاثوليكى فلسطينى فى الأرض المقدسة، ويعتبر البابا الحالى (يوحنا بولس الثانى) فى هذا المجال ملتزماً بخط سلفه، ومتابعاً له[٥٤].

وفى أعقاب صدور قرار الكنيست الإسرائيلى (يوليو / تموز سنة ١٩٨٠)، بضم القدس العربية، صرح قداسة البابا بأن "الفاتيكان يدين التصرفات غير المسئولة التى صدرت من جانب واحد هو إسرائيل، ويعتبر هذا الإجراء كشفاً عن مدى غياب الشعور بالمسئولية إزاء المجتمع الدولى"، ثم استطرد قداسته قائلاً "كما لا يستطيع الفاتيكان أن ينكر الارتباط الشديد للدين الإسلامى بالقدس، لأن بها أهم الآثار والمساجد الإسلامية، وقد سميت (بيت المقدس)، بل من الإنصاف أن نذكر هنا، أن الإسلام له المكانة الأولى فى القدس منذ عام ٦٣٨م، ومن أهم مزارات الإسلام العظيمة فى المدينة المسجد الأقصى

---

[٥٣] هنرى لورانس: الفاتيكان، رهانه على دولة إسرائيل، مقال نشر فى (لوموند ديبلوماتيك)، ونشر فى جريدة الدستور (الأردنية)، فى يوم الثلاثاء ٥ إبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤.

(*) توفى فى عام ١٩٧٨.

[٥٤] المرجع نفسه.

وجامع عمر، ولهذا يحظى موضوع القدس بالاهتمام البالغ فى عقول وقلوب ملايين الملايين من المسلمين فى أنحاء العالم".

وأضاف البابا قائلاً "ويرفض الفاتيكان بشدة ما يتردد من أنه يكفى فقط حماية حق المرور إلى الأماكن المقدسة للجميع، على أن تبقى مدينة موحدة يهودية الطابع والحكم"[٥٥].

وفى شهر إبريل (نيسان) من عام ١٩٨٢، أكد بابا الفاتيكان حق الشعب الفلسطينى فى الوجود والعيش بسلام فى أرض فلسطين، وكان لهذا التأكيد مغزى خاص، إذ أنه لأول مرة تحدث قداسته عن فلسطين بصفة مباشرة[٥٦].

ومع بدء عملية السلام، التى تمت فى مدريد (يوليو / تموز سنة ١٩٩٢)، بذلت إسرائيل مساعى مكثفة لتحطيم العزلة بينها وبين الفاتيكان(**)، انتهت باعتراف الفاتيكان بإسرائيل فى ٣٠ ديسمبر (كانون أول) سنة ١٩٩٣. وفى حديث البطريرك ميشيل صباح(***) تفسير لذلك الاعتراف، حيث صرح بأن العلاقة بين الكنيسة الكاثوليكية (الفاتيكان) كانت معرقلة دائماً بسبب الظلم الواقع على الشعب الفلسطينى، إلا أنه من حيث المبدأ فقد تم إزالة هذا الظلم، من خلال اتفاقية واشنطن(****)، كما أن المنطقة متجهة نحو حركة مصالحة عامة، ومن ثم بدا للكنيسة أن تتحدث مع جميع الأطراف المعنية (إسرائيل، فلسطين، الأردن)، كما استطرد البطريرك قائلاً "إن مدينة القدس والأماكن المقدسة لهما وضع خاص وفريد، ومهما كان الحل السياسى، فيجب أن يَحترم الوضع المقدس والفريد"[٥٧].

---

[٥٥] الأهرام: ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٨٠، من حديث خاص لبابا روما مع مندوب الصحيفة.

[٥٦] المصدر نفسه: ٢٢ إبريل سنة ١٩٨٢، من مندوب الصحيفة فى مدينة الفاتيكان.

(**) ونذكر من ذلك على سبيل المثال زيارة حاخام إسرائيل الأكبر (مائير لو) إلى الفاتيكان فى أول أكتوبر (تشرين أول) من عام ١٩٩٣، الأهرام: ٢ أكتوبر سنة ١٩٩٣، من رسالة بمندوب الصحيفة فى روما.

(***) البطريرك اللاتينى (الكاثوليكى) للأراضى المحتلة والأردن وإسرائيل وقبرص.

(****) يقصد توقيع إعلان المبادئ بواشنطن فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩٩٣.

[٥٧] الأهرام: ٢٥ يناير سنة ١٩٩٤، من مندوبة الصحيفة فى القدس.

وفيما يتصل بوجهة نظر الفاتيكان مؤخراً، تلك الورقة المؤرخة فى (مايو / آيار سنة ١٩٩٣)، وتحت عنوان (القدس) ، وفيها أفكار الفاتيكان، لعل أهم ما ورد فيها أن الكرسى البابوى لا يزال "يرى أن هناك عاملين يجب أخذهما فى الاعتبار، وهما متصلان بكل تأكيد، ولكن يمكن النظر إليهما كل على حدة:

أ - عامل جغرافى سياسى، ويتعلق بهوية المدينة وقيمتها، ويتعلق بمن له حق السيادة على المدينة.

ب- عامل أكثر شمولية، ويتعلق بهوية المدينة وقيمتها بكل خصائصها الدينية والتاريخية والحضرية والديموجرافية.

ومجمل القول، إن نظرة الفاتيكان هذه، تقوم على التفرقة بين الولاية الدينية والولاية السياسية[٥٨].

الإدارة الأمريكية بين الاعتدال والاعتداء:

الاعتدال:

استنكرت الإدارة الأمريكية فى ٩ يوليو (تموز) سنة ١٩٥٢ المحاولات التى بذلتها السلطات الإسرائيلية لنقل وزارة الخارجية إلى القدس، وأكدت على أنها لا تنوى نقل السفير الأمريكى وموظفى السفارة الأمريكية فى إسرائيل إلى القدس[٥٩].

بعد العدوان الإسرائيلى فى الخامس من يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧، أعلنت الإدارة الأمريكية فى الشهر التالى (يوليو / تموز) على لسان ممثلها فى الجمعية العامة (آرثر جولدبرج)، أنها تعتبر القدس الشرقية (العربية)، التى احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧، هى منطقة محتلة تخضع لقانون الاحتلال الحربى، ولا يجوز لإسرائيل أن تدخل عليها أية

---

[٥٨] الأهرام: ١٠ مارس (آذار) سنة ١٩٩٥، وقد عرض الورقة المذكورة الكاتب الصحفى أحمد نافع.

[٥٩] جامعة الدول العربية: نشرة بعنوان وثائق فى قضية فلسطين، القاهرة، ١٩٥٥، ص٤٦.

تغييرات، ولذلك فإن التغييرات التى أدخلتها إسرائيل على المدينة تعتبر باطلة، ولا تمثل حكماً مسبقاً على الوضع النهائى والدائم للمدينة"[60].

وفى الأول من يوليو (تموز) سنة ١٩٦٩، أكدت الولايات المتحدة أمام مجلس الأمن – مرة أخرى – على لسان السفير شارلز يوست(*) ، أن القدس التى وقعت تحت سيطرة إسرائيل فى حرب ١٩٦٧، مثلها مثل مناطق أخرى احتلتها إسرائيل، تعتبر منطقة محتلة تخضع لنصوص القانون الدولى، الذى ينظم حقوق والتزامات دول الاحتلال، التى تقضى بأن دولة الاحتلال لا يحق لها أن تحدث تغييرات فى القوانين أو الإدارة"[61].

وفى إطار عملية السلام التى تمت فى كامب ديفيد (فى عام ١٩٧٨)، أكد الرئيس الأمريكى جيمى كارتر(*) "أن موقف الولايات المتحدة الأمريكية بشأن القدس، هو نفس الموقف الذى أعلنه السفير آرثر جولدبرج أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٤ يوليو (تموز) سنة ١٩٦٧". وهو ما أكده من بعده السفير (يوست) أمام مجلس الأمن فى أول يوليو / تموز سنة ١٩٦٩"[62].

ويكفى هذا دليلاً واضحاً لا يحتمل الشك، على أن الولايات المتحدة الأمريكية تعترف وتؤكد بأن القدس الشرقية (العربية) هى أرض عربية محتلة، ولا يجوز تغيير الأوضاع الديموجرافية أو السياسية فيها.

الاعتداء:

وعندئذ بدأت دعوة السلام تنطلق من هنا وهناك، وتتطلبها إسرائيل التى هى فى الواقع أكثر احتياجاً إليها، وأضحت الإدارة الأمريكية راعية لهذا السلام، وتحاول – فى إطار محافظتها على مصالحها فى المنطقة – أن تذلل أى عقبة، قد تحول دون تحقيق هذا السلام، ولكنها على الجانب الآخر، تتراجع عما أقرته من قبل (١٩٦٧–١٩٧٨)،

---

[60] وليم كوانت: أمريكا والعرب وإسرائيل، مرجع سبق ذكره، ص٩٦.

(*) مندوبها الدائم لدى الأمم المتحدة.

[61] د. مفيد شهاب: القدس بين قرار الكونجرس والقانون الدولى، مقال بجريدة الأهرام فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٩٥.

(*) من رسالة الرئيس جيمى كارتر إلى الرئيس الراحل أنور السادات فى ٢٢ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٧٨.

[62] مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام : مؤتمر كامب ديفيد، دراسة توثيقية، القاهرة، ١٩٧٩، ص٨٥.

وتتعرض مدينة القدس الشريف للهجوم من جانب الإدارة الأمريكية مرتين خلال عام ١٩٩٥.

كانت المرة الأولى فى شهر مايو (آيار) سنة ١٩٩٥، بتهديدها باستخدامها للفيتو ضد مشروع القرار المقدم إلى مجلس الأمن لمطالبة إسرائيل بإلغاء مصادرة ٥٣ هكتاراً من أراضى القدس الشرقية المحتلة، لإنشاء حى يهودى جديد، يضم ٢٥٠٠ وحدة سكنية كمرحلة أولى، من خطة تهدف إلى مصادرة ٥٠٠ هكتار إضافية، ولكن سلاح الفيتو لم يستخدم لسبب خارج عن إرادة الإدارة الأمريكية، لأن رئيس وزراء إسرائيل (رابين) أصدر قراراً بتعليق القرار الخاص بمصادرة الأراضى فى القدس[٦٣]. وليس من شك فى أن القرار الإسرائيلى أحرج الإدارة الأمريكية، بل نرى أن الإدارة الأمريكية باتت هى المتربصة بالقدس العربية، لتعرضها فى مزاد الانتخابات الأمريكية فى عام (١٩٩٦)، وتخطب بها ود اللوبى اليهودى فى تلك البلاد.

أما المرة الثانية فى أكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٩٥، فهى موافقة الكونجرس الأمريكى، بمجلسيه (الشيوخ والنواب)(**) ، بأغلبية كبيرة على مشروع القرار(***) ، الذى يقضى بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، باعتبارها عاصمة لإسرائيل فى ٣١ من شهر مايو (آيار) سنة ١٩٩٩، وذلك بعد أن يتم تجهيز المبنى الجديد، مع إرسال المشروع إلى الرئيس بيل كلينتون، بعد تعديل صيغته على نحو يعطى للرئيس الحق فى تأجيل نقل السفارة لمدة ستة أشهر قابلة للتجديد، إذا ما وجد فى النقل ما يسبب ضرراً للمصالح الأمريكية فى المنطقة[٦٤].

---

[٦٣] الأهرام: أيام ١٠ و ١٣ و ١٥ من مايو (آيار) سنة ١٩٩٥.

(**) يؤكد الخبير الأمريكى فى شئون الشرق الأوسط وليام كوانت، أن النظام السياسى الأمريكى هو نظام تنافسى بحكم القانون والعرف، ومن ثم فإنه وفى أكثر الأحيان يكون الكونجرس هو الإدارة التى تحاول الجماعات المحلية من خلالها تحقيق أغراضها، كذلك فإن جماعات الضغط والمعارك الانتخابية والصراعات بين الفرعين التشريعى والتنفيذى، كل ذلك يعد جزءاً من عملية صنع السياسة الخارجية.

(***) ومن المعروف أن السناتور (الجمهورى) بوب دول رئيس مجلس الشيوخ هو الذى تقدم بالمشروع، وهو أيضاً أحد المنافسين للرئيس الأمريكى كلينتون (الديمقراطى)، والمتنافسان يتزايدان على حساب القدس الشريف، مدينة العرب والمسلمين.

[٦٤] الأهرام: ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٩٥.

نعم هناك مصالح للولايات المتحدة الأمريكية فى عالمنا العربى، بل والإسلامى، لها مصلحة قوية فى تدفق بترول الشرق الأوسط دون أية عوائق إليها، وإلى حلفائها الأوربيين واليابانيين، الذين أصبحوا أكثر اعتماداً على هذه الامتدادات.

ولأمريكا أيضاً مصلحة هامة ومتزايدة فى مجال التجارة مع المنطقة والاستثمار فيها، والاتصالات وغيرها، وليس هذا كلامنا، وإنما هو اعتراف وتأكيد من أحد أبرز باحثيهم[٦٥].

فهل ستراعى الإدارة الأمريكية تلك المصالح؟، وهل يصمد الرئيس كلينتون أمام اللوبى الصهيونى فى أمريكا؟، ويؤكد أن الضمان الذى أعطاه الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات، بعدم نقل السفارة الأمريكية إلى القدس[٦٦]، هو حق لعرب فلسطين.

أحسب أن ذلك ضرب من الخيال أو الأحلام، إذا لم يتحرك العالم العربى والإسلامى، لسببين، أولهما أن الرئيس كلينتون نفسه وفى مارس (آذار) سنة ١٩٩٤، أبلغ قادة منظمة (إيباك) اليهودية الأمريكية، أن الولايات المتحدة تعتبر مدينة القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل[٦٧].

وثانيهما إذا استخدم كلينتون سلطته فى التأجيل[٦٨] ، فقد تكون لفترة محددة حتى إذا أتت الانتخابات وموسمها، أضحى الموقف مختلفاً، إما أن يستسلم ويوافق على النقل ليكسب أصوات اللوبى اليهودى، وإما أن يستمر ويطاح به، ويأتى بمن يلبى مطالب هذا اللوبى.

---

[٦٥] وليام كونت: أمريكا والعرب، مرجع سبق ذكره، ص٤١٨.

[٦٦] الأهرام: ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٩٥، وقد صرح عرفات بأن هذا الضمان أبلغه إليه رسميا رون براون وزير التجارة الأمريكية، فى لقائهما الذى تم فى غزة (يوم ٢٨ أكتوبر).

[٦٧] المصدر نفسه: ١٥ مارس سنة ١٩٩٤.

[٦٨] تبدو ملامح عدم القدرة على التأجيل فى الفقرة التالية: قال مسئولون أمريكيون فى ٢٦ أكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٩٥، إن البيت الأبيض لن يتخذ أى إجراء لإصدار حكم مسبق على وضع مدينة القدس، وأضافوا أن الرئيس كلينتون يفتقر للأصوات الكافية لإلغاء القرار، غير أنه سوف يلجأ إلى استخدام كافة الوسائل التى تسمح بتأجيل تنفيذه، الأهرام: ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٩٥، وكالات الأنباء من واشنطن.

ونأمل ألا يعلق العالم العربى والإسلامى الآمال، بل يجب التحرك والضغط، محافظة على الحق الإسلامى والعربى فى المدينة المقدسة.

(٩) مستقبل القدس الشريف ، رؤية إسلامية

إن المحاولات التى بذلتها السلطات الإسرائيلية منذ عام ١٩٤٨، والتى تم تنفيذها منذ عدوان سنة ١٩٦٧ وحتى يومنا هذا، كانت تهدف إلى تهويد القدس فى مختلف الاتجاهات سياسياً واجتماعياً وحضارياً، أى تهويدها أرضاً وبشراً، وقدمت للعالم - وما تزال - مزاعم ودعاوى، هى فى مجملها تزوير واضح للحقائق التاريخية، واستندت فى ذلك إلى قوى عالمية، ألقت بثقلها فى عالمنا الإسلامى، تستطيع السلطات الإسرائيلية من خلالها أن تفلت بما نهبته.

ومن ثم عندما بدأت عملية التسوية السلمية المعروفة باسم (عملية سلام الشرق الأوسط) فى مدريد (أسبانيا) يوم ٣٠ أكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٩١، لم تشر الدعوة التى وجهها الرئيسان الأمريكى (جورج بوش) والسوفيتى (جورباتشوف) إلى أى ذكر لقضية القدس، وعندما تجاهلها الحاضرون فى الكلمات التى توالت فى افتتاح المؤتمر، راح إسحاق شامير (رئيس وزراء إسرائيل) فى التأكيد على أورشاليم، ومتنكراً لوجود القدس الشريف كمدينة محتلة، وقد أشار د. حيدر عبد الشافى(*) إلى ذلك، قائلاً "إنها (أى القدس) موجودة حتى إن أدعى أنها غائبة عن هذا المسرح، وهى واضحة رغم الاستبعاد المصطنع، ويعد ذلك إنكاراً لحقها فى السعى وراء السلام والخلاص ، فهى أيضاً قد عانت من الحرب والاحتلال، إن القدس عاصمة وطننا ودولتنا المرتقبة، تعرف الوجود الفلسطينى فى الماضى والحاضر والمستقبل".

ولكن المخطط الأمريكى لمؤتمر السلام عمل على فصل قضية القدس عن بقية المناطق المحتلة فى الضفة الغربية وقطاع غزة فى المرحلة الأولى من مفاوضات السلام التى تمت فى مدريد، ووافق فقط على ما يأتى: أولا : أن للمقدسين الحق فى التصويت

(*) رئيس الوفد الفلسطينى وعضو الوفد الأردنى الفلسطينى المشترك فى مؤتمر مدريد.

فى انتخابات الحكم الذاتى الانتقالية، الأمر الذى يعنى حصر تلك القضية فى كونها "قضية سكان فحسب"، ثانياً : إثارة قضية القدس الشرقية فى المرحلة النهائية للمفاوضات(**) .

ويعنى أيضاً بأنه حينما يأتى دور القدس على مائدة المفاوضات، فلن تكون هناك قضية تبحث. ويتأكد لنا هذا بوضوح عند القراءة الأولى لاتفاق إعلان المبادئ، الذى وقع فى واشنطن يوم ١٣ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٩٣[٦٩].

ولأن مخططى عملية السلام فى (مؤتمر مدريد - إعلان واشنطن) أنكروا أو تجاهلوا قضية القدس الشريف كأرض محتلة منذ عام ١٩٦٧، فإنهم بذلك فتحوا للسلطات الإسرائيلية مجالاً واسعاً، لمزيد من الأطماع، التى أخذت تستشرى فى قدسنا العربية الإسلامية.

فماذا نحن إذن فاعلون ؟!.

(**) وذلك من خلال رسائل التطمينات الأمريكية للأطراف المشاركة بشأن قضية القدس.

[٦٩] الأهرام: العدد ٣٨٩٩٨ فى ١٤ سبتمبر ١٩٩٣، وفى الصفحة الخامسة من الصحيفة، نص إعلان المبادئ لترتيبات الحكم الذاتى الفلسطينى، والمعروف باتفاق غزة / أريحا، وقد تضمن الملحق الأول لإعلان المبادئ بروتوكولات حول صيغة وشروط الانتخابات التى ستجرى فى القدس، وشمل هذا البروتوكول ثلاثة بنود، ذكر الأول فيها حق فلسطينيى القدس الذين يعيشون هناك على المشاركة فى عملية الانتخابات بموجب الاتفاق بين الطرفين، وجاء البند الثالث ليفرغه ويجعل عملية الانتخابات - لو تمت - فى صالح الجانب الإسرائيلى، حيث نص ذلك البند على: الوضع المستقبلى للنازحين الفلسطينيين الذين كانوا مسجلين فى ٤ يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ (أى قبل عدوان سنة ١٩٦٧)، لن يجحف بهم لأنهم لن يتمكنوا من المشاركة فى العملية الانتخابية لأسباب عملية.

أ - رؤية القيادة الفلسطينية

إذا كان عرب القدس قد عانوا مباشرة - ومازالوا - تحت الحكم الإسرائيلى(*) ، وخاصة بعد عدوان سنة ١٩٦٧، فإن آمالهم قد وُضعت أمانة فى أعناق عالمنا الإسلامى، كما أن القيادة الفلسطينية قد ارتضت بالحد الأدنى لمطالبهم، وهى أن تكون القدس القديمة (الشرقية) عاصمة لدولتهم المرتقبة، وذلك فى إطار عملية السلام، التى دعت إليها أغلب الأطراف.

ومضمون الاقتراح الذى عرضه السيد ياسر عرفات(**) ، أن تكون القدس مثل روما، عاصمة لدولتين، ويعنى بذلك القدس الشرقية عاصمة لدولة فلسطين، والقدس الغربية عاصمة لإسرائيل، ولكن رئيس الوزراء الإسرائيلى رابين، عقب على ذلك قائلاً بصلافة "إن القدس ستظل موحدة تحت سيادة إسرائيلية، وهذا هو الموقف الذى سيتم التمسك به حتى النهاية"!![٧٠].

وتجمع القيادات الفلسطينية على الرأى الذى صرح به السيد ياسر عرفات(***) ، ويُبَسّط السيد فيصل الحسينى(****) ذلك، قائلاً "إن نصل إلى قدس مفتوحة، تضم فى جنباتها كلتا العاصمتين: الفلسطينية شرقاً، والإسرائيلية غرباً، مع وجود بلديتين ، وبلدية مظلة تربط بينهما، ومع إنشاء قوة شرطة موحدة، وربما يكون لنا كل الأجهزة التى تسمى شرطة العواصم، بحيث تسمى القدس عاصمة العواصم، على أن يكون لها تشكيلها ووضعها الخاص، وبهذه المناسبة فإن هذا الحل هو الذى أشار إليه مشروع تقسيم فلسطين بشكل أو بآخر".

(*) انظر: بحثاً بعنوان (العرب الفلسطينيون تحت الحكم الإسرائيلى ١٩٤٨ - ١٩٦٧)، نشر فى العدد الثالث من مجلة كلية اللغة العربية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(**) فى حديثه مع الإذاعة البريطانية يوم ٤ يوليو (تموز) سنة ١٩٩٤.

[٧٠] الأهرام: ٥ يونيو سنة ١٩٩٤، وقد أكد عرفات ذلك مرة أخرى بعد أكثر من عام، انظر: الأهرام: ٢٨ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٩٥.

(***) وعلى سبيل المثال: الشيخ حسن طهبوب وزير الأوقاف الفلسطينى، وكذلك السيد غسان الشكعة رئيس بلدية نابلس، تفصيل ذلك فى الأهرام: القاهرة، ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٩٥.

(****) رئيس الوفد المفاوض المسئول عن ملف القدس، وهو ابن القدس الذى كرس نفسه لقضيتها، ولم يشأ أن يشغل أى منصب فى مجلس السلطة الوطنية الفلسطينية.

ويرى السيد فيصل الحسيني ضرورة بدء التنسيق المباشر بين قوى ثلاث توفر العناصر المطلوبة لخوض ما أسماه "معركة القدس"، وهذه العناصر هى: العنصر الشعبى، العنصر الإدارى، والعنصر المالى، وتمتلكها ثلاث جهات، تأتى بترتيب تلك العناصر وهى: فلسطين، الأردن، والمملكة العربية السعودية.

ويؤكد (الحسينى) على "أنه بدون توافر الدعم المصرى، ودون الموقف الإسلامى المتجاوب، ودون أن تصهر كل هذه الأشياء ضمن بوتقة واحدة، لا يمكن أن نستفيد شيئاً".

غير أن فيصل الحسينى لا يتفق مع الفاتيكان، فى استمرار طرح موضوع القدس، على أنه أماكن دينية فقط، بل، وينصح بعدم طرح الموضوع عربياً وإسلامياً، على أنه أماكن دينية فحسب، "إذ لا يمكن أن نحافظ على القدس فقط من خلال المحافظة على الأماكن الدينية، ولكن من خلال المحافظة على الإنسان، على وضعه، على سكنه، على الأرض المحيطة بالمساجد وأماكنه الدينية"، ومن هنا يتطلب الأمر تنسيقاً عربياً وإسلامياً، وبالتالى فإن الحل يكون "بربط القدس بشكل أو بآخر ببقية المناطق الفلسطينية، وألا نسمح للقدس بأن تذوب ضمن المعادلة الإسرائيلية، وبهذا الارتباط ما بين القدس وبقية المناطق، نستطيع أن نوجد رقعة متكاملة على الخريطة، نستطيع أن نطورها وأن نعالجها وأن نستثمرها"[٧١].

ب – القدس فى جامعة الدول العربية

وفي إطار التذكير بعروبة القدس، أكد مجلس جامعة الدول العربية على عروبة المدينة المقدسة، ورفضه جميع المحاولات الرامية لتغيير هويتها الإسلامية.

كما دعا مجلس الجامعة إلى تحقيق السلام الشامل والعادل، وفق قرارات الشرعية العربية والدولية، ودعا المجلس المجتمع الدولى إلى الإسراع فى تنفيذ تلك القرارات، مع

[٧١] الأهرام: ٢٢ يوليو (تموز) سنة ١٩٩٤، فى حديث هام مع الصحفى الأستاذ أحمد نافع، وقد أجرى هذا الحديث فى "بيت الشرق" بالقدس، وهذا البيت هو مؤسسة سياسية جوهرية، احتضنت وفد التفاوض الفلسطينى، ويضم مركزاً للأبحاث والدراسات، وله مساهماته الاجتماعية والتعليمية والصحية.

توفير الحماية للسكان الفلسطينيين الواقعين تحت سلطة الاحتلال، وتفكيك وإزالة جميع المستوطنات فى الأراضى المحتلة[٧٢] .

كما وجه الأمين العام للجامعة رسالتين إلى الأمين العام للأمم المتحدة، والمدير العام لليونسكو، حمل فيهما المجتمع الدولى المسئولية الكاملة إزاء تطبيق قرارات الشرعية الدولية، والمحافظة على الوضع القانونى والحضارى للقدس[٧٣] .

وفى ٦ مايو (آيار) سنة ١٩٩٥، اجتمع مجلس الجامعة العربية فى جلسة طارئة على مستوى وزراء الخارجية، وقد أدان قرار الحكومة الإسرائيلية الخاص بمصادرة الحكومة الإسرائيلية الأراضى فى القدس الشرقية وخارجها، ووصفه بالخروج على قرارات الشرعية الدولية والتحدى للقانون والنظام الدولى، فضلاً عن أنه يمثل تهديداً لعملية السلام، وطالبت الجامعة مجلس الأمن بعدم الاعتراف بالقرارات الإسرائيلية[٧٤] .

ثم قامت الجامعة بإرسال مذكرة استرشادية إلى الوفود العربية، والوفد الدائم للجامعة بالأمم المتحدة، تؤكد فيها بأن ما أعلنته إسرائيل حول امتلاك اليهود ٩٢٪ من مساحة الأرض التى تعتزم مصادرتها ليس صحيحاً، وأن الفلسطينيين لديهم الوثائق التى تؤكد ملكيتهم لهذه الأراضى[٧٥] .

وفى أعقاب قرار المحكمة العليا الإسرائيلية بالسماح لجماعة (أمناء جبل الهيكل) اليهودية بالصلاة فى ساحة الحرم القدسى الشريف، أدانت جامعة الدول العربية بشدة ذلك القرار مؤكدة أنه سابقة خطيرة، وانتهاك سافر لقرار مجلس الأمن رقم ٢٥٢ بشأن القدس، وخرق واضح لاتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩، والقاضية بعدم جواز أى تغيير

---

[٧٢] المصدر نفسه: ٢٨ مارس (آذار) سنة ١٩٩٤.

[٧٣] المصدر نفسه: ٦ نوفمبر سنة ١٩٩٣.

[٧٤] المصدر نفسه: ٨ مايو سنة ١٩٩٥، وقد دعت الجامعة أيضاً إلى عقد لاجتماع قمة عربية محددة، وأكد الأمين العام للجامعة أنها قمة تحرص على السلام، ولن تقبل الاستسلام، ولن تقبل الاحتلال أو الاستيطان أو ضياع القدس، ولكن اجتماع القمة لم يتم، نظراً لأن الحكومة الإسرائيلية أعلنت (تعليق) قرار المصادرة.

[٧٥] البيان: يومية، تصدر فى دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٦ مايو (آيار) سنة ١٩٩٥، الأهرام، ١٠ أغسطس سنة ١٩٩٥.

فى الأراضى المحتلة، وطالبت المجتمع الدولى باتخاذ موقف حاسم، والعمل على وقف هذه الإجراءات، التى تعرض عملية السلام للانهيار[٧٦].

وحول منظور الجامعة فيما عرف بإيجاد تعاون اقتصادى فى منطقة الشرق الأوسط، أكد الأمين العام للجامعة د. عصمت عبد المجيد على ضرورة حل كافة المشاكل السياسية أولاً، ولا يمكن الموافقة على التعاون الاقتصادى، قبل أن تعقد إسرائيل سلاماً شاملاً وعادلاً مع الدول العربية[٧٧].

وعندما صدر قرار مجلس الشيوخ الأمريكى، المتضمن الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، والداعى إلى نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، أكدت جامعة الدول العربية فى بيانها الصادر فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٩٥، أن هذا القرار يعد إخلالاً واضحاً بالمواقف الأمريكية الرسمية والمتعاقبة والرافضة لمثل هذا القرار منذ عام ١٩٦٧.

كما أن مثل هذا القرار يستفز مشاعر المسلمين والمسيحيين فى العالمين العربى والإسلامى، ويفقد الكثير من مصداقية عملية السلام، التى أيدتها جميع شعوب العالم[٧٨].

إلا أنه مع تقديرنا لبيانات وقرارات الجامعة العربية، فإن أول الطريق لتحرير القدس هو العمل على رأب الصدع بين العرب، وفتح صفحة جديدة فيما بينهم باعتبار أن هذه الخطوة هى الضمان لاستعادة الممتلكات العربية والإسلامية، وفى مقدمتها القدس العربية الإسلامية.

جـ - القدس فى منظمة المؤتمر الإسلامى

من المعروف أن مؤتمر القمة الإسلامى الأول قد عقد فى الرباط فى سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٦٩، فى أعقاب حريق المسجد الأقصى، وقد شاركت فى حضوره سبع وعشرون

---

[٧٦] الأهرام: ٧ أغسطس سنة ١٩٩٥.

[٧٧] المصدر نفسه: ١٥ أكتوبر سنة ١٩٩٥، من حديث للأمين العام مع مندوب الصحيفة، فى لقاء تم بالعاصمة البريطانية (لندن).

[٧٨] المصدر نفسه: ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٩٥.

دولة إسلامية، كانت تربط بين بعضها وبين إسرائيل علاقات دبلوماسية أو تجارية، كما تفصل فيما بينها خلافات سياسية. وإن كان المؤتمر قد ركز جل اهتمامه على موضوع حريق المسجد الأقصى، فإن مجرد اجتماع مؤتمر للدول الإسلامية كان فى حد ذاته نجاحاً ذا شأن.

وفى الفترة من ٢٢ حتى ٢٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٧٤، اجتمع المؤتمر الإسلامى الثانى فى لاهور بباكستان، وفى ظروف ومناخ مختلف عن المؤتمر الأولى، نستطيع إجمالها فيما يلى:

أ - إن التجمع الإسلامى كان قد بدأ يأخذ هيكله التنظيمى فى أول اجتماع لوزراء خارجية الدول الإسلامية فى جدة (٢٣-٢٥ مارس سنة ١٩٧٠)، حيث تقرر إنشاء أمانة إسلامية دائمة مقرها المؤقت جدة، على أن تنقل إلى القدس عقب تحريرها.

ب - إنه اجتمع بعد انتصار رمضان / أكتوبر التى قادت لواء الحرب فيها دولة إسلامية هى مصر، وقد سبقته أيضاً محاولات الوفاق بين أعضائه.

ج - إن بعض الدول الإسلامية التى اجتمعت فى (لاهور)، كانت تمثل قوة اقتصادية برزت بعد حرب أكتوبر وهى الطاقة.

د - إن المؤتمر كان مطالباً بأن يتخذ موقفاً جماعياً موحداً تجاه القدس.

ومن ثم جاءت قراراتها قوية ومعبرة عن هذا الموقف الموحد، حيث نص البيان الختامى للمؤتمر، بشأن القدس "لن تقبل البلدان الإسلامية أى اتفاق أو برتوكول أو تفاهم يكرس استمرار الاحتلال لها، أو ينقلها إلى سيادة غير عربية، أو يجعلها موضوع مساومة أو تنازلات، وانسحاب إسرائيل من القدس ضرورة ثابتة ومهمة لسلام عادل فى الشرق الأوسط، كما يرفض المؤتمر أى اتجاه لتدويل القدس، ويطالب بإلغاء كافة الإجراءات المؤدية إلى ضم مدينة القدس الشرقية لإسرائيل، أو تغيير الطابع العربى التاريخى للمدينة، واعتبار هذه التدابير والإجراءات لاغية وكأنها لم تكن"[٧٩]، وقد انبثقت

---

[٧٩] آخر ساعة: أسبوعية، القاهرة، العدد ٢٠٥٣، ٢٧ فبراير سنة ١٩٧٤.

لجنة عرفت بلجنة القدس وترأسها العاهل المغربى الملك الحسن الثانى لمتابعة تنفيذ هذا القرار.

ومن البديهى أن تلتزم منظمة المؤتمر الإسلامى بهذا القرار، وتواصل العمل به حتى يومنا الحاضر، والتأكيد عليه فى جميع المؤتمرات الإسلامية، التى عقدت بعد مؤتمر (لاهور)، وعلى سبيل المثال ما اتخذه المؤتمر الذى عقد فى الدار البيضاء فى ديسمبر (كانون أول) سنة ١٩٩٤، هذا فضلاً عن تنفيذ أنشطة كان أهمها:

أ - دعوة جميع الدول الإسلامية التى لم توقع حتى الآن على تآخى عواصمها مع مدينة القدس الشريف عاصمة دولة فلسطين، إلى سرعة إنهاء إجراءات التآخى، وتبنى مشاريع داخل مدينة القدس دعماً لها ولمواطنيها الصامدين، وتنظيم أسواق خيرية لصالح صندوق القدس التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامى.

ب - استمرار التنسيق حول موضوع القدس مع كافة المحافل والمنظمات الدولية والإقليمية.

ج - دعم المؤسسات التعليمية فى مدينة القدس الشريف من مدارس وجامعات، وتمكينها من أداء رسالتها فى مناهضة تهويد المدينة المقدسة.

د - تقديم الدعم المالى اللازم لترميم الأبنية التاريخية، والمساكن المهددة بالانهيار فى القدس الشريف، وبناء المساكن للمواطنين العرب لتعزيز صمودهم، وإفشال مخطط تهويد القدس الشريف[٨٠].

وتجدر الإشارة إلى أن رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة، حذرت من أن إسرائيل تخطط فى المرحلة الحالية لتقسيم المسجد الأقصى، مثلما قسمت المسجد الإبراهيمى فى مدينة الخليل بين المسلمين واليهود، بقرار جائر يندرج ضمن السياسة الإسرائيلية فى الاعتداء على الممتلكات الإسلامية واغتصابها، كما أن هذه السلطات عملت على إحاطة

---

[٨٠] الأهرام: ١٥ ديسمبر سنة ١٩٩٤.

القدس من كل أنحائها بالمستعمرات الإسرائيلية والمباني الشاهقة، التي تجلب إليها الغرباء من أطراف العالم، حتى زاد عددهم على عدد سكان القدس الشرقية[81] .

د - جهود مصر في دعم القضية

تدعونا الأمانة التاريخية المجردة، لأن نسجل للرئيس محمد حسني مبارك هذه الريادة في التصدي للمحاولات العدوانية التي بذلتها السلطات الإسرائيلية لمصادرة الأراضي والممتلكات الفلسطينية في القدس، بل والاستمرار في تغيير هويتها الإسلامية . وفي الساعات الأولى أدار مبارك معركة المجابهة السياسية لهذا العدوان وفضحه، والتشهير به على مختلف الأصعدة العالمية، والتحذير بقوة من هذا العمل اللاأخلاقي الذي ترتد آثاره الخطيرة على إسرائيل نفسها، وراح مبارك يندد بقرار الفيتو الأمريكي[82].

وفي يوم ٢٥ من أكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٩٥، رفضت مصر قرار الكونجرس الأمريكي بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، وأكد السيد عمرو موسى وزير خارجية مصر، أن القرار الأمريكي يضر عملية السلام وعملية التفاوض ويتعارض معها، وعبر عن أمله في ألا يصبح موضوع القدس مسألة من قضايا الانتخابات الأمريكية[83].

وقد أكد الرئيس حسني مبارك ذلك في لقاءين متتاليين، قائلاً "إن قرار الكونجرس لا يتعلق بالدول العربية فقط، ولكن بمجمل الدول الإسلامية"، وعبر عن خشيته من أن ذلك يؤثر على عملية السلام، لأنه سيجعل أطراف العملية المختلفة، تفقد الثقة في أي اتفاق مع إسرائيل، وطالب الرئيس كلينتون بإعادة النظر في هذا القرار، خشية مما قد يترتب على ذلك في المستقبل[84].

وللأقباط في مصر دور تجدر الإشارة إليه، ففي السادس من أغسطس (آب) سنة ١٩٩٥، أعلن البابا شنودة الثالث(*) معارضته لأي إشراف دولي على مدينة القدس،

---

[81] المصدر نفسه: ٢١ أغسطس سنة ١٩٩٥.

[82] الأهرام: من يوم ٧ حتى ٢٧ من مايو (أيار) سنة ١٩٩٥.

[83] المصدر نفسه: العدد ٣٩٧٧٠ في ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٩٥.

[84] المصدر نفسه: ٣٠ أكتوبر و ٣ نوفمبر سنة ١٩٩٥.

(*) بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية.

معتبراً أن ذلك يعد تنازلاً عربياً عن حقوقهم فى المدينة المقدسة، وقال "إن فكرة التدويل يمكن أن تكون خطوة أولى لسيطرة يهودية".

ومن المعروف أن البابا شنودة رفض قيام أى قبطى مصرى بزيارة القدس، حتى يتم تحريرها من العدوان الإسرائيلى، وأكد أن هذا موقف ثابت منذ عام ١٩٦٥[٨٥].

هـ - القدس الشريف بعيون الأزهر الشريف

الأزهر الشريف وإن كان موقعه فى مصر، فإنه يمتد ببصره وبصيرته إلى جميع أنحاء العالم الإسلامى، يرصد آماله، ويتتبع مشاكله، ويعمل على تحقيق الوحدة الإسلامية فى أسمى معانيها، ويحاول جاهداً أن يذلل كل العقبات التى تحول دون تحقيقها، وهو فى ذلك يترسم خطى هائلة وهادفة، سلاحه هو الدعوة، وميدانه هو الوعظ والإرشاد، وساحته هى التأثير الفكرى فى جميع المؤمنين، ليكونوا على كلمة واحدة يلم بها الشمل، ويدفع بها المسيرة، واثقاً من نصر الله لعباده المؤمنين.

وموقف الأزهر الشريف من قضية القدس الشريف موقف أصيل، وثابت ثبوت الحق مهما تغيرت الظروف، فرؤية الأزهر الشريف للقدس الشريف، أنها مدينة عربية الأصل فى النشأة والتكوين، إسلامية الهوية فى السماحة والحكم، بهذا يأمر الإسلام، وبهذا يرضى الأزهر الشريف، ولا يرضى بغيره بديلا.

ولأنه لا مجال هنا للإفاضة والبسط، فإننا سنعرض - بإيجاز - لبعض الأمثلة التى تؤكد للقاصى والدانى، بأن موقف الأزهر الشريف أصيل ونابع من عقيدتنا الإسلامية:

- فى شهر رجب سنة ١٣٨٨ هـ / سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٦٨م، عقد المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية فى ظروف غير مسبوقة، يمثلها امتداد العدوان الصهيونى على أرض العروبة والإسلام، وانتزاع المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله من أيد مؤمنة وأمينة، وقد كان احتلال القدس العربية وانتهاك حرمات بيت المقدس، من

---

[٨٥] المصدر نفسه: ٢ أكتوبر سنة ١٩٩٥.

الموضوعات التى طرحت ليتدارسها المؤتمرون(*) ، وأعلن المؤتمر توصياته، لعل أهمها ما يأتى:

أ – أوصى بالتعاون الاقتصادى بين الدول العربية والإسلامية إلى أقصى حد، والعمل على تنسيقه بما يحقق التكامل بين الدول الإسلامية والعربية.

ب – أهاب المؤتمر بالمسلمين فى كل مكان ألا يغفلوا لحظة عن واجبهم الدينى، فى تخليص بيت المقدس وسائر الأراضى المحتلة، والحفاظ على قداسته وعروبته[٨٦].

– وفى المؤتمر الخامس الذى عقد فى ذى الحجة سنة ١٣٨٩ هـ/ فبراير (شباط) سنة ١٩٧٠م، خصصت الفترة الأولى لمعالجة جوانب العدوان الإسرائيلى على العرب فى بقعة من أكرم بقاع الإسلام، والتصدى لتحديه المتغطرس لجميع القيم والمبادئ الدولية والإنسانية، بمساندة سافرة من الولايات المتحدة، وأن الطغيان الإسرائيلى استشرى، فامتدت يده الأثيمة فأحرقت المسجد الأقصى المبارك بالقدس الشريف (فى ٢١ أغسطس / آب سنة ١٩٦٩).

واعتبر المؤتمر الخامس الذى عقد فى رحاب الأزهر الشريف، أن جريمة إحراق المسجد الأقصى تشكل فى حقيقتها قمة من قمم الصراع بين الأمة الإسلامية وقوى البغى والعدوان أعداء الإنسانية، وأشار المؤتمر إلى أن هذا العدوان يعد للانقضاض فى مراحل متتالية على باقى المقدسات الإسلامية والمسيحية معاً، ليتحقق للصهيونية حلمها الذى يؤجج شرهها ويزكى نيران أطماعها، وهو إسرائيل الكبرى.

وطالب المؤتمر فى توصياته بالعمل الجاد، والجهاد بالأقوال والأنفس، لدرء هذا الخطر الزاحف، وصون مقدسات المسلمين والمسيحيين فى فلسطين[٨٧].

– وفى المؤتمر السادس (المحرم سنة ١٣٩١ هـ/ مارس / آذار سنة ١٩٧١م)، رفض المؤتمر أى حل لا يعيد الأرض المحتلة إلى العرب، وفى مقدمتها مدينة القدس بكاملها

(*) قدم للمؤتمر ما يربو على خمسة وعشرين بحثاً، قدمها علماء المسلمين من قارات آسيا وأفريقيا وأوربا.

[٨٦] مجمع البحوث الإسلامية: قرارات وتوصيات المؤتمرات الإسلامية من الأول حتى التاسع، مطبعة الأزهر، القاهرة، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م، ص ٥٥-٥٩.

[٨٧] المصدر نفسه: ص ٧٩-٨١.

- سيادة وإدارة -، كما رفض فكرة تدويل القدس بأى صورة من الصور، واستنكر المؤتمر استمرار إسرائيل فى تغيير معالم القدس، والعدوان على آثارها الدينية والتاريخية والحضارية، ويطالب الأمم المتحدة بتنفيذ قراراتها المتعلقة بذلك، وردع إسرائيل عن المضى فى جرائمها[88] .

وبات الأزهر الشريف يطالب المجتمع الدولى بتأكيد عروبة القدس وهويتها الإسلامية، خلال المؤتمرات التى عقدها مجمع البحوث الإسلامية فى رحاب الأزهر.

- وفى المؤتمر الحادى عشر الذى عقد فى رجب سنة ١٤٠٨هـ / مارس / آذار سنة ١٩٨٨م، ألقى الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق كلمة أمام المؤتمر، أكد فيها على قدسية المسجد الأقصى، وأن الحفاظ عليه والذود عنه واجب دينى، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[89] .

وبات الأزهر الشريف يندد بالعبث الذى ترتكبه السلطات الإسرائيلية المحتلة للأراضى العربية، ويناشد المجتمع الدولى لرفع الغبن عن كواهل مسلمى القدس والأماكن المقدسة.

- ففى بيان من الأزهر الشريف[90] ، أكد الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر(الأسبق)، عقب الأحداث المؤلمة التى وقعت فى المسجد الأقصى فى ربيع الأول سنة ١٤١٠هـ / أكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٩٠م)، أن تلك الحوادث تدل على أن الإسرائيليين على مختلف مستوياتهم قد تخلوا عن الإنسانية، وأن الحكومة الإسرائيلية قد خرقت المواثيق الدولية، التى تؤكد على الحفاظ على حقوق الإنسان، واحترام دور العبادة وحمايتها، وهى بهذا العمل قد شاركت فى انتهاك حرمة المسجد الأقصى، ولم تحترم شعور مليار مسلم من كافة شعوب الأرض.

---

[88] المصدر نفسه: ص ١٢٠-١٢٥.

[89] الأزهر الشريف: المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٧٩-٨٥.

[90] الأزهر: مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر، بيان من الأزهر الشريف، فى ١٩ من ربيع الأول سنة ١٤١٠هـ / ٩ من أكتوبر سنة ١٩٩٠م.

وأهاب فضيلته بكافة المنظمات الدولية أن تضطلع بمسئوليتها تجاه هذا العدوان الأثيم، كما ناشد الشعوب الإسلامية والحكومات، أن يتخذوا موقفاً موحداً إزاء هذا العدوان على المسجد الأقصى، الذى قتل وشرد الأنفس البريئة، التى تدافع عن المقدسات والحرمات، وحث فضيلته الحكومات على أن تدعم الشعب الفلسطينى فى القدس والأرض المحتلة، وأهاب بالفلسطينيين أن يثبتوا فى مواقعهم ولا يتخلوا عن أرضهم، ولاعن مقدساتهم، ولا يوهن من عزمهم ذلك الخلل الذى بدا فى صفوف الأمة العربية والإسلامية، فلعل ما حدث فى القدس يكون دافعاً لجمع كلمة العرب والمسلمين، ووحدة صفهم للدفاع عن مقدساتهم وكافة حقوقهم.

- وفى ديسمبر (كانون أول) سنة ١٩٩٢، قامت إسرائيل بطرد أكثر من أربعمائة فلسطينى من ديارهم ووطنهم وأسرهم، وحصارهم فى العراء دون ماء أو طعام أو دواء، يلفحهم البرد القارس، ويتعرضون للتهلكة، وصدر بيان من الأزهر الشريف، يندد بهذا الإجراء الإسرائيلى الظالم، والذى أهدرت به كرامة وحقوق أولئك الذين أكرهوا على الخروج من ديارهم، وأهاب الإمام الأكبر بالمجتمع الدولى ومنظماته ومؤسساته الدينية والإنسانية بالسعى إلى دفع هذا العدوان على حقوق الإنسان، وأكد فضيلته أن الدول الإسلامية والعربية منوط بها أن تأخذ موقفاً تضامنياً حاسماً نحو هذا العدوان وغيره، مما ألم بساحات العرب والمسلمين[٩١].

- وعندما أعلنت السلطات الإسرائيلية عن مصادرتها لأرض عربية فى القدس، صدر بيان من الأزهر الشريف، وصف ذلك بأنها إجراءات خطيرة ضد مدينة القدس، ترمى إلى تفريغها من سكانها الفلسطينيين، توطئة لإحلال آخرين دخلاء على أرضها.

وأكد البيان على أن "هذه الإجراءات تشكل انتهاكاً خطيراً لاتفاق إعلان المبادئ الفلسطينى الإسرائيلى، ويناقض العملية السلمية الجارية، تنفيذاً لذلك الاتفاق، فضلاً عن أنه يتنافى مع الشرعية والأعراف الدولية وقرارات الأمم المتحدة".

واستنكر الأزهر الشريف - بجميع هيئاته - هذه الإجراءات، وناشد المجتمع الدولى الوقوف بحزم ضد أى مساس بوضع مدينة القدس العربية، والمقدسات على أرضها،

---

[٩١] المصدر نفسه: بيان من الأزهر الشريف، فى ٦ من رجب سنة ١٤١٣ هـ/ ٣٠ من ديسمبر سنة ١٩٩٢م.

وصيانة حقوق أهلها العرب، وطالب كافة الشعوب والحكومات الإسلامية وجميع المنظمات الدولية، العمل على وقف هذا العدوان على مدينة القدس ومقدساتها، بإجراءات حازمة حاسمة، تهيئ الجو لمواصلة إرساء السلام على هذه الأرض المقدسة، ومنعاً لهذا العبث الذى يعوق الاستقرار فى المنطقة العربية، ولتظل مدينة القدس كما كانت، خالصة حتى تتحقق الآمال فى وطن مستقر آمن عاصمته القدس[٩٢].

- وفى أعقاب صدور قرار الكونجرس الأمريكى، بنقل سفارة الولايات المتحدة من تل أبيب إلى القدس، صدر بيان قوى من الأزهر الشريف، مؤكداً على عروبة مدينة القدس الشريف، وهويتها الإسلامية، واستنكر بشدة ذلك القرار الأمريكى، وأشار إلى أنه "لا تزال مساعى السلام تترنح، وتصطدم بعراقيل تقيمها إسرائيل، ولا يزال الوسطاء يأملون أن يتم هذا السلام بين إسرائيل وجيرانها، حتى تصبح جاراً يعرف حقوق الجوار، ويعيش الجميع فى سلام نافع للإنسانية بوجه عام، وفى فترة الترقب والمتابعة لإنجاح عملية السلام، يتدخل فجأة الكونجرس الأمريكى بقراره بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، مع أن أمريكا تزعم أنها صديقة كل العرب، وهى أصدق فى صداقتها بإسرائيل، وبمبادرة منها تؤيدها وتدفعها لمزيد من العدوان على العرب".

وتساءل الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق فى نهاية بيانه، قائلاً "فهل تخلت أمريكا بهذا عن دعم عملية السلام، وهل أقبلت أمريكا بقوتها وقدرها فى العالم على الاستهانة بقرارات المنظمة الدولية، التى تقيم على أرضها؟!". وأضاف فضيلته متسائلاً ومستنكراً "ألا ترى أمريكا والكونجرس خاصة، أن قراره هذا يوهن من هيبة أمريكا فى العالم كله؟!، أليس هذا القرار دعوة مباشرة إلى دول أخرى، إلى الاقتداء بها فى نقل سفارتها إلى القدس، وبذلك يكون اعترافاً ظالماً متعسفاً تحمل وزره أمريكا؟!".

وأكد فضيلته أن قضية القدس هى قضية الأمة (الإسلامية)، التى يبلغ تعدادها خُمس سكان العالم، والتى تملك تحت يدها ثروات تهم الإنسانية فى علومها ومعايشها واحتياجاتها، فهى قوة مؤثرة عسكرياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً.

[٩٢] المصدر نفسه: بيان من الأزهر الشريف، فى ٨ من ذى الحجة سنة ١٤١٥ هـ / ٨ من مايو سنة ١٩٩٥م.

هذه الأمة لا تتوانى عن أن تجمع كلمتها وتصف أقدامها فى كل هذه الميادين، كما تصطف فى صلواتها خمس مرات فى اليوم ، لتدافع عن نفسها ، وهى فى وقفتها ضد قرار وسياسة أمريكا نحو القدس، ونحو فلسطين، لا تطلب حق أحد، ولا تعتدى على غيرها.

ودعا فضيلته أصحاب القضية – قضية القدس – للنهوض وترك الغفلة والصمت، وناشد منظمة المؤتمر الإسلامى وجامعة الدول العربية، بالخروج من هذا الصمت الذى قد يفسر بالرضا عما يحدث من قول أو فعل موجه إلى الأمة العربية والإسلامية، يمس الأرض والعرض والمقدسات.

كما ناشد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كافة الشعوب الإسلامية "بأن تكونوا على قدر المسئولية فى هذه القضية، ولا ترهبكم قوة، فما دعاكم الأزهر فى هذا الوقت إلى امتشاق سلاح، وإنما يدعوكم إلى أن تدافعوا عن قضاياكم المصيرية بكلمة واحدة تقولونها، وتسمعّونها للآخرين فى مواقعهم. ليعلموا أن لكم وجوداً حاضراً، وأنكم لا ترهبون المواجهة دفاعاً ونصرة لأجيالكم التى يغتال مستقبلها، وأنتم تبصرون".

ودعا الأزهر الشريف فى بيانه، جميع المنظمات الدولية أن تأخذ دورها فى إقرار السلم العام، وأن تقف فى وجه هذه المعوقات، ومثل هذا القرار الذى صدر فى وقت يتطلع فيه الجميع إلى السلام"[٩٣].

وبهذا البيان الذى جاء مؤكداً فى قوة، الدعوة إلى السلام لا الاستسلام، مستنهضاً الأمة الإسلامية فى توحيد كلمتها، لدفع الأخطار المحدقة بها. ولا نعلم – قدر علمنا – أن صدر بيان من أى جهة حكومية أو شعبية، أو أى من المؤسسات أو المنظمات الأخرى عربية كانت أو إسلامية، بمثل هذه الصراحة والثبات على الموقف، ولكنه ليس البيان وكلماته ودعوته بالشئ المستغرب من الأزهر الشريف، فهو عربى اللسان، إسلامى المنهج، وهذا هو دوره الذى يؤديه بكل عزم وإخلاص، ويقوم به الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن قناعة كاملة بأن الأزهر الشريف يستشعر نبضات الشعوب الإسلامية، ويعبر عن آمالها بصدق، ويحمل رسالته بكل إخلاص وأمانة، وفى قضية القدس الشريف سيظل

---

[٩٣] الأهرام: ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٩٥.

الأزهر الشريف راعياً لها، محافظاً على عروبتها، حارساً لهويتها الإسلامية، وأحسبه لا يرضى عن ذلك بديلا.

(١٠) خلاصة الدراسة

لقد اتضح من خلال هذه الدراسة، أن حقائق التاريخ تؤكد بما لا يدع مجالاً لأى شك، أن مدينة القدس الشريف عربية الأصل فى النشأة والتكوين، إسلامية الهوية فى الحضارة الإنسانية، ومن ثم فإن المزاعم التى يرددها الإسرائيليون، والخطط التى راحت إسرائيل تضعها لاستلاب هذه المدينة العربية الإسلامية، ما هى إلا زيف وكذب، حاولت بها خداع العالم وتضليله.

ثم، أين هذه القدس التى يتحدثون عنها؟!، إنها أورشليم التاريخية، التى بحثوا عن أى أثر لها فى منطقة القدس، فلم يجدوا لها معلماً، وخابت ظنونهم، ومع ذلك زادت ادعاءاتهم التى ليس لها من سند إلا القوة العسكرية والظروف الدولية.

لو سلمنا بما يقوله الإسرائيليون، من أن مملكة داود (عليه السلام) قامت فى إحدى مناطق القدس!!، فإن حقائق التاريخ تؤكد أنها قامت على أرض عربية أصيلة، ولم تستمر مملكة داود وابنه سليمان (عليهما السلام) أكثر من ثلاثة وسبعين عاماً، تلك هى أورشليم التى يتحدث عنها الإسرائيليون، والتى هدمها الرومان مرتين، وأزالوها من الوجود، أورشليم تلك اندثرت، ثم جاء المسلمون وفتحوا المدينة، التى لم يأخذوها من اليهود، بل أخذوها من الرومان أعداء لليهود، وكان أسمها (إيلياء)، نسبة إلى الإمبراطور الرومانى إيليا هادريان، وقد استمر حكم المسلمين فيها اثنى عشر قرناً من الزمان، حكم فيها الشام كله بما فيه فلسطين والقدس الشريف، وهذا هو اسمها منذ الفتح الإسلامى لها فى القرن السابع الميلادى، وحتى يومنا الحاضر، ثم إن المسلمين تملكوا أرضها بالطرق الشرعية، وأوقفوا أكثرها على الخير والبر والعبادة، ولم تهدم، ولم تحرق، ولم يروع سكانها، ولم يحدث فى تاريخ مدينة القدس ما يشكك فى أصولها العربية، وهويتها الإسلامية، وبات العرب هم أصحاب الحق فيها دون غيرهم، أما فى العهد الإسرائيلى القصير، فلم تعرف المدينة المقدسة والمباركة سلماً ولا أمناً.

فبأى حق – بعد هذا – يدعى الإسرائيليون اليوم أن القدس الشريف هى مدينتهم المقدسة؟!.

- إذا كان بحق التاريخ، فالتاريخ يحكم أن مدينتهم اندثرت كلية منذ ثمانية عشر قرناً.
- وإذا كان بحكم البناء، فالتاريخ يحكم أن المسلمين هم الذين بنوا، وهم الذين حافظوا وعمروا.
- وإذا كان بحكم الملكية، فالتاريخ يحكم أن المسلمين هم الممتلكون والحاكمون مدة اثنى عشر قرناً.

أما وإن كان هذا الادعاء بحكم سياسة القوى والبطش، فإن الواقع يؤكد أن دولة إسرائيل لم تحترم قط القانون الدولى، ولا التعهدات المبرمة معها، لأنها الدولة الوحيدة التى قبلت فى الأمم المتحدة، بشرط معين، وتاريخ محدد.

ففى الحادى عشر من مايو (آيار) سنة ١٩٤٩، تعهدت إسرائيل – حتى تحصل على هذا الاعتراف الرسمى – بما يلى:

أولاً : ألا تمس وضع القدس.

ثانياً: أن تسمح للعرب الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم.

ثالثا: أن تحترم الحدود المثبتة بقرار التقسيم.

بيد أن الدولة الإسرائيلية منذ إنشائها وحتى يومنا هذا تعتبر أن كل قرار للأمم المتحدة، مثل أى معاهدة، هو "قصاصة ورق"، وهذا ديفيد بن جوريون David Ben Gurion يعلن، وهو يتحدث عن قرار الأمم المتحدة بشأن التقسيم، أى عن شهادة ميلاد دولة إسرائيل ذاتها، فيقول "إن دولة إسرائيل تعتبر أن قرار الأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر (تشرين ثان) سنة ١٩٤٧، هو باطل وكأن لم يكن".

وهذا أيضاً أبا إيبان Abba Eban وزير خارجية إسرائيل فى ١٦ من يوليو (تموز) سنة ١٩٦٧، يؤكد أن "إسرائيل سوف تمضى قدماً فى إجراءات ضم القدس العربية

والقرى المحيطة بها، حتى لو صوتت جميع الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة ضد هذه الإجراءات".

وهذا أخيراً إسحق رابين يقول فى ٢٤ يونيو (حزيران) سنة ١٩٩٣ "القدس قلب الشعب اليهودى وروحه، ومن ثم فإن حكومة إسرائيل لا يمكنها التنازل فى شأن القدس الموحدة، التى ستبقى إلى الأبد تحت السيادة الإسرائيلية وعاصمتها".

وهكذا وخلال ما يقرب من خمسين عاماً (١٩٤٧-١٩٩٥)، وعبر ثلاثة نماذج متتالية من السلطات الإسرائيلية الحاكمة يتزايد الصلف، وتنمو الادعاءات والمزاعم، بالرغم من الكلام عن السلام الذى يسير على استحياء، وما نريده هو السلام القائم على الجلاء عن الأرض المحتلة، وفى مقدمتها القدس الشريف، ورفع المظالم عن عرب فلسطين، وفى مقدمتهم عرب القدس، وعندنا أن القدس هى المفتاح الحقيقى والعملى للسلام.

ولعلنا فى هذه الخلاصة نقرر عدة مبادئ، أحسبها جديرة بالاهتمام، وهى كما يلى:

أولاً : إن قضية القدس الشريف، يجب أن يضعها العالم العربى والإسلامى أمام المجتمع الدولى، بصفتها جزءاً من الأراضى المحتلة، والتى تعنى ليس فقط البلدة القديمة المحاطة بالسور، بل وتضم القرى المحيطة بها الملاصقة لها عربية الأصل، أرضاً وبشراً، بهذا المفهوم وحده تدرس وتعرض قضية القدس، وهو الحد الأدنى لمطالب العرب والمسلمين، وعلى المجتمع الدولى أن يتفهم ذلك، ولا يلقى سمعاً للمغالطات الإسرائيلية، التى تفرق بين الأرض والبشر، والتى فى مجملها لا مفاوضات حول أرض القدس، ويمكننا التباحث حول عرب القدس (*)، والقدس التى يتحدث عنها الإسرائيليون هى القدس الموحدة

(*) جاء ذلك على لسان عضو الكنيست الإسرائيلى عن حزب العمل يائيل ديان - ابنة موشى ديان - وذلك فى مؤتمر عن (القدس فى إطار عملية السلام العربية الإسرائيلية)، والذى عقد فى اليونان فى شهر مايو (أيار) سنة ١٩٩٣، الأهرام: ٢٢ مايو سنة ١٩٩٣، رسالة من مندوب الصحيفة فى اليونان.

(الكبرى)، بقطاعها العربى، بما فيه من أماكن مقدسة للمسلمين والمسيحيين، وقطاعها الغربى، الذى يضم الأحياء الإسرائيلية التى أنشأتها السلطات الحاكمة بعد عام ١٩٤٨(**).

ويجب على العالم العربى والإسلامى (حكومات وشعوباً) أن يؤكد أن القدس الشريف التى تعنيها هى مدينة القدس العربية، وهى التى ينطبق عليها القرار رقم ٢٤٢ أيضاً كأراض محتلة، وعلى عالمنا الإسلامى أيضاً أن يطرح هذا التصور ويقبله، حتى لا تبقى القدس رهينة لمخططات إسرائيلية، تعمل جاهدة على تهويدها، وعلى السلطة الفلسطينية أن تبذل قصارى جهدها فى هذا السبيل، لأن القدس ليست العاصمة السياسية والروحية لفلسطين فحسب، ولكنها أيضاً بموقعها الجغرافى الفريد الذى حباها الله به، تشكل نقطة ارتكاز هامة، ولن تتمكن أية سلطة فلسطينية من أداء واجباتها فى كيان موحد، وليس مناطق مبعثرة، بل لا معنى لدولة فلسطين المأمول قيامها بعد تحرير الأرض المحتلة بدون القدس.

وعلى السلطات الإسرائيلية – إذا أرادت السلام – أن ترضخ للقرارات التى صدرت عن هيئة الأمم المتحدة، وألا تنفرد بقرار أحادى (إسرائيلى فقط)، بضم القدس العربية، وأن تفرق بين ذلك وبين القدس، بصفتها قيمة روحية للأديان الثلاثة، ولا داعى لخلط الأوراق تدعيماً للمزاعم الإسرائيلية.

ثانياً: ونحن العرب والمسلمين نقر بأن للقدس العربية، بما تضمه من أماكن مقدسة ، لها قيمة روحية للأديان السماوية الثلاثة (إسلامية ومسيحية ويهودية).

ولكننا نرفض قيام السلطات الإسرائيلية بخلط الأوراق تدعيماً للمزاعم الإسرائيلية، وهى فى مجملها مغالطة، لا يجب السكوت عنها، لأن الإقرار بالقيمة الروحية للقدس، لا ينبغى أن يحجب – ولا أن يسبق – تسوية الجوانب المادية لقضية القدس كأرض عربية محتلة. ذلك لأن القيمة الروحية لأية مدينة، هى مجرد رمز، وأن الاهتمام الدينى بمدينة القدس، يجب ألا ينفى عروبتها، كما أكدتها حقائق التاريخ وشواهده، وعلى سبيل المثال فالناصرة هى ثانية المدن المقدسة بالنسبة للعالم المسيحى، ولا ينفى أحد عروبتها.

(**) تفصيل ذلك فى لقاء مع خليل التفكجى، الخبير الفلسطينى فى شئون الاستيطان الإسرائيلى، أجراه مندوب صحيفة الخليج التى تصدر فى دولة الإمارات العربية المتحدة، العدد ٥٨٥٩، فى أول يونيو (حزيران) سنة ١٩٩٥.

ولذا فإنه من دواعى العجب، أن نرى القوى المسيحية المؤثرة فى العالم، تحابى وتصادق وتشجع الإسرائيليين فى القدس باسم المسيحية، وقيامة السيد المسيح (عليه السلام)، بينما تراها تغض الطرف عن مأساة اغتراب المسيحيين أنفسهم فى القدس بصفة خاصة، والذين هم أصل المسيحية منذ وجودها على امتداد ما يقرب من ألفى عام.

ومن ثم فإن الحفاظ على المدينة المقدسة وآثارها الدينية، يقتضى استمرار عروبتها، فالثابت تاريخياً منذ اثنى عشر قرناً، أن وجود القدس فى أيدى العرب مسلمين ومسيحيين، قد حافظ على قداستها ومقدساتها، ووفر الأمن والأمان لشعوب الأرض فى كيفية الوصول إليها.

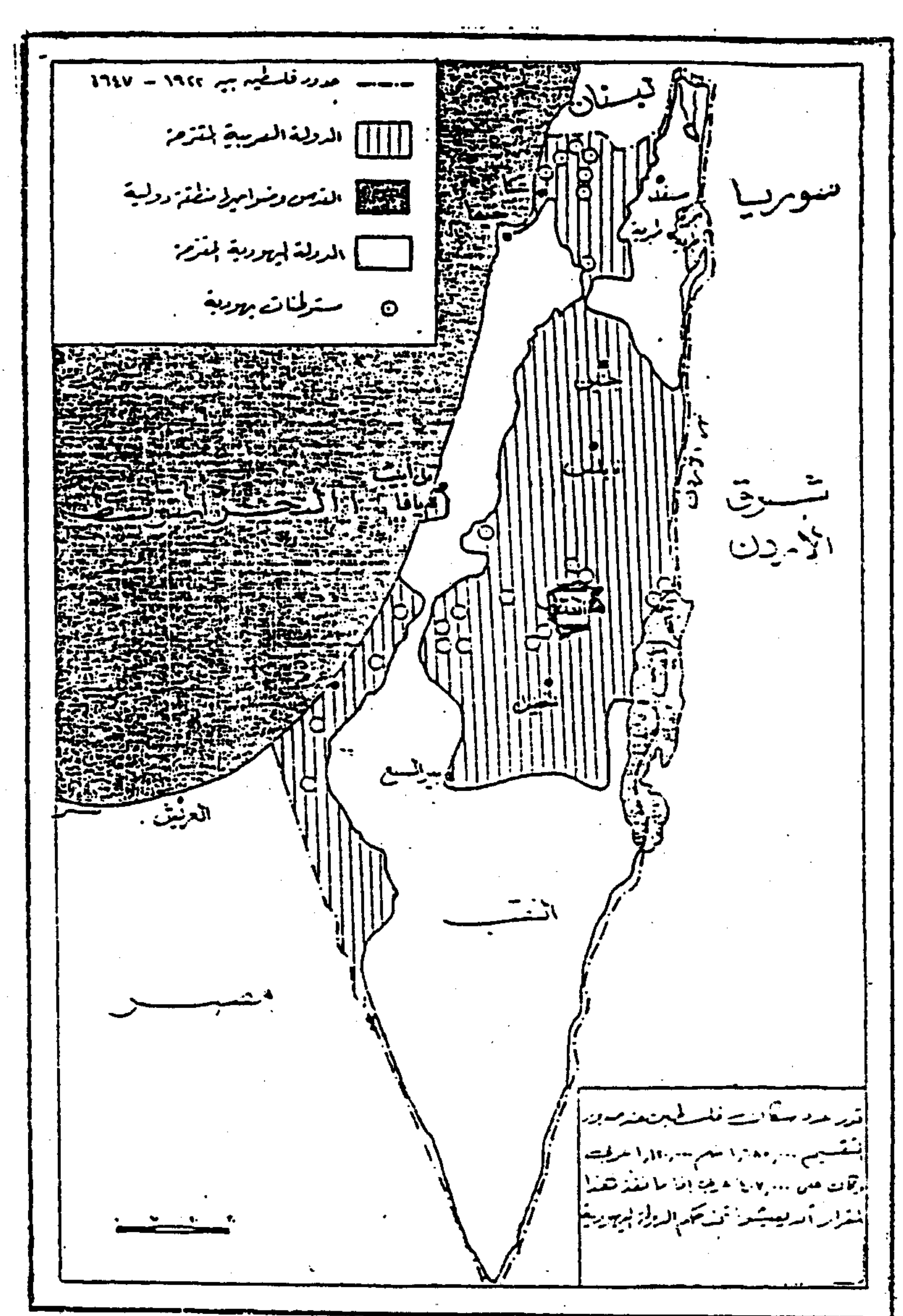
هذا ما نحب أن نؤكده فى هذا الصدد، أما ما تلوح به السلطات الإسرائيلية وزعمها الاستعداد للاحتفال بمرور ثلاثين قرناً على إنشاء مملكة داود، فإن ذلك نوع من الخداع والتضليل، بل هو مجرد ادعاءات من أجل أهداف سياسية معلومة للجميع، مهما ملأت الدنيا ضجيجاً، وبات إعلامها صريراً يصك الآذان، فالحق التاريخى واضح وضوح النهار.

ثالثا: إن العمل العربى والإسلامى المشترك هو ملاذنا الأخير، وبدونه نفقد قدرتنا على المواجهة، وتفرق بنا السبل، والقدس هى الميدان الحقيقى لهذا العمل المشترك، والعرب والمسلمون لم يفقدوا بعد كل أوراق الضغط (سياسياً واقتصادياً وحضارياً) على السلطات الإسرائيلية لتحقيق مطالب عادلة وافق عليها المجتمع الدولى وأقرتها هيئة الأمم المتحدة.

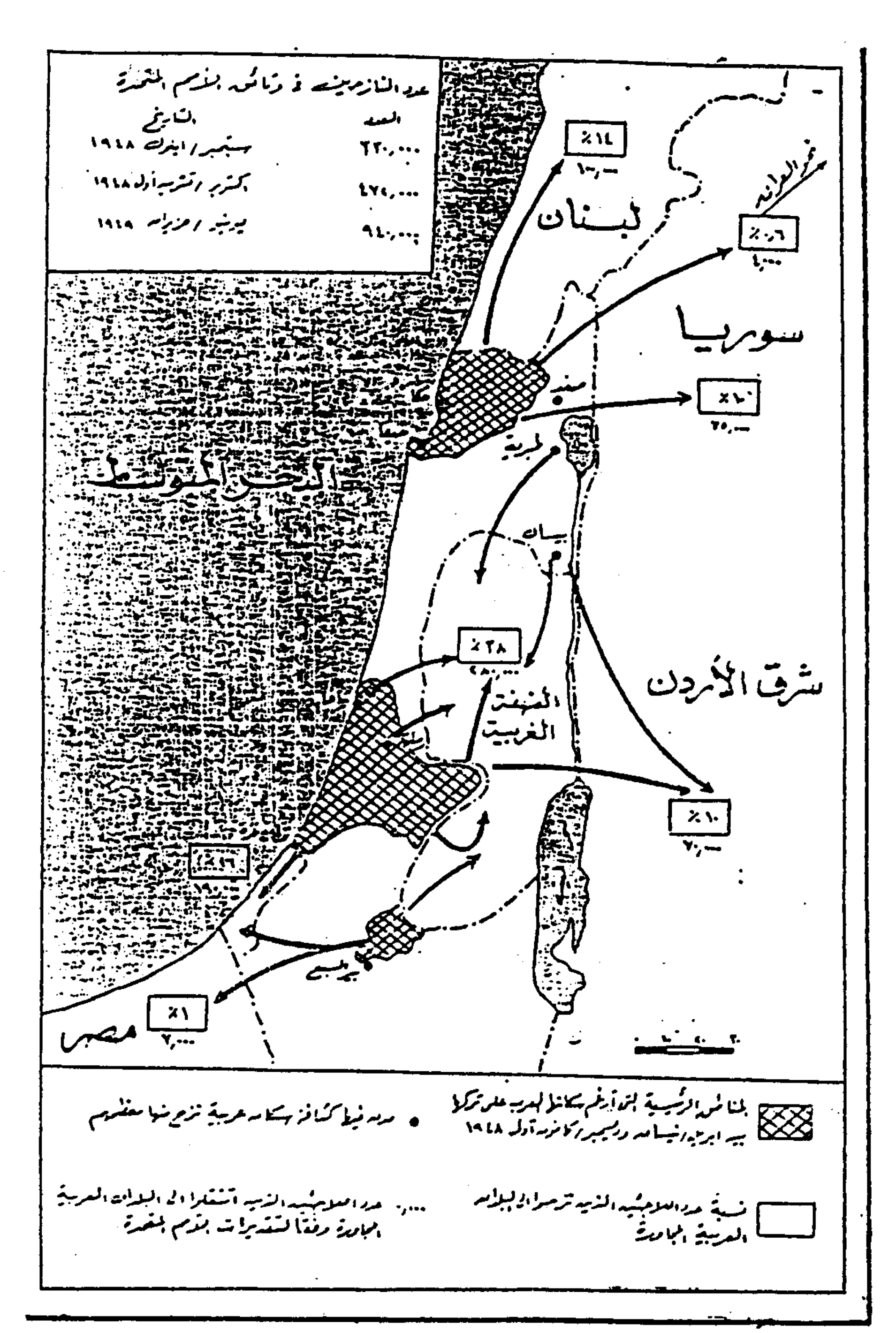
ولا ينسى العرب بأنهم يمتلكون ورقة ضغط، قلما استخدمت، وهم عرب فلسطين بالداخل، وهم سلاح حاسم وفعال فى أيدى العرب جميعاً، فهم الصابرون والصامدون، وهم أيضاً العنصر الإيجابى والفعال فى بناء دولة فلسطين.

ومن ثم يجب علينا أن ندفع هذا المجتمع العالمى للتحرك، ويطالب إسرائيل بالتخلى عن أطماعها فى الاحتفاظ ببعض الأراضى العربية، تحقيقاً للسلام الذى ينشده بنو الإنسان، وهدفنا النهائى والثابت هو تحقيق انسحاب كامل لإسرائيل من جميع الأراضى المحتلة منذ عام ١٩٦٧، وإقرار حقوق الشعب الفلسطينى فى بناء دولته بالضفة الغربية وقطاع غزة، وأن تكون القدس عاصمة لها.

وفى الختام، لعلنا نؤكد أنه لا جدوى من التباكى على الماضى، بل يجب علينا العمل من أجل الحاضر، ولذا فإن عالمنا العربى والإسلامى لابد له من ترك مرحلة الأمل إلى مرحلة العمل، ولن يتأتى ذلك إلا بأن يسارع العرب إلى تجاوز خصوماتهم وخلافاتهم، وأن يواجهوا العالم برأى واحد فى قضية القدس، ولا يبدأ طرف منهم أى خطوات أخرى للتطبيع، إلا بعد انسحابها الكامل والشامل من جميع الأراضى المحتلة، وفى مقدمتها القدس الشريف.



شكل (أ) مشروع الأمم المتحدة للتقسيم
٢٩ نوفمبر/تشرين ثاني ١٩٤٧



شكل (٢) اللاجئون العرب ١٩٤٨ – ١٩٤٩

المصادر والمراجع

أولاً : المصـــادر

(أ) باللغة العربية

١- القرآن الكريم.

٢- الأزهر الشريف: مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر، بيانات الأزهر الشريف.

٣- جامعة الدول العربية:

الإدارة السياسية، التقرير المؤقت المرفوع إلى السكرتير العام للأمم المتحدة من الوسيط الدولى لفلسطين فى ١٨ سبتمبر سنة ١٩٤٨، القاهرة، ١٩٥٠.

الأمانة العامة، نشرة بعنوان وثائق فى قضية فلسطين، القاهرة، ١٩٥٥.

منشورات مكتب الجامعة فى القدس، ١٩٦٦.

٤- مجمع البحـوث الإسـلامية: قرارات وتوصيات المؤتمرات الإسلامية من الأول حتى التاسع، مطبعة الأزهر، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.

٥- مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام: مؤتمر كامب ديفيد، دراسة توثيقية، القاهرة، ١٩٧٩.

(ب) باللغة الإنجليزية

١- وثائق الخارجية الأمريكية، فى عامى ١٩٤٧-١٩٤٨. FRUS Vol. V.

ثانياً: المراجـع

(أ) باللغة العربية

١- أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

٢- د. أحمد سوسة: العرب واليهود فى التاريخ، ط٢، دمشق، د. ت.

٣- أكرم زعيتر: القضية الفلسطينية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥.

٤- د. جورج طعمة: قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين، والصراع العربي الإسرائيلي ١٩٤٧-١٩٧٤، ط٢، بيروت، ١٩٧٥.

٥- د. حازم نسيبة: القدس في ضوء الأوضاع الراهنة، دراسة مقدمة إلى الندوة السنوية التي عقدها المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس بالاشتراك مع المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، عمان، الأردن، ١٩٩٤.

٦- د. خيرية قاسمية: النشاط الصهيوني في الشرق وصداه ١٩٠٨-١٩١٨، بيروت، ١٩٧٣.

٧- د. خيرية قاسمية: قضية القدس، بيروت، ١٩٧٩.

٨- ستيوارت، ديزموند: تيودور هرتزل، ترجمة فوزي وفاء وآخر، بيروت، ط١، ١٩٧٤.

٩- صادق جلال العظم: الصهيونية والصراع الطبقي، بيروت، ١٩٧٥.

١٠- صبري جريس: تاريخ الصهيونية، جـ١، بيروت، ١٩٧٧.

١١- د. صلاح العقاد: المشرق العربي المعاصر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٩.

١٢- د. طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، جزآن، بغداد، ٥٥-١٩٥٦.

١٣- عارف العارف: تاريخ القدس، القاهرة، ١٩٥١.

١٤- عبد الله التل: كارثة فلسطين، مذكرات عبد الله التل، قائد معركة القدس، دار القلم، القاهرة، ١٩٥٥.

١٥- د. عز الدين فودة: القدس في محيط العلاقات الدولية، سلسلة دراسات فلسطينية، العدد ٥٢، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٩.

١٦- فايز جابر، عميد ركن: الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في الأرض المحتلة، ط١، عمان، ١٩٨٧.

١٧- فلهوزن، بوليوس: تاريخ الدولة العربية، ترجمة د. محمد عبد الهادي أبوريدة، القاهرة، ١٩٥٨.

١٨- كوانت، وليم: أمريكا والعرب وإسرائيل ١٩٦٧-١٩٧٦، ترجمة عبد العظيم حماد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.

١٩- مانويل، فرانك: بين أمريكا وفلسطين، تعريب يوسف حنا، عمان، ١٩٦٧.

٢٠- د. محمد علي حله: فلسطين في جامعة الدول العربية ١٩٤٥-١٩٥٦، القاهرة، ١٩٨٨.

٢١- محمود العابدي: قدسنا، معهد البحوث العربية، القاهرة، ١٩٧٢.

٢٢- والتز، فيكتوريا ويواقيم شيشا: لقد اغتصبتمونا أرضاً، صدر باللغة الألمانية، وقام بترجمته سليم نصار، وأشرفت على إصداره منظمة إيسيسكو، الرباط، ١٩٩٣.

ثالثاً: رسائل علمية

١- محمد على حله : الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩، رسالة دكتوراه، أجيزت فى جامعة الأزهر بالقاهرة، ١٩٨١.

٢- ممدوح بن عبد العزيز آل سعود: القضية الفلسطينية ومبدأ حق تقرير المصير، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٩٨٣.

رابعاً: مراجع باللغة الإنجليزية

1. Ben Gurion, David: Rebirth and Destiny of Israel, N.Y., 1954.

2. Cattan, Henry: The Question of Jerusalem, London, 1980.

3. ESCO Foundation: Palestine, A Study of Jewish, Arab and British Policies, N.Y., 1970.

4. Eytan, Walter: The First Ten Years, N.Y., 1958.

5. McDonald, James: My Mission in Israel, 1951.

6. Montgomery, Watt: Islam and Integration of Society, London, 1961.

7. Parkes, James: A History of Jewish People, London, 1964.

خامساً: الدوريات

١- الأهرام: يومية، القاهرة، السنوات والأعداد التى سبق تسجيلها فى هوامش البحث.

٢- أكتوبر: أسبوعية، القاهرة، ١٩٨٠.

٣- البيان: يومية، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٥.

٤- آخر ساعة: أسبوعية، القاهرة، ١٩٧٤.

٥- الخليج: يومية، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٥.

٦- الدستور: يومية، الأردن، ١٩٩٤.

٧- الرأى: يومية، الأردن، ١٩٩٤.

٨- شئون فلسطينية: شهرية، يصدرها مركز الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٥.

٩- صامد (الاقتصادى): شهرية، بيروت، ١٩٨١.

١٠- العربى: شهرية، الكويت، مايو ١٩٨٢.

١١- مايو: أسبوعية، القاهرة، ١٩٨٢.

الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩ ـ ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)
مركز دراسات المستقبل ـ جامعة أسيوط

كيف نحمي القدس من أطماع إسرائيل

دكتور على عبد الحق
عميد كلية التربية ـ جامعة تعز – الجمهورية اليمنية

مكانة القدس عند المسلمين

لمدينة القدس مكانة عزيزة فى نفوس المسلمين ، فهى المدينة المقدسة الثالثة بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة . وللقدس اعتبارات تاريخية أهمها :

ـ منها أسرى بالنبى العظيم محمد عليه الصلاة والسلام ومنها عرج به إلى السموات لقوله تعالى : " **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ". سورة الإسراء آية ١

ـ ومدينة القدس تحتضن المسجد الأقصى كما تحتضن مكة بيت الله الحرام . والمسجد الأقصى هو أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال ، لما رواه أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى " ، ذلك أن الصلاة فى المسجد الأقصى تعادل فضيلة خمسمائة صلاة فى غيره من المساجد.

ـ وهى أرض مطهرة مباركة نص القرآن الكريم على ذلك بقوله تعالى "**يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم...**" سورة المائدة آية ٢١، وهى أخيراً موطن الأنبياء عليهم السلام ومهبط الوحى عليهم ، وقد أم فيها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إخوانه الأنبياء فى الصلاة ليلة الإسراء ، كما ظل الرسول والمسلمون يصلون فى اتجاه المسجد الأقصى سبعة عشر شهراً كما روى البخارى ذلك.

وتتضمن هذه الدراسة ثلاث نقاط هى : خصائص اليهود ، السلام المنشود ، ووسائل حماية القدس.

١- الخصائص النفسية والسلوكية لليهود

يتميز اليهود عن سائر الأمم بصفات سلوكية ينفردون بها ، لذلك نرى من الأهمية إبرازها ، وذلك لأن معرفة نفسية العدو الذى نتعامل معه ضرورى لتحديد الوسائل الناجحة للتعامل معه بحذر وحكمة . ونستشهد على الصفات التى يتميز بها اليهود بما وصفهم به الخالق سبحانه وهو العليم بخلقه " **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** " ،ثم نستشهد على حقيقة ذلك بما هو مُشَاهد من وقائع التاريخ القديم والحديث ، ونحن هنا لن نحصى كل ذلك ولكن نضرب مجرد أمثلة.

أولاً : صفات اليهود كما وردت فى القرآن الكريم

يتضمن القرآن الكريم كثيراً من الصفات الخاصة باليهود نذكر بعضا منها على سبيل المثال :

١- نقضهم العهود : قال تعالى "**أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم**" (سورة البقرة آية ١٠٠) ، وهذا نشاهده اليوم واقعاً ملموساً فحكومَة الليكود تتنكر لما وافقت عليه حكومة العمال.

٢- إشعال الفتن والحروب : يقول الحق سبحانه "**كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله** " (سورة المائدة آية ٦٤).

٣- الأنانية والطغيان : قال تعالى " **ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** " (سورة آل عمران آية ٧٥).

٤- النفاق : يقول تعالى " **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون** " (سورة البقرة آية ٧٦).

٥- عبادتهم للمادة : يقول تعالى " **وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل** " (سورة النساء آية ١٦١).

٦- تمردهم على الله والأنبياء وقسوة قلوبهم : يقول الله سبحانه "**فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية** " (سورة المائدة آية ١٣) . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى " **ويقتلون النبيين بغير الحق** " (سورة البقرة آية ٦١)

تلك مجرد أمثلة لما ورد عن صفات اليهود فى القرآن الكريم.

ثانياً : تصديق ما جاء به القرآن الكريم عن اليهود فى واقع الحياة

نستشهد أولاً بشهادة غير المسلمين ونكتفى بما جاء به (وليم كار) فى كتابه "أحجار على رقعة الشطرنج" حيث أوضح أن جميع الفتن التى حدثت على مدار التاريخ كان مثيرها هم اليهود ، وهو يوردها بالوقائع ، والمقام هنا لا يتسع لتفاصيلها.

كما نجد كتب السيرة النبوية حافلة بنقض اليهود لمعاهداتهم مع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يُشير مثال منها إلىٰ تحالف بنى قريظة مع المشركين فى غزوة الأحزاب ناقضين معاهدتهم مع الرسول الكريم وكذلك محاولة يهود خيبر تحريض القبائل العربية ضد المسلمين . وفيما نشاهده اليوم وما تتناقله وسائل الإعلام المختلفة من اعتداءات إسرائيلية على الفلسطينيين العزل من السلاح وبوحشية متجردة من الأصول المتعارف عليها فى الحروب والتى نص عليها الإسلام كعدم الاعتداء على الأطفال والنساء أو حرق المزروعات وهو ما نشاهده من حرق إسرائيل للمزارع وقتل الأطفال والنساء كما شاهدناه فى جنوب لبنان وفى صبرا وشاتيلا وهدم المبانى على ساكنيها ، وهو أمر واقع لا يحتاج إلى مزيد من إيضاح ، ولكن نشير إليها لمجرد إثبات للخصائص والصفات التى يتميز بها اليهود من الواقع والوقائع .

ونختم هذا بضرب أمثلة تبرز أطماع إسرائيل فى مدينة القدس عامة والمسجد الأقصى خاصة ، وهو الأمر الذى أصبح معلناً بالأقوال والأفعال :

١- قال دافيد بن جوريون رئيس أول دولة لإسرائيل : " لا معنى لإسرائيل بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل ".

٢- قال الحاخام شلوموغورين : " إن حركة رابطة الدفاع اليهودى ستخوض صراعاً حاداً من أجل استعادة الهيكل وإزالة المساجد بما فيها المسجد الأقصى ".

٣- وقال وزير الأديان اليهودى : " إنه لا يناقش أحد فى أن الهدف النهائى لنا هو إقامة الهيكل ، ولكن لم يحن الأوان بعد ، وعندما يحين الموعد لابد من حدوث زلزال يهدم المسجد الأقصى ونبنى الهيكل على أنقاضه" .

هذا من حيث الأقوال ، أما من ناحية التطبيق لهذه الأقوال فنذكر بعض الوقائع التى حدثت ضد المسجد الأقصى منها :

١- إشعال النار فى المسجد الأقصى حيث أحرق المحراب وبعض أجزاء من المسجد وذلك خلال أغسطس ١٩٦٩.

٢- عام ١٩٨٢ أطلق مجهولون من اليهود النار على المسجد الأقصى.

٣- خلال عام ١٩٨٣ منع المسلمون ستة أشخاص من اليهود يحملون المتفجرات لهدم المسجد.

٤- خلال عام ١٩٨٤ فشلت أكثر من خمس محاولات للاعتداء على حرمة المسجد وهذه حماية من الله لهذا المسجد الشريف.

٥- وأخيراً ما نقلته وكالات الأنباء عن قيام اليهود بحفر نفق تحت المسجد بحيث يسهل هدمه.

والهدف من كل ذلك هو هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل المزعوم (هيكل سليمان) مكانه ، كما تدعى حركة رابطة الدفاع اليهودى بأن الهيكل مكانه هو نفس مكان المسجد الأقصى.

٢- السلام الذى ينشده العرب والمسلمون والاستسلام الذى تنشده إسرائيل

ينشد العرب والمسلمون جميعاً السلام ، لأن السلام من صميم عقيدتهم الدينية ، ذلك أن الإسلام يدعو إلى السلام بين الأمم وهو ضد العدوان . يقول الحق سبحانه "**ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** " (سورة المائدة آية ٨٧) ومن هذا المنطلق فقد تجاوب العرب مع اتجاه تحقيق السلام الذى يحقق الرخاء لإسرائيل وللعرب الفلسطينيين وغيرهم من الدول العربية المجاورة ، ولذلك ذهبت وفود الدول العربية إلى مدريد وحتى هذه اللحظة لازالت تدعو إلى السلام العادل والشامل وتطبيق مبدأ الأرض المغتصبة مقابل السلام.

ولكن ما يلاحظ أن إسرائيل تدعو إلى السلام بالقول وتناقضه بالعمل ، فهى لا تريد أن تعيد الأرض التى احتلتها عام ١٩٦٧ ، وهى تفاوض من جهة وتبنى مزيداً من المستوطنات من جهة ثانية ، وتفرض حرباً اقتصادية على الفلسطينيين من جهة ثالثة ، كما نجدها تتنكر لالتزاماتها التى ارتبطت بها فى مدريد وهى الأرض مقابل السلام ، كما أنها لا تعير قرارات الأمم المتحدة - وما أكثرها - أى اعتبار ، وتفسر قرارات الأمم المتحدة ضدها بالتفسير الذى تراه مناسباً لها مثل تفسير قرار الانسحاب من "أرض عربية" لا من "أراضٍ عربية" .

والخلاصة التى نستنتجها من كل ذلك أن إسرائيل لا تريد السلام العادل وإنما تريد السلام الذى فى حقيقته هو الاستسلام لمطالبها غير الشرعية والعدوانية معا ، هذا ما نشاهده فى الواقع .

٣ - الوسائل العملية لمقاومة العدوان الإسرائيلى على القدس والمسجد الأقصى

بعد أن استعرضنا من الوقائع بما يقطع بعدم التزام إسرائيل بالمعاهدات التى تبرمها وأن هدفها الحقيقى هو تهويد القدس وهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل المزعوم مكانه ، فإن الأمر فى رأينا أكبر من ذلك فالهدف هو الاستيلاء على ما يعتقده اليهود مملكة إسرائيل الكبرى وما تضمنته بروتوكولات حكماء صهيون وهى "من الفرات إلى النيل

مملكة إسرائيل" وكذلك الاستيلاء على منابع النفط فـى الجزيـرة العربيـة بحجـة أن قبـائلهم القديمة سبق أن سكنت فى الجزيرة وهى بنو النضير وبنو قينقاع ، وأن إسـرائيل تريـد أن تحقق هذه الأهداف ولكن بالتدريج.

ولدرء هذه الأخطـار المحدقـة بـالعرب يجب علـى العـرب والمسلمين حمايـة كيـانهم والوقوف بصدق مع النفس والواقع لحماية القدس حالياً وبقية الأراضى العربية المسـتهدفة لاحقاً .

ومن أهم الوسائل التى نقترحها لردع العدوان الإسرائيلى وحماية المقدسات الإسلامية بفلسطين ما يلى :

أولاً : استخدام سلاح المقاطعة الاقتصادية للسلع الإسرائيلية وللشركات التى تدعم إسرائيل وتتعامل معها ، وقد ثبت مفعول هذا السـلاح . ولا أدل علـى ذلـك مـن أن رفـع المقاطعـة كانت من أولى المطالب التى طالبت بها إسرائيل لتطبيع العلاقات معها ، حيث إنهـا تريـد غزو الأسواق العربية بسلعها الوفيرة.

ثانياً : إيقاف عملية التطبيع وتجميد ما تم منها من قِبَل بعض الدول العربية التى سـارعت إليها ، وربط ذلـك بـالتزام إسـرائيل بتعهداتهـا وتطبيقهـا اتفاقيـات السـلام وقـرارات الأمـم المتحدة ، ذلك أن التطبيع بدون مقابل يعتبر بمثابة تقديم أوراق المساومة مسبقاً ، والكاسب فى هذه الحالة هى إسرائيل.

ثالثاً : وضع الدول العربيـة معـاهدة الدفـاع العربـى المشـترك فـى قمـة أولوياتهـا ، وهـذا يتضمن قيام صناعات عسكرية مشتركة ، ذلك أن السلاح هـو الـذى يحمـى السـلام. وهنـا ندرك حكمة الله عز وجل حيث يدعو للسلام من جهـة ويدعـو لحمايتـه بالاستعداد بـالعدة والعتاد من جهة ثانية. يقول تعالى : " **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها** " ويقول سبحانه "**وأعدوا لهم ما استطعتم من قـوة ومن ربـاط الخيـل ترهبـون بـه عدو الله وعدوكم**" . فإسـرائيل لا توقف أطماعها إلا إذا رأت فعلاً أن الـدول العربيـة والإسـلامية متوحـدة الموقـف مستعدة للدفاع عن مقدساتها وعن كيانها.

رابعاً : دعم الانتفاضة وحركة حماس والقضاء على مخطط إسرائيل بضرب الفلسطينيين بعضهم بعضاً حتى يخلو لها الجو لفرض إرادتها على الجميع وهو تشريد الفلسطينيين وإقامة المزيد من المستوطنات.

خامساً : اعتبار موضوع حماية القدس والمسجد الأقصى مسألة تهم العرب والمسلمين جميعاً ، ولذلك نرى إثارة هذه القضية على المستويين الرسمى والدولى بتنسيق مواقف الدول العربية والإسلامية ، وكذلك على المستوى الشعبى عن طريق قيام الاتحادات العربية المؤثرة كاتحاد العمال العرب لمقاطعة الشركات التى تدعم إسرائيل ، واتحاد المحامين والمعلمين وغيرهم من الاتحادات ، فتضم الجهود الرسمية والشعبية معاً لأن الخطر محدق بالجميع .

سادساً : اتخاذ الدول العربية موقفاً موحداً إزاء مخطط إسرائيل تجاه البحر الأحمر ، ذلك أنه لا يخفى على أحد أن لا مصلحة لإريتريا فى احتلالها لجزر حنيش اليمنية ، وليست لديها الإمكانيات لهذا الاحتلال وهى دولة ناشئة حديثاً. والواقع أن إسرائيل تتحرك تحت الستار الإريترى إذ تضع يدها على الموقع الحساس الذى يمكن استخدامه كوسيلة ضغط شديدة على دول أوروبا والخليج وإيران وتدعم أمريكا هذا الاتجاه لأن ذلك يعطيها موطئ قدم فى منطقة نفوذ فرنسية.

إن اليمن وقد أدركت خطة إسرائيل الجهنمية فى إشعال الحرب بينها وبين إريتريا لتحصد هى نتائج هذه الحرب ، فقد تذرعت بالحكمة وطلبت تحكيم القانون الدولى. إلا أن هذا الموقف يتطلب دعم ومؤازرة الدول العربية خاصة المطلة على البحر الأحمر لأن الخطر يهدد الجميع.

سابعاً : وأخيراً إننا نستبشر باجتماع القادة العرب فى القاهرة أخيراً بعد افتراق طويل ، فإننا نأمل أن تظل روح ذلك الاجتماع متوقدة وأن يدرك القادة العرب مسئوليتهم التاريخية التى يتحملون أمانتها أمام الأجيال القادمة ، ونقترح فى هذا الصدد وضع إستراتيجية عربية للمحافظة على المقدسات فى فلسطين وبقية الأراضى العربية المحتلة ، فوحدة الهدف والتخطيط لتحقيقه أمران هامان لمقاومة إستراتيجية العدو الذى تستهدف مقدساتنا

وأوطاننا كلها . وإن من أسباب القوة بجانب العامل السياسي هو تنفيذ قرارات مؤتمر قمة عمان الاقتصادى عام ١٩٨١ وذلك بإقامة المشروعات العربية المشتركة ، وتسهيل تبادل السلع بين الدول العربية ، ذلك أن العالم العربى يزخر بالثروات البشرية والزراعية والنفطية وهى العوامل اللازمة للتنمية والتقدم وما ينقصنا هو تنسيق المواقف وصدق العزيمة . ونأمل أن تكون أطماع إسرائيل وتهديداتها لنا جميعاً خير حافز لنا لإيجاد سوق عربية مشتركة أسوة بما قامت به أوروبا فى هذا المجال رغم أن ظروفنا العربية وتقاربنا الجغرافى واللغوى والتاريخى والدينى يؤهلنا لذلك أكثر منها. إن قوة الموقف الاقتصادى يدعم الموقف السياسى أمام إسرائيل وغيرها من الدول التى تفرض علينا شروطها وتضعنا فى موقف الذليل العاجز.

الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩-٣٠ أكتوبر ١٩٩٦)
مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

دعوة لإعداد ثبت "ببليوجرافيا" عن هوية القدس العربية الإسلامية

دكتور محمد نصر مهنا
أستاذ العلوم السياسية - كلية التجارة - جامعة أسيوط

مقدمة

من الثابت أن العلماء العرب فى مختلف فروع العلوم الاجتماعية يواصلون جهودهم الرائدة لإبراز الهوية العربية والإسلامية لمدينة القدس ، سواء تعلق ذلك بالفترة التى أعقبت نكبة عام ١٩٤٨ وحتى هزيمة يونيو ١٩٦٧ أو الفترة اللاحقة حيث قدم الشعب الفلسطينى الكثير من التضحيات فى معارك غير متكافئة فيما يتعلق بالمشكلة الفلسطينية عموما ، والقدس على وجه الخصوص ولم ينس الشعب الفلسطينى حقوقه المشروعة ، ولم يترك وسيلة إلا اتبعها لتأكيد هذه الحقوق.

إن التأكيد على الحفاظ على عروبة القدس ومكانتها فى الحضارة الإنسانية هو الشغل الشاغل لأساتذة الجامعات العربية والإسلامية ، فمكانة القدس وتأثيرها فى النفوس أمر غير مطروح للنقاش . وفى هذا الإطار قدم الباحثون الكثير من الإنتاج العلمى.

وقد كتب الباحثون متعددو التخصصات Multidisciplened ودققوا فى كثير من التفاصيل والفروع التى تفرضها قضية القدس وامتدت هذه الكتابات فاحصة ممحصة انطلاقا من مبدأ التكامل المنهجى الذى يتطلبه البحث العلمى. وسواء تعلق الأمر بالمؤرخين المحدثين والمعاصرين أو علماء السياسة العرب والمسلمين أو أساتذة القانون الدولى أو الباحثين فى الإنسانيات ، فإن الجميع قد ساهموا فى مواجهة المشكلات التى تحيط بالقدس.

مراجع مختارة عن عروبة القدس

سوف استعرض أسماء "عينة " من هؤلاء الباحثين المحدثين الذين نهضوا بهذا العبء الضخم وقاموا به خير قيام – جزاهم الله جميعا خير الجزاء – لما بذلوه تجاه التأكيد على عروبة القدس. وهذه العينة من الباحثين هم من رجعت إليهم فى العديد من البحوث بشأن منزلة القدس فى نفوس العرب والمسلمين :

- عارف العارف ، مكتبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ – ١٩٥٥ ، بيروت ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ١٩٦٢.
- عارف العارف ، تاريخ القدس ، دار المعارف ، ١٩٥١.
- محمود العابدى ، قدسنا ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٣.
- عبد الله التل ، كارثة فلسطين ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٥٩.
- اسحق موسى الحسينى ، أوراق فى القضية الفلسطينية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٧.
- حامد سلطان ، المشكلات القانونية المتفرعة عن قضية فلسطين ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧.
- محمد حافظ غانم ، المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولى ، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ، ١٩٦٥.
- محمد طلعت الغنيمى ، قضية فلسطين أمام القانون الدولى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٦١.
- أحمد فراج طايع ، صفحات مطوية عن فلسطين ، دار مطابع الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ إصدار.
- ملف وثائق فلسطين ، مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية ، الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ، ١٩٧١.
- عز الدين فودة ، قضية القدس فى محيط العلاقات الدولية ، مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٩.
- إبراهيم أبو لغد ، (محرر) تهويد فلسطين ، ترجمة أسعد رزوق ، مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٢.

- إبراهيم العابد ، دليل القضية الفلسطينية ، أسئلة وأجوبة ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٩.
- أحمد بهاء الدين ، اقتراح دولة فلسطين وما دار حوله من مناقشات ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٨.
- أحمد الشقيرى ، على طريق الهزيمة ......، دار العودة بيروت ، ١٩٧١.
- أسعد رزوق ، إسرائيل الكبرى ، دراسة فى الفكر التوسعى الصهيونى ، مركز الأبحاث ، م. ت. ف ، بيروت ، ١٩٦٨.
- أكرم زعيتر ، القضية الفلسطينية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٥.
- أميل توما ، جذور القضية الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، م. ت. ف ، بيروت ، ١٩٧٣.
- أنيس صايغ ، بلدانية فلسطين المحتلة ١٩٤٨ - ١٩٦٧ ، مركز الأبحاث ، م. ت. ف ، بيروت ، ١٩٧٣.
- أنيس صايغ ، فلسطين والقومية العربية ، مركز الأبحاث ، م. ت. ف ، بيروت ، ١٩٦٦.
- الملك حسين ، حربنا مع إسرائيل ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٦٨.
- خيرى حماد ، التطورات الأخيرة فى قضية فلسطين ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤.
- روحي الخطيب ، تهويد القدس ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٧٠.
- ساطع الحصرى ، أبحاث فى القومية العربية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤.
- سامى حكيم ، طريق النكبة ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٩.
- سامى هداوى ، قضية فلسطين فى الأمم المتحدة ، دار مطابع الشعب ، ١٩٦٥.
- سامى هداوى ، ملف القضية الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، م. ت. ف، بيروت ، ١٩٦٨.
- شفيق الرشيدات ، فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ، بدون تاريخ إصدار.
- شفيق الرشيدات ، القضية الفلسطينية والقانون الدولى ، اتحاد المحامين العرب ، القاهرة ، ١٩٧٠.

- صالح مسعود بويصير ، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٩.
- صبرى جريس ، العرب فى إسرائيل ، مركز الأبحاث ، م . ت . ف ، بيروت ، ١٩٦٧.
- صلاح العقاد ، قضية فلسطين ، المرحلة الحرجة ١٩٤٥- ١٩٥٦ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨.
- عادل حسن غنيم ، الحركة الوطنية الفلسطينية ، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ ، مكتبة الآداب ، جامعة القاهرة .
- عودة بطرس عودة ، القضية الفلسطينية فى الواقع العربى ، المطبعة الفنية الحديثة ، ١٩٧٠.
- محمد أنيس ، تاريخ القضية الفلسطينية ، مطبعة جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٢.
- محمد رفعت ، قضية فلسطين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧.
- محمد عزة دروزة ، القضية الفلسطينية فى مختلف مراحلها ، المطبعة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٠.
- نجيب صدقة ، قضية فلسطين ، دار الكتاب ، بيروت ، ١٩٦٤.
- هشام شرابى ، المقاومة الفلسطينية فى وجه أمريكا وإسرائيل ، ترجمة أنعام رعد ، دار النهار ، بيروت ١٩٧٠.
- يعقوب خورى ، حقوق الإنسان فى فلسطين المحتلة ، مركز الأبحاث ، م. ت. ف ، بيروت ، ١٩٦٨ (حقائق وأرقام ١٥).

الخطوط الرئيسية لأوضاع القدس

أولا : ظهرت فكرة تدويل القدس مع مشروع قرار تقسيم فلسطين ، وفى ذلك الحين أعلنت الصهيونية عن موافقتها على المشروع ككل ، متظاهرة بقبوله معولة إما على رفض العرب أو استخدام القوة . وعندما نشب القتال بين الطرفين المتنازعين لم يتوقع من كل منهما أن يكوى القدس بنيران الحرب . وقد عمد الصهاينة إلى التصريح تدريجيا بنيتهم فى التمسك بالقدس سواء أعطيت للعرب أو تم تدويلها ، وقد رفض الملك عبد الله تدويل القدس وطلب من جيشه المتمركز فيها أن يقاتل فى سبيل عروبة القدس . وعندما

انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين في ١٥ مايو عام ١٩٤٨ ، حاول اليهود الاستيلاء على القدس القديمة بتطويقها بقوات هائلة والهجوم عليها من الجهات الثلاث ، ولكن المناضلين العرب جنود الجيش الأردني صدوا الهجوم ، ويذكر عبد الله التل أن المناضلين العرب وجنود الجيش الأردني قد أسروا يوم ٢٧/ ١٩٤٨/٥ عددا كبيرا ممن كانوا في حارة اليهود ، ولكنهم سلموهم بالحسنى للصليب الأحمر وساقوا الجنود الأسرى إلى عمان وكان عددهم حوالي ٣٥٠ أسيرا ظلوا فيها حتى جرى تبادل الأسرى ، واكتشف بعد ذلك أن بعض محاربي اليهود اختفوا في داخل كنيسة وظهروا فجأة وأخذوا بإطلاق النار . وقد استطاع الصليب الأحمر اعتبار مدينة القدس القديمة كأنها مستشفى ، وفي مشروعه الأول المنشور في نهاية يونيو ١٩٤٨ اقترح برنادوت وضع المدينة في المنطقة العربية مع منح اليهود المقيمين فيها بعض حقوق الحكم المحلي ، وكانت حجة برنادوت هي أن مدينة القدس محاطة من جميع الجهات بمناطق عربية. وعموما ، فقد ساد مبدأ الأمر الواقع في مدينة القدس حيث استولى الملك عبد الله على المدينة القديمة ، ومنذ ذلك الوقت استقل كل فريق بإدارة المنطقة التي دخلت في حوزته وفصلت أحياء المدينة العربية عن اليهودية بالأسلاك الشائكة.

ثانيا : تذكر بعض المصادر أن الملك عبد الله كان يتطلع إلى أن يعلن نفسه ملكا في القدس بعد إكمال الاستيلاء عليها ، ولكن أجبرته المقاومة العنيدة التي اصطدم بها في القسم اليهودي على الاكتفاء بالمدينة القديمة ، وفي بداية الأمر استاءت إسرائيل لضم القسم العربي إلى الأردن ، وقد كانت الطوائف الدينية الغربية من أكثر الفئات تحمسا لفكرة تدويل القدس ، فبعث الفرنسسكان إلى البابا بتاريخ ٢٨ مايو يذكرون أنهم في سبيل تكوين ميليشيا أو حرس وطني للأماكن المسيحية ، وكانت فرنسا قبل ذلك قد فكرت في إقامة مثل هذا الحرس. ومن المدهش أن يتفق الاتحاد السوفيتي السابق مع دول أمريكا اللاتينية والغرب على مبدأ التدويل في الأمم المتحدة غير أن البواعث تختلف لدى كل فريق ، ولم يكن الأردن قد انضم بعد إلى الأمم المتحدة ، لذا فإن الملك عبد الله اتخذ الإجراءات الرامية إلى ضم القدس القديمة بالتدريج . وبناء على ما جاء بقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٤٧ الخاص بتدويل القدس فقد كلفت لجنة من قبل الأمم المتحدة لوضع دستور لمنطقة القدس تنص في مقدمته على سلامتها كوحدة مستقلة وتجريدها من السلاح وتقوم الأمم المتحدة بتعيين الحاكم لمدة ٣ سنوات من غير العرب

واليهود ويكون مسئولا أمام مجلس الوصاية ويتولى السلطة التشريعية فى المنطقة الدولية مجلس من أربعين عضوا ، ١٨ منهم ينتخبهم العرب ، ١٨ من اليهود ، ٤ من الطوائف الأخرى من سكان المدينة ، وللمدينة نظام قضائى مستقل ، ومن الناحية الاقتصادية تتبع مدينة القدس الاتحاد الذى كان من المفروض إقامته من الدولتين : العربية واليهودية . وقد أغفلت مسودة الدستور تحت وطأة التقسيم الفعلى الناتج من الأمر الواقع حول نظام التدويل فى الدورة الخامسة للجمعية العامة ، فتقرر أن يكون المندوب السامى للأمم المتحدة مختصا أساسا برقابة الأماكن المقدسة وحرية الوصول إليها وتنفيذ مبدأ تجريد القدس من السلاح وتأييد حقوق الأفراد والجماعات الدينية ، ومع احتفاظ كل فريق بجنسيته فقد أوصت الجمعية العامة فى قرارها الثانى بإقامة مجالس مشتركة بين العرب واليهود لتأمين ازدهار المدينة ، ويتكون هذا المجلس من ١٤ عضوا - خمسة عن كل فريق بالإضافة إلى أربعة أعضاء تعينهم الأمم المتحدة ، كذلك تنشأ محكمة مختلطة للفصل فى القضايا التى تقع بين رعايا جنسيتين من سكان المدينة.

ثالثا : نلاحظ اختلاف نظام التدويل الذى أقرته الجمعية العامة فى عام ١٩٤٧ عن القرار الثانى الذى أوصت به لجنة التوفيق ووافقت عليه الجمعية العامة فى عام ١٩٤٩ ، فالقرار الأول يجعل من المدينة وحدة سياسية منفصلة ذات جنسية خاصة ، أما القرار الثانى فيدعو إلى إقامة أجهزة دولية مع الاعتراف بوجود جنسيتين أردنية وإسرائيلية للسكان وترك نوع من الاستقلال المحلى لكل منهما مراعاة لوجود هذه الأجهزة الدولية ، كذلك فإن إسرائيل قد استولت بسبب الحرب على الجزء الغربى والأكبر من مدينة القدس واستولت الأردن على الجزء الشرقى والأصغر حجما ولكنه يحوى معظم الأماكن المقدسة، ولم يشر فى اتفاقية الهدنة بين إسرائيل والأردن إلى مسألة تدويل القدس ، ولكن الاتجاه داخل وخارج الأمم المتحدة كان يرمى إلى تدويل القدس من جانب الدول الكاثوليكية والدول الأرثوذكسية. وإزاء الضغط الدولى المتزايد اضطرت الجمعية العامة إلى إصدار القرار رقم ١٩٤ فى ١١ ديسمبر عام ١٩٤٨ تؤكد فيه قرارها السابق بالتدويل ، ولكن اليهود بالرغم من أنهم قد سبق وقبلوا هذا القرار لعدم رغبتهم فى إثارة الشعور العالمى ضدهم عادوا وأعلنوا أن إسرائيل هى صاحبة الحق الأول فى المدينة المقدسة وأنها قادرة على حماية الأماكن المقدسة . وبالرغم من اعتراض الدول العربية وجامعة الدول العربية ورفعها هذا الاعتراض إلى الأمم المتحدة إلا أن إسرائيل بدأت فى

تحويل مصالحها الحكومية إلى القدس ، وقد ظل الوضع على ما هو عليه فى القدس وفشلت الأمم المتحدة فى تطبيق مبدأ التدويل وأعلنت إسرائيل أن القدس هى عاصمة رسمية ونقلت إليها معظم مصالحها الحكومية ووزارة الخارجية الإسرائيلية وباشر الكنيست الاسرائيلى جلساته بالقدس وقد أعلنت الجامعة العربية أن الموقف يدعو إلى عمل عربى مشترك وأن ذلك يعتبر عدوانا من إسرائيل ووقف الأمر عند هذا الحد غير أن الدول الكبرى بدون استثناء احتفظت بسفاراتها فى تل أبيب .

رابعا : منذ يونيو ١٩٦٧ كان الاهتمام الرئيسى للحكومة الإسرائيلية يتجه نحو التأكيد على ادعاءاتها فى السيطرة على القدس العربية سيطرة دائمة وتامة ، فقد تعرضت المدينة لأعمال القتل والاعتقال والتدمير والنهب مما أدى إلى نزوح حوالى خمسة آلاف من المدنيين معظمهم من اللاجئين الفلسطينيين سابقا ، وكان الإجراء الثانى لتسهيل عملية تهويد القدس هو سلسلة من أعمال الهدم ونسف الأملاك العربية داخل السور وخارجه بدأت فى ١٩٦٧/٦/١١ – أى بعد الاحتلال بأربعة أيام فقط – وفى أقل من أسبوع أزيل من الوجود العربى ١٣٥ دارا فى حى المغاربة يسكنها ٦٥٠ شخصا ، ومسجدان فى ذات الحى ، ومصنع للبلاستيك قرب حى الأرمن كان يعمل فيه ٢٠٠ عامل وعاملة ، يضاف إلى ذلك ما يقرب من ٢٠٠ منزل فى المناطق الحرام ، كما نسف الجيش الاسرائيلى ١٤ دارا بحجة الانتقام من أعمال المقاومة ، ١٤ دارا بحجة توسيع وكشف امتداد الحائط الغربى للحرم الشريف الذى يسمونه المبكى ، وكان من نتيجة الهدم والتدمير والنسف تشريد ما يقرب من ألف شخص آخرين من سكان القدس.

وقد وضح أن الهدف هو تهويد القدس تماما ، لكن المتطلبات التكتيكية لتحقيقه تنوعت ، فقد أرسى الإطار القانونى والإدارى للسياسة الإسرائيلية فى يومى ٢٧، ٢٨ يونيو ١٩٦٧– أى بعد مرور ثلاثة أسابيع تقريبا على قيام القوات الإسرائيلية بعبور خطوط الهدنة إلى القدس – ففى ٢٧ يونيو أصدر الكنيست قانونا على شكل إضافة فقرة إلى قانون إسرائيلى اسمه "قانون الإدارة بالنظام لسنة ١٩٤٨" وقد خولت تلك الفقرة حكومة إسرائيل ضم القدس إلى أرض إسرائيل وتخويل وزير الداخلية صلاحية إعلان التوسع فى الحدود البلدية ، وتطبيق السياسة القانونية والإدارية التى يسرى مفعولها فى إسرائيل نفسها على أقسام معينة من المناطق المحتلة ، وفى اليوم التالى بادر وزير

الداخلية إلى اتخاذ مثل هذه الخطوة بالنسبة للقدس العربية والمناطق المحيطة بها مما أدى إلى دمجها تحت إدارة محافظ المدينة اليهودية وقتئذ تيدى كوليك.

خامسا : فى نفس اليوم (٢٨ يونيو ١٩٦٧) أصدر سكرتير حكومة إسرائيل أمرا أطلق عليه (أمر القانون والنظام رقم واحد لسنة ١٩٦٧) أعلن فيه أن مساحة أرض إسرائيل المشمولة فى الجدول الملحق وبالأمر هى خاضعة لقانون قضاء وإدارة الدولة الإسرائيلية، ويضم هذا الجدول منطقة تنظيم أمانة مدينة القدس التى تقع تحت الحكم الإدارى الغربى وهى تقع ما بين المطار وقرية قلندية شمالا وحدود الهدنة غربا وقرى صور باهت وبيت صفافا جنوبا ، وقرى الطور العيسوية وعنانا والرام شرقا ويقطنها حوالى مائة ألف من السكان العرب . وفى اليوم التالى أصدر جيش الدفاع الاسرائيلى أمرا يقضى بحل مجلس أمانة القدس العربى المنتخب من سكان القدس وبطرد أمين القدس السيد روحى الخطيب من عمله وبإلحاق موظفى وعمال أمانة المجلس ببلدية القسم المحتل من المدينة . وقد نفذت السلطات العسكرية الإسرائيلية المحتلة هذه القرارات والأوامر بشدة، فاستولت على جميع ممتلكات الحكومة الأردنية وأثاثها وأجهزتها وسجلاتها وألحقتها بدوائرها ومحاكمها وبلديتها الإسرائيلية وألغت جميع القوانين والأنظمة الأردنية واستعاضت عنها بالقوانين والأنظمة الإسرائيلية وفرضت بالقوة جهازا عسكريا إسرائيليا وأخضعت جميع السكان العرب لسلطته وجبروته.

سادسا : اعترض عرب القدس وعرب الضفة الغربية والحكومة الأردنية على هذه الإجراءات التى هى من طرف واحد ، وأشارت الحكومة الأردنية إلى أنه بموجب القانون الدولى للحروب والذى عبر عنه ميثاق لاهاى فى ١٩٠٧ ينبغى لسلطات الاحتلال أن تلتزم بالحفاظ على التركيب القانونى والإدارى القائم فى المناطق المحتلة ، وهذا ما فعلته إسرائيل فى المناطق الأخرى من الضفة الغربية - وأيدت الجمعية العامة للأمم المتحدة وجهة نظر الأردن فى قرارين جرى اتخاذهما دون معارضة فى يومى ٤، ١٤ يوليو ١٩٦٧ على التوالى واعتبرت جميع إجراءات إسرائيل باطلة وطالبتها بإلغائها والعدول فورا عن اتخاذ أى عمل من شأنه تغيير الوضع القانونى للقدس من جانب واحد. وقد أجابت إسرائيل بالصلف والتحدى فلم تقتصر على الاستمرار فى اتخاذ خطوات إدماج القدس بشكل تام ونهائى بل أعلنت صراحة أنها لا تنوى الإصغاء إلى أى نداء للضمير العالمى ، وحتى قبل صدور قرارات الأمم المتحدة أعلن أبا ايبان وزير الخارجية

الإسرائيلية فى حديث مع صحيفة جيروزالم بوست أنه حتى لو صوت ١٢١ عضوا من أعضاء الأمم المتحدة على انسحاب إسرائيل إلى خطوط ما قبل الحرب فإن إسرائيل سترفض ذلك القرار . وبالفعل فقد سارعت السلطات الإسرائيلية إلى تطبيق قانون أموال الغائبين العرب على القسم المحتل الجديد ، وفتحت فيما بعد مكاتب حكومية لها بالقدس وباشرت بتسجيل جميع الأموال المنقولة وغير المنقولة التى تخص هؤلاء الغائبين وبموجب هذه العملية الجديدة وضعت سلطات إسرائيل يدها على مساحات واسعة مما تبقى لعرب القدس من أراضٍ وأملاك ، كما حجزت ما وصل إلى علمها من أموال منقولة وأسهم شركات تخص أولئك الغائبين وتحول كل ذلك إلى أملاك يهودية أو واقعة تحت تصرف إسرائيل . كذلك سارعت سلطات الاحتلال بوضع أيديها فيما بعد على جميع المدارس الحكومية وأعلنت اختصاصها لبرامج التعليم والمطبقة فى المدارس العربية فى المنطقة المحتلة منذ عام ١٩٤٨، وقد رفض مدير التربية ومساعدوه والجهاز التعليمى التعاون مع السلطات الإسرائيلية لأنهم كانوا يرون فى تنفيذ برامج التعليم الإسرائيلية تفسيرا لقبولهم عملية ضم القدس لإسرائيل ، وكان رد سلطات الاحتلال الإسرائيلية هو اعتقال المدير ومساعديه وسجن كل منهم ثلاثة أشهر . ولإحكام عملية الضم والتهويد أقامت سلطات الاحتلال منذ الأيام الأولى لهذا الاحتلال عددا من مراكز الحدود العسكرية والبوليسية والجمركية على الطرق والمنافذ التى تربط بين القدس والمدن والقرى العربية الملاصقة لها واعتبرت القدس منطقة أجنبية بالنسبة لتلك المدن والقرى ، يقتضى الوصول إليها والخروج منها الحصول على تصريح عسكرى.

سابعا : قامت السلطات الإسرائيلية فيما بعد بتهويد الاقتصاد والقضاء ، وعمل هويات إسرائيلية بدلا من الهويات العربية للسكان العرب ، وأقدمت السلطات الإسرائيلية على استخدام المقبرة الإسلامية فى عين كارم كمرحاض . ومن الغريب أن الإسرائيليين قد بذلوا جهدا عظيما لتغليف صيغة عملهم بعبارات فنية تختلف عن عبارات الضم الصريح، على أن النتيجة العملية لم تتبدل فعلا فقد تحاشوا استخدام ألفاظ من طراز (الضم) و (الامتداد الإقليمى) و(السيادة) وتحدثوا فى البديل عن (إعادة توحيد المدينة) وعن توسيع نطاق الصلاحيات الإدارية لمحافظة المدينة الإسرائيلية أى القدس الشرقية . ومن جهة أخرى ، أرادت إسرائيل أن تتجنب الوقوع فى وضع الانتهاك الصريح والمباشر للقانون الدولى ، فلم ترغب فى إحداث ثغرة بالنسبة لصدق اهتمامها المعلن فى التفاوض

على السلام مع الأردن ، بأن تبادر بإغلاق الباب بعنف أمام أنظار الرأى العام العالمى كله ، فالسيطرة الإسرائيلية على القدس الشرقية يجرى إعلانها غير قابلة للتفاوض ، أما الإطار القانونى الدقيق لتلك السيطرة فيبقى نظريا على الأقل خاضعا لنوع من التسوية . ومع إتمام شكليات التوحيد البلدى ، تلت خطوات أخرى فالموظفون الإداريون فى القطاع الأردنى من المدينة ، من ذوى الدرجات والرتب التى تأتى دون العليا ، جرى إدماجها فى بيروقراطية المدينة الإسرائيلية ، والخدمات الاجتماعية الإسرائيلية وشبكات المياه والهاتف والكهرباء الخ ... ، جرى مدها إلى القطاع العربى ، ثم كان حل مجلس بلدية القدس العربية ودعوة أعضائه لاتخاذ مقاعدهم فى المجلس الاسرائيلى الأوسع بكثير (رفضوا - أى العرب - التجاوب مع هذه الدعوة بالطبع) ، والمدارس العربية وضعت فى المستوى نفسه كالمدارس الإسرائيلية ، ثم أخضعت لمناهج وزارة التربية الإسرائيلية وأنظمتها الأخرى ، واقتصاد الضفة الغربية فصل منه اقتصاد القدس الشرقية لكى يربط باقتصاد إسرائيل ، وخضع عرب القدس للضرائب الإسرائيلية والأنظمة التجارية النافذة فى إسرائيل ، كما حلت العملة الإسرائيلية محل الأردنية ، وأغلقت المصارف الأردنية لكى يصير الأمر إلى افتتاح فروع للبنوك الإسرائيلية ، ثم جرى إخضاع التجارة مع الضفة الغربية وحصرها بقيود الاستيراد ، بينما أصبحت التجارة داخل إسرائيل مفتوحة السبيل ، أما بيوت وأملاك بعض العرب الذين هربوا أو تغيبوا أثناء القتال ، فقد تم وضعها تحت سيطرة الحارس الاسرائيلى لأملاك الغائبين .

ثامنا : تبعت ذلك تغيرات أخرى ، فهناك مدرسة إسلامية للبنات فى المدينة القديمة أصبحت مقرا للمحكمة الحاخامية العليا ، ومستشفى أصبح مركزا للشرطة الإسرائيلية . وقد عمد الإسرائيليون أيضا إلى نزع ملكية ٨٣٨ إيكراً من الأراضى الأردنية سابقا ثم بادروا عقب ذلك إلى إعلان خطط ترمى لتطويرها من جديد ، ومن جملة هذا التطوير إسكان أعداد كبيرة من المقيمين اليهود ، وكان قسم من هذه المساحة يشمل الحى اليهودى قبل عام ١٩٤٨ داخل المدينة القديمة والقسم الأكبر منها شمل أراضى تبعد عن الحى إلى الشمال وتقع بين المدينة اليهودية القديمة وجبل سكويس فأصبح توزيع حقوق ملكية هذه الأراضى موضوعا للجدل فى الأمم المتحدة بين مندوبى الأردن وإسرائيل ، وقد تبدو هذه الإجراءات كلها غير ملتبسة فى تصميمها وتأثيرها ألا وهو : توطيد دعائم الوجود الاسرائيلى فى القدس العربية وجعله نظاميا بحيث لا يعود مستندا إلى مجرد احتلال

عسكرى وإلى ادعاء دبلوماسى مشكوك فيه لكن الإدارة الإسرائيلية رأت من الأفضل مصالحة الرأى العام العربى مع الترتيبات الجديدة وتحاشى ردود الفعل القابلة للانفجار ، وعلى سبيل المثال فإن معدلات الضرائب الإسرائيلية التى صدرت مراسيمها عقب الضم كانت ستبدو مرهقة للغاية فيما لو جرى تطبيقها بحذافيرها ، بينما جاء تنفيذها على الصعيد العملى إلى حد جزئى فقط . وعلى نحو مماثل فقد أثيرت المخاوف لدى المسلمين منذ البداية بشأن قداسة مقاماتهم الدينية وحرمات مساجدهم من إجراء التصرفات غير اللائقة التى صدرت عن بعض الإسرائيليين فى أعقاب الحرب بزمن قصير ومنها الإساءة البالغة إلى المشاعر الإسلامية التى بدت من الجنرال جورين الحاخام الأكبر للجيش الاسرائيلى بإقامة الصلوات بجوار الحرم الشريف وهو ملاصق لقبة الصخرة ، وبحديثه عن بناء هيكل هناك ، كما احتج الزعماء المسلمون على دخول الجمهور الاسرائيلى بصورة غير محتشمة وغير مبالية إلى المساجد خلال أوقات الصلاة ، فالمؤسسات الإسلامية وضعت فى البداية تحت سلطة وزارة الشئون الدينية فى إسرائيل وهى الوزارة التى كان يقوم على رأسها عضو الحزب القومى الدينى زيراح فاوهفتيح ، ثم جرى نقلها فى وقت لاحق لسلطة وزارة الداخلية.

تاسعا : أثر الضم تأثيرا سيئا على السكان الأصليين فى القدس وهو ما انعكس على الصعوبات الاقتصادية التى عانى منها عرب القدس مثل خسارة الأعمال وإغلاق البنوك العربية وقطع المبادلات مع الضفة الشرقية الأردنية والدول العربية الأخرى والأسعار المرتفعة التى تسود فى إسرائيل والضرائب المرتفعة وضياع مجالات الاستخدام أمام أصحاب المهن ، فإلى أى مدى كانت السياسة الإسرائيلية مرسومة بالفعل بقصد مناقشة بعض هذه المشكلات أو التقليل من حدتها ؟ هذه مسألة رجعت إلى خلاف فى الرأى ، وقد نشأت حالات عديدة من الدعاوى المتصلة بمحلات أعمال عربية تكبدت ضرائب على السلع الموجودة فيها إلى درجة توازى المصادرة . وعن وكالات ومكاتب السفر ، وذكر أصحاب المهن من العرب الذين ينتمون إلى فئات الدخل العليا من المثقفين ثقافة رفيعة أن هناك سياسة إسرائيلية تهدف إلى تشجيعهم على مغادرة القدس بغية حرمان السكان العرب من قياداتهم التجارية والاجتماعية إلى جانب الزعامة السياسية ، وثمة شئ واحد لم يتساهل الإسرائيليون فيه فى ظل شكل توحيدهم للمدينة ، وهو وجود زعامة سياسية للعرب ، أنظمة قائمة بذاتها ، فحل المجلس البلدى فى أمانة القدس العربية وسرح أمين

المدينة (المحافظ) من منصبه ، ومع رفض أعضاء المجلس أن يشغلوا المقاعد التى عرضها الإسرائيليون عليهم فى المجلس الموحد - كل هذا ترك الجماعة العربية فى المدينة دون أية بنية سياسية معترف بها . وعقب بضعة أسابيع على الضم قامت فئة من الأعيان تضم الأمين السابق لمدينة القدس روحى الخطيب ورئيس محكمة الاستئناف الشرعية عبد الحميد السائح بتشكيل هيئة اتخذت لنفسها صفة التحدث باسم عرب المدينة ، فاحتجت الهيئة المذكورة بشدة ضد إجراءات الضم الإسرائيلية ونظمت إضرابا ليوم واحد، لكن سلطات الاحتلال عمدت إلى ترحيل روحى الخطيب والشيخ عبد الحميد السائح واثنين غيرهما ، كما ضربت بيد من حديد على مشاركين آخرين فى الإضراب . كذلك عمد الإسرائيليون إلى حصر إجراءات الأمن فى القطاع الغربى فقط لقمع مسيرات الاحتجاج والإضرابات والصدامات بين المواطنين العرب والإسرائيليين .

عاشرا : قوبلت الخطوات التى كانت الحكومة الإسرائيلية قد اتخذتها فى يومى ٢٧، ٢٨ يونيو باستنكار صريح ، وقد أثار هذا نقاشا عاما أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة التى أصدرت فى النهاية بإجماع يكاد يكون كاملا- ٩٩ صوتا ضد لاشئ وامتناع عشرين صوتا - ثم أدى رفض إسرائيل للقرار إلى التأكيد عليه مجددا من جانب الجمعية العامة فى قرار ثان بتاريخ ١٤ يوليو ١٩٦٧.

وجاءت ردود الفعل العالمية تعارض صراحة ما اتخذته إسرائيل من إجراءات خاصة بالقدس ، فبالرغم من أن الولايات المتحدة ذاتها كانت تؤيد إسرائيل تماما فى عدوانها ، فقد امتنعت عن التصويت على هذين القرارين الصادرين عن الجمعية العامة وأيضا على قـــرار مجلس الأمن وأعلن ممثلها فى الأمم المتحدة جولدبرج أن حكومته سبق لها أن بينت موقفها فى مسألة القدس وأبدت انشغالها جديا بها ، وأعلنت وزارة الخارجية الأمريكية معارضتها صراحة لما اتخذته إسرائيل من إجراءات خاصة بالقدس فعقب إجراءات الضم مباشرة أشارت وزارة الخارجية الأمريكية إلى ما أقدمت عليه إسرائيل من " خطوة إدارية متسرعة " وأعلنت أن الولايات المتحدة لم تعترف أبدا بمثل تلك الإجراءات من طرف واحد والمتخذة من جانب أية دولة فى المنطقة على اعتبار أنها إجراءات تتحكم بالوضع الدولى للقدس . وكان من شأن قرار الأمم المتحدة بإلغاء كافة الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل أن تطلب من السكرتير العام الأمم المتحدة أن يقدم تقريرا إلى الجمعية العامة وإلى مجلس الأمن حول هذا الوضع وحول مدى تنفيذ إسرائيل

لقرار الأمم المتحدة فى شأنه ، وقام يوثانت - تنفيذاً لهذا القرار - بإرسال أحد الدبلوماسيين السويسريين هو مستر ثالمان فى مهمة خاصة إلى القدس ، وبعد عودة هذا المبعوث قدم تقريره إلى السكرتير العام الذى أحال الموضوع إلى الأمم المتحدة يوم ١٢ من سبتمبر ١٩٦٧ ، أما البابا فقد أعلن من جانبه تأييده لفكرة تدويل الأماكن المقدسة وفى أوائل شهر يوليو أرسل مندوبا من جانبه إلى القدس لمناقشة هذا الموضوع مع السلطات الإسرائيلية ، ولكن الحكومة الإسرائيلية أصمت أذنيها تماما عن كافة المساعى التى بذلت لديها ولم تستجب لشئ منها .

خاتمة

بمناقشة المزاعم الإسرائيلية فى القدس نجد أن الوضع القانونى لمدينة القدس كان وضعا معقدا منذ انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين ، فإيجاد النظام الدولى الخاص لم يحدث أبدا ، وترسخت كل من السيطرة الإسرائيلية والأردنية على قطاعى المدينة . ومن جهة أخرى فإن وجود المكان الاسلامى المقدس عند المسلمين بمحاذاة حائط المبكى والمعروف بساحة الحرم الشريف التى تضم المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة ، وتؤلف أولى القبلتين وثالث الحرمين فى الإسلام بعد مكة والمدينة - يشكل أيضا عقبة كئود أمام إذعان المسلمين لسيطرة إسرائيل ، كذلك فالظروف التاريخية التى أحاطت بالأماكن المقدسة والأحداث التى حدثت عقب حرب يونيو مباشرة كلاهما يبين صدام المشاعر الذى ينطوى عليه هذا الأثر ، فالحرم الشريف يقوم فى المكان الذى يعتبر تقليديا موقع هيكل سليمان ، حيث يعتقد أن حائط المبكى (وفى لغة اليهود : الحائط الغربى) هو ما تبقى من الهيكل المذكور . ومنذ القرن السابع للميلاد كانت هذه المنطقة بكاملها تحت سلطة إسلامية ، فالحائط بالذات ليس موضع إجلال من جانب المسلمين ، لكنه يقع ضمن مكان يقدسه المسلمون ، وكان طيلة قرون عديدة يؤلف جزءا من أملاك وقف اسلامى خيرى - للمسلمين وحدهم الحق العينى فيه ، حيث اشتمل هذا الوقف على البيوت المحيطة به عن قرب فى حى المغاربة ، وعاش سكان الحى على خيرات الوقف المذكور. فالحائط إذن تعود ملكيته إلى مؤسسة إسلامية ، وقد درج المقيمون على الأوقاف - تقليدا - على السماح لأفراد اليهود بالمجئ إلى الصلاة ولكنهم قاوموا بعناء شديد الجهود التى يبذلها السكان اليهود المتزايدون بسرعة فى التاريخ المعاصر لإرساء الحق فى العبادة الجماعية المنظمة عند الحائط ، ناهيك عن حق ملكية هذا الحائط .

ولقد تعود أهل المنطقة وكذا الهيئات الدينية والإسلامية ، منذ عهد طويل ، على وجود عدد بسيط من المتعبدين اليهود فى وسطهم وعلى أساس المنة من جانبهم ، وليس على أساس الفكرة القائلة بأن الحائط أو جواره كان يخضع لأية مطالب منافسة فى حق السيطرة أو التسلط . وهكذا نجد أنه طيلة سنوات الإمبراطورية العثمانية وإبان عهد الانتداب البريطانى لم يسمح لليهود عند الحائط بجلب المقاعد للجلوس عليها أو نفخ البوق، وخلال الفترة الممتدة من عام ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧ لم يشاهد معظم الإسرائيليين الحائط أو المدينة القديمة إطلاقاً ، كما أن الكثيرين منهم كانوا غير متدينين ، ورغم ذلك استحوذت على عقولهم عبارات توارتية مثل "إن نسيتك يا أورشليم تنسنى يمينى" ، والذين مازالوا يتذكرون عهد الانتداب البريطانى لفلسطين والفترة السابقة له ، باستطاعتهم أن يتذكروا جيدا أن الحائط ، مثل أرض فلسطين بالذات ، كان المكان الذى يتوقع اليهود الذهاب إليه فقط بناء على منة سلطة أجنبية ، وقد كان ذلك رمزا متبقيا على تزعزع الشتات وتعرضه للخطر ، وأن ما جعل هذه الرمزية ذات معنى فى يونيو ١٩٦٧ هو الناحية النفسية فضلا عن ذكريات الماضى فى التاريخ اليهودى الحديث.

إن مدينة القدس ككل والنظام فيها هو عربى متجانس فى سكانه وكان يؤلف المركز الاقتصادى الطبيعى للضفة الغربية ، ولهذه الأسباب فإنه ينتمى منطقيا إلى السيادة الفلسطينية ، فالمطلب العربى بالعودة إلى حدود ما قبل ١٩٦٧ فى القدس هو مطلب له مسوغاته ، كذلك فإن الترتيبات التى كانت قائمة قبل ١٩٦٧ انطوت على معنى أفضل بكثير – على صعيد الحقوق السياسية لجميع الأطراف المعنية – مما فرضته إسرائيل بعد ذلك الحين على أنه لكى يحق السلام نحتاج إلى الاتفاق ، ولكن لكى تسود العدالة لا نحتاج إلى مجرد الكلمات فحسب ، بل إلى إعادة الحقوق فعلا إلى أولئك الذين حرموا منها وهم هنا عرب فلسطين ، سواء تعلق بعرب القدس مسلمين أو مسيحيين أو بالدول الغربية المسيحية التى تدين شعوبها تماما الهجمة الشرسة من جانب المتطرفين اليهود واعتدائهم على الأماكن المقدسة وعلى السكان العرب الآمنين ، وباعتبار المدينة المقدسة ذاتها أرضا للسلام ومهدا لرسول السلام .

وبالرغم من أن السلام موضوع يهم العالم بأسره إلا أن إسرائيل من ثنايا الأحداث الأخيرة لا تزال مصرة على تكملة السلسلة الطويلة من إجراءات تهويد القدس والإقلال من النفوذ الفلسطينى فى المدينة بصورة غير مشروعة.

القدس : خيارات المستقبل - مائدة مستديرة



مائدة مستديرة

القدس : خيارات المستقبل

عقدت هذه المائدة المستديرة فى ختام الندوة الدولية "القدس : التاريخ والمستقبل" التى نظمها مركز دراسات المستقبل يومى الثلاثاء والأربعاء ٢٩ ، ٣٠ اكتوبر ١٩٩٦ وشارك فيها (حسب الحروف الهجائية) السادة:

خليل التفكجى

مدير إدارة الخرائط بالقدس.

وعضو وفد المفاوضات الفلسطينية

جميل مطر

مدير المركز العربى لبحوث التنمية والمستقبل

طه خليل

رئيس جمعية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية

عبد العليم محمد

رئيس تحرير مختارات اسرائيلية مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام

مصطفى الحسينى

كاتب وخبير بالشئون الفلسطينية

مصطفى نبيل

رئيس تحرير مجلة الهلال

إدار الحلقة : محمد ابراهيم منصور

مدير مركز دراسات المستقبل بجامعة اسيوط

محمد إبراهيم منصور

إن ندوة القدس : التاريخ والمستقبل قد تعرضت لموضوعات شتى ، وربما كان من المناسب ان تخصص هذه الحلقة لما اعتقد أنه من الموضوعات التى سكتت عنها بعض أوراق العمل المقدمة أو التى اقترب منها بعض الباحثين على استحياء . وقد وجدنا من واجبنا أن نستوفيها حقها لاسيما وأنها قضايا استراتيجية تتعلق بالخيارات المستقبلية لقضية القدس . ولاشك أننا جميعاً قد وصلنا إلى قناعة مؤداها أن قضية القدس . هى أعقد حلقة فى سلسلة المفاوضات العربية الإسرائيلية . ومن هنا كان اتفاق الأطراف على إرجاء المفاوضات حولها إلى محادثات المرحلة الأخيرة من المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية ، والتى كان مقدراً لها أن تبدأ فى مايو الماضى لكنها لأسباب تعلمونها لم تتم حتى الآن. وكان على رأس هذه الأسباب الانتخابات الإسرائيلية فى يونيو الماضى التى جاءت بحكومة متشددة حملت معها تفسيراً مخالفا للسلام وتوجها سياسياً يشكل انقلاباً على العملية السلمية وانتهاكاً لأهم المبادىء التى قامت عليها. وقد كان هناك اتفاق على أن نحشد لهذه المائدة المستديرة أكبر عدد ممكن من خبرائنا ومفكرينا ومثقفينا ذوى التوجهات السياسية المستقبلية الذين تضيف رؤيتهم للخيارات المفتوحة أمامنا قيمة جديدةمضافة للإنجاز الكبير الذى حققته ندوتنا فى الجلسات السابقة .

ودعونى أقدم لكم ضيوف هذه الحلقة : الأستاذ طه خليل رئيس جمعية خريجى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، الأستاذ جميل مطر كاتب سياسى وخبير استراتيجى ومدير المركز العربى لبحوث التنمية والمستقبل وهو من المراكز العلمية المرموقة فى العالم العربى ويضم خبرات مهمة ، الأستاذ الكاتب الكبير مصطفى نبيل رئيس تحرير أقدم مجلة عربية ، مجلة الهلال ، هذه المجلة التى لازالت تحتفظ بعراقتها وتقاليدها منذ أسسها جورجى زيدان قبل ما يزيد عن مائة سنة ، الأستاذ خليل التفكجى مدير إدارة الخرائط بالقدس وقد سبق لنا متابعته فى عرضه لقضايا الاستيطان الإسرائيلى ، الدكتور عبد العليم محمد عبد العليم خبير الشئون الإسرائيلية ورئيس تحرير مختارات إسرائيلية فى مركز

الدراسات الاستراتيجية بالأهرام، ومتحدثنا الأخير الأستاذ مصطفى الحسينى كاتب صحفى وخبير مدقق بالشئون الفلسطينية ، لذلك نعتقد أن هذه المائدة المستديرة قد اجتمع لها أهم عوامل النجاح اللازمة للوصول إلى نتائج يعتد بها فى بعض القضايا المهمة التى سكتت عنها أوراق العمل المقدمة أو لم تتعرض لها بقدر كاف من التفسير والوضوح ، ومن ثم رأينا أن نعيد طرحها مرة أخرى على الأساتذة المتخصصين.

والقضية الأولى التى أرى أنها جديرة بالمناقشة هى أن قضية على هذا المستوى من التعقيد وتشابك الأطراف المرتبطة بها هل يكون من الصواب أن نتركها للمفاوض الفلسطينى وحده أم أن هناك امكانية لتوسيع التمثيل العربى فى هذه المفاوضات . ثم ثانيا:، ما هى إمكانية إثارة المفاوض العربى لموضوع القدس الغربية وما هى نتائجه. القضية الثالثة عن المواقف النهائية للأطراف الدولية المختلفة المهتمة بقضية القدس . وعلى راسها: الموقف الإسرائيلى والآفاق التى يمكن أن يقف عندها، ثانياً : الموقف الأمريكى وحدوده ، ثالثاً : موقف الفاتيكان باعتباره أحد الأطراف المهمة المهتمة بقضية القدس وأخيراً موقف الأتحاد الأوربى وعلى راسه فرنسا. القضية الرابعة والأخيرة هى المصير الذى آلت اليه قرارات الشرعية الدولية بعد أن اسقطتها أو كادت اتفاقيات أوسلو. ومن ثم إمكانية إحياء هذه القرارات والعودة إلى مبادئ الشرعية الدولية على ضوء قرارات الأمم المتحدة المختلفة بشأن قضية فلسطين . هذه هى المحاور الأربعة التى يتناولها جدول أعمال هذه المائدة المستديرة ولندع غيرها من القضايا الى ما يستجد من أعمال . أستأذنكم فى أن يكون محدثنا الأول الأستاذ جميل مطر الكاتب الكبير ومدير المركز العربى لبحوث التنمية .

جميل مطر :

سأحاول فى نقاط موجزة أن أتحدث فى عجالة فى أربعة من الموضوعات التى أثيرت فى هذه الندوة وطرحت أسئلة واسعة ولم يُجب عليها و لم تثر بشكل مفصل. الموضوع الأول هو ما أثير فى هذه الندوة وفى ندوات أخرى عربية ودولية ، وهو ما يسمى بالحد الأدنى وهذه الكلمة لا أحبها ولا أتمنى أن تثار فى ندوات عربية عندما نتحدث عن قضية فلسطين ، ولكن هى كلمة متداولة على ألسنة جميع صناع القرار

العرب ، وسمعتها فى هذه الندوة من فلسطينيين وهذا شئ أتفهمه ولكن لا أفهمه ، قيل مثلاً الحد الأدنى سيكون شرط السلام ، ونحن لن نقبل السلام إذا كان تحت هذا الحد الأدنى ، وأنا أذكر بما قيل حول هذا الأمر قبل مؤتمر أوسلو ثم التنازلات المتتالية التى دائماً تنزل بها دون الحد الأدنى . وأنا أرفض كما قيل أيضاً فى هذه الندوة أن نتكلم عن حدود قصوى وليس حدوداً دنيا لأن الحد الأدنى دائماً وبسبب توازنات القوى فى المنطقة ينزل بنا إلى ما تحته وهذا لا يجوز . الأمر الثانى قيل أن هناك إجراءات واقتراحات عملية وقيل عدد لم أسمع به من قبل على الأقل هناك ٣٥ أو ٤٠ اقتراحاً سمعتهم فى هذا المؤتمر بعضهم وصل إلى حد مؤسف وسأضرب مثلا لم أعرف من الذى قال به وهو أن من الممكن أن نتعاون عربياً فى تنظيف حوارى القدس. إذا كان وصل أمر القدس إلى حد أن نضع خطة لتنظيف الحوارى والشوارع فى القدس فإن هذا أمر لا يجوز أن نتحدث به فى مؤتمرات ولا نتحدث به فى السياسة . قيل أيضاً نأخذ ما نستطيع ، نظرية بورقيبة القديمة ، نأخذ ما نستطيع ثم بعدها نأخذ أكثر ، تجربتنا فى هذا المجال تقول أننا لم نأخذ أصلاً حتى نأخذ أكثر. أنه مجرد تبرير للإجراءات والسياسات الشديدة الواقعية إذا صح التعبير أو المتطرفة فى واقعيتها وأمامنا ، الأمثلة واضحة لما بعد أوسلو ماذا حدث فى المستوطنات، إن المستوطنات زادت بعد أوسلو أكثر من قبل أوسلو ، وأن عدد القتلى الفلسطينيين زادوا بعد أوسلو أكثر من قبل أوسلو وأن القدس هودت بمعدلات أسرع بعد أوسلو أكثر من قبل أوسلو ولذلك هذه الأمور يجب أن تكون واضحة عندما نتحدث عن الحد الأدنى . الأمر الثانى وكنت أحب أن يكون الأخ فيصل الحسينى موجوداً وفيصل مناضل احترمه ونحترمه جميعاً ويجب أن يظل عند حسن تقديرنا ولكنه طلب عدداً من الطلبات فى الخطاب الذى ألقاه من الأمة العربية ومن الدول العربية وأنا أتصور أنه من حقى كمصرى أن أرفض أحد طلباته وكنت أتمنى أن أرفضها أمامه وأرفض ما دعا إليه من تطبيع ثقافى ، وأن كان قد وضع لها شرطاً فقال بحيث لا يصل لدرجة الهرولة فهو يريد أن نذهب لنكلم الإسرائيليين ونجلس معهم ونحاول أن نناقشهم ونكثر عدد أنصار السلام ولكن لا نهرول. وأنا كمصرى لا أزايد عليهم ولا أسمح لنفسى أن أزايد على الفلسطينيين ، والفلسطينى من حقه أن يفكر فى كل الحلول التى يجدها مناسبة له ، ولكن عندما يعرض على أمراً كهذا فإن من حقى أن أرفضه لأنه لا يجوز من وجهة نظر أمن

مصر القومى أن أقبل طلباً كهذا لأنـه سيؤدى إلـى مشـكلات نحـن فـى غنـى عنهـا بيـن المثقفين المصريين وسيحدث انشقاقاً أكبر ولن يكون لمصلحة الأمن القومـى المصـرى إذا توجهنا جماعة أو كانت سياستنا الرسمية هى التطبيع مع من يسمون بأنصـار السـلام فـى إسرائيل ولذلك أنا اقترح أن يبدءوا هم ، أو من يسمون أنفسهم بأنصار السلام فى إسرائيل يحددون مفهومهم لكلمة السلام ، وسيثبت لنا أنه لا يوجد شئ اسمه سلام لأن كل هذا من اختراع شيمون بيريز بعد أن سقط فى الانتخابات.

الأمر الثالث سؤال يتردد بيننا هل تعب العرب ؟ هل تعب الفلسطينيون ؟ إلى حد اننـا أصبحنا نقبل بأشياء كان لا يمكن أن نقبلها فى ظروف عادية . أنا أرجو أن أضـع علامـة تفاؤل وليس علامة تشاؤم على هذه النقطة . إننا لم نتعب وإذا تعبنا أو بدا علينا إننـا تعبنـا فإن ذلك لأننا شعب فرض عليه أساساً من آلاف السـنين أن يواجـه مشـاكل بسـبب حـدوده الشرقية اننا مازلنا نتعرض لهذه المشكلة مشكلة حدودنا الشرقية التى تسبب لنا البلاء بعد البلاء ولكن أسأل سؤالا وأرجو أن يصححنى المتخصصون فى الشئون الصهيونية . العام القادم هو عام مرور قرن على مؤتمر بـازل لـو جلسـنا وتدبرنـا الأمـر قليـلاً هـل نجحـت الصهيونية حقيقة فى تحقيق أهدافها ماذا كان هدف الصهيونية كعقيدة سياسـية ؟ لقـد كـان للصهيونية هدفان أولهما تحقيق الأمن لليهـود وثانيهمـا: رخـاء الشـعب اليهـودى وسـعادته المادية ، بعد مائة سنة أستطيع أن أقول بكـل تـأكيد أن يهود العـالم ليسـوا أكـثر أمنـاً ممـا كانوا عليه فى القرن التاسع عشر ، يهود العالم كانوا يعيشون فى حوارى وأزقة وحـارات جيتو ولكن كانوا أيضاً مثل كل شعوب العالم فيهم المليونيرات وأصحاب البنوك وهم الذين مولـوا إمبراطوريـة بسـمارك وغيره وغيره ، إذن ليس صحيحـاً الآن مـا نشـاهده ، أولاً اليهود دخلوا فى معركة يسمونها معركة النازية وهى كما يسمونها أكبر مجزرة حدثت فى تاريخهم الطويل ، وكان ذلك فى ظل المبدأ الصهيونـى ، و مـن سـنة ٤٨ وإلـى اليـوم لا يعيش اليهودى الإسرائيلى فى أمن بالعكس هو يعيش مشكلة دائمـة مشـكلة اللاأمـن وليـس الأمن ، والأمر الثانى الرخاء ، فيهود إسرائيل ليسوا أغنى يهـود العـالم بـل علـى العكـس حسب معدلات دخولهم ليسوا أغنى شعوب العالم ، وبالتالى الصهيونية فى هدفيها لم تنجـح هى أقامت الدولة ولكن الدولة التى لا تحقق الأمن ولا تحقق السـعادة تظـل دولـة مشـكوكاً فى أمرها لدى المواطنين اليهود ولذلك لم يجد الـ ١٥ مليـون يهـودى دولـة إسـرائيل كمـا

تصوروها. الأمر الرابع هو المواقف الدولية التى أشار لها د. منصور أن هناك أمراً واقعاً لابد أن نعترف به هناك فى العواصم العربية يتحدثون عن واشنطن أكثر مما يتحدثون عن القدس هذه حقيقة يجب أن ندركها واشنطن أهم من القدس يعنى واشنطن ستصنع سياستنا تجاه القدس أن واشنطن أهمّ من القدس ، واشنطن أهم من الرياض وأهم من دمشق وبغداد والهرولة لن تحل المشكلة، بل على العكس تزداد تعقيداً . مازلت واشنطن هى المدينة الأهم فى تفكير السياسى العربى والإسرائيلى .

طه خليل :

باعتبارى أتحدث لأول مرة فى هذه الندوة أود أن أقدم جزيل شكرى وتقديرى لجامعة أسيوط ومركز دراسات المستقبل شكراً لمن أتاحوا لى الفرصة بأن أشارك فى هذه الندوة وتقديرى لأن جامعة أسيوط تحقق لى حلماً حاولت أن أمارسه من خلال جمعية الاقتصاد والعلوم السياسية وهو أن تنقل هذه الندوات المتعلقة بالقضايا المصرية والقضايا العربية إلى خارج القاهرة . ونحن لا نجد فى القاهرة وقتاً حتى نحضر الندوات لكثافة أعدادها ، فمرة أخرى تقديرى لهذا الجهد فى عقد ندوة عن القدس فى أسيوط وأبدأ حديثى حول قضية القدس أو مشكلة النزاع العربى الإسرائيلى وهى قضية تواكبها حالياً مجموعة من الظروف ، هناك حكومة يمينية متطرفة جديدة فى إسرائيل تحاول وسوف تستمر تحاول فى رفض أى التزامات قامت بها الحكومة السابقة ولو استطاعت أن تسرق ، كل ما أخذه الفلسطينيون من الحكومة السابقة لفعلتها ، الأمر الثانى هناك وجود سياسى فلسطينى على أرض الواقع فى فلسطين ، هناك سلطة فلسطينية قائمة هناك : حالياً بعد اتفاقية أوسلو رؤساء دول يزورون السلطة الفلسطينية ، وهناك واقع جديد وهذه خطوة متقدمة . الهوية أو القومية الفلسطينية تتحدى القومية الإسرائيلية. الأمر الثالث هناك دعم أمريكى كبير بلا حدود للموقف الإسرائيلى لا يقابله أى نوع من الضغط أو حتى عدم الرضا من هذا الموقف تجاه أمريكا ، أمر رابع هناك رغبة أوروبية متصاعدة فى أن يكون لها دور فى التسوية أو فى الوصول إلى حل لهذا النزاع . فى فترة من الفترات كانت هناك قوة ثانية أمام الولايات المتحدة هى الاتحاد السوفيتى ، هذه القوة الدولية التى شكلت عنصر توازن، اليوم غابت طبعاً ، والناس يتكلمون عن النظام العالمى الجديد وأن القوة الأمريكية هى التى تشكل هذا النظام العالمى الجديد ، وأنا شخصياً أرفض فكرة أن هناك قوة واحدة

تستطيع أن تفرض كل ما تريد بدليل أن هناك اليوم القوة الأوروبية تتحرك ، وعندما تقول أمريكا أنا أريد عمل قوة أفريقية تقول لها فرنسا لا . وتستخدم أمريكا حق الفيتو ضد بطرس غالى لكنها تقف وحدها . أى نظام دولى له آليات ولم تتغير الآليات حتى الآن . ونحن كعرب رغم أننا فى شهر يونيو حققنا قدراً من الاتفاق ، إلا أننا مازلنا فى فرقة وعدم اتفاق على اتخاذ موقف موحد تجاه قضايانا . هناك أيضاً رغبة من العالم أن يكون هناك نوع من الاستقرار فى هذه المنطقة ، استقرار بهدف التنمية الاقتصادية ، الاستقرار أساسه أن هؤلاءالناس يحتاجون إلى الاستقرار واعتقد أن المؤتمر الاقتصادى القادم يستهدف هذا . إذن نحن لا نعمل فى فراغ نحن نعمل فى ظروف قائمة وعلينا أن نتحرر من هذه الظروف هناك موازين للقوى و القوة العسكرية وحدها لاتكفى لا بد أن يكون لها جانب دبلوماسى يتأتى من قدرتنا. لدينا قدرات عربية كبيرة ولكن لا توجد لدينا رغبة فى استشعار أو استهلاك هذه القدرات ، ويدرك الطرف الآخر أننا لا نرغب فى استخدام هذه القدرة ولا أحد منا يقول أننا سوف نحارب إسرائيل ولكننا سوف نستخدم أدوات مختلفة فى مواجهة إسرائيل وأنا أقول هذه المقدمة لأن هذه الندوة عن القدس وأركز كل كلامى على موضوع القدس ، القدس فيها حالياً مؤسسات لكلا الطرفين ، الجانب الفلسطينى له مؤسسات فى القدس والجانب الإسرائيلى له مؤسسات فى القدس ، ففى القدس بشقيها يوجد الكنيست وتوجد الحكومة الإسرائيلية وفى الشرق توجد المقدسات الإسلامية وكل طرف له مؤسسات قائمة ، وهناك هدف عام هناك اتفاق بين الإسرائيليين ، اتفاق على أن القدس هى العاصمة الموحدة الأبدية لإسرائيل ولابد أن تتحرك من هذا الأساس . أن اتفاق أوسلو يرجئ القدس باعتبارها المشكلة الشائكة إلى النهاية وأنا أريد أن أقول شيئا اليهود طوال الوقت يلعبون على أننا يضيق صدرنا بالوقت ونمل من إطالة المفاوضات ونأخذ ما نأخذه وهم عندهم المماطلة والتسويف وهذا عنصر واضح فى العقلية اليهودية أن العرب ليس لديهم نفس طويل ، وأن ما يهمنى هو أن ما وصلنا له نتمسك به وندعمه ونعمل على المطالبة بأقصى الممكن كما قال الأستاذ جميل مطر ، نيتانياهو شخصية أمريكية بحتة ثقافة وسلوكاً ، والشخصية الأمريكية فيها جزء من الاعتداد بالقوة وهو يتعامل مع الناس على أنه هو الأقوى ولابد للناس أن تتعامل معه على هذا الأساس حتى مستشاره له نفس العقلية ونفس التركيبة نحن لو أظهرنا أننا ضعاف أمامه فإنهم سوف يتمادون فى سياستهم

المتغطرسة ، أتصور أن المدخل لقضية القدس ومستقبل القدس هو فى التأكيد على الهوية الفلسطينية للقدس بكل الوسائل سياسية وإعلامية وبكل طريقة لتأكيد شرعيتنا . الأستاذ خليل عرض علينا وثائق كثيرة عن الوضع في القدس ولابد من إيجاد وسيلة نسجل بها هذه الوثائق فى الأمم المتحدة حتى يكون لنا أحقية أن نتكلم فيها فيما بعد.

أما عن السياسات الإسرائيلية فلابد أن نحرص على تعريف العالم بنواياها باستمرار وبحركة دائبة من جانب الدول العربية . والقدس لها دور مهم فى كل سياساتنا وفى كل تحركاتنا الدولية وأنا اعتبر موقف النقابات والروابط موقف مهم فى تأكيد هذا واعتبر موقف نقابة الصحفيين وموقف اتحاد نقابات المهن السينمائية عندما منعت الصحفيين والممثلين من زيارة إسرائيل من المؤكد أنه يشكل ضغطاً ولو استطعنا أن نستخدم هذا بشكل هادئ وبدون إثارة لا بد أن يكون لنا دور آخر . وأحب أن أعقب على شئ يوجد ناس تتكلم عن عناصر السلام فى إسرائيل ولكن عملية الاحتكاك بهم وتشجيعهم ستضر بالسلام وأعرض لمثال بيريز نحن شجعناه فكانت النتيجة أننا ساعدنا اليمين على الفور وانتخب نيتانياهو.

الدكتور عبد العليم محمد عبد العليم:

فى هذه المناسبة ، أريد أن أنتقد القاعدة السياسية التى تسللت عبر العديد من أجهزة الإعلام العربية خلال السنوات الأخيرة ، مفاد هذه القاعدة أننا كعرب لا يمكننا أن نرفض ما يقبله الفلسطينيون ، وأن ما يقبله الفلسطينيون هو سفك دماء وأنا أقول أن هذه المقولة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب لأن ظاهرها عدم التدخل فى الشئون الفلسطينية ، ولكن باطنها هو التخلى عن دعم القضية الفلسطينية لأننا شئنا أو أبينا معنيون بالصراع العربى الإسرائيلى وأن استرداد سيناء واسترداد الجولان أو الجلاء عن جنوب لبنان لا يعنى نهاية لصراعنا مع إسرائيل ، هذه واحدة أما الثانية فهى طبيعة السلام الحالى والتساؤلات أطرحها على حضراتكم لأنها تقلقنى بشأن الفلسطينيين ، السلام الحالى علينا أن نعرف أولاً أنه سلام مضبوط وأنه سلام يتعلق بالمصالح الفلسطينية أى أنه سلام مع جزء من الفلسطينيين وهم الموجودون بالضفة الغربية فقط ولكن لدينا بالخارج أربعة ملايين فلسطينى بسوريا والأردن وفى لبنان هؤلاء الأربعة ملايين ليسوا واردين فى هذه

المرحلة، وإنما حتى تُدرج هذه المسألة فى قضايا الوضع النهائى يبدو أنه لا حل ، على الأقل فى حدود تفحص المواقف الإسرائيلية من هذه المسألة.

الأمر الثانى وهو أن عملية السلام الحالية تبدأ من حيث انتهى إليه الوضع الآتى أى أننا نتجاهل بشكل عمدى ومقصود تغييب تاريخ هذا الصراع وتغييب مصادره الأساسية وهو الاعتداء على فلسطين وعلى حقوق الشعب الفلسطينى وتواطؤ القوى التى وراثها بما فيها قرار التقسيم وهو قرار ضد فلسطين وضد مصير الشعب الفلسطينى ، وهذه المسألة فى غاية الخطورة وأعتقد بعد ذلك أن ما أشار إليه أخى الدكتور منصور حول نظام السلام وحدود الموقف الإسرائيلى من شرق القدس أشرت إليه بالأمس وهو أن الإجماع حول القدس القائم فى إسرائيل بين القوى السياسية لا يعنى بالضرورة أنه قائم بين الرأى العام ، ولكن حدود هذا الإجماع فى تقديرى مرهون بضوابط سياسة عربية واستراتيجية عربية وقدرة عربية فى مواجهته ، لأننا نعلم قيمة هذا الصراع وأن وحدة شعب إسرائيل من الفرات إلى النيل وللعرب أيضاً إرادتهم وليس كل ما تريده إسرائيل يتحقق وأنا أذكر أنه بعد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ احتلت إسرائيل سيناء وزعمت أن سيناء جزء من أرض إسرائيل ولكنهم سرعان ما تراجعوا فى ظل ظروف إقليمية ودولية ، وبالتالى الإجماع حول القدس مرهون بقدرات عربية مرتبطة بنفس طويل فى المستقبل. الأمر الثالث الذى أريد أن أشير إليه وهو الخاص بحركة السلام الآن . حركة السلام الآن فى إسرائيل ، هذا عنوان كبير وعريض يستخدم من أجل تطويع العقلية العربية لقبول هذا السلام أو التلويح به . فدولة إسرائيل كلها تنطلق من نفس المنطلق ، أن لدى الصهيونية قاعدة ثابتة وهى الاتفاق الأخلاقى والسياسى حول وجود إسرائيل ، وحقها فى الأمن وقدرتها على تأكيد هذا الأمن دون أية مساعدة من أية قوى خارجية ، حتى فيما يتعلق بأشهر ممثل لهذه الحركات وهو يورى أفنيرى وهو كاتب إسرائيلى مهم ، ويعرفه الكاتبون . ومع ذلك فإن تاريخه يقول، إنه شارك فى الحرب وبعث برسالة إلى ليفى أشكول عندما كان رئيساً لوزراء إسرائيل فى عام ١٩٦٧ يهنئه فيها بهذا الانتصار على العرب ، لأنهم واقعون فى دائرة الاتفاق السياسى والأخلاقى لإسرائيل وفى دائرة الصهيونية وبالتالى فموقفهم إما مبنى على نوع من التعاطف الأخلاقى أو حقوق الإنسان

أو لتبييض وجه الصهيونية ووجه إسرائيل بالدعوة لإقامة دولة فلسطينية والتغطية على الظلم التاريخى وهو الأساس الذى أرتكب فى حق الشعب الفلسطينى .

محمد منصور :

تعليقاً على ما ساقه الدكتور عبد العليم فإن حركة السلام الآن وغيرها من القوى التى ناصرت السلام فى إسرائيل ما زالت مواقفها الحقيقية فى حاجة إلى تأصيل والتعرف على الحدود التى تقف عندها كل جماعة من جماعات السلام فى إسرائيل ، حيث تتفاوت مواقف هذه الجماعات من السلام تفاوتاً كبيراً بين من يرى فى اتفاقات أوسلو الحد الأقصى لما يمكن أن تتنازل عنه إسرائيل وبين من يغير فى حق الفلسطينيين فى إقامة دولتهم المستقلة .

مصطفى نبيل:

أهم ما فى القضية الفلسطينية هى القدس ومستقبل القدس هو مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى إنما النقطة التى أود ذكرها هى الفجوة القائمة بين القول والفعل . ندوة معقودة من أجل القدس ، وكلنا يعرف أن هناك ظروفاً إقليمية أو موازين قوى تحكم المنطقة ، ومهمة المثقف أنه يعطى إضاءة لما هو ممكن فى ظل هذه الأوضاع ، لأننا كلنا مُسلّمون بأن القضية معقدة وبأنها أحد صور الاختبار الحقيقية للعرب ولمستقبلهم. عندما نتكلم عن الفجوة بين القول والفعل نجد أن الخطاب السياسى العربى به مجموعة من الملاحظات حول مثلا الحق القانونى فى القدس أو الحق التاريخى فى القدس. أنا أتصور أن هذا الطرح قد يكون مفيداً عندما نقتنع به أنفسنا إنما الأفيد هو أننا كيف نوجد "الآليات" وهى كلمة استخدمت للتعبير عن أن كل هدف لابد أن يوضع له برامج وهذه البرامج لابد أن تعتمد على قدرات وطاقات قائمة ، وفى الوضع القائم هناك مستويان : مستوى الصراع العربى الإسرائيلى المتمثل فى موقف الدول العربية من إسرائيل وموقف منظمة التحرير الفلسطينية من إسرائيل . هذا النوع من الصراع تحكمه قواعد وأهم هذه القواعد هى موازين القوى وهل تحول هذه الموازين دون الوصول إلى الحقوق العربية ؟ أنا أتصور أن هذا هو التحدى المطروح على المثقفين بشكل عام لكى يقدموا لنا آليات حقيقية وأدوات حقيقية للصراع ، ويقف على رأس هذه المسائل جميعاً دور المثقفين بما لهم من قدرة

وقوة على التوضيح والشرح فى مؤازرة صاحب الحق على أن يتمسك بحقه وأنا أعتقد أن هذه النقطة غائبة وغير منظمة ، لأنها ليست مجرد طرح وإنما عملية تحتاج برمجة وتنظيماً وآليات لتحريك أى فكرة يمكن أن نقوم بطرحها. حينما نتحدث عن القدس عاصمة لدولة عربية يرتبط فيها المسلمون و المسيحيون فلا بد أن يكون هناك مواجهة ضد التعصب وضد الخرافات والأساطير ، و لابد أن نرى تنظيمات حقيقية تضم المسيحيين والمسلمين فى حركة تضامن من أجل القدس. وأنا أقول أن أهمية الندوات هى التفاعل بين الأفكاروقد لاحظت ملاحظ فى الندوة أن البعض استخدم كلمات يمكن أن تتهم الخطاب العربى بالتعصب. أن تصف الإسرائيليين بأنهم خنازير أو قردة هذا قول قد يرضينا ولكن ليس له أى أثر ولا نتيجة بالعكس نتيجته وأثره سلبى وبالتالى لابد أن نتقن فن الخطاب السياسى . كيف يكون الخطاب السياسى خطاباً عقلانياً يخاطب الواقع ويعمل على تغييره. وليس المهم أن نقول ونسهب فى القول وإنما المهم أن تكون هناك علاقة بين القول والفعل ، بين إمكانياتك وبين قدراتك وبين العمل الذى تؤديه.

ومن الأشياء التى طرحت بشكل واضح فى إطار الآليات والبرامج فكرة الزميل محمد سيد أحمد حول ما يمكن تسميته بالحرب الأهلية فى إسرائيل عن طريق إقامة علاقات بقوى السلام داخل إسرائيل. لو أيضاً حاولنا أن نُقيِّم هذه الفكرة نجد أن هذه الفكرة بصرف النظر عن صحتها أو عدم صحتها ليست مناسبة فى الظرف الراهن ، ففى الظرف الراهن وبعد نجاح نيتانياهو الذى استخدم اللاءات المختلفة ووقف حجر صلبة فى طريق السلام يجب أن نتبنى موقفاً عربياً جديداً للضغط على إسرائيل ، بدلاً من تصدير الأزمة إلى داخلها، أنها فكرة ليست موائمة لهذه المرحلة وأنا أرى أن الوقت ضيق وأنا لا أستطيع إلا أن أضع مجموعة عناوين وأرى أن يكون هناك ورشة عمل تقدم للعالم العربى وللفلسطينيين إضاءة لوسائل وأساليب العمل بالنسبة للقضية للحصول على تأييد عالمى يكون له أثر على مستقبل القدس .

خليل التفكجى :

الحقيقة سأضم صوتى إلى جميل مطر وأقول بأن حزب العمل من عام ١٩٩٣ حتى ١٩٩٤ بنى ١٤ ألف وحدة سكنية وصادر ٣٠ كيلو مترا مربعاً وتزايد عدد المستوطنين

من ١٠٥ ألف مستوطن إلى ١٤٥ ألف مستوطن ، حتىعندما ذهب بيريز كان هذا الوضع قائماً. وأنا كفلسطيني ومقدسي بالدرجة الأولى وعربي ومسلم أشاهد يومياً الوقائع وما يحدث في القدس. إن الإسرائيلين لديهم سيناريوهات لمستقبل القدس تتعدى الـ ٦٠٠ سيناريو تقوم بها أكاديميات إسرائيلية في لندن وباريس وتل أبيب والقدس ، بينما لم نضع نحن ولا سيناريو واحد. وهناك سيناريو جاهز لنا في ضوء هذه المشكلة المعقدة التي نعتبرها معقدة ولكن سهل حلها طبعاً ضمن معايير معينة لن أخوض فيها لأن هذا المشروع المقترح الذي قدمته في اليونسكو وقدمته في عمان نستطيع أن نزودكم به لكنني أطرحه بشكل بسيط حتى نقول ما هو مستقبل القدس؟ في الحقيقة القدس الآن قدسان لدينا قنصليات في القدس الشرقية لدول أجنبية كالأمزيكية والفرنسية والبريطانية والبلجيكية والأسبانية ، في نفس الوقت هناك قنصليات في القدس الغربية . لدينا نموذجان من المواصلات مواصلات إسرائيلية ومواصلات عربية ، لدينا خط فاصل للصرف الصحي فالقدس الشرقية لها صرف صحي يخالف القدس الغربية ولا أريد أن أطيل في هذا الموضوع. وانما سوف أدخل مباشرة اليه وأرجو سيادتكم أن تناقشوه وسيكون لدى الوقت الطويل لسماع ما تعرضونه لأنني أعرف أنه سيثير كثيراً من الجدل كما أثار جدل الإسرائيليين بالإضافة إلى إخواننا الفلسطينيين الذين يعيشون بالخارج. والمقترح هو كما يلي : القدس ستكون تحت السيادة الفلسطينية لكن الأحياء اليهودية في مدخل القدس الشرقية ستخضع للسيادة العربية، لكن إذا أردتم أن تعيشوا معنا فافتحوا هذه المستوطنات لتعيش معكم ، لا سيما أنكم تنظرون للمستقبل من خلال العيش في إقليم شرق أوسطي ، إذن أفتحوا هذه المستوطنات أمام الفلسطينيين ما دمنا نتكلم عن قدس مفتوحة لها بلديتان: بلدية "قدس شرقية" تحت سيادة فلسطينية وبلدية قدس غربية تحت سيادة إسرائيلية فضلا عن بلدية مشتركة (أو بلدية مظللة) بين الطرفين . يجب أن تفتحوا هذه المستوطنات أمام الفلسطينيين للسكن فيها. طبعاً الإسرائيليون على طول الخط رفضوا لأنهم يحبون أن يعيشوا في "جيتو" مغلق. طرحنا الأسلوب الثاني : إذا أردتم ألا تعيشوا معنا في بناية واحدة فهناك بنايتان مختلفتان فنعيش معاً أيضاً رفضوا. الإسرائيليون دائماً يرفضون هذه الأطروحات ويريدون أن يكون لهم حيهم الخاص بهم وعيشتهم الخاصة بهم وكان هناك اقتراح آخرهو أن نوسع حدود بلدية القدس ونطور القدسين . هذه ستكون من الناحية

الجغرافية صعبة لكن تم رسم الخرائط لهذا المشروع بتوسيع وتطوير القدسين ، وبنفس الوقت لا أتكلم عن البلدة القديمة لأنها هى النقطة الرئيسية من الناحية الدينية ، و القدس الشرقية الأردنية بلغت مساحتها ٥ر٦ كيلومتر مربع و هناك اتصال جغرافى وديموجرافى ما بين هذه الحدود وما بين القرى المحيطة بها دون أن توجد ولا مستوطنة واحدة وعلى هذا الأساس قلنا بأن هذه هي القدس العربية ونبنى البرلمان الفلسطينى فوق قمة جبل الزيتون مقابل الكنيست الإسرائيلى الموجود فى القدس الغربية ، وبذلك يكون البرلمانان متوازيين لكن هناك بعض التنازلات السيادة لمن ؟ الإسرائيليون يرفضون أن تكون هناك سيادة عربية فى القدس الشرقية بينما أنا كفلسطينى أعطى آلاف التراخيص للمنطقة الواقعة خارج هذه الحدود و أنا عضو فى لجنة التنظيم أعطى تراخيص فى منطقة خارج الحدود التى يطلق عليها اسم "العزارية وأبوديس" لكن لا أستطيع أن أعطى تراخيص فى مناطق أو حدود بلدية القدس الشرقية ، إذا استطعت أن أحصل على السيادة أو البلدية المشتركة سأقوم بعملية توطين فلسطينى شديد جداً ، جميع مؤسساتنا الآن موجودة فى داخل هذه الحدود "بيت الشرق" التعليم والمستشفيات. بمعنى لدينا مؤسسات كاملة فى هذه المنطقة وما علينا إلا أن نقول شيئاً واحداً أن نوافق أو نكون هناك. وسوف تكون المفاوضات النهائية حول السيادة والسيادة إما أن تكون منقوصة أو كاملة . هذا هو المقترح بشكل مختصر ، لأنها قضية وعره جداً وفى بعض الأحيان لا أريد أن أخوض فيها لأن هناك مباحثات حول هذه النظم. فى الحقيقة هنالك أيضاً تعليق آخر يتعلق بالوثائق فى الأمم المتحدة ، فالأمم المتحدة ستكون مقبرة للوثائق ، ففى سنة ١٩٩٥ مثلت دولة فلسطين فى قضية الوثائق الفلسطينية وخاصة بعد مصادرة ٥٣ هكتار. ثم وضعت هذه الوثائق فى أرشيف الأمم المتحدة وتم الانتهاء منها.

محمد منصور :

إن أهمية هذه المداخلة تنبع من كونها صادرة من مقدسى وفى نفس الوقت عضو بارز فى المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية ، ولكنها تحتاج إلى مزيد من التوضيح قد لا يسعفنا فيه ضيق الوقت كما أنها تثير علامات استفهام كثيرة قد ننجح فى الوصول إلى إجابات لها أو على الأقل نقترب من إجاباتها.

مصطفى الحسينى :

إننى أتكلم كآخر المتحدثين وأنا مطمئن أن آخر المتحدثين ليس لـه الكلمـة الأخيرة ، لأنه لا توجد كلمة أخيرة وخصوصاً فى موضوعات مثل الموضوعات التـى نتحدث فيها الآن ، أنا أعطى مجموعة من الملاحظات القصيرة والمركزة آلتى أرجو أن تكون محل نقاش. أول ملاحظة أقولها أن الندوة ذكرتنى بعادتين من عاداتنا فى التعامل مع قضايانا عموماً. أول عادة هى الانجرار إلى أرضيـة الخصم" إننا باستمرار ننجر إلى أرضية الخصم ونترك أرضيتنا نحن ، نعطى مثلاً : تعامل إسرائيل معنا تجاه القضيـة الفلسطينية يعتمد على ثلاث مرجعيات: الأولى مجموعة من الأساطير التـى ترقى بها إلى مستوى التاريخ ونحن نستغرق فى مناقشة هذه الأساطير التى ليس من المفروض أن نناقشها علـى الإطلاق لأنه لو تصورنا أن العـالم يرجع إلى أساطيره التاريخية ، فإن خريطـة العـالم ستعج بالخراب والفوضى ولابد أن تبررإسرائيل وجودها فـى هذا المكـان بالأساطير ، وإسرائيل تريد أن تعود بالعالم إلى أساطيره القديمة ، ويبقى الا ندخل فـى مناقشة الأساطير نفسها.

المرجعية الثانية ؛ إسرائيل تحاول أن تقنع نفسها أنها منتصرة فىحرب وهى مقولة ، قالتها حكومة العمل بطريقة دبلوماسية ناعمة والآن تقولها حكومة الليكود بوضوح . إلياهو بن اليسار يدلى بأحاديث صحفية يقول فيها أنتم مهزمون فـى الحرب ، والمهزوم لابد أن يدفع الثمن يجب أن نسلم لهم بأنهم منتصرون وندخل فى أرضيتهم.

المرجعية الثالثة ؛ أنهم يخلقون أمراً واقعاً على الأرض وأعتقد أن أخطر شئ نفعله أننا نتفاوض على أساس هذا الأمر الواقـع . نقول إخلاء المستوطنات ، نقول أننـا نريد إجراءات فى الخليل لأن ٤٠٠ فلسطينى ليسوا بالقليل ، ٤٠٠ إسرائيلى لا تتفاوض بينما مفروض أن نقول أن هؤلاء الـ ٤٠٠ لابد أن يعودوا من حيث أتوا ، فإننـا باستمرار نستدرج إلى أرض الخصم وملاحظتى أن كثيراً مما قيل فى هذه الندوة كان استدراجاً إلى أرضية الخصم وأرجو أن يتسع صدر منظمى الندوة لهذه الملاحظة.

العادة الثانية ؛ إننا نضع أنفسنا بما نحن مقتنعيـن بـه فنقول بـأن القانون الدولـى فـى صفنا ، ونريد أن نقتنع بهذه الحكاية. خطورة تكرار إقناع أنفسنا بما نحن مقتنعيـن بـه أنـه

يمنعنا من محاسبة أنفسنا. نحن معنا الحق لأن من ينهزم فى الحرب لا ينهزم بفعل قوة الخصم فقط وإنما ينهزم أولاً بفعل نقاط ضعفه، لابد أن يكون مقتنعاً بحقه لكن لابد أن يفكر كيف ضيع حقه . الحق معى ، هذه مسلمة ، لا أناقشها ولا أكررها على نفسى كل يوم . وقبل أن أقول القانون الدولى معى لابد أن أرى ما هو الخطأ الذى فعلته وجعلنى أضيع حقى لأن الحق موجود لكن الحصول عليه هو المسألة.

وهذا ينقلنا إلى نقطة أخرى هى اننا لاحظنا سواء فى الحرب أو فى التفاوض أن الإسرائيلى يتحرك من على أرضية مشروع إقليمى فعلى ، مشروع يتعلق بوضع إسرائيل فى المنطقة بل وفى العالم. أما نحن فقد حاربنا أو تفاوضنا بطريقة رد الفعل أى استرداد ما أخذ منا والوقوف عند فكرة الحد الأدنى لأننا عند أول هزيمة حقيقية تخلينا عن المشروع الإقليمى وهو المشروع القومى العربى بل واعتبرناه غلطة يجب أن نتبرأ منها بل وبعضنا قال أنه سبب فى الهزيمة وبغيبة المشروع الإقليمى أصبحنا نتفاوض متفرقين ونتفاوض على الفتات ولابد أن نكون عارفين أننا الآن نتفاوض على الفتات.

العادة الفكرية الأخرى أننا نعتبر السياسة إعلان للمطالب وهى وإقناع العالم بعدالة المطالب. بينما هذه ليست سياسة على الإطلاق ، إنما السياسة هى خطة تحقيق المطالب وليس إعلان المطالب ولا إقناع الآخرين . هذا غير موجود وإذا فكرنا فى مسألة القدس فإن المعضلة الحقيقية أمامنا فى مسألة القدس هى أنه لدينا مطالب معلنة مقتنعين بها ، لكن ليست لدينا خطة لتحقيق هذه المطالب ومواجهة مخططات اسرائيل فى قضم القدس قطعة قطعة ، يحدث تآكل وهجرة للسكان العرب من القدس مضطرين ومعذورين. ويحدث تآكل فى شكل بيع للبيوت والاراضى ومع ذلك ليس لنا خطة. نتكلم عن صندوق للأراضى فى القدس منذ أكثر من خمسين سنة، وليس هناك صندوق للأراضى.

حسن أبو طالب :

فى البداية الشكر الواجب لمنظمى هذه الندوة والدور الكبير الذى قام به مركز دراسات المستقبل وجامعة أسيوط لإتاحة هذه الفرص لمناقشة هذه القضية الهامة. فى البداية سوف أركز على نقطة واحدة فقط نظراً لضيق الوقت ، ربما جاءت فى واحدة من الكلمات التى

تفضل بها أحد السادة المشاركين فى هذه المائدة المستديرة وتصوراتنا بالفعل أننا كثيراً مما ننجر إلى أرضية الخصم كما أشار الأستاذ مصطفي الحسينى ، لكن للأسف الشديد كثيراً ما ننجر دون أن يكون لدينا معرفة دقيقة عن الاتجاهات الأساسية فى هذه الأرضية ، وكيف يمكن لنا أن نستفيد منها أحياناً. وأشير هنا إلى بيانات قد توضح المعنى الذى أقصد إليه وأنا قد سمعت اننا كثيراً ما نجرى تحليلات تستند إلى أن هناك إجماعاً بين الإسرائيليين من خلال أحزابهم ووثائقهم العديدة بأن القدس يجب أن تكون تحت السيادة الإسرائيلية ، وأن ذلك ليس محلاً للشك ولكن البيانات التى تحت يدى ، وهى بيانات إسرائيلية قام بها مركز إسرائيلى فلسطينى للبحث والمعلومات عبارة عن استقصاء رأى عام تم خلال أسبوع على عينة من الإسرائيليين وعينة مماثلة من الفلسطينيين ، وهذا المركز يضم نخبة من الباحثين الإسرائيليين والباحثين الفلسطينيين ، وقد تم فى أسبوع ما بين ٢٢ إلى ٢٨ مايو ١٩٩٥. هذه البيانات توضح ومن خلال التحليل النهائى لهذا المركز أن كثيراً مما تصورنا أنه إجماع إسرائيلى ليس حقيقياً والبيانات تتعلق بما هى الخيارات التى سوف يقبل بها الرأى العام الفلسطينى والرأى العام الإسرائيلى وفيما يتعلق بمستقبل القدس كانت هناك خمسة خيارات على النحو الآتى :

١- سيادة إسرائيلية مطلقة على القدس.

٢- سيادة إسرائيلية على القدس الغربية يقابلها سيادة فلسطينية على القدس الشرقية.

٣- سيادة مشتركة على القدس

٤- سيادة مقسمة وفقاً لحدود يونيو ١٩٦٧.

٥- تدويل القدس.

سوف أشير إلى النتائج الأساسية التى انتهى إليها هذا الاستقصاء للرأى العام. أول نتيجة مثيرة للغاية وهى أن هناك أقل من ثلثى الرأى العام اليهودى الإسرائيلى البالغ من العمر فوق ١٨ سنة يؤيد فكرة السيادة المطلقة على القدس. لكن يقابلهم ٢٨٪ من الرأى العام الإسرائيلى اليهودى يقبل بتقسيم السيادة بين الفلسطينيين والإسرائيليين. والرقم الذى أثارنى كثيراً هو أن هناك ٥٦٪ من الإسرائيليين اليهود يعتقدون أن الفلسطينيين لن يقبلوا بأقل من السيادة الكاملة على القدس الشرقية وفقاً لحدود يونيو سنة ١٩٦٧. هناك نتائج عديدة ولكن سوف اكتفى بالمؤشرات الأساسية فيما يتعلق أيضاً بوجهة النظر

الفلسطينية كما عبر عنها الرأى العام.أن هناك ٨ر٩٠٪ من الفلسطينيين يرفضون رفضاً باتاً السيادة الإسرائيلية على القدس ، منهم ٦ر٧٢٪ يعتقدون أن هذا الخيار يؤيده الإسرائيليون تماماً . أكثر الخيارات التى أيدها الرأى العام الفلسطينى ولكن لم تتجاوز نسبة ٤٧٪ أى أقل من ٥٠٪ أيدوا سيادة مقسمة وفقاً لحدود يونيو ١٩٦٧ . وهناك ٢٥٪ من الفلسطينيين أيدوا السيادة المشتركة. النتائج تدل على حقيقة مشتركة ما بين الطرفين الفلسطينى والإسرائيلى وهى أن هناك اتجاهات عديدة فيما يتعلق بالموقف النهائى من القدس . لكن أهم نتيجة من وجهة نظرى ومن وجهة نظر الذين أعدوا هذا التقرير وفقاً لهذه البيانات أن ما يقال أن هناك إجماعاً إسرائيلياً على خيار معين ليس حقيقياً بالمرة . والخيار هنا المقصود به السيادة الإسرائيلية المطلقة على القدس. وفقاً لدراسات الرأى العام أن أى إجماع يعنى ٩٥٪ من العينة فأكثر هى التى تؤيد خياراً معيناً. هذا لم يحدث فيما يتعلق بهذه النوعية. أيضاً النتيجة الثانية أن الإسرائيليين يدركون تماماً أن أقل شئ سوف يقبله الفلسطينيون هو سيادة من نوع ما على القدس وتحديداً سيادة كاملة على القدس الشرقية. إذن ما تعبر عنه هذه النتائج وهذا التقرير أن هناك داخل الإسرائيليين من يرى أن حل القدس مرهون بصورة أو بأخرى بسيادة فلسطينية على القدس الشرقية. إذن حينما ننجر إلى أرضية الخصم إذا لم نكن نعلم الاتجاهات الأساسية لهذه الأرضية فأكيد سوف تكون تحركاتنا وآلياتنا ليست كفؤة تماماً وأنا أتصور أننا نحتاج المزيد من الدراسة لما يجرى داخل إسرائيل لكى تكون أحكامنا على آلياتنا وعلى قدراتنا أحكاماً أقرب إلى الدقة . وشكراً.

جميل مطر :

أشكر الأستاذ الدكتور رئيس جامعة أسيوط والأستاذ الدكتور مدير مركز دراسات المستقبل ، ولكن أهم من هذا على تقديمهم ندوة ناجحة بكل المعايير وأتصور أن تكون هذه مقدمة لعدد أكبر من المؤتمرات ليس فقط لتعريف نشاط جامعة أسيوط ولكن أيضا لخدمة القضايا الوطنية والقومية المهمة ، وأنتهز هذه الفرصة أيضا لأشكر جميع الأجهزة سواء من داخل الجامعة أو من خارج الجامعة على الجهود التى قامت بها لإنجاح هذا المؤتمر ، كذلك أنتهز هذه الفرصة لأتحدث قليلا عن مراكز المستقبل هذه الظاهرة التى أعتبرها ظاهرة صحية للغاية . جميع مراكز البحوث على وجه الإطلاق شئ مفيد لكن

التوجه الجديد بالتركيز على دراسات المستقبل أنا أعتبره من أحسن الظواهر أو من أكمل الظواهر التى حدثت فى العشر سنوات الأخيرة بالنسبة لنا بالذات فى مصر وفى العالم بأسره ، عموما المستقبل أو دراسات المستقبل أصبحت تحتاج إلى اكبر نصيب من جهد الباحثين وجهد الدول والحكومات ،وهذا ما تصورته عندما قررنا إنشاء مركز فى القاهرة لدراسة التنمية والمستقبل . إذ كان لدينا شعور بأن ما يحدث الآن من جانب المستقبل هو عملية غزو إلى الحاضر أو غزو فى الحاضر . وما أقصده أنه لم يعد المستقبل يأتى بمراحل أو يأتى على مراحل أو يأتى بتوقعات مسبقة . ما يحدث الآن كما نشعر جميعا فى هذه الفترات الحاسمة من تطور الإنسانية والعلوم والتكنولوجيا أننا مواجهون بعملية اختراق من المستقبل فى الحاضر الذى نعيشه . وأتصور أننا لأول مرة فى التاريخ يأتى المستقبل بهذه السرعة وبهذه الشراسة وبغير رحمة وبمادية رهيبة وبابتعاد عن الروحانية بشكل رهيب . لم يحدث على ما اذكره فى كل فترات التاريخ الانسانى أن أتى المستقبل بهذا القسوة وبهذه الشراسة بالنسبة لنا ، نحن بالذات نشعر بهذه الأزمة أكثر مما تشعر به الدول الأوربية والدول الأمريكية واليابان وغيرها لأننا كنا أو تصادف أننا كنا نعانى ضعفاً شديداً فى معظم مكونات الحاضر الذى نعيشه . لم نكن مستعدين لاستيعاب هذا الغزو من جانب المستقبل ولا حتى لاستقباله أو تهذيبه وتطويره كانت النتيجة وبإيجاز شديد هو أن الماضى استنفر عندما عجز الحاضر عن استقبال المستقبل ، استنفر الماضى بكل أشكاله سواء على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع وعلى مستوى البيروقراطية ، حتى فى الثقافة سواء ثقافة سياسية أوثقافة حضارية وغيرها من الأمور . كانت النتيجة أننا نشهد الآن تناقضاً حاداً فى الواقع فى معظم دول الجنوب : فى أفريقيا وآسيا وفى المنطقة العربية بالتحديد تناقض حاد بين المستقبل والماضى . قلت هذا الكلام حتى اقرب إلى أذهان الحاضرين فكرة هذه الندوة وأهمية هذه الندوة التى نعيشها والتى عشناها يومين نظرنا إلى المستقبل "كان يجب أن ننظر إلى المستقبل وأن المستقبل لنا ، أن ننظر إلى القدس على مدى أربع سنوات قادمة ، عندما ننظر خلال السنوات الأربع القادمة نجد أننا نعيش الآن عام ١٩٩٦ قد جاء إلى الحكم من ينفذ الوصية الأخيرة من وصايا مؤتمر بال عام ١٨٩٧ . جاء نيتانياهو فى هذه السنة وفى العام القادم ١٩٩٧ سوف يكون قد مر قرن بالتمام على مؤتمر بال ، ولا يخفى عليكم احتفال دولة إسرائيل بمرور مائة عام على

مؤتمر بال ، وما يمكن أن يكون قد تم تجهيزه الآن للاحتفال بهذه المناسبة . وأتصور أننا نعرف بما فيه الكفاية عما ينوى نيتانياهو الاحتفال به في العام القادم . في عام ١٩٩٨ مخطط لإسرائيل أن تكون السنة النهائية لتحديد جدود أين سيسكن العرب في داخل القدس، وهوما نسميه وما يطلق عليه الآن بلا حياء في إسرائيل حارة العرب بدلا من حارة اليهود وكان في الماضي يطلق على اليهود أين يقيموا حارة اليهود ، بمعنى مجموعة أزقة محاطة بمستوطنات . سيعيش العرب في حارة اليهود بمعنى مجموعة أزقة محاطة بمستوطنات إسرائيلية . في السابق قررت أمريكا نقل السفارة إلى القدس في عام ١٩٩٩ المسألة ليست قرار كونجرس .

أرجوكم انتبهوا !غدا المسألة مسألة قرار سياسي من أكبر دولة في العام للاعتراف ولتغيير شكل القدس دوليا ، في هذه المناسبة نقل السفارة يعني أن العالم أصبح أمام وضع جديد في مدينة القدس وعلى جميع الدنيا أن تفهمه . وتحديداً عام ١٩٩٩ لم يأت اعتباطا وإنما أتى بعد فترة ، منها أربع سنوات يتعين فيها على إسرائيل تغيير المدينة بحيث تصبح أمرا واقعا في العام ١٩٩٩ بما يبرر لأمريكا النقل النهائي للقدس . في عام ٢٠٠٠ كما طرح وجاء ذكره في اليومين الماضيين عام ٢٠٠٠ هو بداية الألفية الثالثة لميلاد السيد المسيح . وأنا أظن أن إسرائيل ترتب في هذا العام احتفالاً حضارياً عاما لتثبت جدارتها في حماية الأماكن المقدسة ،وأن تكون هي الداعية لمؤتمر مسيحي على مستوى العالم يؤكد شرعية القدس كعاصمة لإسرائيل. هذا العام أيضا وهو عام ٢٠٠٠ سيشهد في رأيي أهم انتخابات في إسرائيل التي سوف تدخل بها القرن الحادي والعشرين ، ويكون الليكود ويكون نيتانياهوأنهى المهمة التي اشترط أن ينهيها من عام ١٩٩٦ الذي أتى فيه وحتى عام ٢٠٠٠ .

محمد إبراهيم منصور :

ثمة قضايا أثيرت في هذه المناقشات ، ويبدو أنها لم تستوف حظها . هذه القضايا حول الموقف الأوروبي من القدس ، والنماذج الدولية المطروحة لحل مشكلة القدس وقضية الديمقراطية وتوازن القوى . وأذنوا لي أن تكون هذه المداخلات من نصيب الأساتذة جميل مطر وخليل التفكجي ومصطفى الحسيني.

جميل مطر : بالنسبة للموقف الاوروبى أستطيع أن أقول أن الأمريكان بعد حرب الخليج أخرجوا أوربا من المنطقة ووضعت كل المصالح الاوربية تحت القناع الأمريكى . ان الولايات المتحدة استطاعت أن تضع كل المنطقة فى يديها ووضعت أوروبا خارج هذه المنطقة . واعتقد فى هذه المرحلة لن يكون للأوربيين أى تأثير إلا أن يكون تأثيرا هامشيا وخاصة فى مسألة القدس . الأمريكيون اليوم هم الذين يملكون أن يتعاملوا معنا أو لا يتعاملون معنا .

خليل التفكجى :

إخوانى نحن أصحاب القضية نشعر بمجهوداتكم التى تقومون بها ، لكن هناك مسائل لا نستطيع أن نقولها أمامَ هذا الحشد الكبير ، فى الحقيقة بالنسبة لمدينة القدس درسنا أكثر من نموذج ، نموذج برلين نموذج بروكسل نموذج نيقوسيا نموذج كندا كويبك ، وكلها تختلف اختلافاً كلياً لأن لدينا قوميتين مختلفتين وسيادتين مختلفتين بينما برلين قومية واحدة ألمانية سواء كانت تحت سيادة شرقية أوغربية. بروكسل كان عندها أسبان وفرنش وألمان ولكن جميعها تحمل جنسية واحدة هى الجنسية البلجيكية .

جميل مطر :

فيما يتعلق بالديمقراطية فى إطار الصراع العربى الإسرائيلى . الديمقراطية تستخدم لأغراض غير نزيهة فى هذه العلاقة بمعنى نيتانياهو أعلنها صراحة عندما جاء وقال أننا نحن الدولة الوحيدة الحريصة على السلام فى المنطقة ، وهو يعتمد على الخرافة ، خرافة موجودة فى الفكر الغربى تقول أنه إذا وجد نظام ديمقراطى لا تنشب حروب ، وأن جميع حروب العالم قامت بسبب الدكتاتورية . التاريخ ضد هذا تماماً . إن الحروب تقوم لأسباب لا علاقة لها بالديمقراطية ولا بالديكتاتورية وأن معظم الحروب التى شاهدناها فى القرن العشرين كانت حروباً كلها أو معظمها تضم أطرافاً ديمقراطية مشاركة فيها ، إنما هو القصد أن يقول أننا وحدنا فقط القادرون على الحفاظ على السلام فى المنطقة وهذا غير صحيح ، أما فيما يتعلق بالقول بأن الاستيطان زاد بعد أوسلو وأن هذا يعنى ضمناً أن اتفاقيات السلام كانت خطأ. لا أقول أن اتفاقيات السلام كانت خطأ وإنما أقول أن المبدأ هو أن اتفاقيات السلام لا تحقق السلام ، ولم يتحقق السلام فى التاريخ بسبب اتفاقيات سلام بل

أن أقصى ما تحققه اتفاقيات سلام من هذا النوع هو منع الحرب وهذه هى الحالة الموجودة فى العالم مثل الشرق الأوسط حتى الآن ، ولا يوجد سلام توجد مسيرات نحو السلام ولكن لا يوجد سلام لأنه لا يوجد قبول من طرف للطرف الآخر أو لا يوجد اتفاق بين الطرفين على مضمون هذا السلام .

طه خليل :

بعض المتحدثين يقول أن ميزان القوى فى صالح إسرائيل أنا أقول أن ميزان القوى ليس فى صالح إسرائيل ، ان القوة تعنى أمرين : قدرة ورغبة أو إرادة فى استخدام هذه القدرة ، وقد ضربت مثلاً على أننا اليوم لدينا قدرة جديدة وهى الوجود الفلسطينى كسلطة، كمؤسسات داخل فلسطين فى قلب إسرائيل . هذه القدرة الجديدة واستخدامنا لها ورغبتنا فى أن نحقق المزيد والمزيد هى قوة بمعايير ميزان القوى العربى أما عن مصداقية أمريكا فإن أمريكا تبحث عن مصالحها وبنفس الوقت تخضع لاستخدام القدرات التى تملكها إسرائيل . العرب لديهم جمعيات عربية فى أمريكا لم يستطيعوا أن يستخدموها ، أمريكا تستخدم اليهود فى الولايات المتحدة فيما يسمى اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة الشهيرة بـ الايباك استخداماً جيداً ، وهذه المنظمة لها تأثير كبير فى داخل المؤسسات الأمريكية حتى يقال أن أمريكا تحكم من شارعين "بنسلفانيا أفينو" وهو الشارع الذى به البيت الأبيض ومجلس الأمن القومى والمحكمة العليا وينتهى بالكابيتول أو الكونجرس ، وفيه مؤسسات الضغط ، ومنها الايباك أنهم يتحكمون فى رجال الكونجرس ورجال الإدارة الأمريكية هذه قدرة متيسرة فى إسرائيل وتستخدمها إيباك ، ماذا قدم العرب حتى يستخدموا قدراتهم أو أن تكون لديهم الإرادة أو الرغبة فى استخدام هذه القدرات ، إذن ميزان القوى ليس فى صالح إسرائيل لو استخدمت القدرات استخداماً جيداً.

مصطفى الحسينى :

هناك اقتراح فلسطينى لحل مشكلة الخليل التى يعيش بها ٤٠٠ مستوطن ، لقد أبرز الاسرائيليون وثائق تثبت أحقيتهم التاريخية فى الخليل. هنا مشكلة المرجعية التاريخية. المرجعية التاريخية فى أى نزاع دولى ليس لها مكان ثم أن مرجعية هذه المفاوضات ليس لها علاقة لا بالتوراة ولا بالمجلس الإقليمى ، أنما لها علاقة بالقرار ٢٤٢ والقرار ٣٣٨

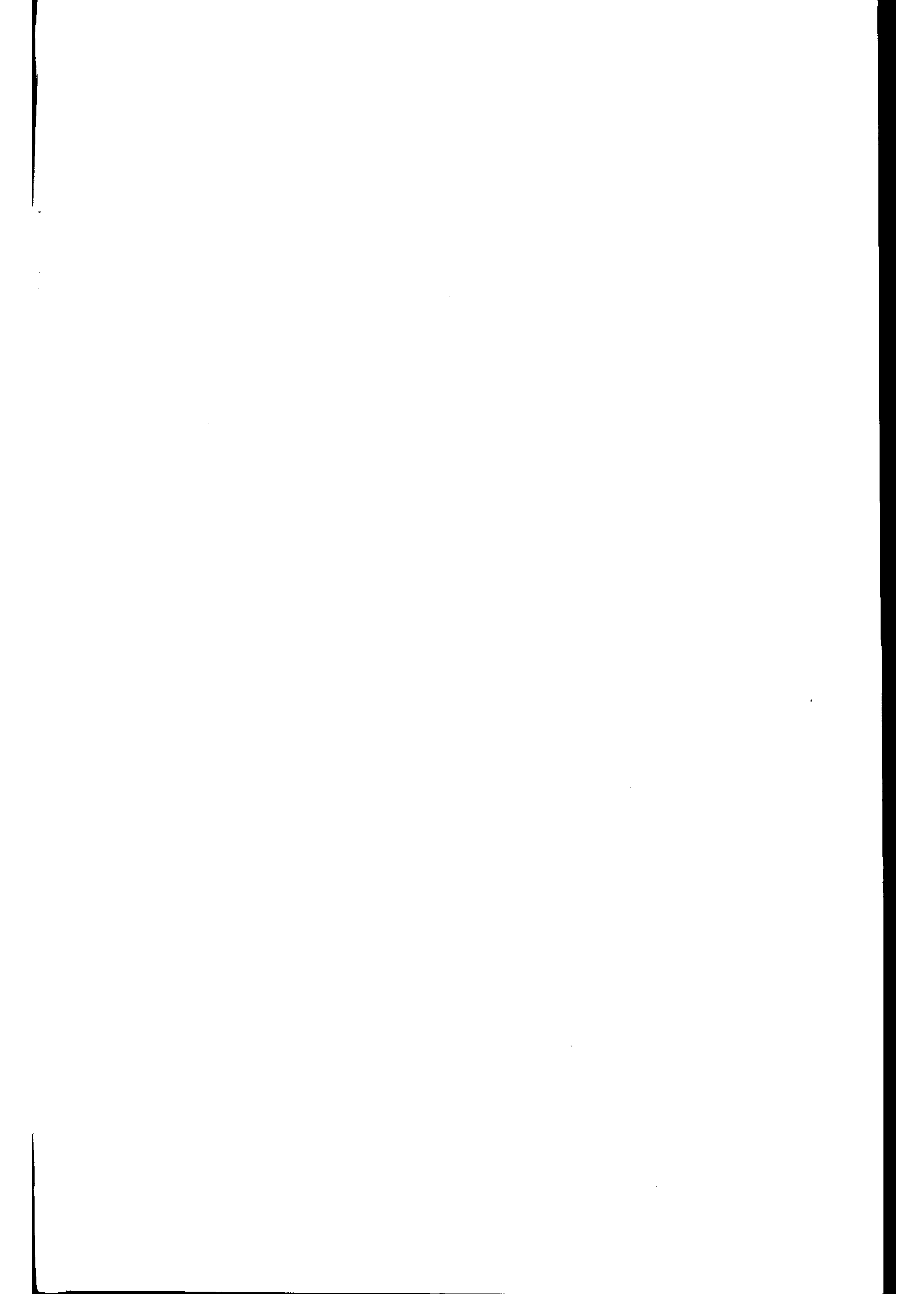
ومبدأ الأرض مقابل السلام . مسألة وجود مستوطنين يهود فى الخليل مرتبطة بحلين إما أنهم يرحلوا أو أن يقبلوا . إن الذى يضمن أمنهم هو السلطة الفلسطينية طالماً أن هذه الأرض فلسطينية والخليل جزء من الضفة الغربية ولا ينطبق عليها أى استثناء ، وهذا هو الموقف الذى اعتقد أن الفلسطينيين تمسكوا به ويجب أن يتمسكوا به لكن إسرائيل تريد أن تؤكد أن اليهود لا يخضعون لسلطة غير يهودية ، وهذا مبدأ عنصرى لا يجوز أن نسلم به على الإطلاق .

محمد إبراهيم منصور :

بعد أن شارفت الندوة على الانتهاء ، فإننى أعتقد أن ما تجمع لدينا فى هذه الحلقة الاخيرة من حلقاتها كان بكل المعايير ثميناً وأن محصلتها كانت مرضية . فقد اقتربت كثيراً من جذور المشكلة ، واقتحمت بشجاعة الآفاق غير المنظورة للحل ، وقدم المشاركون فيها ما اعتقد أنه جدير بأن يكون نصب اعين صانعى القرار فى هذه القضية القومية المصيرية.

وفى النهاية لا يسعنى الا ان أتوجه بالشكر لهذه النخبة الممتازة من المثقفين والمفكرين الذى أثروا هذه المائدة المستديرة راجياً أن نلتقى دوماً على طريق الخير والتقدم والازدهار لامتنا . وشكراً لكم جميعاً سيداتى وسادتى.

البيـان الختامى وتوصيـات النـدوة



البيـان الختامـى

والتوصيات الصادرة عن الندوة الدولية "القدس : التاريخ والمستقبل"

(٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦)

تجاوباً مع قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم ٥٣٣٨ بتاريخ ١٩٩٦/٣/٢١ الـذى أكد على عروبة القدس وأدان الممارسات الإسرائيلية تجاه المدينـة ، دعـا مركـز دراسـات المستقبل بجامعـة أسيوط إلـى نـدوة دوليـة عـن "القدس : التـاريخ والمستقبل" رداً علــى المزاعم الإسرائيلية الرامية إلى الاحتفال بمرور ثلاثـة آلاف عـام علـى اتخـاذ الملـك داود القدس عاصمة له وتفنيد هذه المزاعم ودحضهـا أمـام الـرأى العربـى والعـالمى والتذكـير بقرارات الشرعية الدولية التى اعترفت بالحقوق العربية الثابتـة فـى المدينـة المقدسـة منـذ احتلالهـا فـى عـام ١٩٦٧ والتنبيه بالمخـاطر والأضـرار التـى يمكـن أن تلحقهـا المزاعـم الإسرائيلية فى القدس بعملية السلام وعلـى رأس هـذه المخـاطر تـأجيج شـرارة الإرهـاب والتطرف فى منطقة الشرق الأوسط .

وبرعاية كريمة من معـالى الأسـتاذ الدكتـور حسـين كـامل بهـاء الديـن وزيـر التعليم عقدت الندوة يومى الثلاثاء والأربعاء ٢٩، ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦ بمقر جامعـة أسـيوط تحـت رئاسة الأستاذ الدكتور محمد رأفت محمود رئيس الجامعة . وقد تنادى لدعوة المركز عدد كبير من الباحثين والمفكرين وأساتذة الجامعات فى مصر والدول العربيـة يتقدمهـم معـالى الأستاذ فيصل الحسينى عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسـطينية ومعـالى السـفير محمد صبيح مندوب دولة فلسطين الدائم لدى جامعة الدول العربيـة ووفـد رفيـع المسـتوى من وزارة الخارجية المصرية يمثله السيد السفير بدر همام مساعد وزير الخارجية للشئون العربية نيابة عن السيد عمرو موسى وزيـر الخارجيـة ومشـاركة السيد المستشـار طلعـت حامد ممثلا للسيد الدكتور أحمد عصمت عبد المجيد الأمين العام لجامعة الـدول العربيـة ، كما ساهم فى هذه المناسبة معالى الأستاذ كامل الشـريف الأميـن العـام للمجلس الإسـلامى العالمى للدعوة والإغاثة والسيد الأستاذ الدكتور محمد رجـائى الطحـلاوى محـافظ أسـيوط والأستاذ الدكتور مفيد شهاب رئيس جامعة القاهرة وقد ناقشت الندوة أكثر من ثلاثين بحثـا

تقدم بها باحثون من جمهورية مصر العربية ودولة فلسطين والمملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية العربية اليمنية وسوريا ولبنان والجماهيرية الليبية .

وقد حيت الندوة فى جلستها الافتتاحية الكفاح الوطنى للشعب الفلسطينى وقبوله الشجاع لخيار السلام كما حيت صمود المواطنين العرب فى القدس المحتلة فى وجه الممارسات الإسرائيلية الرامية لتهويد المدينة وطمس طابعها العربى ، والعدوان على مقدساتها الإسلامية والمسيحية ومصادرة الأراضى العربية وهدم منازل سكانها العرب والتهجير القسرى لهم من مدينتهم فى أبشع صورة من صور التطهير العرقى .

وقد أعرب أعضاء الندوة عن تقديرهم للسياسة القومية الحازمة وغير المترددة للرئيس القائد محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية التى أرضت كبرياء الجماهير العربية وردت عليهم كرامتهم ورفضت أن تقبل غير ما يقبله العرب ، ومضت واثقة تقطع الطريق على محاولات ضرب السلام وإجهاضه .

وقد عبر أعضاء الندوة عن هذه المعانى فى برقية بعثوا بها إلى السيد الرئيس .

وقد أوصى المشاركون فى الندوة فى الجلسة الختامية بما يلى :

١- تقدير الموقف الفرنسى العادل الذى تجلى فى بيان الرئيس الفرنسى جاك شيراك أمام المجلس التشريعى الفلسطينى فى رام الله يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٩٦ الذى يفتح الطريق لوساطة أوربية أوسع فى عملية السلام ويكسر احتكار قوة دولية وحيدة لرعاية الجهود المبذولة فى التسوية السلمية للصراع العربى الإسرائيلى.

٢- التأكيد على أهمية وضع مدينة القدس الشريف كمهد للتعايش والتسامح الدينى بين أبناء الديانات السماوية المختلفة ، هذا التسامح الذى بلغ أوج ازدهاره فى ظل الولاية العربية الإسلامية على المدينة . ويطالب أعضاء الندوة بالمحافظة على الطابع التاريخى والحضارى وصيانة الهوية العربية للمدينة .

٣- تؤيد الندوة فكرة التحرك الشعبى العربى والإسلامى والمسيحى لدعم "صندوق القدس" الذى دعت إليه جامعة الدول العربية ويطالبون كافة القوى العربية والتجمعات الإسلامية والمسيحية بالمسارعة بدعم هذا الصندوق وتعزيز موارده وتوجيه هذه الموارد للتمكين للوجود العربى فى المدينة أرضا وسكانا وعمرانا .

٤- تشجيع الهجرة الفلسطينية إلى القدس ورفض كل محـاولات التهجير القسرى للعـرب إلى خارجها ومناشدة كل قوى السلام فى العالم للضغط على إسرائيل لوقف سياسـات التطهير العرقى الموجهة ضد عرب القدس .

٥ - إحياء دور مؤسسات المجتمع المدنى والجمعيات الأهلية الخيرية فـى العـالم العربـى للقيام بمسئولياتها فى دعم صمود المواطنين العرب فـى القدس لمواجهـة محـاولات إذابة الوجود الفلسطينى وكسـر الهيمنـة الإسرائيلية وتوجيه نشاط هذه المؤسسـات لرعايـة الهيـاكل الاجتماعيـة والاقتصاديـة فـى القـدس وخاصـة للمـدارس العربيـة ومؤسسات رعاية الأطفال الفلسطينيين والمرأة الفلسـطينية فى القدس وفـى المنـاطق الخاضعة للسلطة الوطنية الفلسطينية .

٦ - تقدير الموقف المصرى الرسمى الرامـى إلـى رأب الصـدع العربـى وتوحيد موقـف الدول العربية تجاه قضيـة السـلام وإقرار الحقوق العادلـة للشـعب الفلسـطينى وفـى مقدمتها حقه فى إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس العربية .

٧ - البناء على الأراضى الخالية المملوكة للسكان الفلسطينيين فى مدينة القدس ووضع يد العـرب عمرانيـا عليهـا قبـل أن تجـور عليهـا السياسـات الإسـرائيلية التوسـعية والاستيطانية ودعوة الأثرياء ورجال الأعمال وشركات المقاولات العربية للإسهام فى هذا المشروع القومى الرامى إلى التشبث بكل أمل لبقاء الوجـود العربـى فـى المدينـة المقدسة .

٨ - تـأييد الحـوار والانفتـاح علـى كـل القـوى المحبـة للسـلام ودعوتهـا لمنـاصرة الحـق الفلسطينى فى القدس بما فـى ذلـك جماعـات أنصـار السـلام والأحـزاب العربيـة فـى إسرائيل نفسها وفى الولايات المتحدة الأمريكية والكونجرس الأمريكى ودول الاتحـاد الأوروبى وأفريقية ودول أمريكا اللاتينية وذلك للضغط على إسـرائيل لاتخـاذ موقـف منصف من القدس .

٩ - تطوير الآليـات والخيـارات وأوراق الضغـط العربيـة علـى إسرائيل لإجبارهـا علـى العودة إلى مائدة المفاوضات والالتزام بتعهدات حكوماتها السابقة بالاتفاقـات المبرمـة مع العرب على نفس المبادئ التى ارتضاها الطرفان فى أوسلو ومدريد وعلى رأسـها مبـدأ الأرض مقابل السـلام والدخـول فـورا فـى مباحثـات المرحلـة النهائيـة مـن

المفاوضات لحسم القضايا المعلقة وفى مقدمتها قضية القدس وقضايا اللاجئين والمستوطنات والمياه .

١٠ - الاستمرار فى التلويح بممارسة الضغوط الاقتصادية وربط التطبيع مع إسرائيل بالتقدم فى عملية السلام، وتخليها عن حيازة السلاح النووى وقبولها التوقيع على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية وإخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل باعتبار أن احتكار إسرائيل لهذه الأسلحة يهدد السلام ويؤدى إلى تسابق محموم نحو امتلاك دول المنطقة لهذا السلاح .

١١ - تتوجه الندوة بالتحية والتقدير لعدد من الرموز الروحية والفكرية والسياسية الذين ساندوا الحقوق العربية فى القدس وعلى رأس هؤلاء فضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وقداسة الأنبا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية والمفكر الفرنسى روجيه جارودى والأب بيير وغيرهم ممن يضيق المقام بذكر أسمائهم .

١٢ - يوصى المشاركون بتجميع بحوث الندوة ووثائقها ومناقشاتها فى كتاب يصدر عن مركز دراسات المستقبل ويوزع على المؤسسات ومراكز البحوث والجامعات وكل المهتمين بقضية القدس وأن تكون مادته العلمية تحت تصرف وزارات التعليم والجامعات والطلاب فى الوطن العربى .

إن مركز دراسات المستقبل الذى يتيه شرفاً بتنظيمه لهذه الندوة ، وانطلاقاً من مسئولياته الحضارية والعلمية والثقافية ومن إيمانه بأن المستقبل جنين يتشكل فى رحم التاريخ ليتوجه إلى كل الذين شاركوا فى هذه المناسبة العلمية والقومية بالتحية والتقدير ، متطلعا إلى تعاون أوثق مع كل المؤمنين بتقدم الأمة العربية وازدهارها ، ويمد يده لكل الخبراء والباحثين والمثقفين والمراكز العلمية الشقيقة على امتداد وطننا العربى لكى يشاركوا معه فى المهمة الجليلة التى أخذها على عاتقه من أجل بناء غدٍ أفضل لنا ولأجيالنا من بعدنا .

القدس : جدول كرونولوجى
(تاريخ موجز للأحداث طبقاً لتسلسلها الزمنى)

الموقع

تقع القدس على بعد ٥٤ كيلومترا (٣٣ ميلاً) شرقى البحر الأبيض المتوسط و٢٣ كيلومترا (١٤ ميلاً) غربى البحر الميت، كما تقع على ارتفاع ٧٥٠ متراً (٢٤٦٠ قدم) من سطح البحر و١١٥٠ متراً (٣٣٧٧ قدم) من سطح البحر الميت.

المساحة

تبلغ مساحة القدس ١٢٣ كيلومتراً مربعاً .

السكان

يصل تعداد القدس السكانى إلى حوالى ٥٤٢ ألف نسمة .

أحداث التاريخ

ذكر تاريخ القدس لأول مرة فى النصوص المصرية القديمة فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد وفى صحائف العمارنة (واللوحات الحجرية) فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

ويمتد تاريخ القدس لحوالى خمسة آلاف عام :

- فمنذ القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد كانت أرض كنعان ، أو الفينيقيين أو الفلسطينيين ، يسكنها الكنعانيون (أجناس سامية من الجزيرة العربية) وتقع تحت حكم المصريين ، وقد أعقب ذلك غزوة قصيرة من العبريين ، بعدها مباشرة أقام فيها الفلسطينيون Philistines (أهل البحر) والآراميون فيما بين ١٢٠٠ – ١١٧٠ قبل الميلاد.

- فى عام ٧٠١ ق.م . هزم جيش الآشوريين مدينة القدس.
- فى عام ٥٨٦ ق.م. انتصر البابليون واحتلوا المدينة (فى عهد الملك نبوخذ نصر الثانى).
- فى عام ٥٣٧ ق.م. هزم قورش الأكبر ملك الفرس البابليين واستولوا على القدس حتى عام ٣٣٣ ق.م.
- فى عام ٣٣٣ ق.م. ضم الإسكندر الأكبر فلسطين بما فيها القدس إلى إمبراطوريته.
- بعد موت الإسكندر الأكبر (فى عام ٣٢٣ ق.م.) حكم خلفاؤه (المقدونيون والبطالمة) مدينة القدس. وقد استولى عليها فى هذا العام بطليموس حاكم مصر وضم فلسطين إلى ملكه.
- فى عام ١٩٨ ق.م. ضم خلفاء سيليوس نيكاتور (Seleucus Nicator) (قائد جيوش الإسكندر) المدينة إلى ولايتهم فى سوريا .
- فى عام ٦٣ ق.م. استعادت روما مدينة القدس وأصبحت تحت الحكم الرومانى وأعاد الإمبراطور هيرود الأكبر (عام ٤٠ ق.م.) بناء المدينة ، وحكمها الرومان حتى عام ٦٣٨ ميلادية.
  - فى عام ١٣٠م زار الإمبراطور هادريان القدس.
  - فى بدايات القرن الرابع عشر. عندما أصبحت المسيحية الدين الرسمى للإمبراطورية الرومانية تطورت القدس لتصبح مركزا للحجاج المسيحيين.
  - بنى الإمبراطور قسطنطين الأول (٣٠٦ - ٣٣٧م) كنيسة القيامة فى القدس فى عام٣٢٦م.
  - أغار الفرس على المدينة (فيما بين عام ٦١٤ إلى ٦٢٨م) لكن الرومان استردوها وبقوا فيها حتى عام ٦٣٨م.

العصر الإسلامى

- فى عام ٦٣٤ فتح العرب مدينة القدس وأعادوا لها وجهها العربى منذ عام ٦٣٨م.

• اهتم الأمويون (وعاصمتهم دمشق من ٦٦١ - ٧٥٠م) بمدينة القدس. وبنوا مسجد الصخرة ذا القبة الذهبية ، (من ٦٦١ - ٩٦١م) والمسجد الأقصى ذا القبة الفضية الذى بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك عام ٧١٠م .

• حكم العباسيون من عام ٧٥٠م . وفى عام ٨٧٨م. ضم الطولونيون حكام مصر دولة فلسطين ومعها القدس إلى ملكهم .

• كان التسامح مع الديانتين اليهودية والمسيحية فى العصر الإسلامى (وخاصة فى القرنين العاشر والحادى عشر) مثالا لسماحة الحكم ، حتى عهد الحاكم بأمر الله (من ٩٩٦ - ١٠٢١م) .

• استولى السلاجقة على القدس فى عام ١٠٧١م .

الحروب الصليبية

• وقعت الغزوات الصليبية الثلاث للقدس فى أعوام ١١٤١ ، ١١٨٧ ، ١١٩١م على التوالى) ، وتوحدت كلمة العرب بعد عام ١١٣٨م تدريجيا على يد قادة بارزين (منهم السلطان الأيوبى صلاح الدين الذى حكم مصر عام ١١٦٩م وهزم الصليبيين فى موقعة حطين عام ١١٨٧م) .

• فى عام ١٢٦٠م ضم المماليك فى مصر فلسطين بما فيها مدينة القدس ، إلى ملكهم بعد أن هزموا المغول فى موقعة عين جالوت. وفى المائة وسبعة وخمسين عاماً التى تلت هذا التاريخ (حتى ١٥١٧م) أعطى المماليك للقدس شخصيتها الإسلامية.

العصر العثمانى

منذ أن هزم العثمانيون المماليك (١٥٦١ - ١٥٧١م) وحتى القرن التاسع عشر لم تكن للقدس أهمية استراتيجية أو اقتصادية أو سياسية كبيرة. ومع اضمحلال الإمبراطورية العثمانية بدأت عدة دول أوربية فى مد تأثيرها إلى مدينة القدس ، وبدءوا فى محاولة الحصول على امتيازات تتيح لهم التحكم فى هذه الأماكن.

- فى القرن التاسع عشر أصبحت فلسطين والقدس محوراً للاهتمام العالمى بسبب موقعها الذى يعتبر معبراً للهند والشرق الأقصى.
- فى عام ١٩١٧م احتل الإنجليز القدس وصارت عاصمة لدولة فلسطين التى كانت تحت الحماية البريطانية (من ١٩٢٣ حتى ١٩٤٨م). وبعد الحرب العالمية الأولى هزم الأتراك العثمانيون وأخرجوا من فلسطين. ووضعت عصبة الأمم فلسطين تحت الانتداب البريطانى.
- مع نهاية الحرب العالمية الثانية أحيلت هذه القضية إلى هيئة الأمم المتحدة التى أصدرت قرارها فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ والذى أوصى بتدويل القدس .
- فى عام ١٩٤٨ قسمت القدس وحكمت الأردن الجزء الشرقى منها لمدة تسعة عشر عاماً حتى الاحتلال الإسرائيلى لها فى يونية عام ١٩٦٧.

Jerusalem :
Brief Chronology

Location : 54 km. (33 miles) east of the Mediterranean Sea, 23 km. (14 miles) west of the Dead Sea; lies at an elevation of 750 meters. (2460 feet) above sea level, and 1150 meters (3377 feet) above the Dead Sea.

Area : 123 square km.

Population : 542.000 (1996 estimation).

Historically, the city was first mentioned in the Egyptian "execration texts" (19 - 18*th.* century B.C.) and in the Amarna tablets (14*th.* century B.C.)

Jerusalem's history stretches back about 5000 years :

* During most of the second millennium (2500 B.C.) the land of Canaan, Phoenicia , or Philistia, was under Egyptian rule. The brief conquest by the Hebrews was followed closely by the conquest of the Philistines (sea people) and Aramaean tribes between about 1200 and 1170 B.C.
* In 701 B.C. the Assyrian army defeated the city.
* In 586 B.C. the city was conquered by the Babylonians (King Nebuchadnezzar II) .
* In 537 B.C. Cyrus the Great of Persia conquered Babylonia, and Persia held Jerusalem till 333 B.C.
* In 333 B.C. Alexander the Great added Palestine to his empire.
* After the death of Alexander in 323 B.C. his successors (Macedonians and Ptolemies) ruled the city. In 323 Ptolemy of Egypt took Palestine into his kingdom.
* In 198 B.C. king Antiochus III conquered Jerusalem and made it tributary to Syria (the rule of the Seleucids)
* In 63 B.C. Rome took the city back and it came under direct Roman rule . Herod the Great (ruled 40 B.C.) rebuilt much of Jerusalem. The Romans retained ultimate control throughout, until 638 A.D.:

* In 130 A.D. Emperor Hadrian the Great visited the city.
* From the early 4*th.* century , when Christianity became legal in the Roman empire, Jerusalem developed as a center of Christian Pilgrimage.
* Constantine I (ruled 306 - 337) built the church of the Holy Sepulchre in 326.
* An iterruption of the Roman rule came from 614-28 when the city was under Persian rule. The Romans regained Jerusalem until the year 638.

The Early Islamic Period (638 - 1917) :

* In 634 the Arabs from the Arabian Peninsula invaded the city and in 638 the Moslem Arabs took Jerusalem.
* The Umayyad dynasty (ruling from Damascus from 661-750) devoted much attention to Jerusalem. They built the gold-domed Dome of the Rock mosque (661y -691) and the silver-domed Al-Aqsa mosque by Caliph Al-Walid in 710 A.D.
* The Abbasid dynasty ruled from 750 . In 878 the Egyptian Tulunids annexed Palestine, including Jerusalem.
* In the 11*th.* century Moslem toleration of the Jews and Christians presented a model rule, till the rule of Al-Hakim (996 - 1021) .
* In 1071 the Selijuks seljuks seized Jerusalem .

The Crusades : The three European invasions during the period of Arab-Muslim rule (in 1141, 1187 and 1191). After 1138 the Arabs were gradually unified by outstanding leaders (e.g. the Ayyubid Sultan Saladin who ruled Egypt in 1169 and defeated the Crusaders at Hattin in 1187).

* In 1260 the Egyptian Mameluke dynasty, after defeating the mongols at Ayn Jalut, annexed Jerusalem and the rest of Palestine. During the following 257 years of the Mameluke rule, they, hightened the Islamic character of the city, until the year 1517.

The Ottoman Period : From the time the Ottoman defeated the Mamelukes (1516 - 1517) until the 19*th.* century Jerusalem had no particular political, economic or strategic importance. With the decline of the Ottoman empire, several European countries attempted to

expand their influence and patronage over the Christian holy places. They began to extract concessions from the Sultan to have control over the holy places.

* In the 19*th.* century the city , and Palestine , became the focus of international concern because of its position at the crossroads to India and the Far East .
* In 1917 the British occupied Jerusalem and it became the capital of mandated Palestine (from 1923 - 1948). After World War I, the Ottoman Turks were defeated and evicted from Palestine by the British to whom the League of Nations awarded the Palestine mandate .
* By the end of World War II , this issue was turned over to the United Nations. The U.N. resolution of November 29*th.*, 1947 recommended the internationalization of Jerusalem.
* In 1948, Jordan ruled East Jerusalem for 19 years , until 1967.

رقم الإيداع ٣٧٩٦ / ١٩٩٧

الترقيم الدولى ٥ - ٢٠١ - ٢٣٦ - ٩٧٧ ISBN

١٩٩٧ / ٢٩٣٨

دار النشر والتوزيع بجامعة أسيوط

مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية